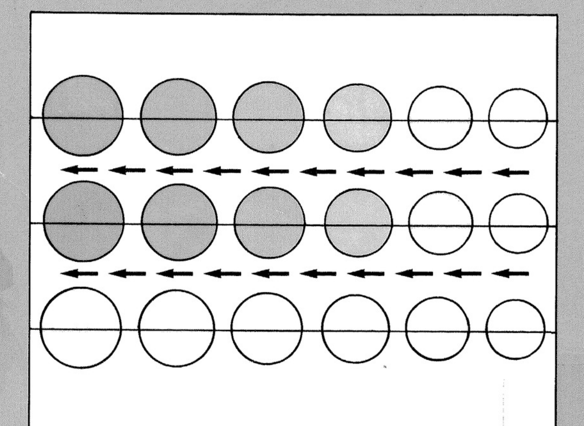
علم الاجتماع

تأليف

بيث هس　　　　اليزابث ماركسون　　　　بيتر ستين



تعريب

الدكتور / محمد مصطفى الشعبينى





علم الاجتماع

علم الاجتماع

تأليـف

بيث هس | اليزابث ماركسون | بيتر ستين

تعريب

الدكتور / محمد مصطفى الشعبيني

أستاذ علم الاجتماع

كلية التربية - جامعة عين شمس

كلية الاقتصاد والادارة

جامعة الملك سعود - فرع القصيم -

تقديم

الدكتور / سلطان المحمد السلطان

جامعة الملك سعود - فرع القصيم -



ص . ب: ١٠٧٢٠ - الرياض: ١١٤٤٣ - تلكس ٤٠٣١٢٩

المملكة العربيةِ السعودية - تليفون ٤٦٥٨٥٢٣ - ٤٦٤٧٥٣١

● حقوق النشر

هذا الكتاب تم تعريبه بتصرف من كتاب : SOCIOLOGY

By : Beth B. Hess, Elizabeth W. Markson and Peter J. Stein, 1982.

الطبعة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

«يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم».

صدق الله العظيم

سورة الحجرات. الآية ١٣

تقديم الكلية

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم باءحسان الى يوم الدين.

وبعد :

فعلم الاجتماع من العلوم التى تربطها صلات وثيقة بالعلوم الاقتصادية والادارية، ولا أجاوز الحقيقة اذا قلت إن كثيرا من النظريات الاقتصادية والادارية بنيت على أساس من النظريات الاجتماعية.

ومن هنا كان اهتمام كلية الاقتصاد والادارة بتدريس هذا العلم لطلابها، وكان اهتمامها أيضا بأن يقف طلابها على الجديد فى هذا العلم من حيث مجالاته وطرق البحث فيه. وبخاصة أن علم الاجتماع علم سريع التطور ويشهد بذلك ما طرأ عليه من تصورات ونظريات فى السنوات القليلة الماضية.

وكتاب «**علم الاجتماع**» الذى نقدمه للقارىء اليوم، والذى ألفه «هس، وماركسون، وستين» وقام بتعريبه الاستاذ الدكتور محمد مصطفى الشعبينى أستاذ علم الاجتماع بالكلية يمثل آخر ما توصل اليه علم الاجتماع فى دراسة المجتمعات المعاصرة وطبيعتها المعقدة، كما أنه يقدم لنا من التصورات الجديدة والنظريات ما يعيننا على فهم أمثل للأنظمة الاجتماعية التى تحكم علاقات المجتمع الانسانية كما تحكم نظمه الاقتصادية والسياسية والتربوية.

وإن كلية الاقتصاد والادارة بجامعة الملك سعود فرع القصيم ليسرها أن تتيح قراءة هذا الكتاب للقارىء العربى، متقدمة بذلك خطوة أخرى جديدة فى النهج الذى

انتهجتـه من إثراء المكتبة العربية بالجديد النافع من الكتب الأجنبية المعربة فى مجال تخصصات الاقتصاد والادارة وما يتصل بها من تخصصات أخرى. ولما لهذا الكتاب من قيمة علمية فقد رأت الكلية أن يدرسه الطلاب فى مادة «١١١ جمع مبادىء علم الاجتماع».

ولا يفوتنى ـ فى النهاية ـ أن أحيى الجهد الصادق الذى بذله الدكتور محمد مصطفى الشعبيني فى تعريب هذا الكتاب وطبع بعض ما به من مادة علمية بالطابع الاسلامى العربى بما يتلاءم مع مجتمعنا وقيمه.

والله أسأل أن يكون عملنا خالصا لوجهه.

عميد كلية الاقتصاد والادارة

د . سلطان المحمد السلطان

مقدمة المعرب

تطور علم الاجتماع خلال السنوات القليلة الماضية تطورا كبيرا من حيث مجالاته، ومن حيث مناهج البحث فيه، حتى يستطيع أن يواكب التغيرات الاجتماعية السريعة والمتلاحقة التى تطبع عالمنا المعاصر.

ومن هنا كان حرص كلية الاقتصاد والادارة على أن تتيح لطلابها أحدث المراجع العلمية فى جميع التخصصات ومن بينها علم الاجتماع.

والكتاب الذى نقدمه للقارىء العربى، محاولة علمية جادة وحديثة لفهم دينامية المجتمع المعقد الذى نعيشه اليوم، وذلك بما يقدمه من تصورات ونظريات يمكن أن تساعدنا على فهم أفضل للنظم الاجتماعية الكبرى، ودورها فى المجتمع المعاصر كالزواج والحياة العائلية، والنظم الاقتصادية والسياسات والسلطة، والنظام التربوى، ونظم المعتقدات.

وبالاضافة إلى اهتمام الكتاب بالنظم الاجتماعية الكبرى، فقد عالج كذلك الأنساق الاجتماعية الصغرى، فعرض في أجزاء كثيرة منه للسياق الثقافى، والتطبيع الاجتماعى، والعائلة الممتدة، والعائلة النووية.

وقد أولى الكتاب اهتماما كبيرا بالقضايا الاجتماعية المعاصرة، وأفرد لها خمسة فصول كاملة هى: السكان والصحة، والجريمة والعقاب، والحياة الحضرية وحياة الضواحى، والسلوك الجمعى والحركات الاجتماعية، والعصرية والتغير الاجتماعى، وقد عالج الكتاب هذه القضايا معالجة تتسم بالوضوح فى ضوء النظريات الاجتماعية المعاصرة، فلم ينغلق على نظرية اجتماعية واحدة.

ومع اهتمام الكتاب بالقضايا المعاصرة، فإنه لم يغفل الاهتمامات التقليدية لعلم الاجتماع، ولكن معالجته لها كانت من منظور حديث.

ولما كان علم الاجتماع المعاصر لم ينشأ من فراغ، فقد اهتم الكتاب بتعقب جذوره التاريخية، وعرض لأهم مؤسسيه واقتران نشأته فى الغرب بتطور العلوم الطبيعية وازدهارها.

وقد أوردت فى نهاية الكتاب شرحا للمصطلحات التى جاءت به، وكذلك لبعض الكلمات الشائعة التى يقصد بها معان محددة فى مجال علم الاجتماع. ولم أحاول أن أخرج عن هذا النطاق، فلم اتعرض للاستخدامات الأخرى للمصطلح، وعلى من يريد معرفة هذه الاستخدامات الأخرى، أن يرجع إلى أى قاموس أو معجم عام فى علم الاجتماع.

وانني مدين بالشكر لسعادة عميد الكلية الدكتور سلطان المحمد السلطان فلولا تشجيعه وحماسه المستمرين، وتوفيره كافة الامكانات، لما ظهر هذا الكتاب.

كما أحب أن أتوجه بالشكر للأخ الصديق الاستاذ الدكتور فوزى محمد أمين استاذ الأدب العربى المساعد بكلية الاقتصاد والادارة، وبكلية الآداب جامعة الاسكندرية على ما بذله من جهد، وما أنفقه من وقت فى مراجعة أصول الكتاب.

والله ولى التوفيق.

محمد مصطفى الشعبيني

مقدمة المؤلفين

اتضح لنا خلال العديد من السنوات التى قمنا فيها بتدريس مبادىء الاجتماع، أن ما يتطلع إليه طلابنا فى المحل الأول، هو معرفة المنظور الاجتماعى بشكل واضح لا لبس فيه ولا غموض، ثم تطبيق معارفهم واستبصاراتهم على مختلف شئون حياتهم اليومية. إنهم يريدون إطارا واضحا دون أن ينغلقوا على مدخل نظرى واحد، ويطلبون مادة علمية حديثة، سلسلة الأسلوب واضحة المعانى.

ومن ناحية أخرى، فإن الأستاذ الذى يقوم بتدريس كتاب فى «مبادىء علم الاجتماع» يتوقع أن يجد كتابا شاملا واضحا، ومناسبا لعملية التدريس. ولقد حرصنا على تحقيق تلك الأهداف جميعها فى هذا الكتاب الذى نقدمه للقارىء ليحقق ما يرجوه الطلاب وما ينشده من يقوم بتدريسه.

كما توخينا تجنب النظرة الضيقة التى تطبع عديدا من مراجع علم الاجتماع، فجاء كتابنا نسيجا متلاحما من المداخل الرئيسية الثلاثة فى الفكر الاجتماعى المعاصر: مدخل البنائيين الوظيفيين، ومدخل القائلين بالصراع، ومدخل التفاعليين. وبرغم حرصنا على عدم الابتعاد عن الاهتمامات الكلاسيكية أو التقليدية لعلم الاجتماع، فإن معالجتنا لها، ونظرتنا إليها، جاءت جديدة.

ويعد هذا الكتاب مدخلا حديثا للنظر إلى الملامح الرئيسية للحياة الاجتماعية، ويتيح للطلاب التعرف على وجهة النظر الاجتماعية، كما يضع أمام من يقوم بتدريسه، وجهات النظر المختلفة والمداخل المتباينة، الأمر الذى يتيح له أن يركز على المدخل الذى يراه أكثر ملاءمة.

تنظيم الكتاب :

ينقسم الكتاب إلى خمسة أبواب، يعالج كل باب منها مبحثا رئيسيا. الباب الأول

وهو بعنوان «دراسة المجتمع» يتناول المنظورات الاجتماعية، كما يعالج طرق البحث تحت عنوان «النهج الاجتماعى» ويتناول الباب الثانى «الذات فى المجتمع» تطبيقا لمفهوم الذات فى سياقات اجتماعية أربعة: السياق الثقافى، والبناء الاجتماعى، والجماعات الاجتماعية، والذات الاجتماعية، والتطابق والانحراف. وأما الجزء الثالث «الفروق الاجتماعية وعدم المساواة» فيهتم بموضوعات: التدرج الاجتماعى وعدم المساواة، كمظهر من مظاهر البناء الاجتماعى، ويضم فصولا هى: التدرج الاجتماعى، وعدم المساواة، التدرج الاجتماعى على أساس الجنس والعمر، والأقليات العرقية والسلالية والدينية. ويتعلق الجزء الرابع بالأوجه البنائية ويستقصى النظم الاجتماعية الرئيسية وهى: الزواج والعائلة، والنظم الاقتصادية، والسياسات والقوى، والنظام التربوى، ونظم المعتقدات. فى حين يهتم الجزء الخامس والأخير ببعض القضايا المعاصرة، التى تعنى بها نتج عن الاتجاهات والتغيرات الاجتماعية الحديثة، ويضم فصولا هى: السكان والصحة والجريمة والعقاب، والحياة الحضرية وشبه الحضرية، والسلوك الجمعى والحركات الاجتماعية. وأخيرا، العصرية والتغير الاجتماعى.

ولقد أوردنا فى نهاية كل فصل ملخصا له يتضمن أهم النقاط الرئيسية، وكذلك مجموعة من القراءات المقترحة التى يمكن أن تشجع على مزيد من البحث والقراءة.

المحتويـــات

تقديم الكلية ٧
مقدمة المعرب ٩
مقدمة المؤلفين ١١

الباب الأول : دراسة المجتمع

الفصل الأول : دراسة الذات والمجتمع ٢٥
● ما الذي يدرسه علماء الاجتماع ٢٥
● النظرية الاجتماعية ٣٤
● النظرية الاجتماعية الحديثة ٤٢
● نموذج عملي لدراسة الذات في المجتمع ٥٣
● الخلاصـــة ٥٨
● قراءات مقترحة ٥٩

الفصل الثاني : النهج الاجتماعى ٦١
● ضرورة البحث ٦٣
● عملية البحث ٦٩
● ملاحظات حول النهج الاجتماعى ٨٥
● الخلاصـــة ٨٦
● قراءات مقترحة ٨٧

الباب الثاني : الذات في المجتمع

الفصل الثالث : السياق الثقافي ٩٥
● ثقافة التاسادي ٩٥
● من البساطة إلى التعقيد ٩٨
● أهمية الثقافة ١٠١

● دراسة الثقافة ١٠٤
● أسس الثقافة ١٠٨
● عناصر الثقافة ١١٤
● نظام القيم في الولايات المتحدة ١٢٤
● مدخل لنظام القيم في الإسلام ١٢٩
● الخلاصـــة ١٣٧
● قراءات مقترحة ١٣٩

الفصل الرابع : البناء الاجتماعي والجماعات ١٤٣
● أهمية البناء الاجتماعي ١٤٤
● مكونات البناء الاجتماعي ١٤٦
● سياق التفاعل الاجتماعي ١٥٦
● الجماعـــات ١٥٨
● بناء الجماعة وعملياتها ١٦٦
● التنظيميات الرسمية ١٧٣
● البيروقراطية ١٧٥
● الخلاصـــة ١٨١
● قراءات مقترحة ١٨٣

الفصل الخامس : الذات الاجتماعية ١٨٧
● التطبيع الاجتماعي ١٨٨
● الفروق بين الثقافات الفرعية ١٩٥
● مصادر التطبيع الاجتماعي ١٩٧
● تكوين الشخصية ٢٠٢
● التطبيع الاجتماعي والثقافة ٢١٨
● الخلاصـــة ٢٢١
● قراءات مقترحة ٢٢٣

الفصل السادس : التطابق والانحراف ٢٢٥
● تحقيق التطابق ٢٢٨
● نظريات الانحراف ٢٣٦

● السلوكيات المنحرفة ٢٤٢
● المرض العقلى كسلوك منحرف ٢٤٧
● بعض الملاحظات حول الانحراف والتطابق ٢٥٣
● الخلاصـــة ٢٥٥
● قراءات مقترحة ٢٥٦

الباب الثالث : الفروق الاجتماعية وانعدام المساواة

الفصل السابع : التدرج الطبقى الاجتماعى ٢٦٥
● مبادىء التدرج الطبقى الاجتماعى ٢٦٦
● أبعاد التدرج الاجتماعى ٢٧٠
● النظام الطبقى في أمريكا الشمالية ٢٧٧
● الخلاصـــة ٢٨٣
● قراءات مقترحة ٢٨٥

الفصل الثامن : انعدام المساواة الاجتماعية ٢٨٩
● مقدمـــة ٢٨٩
● الفقر في أمريكا ٢٩٢
● أسباب الفقر ٢٩٦
● الحراك الاجتماعى ٣٠٥
● المكانة الاجتماعية وأسلوب الحياة اليومية ٣١٣
● ملاحظات حول إنعدام المساواة الاجتماعية ٣١٤
● الخلاصـــة ٣١٦
● قراءات مقترحة ٣١٨

الفصل التاسع : التدرج الاجتماعى على أساس الجنس والعمر ٣٢٣
● التدرج الطبقي الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة ٣٢٩
● التدرج الاجتماعى على أساس العمر ٣٩
● الخلاصـــة ٣٥١
● قراءات مقترحة ٣٥٣

الفصل العاشر : الاقليات العرقية والسلالية والدينية ٣٥٧
● تعريف جماعات الأقليات ٣٥٨
● المكانات الموروثة والتدرج الهرمى ٣٦٠
● جذور العنصرية ٣٦١
● نماذج لتكامل جماعات الأقلية ٣٦٦
● العمليات المؤدية لتكامل جماعات الأقلية ٣٦٩
● الأقليات العنصرية ٣٧٨
● الأقليات السلالية ٣٨٦
● الأقليات الدينية ٣٩١
● الخلاصـــة ٣٩٧
● قراءات مقترحة ٤٠٠

الباب الرابع : الأوجه التنظيمية

الفصل الحادى عشر : الزواج والحياة العائلية ٤٠٥
● أصول العائلة ٤٠٧
● القرابة في الثقافات المختلفة ٤١١
● الزواج الحديث ٤٢٣
● عائلات الأقليات ٤٢٩
● الخلاصـــة ٤٣٣
● قراءات مقترحة ٤٣٤

الفصل الثاني عشر : النظم الاقتصادية ٤٣٩
● أصول النظم الاقتصادية ووظائفها ٤٤٠
● مكونات النظم الاقتصادية ٤٤٢
● تنظيم العمل ٤٥٢
● الخلاصـــة ٤٦١
● قراءات مقترحة ٤٦٣

الفصل الثالث عشر : السياسات والسلطة ٤٦٧
● أصول النظم السياسية ووظائفها ٤٦٧

● النظم السياسية في المجتمعات المعقدة ٤٦٩
● المشاركة السياسية ٤٧١
● بنية السلطة في أمريكا ٤٧٥
● الخلاصـــة ٤٨٢
● قراءات مقترحة ٤٨٣

الفصل الرابع عشر : النظام التربوي ٤٨٧
● وظائف التربية ٤٨٨
● بنية النظام التربوى ٤٩٧
● في حجرة الدراسة ٥٠٠
● التعليم والمساواة العنصريية في الولايات المتحدة ٥٠٤
● تقرير تقويمى عن النظام التربوي ٥٠٨
● مستقبل التعليم العالى ٥١١
● الخلاصـــة ٥١٢
● قراءات مقترحة ٥١٣

لفصل الخامس عشر : نظم المعتقدات ٥١٧
● الدراسة الاجتماعية لنظم المعتقدات ٥١٧
● الخلاصـــة ٥٢١
● قراءات مقترحة ٥٢٢

الباب الخامس : قضايا معاصرة

الفصل السادس عشر : السكان والصحة ٥٢٩
● مقدمـــة ٥٢٩
● النمو السكانى ٥٣٧
● عناصر التغير السكانى ٥٤٣
● التركيب السكاني ٥٥٣
● الاهرامات السكانية ٥٥٤
● السكان، والتنمية الاقتصادية، ونوعية الحياة ٥٦٢
● الخلاصـــة ٥٧٢

● قراءات مقترحة ٥٧٣

الفصل السابع عشر : الجريمة والعقاب ٥٧٧
● دور القانون ٥٧٨
● كيف تحولت المعايير إلى قوانين ٥٨٠
● نظريات السلوك الاجرامى ٥٨٢
● الجريمة في أمريكا الشمالية ٥٨٥
● الجرائم الخلقية ٥٩٢
● جناح الأحداث ٦٠١
● المحاكمة والعقاب ٦٠١
● الخلاصة ٦٠٤
● قراءات مقترحة ٦٠٥

الفصل الثامن عشر : حياة الحضر وحياة الضواحى ٦٠٩
● نمو المدينة ٦١١
● نمو المدينة في أمريكا الشمالية ٦١٥
● الضواحى ٦١٨
● أزمة المدن الأمريكية ٦٢١
● مستقبل المدن ٦٢٣
● الخلاصة ٦٢٤
● قراءات مقترحة ٦٢٥

الفصل التاسع عشر : السلوك الجمعى والحركات الاجتماعية ٦٢٩
● أنواع السلوك الجمعى ٦٣٠
● الحركات الاجتماعية ٦٣٨
● أطوار نمو الحركات الاجتماعية ٦٤٣
● الخلاصة ٦٤٩
● قراءات مقترحة ٦٥٠

الفصل العشرون : العرصية والتغير الاجتماعى ٦٥٣
● التغير العام والتغير الخاص ٦٥٣

● مصادر التغير ٦٥٧
● التغير الاجتماعى والعصرية ٦٦٢
● العصرية والذات ٦٦٤
● قبول التغير ٦٦٦
● أنماط التغير ٦٦٦
● المستقبل : ماذا بعد؟ ٦٧٤
● الخلاصـــة ٦٧٦
● قراءات مقترحة ٦٧٨

شرح المصطلحات ٦٨١
مراجع الكتاب ٧٢٥

الباب الأول
دراسة المجتمع
The Study of Society

نبدأ هذا الباب بتعريف علم الاجتماع كمبحث علمى، ونميزه عن غيره من العلوم الاجتماعية. ويعرض الفصل الأول لخلفية تاريخية عن بعض رواد علم الاجتماع الأوائل، مع تلخيص موجز لاسهاماتهم النظرية الأساسية. وقد توقفنا عند بعض المصطلحات والمفاهيم لنعرض لها بالشرح حتى يتمكن الطالب من فهم مادة الكتاب. وينتقل الفصل الثانى من التساؤل عما يدرسه علماء الاجتماع، إلى ما يدرسونه فعلا، وإلى كيفية تقويم دراساتهم وأبحاثهم. كما عرضنا لمصادر المعرفة، ولعديد من طرق جمع المعلومات والمعارف الاجتماعية، وكذلك لعجالة عن المنظورات الاجتماعية، والنهج الاجتماعى، الأمر الذى يتيح لنا تقويم أنفسنا والنظر إلى ذواتنا فى ضوء جديد.

الفصل الأول

دراسة الذات والمجتمع

The Study of Self and Society

الفصــل الأول

دراســة الــذات والمجتمــع

The Study of Self and Society

ما الذى يدرسه علماء الاجتماع

What Sociologists Study?

التعريف بعلم الاجتماع Defining Sociology

علم الاجتماع هو العلم الذى يدرس موضوعات مثل: السلطة، والعائلة، ودور العبادة، والمصانع، والنوادى، والعلاقات الاجتماعية، وغير ذلك من ظواهر تتعلق بجميع مظاهر حياتنا الاجتماعية؟

وعلى هذا يمكن القول، إن علم الاجتماع هو الدراسة المنهجية للسلوك الإنسانى، وللجماعات التى ننتمى إليها، وللمجتمعات التى يعيش فيها الناس ويبدعون ويمضون حياتهم. ولا ينفرد الناس بالعيش داخل جماعات يرتبط فيها بعضهم بالبعض الآخر، وإنما تشاركهم فى ذلك مخلوقات أخرى كالنحل والنمل وأنواع من الحيوانات والطيور. ولكن الله سبحانه وتعالى أنعم على الانسان وحده، وميزه بميزة خاصة، وهى القدرة على تصور العديد، والعديد جدا من الاستجابات لمشكلات البقاء، وإيجاد القواعد التى تحكم سلوك الناس وتصرفاتهم، وبناء الصور المعقدة المتعلقة بالحياة الاجتماعية.

وما أن تستقر وتتوطد هذه الأسس والقواعد والصور، وتأخذ مكانها فى مجريات

الحياة، حتى تشكل البيئة الاجتماعية التى نعيش فيها. وتحيط هذه البيئة الاجتماعية بالإنسـان من جميع الجوانب، تماما كما يحيط الماء بالسمك فى حوض من الماء، ولن نستطيع أن نتصور أية طريقة أخرى للحياة الاجتماعية، أو أى تصور آخر، سوى هذه الـطريقـة وذاك التصـور. ولكن النـاس لا تهدأ ولا تستكـين، فهى محبـة للبحث والاستطلاع، ويوجد دائما المكتشفون والمستطلعون داخل حوض السمك الإنسانى! وهكذا وجد علم الاجتماع.

وفيما يتعلق بموضوعات علم الاجتماع التى نخبرها فى حياتنا اليومية، ونعرض لها بالبحث والـدراسة، قد يبدو للبعض أنها من الوضوح بحيث لا تحتاج الى بحث أو دراسة أو استقصاء. ويتقبل البعض دون تساؤل أو مناقشة، الطريقة التى يعيش بها، ويعيش بها غيره من الناس دون مناقشة أو استفسار، وحتى عندما يسأل فرد عن سبب نوع معين من السلوك كالمبادرة بالتحية، وبطريقة معينة وبأسلوب معين، فإن الإجابة تكون ببساطة: هذا ما تعلمناه من آداب السلوك. ولكن عالم الاجتماع لا يقنع بهذا التفسـير، وإنما يسأل سؤالا بسيطا: لماذا؟ وتدل الاستقصاءات بهذا الصدد على أن «التحية» وطرقها والأسلوب الذى تتم به لها علاقة بالثقافة السائدة فى المجتمع، ولها علاقة بالسلطة، وبالجنس، وبالتدرج الاجتماعى، وأنها يمكن أن تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر، وغير ذلك. وهكذا، وبنفس الطريقة، يمكن أن نستقصى مختلف الظواهر التى تتعلق بشئون الحياة اليومية، الأمر الذى يمكن أن يلقى مزيدا من الضوء والفهم على الظواهر الاجتماعية والقواعد والقوانين والأعراف التى تحكم سلوكنا.

علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية الأخرى:

Sociology and Other Social Sciences

لا ينفـرد علماء الاجتـماع بدراسة السلوك الانسانى، بل يشاركهم فى ذلك علماء آخرون كعلماء التاريخ والسياسة والاقتصاد. كذلك يقوم علماء النفس بدراسة مظاهر الحياة اليومية، ويحاولون معرفة أسباب سلوك الناس على النحو الذى يسلكون عليه. ولكن علم الاجتماع يختلف عن هذه العلوم الاجتماعية الأخرى، وذلك بالحاحه فى المقام الأول على الناس داخل الجماعات، وعلى بناء الجماعات ذاتها، ولا يشاركه فى هذا المنظور سوى علم الانثربولوجيا Anthropology ولكن ثمة اختلاف بينهما أيضا ذلك أن علم الانثربولوجيا يركز اهتمامه على دراسة المجتمعات البسيطة أو ما اصطلح

على تسميته بالمجتمعات البدائية، وكذلك المجتمعات صغيرة الحجم قليلة السكان. فإذا اهتم علم الاجتماع بدراسة مجتمع المملكة العربية السعودية مثلا بشكل عام، أو بنظام اجتماعى معين، فإن علم الأنثربولوجيا يهتم بمدينة من مدنها، أو حتى بحى واحد من أحيائها. وفى حين يركز علماء التاريخ اهتمامهم على المسيرة العريضة للشعوب عبر العصور، وعلى الحروب والقادة، فإن علماء الاجتماع يعنون بأنماط العلاقات بين الأفراد بعضهم وبعض، أو بين الجماعات بعضها وبعض داخل المجتمع.

ويهتم علماء السياسة بالحكومات والسياسات، وبالسلطة وغير ذلك وهى ما تشكل مظهرا واحدا من مظاهر البناء الاجتماعى، يضعه علماء الاجتماع فى سياق يجمعه مع غيره من المظاهر، والظواهر، والنظم التى تشكل البناء الاجتماعى، مثل النظام العائلى، والنظام الاقتصادى والنظام الدينى، والنظام التربوى.

ومن نفس المنطلق، يمكن القول أيضا، بأن علماء الاقتصاد يهتمون فقط بدراسة مجال واحد من مجالات الحياة الاجتماعية مثل انتاج السلع وتوزيعها واستهلاكها ومجال الخدمات، وهذه المناحى برغم كونها تهم كل فرد من أفراد المجتمع، فإنها لا يمكن أن تفهم بمفردها كما لو كانت تتم فى فراغ. وعلى العكس من هذا، فإن علماء الاجتماع والأنثربولوجيا يهتمون بالمجال الكلى للحياة الاجتماعية، بدلا من الاقتصار على هذا المجال أو ذاك من مجالات الحياة الاجتماعية.

وفيما يتعلق بالتفرقة بين علم الاجتماع وعلم النفس، فإنه يمكن القول بأن عالم النفس ينطلق من منظور نفسى فى دراسة سلوك الانسان وربطه بالحاجات والدوافع والحالات العقلية. والانفعالية. أما عالم الاجتماع فيهتم بالنظر في السياق الذى يعمل بداخله الفرد. وهذا هو المنظور الاجتماعى: أن السلوك يتأثر الى حد كبير بالقوى الاجتماعية التى تقع على الشخص. ولنضرب مثالا يوضح الفرق بين المنظورين: النفسى والاجتماعى.

كتب حديثا أحد أعلام الطب النفسى، مقالا عن العلاقة بين الاكتئاب النفسى والبطالة عند الرجال الزنوج فى الولايات المتحدة (موروويتز Morowitz, 1978) ونصح ببذل عناية مكثفة صحية وعقلية ونفسية، للتخفيف من أعراض الاكتئاب أو علاجه، حتى يمكن لهؤلاء الرجال أن يستعيدوا صحتهم النفسية، ويصبحوا قادرين

على العمل. فهو إذن، قد افترض أن صحتهم النفسية كانت السبب وراء حالة الفقر التى يعيشونها والبطالة التى يعانون منها.

أما عالم الاجتماع، فيفترض العكس: يفترض أن البطالة هى التى تسببت فى حالة الاكتئاب النفسى. فالرجال الذين لا يستطيعون القيام بوظيفتهم فى إعالة أسرهم - وهو عمل يعد مسئولية الرجال بالدرجة الأولى - سوف ينظرون الى البطالة كظاهرة جردتهم من قيمتهم وأهميتهم، ومن ثم تظهر لديهم أعراض الاكتئاب النفسى، (بل ربما ظهر لديهم الغضب أيضا) وعلى ذلك، يرى عالم الاجتماع أن العلاج لا يوجد فى المصحات النفسية، ولكنه يكمن في إتاحة وتوفير مزيد من فرص العمل للذكور من جماعات الأقليات.

ولم يقتصر الأمر على جماعات الأقليات، فقد سجلت استجابات مشابهة لتفشى البطالة بين الرجال البيض فى الولايات المتحدة، وتكررت هذه الاستجابات والأعراض كلما ازدادت معدلات البطالة.

(Riley, Foner, Hess, and Toby, 1968) ولم تقتصر هذه الاستجابات على الاكتئاب النفسى، بل إنها يمكن أن تشمل أيضا العديد من المشكلات الاجتماعية، كزيادة حالات الطلاق، وإدمان الخمر، وانحراف الأحداث، والانهيار النفسى، وذلك كما شاهدنا لدى عمال السيارات فى «ديترويت» بالولايات المتحدة، عندما تفشت فيهم البطالة عام ١٩٨٠.

إننا حين نعالج هذه المشكلات على أنها نتيجة إخفاق أو فشل يتعلق بالفرد نفسه، نكون كمن يلوم الضحية ويتغاضى عن الأسباب الاجتماعية الحقيقية الكامنة التى دفعت بها إلى الكارثة.

إن المنظور الاجتماعى يبدأ بالواقع الاجتماعى وبالظروف الاجتماعية ثم يتجه بعد ذلك إلى تأثيراتها على الأفراد. أما المنظور النفسى فيبدأ بالحالات العقلية والنفسية للأفراد، ثم يتجه بعد ذلك إلى دراسة تأثيراتها عليهم.

وتوجد نقطة خلاف أخرى بين علم الاجتماع وعلم النفس، وهى أن علم الاجتماع يهتم بتأثير الجماعة على سلوك الأفراد أكثر مما يهتم بالدوافع. فالشخص لديه يتصرف

كعضو فى نسيج متلاحم يتكون من أفراد آخرين يتوقعون منه أن يسلك سلوكا معينا، ويتصرفون وفقا لهذه التوقعات. وسوف نعنى فيما بعد بدراسة هذه التأثيرات الاجتماعية.

التصور الاجتماعى the Sociological Imagination

يتحدث عالم الاجتماع الأمريكى «ميلز C. Wright Mills » (١٩١٦ ـ ١٩٦٢) عن «التصور الاجتماعى» فى محاولة منه لتعريف المنظور الاجتماعى، وذلك فى كتاباته التى صدرت عام ١٩٥٩م والتى من أهمها التمييز بين «المشكلات الخاصة» و «القضايا العامة». «فالمشكلات الخاصة» أمور شخصية ترتبط بمظاهر الحياة اليومية التى تتعلق بالفرد مباشرة. وأما «القضايا العامة» فإنها على العكس من ذلك، نتاج قوى خارجية لا يمكن لمعظم الأفراد السيطرة عليها، وذلك مثل مواعيد العمل والأجازات وقرارات الدولة السياسية والاقتصادية، التى تؤثر تأثيرا كبيرا على الحياة اليومية.

وإذا عدنا لمثال البطالة مرة أخرى، فإنه إذا تعرض فرد لها، فمعنى ذلك أنه يمر بمتاعب خاصة، ولكن عندما يصبح عدد كبير من الناس عاطلين، فإن هذا الموقف يعرف على أنه قضية عامة، وعندما تصل البطالة الى معدل غير مقبول، فلابد أن تعدل السياسات الاقتصادية لحل هذه المشكلات الخاصة. وبذلك تتحول المشكلات الخاصة الى قضايا عامة. وهذا ما قصده «ميلز» بقوله: «كيف يعرف الناس ظروفهم الشخصية على أنها نتاج قوى غير شخصية تعمل خلال المجتمع؟ إن الأفراد اذا لم ينظروا الى غيرهم ويروا مشكلاتهم المشتركة معهم، فإنهم سينظرون الى متاعبهم على أنها من صنع أيديهم، وأنهم هم المتسببون فيها، ومن ثم يشعرون بالقصور وانعدام الكفاءة. أما اذا اتصلوا بالآخرين الذين يشاركونهم متاعبهم ومشكلاتهم، فسوف يوقنون أنهم ليسوا وحدهم الذين يتعرضون للبطالة، ويعون حقيقة المشكلات الخاصة التى يمرون بها، فيدركون أنها مشكلات عامة، وهنا يتخلصون من مشاعر النقص والقصور الشخصى».

مكونات المنظور الاجتماعى
Components of Sociological Perspective

فى مناقشتنا للفروق بين علم الاجتماع وغيره من العلوم الاجتماعية عرضنا للعديد

من سمات وخصائص المنظور الاجتماعى ومكوناته. ويقصد بالمنظور الاجتماعى:

الاهتمام بالحياة الاجتماعية ككل، فهو لا يهتم مثلا، بالسلوك الاقتصادى فقط، وإنما يهتم بالعلاقة بين الاقتصاد ومجالات الحياة الاجتماعية الأخرى. كما يهتم المنظور الاجتماعى بالسياق الذى يحدث فيه العمل الاجتماعى المعين، وبالقوى التى تشكل وتحدد الاختيارات الفردية.

إن المنظور الاجتماعى يهتم بالجماعة أكثر مما يهتم بالأفراد المكونين لها، وإذا اهتم بالأفراد، فإنما يهتم بهم كأعضاء فى جماعة معينة.

ويقوم علم الاجتماع على افتراض أن الظواهر الجمعية تختلف عن الظواهر الفردية للأفراد الذين يشكلون الجماعة. وهذا يعنى أن للجماعة خصائص لا نجدها فى الأفراد المكونين لها، كظاهرة تقسيم العمل مثلا. كما أنه يعنى أيضا أن كون الأفراد أعضاء فى جماعة، يجعل لهذه الجماعة تأثيرا عليهم. لننظر مثلا إلى فريق لكرة القدم، نجده يتكون من عدة أفراد يتخصص كل واحد منهم فى مركز معين، وهم يشكلون معا فريقا متكاملا، المكسب لهم جميعا، والخسارة خسارة لهم جميعا. ويكون لبعض اللاعبين قدرات دفاعية، كما يكون لبعضهم الآخر قدرات هجومية، وللفريق كله خصائص لا تتوفر فى لاعب واحد، ولكنها تتوفر فى الفريق ككل.

ومن هذا المنطلق، يهتم علماء الاجتماع باستقصاء الأنماط الشائعة التى تنظم السلوك الانسانى، وذلك كنوع المعاملة التى يحظى بها الأب داخل أسرته، أو المكانة التى تحتلها المرأة فى المجتمع، أو أنماط التربية السائدة وغير ذلك، فإننا نستطيع حينئذ أن نتحدث عن خصائص اجتماعية تميز مجتمعا معينا عن غيره من المجتمعات، كقوامة الرجال على النساء، أو مراعاة حقوق الجار، أو التعاون.

الظواهر الاجتماعية Social Facts

تعد الأنماط الشائعة ظواهر اجتماعية، وتشكل هذه الظواهر موضوع علم الاجتماع. والظواهر الاجتماعية لا تتعلق إلا بجماعة، وبمجموع أفعال أفرادها. فمعدل البطالة مثلا، يعد ظاهرة اجتماعية، بالرغم من أن الأفراد هم الذين يكونون عاطلين. كما يعد

من قبيل الظواهر الاجتماعية أيضا، القول بأن معدل البطالة فى أمريكا أعلى بين غير البيض عنه بين البيض، وبين النساء عنه بين الرجال، أو أنه أعلى بين الأحداث عنه بين الراشدين. وتوحى هذه الفروق النمطية، بأنه توجد فى المجتمع الأمريكى تفرقة واسعة الانتشار على أساس العرق والجنس والعمر.

ومن الواضح، أن خصائص اجتماعية مثل الجنس، والدين، والعمر، والسلالة، والدخل، ومستوى التعليم، ومحل الاقامة، كلها متغيرات تنعكس على الفرد، وعلى كل شئون حياته، وما يتخذه من قرارات، وما يحصل عليه من إشباعات أو ما يمنى به من إخفاقات، كما أنها تؤثر كذلك فى نجاحاته وطموحاته.

إن قرار إنجاب أطفال مثلا، قرار شديد الخصوصية يتخذه الزوجان فيما بينهما. ولكن هذا القرار لا يتخذ من فراغ اجتماعى، فهو يتأثر بعديد من العوامل كالعمر، والدخل، والديانة التى يعتنقها الشخص. كما أنه يمكن أن يتأثر بقوى أعرض كحالة الدولة الاقتصادية، أو حالة الحرب أو السلم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن القرارات التى يتخذها الأفراد بالإنجاب، تؤثر فى زيادة المواليد في الدولة. أى أن هذه القرارات لا تتعلق فقط بالأفراد، وإنما تهم أيضا المجتمع الذى يعيشون فيه.

وما قلناه عن توقف الولادة والمواليد على عوامل اجتماعية، يمكن أن يقال أيضا عن الوفاة والوفيات. فبالرغم من أن الله سبحانه وتعالى هو الذى يحيى ويميت، فقد جعل سبحانه وتعالى لكل شيء سببا، وهكذا نجد أن معدل الوفيات يتوقف أيضا على عوامل تتعلق بالرعاية الصحية، وعلى التغذية، وعلى الظروف الاقتصادية وغير ذلك. بقول آخر، إن معدل المواليد، ومعدل الوفيات، هما ظاهرتان اجتماعيتان تحدثان بمعدلات تختلف من مجتمع الى مجتمع آخر، بل تختلف معدلاتها بين الجماعات الفرعية داخل المجتمع الواحد. فنجد فى الولايات المتحدة مثلا، أن معدل المواليد عند الكاثوليك أعلى منه عند البروتستانت أو اليهود، وهى أعلى بين الفقراء عنها بين غير الفقراء. وهكذا يمكن القول، إن كون الانسان يدين بديانة معينة، أو يحتل مكانة اجتماعية خاصة، يؤثر فى قراره بإنجاب أطفال.

إميل دوركيم والظواهر الاجتماعية Emile Durkheim on Social Facts

فى الدراسات المتعلقة بعلم الاجتماع، يبدأ علماء الاجتماع عادة بكتاب «إميل

دوركيم» (١٨٥٨ ـ ١٩١٧) عن الانتحار وعندما أوضح «دوركيم» كيف أن معدلات الانتحار تختلف باتساق من دولة الى دولة أخرى، ومن جماعة فرعية إلى جماعة فرعية أخرى داخل البلد الواحد، فإنه كان يحاول أن يفسر هذه الظواهر الاجتماعية بظواهر اجتماعية، بدلا من تفسيرها بعوامل تتعلق بشخصية الأفراد. إن السؤال الذى طرحته المعارف التى جمعها «دوركيم» عن الانتحار كان هو: كيف نستطيع أن نفسر معدلات الانتحار المنخفضة عند الكاثوليك عنها لدى البروتستانت وعند المتزوجين عنها لدى غير المتزوجين، ولدى المتزوجين ولديهم أطفال عنها لدى من ليس لديهم أطفال.

لقد أوضح «دوركيم» أن النظريات التى تعزو الانتحار الى ظروف نفسيه أو مناخية أو بيولوجية، لا يمكن أن تفسر مثل هذا الاتساق. ومن ثم ذهب الى القول بأن العوامل التى تكمن وراء الانتحار، إنما ترجع فى الواقع إلى أمور تتعلق بمدى ما يوجد فى المجتمع من تكامل اجتماعى. وكان يعنى بالتكامل الاجتماعى، مدى شعور الفرد بأنه جزء من جماعة أكبر، جزء من مجتمع يدعم فيه كل فرد غيره من الأفراد. بقول آخر، مجتمع يسوده التكافل الاجتماعى. إن الزواج والأبوة والأخوة فى الدين، كلها روابط تشد الناس بعضهم الى بعض، وتبعث الطمأنينة والسكينة فى النفوس. فإذا انعدم هذا التكامل شعر الانسان بالضياع. فكأن الانتحار يرجع فى نظر «دوركيم» الى حدوث شرخ عميق فى المجتمع. وقد أيدت دراسات حديثة قام بها «دانيجيليز وبوب Danigelis and Pope, 1979» ما ذهب اليه «دوركيم» عن أهمية الزواج والأبوة بهذا الصدد.

ومن هنا يمكن القول، بأن التنبؤ باحتمال الاقدام على الانتحار أمر تكون فيه المعارف النفسية أقل عونا من المعارف المتعلقة بظروف الفرد وعلاقاته الاجتماعية. حتى لو افترضنا مثلا، أن كل منتحر ترك رسالة مكتوبة بخط يده يقول فيها «إننى أشعر باكتئاب نفسى شديد، لا أستطيع معه مواصلة رحلة الحياة» فإنه لازال لزاما علينا أن نعرف سبب شيوع هذا الاكتئاب النفسى بين غير المتزوجين ومن ليس لديهم أطفال. إن هدف علماء الاجتماع هو تحديد احتمالية وقوع أحداث معينة، ومن ثم لا يحاولون التنبؤ بما يمكن أن يفعله شخص معين كما يفعل علماء النفس. إنهم فقط، يكتفون بالقول، إن نسبة من نوع معين من الأفراد تميل إلى أن تسلك سلوكا بعينه. إن علماء الاجتماع لا يهتمون بمعرفة من هو الذى سينتحر، ولكنهم يهتمون بمعرفة أعداد هؤلاء

المنتحرين من الذكور ومن الاناث، وسنىِّ أعمارهم، وظروف معيشتهم.

لقد عرضنا بالوصف فى هذا الجزء للظاهرة الاجتماعية مستخدمين أمثلة لأمور تبدو شخصية تماما، ومع ذلك فإنها تظهر فى نفس الوقت الأهمية البالغة للقوى الاجتماعية على القرارات المتعلقة بها.

الظواهر الاجتماعية والتجريد Social Facts and Reificaton

عند العرض للظواهر الاجتماعية، ينبغى أن نحرص على عدم «تشخيص per- sonify » المجتمع، بمعنى اعتباره شخصا يتحدث أو يتصرف أو يقرر. فكثيرا ما نقرأ فى المقالات الاجتماعية أن المجتمع يهتم بكذا، أو يذهب الى كذا . . . الخ. فنحيل المجتمع إلى تصور هلامى غير محدد. إن المجتمع يتكون من أفراد ينخرطون فى أنماط من السلوك، ومن هنا ينبغى أن نقول إن فلانا هو الذى يحرص على عمل كذا، بدلا من القول إن المجتمع يحرص على كذا . . . ويقوم بعمل كذا . . . أو يهتم بكذا . . . الخ.

الظواهر الاجتماعية والواقع الذاتى
Social Facts and Subjective Reality

سبق أن ناقشنا الظواهر الاجتماعية على أنها خصائص جمعية تتعلق بعديد من الأفراد الذين يسلكون على نحو معين. ولكن يوجد نوع آخر من الظواهر الاجتماعية، يتمثل فى المعنى الذى يضفيه الناس على ما يقومون به من أعمال وتصرفات، فإن ما يحفل به العالم من مظاهر، ليس مجرد تسميات لأعمال وتصرفات.

إن الأفراد فى حاجة إلى إضفاء خبرتهم الانسانية على أعمالهم وتصرفاتهم، أثناء حديث بعضهم إلى بعض مثلا، فكم مرة سألت صديقا: «أليس هذا حفلا رائعا؟» أو سألته رأيه: «ما الضرر فى هذا العمل؟» إنك تُشغل بمحاولة تعقل ما تقوم به من عمل، أى بتعريف الموقف، حتى تستطيع أن تستجيب له الاستجابة المناسبة.

إن الأفكار والمشاعر والقيم التى نحملها فى عقولنا، والتى تشكل الواقع الذاتى، تنشأ خلال التفاعل الاجتماعى. بقول آخر، إن الطريقة التى نفكر ونشعر بها هى نتاج الحياة الاجتماعية. وإن الأفكار والمشاعر المشتركة بين أفراد الجماعة، هى نوع من

الحقـائق الاجتـماعية. فتفكير الأفراد المشاركين وشعورهم بأن الحفل رائع، يجعلهم يستمتعون به. والعكس صحيح إذا لم يكن تفكيرهم وشعورهم على هذا النحو.

النظريــة الاجتماعيــة
Sociological Theory

أهمية النظرية The Importance of Theory

تبـدأ دراسـة المجتمـع ببعض الأفكـار العـامـة عن الـطريقة التى تنتظم بها الحياة الاجتماعية، وعن كيفية تأثير الجماعات على سلوك أفرادها وإن اصطلاحات «المنظور النظرى» و «النموذج التصورى» و «المثال» لتشير الى الخطط المنظمة لتحليل «الحقائق الاجتماعية». فالنظرية مجموعة من الأفكار والموضوعات المنظمة تنظيما منطقيا. والتى تحاول أن تفسر مجموعة كبيرة من الوقائع والاحداث. فمثلا، وجود علاقة وثيقة بين البطالة وفئات مثل غير البيض والنساء، والأحداث، فى أمريكا وكندا، يوحى بآراء واستنتاجات تتعلق بتوزيع القوى فى هذين المجتمعين.

وبـطبيعـة الحـال، تكون معالجة موضوع النظرية أيسر وأسهل لو أن جميع علماء الاجتماع اتفقوا على إطار نظرى واحد، ولكن واقع الأمر ليس كذلك، فنحن نجد العديد من النظريات ووجهات النظر المتعارضة وهذه هى القاعدة فى علم الاجتماع. فهنـاك العـديد من النـماذج التصـورية كل منهـا يحاول تفسـير مجموعة من الحقائق الاجتماعية. وتتضمن كل نظرية طريقة خاصة للنظر الى الواقع الاجتماعى، ومن ثم توجه الانتباه الى مظاهر مختلفة من المجتمع، وتضع لها تفسيرات متباينة. ويمكن القول بوجه عام، إن النظرية الاجتماعية تفيد فى توجيه البحث والدراسة، وتفيد فى تنظيم هذا الكم الهائل من الحقائق الاجتماعية. فالنظرية تضفى معنى على ما نلاحظه وعلى ما نقوم بدراسته، وبدونها تكون هذه الاشياء بدون معنى.

وسوف نناقش فيما تبقى من هذا الفصل، ظهور علم الاجتماع كموضوع للدراسة ونتعرف على أهم أفكار وأشهر مؤسسى هذا العلم، كما نعرض بالوصف لبعض النماذج السائدة فى علم الاجتماع المعاصر.

جذور علم الاجتماع The Roots of Sociology

ترجع جذور علم الاجتماع من حيث هو دراسة علمية للحياة الجمعية، الى أواخر القرن الثامن عشر فى الفترة التى تعرف فى أوربا باسم «عصر التنوير» إن الظلمة التى عمت أوربا خلال العصور الوسطى أعقبتها فترة ازدهار وتغير فى جميع المجالات، وبخاصة فى المجالات العلمية والاجتماعية. فقد تقلصت سلطة الكنيسة الكاثوليكية وظهرت البروتستنتية لمعارضتها. كذلك شهدت هذه الفترة ظهور الدول القومية. وحلت صور جديدة من النظم والمعاملات الاقتصادية محل النظم والمعاملات القائمة على إنتاج القرية أو المزرعة. وأتيحت للعلماء مصادر جديدة من المعرفة، بدلا من الاقتصار على ما كانت تتيحه وتسمح به الكنيسة باعتبارها المصدر الوحيد لكل معرفة. وبعبارة موجزة، اختفى عصر ليظهر عصر جديد.

إن الحركة العقلية التى أطلق عليها اسم «التنوير» اهتمت بأفكار مثل: التقدم والحرية بكل أشكالها، وبخاصة أشكالها السياسية والاقتصادية، وسمحت بالشك وبظهور المنهج العلمى، وأيضا بالايمان المطلق بقدرة الناس على حل مشكلاتهم.

إن الدراسة العلمية للحياة الاجتماعية نتيجة منطقية لمسيرة الحرية. فإذا كان كل شىء يمكن أن يخضع للتحليل العقلى وللدراسة المنظمة، فلماذا لا يكون هذا شأن المجتمع والسلوك الاجتماعى، وقد ظهر علم الاجتماع نتيجة الحاجة الى معارف معينة عن فترة خاصة من تاريخ أوربا. فإن معرفة المعارف المختلفة يتحدد بالظروف الاجتماعية للعلماء والمفكرين، وهذا ما أطلق عليه اسم «علم اجتماع المعرفة Sociology of Knowledge» فالمفكرون الذين نعرض لآرائهم وأفكارهم فى هذا الفصل، هم نتاج عصرهم ومجتمعاتهم التى عاشوا فيها.

ظهور علم الاجتماع

أوجست كونت : (١٨١٨ - ١٨٨٣) Auguste Comte

يضفى العلماء على «أوجست كونت» شرف «تأسيس علم الاجتماع»(١) وقد اشتقه من الكلمة اللاتينية Socio بمعنى «زميل» أى الشخص الذى له علاقة بشخص آخر، ويؤكد هذا حقيقة أن ما هو اجتماعى يتم بالعلاقات مع الآخرين والكلمة Logy بمعنى دراسة أو علم. واعتبر «أوجست كونت» علم الاجتماع على رأس العلوم كلها، ومصدر كل المعارف، لأنه يتعلق بالمجتمع الذى يضم أكثر المعارف تعقيدا، ويحرص على فهمها.

وعمل «كونت» على :

١ - تحديد الموضوع المستقل لهذا العلم الجديد، ألا وهو دراسة المجتمع كشىء يختلف عن مجموع خبرات الأفراد التى تشكله.

٢ - تحديد المنهج : وهو الملاحظة والقياس والمقارنة.

وفى الإجابة عن السؤال العريض الذى طرحه عصر التنوير:
ما الذى سنضعه محل (العلم التقليدى)؟
أجاب كونت : «الدراسة العلمية للمجتمع وللحياة الاجتماعية عبر الزمن».

كارل ماركس : (١٨٦٨ - ١٨٨٣) Karl Marx

اهتم «كونت» وغيره من الدارسين الاوائل لعلم الاجتماع بتماسك ووحدة وتلاحم المجتمع والنظام الاجتماعى، وكانوا يهدفون أكثر ما يهدفون إلى تفسير استمرارية الحياة الاجتماعية، ومعرفة القوانين الكامنة وراء ذلك. أما بالنسبة «لكارل ماركس» فقد كان

---

(١) يجب أن يعرف الطلاب العرب، أن العالم العربي «ابن خلدون» (١٣٣٢ - ١٤٠٦م) كان أول من أرس أسس هذا العلم، وأطلق عليه «علم العمران البشرى». وهو يقول: هذا علم مستقل بنفسه، فانه ذو موضوع وهو العمران البشرى والاجتماع الانسانى. وذو مسائل هى بيان ما يلحقه من العوارض والأحوال، وهذا شأن كل علم من العلوم وضعيا كان أو عقليا «ويقول: برنارد فيلبس».

(Bernard Phillips: Sociology, London 1969, P.8)

ان المفكر العربي العظيم ابن خلدون قد نظر إلى التاريخ على أنه حركة تغير اجتماعى، يلحق بالمجتمع والأفراد، وأن المجتمع الانسانى يشكل موضوعا خاصا للدراسة، وحاول بمنهجية أن يميز بين التغيرات الأصلية والتغيرات العارضة.

يهدف الى شىء مختلف تماما: وهو تفسير منطق التاريخ فى ضوء النضال ضد قهر الانسان للانسان.

وفى حين كان المفكرون الأوربيون يعبرون عن إيمانهم بقانون أعلى يحكم العالم ويهيمن على الحضارة الحديثة، فإن «ماركس» لم ير سوى الاستغلال والشقاء والظلم. ويقول إن عمال المصانع والمناجم البريطانيين، بما فيهم من نساء وأطفال يُسَخَّرون لجر العربات، ويلقون معاملة الحيوانات، (بل وربما أسوأ، لأن البريطانيين يشتهرون بحبهم للحيوانات). لقد استرعى نظر «ماركس» ما يوجد من تفاوت وانعدام مساواة فى السلطة والثروة بين هؤلاء الذين يتحكمون فى الأرض والمصانع، وغير ذلك من وسائل إنتاج السلع والخدمات، وبين هؤلاء الذين لا يمتلكون سوى عملهم الذي يبيعونه في سوق مزدحمة بعمالة كبيرة.

إن «ماركس» لم ينظر إلى التاريخ على أنه محاولات مستمرة للارتقاء بالجنس البشرى، بل نظر إليه على أنه نضال مستمر لتحقيق العدالة والمساواة. هذا النضال لن يتوقف إلا إذا اختفت التفرقة بين العمال وأصحاب العمل. بقول آخر، عندما يمتلك العمال أنفسهم وسائل الانتاج.

ومع ذلك، فإن أعظم إسهامات «ماركس» فى النظرية الاجتماعية جاء نتيجة تحليله لكيفية تنظيم المجتمعات، أكثر مما جاء من تفسيره للتاريخ. وإن من بين استبصارات «ماركس» الرئيسية التى يجدر التنويه بها هنا هى:

أ ـ أولوية القطاع الاقتصادي:

فى حين شبه «كونت» وغيره من المنظرين الأوائل المجتمع بالكائن الحى، وأنه كجسم الانسان، يهيأ كل عضو فيه لأداء وظيفة معينة، كان لدى «ماركس» تصور آخر أكثر تعقيدا لكيفية تلاؤم القطاعات المختلفة معا لتشكل المجتمع ككل: فالسبب يكمن فى الأساس الاقتصادى للجماعة، فهو الذى يوجد التمييز بين من يملكون، وبين من يعملون. ويطبع هذا الأساس الاقتصادى، بطريقة حتمية، خصائص المجتمع كله فى أية فترة من فترات التاريخ. ويشمل ذلك كل ما يضمه المجتمع من نظم عائلية وسياسية وفكرية وتربوية. وأطلق «ماركس» على ذلك إسم «البناء الفوقى

« Superstructure » أو الثقافة الفوقية Super culture التى تستخدم لتدعم ولتسوغ التقسيم غير العادل للناس إلى أفراد يملكون وآخرين يعملون.

ب ـ التحكم فى الأفكار :

يأتى التحكم فى افكار الآخرين من ملكية وسائل الانتاج، أى أن الأفكار ذاتها نتاج اجتماعى، ويقول ماركس فى عبارته الشهيرة: «إن أفكار الطبقة الحاكمة، هى فى كل عصر، الأفكار الحاكمة».

وعلى سبيل المثال، يرى «ماركس» فى تحليله لمجتمع أمريكا الشمالية، أن ما يغمر الناس من معارف متدفقة عليهم، يكون محكوما ومسيطرا عليه من قبل جماعة صغيرة من الأثرياء يمتلكون وسائل الاعلام، ويتحكمون فيما ترادده الصحف والمجلات ومحطات الاذاعة والتليفزيون. فيقدمون للقراء والمستمعين والمشاهدين جانبا واحدا فقط من الحقيقة. وفى غياب أية معارف أخرى، تتكون لدى الناس انطباعات زائفة عن العالم وعن أنفسهم. ويرى عديد من الماركسيين، أن من بين هذه الانطباعات الزائفة، اعتقاد ذوى الياقات الزرقاء (العمال) أن العمل الشاق والجد والاجتهاد سيؤدى الى تحقيق الطموحات المختلفة. أو أنه ستتهيأ لأبنائهم مستقبلا فرص الحياة نفسها التى تتهيأ لأبناء العائلات الغنية.

ماكس فبر Max Weber

عاش فبر (١٨٦٤ ـ ١٩٢٠م) وعمل إبان عصر الازدهار العقلى الذى ساد المانيا قبل الحرب العالمية الاولى، وقد اتصفت هذه الفترة بمرونة وتسامح أتاحا تغيرا كبيرا شمل الحضارة الغربية بشكل عام، وكان عصر جديد هو عصر التكنولوجيا يؤذن بالظهور، وقد أثرت التغيرات الاجتماعية الفجائية التى حدثت كرد فعل للثورة الصناعية الاوروبية، على «فبر» تأثيرا شديدا.

ولقد نظر «فبر» الى كل خصائص عصر التنوير من عقلانية ومناهج علمية ـ وهى ما اعتبرت المنقذ والملجأ والملاذ للجنس البشرى ـ على أنها أشياء يكتنفها الغموض والابهام. كما أن الطبيعة عندما تتجزأ على يد العلم، فإنها تفقد بهاءها ورونقها ويصبح العالم والمجتمع بمثابة قفص حديدى Iron Cage يحد من انطلاقة الروح الانسانية.

وهكذا يمكن أن تصبح التكنولوجيا وكل أنواع التنظيمات الحديثة، نوعا جديدا من السجن، يفتقر الى سحر الماضى وتخيلاته التى ساعدت الناس على العيش، وأعانتهم على الحياة.

وإننا لنجد لمحة تشاؤم تغلف أعمال «فبر» بعكس ما كان يشيع لدى «ماركس» و «كونت» من تفاؤل مطلق بمستقبل الانسانية.

وخالف «فبر» من سبقه من المفكرين فى تحليله للنظم الاجتماعية وكذلك فى نظرته إلى التاريخ. وهو وإن كان قد شارك «ماركس» اهتمامه بالعلاقة بين القوى الاقتصادية، وما يسود من آراء وأفكار، فإنه عارضه فى تحليله الاجتماعى، وقال بالتأثير الدائم لمختلف قطاعات الحياة الاجتماعية، دون إعطاء أهمية لأحدها على حساب الآخرى، وسوف نعرض لبعض آراء فبر النظرية عن النظام الاجتماعى والتغير الاجتماعى فى الفصول التالية.

ولقد عنى «فبر» بمكانة القيم والأحكام فى التحليل الاجتماعى. ويقول إنه إذا كان على علم الاجتماع أن يحقق ادعاءه بالطبيعة العلمية، فإن على علماء الاجتماع أن يبذلوا قصارى جهدهم ليكونوا ملاحظين موضوعيين، وأن يتفهموا فى الوقت نفسه الواقع الاجتماعى كما يعيشه الناس بالفعل. ويرى «فبر» أن علم الاجتماع ينبغى أن يهتم بدراسة كل من:

١ - القوى الاجتماعية التى تشكل المجتمع، وتؤثر على حياة الناس فيه.
٢ - العمليات التى يعقل بها الناس ما يحدث لهم.

ويمكن أن يدرس الموضوع الأول بالمناهج العلمية العادية. وأما الموضوع الآخر، فإنه يتطلب القدرة على تصور العالم كما يخبره الآخرون.

اميل دوركيم : (١٨٥٥ - ١٩١٧) Emil Durkheim

بالرغم من أن «دوركيم» كان معاصرا لماكس فبر «فإن عالمه العقلى كان مختلفا تماما، وكذلك اختلفت اهتماماته ومناهجه فى دراسة المجتمع. ويعتبر «دوركيم» من بين المؤسسين لعلم الاجتماع كعلم مستقل ومتميز. وقد اقتفى أثر «أوجست كونت». رأى

«دوركيم» المجتمع كواقع خاص به، يولد فيه الافراد ويعيشون ويموتون، ولكن يظل البنـاء الاجتماعى الـذى احتـوى أنشـطتهم قائـما، فالبناء الاجتماعى الذى لم يولد بمولدهم، لا يموت بموتهم. والتنظيمات التى تحكم الحياة العائلية أو تحكم النشاط الاقتصادى أو السياسى على سبيل المثال، تكون فوق أنشطة الناس المعينين وبعدها. وهذا هو «البناء الاجتماعى» الذى يعتبر موضوع علم الاجتماع.

إن الـظواهـر الاجتماعية، كما يذهب دوركيم، ينبغى أن تفسر بظواهر اجتماعية أخرى، ولا يمكن أن تختزل الى تصرفات نفسية أو فردية. ولقد رأينا فيما سبق كيف حاول «دوركيم» تفسير معدلات الانتحار بمتغيرات تتعلق بالتكامل الاجتماعى، وتتأثر بالديانة والحالة الزواجية، والأبوة وغير ذلك من ظواهر اجتماعية.

وتعـبر الأفكـار والمعتقـدات أيضـا عن الـواقع الاجتماعى الذى يشارك فيه أفراد المجتمع، وتعد الى حد كبير جزءاً من البناء الاجتماعى، مثلها مثل القواعد التى تحكم سلوك الافراد وتصرفاتهم. ولمعرفة هذه الظواهر الاجتماعية واستقصائها، اقترح دوركيم طرقا في البحث الاجتماعى تستخدم بعناية الاحصاءات المستمدة من التقارير الرسمية.

جورج سيميل: (١٩٥٨ - ١٩١٧) Georg Simmel

استهوت «جورج سيميل» مجموعة من الاهتمامات تختلف عن تلك التى استهوت مؤسسى علم الاجتماع الآخرين. يجيب «سيميل» عن السؤال: كيف يمكن أن يتحقق المجتمـع؟ باقـتراح أن يهتم علماء الاجتـماع بدراسـة الأفراد فى علاقاتهم الاجتماعية السائدة بدلا من دراسة المجرى العريض للمجتمع الانسانى. فالمجتمع عند «سيميل» هو مجمـوعـة من الأفـراد يشكـل تفـاعلهم عديدا من الجماعات. وعلى ذلك، فإن العلاقات بين أفراد الجماعة هى الموضوع الصحيح لعلم الاجتماع.

وقد بدأ «سيميل» بعناصر من الحياة اليومية مثل العمل واللعب والصداقة والسيطرة وغير ذلك، ووصل الى تفسيرات حول نوعية هذه العلاقات. ويشكل هذا موضوع علم الاجتماع، كما يشكل فى الوقت نفسه منهجه. وهو يختلف فى ذلك اختلافا تاما عن «دوركيم» وكذلك عن «فبر» ولكن يظل مثلهما مصرا على أن ما هو اجتماعى ينبغى أن

يفسر بظواهر علم الاجتماع، وفى حدودها. وليس باختزال السلوك الاجتماعى إلى ظواهر نفسية أو تاريخية.

ويقول «سيميل» إن الواقع الاجتماعى هو العلاقة بين الأفراد وما يحدث بينهم من تفاعل وما ينتج عن هذا التفاعل من عمليات.

شارلز دارون : (١٨٠٩ - ١٨٨٢) Charles Darwin

سيجموند فرويد : (١٨٥٦ - ١٩٣٩) Sigmund Freud

يوجد أيضا عالمان بارزان، ظهرا فى نهاية القرن الثامن عشر وتركا بصماتهما على علم الاجتماع، بالرغم من أن أيا منهما لم يكن عالم اجتماع. هذان العالمان هما: «شارلز دارون» و «سيجموند فرويد» ويمثل هذان العالمان طرفى نقيض فيما يتعلق بدراسة السلوك الانسانى. ويذهب «دارون» إلى القول بأن الكائنات الانسانية تطورت من أدنى الخليقة حتى وصلت إلى أرقاها عبر ملايين السنين. وقد تعرضت آراء «دارون» هذه لنقد شديد من رجال الفكر والدين فى شتى أنحاء العالم، ومن بينها العالم الاسلامى بطبيعة الحال. فأصل البشر هو آدم عليه السلام، الذى خلقه الله سبحانه وتعالى على الصورة التى نعهدها وخلق منه زوجه (حواء).

وإن إسهام «دارون» الحقيقى هو فكرة التوافق مع نمط البيئة السائدة. فكما سنعرض بعد ذلك، فإن الثقافة بكل ما تضمه من أفكار وإبداعات مادية وغير مادية، هى نتاج التوافق مع البيئة.

وأما فيما يتعلق «بفرويد» فقد قادنا إلى أعمق أعماق العقل الإنسانى، إلى القوى اللاشعورية التى كثيرا ما تكمن وراء تصرفات الناس بطرق لا يحكمها العقل. وتتعارض آراء «فرويد» أيضا مع العقلية الحديثة المنظمة، وإن ادخال فرويد لتيار التحليل النفسى فى مجال علم النفس، وتطبيق أفكاره بطريقة معقولة، لتفسير أنماط غير معقولة من التصرفات والأفعال، قد أوجد له مكانة فى علم النفس بوجه خاص، والعلوم الاجتماعية والإنسانية بوجه عام.

وإن فكرة «التوافق مع البيئة» التى جاء بها «دارون» وفكرة «تنظيم الحياة العقلية»

عند «فرويد» قد شكلت إطار دراسة السلوك الانسانى، وما نتج عن هذا السلوك من تفاعلات أوجدت النظام الاجتماعى، واستحقت أن تصبح موضوعا مستقلا للدراسة، وهذا ما عنى به علم الاجتماع.

النظرية الاجتماعية الحديثة

Modern Social Theory

والآن، لنعد إلى النظريات الاجتماعية المعاصرة، وسوف نعرض بالدراسة لثلاث منها هى: النموذج البنائى الوظيفى، والنموذج الصراعى، والتفاعلية الرمزية. وبالرغم من أن أتباع كل مدرسة فكرية من هذه النماذج يعتبرون نموذجهم أو اتجاههم كاف لتفسير الحياة الاجتماعية، فإن واقع الأمر، أن النماذج الثلاثة تفيد جميعها فى الفهم الأعمق للحياة الاجتماعية. وقد تفيد نظرية معينة من هذه النظريات الثلاث فى تفسير حقيقة اجتماعية تفشل نظرية أخرى فى تفسيرها على نحو مقبول. والواقع، أن معظم الدارسين يستخدمون اليوم، مزيجا من المداخل النظرية الثلاثة فيما يُجرونه من أبحاث ودراسات. وسوف نختتم هذا الفصل بعرض نموذج تصورى يقوم على استخدام كل هذه المداخل النظرية.

أولا: النموذج البنائى الوظيفى The Structural Function Model

يمكن القول باختصار شديد، إن للنموذج البنائى الوظيفى بؤرتين للاهتمام. تهتم الأولى، بالطرق التى يتفاعل بها الأفراد وتتفاعل بها الجماعات من أجل بقاء المجتمع ككل. وإن العلاقة المتبادلة بين الأجزاء من أجل بقاء المجتمع؟ وكيف يؤثر البناء المعين للمجتمع فى عناصره الجزئية التى يتكون منها، أى الجماعات والأفراد؟ إن معيار أو محك النجاح هو بقاء المجتمع عبر الزمن.

وما أن يقوم عالم الاجتماع بتحديد مكونات البناء الاجتماعى للمجتمع المعين، حتى يمكن مقارنة هذا المجتمع بغيره من المجتمعات. فعلى سبيل المثال، تتوفر فى كل مجتمع وسائل لتزويده بالسلع والخدمات الضرورية، وتوجد به قواعد تنظم العلاقات

الجنسية وتحافظ على النظام الاجتماعى. كما توجد به أيضا طرق لتربية الأطفال وتدريبهم. هذا بالاضافة إلى المعتقدات والشعائر الدينية التى توحد الجماعة. ويختلف المحتوى الدقيق لهذا كله من مجتمع إلى مجتمع آخر. ولكن كل هذا ينبغى أن يتوفر إذا كان على الجماعة أن تبقى كوحدة متميزة.

ويؤدى هذا الاعتبار إلى بؤرة الاهتمام الثانية للبنائية الوظيفية: ألا وهى مفهوم «الوظيفة الاجتماعية» إن السؤال الوظيفى هو: ما الذى يسهم به هذا العنصر المعين من عناصر البناء الاجتماعى، أو هذا النمط السلوكى، لدعم قدرة النظام الاجتماعى على التوافق والبقاء؟ وهذه هى وظيفة Function هذا العنصر المعين، أو ذاك النمط السلوكى الخاص.

تالكوت بارسونز : (١٩٠٢ - ١٩٧٩) Talcott Parsons

يعد عالم الاجتماع الأمريكي «تالكوت بارسونز» من أشهر مؤيدى المنظور البنائى الوظيفى. فبعد أكثر من أربعين عاما من الكتابات النظرية، طوّر «بارسونز» نموذجا تصوريا بالغ التعقيد. ولن نحاول أن نعرض هنا بالتفصيل لنظرية «بارسونز» ولكننا سنعرض لبعض الخطوط العريضة لهذه النظرية.

إن أول ما نلاحظة لدى «بارسونز» أنه بدأ بمفهوم النظم الاجتماعية Social Systems المترابطة التى تشكل القطاعات الرئيسية للحياة الاجتماعية، مثل النظم الاقتصادية والسياسية والدينية والتربوية والعائلية، والتى يمكن تحليل كل منها فى ضوء ما تقوم به من وظائف بالنسبة للمجتمع ككل، وبالنسبة لغيره من النظم الاجتماعية الأخرى.

وكمثال للعلاقات الوظيفية بين أجزاء البناء الاجتماعى فإننا نستطيع أن نستقصى العلاقة بين نظام اجتماعى معين ونظام اجتماعى آخر من النظم الاجتماعية التى تشكل البناء الاجتماعى. «دعنا نأخذ مثالا من مجتمعنا، وليكن العلاقة بين النظام العائلى والنظام الديني. فالزواج يبدأ بالخطبة وللرسول صلى الله عليه وسلم نصائح بصددها: «تنكح المرأة لأربع، لجمالها ومالها وحسبها ودينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك» ذلك أن صفة التدين غير متغيرة كالجمال والمال والحسب، وأيضا لتأثيرها الكبير فى الوظيفة المحورية للعائلة، وهى تربية الأطفال وتنشئتهم. وكذلك يتحدث القرآن الكريم عن حقوق كل من الزوج والزوجة والأبناء وواجباتهم. يقول تعالى: «ومن آياته

أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة» وفيما يتعلق بحقوق الأباء على الأبناء، يقول سبحانه وتعالى: «وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه، وبالوالدين إحسانا»

ويمكن أن نقوم بتحليل مماثل للعلاقات الوظيفية المتبادلة بين مختلف النظم الاجتماعية، وأيضا بين الجماعات بعضها بعضا، والأفراد بعضهم بعضا.

إن الكل، سواء كان جماعة أم كان مجتمعا، يظل متماسكا، لا بفضل العلاقات الوظيفية بين أجزائه المختلفة فحسب، وإنما أيضا بفضل نظام القيم السائد بين أفراد الجماعة، وأعضاء المجتمع. ويشير نظام القيم إلى وحدة الجماعة الكامنة، وإلى الاتفاق على أهداف النظام الاجتماعي، والوسائل الكفيلة بتحقيق هذه الأهداف.

نقد النموذج البنائي الوظيفي:
Criticism of the Structural Functional Model

لقد تعرض هذا النموذج التصوري لكثير من النقد استمر فترة ليست بالقصيرة، وبخاصة آراء «تالكوت بارسونز». لقد انتقدت محاولات هذه النظرية إيجاد تفسير لكل صغيرة وكبيرة، وكل شاردة وواردة فى الحياة اليومية. هذا بالاضافة إلى أن مفاهيمها شديدة العمومية بحيث لا تتناسب مع الحياة الاجتماعية الحقيقية. بعبارة أخرى، يعتبر كثيرون أن هذه النظرية شديدة التجريد Too Abstract

أما النقد الثاني، فهو تحيز هذه النظرية التام للمفهوم الوظيفى وتجاهلها للمفاهيم أو النماذج الأخرى. بمعنى ذهابها إلى القول بأنه إذا تلاءمت الأجزاء أو النظم الاجتماعية معا بيسر وسهولة تامة، نتج عن ذلك قيام المجتمع بعمله على أفضل نحو وأحسنه، وهذه هى الحالة السوية والوضع الطبيعى. أما الصراع، فهو مرض يلحق بنظام صحيح سليم. وقد جاء هذا التحيز نتيجة قصر هذه النظرية اهتمامها على النظام الضرورى والحيوى للبناء الاجتماعى، والتوازن بين الأجزاء والكل الذى يضمها.

وأما النقد الثالث، فهو تجاهل التاريخ، بمعنى عدم محاولة تتبع تطور النظم الاجتماعية عبر الزمن، وإغفال السياق التاريخى الذى يعمل فيه النظام الاجتماعى المعين، بالرغم من أن النظرية الاجتماعية ذاتها لها خلفية تاريخية.

روبرت ميرتون، وإعادة صياغة النظرية الوظيفية:

Rbert Merton and the Refinement of Functional Theory

لم يعمل «ميرتون» (١٩١٠ -) وهو تلميذ «بارسونز» على إيجاد «نظام كلى للنظرية الاجتماعية» وإنما حاول محاولة دؤوبة تحسين السلوك الاجتماعى عن طريق البحث عن نظرية جزئية، أى نظريات محدودة الاستخدام، واهتم بمحاولة التنبؤ بالتأثير المحتمل للبناء الاجتماعى على الأفراد: فإذا عرفنا بناء النظام الاجتماعى العريض، فإننا نستطيع أن نتعرف على البدائل المنطقية التى تشكل السلوك. فعلى سبيل المثال، إذا احتاج المهاجرون للمساعدة فى التعامل مع مختلف المصالح الحكومية، حيث لا يوجد من يتكلم لغتهم، أو من يعبأ بمصالحهم، فإن الفرصة تكون مهيأة للأجهزة السياسية للتدخل لصالح هؤلاء الذين لا حول لهم ولا قوة، كسبا لأصواتهم فى الانتخابات. وهذا هو التفسير البنائى لنشأة الأجهزة السياسية فى المدن الكبيرة فى أواخر القرن التاسع عشر، وبداية القرن العشرين. وهو تفسير لا يستند إلى استقصاء الخصائص النفسية للقيادات السياسية فى المدن، كالرغبة الشديدة فى السلطة أو التلهف عليها. وهكذا نرى، أن الأجهزة السياسية تُعَد وظيفيا لمواجهة متطلبات المناطق الحضرية الفقيرة لكسب أصوات الناخبين فيها، لأهمية هذه الأصوات للأجهزة السياسية في النظام السياسى الأعرض.

وفي مقال لميرتون عام ١٩٦٨م بعنوان: «الوظائف الظاهرة، والوظائف الكامنة» أظهر فروقا هامة بين هذين النوعين من الوظائف فقد ذهب إلى القول، بأن أنماط السلوك وعناصر البناء الاجتماعى لا تكون كلها وظيفية، بمعنى أن تسهم بالضرورة فى بقاء النظام الاجتماعى، فإن بعض أنماط السلوك والتصرفات يمكن أن تقلل من قدرة النظام الاجتماعى على التوافق، ومن ثم تعتبر غير وظيفية **Dysfunctional** وفى تقويم أنماط السلوك وعناصر البناء الاجتماعى، ينبغى أن يكون السؤال هو: ما هى نتائج مثل هذا النمط السلوكى أو التصرف المعين؟ هل يساعد أو يعرقل مسيرة النظام الاجتماعى؟ هل يحقق أهداف الأفراد والجماعات؟.

ويقول «ميرتون» انه لا يمكن تحقيق جميع الأهداف، فنجاح جماعة معينة قد يتضمن فشل أخرى. ومن هنا ينبغى أن يحدد عالم الاجتماع في تقويمه لعمل أو نمط سلوكى معين: وظيفى لمن؟ ولأى شىء؟ فمن الواضح، أن الحرب يمكن أن تكون وظيفية

لمجتمع معين (هزيمه للعدو ـ اتساع رقعة الأرض وزيادة الموارد ـ أو منع التهديد وغير ذلك) ولكنها تكون غير وظيفية إلى حد بعيد لمعظم الجنود والمدنيين. وهكذا نرى أن الحرب لها نتائج مختلفة للأنواع المختلفة من الناس وللقطاعات المتباينة من المجتمع الأكبر. فقد تكون مكسبا للصناعات الحربية، وخسارة للصناعات المدنية، لأنها تكون على حساب المستهلك.

ميز «ميرتون» أيضا بين الوظائف الظاهرة للعمل أو نمط السلوك، وهى الوظائف الظاهرة المُعبِّر عنها والمقصودة، وبين الوظائف الكامنة، وهى الوظائف غير المتوقعة وغير المقصودة. ويقول إنه لا يوجد عمل أو تخطيط اجتماعى تكون له نتيجة واحدة فقط، ويمكن أن تكون له عديد من المخرجات غير الظاهرة للعيان، وغير المقصودة، وهذه المخرجات Outcomes غير المقصودة يمكن أن تقوض الوظائف الظاهرة للسياسة العامة. ويتضح ذلك بشكل جلى فى بعض البرامح المخططة والمخصصة لمساعدة الفقراء. كأن تتطلب مشروعات اعادة التعمير الحضرى مثلا، ازالة احيائهم القديمة ومجتمعاتهم التي ألفوا العيش فيها الأمر الذى يسبب العديد من المتاعب لقاطنى هذه المناطق وكذلك وجد بعض الباحثين الاجتماعيين أن برامج ومعونات الرفاهية الاجتماعية يمكن أن تتسبب فى تصدع الحياة الأسرية، لأن هذه المعونات تقتصر على الأسر التى لا يوجد فيها رجل يعولها ويرعى شئونها.

وكذلك طوَّر «مريتون» مفهوم «البدائل الوظيفية» وقال بأنه لا ينبغى أن نفترض وجود نظام أو عمل واحد لتحقيق وظيفة معينة، لأنه يوجد دائما احتمال وجود عدد من الأنظمة أو الأعمال الأخرى يمكن أن يحقق هذه الوظيفة. فكما نقول إن عملا معينا يمكن أن يكون له أكثر من نتيجة، فإننا نستطيع القول، إن وظيفة معينة يمكن أن تتحقق بعديد من الوسائل. فالرعاية الصحية للأطفال وتدريبهم وحمايتهم على سبيل المثال، هى فى المحل الأول مسئولية عائلات هؤلاء الأطفال، ولكن تشاركها هذه المسئولية اليوم مؤسسات أخرى مثل المدرسة، وجماعات الرفاق ووسائل الاعلام. وقد استخدم مفهوم البدائل الوظيفية والبدائل البنائية على شكل واسع فى الكتابات التى عالجت موضوعات مثل أشكال العائلات المعاصرة كالكميونات وغيرها.

ثانيا : النموذج الصراعى : The Conflict Model

بعكس النظرة المتسقة والمتناسقة التى رأيناها لدى البنائيين الوظيفيين، فإن مضمون نظرية الصراع يركز على النزاع والخلافات والانقسام بين الأفراد والجماعات داخل المجتمع. ويدعى أصحاب هذا النموذج، أن الصراع وقيم الخلاف وعدم الاتساق هى القيم العادية والسوية، وأن تحقيق النظام الاجتماعى يعد مشكلة بالغة التعقيد. كما يذهبون الى القول بأن البناء الاجتماعى بناء مؤقت، وغالبا ما يكون هشا، مكونا من عدة قوى اجتماعية متصارعة، وأن الأفراد والجماعات يكونون دائما فى حالة نضال مستمر لاقتسام موارد شحيحة. وتزداد حدة هذه الصراعات كلما ازداد شح هذه الموارد. وتعد فترات الكساد الاقتصادى، أو النمو الاقتصادى البطىء أكثر تهيؤا لحدوث النزاع والشقاق، من فترات الازدهار الاقتصادى. وإننا لا نعجب من التحول الذى طرأ على النظرية الاجتماعية ومجالات الحياة الاجتماعية الأخرى، فى نهاية الستينيات، فقد استهوت أفكار أصحاب نظرية الصراع عديدا من الجيل الجديد من علماء الاجتماع، وبذلك حلت هذه النظرية لديهم، محل النموذج البنائى الوظيفى المحافظ الذى ساد الخمسينيات.

وتعزى نظرية الصراع الى حد بعيد إلى «كارل ماركس» الذى ذهب الى القول بأن تاريخ المجتمعات الحالية جميعها هو تاريخ النضال الطبقى بين الأحرار والعبيد، والنبلاء وعامة الشعب، والاقطاعى والرقيق، وبين صاحب العمل والعمال، بين الظالم والمظلوم، والذى يقف كل واحد منهما فى مواجهة الآخر.

ويطبع الاهتمام الشديد بالصراع الطبقى، أعمال كثير من أصحاب نظرية الصراع المعاصرين. فيدعى «داهرندورف (١٩٥٩) Dahrendorf أن المجتمع الصناعى يتنفس الصراع فى كل مجال من مجالات الحياة الاجتماعية، فيمارس بعض الأفراد السيطرة على الآخرين فى كل نمط من أنماط العلاقة الاجتماعية، كما تحاول كل جماعة السيطرة على الجماعة الأخرى. ولا يقتصر هذا الصراع على العلاقات التى تسود المجتمع، وإنما يطبع هذا الصراع أيضا العلاقات بين المجتمعات بعضها بعضا. ومن ثم، فإن الصراع، وليس الوئام هو الحالة الطبيعية للنظم الاجتماعية. ومن هنا، يقول أصحاب هذه النظرية، إنه يجب على عالم الاجتماع أن يركز اهتمامه على مصادر التوتر، وعلى طرق

حل ما يمكن أن ينشأ من صراع، إذا أراد أن يتفهم كيفية قيام الحياة الاجتماعية. ويرون أنه إذا كان عالم الاجتماع الوظيفى ينظر الى استخدام الشرطة للعنف كوسيلة لاقرار النظام فى المجتمع. فإن منظور الصراع يوجه اهتمامه الى الطرق التى يستخدم فيها بطش الشرطة لحماية مصالح الأقوى.

ومع هذا، فإنه يمكن القول، إن كلا من النظريتين، النظرية الوظيفية، ونظرية الصراع يتشابهان فى تركيز اهتمامها على المجتمع ككل، أى أنهما يقومان بدراسة النظام العريض Macrosystem بدلا من دراسة النظام الاجتماعى المصغر Microsystem الذي تدرس فيه علاقات التفاعل وجها لوجه. إن تحليل النظام العريض يكون أكثر تجريدا نسبيا، لأنه يكون أقل ارتباطا بالسلوك المرئى. كما أن المعالجة تكون أكثر صعوبة منها فى النظام المصغر (ذات الفرد وذوات الآخرين) فالأقوال النظرية يصعب إثباتها والبرهنة عليها، إذا ما قورنت بالملاحظات المستمدة من مظاهر الحياة اليومية.

ثالثا : نموذج التفاعل الرمزى Symbolic Interaction

تختلف هذه النظرية اختلافا كبيرا عن النظريتين السابقتين، وتشير نظرية التفاعل الرمزى إلى دراسة الخاصية المميزة والمعينة للتفاعل كما يحدث بين الناس بعضهم وبعض. (بلومر ١٩٦٩ Blumer) لقد قام أصحاب نظرية التفاعل الرمزى بدراسة النظم الاجتماعية المصغرة، كرد فعل للتجريد الشديد الذى نتج عن دراسة النظم الاجتماعية العريضة التى اهتمت بها معظم النظريات الاجتماعية.

ويقصد أصحاب هذه النظرية بالنظم الاجتماعية المصغرة: الطرق التى يعقل بها الناس عالمهم الذى يعيشون فيه، ويتفاعلون فيه بعضهم مع بعض، مدركين حدود قدراتهم وإمكاناتهم، وما يمكن أن يقوموا به من أفعال.

ويقول أصحاب هذه النظرية، أن القوى الخارجية لا تؤثر فى أفراد سلبيين، فالعكس صحيح، لأن الناس يفسرون ظروفهم ويتفهمونها، وينظمون استجاباتهم وفقا للبيئة التى يعيشون فيها. ولا تستطيع أية إحصاءات مهما كانت دقتها، وكذلك لا تستطيع أية نظرية، أن تحل محل سؤال الناس المشاركين فى نشاط معين، عما يظنون أنهم فاعلوه (بلومر ١٩٥١).

ويتضمن مصطلح «التفاعل الرمزى» الاهتمام بجانبين أساسيين من جوانب الحياة الاجتماعية: الجانب الأول، يتعلق بقدرة الناس على التعامل بالرموز (تخيل أشياء لا توجد فى الواقع) وعلى إبداع المعانى. وأما الجانب الثانى، فيتعلق بضرورة معيشة الناس معا فى جماعات اجتماعية.

وتوجد نقطة بالغة الأهمية فى هذه النظرية، هى أنه لا توجد حقيقة غير تلك التى تعيش فى عقول الناس، وأن الشىء الحقيقى هو ما يتفق الناس على أنه حقيقى. ويكتسب التنظيم الاجتماعى قوته لأنه يعيش فى عقول الناس. وعلى ذلك فالتفاعل الاجتماعى بين الناس، ينبغى أن يكون موضوع الدراسة الاجتماعية والتحليل الاجتماعى: إن الكلمات والايماءات، وما يقال وما لا يقال، وعقد الصلات اجتماعية أو قطعها، لا تعد أمورا ذاتية خالصة، لأن الشخص لن يتفهمها إلا بالحديث مع الآخرين. إن أهم ما يميز هذا النموذج التفاعلى، هو أن الناس يُوجدون عالمهم، ويتوصلون إلى حقيقة أنفسهم.

مداخل اخرى تهتم بالنظم الصغرى Other Microlevel Approaches

اهتم عدد من علماء الاجتماع بدقائق الحياة اليومية، من بينهم «ارفينج جوفمان Erv-ing Goffman» فى كتاباته عام ١٩٥٩ وعام ١٩٦١، ١٩٧١ وبقية أعماله الأخرى. وكذلك عالم الاجتماع «هارولد جار فنكل Harold Garfinkel عام ١٩٦٧.

وقد وصفت أعمال «جوفمان» بأنها أقرب إلى الفن المسرحى، لأنه نظر إلى التفاعل الاجتماعى فى هذه الأعمال فى ضوء القواعد الدرامية التى يقدم فيها الممثلون صورا عن أنفسهم، ويعملون على حماية ذواتهم، ويضعون قواعد تحكم ما يمكن أن ينشأ بينهم من خلافات، وهذه القواعد هى قلب البناء الاجتماعى، وهى تزودنا بإطار للنشاط اليومى. ويتلخص عالم «جوفمان» فى عنوان كتابه الشهير عام ١٩٥٩ «الذات فى الحياة اليومية».

وأما «جارفنكل» فقد اهتم بالمعانى التى يعطيها الناس لما ينطقون به من ألفاظ، وما يقومون به من تصرفات، وتعد هذه أول خطوة فى التحليل الاجتماعى. ولأن كثيرا من السلوك يكون دون قصد، فالملاحظ الخارجى يجب أن يتبين حقيقة ما يأخذه الناس،

كأمـور مسلم بها، وذلـك للتوصل الى القواعد التى تحكم العمل الاجتماعى، ولن يتسنى ذلـك إلا بالـدخول فى عقول الأفراد المشاركين فى الأنشطة المختلفة، وقبول تفسيراتهم. وذلك كما فعل «جارفنكل» فى إحدى تجاربه، عندما سأل طلابه أن يتصوروا أنفسهم ضيوفـا فى بيوتهم، أى أفـرادا غرباء. حاول أنت ذلك، أن تتصور نفسك شخصـا غريبا أو ضيفا فى البيت الذى يضمك مع والديك، وسرعان ما ستكتشف أشياء كانت مجهولة لك. وسوف يلقى ذلك الضوء على القواعد التى تحكم العلاقة بين الآباء والأبناء والتى تقبلناها كمسلمات.

تلخيص للمنظورات الثلاثة

Summmary of the Three Perspectives

تحاول المنظورات الحديثة الثلاثة تنظيم الحقائق الاجتماعية، والإجابة عن السؤال نفسه الذى واجهته النظريات الكلاسيكية: كيف يمكن قيام مجتمع؟ لقد حذا العلماء الوظيفيون حذو «دوركيم» فى تركيز الاهتمام على ملامح النظام الاجتماعى العريض (المجتمـع) وعـلى علاقات التشابك والتساند بين النظم الاجتماعية المختلفة فى هذا النظام. وأما أصحاب نظرية الصراع، فقد ساروا على درب «ماركس» وتأثروا بمفهومه عن الصراع الطبقى، ولو أنهم اهتموا ايضا بالنظام الاجتماعى العريض. وأما المنظور الثـالث، منظور التفاعل الرمزى، فقد اهتم بالنظام الاجتماعى المصغر الذى يعنى بالحياة اليومية. وانطلاقا من تحليل «جورج سيميل» للميل الاجتماعى الخالص، قام علماء هذه المدرسة بدراسة السلوك الاجتماعى غير المتعين والمرن، والقدرات الابداعية النشطة للأفراد الذين يعيشون فى المجتمع.

وبالربط بين ما يمكن أن نستخلصه من هذه النماذج الثلاثة، فإنه يمكن القول، إن المجتمع يتكون ويقوم، لأن الناس يبنون عالما من الواقع، بما يتضمن من قواعد التعاون، التى يدرك معظم الأعضاء أنها تحقق مصالحهم على أفضل وجه. وبذلك يظل النظام الاجتماعى ويبقى، على الرغم من أن بعض الجماعات سوف تحقق فيه فائدة أكثر من غيرها.

ويتيح كل نموذج بعض الفهم لمسيرة الحياة الاجتماعية. ولنأخذ ظاهرة البطالة على

سبيل المثال، نجد التحليل البنائى الوظيفى، يركز على التوافق بين حاجة النظام الاجتماعى لعمال، ووجود فائض من الأفراد المزودين بالمهارات اللازمة. فى حين يلاحظ أصحاب نظرية الصراع أن العمال العاطلين مسلوبو القوة الى حد كبير، وتخدم حالة البطالة هذه، مصالح هؤلاء الذين لديهم فرص عمل، كما أنها تتيح للمسئولين تفسير حالة البطالة، بانها إنما ترجع إلى نقص فى قدرات هؤلاء العمال العاطلين عن العمل. وأما النموذج الثالث، الذى يعنى بالمستوى المصغر (ذات الفرد وذوات الآخرين)، فإنه يهتم بما تعنيه البطالة بالنسبة للفرد، وكيف يمكن تنمية شخصية إنسان عاطل عن العمل ليتمكن من التعامل مع الآخرين. ويهتم أصحاب هذا النموذج باستقصاء تأثير حالة البطالة على مشاعر الشخص، وعلى تعامله مع الآخرين، وأنواع المعاناة التى يكابدها فى محاولته الاحتفاظ بتقديره لنفسه.

وأيا كانت الفروق بين هذه المنظورات الثلاثة، فإنها تعد جميعها تصورات اجتماعية.

ملاحظات حول النظرية الاجتماعية:

Reflections on Social Theory

إن الذى يجعلنا نصف أية نظرية، بأنها نظرية اجتماعية، هو اهتمامها بالتفاعل الاجتماعى: التفاعل بين الأفراد، والتفاعل بين الجماعات، أو بالاهتمام بالمجالات الأساسية التى يدور فيها النشاط الاجتماعى. وبالرغم من أنه لا توجد آراء واحده سائدة ومتفق عليها بصدد هذه التفاعلات وتلك الأنشطة تتيح لنا أن نتحدث عن «نظرية فى المجتمع «فإن هذا لا يحول بيننا وبين وصف نظرية اجتماعية أو منظور أو نموذج اجتماعى معين يركز على هذا الجانب أو ذاك. فالواقع، أن علم الاجتماع هو طريقة للنظر فى الكيفية التى يتصرف بها الناس من حيث كونهم يعيشون فى جماعات. ويعرف علماء الاجتماع أن السلوك الانسانى يمكن أن تكون له أسباب عديدة، كما أن السبب الواحد يمكن أن تكون له مخرجات عديدة، وأن أيا من العلاقات المتصلة بالمدخلات والمخرجات، يمكن أن تختلف من موقف الى آخر. وإن تحديد هذه العلاقات المتغيرة، هو جوهر علم الاجتماع. ووظيفة النظرية، تزويدنا بإطار عمل نجمع به معارفنا ومعلوماتنا حول هذه العلاقات.

الاختزالية Redutionism

سوف يأتى الوقت الذى يتعين فيه على علماء الاجتماع، أن يناضلوا للمحافظة على رؤيتهم للحياة الاجتماعية أمام الاتجاهات الاختزالية القوية. ولقد أتيحت لنا عديد من الفرص خلال صفحات هذا الكتاب لنقد محاولات اختزال السلوك الاجتماعى الى علم نفس فردى. ولكن هناك نمط آخر من الاختزالية جاء من دارسى سلوك الحيوان، والذين يزعمون أن سلوك الكائنات الانسانية لا يختلف عن سلوك أنواع من الحيوانات كالقردة التى تعيش فى حدائق الحيوان. وسوف نناقش الفروق بين سلوك الانسان وسلوك الحيوان في الفصلين الثالث والخامس.

ومع ذلك، يحسن أن نناقش نظريات الحتمية البيولوجية فى هذا الفصل. إن نظريات الحتمية البيولوجية، تحاول أن تبين أن الفروق البيولوجية هى المسئولة عن اختلاف القدرات بين الأجناس، أو بين الذكور والاناث، أو بين الجماعات السلالية المختلفة.

علم الاجتماع البيولوجى Sociobiology

يضم علم الاجتماع البيولوجى أحدث الآراء والنظريات الخاصة بوراثة المحددات الجينية للسلوك (ولسن Wilson, 1975) و (باراش Barash, 1977) وكما تعقب «دارون» تطور السمات الجسمية، فإن علماء الاجتماع البيولوجيين، فعلوا الشيء نفسه بالنسبة للسلوك الاجتماعى، ويعنى ذلك باختصار، أن بعض أنواع السلوك التى تتصف بها الشدييات، تظهر أن لديها غريزة البقاء، هذه الغريزة التى تتمثل فى القدرة على التوافق، وقد أصبحت هذه الغريزة التوافقية جزءاً من ميراثنا البيولوجى. فعلى سبيل المثال، يزعم «ليونيل تيجر Lionel Tiger, 1969» أن الانسان قد وطد عبر ملايين السنين توطيدا قويا، سماتٍ ترتبط بالصيد ـ السرعة ـ المهارات الحركية ـ والقوة التى توجد لدى الذكور ـ والتحكم والتفوق. هذا فيما يتعلق بالرجال، وأما فيما يتعلق بالنساء، فانهن قد وطدن سماتٍ ترتبط برعاية الطفل والعناية به ـ التغذية، والميل العاطفى والميل الاجتماعى ـ ولكن لم يستطع أحد عزل هذه الجينات لدى الانسان.

وعلى سبيل المثال، يذهب علماء الاجتماع البيولوجيون الى القول بأنه يوجد انتحاء «جينى» قوى لدى الكائنات البشرية للتزاوج والانجاب طالما أن كل مجتمع يتطلب أن

يتزاوج أفراده لانجاب أطفال من أجل المحافظة على بقاء الجماعة. (وأن الانتحاء يكون أقوى لدى الاناث عنه لدى الذكور، لأنهن ينبغى أن يحملن وينجبن) واذا لم يحدث ذلك، فسوف تنقرض الأجناس.

أما عالم الاجتماع فينظر الى هذا الأمر من زاوية مختلفة، إنه أكثر ميلا لتفسير هذه الظاهرة العامة للزواج، بردها الى حاجة اجتماعية عامة، هذه الحاجة الاجتماعية العامة ضرورية لبقاء الجماعة واستمرارها عبر الزمن، وان المجتمعات التى لا تنظم إشباع هذه الحاجة الاجتماعية العامة سوف تفنى وتندثر. فالمسألة إذن ليست مسألة حتمية بيولوجية، كما يدعى علماء الاجتماع البيولوجيون.

وإن التنوع والتباين فى التعبير عن هذه الحاجة العامة من مجتمع إلى مجتمع آخر، هو الذى يستهوى علماء الاجتماع. إن ما يهم عالم الاجتماع هو أشكال الترتيبات المختلفة التى يقوم بها الناس لزواج شخصين.

ونحن لا ننكر تأثير الجانب البيولوجى والنفسى، بل ولا حتى كيميائية الجسم، على سلوك الانسان. إلا أنه مهما يكن التأثير المباشر لأى من هذه العوامل، فإن كل كائن انسانى يرتبط بعلاقة اجتماعية معينة بفرد آخر، وأن كل جماعة تعيش فى سياق يشكل ويعدل التعبير عن أية حاجة من الحاجات البيولوجية أو النفسية أو غيرها. وهكذا يمكن القول: إن جميع أنواع السلوك الانسانى تتأثر بالنظم الاجتماعية وبالثقافة السائدة. فلو أن الجينات هى التى تحدد فى الواقع، السلوك الانسانى فكيف يمكن تفسير ما يوجد من تباين واختلاف فى التعبير عن هذه الحاجات بالنسبة للعمر، والطبقة الاجتماعية، والدين، والجماعات القومية المختلفة. إن التفسير لن يكمن فى «الجينات» أو فى «المخ» ولكن التفسير يكمن فى بنية العلاقات الاجتماعية لمجتمع معين فى فترة زمنية معينة.

نموذج لكيفية دراسة الذات فى المجتمع

A Working Model For The Study of Self In Society

فى الصفحات التالية سوف نخطط نموذجا لكيفية دراسة الذات فى المجتمع، مقتبسين عناصر من كل مدخل نظرى يمكن الافادة منه، ويتيح هذا النموذج للطالب تطبيق المنظور الاجتماعى على ما يهمه من ظواهر وأحداث فى المجتمع الذى يعيش فيه.

متطلبات بقاء الجماعة Requrement For Group Surviavl

إن على أية جماعة سواء كانت أسرة صغيرة أو مؤسسة كبيرة أو مجتمعا ما، القيام بأعمال معينة، وإنجاز واجبات محددة إذا أرادت البقاء عبر الزمن. هذه الأعمال والواجبات يطلق عليها اسم «المتطلبات الوظيفية Functional Requisites» لأنها ضرورية لاستمرار بقاء الجماعة. وتوجد خمس من هذه الحاجات لابد من مواجهتها والحرص على تلبيتها والا تعرضت الجماعة للفناء، هذه الحاجات هى :

١ ـ التوافق مع البيئة Adapting to the Environment

إن كل جماعة لابد أن تتواجد على أرض تزودها بمتطلبات بقائها الفيزيقى. ولا يقتصر الأمر على مجرد الاشباع للحاجات المختلفة، وإنما الاشباع الأفضل باستمرار لهذه الحاجات. ويتطلب ذلك التطوير المستمر لإمكانات البيئة لتحقيق أقصى فائدة منها، وليست الاختراعات والتنظيمات الاجتماعية المختلفة، إلا وسائل للتوافق مع البيئة. وتختلف الحاجات وتتباين، ولكنها جميعا تتطلب الإشباع. فالأسرة تحتاج إلى مسكن يظلها، ووسائل تزودها بحاجتها إلى أرض ومبان وميزانية تلبى احتياجاتها الأساسية لقيامها بوظائفها.

٢ ـ اقرار النظام وتوفير الحماية

Maintaining order and Providing Defense

يجب أن توجد لدى كل جماعة طرق ووسائل مختلفة لفض ما يمكن أن يحدث من خلافات ونزاعات. ويتم ذلك عن طريق القواعد الملزمة لتوفير الأمن وتحقيق الأمان لكل فرد من أفراد الجماعة، حتى يتفرغ الجميع للعمل والانتاج. ولا يقل توفير الدفاع ضد المهاجمين الخارجيين أهمية عن تحقيق الأمن والاستقرار الداخلى.

ولابد من إقرار النظام وإشاعة الأمن والطمأنينة بالنسبة لأية جماعة صغيرة كانت أو كبيرة، فالأسرة تشرع لها القواعد التى تمكنها من تحقيق رسالتها، وكذلك تكون للجامعة نظمها وتشريعاتها ولوائحها التى تحكم قواعد العمل فيها. وتوكل هذه الوظائف لأفراد معينين، سواء كانوا حكاما يتولون الحكم لتحقيق الأمن الداخلى أو الخارجى، أم كانوا مشرعين ومفسرين للقوانين التى تحقق هذه الغاية، أو كانوا قضاة

أو شرطة أو جند.

٣ ـ الانجاب أو تزويد الجماعة بأعضاء جدد:

Reproduction or Recruitment of New members

تبقى الجماعة وتستمر فى الوجود، طالما ظلت تضم أفرادا فى عضويتها، ومن هنا، تحرص كل جماعة على تقديم إحلالات جديدة باستمرار. وتجد كل جماعة وسيلة معينة للاءحلال المنظم لأعضائها، وبالنسبة للأسرة، فإن الزواج هو أحد هذه الوسائل. ونجد الجامعة أيضا تنظم قبول الطلبة الجدد كل عام ليحلوا محل الطلبة الذين يتخرجون منها.

٤ ـ تدريب الأعضاء الجدد Training of New Members

يتيح الانجاب والإحلال دماءً جديدة للجماعة، تتمثل فى الأعضاء الجدد. وهؤلاء الأعضاء يجب أن يتعلموا وأن يدربوا حتى تفيد منهم الجماعة، ومن هنا توجد فى كل مجتمع طرق لتعليم الأفراد وتدريبهم ليكونوا أعضاءً نافعين للمجتمع. وكذلك توجد المؤسسات التربوية التي تحرص على التحسين والتطوير المستمر لأساليب التربية والتدريب المختلفة.

٥ ـ الاهتمام بالدين وترسيخ العقائد الايمانية: Constructing a set of Beliefs

لا يمكن لأى مجتمع أن يتوطد إلا إذا قام على دعائم إيمانية قوية. توحد صفوفه، وتنظم أعماله، وتحفظ شبابه. وتتمثل هذه القواعد في المجتمعات الاسلامية في أركان الاسلام الخمسة والعمل بما جاء فى كتاب الله، واتباع سنة بينه محمد صلى الله عليه وسلم.

وتتضمن هذه المعتقدات الايمانية أيضا، أفكارا عن خلق الله سبحانه وتعالى لآدم عليه السلام، وأنه أصل البشرية، وكذلك الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والايمان بالقدر خيره وشره، واليوم الآخر والحساب وغير ذلك. ومن شأن هذه العقائد الايمانية التخفيف من القلق الذى ينتاب الفرد أحيانا، عندما يقف عاجزا عن الاجابة عن عديد من التساؤلات التى تتعلق بوجوده ودوره فى الحياة، وما يخبئه له المستقبل، إن العقائد الايمانية واحة أمن وطمأنينة، وبذكر الله تطمئن القلوب. هذا، بالاضافة

الى ما تضفيه هذه العقائد الايمانية من معنى على الحياة الاجتماعية .

الأنشطة التنظيمية Institutional Spheres

الأنشطة التنظيمية هى استجابة الجماعة لتحقيق متطلبات بقائها ، ويتم ذلك بإيجاد القواعد وأنماط السلوك المختلفة لتحقيق هذه المتطلبات ، الأمر الذى ينتج عنه فى نهاية الأمر النظم الاجتماعية التى تشكل فى مجموعها البناء الاجتماعى للمجتمع . وتتضح هذه الأنشطة التنظيمية فى الجدول الآتى :

جدول يبين المتطلبات الوظيفية والأنشطة التنظيمية لتحقيقها

الحاجات العامة Universal Needs	استجابات الجماعة Group Responses
١ ـ التوافق مع البيئة : الاعاشة ـ والمأوى	النشاط الاقتصادى : انتاج وتوزيع السلع ، وتوفير الخدمات .
٢ ـ اقرار النظام : توطيد القواعد الملزمة ، فض النزاعات . وتوفير الحماية والأمن والدفاع .	العمل السياسى : تشريع القوانين ووضع السياسات المناسبة ، والاهتمام بالشرطة والجيش ، والقضاء الكفيل بتحقيق العدالة .
٣ ـ الانجاب وتزويد المجتمع بأعضاء جـــدد ٤ ـ تدريب الأعضاء الجدد على أساليب وطرق الجماعة .	تيسير سبل الزواج وإحاطته بكافة الضمانات ، وتنظيم القوانين المؤسسات التربوية ، ومصادر التطبيع الاجتماعى المختلفة .
٥ ـ ترسيخ وتعميق القواعد الايمانية التى تبعد القلق وتحقق أمن ونمو المجتمع ، وسكينة النفس ، وتكافل أفراد الجماعة	الاهتمام بالدين عقيدة وشريعة ، شعائر وممارسـات

الثبات والصراع فى النظم الاجتماعية
Stability and Conflict in Social Systems

إننا لا يمكن أن نفترض آلية النظام الاجتماعى، وأدائه لعمله متى توفرت فيه المتطلبات الوظيفية. فإذا كانت مصادر مجتمع ما محدودة، فإنه لا يمكن تحقيق مطالب كل من فيه من أفراد أو جماعات. أو اشراكهم بالتساوى فى ثروة المجتمع. ومن هنا تكمن إمكانية الصراع فى أى نظام اجتماعى. فالأفراد والجماعات يبدأون فى التنافس بدرجة تقل أو تزيد، على الوسائل الكفيلة بتحقيق حاجاتهم، وتقربهم من أهدافهم وإن من أصعب الأسئلة التى تواجه أية تنظيمات اجتماعية هى:

من يحصل على هذه الوسائل؟ وأية مصالح تحققها هذه التنظيمات؟

وما أن نرى نظما معينة قد توطدت لصالح أفراد معينين، أو جماعات معينة على حساب مطالب الآخرين، حتى نتساءل عن كيفية تطور هذه التنظيمات واستقرارها، واحتمال حدوث صراع مكشوف فى هذا النظام أو فى المجتمع ككل. وإن ما يمكن أن يحقق الاستقرار الاجتماعى فى أى وقت من الأوقات هو التوازن بين القوى المتعارضة، وقدرة الجماعات المسيطرة على إقناع الآخرين بعدالة توزيع مصادر الدخل ذات القيمة، أو ضرورة هذا التوزيع على ذلك النحو.

بقول آخر، إننا ننظر الى النظم الاجتماعية على أنها دينامية، وأنها فى حالة تغير دائم، بسبب تفاعل المصالح المتضاربة. واذا كانت النظرية الوظيفية يمكن أن تساعدنا على إدراك مفهوم «النظام الاجتماعى» فإن النموذج الصراعى ضرورى لمعرفة من يحصل على الوسائل عن طريق صياغة فلسفة تسوغ وتبرر هذا التوزيع المعين لمصادر الدخل.

فهم الحياة اليومية Understanding Everyday Life

يمكن القول بوجه عام. إن العمل الاجتماعى يدور حول ما يؤمن الناس بعمله وفعله، وللحصول على المعارف المتعلقة بذلك، ينبغى أن يتجه عالم الاجتماع مباشرة إلى الميدان الذى يتم فيه هذا العمل الاجتماعى، إلى الحياة اليومية وما تحفل به من أحداث. لحظات تحقيق الأهداف، ولحظات الاحباط، وباختصار، إلى نضال الناس للابقاء على ذواتهم.

إن علم الاجتماع لا يقتصر على دراسة النظام العريض المجرد (المجتمع) Mac-rosystem وإنما يهتم أيضا بدراسة معظم دقائق النظام المصغر (ذات الفرد وذوات الآخرين) كما لا يكفى العرض للوجه الظاهر للمجتمع، لأن وراء هذه الواجهة الظاهرة تكمن كل الحياة الاجتماعية من أنماط ومعان يجب على عالم الاجتماع معرفتها واستجلائها. أما كيف يتم ذلك، فهذا موضوع الفصل التالى.

الخلاصـــة

Summary

يهتم علم الاجتماع بالدراسة المنهجية للسلوك الانسانى، وللجماعات المختلفة التى ينتمى إليها الفرد، وللمجتمعات التى وطدها الناس. وتعنى العلوم الاجتماعية الأخرى كذلك بدراسة السلوك الانسانى، وتحاول إلقاء الضوء على جميع مظاهر الحياة اليومية. ولكن علم الاجتماع هو الذى يهتم وحده بالجماعات وببنية هذه الجماعات.

ويميز «ميلز C.W. Mills» «بين المشكلات الخاصة» التى هى أمور شخصية تتعلق بالأفراد مباشرة، وبين «القضايا العامة» التى هى نتاج قوى خارجية بعيدة عن السيطرة المباشرة لمعظم أفراد المجتمع برغم تأثيرها على الحياة اليومية. وإن المشكلات الخاصة إذا تراكمت وعمت يمكن أن تصبح قضايا عامة، فتصبح المشكلات الخاصة المتعلقة بأفراد قضايا سياسية مثلا. وتشكل علاقات التداخل بين القضايا الاجتماعية العامة، والظواهر الشخصية الخاصة، موضوعات عامة للتحليل الاجتماعى.

وكـذلـك يهتم المنـظور الاجتماعى بالحياة اليومية، وبكل ما تحفل به وتضمه من علاقات، وأيضا بسياق العمل الاجتماعى، كما يهتم بالفرد من حيث هو عضو فى جماعة اجتـماعية. ولا يحاول علماء الاجتماع أن يتنبأوا بما سوف يقوم به فرد معين، ولكنهم يهتمون فقط باستقصاء احتمالية أنواع معينة من السلوك بين أنواع مختلفة من الناس. ويقـوم علماء الاجتـماع بدراسـة الحقـائق الاجتـماعية: الأنماط الشائعة من الظواهر الاجتـماعية مثـل مستـوى البطالة، ومعدل المواليد، وغير ذلك من ظواهر ترجع إلى الجماعة أكثر مما ترجع إلى عمل فرد معين. كما تتضمن الحقائق الاجتماعية المعانى التى يضفيها الناس على خبراتهم الشائعة.

وقد ظهر علم الاجتماع علما مستقلا له مجاله الخاص، فى أوربا، فى نهاية القرن

الثامن عشر. ونجد من أبرز منظريه الأوائل: «أوجست كونت»، و«كارل ماركس»، و«ماكس فبر»، و«إميل دوركيم»، و«جورج سيميل». ويهتم كل واحد منهم بجانب مختلف من جوانب النشاط الاجتماعى، وما يحدث للمجتمع من تغير اجتماعى. وكذلك كان لكل من «دارون» و«فرويد» تأثير قوى على تطور المنظور الاجتماعى.

ويلقى كل نموذج من النماذج الاجتماعية الأساسية المعاصرة، ضوءاً على جانب أو آخر من جوانب الواقع الاجتماعى:

١ - يهتم البنائيون الوظيفيون بالعلاقات المتشابكة والمتداخلة بين النظم الاجتماعية المختلفة، كما يهتمون بالبناء الاجتماعى للمجتمع ككل.

٢ - يركز النموذج الصراعى على التوتر أو القلق الذى ينتج عن عدم المساواة بين الجماعات الفرعية داخل المجتمع. كما يهتم بالتغير الاجتماعى غير المنظور.

٣ - يحلل نموذج التفاعل الرمزى العمليات المتعلقة بالحياة اليومية، ويهتم بوجه خاص بالطرق التى يتفاعل بها الأفراد بعضهم مع بعض، والتى عن طريقها يعرفون ذواتهم.

وإن عدم وجود نظرية شاملة فى علم الاجتماع، ليدل على أن السلوك الاجتماعى يمكن أن ينتج عن أسباب عديدة، كما أن أى سبب منها، يمكن أن يكون له عديد من المخرجات. ويتوقف ذلك على المواقف التى يتم فيها التفاعل الاجتماعى. والنظم الاجتماعية دينامية متغيرة نتيجة الدور الذى تلعبه المصالح المتعارضة. وإن واجب علم الاجتماع، الكشف عن الأنماط والمعانى الكامنة وراء جميع الصور والأشكال التى يضمها البناء الاجتماعى، سواء ما تعلق منها بالنظم الاجتماعية العريضة، أو ما تعلق منها بدقائق النظم المصغرة التى تهتم بذات الفرد وذوات الآخرين.

قراءات مقترحة

Bart, Pauline, and **Linda Frankel.** *The Student Sociologist's Handbook* (Third Edition). Chicago, Ill.: Scott, Foresman, 1981. A witty and useful student survival kit for introductory sociology: where to find information, the mechanics of research, and how to write a term paper.

Barger, Peter L. *An Invitation to Sociology.* New York: Doubleday, 1963. An extended essay on sociology as a humanistic pursuit.

Cameron, William. *Informal Sociology.* Philadelphia, Pa.: Philadelphia Book, 1963. Provides illuminating answers to the question of how to apply sociological concepts to an understanding of everyday life.

Collins, Pandall, and **Michael Makowsky.** *The Discovery of Society* (Second Edition). New York: Random House, 1978. An articulate account of the development of sociological theory from eighteenth-century France to the contemporary United States, including analyses of the major contributions of Marx, Weber, Durkheim, Cooley, Mead, and Parsons.

Meltzer, Bernard, John W. Petras, and **Larry T. Reynolds.** *Symbolic Interaction: Genesis, Varieties, and Criticism.* Boston: Routledge and Kegan Paul, 1975. A thorough and balanced presentation of the many types of symbolic interactionist theory and research styles.

Mills, C. Wright. *The Sociological Imagination.* New York: Oxford, 1959. The classic statement of the conflict perspective in sociology. Mills criticizes both the abstract theorists and those who are preoccupied with statistical methods, and locates sociology in the intersection of history, society, and individual experience.

Reisman, David. *The Lonely Crowd: A Study of the Changing American Character.* New Haven: Yale, 1950. Another classic of American sociology, analyzing the link between social structure and personality.

الفصل الثاني

النهج الاجتماعى

the Sociological Enterprise

الفصل الثاني

النهج الاجتماعى

the Sociological Enterprise

سنحاول فى هذا الفصل أن نتعرف على الطرق التى يختبر بها علماء الاجتماع نظرياتهم عن الحياة الاجتماعية. وسوف نبدأ بالعرض لبعض القضايا العامة، كالحاجة إلى البحث، والطبيعة العلمية له، وعملية البحث ذاتها، ويتعلق ذلك بأسباب وموضوعات البحوث الاجتماعية. ثم نعالج بعد هذا كيفية إجراء البحث، والطرق المستخدمة لجمع المعلومات، وأنواع الحقائق (المادة العلمية Data) المستقاة من هذه الطرق، والاحصاءات المستخدمة لتحليل ووصف المادة العلمية.

ضرورة البحث

Why Research

كثيرا ما يقال، إن علم الاجتماع يردد ببساطة ما يعرفه كل شخص عن طريق خبراته الخاصة، ويدرس أشياء نعرفها ونألفها، ويفسر مدركات عامة. والحق، أن علم الاجتماع يعالج جميع مظاهر الحياة اليومية، بكل ما تتضمنه من مواقف وأحداث نمر بها جميعا، ومن هنا يبدو أن تفسير الناس لهذا الوضع الاجتماعى لن يكون محل خلاف، فهى جميعها أمور طبيعية وواضحة بذواتها ولا تحتاج الى بحث أو دراسة. والواقع أن هذا بعينه هو السبب فى ضرورة البحث والاستقصاء، لأن كثيرا مما نعتبره طبيعيا وواضحا بذاته ومدركات عامة، يتحول بعد البحث والدراسة فيصبح غير دقيق مفتقدا للموضوعية. فكثير مما نأخذه فروضا مسلما بها، ليس صحيحا، مثال ذلك:

- الرجل أكثر ذكاء من المرأة.
- تختلف القدرات العقلية للافراد باختلاف أجناسهم وسلالاتهم.

- الاجرام يمكن أن يورث كما تورث أية سمة أخرى من سمات الشخصية.
- تدفع الغرائز العدوانية الناس الى القتال.

وعلى هذا، فإن تلك المقولات تحتاج إلى دراسة وإلى أن تعرض على بساط البحث، بدلا من أن نتقبلها كما هي مسلمات عامة. وهذا ما يفعله علماء الاجتماع، وهم لا يكتفون بذلك، بل ربما يكون استقصاء هذه الاعتقادات الشائعة لا تستند إلى حقائق، فلماذا يعتقد الكثيرون صحتها؟ لماذا يرغب الناس فى اعتقاد أشياء معينة، ولا يرغبون فى اعتقاد أشياء أخرى؟

وبصرف النظر عن صدق الاعتقاد أو عدم صدقه، فإن من يصدقه سوف يتصرف على أنه حقيقة: «إن ما يعتقده الناس حقيقة، سوف يعتبر حقيقة فيما يتعلق بالنتائج المترتبة عليه «وهذا ما يطلق عليه علماء الاجتماع «تعريف الموقف» فعلى سبيل المثال، إذا اعتقد معظم الناس أن النساء الفقيرات يتعمدن إنجاب أكبر عدد من الاطفال لزيادة نصيبهن من أموال «الانعاش الاجتماعى» فإنه سيقل عدد المواطنين الذين يرغبون فى التوسع فى برامج الانعاش الاجتماعى، ومن بينها برنامج مساعدة الأسر التى لديها أطفال صغار. وهكذا نرى، أن ذلك الاعتقاد كانت له عواقب وخيمة على النساء الفقيرات ومن فى كنفهن من أطفال. هذا، مع أن الحقيقة كما دلت عليها الدراسات وكما أثبتها الاستقصاء، كانت بخلاف ذلك. فالنساء المقيدات على برامج الانعاش الاجتماعى لم تكن رغبتهن فى انجاب مزيد من الأطفال أشد من رغبة اللاتى فى مثل حالتهن المعيشية ولا يستفدن من برامج الانعاش الاجتماعى، فهن جميعا كن يترددن على مراكز تنظيم الاسرة.

وعلى هذا، فإن الاستقصاءات المنظمة للعلاقة بين الحقائق الاجتماعية، تعد ضرورية وحيوية، اذا أردنا فهم العالم المحيط بنا، وتخطيط سياسة حكيمة. ولكن، كيف يمضى علماء الاجتماع للقيام بهذه الاستقصاءات حول العلاقات المتبادلة بين الحقائق الاجتماعية؟

طرق المعرفة Ways of Knowing

إن ما لدى الناس من معارف مختلفة يستقى من مصادر عديدة، يبدو بعضها كاعتقاد Faith كأن يعتقد الأباء مثلا، أنهم يعرفون ما هو الأفضل بالنسبة لأبنائهم.

ويبدو بعضها الآخر كادراك عام Common - sense يستقى من ملاحظاتنا عن العالم المحيط بنا، كالقول بأن شباب اليوم لم يعودوا يكترثون بسلطة الآباء كما كان يفعل الشباب فى الماضى. كما توجد معارف أخرى تقوم على الحدس Intuition كأن يقول شخص: «إننى أدرك ذلك جيدا، هذا هو إحساسى، صدقنى» تلك أمثلة من المعارف المختلفة، وهى معارف ذاتية مستمدة من وجهات نظر أناس آخرين الى العالم. وهذه التصورات المشتركة مهما كانت دقتها، لا تخبرنا إلا بأقل القليل عن النظم الاجتماعية العريضة التى يحدث فيها التفاعل الاجتماعى، وتكون عرضة لما يحدث من تغير اجتماعى.

وبالاضافة الى ذلك، فإن ما يترتب على هذه المعارف الذاتية من أفعال، إنما يشكل فى الحقيقة، واقعا اجتماعيا ينبغى إخضاعه للتحليل والدراسة بطرق أكثر موضوعية من الحدس. ومن هنا، فإن معظم ما يجرى اليوم من بحوث اجتماعية، سواء كانت على مستوى المجتمع العريض، أم على مستوى الجماعات المصغرة، تحاول أن تقترب من الدقة التى تتميز بها الطرق العلمية فى التفسير.

الطريقة العلمية The Scientific Method

الطريقة العلمية المثالية هى التى يتبع فيها الباحث سلسلة من الخطوات الواضحة والآمنة لتحقيق ما يقوم به من بحث. وهكذا، فإن الطريقة العلمية، بعكس الطرق الذاتية التى سبق أن عرضنا لها، تقوم على: ١ ـ الملاحظة الموضوعية. ٢ ـ القياس الدقيق. ٣ ـ النشر الكامل للبحث: الطرق التى اتبعها الباحث، والنتائج التى توصل اليها.

١ ـ الموضوعية Objectivity

ينبغى أن يحذر العلماء، ما استطاعوا الى ذلك سبيلا، أن تتأثر بحوثهم التى يقومون باجرائها، باتجاهاتهم، وقيمهم وتوقعاتهم. ويجب أن يبذلوا كل ما فى وسعهم للتقليل من تأثير هذه العوامل. ونقول كل ما فى وسعهم، لأنه لا توجد فى الواقع طريقة يمكن أن تستبعد تماما تحيزات الباحث، حتى لو أجريت التجارب فى المعامل تحت ظروف بالغة الحرص، فإن توقعات الباحث الخاصة يمكن أن تؤثر فى نتائج أو مخرجات التجربة، كما حدث بالنسبة لمجموعتين من الفيران، اختيرتا بعناية من سلالة واحدة

ومتشابهة تماما. وقيل للطلاب الذين يتدربون على إجراء التجارب، إن بعض الفيران أنصع بياضا من بعضها الآخر، فبدأوا فى فرزها على هذا النحو، ولم يفطنوا الى أنها متشابهة.

(Rosenthal and Jacbson, 1968)

وبطبيعة الحال، فإن الأمر يكون أكثر صعوبة، عند دراسة الناس وقياس علاقاتهم المتغيرة. فالاجابات يمكن أن تتغير من يوم إلى آخر، أو من موقف إلى آخر. كما أنها يمكن أن تتغير بتغير الهدف منها، أو بتغير الشخص الذى يوجه السؤال. فيمكن مثلا، أن نجد إجابات مختلفة عن السؤال الواحد، يوجهه أب، أو يوجهه معلم، أو يوجهه صديق حميم. كما نجـد الشىء نفسـه فى المجتمعـات التى يشيع فيهـا التعصب العنصرى، فالواقائع المتشابهة تختلف تفسيراتها حين يقوم بها البيض عنها حين يقوم بها الزنوج. معنى ذلك، أننا لن نستطيع أبدا نتيجة الطبيعة الانسانية المتغيرة، ونتيجة ما يمكن أن يحدث من تحيز، أن نطمح فى إيجاد مقاييس فى علم الاجتماع تضارع المقاييس التى توجد فى العلوم الطبيعية، والتى يمكن أن نقرر بها مثلا، درجة غليان الماء. هذه الدرجة التى تظل ثابتة، ويمكن لأى ملاحظ آخر أن يقيسها. ولكن ليس معنى هذا أن نكف عن التماس الموضوعية وإنما ينبغى أن تظل هدفا نسعى إليه، فاذا كنا لن نستطيع الوصول إلى قوانين تماثل القوانين الطبيعية، فلنحاول أن نقترب منها.

٢ ـ القياس الدقيق Precise Measurement

يدعم هدف الموضـوعية، استخـدام أدوات قياس تكـاد لا تترك شيئـا لتصرف المراقب. ومن بين الطرق التى تجنب الوقوع فى مصيدة الذاتية، الاستخبارات، وقوائم المراجعة، وجداول الملاحظة، وتخطيط مواقف التفاعل الاجتماعى للافراد المشتركين فى التجربة، وغير ذلك من الطرق التى يمكن لمراقبين أو باحثين آخرين استخدامها لمقارنة النتائج، أو الربط بينها للتوصل إلى معرفة أشمل مما يستطيعه ملاحظ واحد فى وقت واحد.

وإن أول مشكلة تواجـه البـاحث هى تقـرير ما يقيسـه، فليس كل ما يهم عالم الاجتماع، يمكن أن يقـاس بطريقـة مبـاشرة، وخـاصة المفاهيم المجردة كالورع، والاشباعات الزواجية، وقدرة الطالب على المذاكرة والعمل بوجه عام، وغير ذلك من

مجردات Abstractions وذلك بعكس المرجعيات التجريبية Empirical Referents التى يمكن قياسها واحصاؤها. ويقصد بالمرجعيات التجريبية، الأفعال الملاحظة التى تستخدم كقرائن على المفهوم المجرد. فمفهوم مجرد مثل «الورع» قد أمكن قياسه بعديد من المرجعيات التجريبية، مثل حضور الشعائر الدينية (مرجع موضوعى) أو معرفة مشاعر الفرد الدينية التى يستدل عليها بسؤال الشخص مثلا، ما هى أهمية الدين بالنسبة لك؟ (مرجع ذاتى).

وتوجد مشكلتان أساسيتان بصدد قياس المرجعيات التجريبية، أو بصدد القياس بوجه عام. المشكلة الأولى، هى الثبات Reliability: هل يقيس المقياس شيئا ثابتا؟ ويختبر ثبات المقياس بتشابه النتائج التى يحصل عليها باحثون آخرون يستخدمون صورة المقياس نفسها أو صورة أخرى منه فى نفس المواقف وفى أوقات مختلفة، مع النتائج التى توصل إليها البحث. فمثلا بصدد السؤال الخاص بحضور الشعائر الدينية إذا استخدم فى عدة دراسات منفصلة، وكانت الاجابة عنه فيها: أسبوعيا، أو يوميا، أو أحيانا. فإن هذا السؤال يعد ثابتا. وأما المشكلة الثانية، فهى مشكلة الصدق Val-idity: هل يقيس المقياس فعلا، ما ادعى الباحث أنه يقيسه؟ فبصدد السؤال السابق، هل هو يقيس الورع؟ يمكن أن نتأكد من ذلك، إذا وجدنا وسائل قياس أخرى للسلوك الدينى وطبقناها، أى قسنا بها السلوك الدينى وحصلنا على النتائج نفسها، فإنه يفترض فى هذا السؤال أن يكون صادقا. فالصدق إذن يختبر بأكثر من مقياس لقياس السلوك نفسه ليعطى نتائج متشابهة.

وإن الثبات والصدق هدفان يسعى الباحث إلى تحقيقهما. وعلى الباحثين الآخرين تقرير مدى تحقيقه لهذين الهدفين.

٣ نشر البحث كاملا Full Disclosure

يتطلب الواجب العلمى، أن يتاح للدارسين الاطلاع على نتائج البحث، والطرق التى توصل بها الباحث لهذه النتائج. ويجب أن يتضمن التقرير الذى ينشر عن البحث، معلومات عن العينة التى أجرى عليها البحث، وما قام الباحث بقياسه، ووسائل القياس التى استخدمها والنتائج التى توصل اليها. وحتى بعد نشر البحث، فإن الباحث ينبغى أن يرحب بأية استفسارات من الباحثين الآخرين الذين

يستوضحون نقطة أو أخرى من نقاط البحث. وسوف يساعد هذا النشر، الباحثين الآخرين على إعادة البحث، اذا كانت الطرق المستخدمة ثابتة reliable.

علمية العلم الاجتماعى the Science in Social Science

استخدم الباحثون الطريقة العلمية بدرجات متفاوتة من النجاح فى تعرفهم على جوانب الحياة الاجتماعية. فلم تكن هذه الدراسات تخلو من بعض القصور للأسباب التى ذكرناها، والتى من بينها طبيعة الناس المتغيرة، ومشكلات الثبات والصدق فى القياس، هذا بالاضافة إلى استحالة توفر الموضوعية الخالصة. ومع ذلك، فإن الدراسات الاجتماعية يطلق عليها اسم «العلوم الاجتماعية» فيقال: علم الاجتماع. وعلم النفس، وعلم السياسة، وعلم الاقتصاد . . . الخ. فما صدق هذا القول بالنسبة للاتجاه العلمى المتشدد؟

إن الصعوبة الأساسية فى العلوم الاجتماعية، هى أنه ما إن يشرع الباحثون فى فهم سلوك الناس وتصرفاتهم، حتى يوجد احتمال الخطأ وسوء الفهم من كلا الجانبين: تحيز الباحث، أو عدم فهم المفحوصين لما يقصد إليه. ولهذا السبب يصر بعض علماء الاجتماع على القول بأن علم الاجتماع ليس علميا، ولا يمكن أن يكون، بل لا ينبغى المحاولة لكى يكون. وإنه من قبيل الخداع، والادعاء بدقة لا يمكن تحقيقها. وهراء، ما تحاوله بعض المجلات الاجتماعية الشهيرة من الاستمرار في كتابة موضوعات شديدة التعقيد، وبحوث تستخدم فيها الأساليب والتحليلات الاحصائية المعقدة، وغير ذلك من مظاهر الطريقة العلمية.

ولكن مع ذلك، فإنه يمكن القول: إنه يوجد قدر كبير من العلمية فى علم الاجتماع، كما سنرى فى الصفحات التالية، ويتضح ذلك فى مستويات الموضوعية وتوخى الدقة، ونشر البحوث، وهذا ما يحكم النهج الاجتماعى، وسيزداد هذا الأمر وضوحا عندما نتتبع عملية البحث الاجتماعى منذ بدايتها كفكرة حتى تعرض فى بحث كامل على الزملاء والدارسين.

العوامل العلمية و غير العلمية فى عملية البحث الاجتماعى		
الخطـوات	**العوامل العلميـة**	**العوامل غير العلميـة**
الخطوة الأولى : اختيار مشكلة البحـث	تقوم على نظرية لها قيمة عامة .	تقوم على قيم الباحثين الخاصة ، أو على اعتبارات تتعلق بالوقت أو متطلبات تتعلق بمصادر التمويل
الخطوة الثانية : اختيار الطريقة المناسبة .	تقوم على الالتزام الدقيق بمتطلبات اختبار الفروض .	اعتبارات التكاليف والنفقات .
الخطوة الثالثة : جمـع المعلومات	استخدام أدوات سبق اختبارها واختيار العينة التى يجرى عليها البحث بأسلوب علمى .	استجابات الباحث وأراؤه الخاصة .
الخطوة الرابعة : تحليل المادة العملية	استخدام طرق قياس موضوعية .	تحيزات الباحث .
الخطوة الخامسة : نتائج البحث.	النشر الكامل .	الاحتفاظ بالنتائج .

عملية البحث
The Research Process

تتضمن عملية البحث أربع خطوات رئيسية هى :

أولا : اختيار موضوع البحث.

ثانيا : اختيار الطريقة المناسبة لجمع البيانات.

ثالثا : تحليل المادة العلمية.
رابعا : كتابة التقرير عن النتائج.

وغالبا ما تتضمن كل خطوة من هذه الخطوات عدة اختيارات، كما أنها يمكن أن تتحدد بعديد من العوامل النظرية والعملية، فمن العوامل النظرية، النموذج التصورى أو الاطار النظرى للباحث حول طبيعة الحياة الاجتماعية. أما العوامل العملية، فمنها: مدى توفر الأفراد الذين سيجرى عليهم البحث، أو تدبير الأموال اللازمة، أو توفير الوقت الكافى للبحث. ومن هنا، ينبغى التدقيق منذ البداية فى هذه الاختيارات، حتى لا تتسلل أية عناصر غير علمية إلى البحث.

أولا : اختيار موضوع البحث SelectingThe Research Question

إن اختيار الموضوع الذى سوف نقوم بدراسته، قد يكون أبعد الخطوات عن العلمية فى عملية البحث، لأن كثيرا من الباحثين يتأثرون بقيمهم واتجاهاتهم الخاصة فى اختيار الموضوعات التى يقومون بدراستها، أو يعتقدون بأهميتها، أو يريدون هم شخصيا معرفة المزيد عنها، أو يختارون موضوعات تبدو جذابة لهم. وهى كلها أمور شخصية أكثر منها مهنية. هذا بالاضافة الى أن اختيار موضوعات البحث يمكن أن يصطدم بمشكلات التمويل. وكلما ازدادت خطة البحث شمولا وعمقا، كانت أهمية الدعم المالى المطلوب لزيادة عدد من نستخدم من معاونين لإجراء المقابلات الشخصية، والطباعة، وساعات الكمبيوتر. وهذه كلها أعباء لا يطيقها معظم الباحثين فى الكليات والجامعات وغيرها. ومن ثم يبدأ السعى وراء المنح التى تقدمها المؤسسات والمصالح الحكومية والمصالح الخاصة المختلفة، والتى تكون لها أولوياتها ومتطلباتها فيما تحتاجه من معلومات.

هذا بالاضافة الى مسألة أخرى هامة، تتعلق بالبحوث الاجتماعية بالذات. تلك هى مدى الحرية التى يتمتع بها الباحث الاجتماعى فى اختيار الموضوع الذى يريد دراسته. لأن علم الاجتماع من أوائل العلوم التى تحرص بعض الدول على السيطرة التامة على دراساتها وبحوثها.

ومن قبيل التدريب العقلى على هذا الاختيار، سل نفسك عن الموضوع الذى تحب أن تبحثه، والسؤال الذى ترغب فى أن تجد إجابة عنه. وسوف تلاحظ أن الموضوع

الذى اخترت، أو السؤال الذى أثارك ينبع كلاهما من تصورك للمجتمع، وكيفية سير الأمـور فيه. ولأن معظم الباحثين يريدون الوقوف على العلاقة بين حقيقة اجتماعية معينة، وحقيقة اجتماعية أو عدة حقائق اجتماعية أخرى، فأختر ظاهرتين اجتماعيتين تعتقد أنهما مترابطتان كما فى المثال الذى سبق أن عرضنا له، وهو العلاقة بين برنامج الرفاهية الاجتماعية، وانجاب الاطفال. ففى هذا المثال حقيقتان اجتماعيتان نرغب فى معرفة العلاقة بينهما:

أ ـ النساء اللائى يتلقين مساعدات مالية من برنامج الرفاهية الاجتماعية، واللائى لا يتلقينها.

ب ـ سجل الخصوبة لدى كل منهن (أى عدد حالات الحمل).

ومثـل هذه الحقـائق تسمى «المتغـيرات Variables» وهـذه المتغـيرات تبدو فيها اختلافات وفروق بين الافراد من وقت الى آخر، بعكس «الثوابت Constants التي لا تختلف من شخص إلى آخر أو من وقت الى وقت آخر، كأن نقول مثلا، أن جميع الناس لديهم دوافع بيولوجية، وكل إنسان يجب أن يأكل ليعيش، بصرف النظر عما يأكله، أو عدد المرات التى يأكل فيها.

أ ـ المتغيرات وما بينها من علاقات Variables and their relationships

تحاول معظم البحوث أن تعرف المتغيرات التى تلحق بمتغير معين، اذا ارتبط بمتغير آخر. وهذا ما يطلق عليه «العلاقة بين المتغيرات» وغالبا ما يسمح هذا النوع من المعرفة بالتنبؤ بما يحدث لمتغير معين إذا ارتبط بمتغير آخر. فإذا عرفنا مثلا، أن الزواج المبكر يرتبط ارتباطا وثيقا بزيادة عدد الأطفال، فان ذلك يجعلنا نفترض أنه كلما رفعنا سن الزواج خفضنا من معدل المواليد (مع تثبيت جميع العوامل الاخرى).

وفى اختيار وتحديد موضوع البحث، يجب أن تكون لدى الباحث فكرة معينة تشتق من نظرية من النـظريات، بصـدد المتغـيرات الأقـوى من غيرها فى إحداث التغير. والمتغيرات المستقلة Independent variables هى التى تأتى أولا، لكونها أكثر أهمية، أو لكونها أقل عرضة للتغير النسبى، وذلك مثل العرق أو الجنس أو السلالة أو العمر، وكما توحى الكلمة، فإن المتغير المستقل يقف وحده.

وأما المتغيرات التابعة dependent variables فهى على العكس، يفترض

أنها أكثر قابلية للتغير الذى يحدثه المتغير المستقل، فهى تتوقف عليه. وفى المثال السابق يعتبر «برنامج الانعاش الاجتماعى» متغيرا مستقلا، والانجاب متغيرا تابعا.

ويسهل فى معظم الحالات، معرفة المتغيرات المستقلة والمتغيرات التابعة. فاذا كان الشخص يقوم بدراسة «التقدم للالتحاق بالمدارس الثانوية بالنسبة للطلاب البيض والطلاب الزنوج»، فإنه يكون واضحا تماما، أن القبول بالمدارس الثانوية لا يمكن أن يؤثر فى العرق race ولكن العرق هو الذى يؤثر فى القبول بهذه المدارس.

	المتغير المستقل	المتغير التابع
مثال ١ :	نساء يتلقين مساعدة من برنامج الرفاهية الاجتماعية	تاريخ الخصوبة الذى يتبع ذلك.
مثال ٢ :	العمر الذى يتم فيه الزواج الأول.	عدد الأطفال المنجبين.

ويمكن القول أيضا بصدد اختيار موضوع البحث، إن أى فرد يمكن أن يتأثر ببعض العوامل غير العلمية، ويقوم بصياغة أهداف بحثه فى ضوء متغيرات أساسية، يعمل بعد ذلك على استقصاء العلاقة بينها. ولكن عالم الاجتماع الحريص لن يقع فى هذا الخطأ. وسيحاول بقدر استطاعته أن يتوخى النهج العلمى. وسوف يساعده فى ذلك كثيرا، معرفة ما أجرى من بحوث سابقة فى المجال الذى يقوم بدراسته. وهذه خطوة أولى ضرورية. ومن هنا يمكن القول، إن الباحث يجب أن يتعرف على كل ما كتب عن موضوع بحثه حتى وقت شروعه فيه.

ب ـ النظرية وصياغة الفروض

Theory and the Formation of Hypotheses

تتضمن الخطوة التالية، وضع البحث فى الاطار النظرى الذى يأخذ به الباحث بأن يسأل نفسه: «إذا كانت الحياة الاجتماعية تسبق وجود الافراد، فكيف ترتبط المتغيرات المثيرة لاهتمامى؟» هذا السؤال كما قلنا، يشتق من نظرية معينة، ويتبلور فى قضايا

محددة، أو فروض حول العلاقة بين المتغيرات.

إن عبارة: «اذا تغير س فى اتجاه معين، فإن ص سوف يتغير بطريقة معينة» هى فرض يمكن أن يختبر بمعارف مستمدة من ملاحظات علمية يمكن إخضاعها للتحقيق العملى عن طريق جمع الأدلة بدقة وحرص ولكن، أية أدلة؟

جـ ـ تجسيد المتغيرات **Operationalizing the variables**

ما الذى سيقيسه الباحث؟ لاحظنا عند مناقشتنا لموضوع «الصدق» أن المتغيرات ينبغى أن تترجم الى شىء يمكن ملاحظته، وهذا ما يسمى «تجسيد المتغيرات؟ فعلى سبيل المثال، موضوعات مثل: «العقاب داخل الاسرة»، أو «البطالة» قد يبدو أن من السهل قياسها بينما هى ليست كذلك فى الواقع. متى تكون محاولاتنا لتعويد الطفل النظام مجدية؟ وما المدى الزمنى فى حال الخلو من العمل الذى نعتبره يشكل حالة بطالة.

وغالبا، ما تظل الأسئلة المهمة حول الصدق مثارة، وخاصة إذا كنا نعالج متغيرات مثل: السعادة أو التعصب. كيف يمكن للانسان أن يقيس السعادة، أو الاحترام المتبادل بين الأبناء والآباء، أو التعصب الأعمى؟ إن على كل باحث أن يختار المرجعيات التجريبية فى فروضه النظرية، ثم يختار بعد ذلك الطريقة المناسبة للحصول على المعارف الضرورية لاختبار فروضه. وهذا ما سوف نعالجه فى الخطوة التالية.

ثانيا : اختيار الطريقة المناسبة لجمع المعلومات

Choosing the appropriate method for gathering information

يمكن القول بوجه عام، إن موضوع البحث هو الذى يحدد الطريقة المعينة التى يمكن استخدامها. ذلك أن كثيرا من الأمور يتوقف على ما إذا كنا سوف نجمع معلومات عن عدد كبير من الأشخاص، أو عن نوعية معينة منهم. وما إذا كانت المعلومات شخصية، أو غير شخصية، وما إذا كانت المادة العلمية تشير إلى نقطة واحدة فى زمن معين، أو أنها تتطلب دراسة تتبعية لمعرفة ما اعتراها من تغير. وفيما يتعلق بالاعتبار الاخير، فإن الطريقة الأولى، يطلق عليها اسم «الطريقة العرضية» أما الطريقة الثانية فيطلق عليها اسم «الطريقة الطولية أو العمودية».

أ ـ دراسات القطاعات العرضية Crosss section studies

وتتم هذه الدراسات خلال مرحلة زمنية واحدة فقط، بمعنى أخذ شريحة معينة من الحياة الاجتماعية، أو نظام اجتماعى معين فى لحظة بذاتها. إن هذا النوع من الدراسات يشبه اللقطة الفوتوغرافية التى تصور الاحداث لحظة وقوعها.

ب ـ دراسات القطاعات الطولية أو العمودية Panel or Longitudinal studies

وهى الدراسات التى تتبع ظاهرة اجتماعية معينة عبر الزمن. أو تتبع حياة مجموعة من الافراد منذ ولادتهم حتى الآن.

بعد العرض لهاتين الطريقتين العامتين فى البحث، نعود لوصف طرق البحث الأساسية التى يمكن أن تستخدم فيهما.

١ ـ المسح الاجتماعى Social Survey

تستخدم طريقة المسح الاجتماعى، عندما نريد دراسة قطاع عريض من المجتمع، وذلك باستخدام عينة ممثلة له. لأنه يصعب سؤال كل فرد من أفراد المجتمع عما نريد معرفته، ولذلك لابد من انتقاء مجموعة منهم. هذه المجموعة الصغيرة تسمى «عينة» وتعتبر ممثلة للمجتمع الذى نريد دراسته، عندما تنتقى على أساس علمى، ويطلق عليها فى هذه الحالة اسم «عينة عشوائية».

وتكون العينة العشوائية ممكنة، إذا وجدت لدى جميع أفراد المجتمع فرص متكافئة لاختيارهم. وهذه الجماعة الصغيرة المنتقاة على أسس علمية لتمثل الجماعة الكبيرة من السكان، هى عينة تتوفر فيها ـ بدرجة تحدد احصائيا ـ مختلف الخصائص التى تمثلها الجماعة الكبيرة، أو التوزيعات المتعلقة بالعمل أو الجنس أو التركيب السكانى . . . الخ. وتوجد طرق معينة تحقق هذا الانتقاء العشوائى، كوضع الاسماء فى وعاء، واختيار الأعداد المطلوبة. أو عد خمسين اسما، أو مائة اسم، واختيار الاسم الواحد والخمسين، أو الواحد بعد المائة، وغير ذلك من طرق تعرض لها كتب الاحصاء.

وفيما يتعلق بالاتصال بأفراد العينة، فإن الباحث يستخدم مجموعة من الأسئلة التى اختبرت قبل ذلك Pretested والمصممة والمسايرة للمتغيرات التى يريد دراستها، بحيث

يشكل ذلك «استخبارا Questionnaire » يعطى لأفراد العينة للاجابة عنه. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق اللقاءات والزيارات الشخصية، أو عن طريق البريد أو التليفون. ولكل وسيلة من هذه الوسائل مزاياها وعيوبها فيما يتعلق بالتكلفة والوقت، ومعدل الاستجابة. وتتوقف كمية ونوع المعلومات التى نجمعها فى أى مسح اجتماعى على رغبة المفحوصين فى الاجابة. وأيا ما كانت العيوب التى توجد فى طريقة المسح الاجتماعى، فإنها لا يمكن أن تقارن بما فيها من محاسن ومزايا مما يمكن أن نحصل عليه من القدر الكبير من المعلومات عن مجموعة كبيرة من الأفراد، أو قطاع كبير من المجتمع فى وقت قصير. وإذا كنا قد حصلنا على العينة التى أجرينا عليها المسح، بطريقة علمية، فإننا نستطيع أن نعمم المعلومات التى حصلنا عليها من هذه المجموعة على أفراد المجتمع الكبير.

ولكى نقوّم المعلومات التى حصلنا عليها عن طريق المسح الاجتماعى ينبغى أن نراجع بعناية الكلمات التى صيغت بها الاسئلة. ذلك أن طريقة صياغة السؤال يمكن أن توحى بإجابات معينة، أى أن الأسئلة يمكن أن تكون إيحائية، وفى هذه الحالة لا تعبر عن الرأى الحقيقى لأفراد العينة. وفى تحليل من هذا النوع لاستطلاع للرأى العام للحصول على معلومات تتعلق بمساواة المرأة مع الرجل فى الحقوق، اتضح لفريق من الباحثين (Hesse, Burstein, and Atkin, 1979) أن الاسئلة لم تكن محايدة، كما ادعت الهيئة التى قامت باستطلاع الرأى العام. فكان من بين الاسئلة التى استخدمتها هذه الهيئة، وهى «معهد جالوب» عام ١٩٧٦ السؤال الآتى على سبيل المثال: «هل توافق على أن تلتحق المرأة المتزوجة من رجل قادر على إعالتها، بعمل فى الحكومة أو فى أية مؤسسة لتكتسب منه مالا؟ «ان هذا السؤال قد صيغ بطريقة تنتزع الاجابة بالنفى، ولننظر الفرق فى حالة ما اذا كان السؤال على النحو التالى: «هل توافق على حق المرأة فى أن تلتحق بعمل تأخذ عليه راتبا؟»

التقدم فى مجال الاستطلاع Progress in Polling

لقد شهدت الفترة التى أعقبت استطلاع الرأى الناجح بصدد القضايا السياسية عام ١٩٣٦ تقدما كبيرا فى الاستطلاعات السياسية، حتى أصبحت هذه الاستطلاعات طرقا بالغة التقدم. وعلى سبيل المثال، استطاعت المؤسسات الرئيسية الثلاث الموجودة فى الولايات المتحدة الامريكية، والمعنية بهذه الاستطلاعات، أن تتنبأ

بنتائج الانتخابات الرياسية التى تمت عام ١٩٧٦ بدرجة كبيرة من الدقة، وبنسبة مئوية قريبة جدا من النتيجة الفعلية. ومع ذلك، فإنها لم تحقق هذا القدر من النجاح فى انتخابات عام ١٩٨٠ (ولكن ذلك لم يرجع فى الحقيقة لقصور فى هذه الطريقة، وإنما لعوامل طرأت قبيل التصويت، هى أزمة الرهائن الامريكيين فى ايران).

٢ ـ المقابلات الشخصية المكثفة Intensive interviews

يحدث أحيانا، ألا نحتاج لعينة ممثلة كبيرة الحجم، وخاصة إذا كنا نقوم بدراسة استطلاعية Pilot study قبل تصميم دراسة على مستوى كبير. أو إذا كنا نريد الحصول على معلومات على درجة كبيرة من الخصوصية. فى هذه الحالة، تعد المعلومات التى نحصل عليها من مجموعة صغيرة من أفراد مهمين لنا، كافية لما نهدف إليه، ويتم ذلك باستخدام طريقة المقابلة الشخصية. إن ما نحصل عليه بهذه الطريقة من معلومات من فرد أو عدة أفراد اختيروا بعناية شديدة، يمكن أن تزودنا بمعلومات كافية عن ظواهر أو عوامل لا يمكن للملاحظ أن يراها بسهولة.

وبالرغم من شيوع هذه الطريقة فى علم النفس، وبخاصة فى العلاج النفسى، فيما يعرف باسم «تاريخ الحالة» أكثر من شيوعها فى علم الاجتماع، فإن ذلك لا يمنع من استخدام المعلومات المستمدة من هذه الطريقة لإضافة مذاق أو طعم الحياة الحقيقية للمعلومات المستمدة عن طريق المسح الاجتماعى. وبالاضافة إلى ذلك، فإن طريقة المقابلة الشخصية تعد ضرورة لعلماء الاجتماع الذين ينشغلون بالقضايا السلالية والعرقية، ذلك أن الاستقصاء المركز لحالة واحدة أو لعدد قليل من الحالات، هو السبيل الوحيد اليقينى للتغلغل فى العالم الحقيقى لهؤلاء الناس.

٣ ـ طرق الملاحظة Observational techniques

إن المادة العلمية المستقاة من المسح الاجتماعى، أو المقابلة الشخصية، لا يمكن أن تخبرنا إلا بما يقول الناس أنهم يفعلونه. ولكن، كيف نستطيع دراسة ما يقوم الناس بعمله فعلا؟ نستطيع ذلك الى حد ما، باستخدام طرق الملاحظة. ونقول إلى حد ما، لأن طرق الملاحظة عليها أيضا بعض التحفظات، فهى محدودة بالوقت وبعدد الأفراد الذين يمكن دراستهم، كما أنه يصعب على الباحث مهما كان مدربا تدريبا جيدا، أن يرى كل شىء، كما أننا ننتقى ما ندركه. وبالاضافة إلى كل ذلك، فإن الملاحظ يجب

أن يكون حريصا على عدم الاخلال بما يدور من أنشطة وما يحدث من تصرفات، من أجل ذلك ينبغى عليه أن يأخذ مكانا لا يسترعى فيه انتباه الأفراد الذين يلاحظهم، والا بدأ الناس يسلكون كما يحب الملاحظ نفسه، لا كما يسلكون بطبيعتهم وحريتهم، وبما يرضيهم هم أنفسهم.

ويمكن التقليل من هذه التحفظات التى تؤخذ على طريقة الملاحظة إذا استطاع الباحث أن يكون جزءا من الموقف الذى يقوم بدراسته، وهو ما يسمى بالملاحظة بالمشاركة Participant observation . ولكن هذا النوع من الملاحظة له أيضا محازيره، فقد يستغرق قبول الباحث عضوا فى الجماعة وقتا طويلا، حتى يبدأ الناس فى التصرف على سجيتهم. هذا بالاضافة إلى الجانب الاخلاقى فيما يتعلق باستخدام المادة العلمية التى جمعت من أفراد وثقوا فيه، لحسابه ولتحقيق أهدافه. والباحثون الذين استخدموا هذه الطريقة كما ينبغى أن تستخدم، قاموا بشرح أهدافهم والغرض من حضورهم منذ بداية مشاركتهم. ومرة أخرى، عند نهاية الدراسة يقرأون عليهم ما جمعوه من مادة علمية، ويتركونهم يعلقون عليها. ومهما يكن من أمر، فلا توجد طريقة لقياس المدى الذى أسهم به فى تغيير سلوك أفراد الجماعة، وتدخل فيما يجرى من تفاعل اجتماعى.

وبالرغم من ذلك، فلا زالت الملاحظة بالمشاركة هى أفضل الطرق التى تزودنا بالمعارف القيمة، وقد استخدمها عديد من علماء الاجتماع وحصلوا عن طريقها على مادة علمية استغرقت مجلدات، والعيب الأساسى لهذه الطريقة هو الوقت الكثير الذى يكرس لدراسة جماعة واحدة فقط، وعدم القابلية لتعميم هذه المادة التى نحصل عليها من دراسة تلك الجماعة على جماعة أخرى.

٤ ـ تحليل المصادر الثانوية Secondary Analysis

تعد طرق المسح والمقابلة الشخصية والملاحظة، طرقا لجمع المادة الاصلية original data ولكن المكتبات تذخر بالعديد من الكتب والمواد العلمية التى جمعها آخرون. فتحليل المصادر الثانوية يتضمن استخدام المصادر التى جمعها باحثون آخرون. ومن أهم المصادر الثانوية:

أ ـ **المطبوعات الحكومية**: فالمملكة العربية السعودية، تصدر كل عام على سبيل المثال، مئات التقارير عن مختلف الانشطة والانجازات. هذا بالاضافة الى ما تصدره

المؤسسات غير الحكومية كالشركات والمؤسسات.

ومن أهم المطبوعات التى تفيد الباحثين الاجتماعيين المطبوعات الخاصة بتعداد السكان بكل ما تتضمنه من معارف عن معدلات المواليد والوفيات والأحوال الصحية وغير ذلك.

ب- السجلات التاريخية : ويستخدم هذا النوع من المصادر الثانوية لمعرفة الماضى، بقصد المقارنة، ومعرفة أى الجوانب قد تغير فى البناء الاجتماعى، وأيها ثبت نسبيا. ونجد هذه السجلات التاريخية فى الخطابات، وفيها تحفل به المتاحف والصحف وغير ذلك. ومن أهم دراسات علم الاجتماع الكلاسيكية الدراسة العظيمة عن الفلاح البولندى، التى استخدم فيها الباحثون كمادة أصلية Primary material الخطابات المتبادلة بين أفراد العائلات الذى ظلوا فى بولندا، وهؤلاء الذين هاجروا إلى امريكا.

The Polish Peasant in Europe and Amrica (1918 – 1958) by W.I. Thomas and Florian Znaniecki.

وكثيرا ما تستخدم الكتب والصحف اليومية والمجلات كمصادر لتحليل المحتوى content analysis والذى بمقتضاه يستطيع الباحث أن يكوّن فروضا حول القيم الاجتماعية، أو التغير الاجتماعى والمجرى الذى يسير فيه.

جـ - الدراسات المقارنة Comparative Studies

تعد الدراسات المقارنة من أهم الطرق التى يستخدم فيها تحليل المصادر الثانوية، وذلك بقصد اختبار عمومية العلاقات المفترضة بين المتغيرات، وكذلك فى المقارنة بين المجتمعات المختلفة.

وتشكل المعارف التى جمعت عن ثقافات متباينة، وبخاصة قبل الثورة الصناعية، أو عن المجتمعات البدائية، مادة الاطلس الخاصة بالسلالات، وسجلات العلاقات الانسانية فى المناطق المختلفة الموجودة فى كثير من الجامعات، ولكنها متاحة لكل الباحثين. وتشكل هذه الدراسة مادة جاهزة للانثربولوجيين للمقارنة بين القطاعات العريضة فى المجتمعات المختلفة.

قصور طريقة تحليل المصادر الثانوية

Limitations of Secondary Analysis

بالرغم من أن الاستخدام المناسب للمادة العلمية المستقاة من المصادر الثانوية، غالبا ما يوفر أموالا وأوقاتا كثيرة، فإن لهذه الطريقة بعض العيوب ومن أبرزها: أن المادة العلمية المتاحة قد جمعت لتحقيق أغراض معينة، كما أنها لا تكون مكتملة أحيانا، أو قد تكون متحيزة، أو تكون فى صورة لا تناسب الباحث الذى يستخدم هذه الطريقة

٥ ـ إجراء التجارب Experiments

يعد إجراء التجارب أقرب الطرق التى عرضنا لها إلى المنهج العلمى المثالى. وإن قلب التصميم التجريبى، أى أهم شيء فيه، هو التحكم فى المتغيرات، وهو متطلب يصعب على علماء الاجتماع تحقيقه. ففى خضم الحياة اليومية يستحيل التحكم فى الموقف أو فى الناس، لأن السلوك ينبع من التفسيرات التى يحملها الناس إلى الموقف والتى تتعدل خلال التفاعل الاجتماعى. ولكن البحث التجريبى مهما كان بعيدا عن الواقع artifical يمكن أن يوضح العلاقات التى لا يسهل تحققها فى الملاحظة اليومية. كما يلاحظ فى التصميم الكلاسيكى التجريبى.

مجموعة عشوائية ← تقسيم الى مجموعتية ← مجموعة تجريبية

ومجموعة ضابطة ← قياس ← إدخال متغير على المجموعة التجريبية فقط ← قياس.

المنطق الذى يكمن وراء التصميم التجريبى The Logic of the Experimental Design

لقد وصف (ريلى Riley, 1963) التجريب الذى نتحكم فيه بأنه أقوى تصميم لاختبار الفروض الخاصة بالعلاقات السببية بين المتغيرات.

وأهم خطوات التجريب الكلاسيكى:

١ ـ تبدأ التجربة بإحضار عدد كبير من الأفراد ليشكلوا مجموعة متشابهة بقدر الامكان، فى جميع العوامل التى يمكن أن تؤثر فى النتائج. ويمكن ذلك عن طريق تصنيف الجماعة من حيث العمر والجنس وما إلى ذلك، ثم تقسم بعد هذا إلى جماعتين متماثلتين (باستخدام الطرق الاحصائية).

٢ ـ يبدأ الباحث بعد اعداد العينتين المتماثلتين بقدر الامكان، فى قياس ما يريد قياسه من اتجاهات أو سلوك أو تصرفات (متغير تابع) والتى يعتقد أنها ستتغير بإدخال المتغير المستقل وذلك بالنسبة للمجموعتين.

٣ ـ ندخل المتغير المستقل أو العامل المؤثر على مجموعة واحدة فقط، وهى المجموعة التجريبية. فى حين تسمى المجموعة التى لم تدخل عليها المتغير المستقل «المجموعة الضابطة».

٤ ـ يقاس ما نريد قياسه بالنسبة لأفراد المجموعتين التجريبية والضابطة، ونقارن ما حدث من تغيرات بين المجموعتين فى المرة الاولى والمرة الثانية، وأية فروق تحدث فى المتغيرات التابعة فإنها يمكن أن تعزى الى تأثير المتغير المستقل.

مثل هذا التصميم غالبا ما يسهل تنفيذه فى معمل العلوم الاجتماعية، حيث يمكن للباحث التحكم فى جميع العوامل الداخلية. وبالرغم من صعوبة التجريب فى مجال الحياة اليومية، فإن التجريب الميدانى أمكن تحقيقه. فقد قام علماء النفس الاجتماعى على سبيل المثال، بإجراء العديد من التجارب الميدانية لاختيار سلوك مثل المبادرة بمساعدة الاخرين أو نجدتهم. وتحت أية ظروف يخف الناس لمساعدة الاخرين فى محنتهم؟ هل إذا كانوا ينزفون دما؟ أو يتشنجون؟ وما الى ذلك.

وتوجد أيضا تجارب طبيعية natural experiments يقاس فيها الناس قبل أن يغير حدث معين يدخل على الموقف وبعده كتعرضهم لخطر طبيعى، أو اصدار تشريعات جديدة. أو معرفة معدلات ارتكاب جرائم معينة قبل وبعد رفع العقوبة فى جرائم معينة الى الاعدام مثلا وبعدها. فى مثل هذه التجارب نفترض تساوى جميع الظروف، وما يحدث من تغيرات أو فروق. إنما يعزى الى تأثير العامل المستقل.

ثالثا : تحليل المادة العلمية Analyzing the Data

نادرا ما تتيح الارقام وحدها اختبارا مناسبا للفروض. وينبغى أن تنظم المعارف المتناثرة التى نحصل عليها بطريقة معينة تتيح لنا المقارنة بين الجماعات أو بين المتغيرات. ويدرب المشتغلون بعلم الاجتماع اليوم، على استخدام الوسائل الاحصائية لتصنيف وتحليل المادة العلمية. وإذا تصفحت اليوم مجلة من مجلات علم الاجتماع

مثل :

The American Sociological Review

أو

American Journal of Sociology

فقد تعتقد أنك تناولت مجلة فى الاحصاء .

ولا يحتاج الطالب الذى يدرس مبادىء علم الاجتماع الى معرفة هذه الطرق المعقدة أو إلى تعلمها، ولكن باعتباره مواطنا فى المجتمع، فهناك بعض المصطلحات الاساسية يجب أن يتعرف عليها، ومن أهمها: النسب المئوية والمعدلات والنسب .

النسب المئوية Percentage

تعد النسب المئوية أبسط الاحصاءات وأكثرها أهمية، ومعناها، كم حالة فى كل مائة حالة. وتستخدم في قياس الاحجام والمقادير وغير ذلك .

المعدلات والنسب Rates and Ratio

المعدلات مثلها مثل النسب المئوية، فى أنها تشير إلى عدد المرات التى يتكرر فيها الفعل فى مجموعة معينة، مثال ذلك معدلات المواليد أو الوفيات. فمعدل المواليد يمكن أن يقدر على أساس مجموع السكان. ففى عام ١٩٧٥ فى الولايات المتحدة، كان معدل المواليد ١٤٫٨ لكل ١٫٠٠٠ من السكان .

وأما النسب، فإنها تستخدم للمقارنة بين جماعة فرعية من السكان وجماعة أخرى، كأن نقارن مثلا الذكور بالاناث .

مقاييس النزعة المركزية Measures of Central Tendency

وتتضمن طرقا ثلاثا شائعة فيما نصادفه من إحصاءات، هذه الطرق الثلاث هى : المتوسط والوسيط والمنوال. ويذكر أغلبكم أنه سمع أو قرأ عبارة «متوسط نتائج الاختبار» و «متوسط الدخل» و «الانماط الشائعة فى الاسرة» وهذه المقاييس الثلاثة تختلف اختلافا كبيرا كما نرى فى المثال الآتى :

مجموعة من ١٠٠ شخص طبق عليهم اختبار «الايثار» وهو يقيس الرغبة فى مساعدة

الآخرين. وكانت أعلى درجة هى عشرة وأقلها صفر. وتوزعت درجات الشخص على النحو التالي:

الدرجـة	عدد الاشخاص الذين حصلوا عليها
١٠	٦
٩	٨
٨	١٢
٧	١٤
٦	٢٠
٥	١٠
٤	٩
٣	٨
٢	٧
١	٣
صفر	٣
العـدد	١٠٠
مجموع الدرجات	٥٧٣

المتوسـط Mean

هو المتوسط الحسابى: فى هذا المثال مائة شخص، حصلوعلى مجموع درجات ٥٧٣ فمتوسط الجماعة هو٥٧٣ / ١٠٠ = ٧٣ر٥ أى مجموع الدرجات على عدد الاشخاص.

الوسيـط Median

هو النقطة المتوسطة بالنسبة لحالات التوزيع، أى يسبقها ٥٠٪ من الحالات التي فوق، و ٥٠٪ أسفل العدد. وفي المثال السابق النقطة الوسطى أو الحالة الخامسة تأتى في مكان ما بين الدرجات ٦ و ٧.

المنــوال

هو العــدد الاكثر شيوعا فى الحالات، فى هذا المثال نجد أن عشرين شخصا قد حصلوا على ست درجات، ومن هنا فإن ٦ هى منوال هذه الجماعة.

وللمقارنة بين هذه المجموعة وأية مجموعة أخرى، فإننا نحتاج لواحد فقط من هذه المقاييس.

رابعا : كتابة التقرير عن النتائج Reporting the Findings

اتخاذ قرار بالنشر : The decision to publish

سبق أن أشرنا إلى أهمية النشر الكامل للبحث متضمنا طرقه وأدواته ونتائجه. ولكن لنفترض أنك كباحث قد حصلت على معلومات لا ترغب فى نشرها لأنك تعتقد أنها يمكن أن تستخدم ضد جماعات تتعاطف معها؟

يعمد بعض الباحثين إلى عدم النشر، ويحاول بعضهم الآخر أن يقلل من المخرجات السلبية outcomes بتفسير النتائج فى أضيق الحدود الممكنة. وهناك أيضا قضية بالغة الاهمية بهذا الصدد، وهى أنه إذا ثبت أن تفسير نتائج دراسات معينة يمكن أن يثير فتنة أو حساسية اجتماعية معينة وحينئذ لاضرورة لنشر هذه الدراسات. وكما يذهب بعض علماء الاجتــماع، فإن مراعــاة المسألة الاخلاقية هى أهم من مسئوليات العالم الاجتماعى، وليس تأجيج معدل العنصرية أو الفرقة فى المجتمع وزيادتها.

عرض النتائج Presentation of findings

يتصل علماء الاجتماع بعضهم بالبعض الآخر عن طريق المطبوعات التى تصدرها المجلات المتخصصة، وبالبحوث التى تقرأ فى المؤتمرات، أو بتداول نسخ من البحوث بين الاصدقاء والزملاء. ويمكن عرض النتائج فى جداول أو خرائط أو أشكال توضيحية.

قراءة الجداول Reading Tables

تتكون الجداول من مجموعة من الأرقام تنظم بطريقة معينة لتوضح العلاقات بين

المتغيرات. وإن نظرة خاطفة للجدول تعطينا معلومات بطريقة أدق وأوضح من الوصف بالعبـارات والكلمات. وكم من العبارات سوف تستخدم لتخبرنا بما يمكن أن نقرأه بالقاء نظرة سريعة على الجدول الاتى:

جدول رقم (١)

الحالة الزواجية وجنس الاشخاص الذين فى الخامسة والستين من عمرهم فما فوق فى الـولايات المتـحـدة عام ١٩٧٨ (بـالـنـسـبـة المئـوية)

	ذكـور	انـاث
أعـزب	٥ر٤	٦ر٢
متـزوج	٧٧ر٥	٣٨ر٦
أرمـل	١٤ر٢	٥٢ر٠
مطلـق	٢ر٩	٣ر٢
المجموع	١٠٠ر٠	١٠٠ر٠

المصدر: Statistical Abstrct of the United states, 1979, P.32

وهناك عدة خطوات ينبغى أن تتبع لمساعدة الفرد على تفسير الجدول ابتداء بالقراءة الواعية ورؤوس الجدول والملحوظات. وبعد ذلك سوف نفهم الارقام التى توجد داخل الجدول (وغالبا ما تسمى وحدات cells) ففى الجدول السابق على سبيل المثال، يخبرنـا العنـوان أن الـوحـدات العددية هى بالنسب المئوية، لأفراد يبلغون الخامسة والستين فما فوق، والذين هم إما غير متزوجين واما متزوجون وإما أرامل وإما مطلقون، وأن هذا كان فى عام ١٩٧٨ فى الولايات المتحدة. وأما الملحوظة أسفل الجدول فتخبرنا عن المصدر.

وتبين لنا الوحدات cells التباين الشديد بين الرجال الكبار والنسوة الكبار، سواء فى حالات الزواج ام فى حالات الترمل. ويسترعى انتباهنا أن أكثر من نصف العجائز أرامل، فى حين أن أكثر من ثلاثة أرباع الرجال العجائز لهم زوجات أحياء. وبعد وصف الوحدات يأتى الدور المثير للباحث، وهو البحث عن المعانى التى ترمز اليها هذه الوحدات: فالمعدلات المرتفعة للموت بين الذكور بمقارنتهم بالنساء، قد يشير إلى حقيقة أن النساء غالبا ما يتزوجن رجالا أكبر سنا منهن وقد يكون السبب فى ذلك عوامل أخرى.

ويمكن التعبير عن كل هذه الحقائق السابقة بالرسوم البيانية أو بالاشكال التوضيحية وغير ذلك.

ملاحظات حول النهج الاجتماعى
Reflections on the Sociological Enterprise

بالرغم من أن معظم البحوث المعاصرة يحكمها المنهج العلمى، فإنه توجد خطوتان توجهان باعتبارات غير علمية، هما اختيار موضوع البحث، واتخاذ قرار بشأن نشره. أما بقية خطوات البحث، فإنها قريبة جدا من الدقة والوضوح اللذين تتميز بهما البحوث فى مجال العلم، إلا أنه توجد فروق، فإن ما يطبع التفسير من خصائص شخصية أحيانا، يجعل التعميم أمرا صعبا، إن لم يكن مستحيلا.

وإذا كان من المستحيل الحصول على الدقة التامة أو التحكم فى جميع المتغيرات الممكنة أو استبعاد التحيز، فإن أقل ما يفعله الباحث أن يكون واعيا بتأثير هذه العوامل، وأن يحاول أخذها فى الاعتبار فى تصميمه للبحث وفى تفسيره للنتائج.

ثمه فروق أخرى تبتعد بالعلوم الاجتماعية عن المنهج العلمى المثالى ومنها أننا لا نستطيع أن نعتمد على ما لدينا من تراكمات سابقة من البحوث لنبنى عليها. وهذه الفروق جعلت عديدا من النقاد يقارنون العلوم الاجتماعية بالانسانيات، فهى أقرب إليها من العلوم. وعلى النقيض من ذلك نجد بعض البحوث الاجتماعية تعرض على شكل إحصائيات شديدة التعقيد لا يفهمها سوى القليلين.

وثمة متاعب أخرى تتعلق بادعاء الحياد من جانب الباحث. ومهما كانت الصبغة

العلمية للبحث، فإننا لا نضمن الغرض الذى تستخدم فيه الجهات الممولة المعلومات والنتائج التى توصلت إليها البحوث.

ولا يمكن للباحث الاجتماعى أن يدعى الموضوعية التامة أو الحياد التام، فإن كل خطوة من خطوات الباحث مهما توخى فيها من المواصفات العلمية والمنهج العلمى تظهر فيها شخصيته وقيمه.

الخلاصـــة

يختبر علماء الاجتماع نظرياتهم عن الحياة الاجتماعية بما يجرونه من بحوث. وقد عرض هذا الفصل لأهمية البحث، وللعوامل العلمية وغير العلمية التى يمكن أن تدخل فى عملية البحث. كما عرض الطرق المستخدمة وأنواع المعارف المستخلصة، وأيضا لكيفية عرضها وتحليلها.

إن الكثير مما نسلم به ونعتبره بديهيا ولا يحتاج لأية مناقشة، ليس كذلك فعلا، فلا هو يتسم بالدقة أو الوضوح. وتفيد الدراسة المنظمة للعلاقات بين الحقائق الاجتماعية، فى فهمنا للعالم الذى نعيش فيه، وفى اتخاذ القرارات المتعلقة بالسياسة الاجتماعية. وتكتسب المعارف بعديد من الطرق، بعضها ذاتى يقوم على الحدس والالهام والشعور الباطنى، وبعضها الآخر يستعين بالمنهج العلمى الذى يقوم على الملاحظة الموضوعية أو القياس الدقيق ونشر طرق البحث ونتائجه.

وتتضمن عملية البحث أربع خطوات أساسية هى :

١ - اختيار موضوع البحث.
٢ - اختيار أنسب الطرق لجمع المادة العلمية.
٣ - تحليل المادة العلمية.
٤ - كتابة التقرير.

وقد تتضمن الدراسة بعض العوامل غير الموضوعية مثل تدخل قيم الباحث واتجاهاته. أو قد يؤثر الوقت المتاح، أو تتدخل جهة التمويل.

وتتضمن صياغة موضوع البحث اختيار المتغيرات، ووضع الفروض بصدد العلاقة بين المتغيرات. وترجمة هذه الفروض والمتغيرات المجردة إلى أشياء يمكن ملاحظتها، وتسمى هذه العملية «تجسيد المتغيرات».

ويتوقف اختيار طريقة البحث المناسبة على عدة عوامل من بينها نوعية المادة العلمية المطلوبة. وقد تكون الطرق المستخدمة على شكل دراسات عرضية أو دراسات طولية. وقد تكون على شكل مسح اجتماعى لقطاع عريض أومقابلات شخصية مكثفة، أو باستخدام طرق الملاحظة المختلفة، أو بتحليل المصادر الثانوية من وثائق حكومية أو تاريخية أومقارنات. كما يمكن أن تستخدم أيضا التصميمات التجريبية.

وينبغى أن تنظم المعارف التى نحصل عليها، حتى نستطيع مقارنة الجماعات المختلفة والمتغيرات المتباينة، وتستخدم الاحصائيات من نسب مئوية وغيرها من مقاييس لوصف المادة العلمية.

وعندما يكتمل البحث، فإن نتائجه تنشر، أو تكتب على شكل تقارير تناقش فى المؤتمرات العلمية، الأمر الذى يتيح تقويم البحث. كما أنه يمكن أن يفيد فى تخطيط السياسة الاجتماعية. , وبالرغم من أن عملية البحث تتوخى المنهج العلمى، فإن اختيار موضوع البحث وكذلك تقرير نشره يتأثران باعتبارات غير موضوعية. ومن بين هذه الاعتبارات، المسائل الاخلاقية، مثل استخدامات النتائج، وتحقيق مطالب مؤسسات التمويل وغيرها. ولا يستطيع علماء الاجتماع الحياد التام، بالرغم من أنهم يبذلون كل ما فى وسعهم لتطبيق المنهج العلمى.

قراءات مقترحة:

Becker, Howard S., Blanche Geer, Everett C. Hughes, and **Anselm Strauss.** *Boys in White: Student Culture in Medical School.* Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1961. The link between theory and observation is well illustrated in this influential longitudinal study of medical students as they are transformed from idealists into professional physiciana.

Cole, Stephen. *The Sociological Method* (Third Edition). Chicago, Ill.:? Rand McNally, 1980. A very clear and concise introduction to the methods and logic of sociological research.

Horowitz, Inving Louis. *The Rise and Fall of Project Camelot.* Cambridge,

Mass.: M.I.T., 1967. A case study of what happens when the needs of government determine the nature of academic research.

Lofland, John. *Analyzing Social Settings.* Belmont, Calif.: Wadsworth, 1971. A useful guide to the collection and interpretation of nonstatistical or qualitative data.

Millman, Marcia. *The Unkindest Cut.* New York: Morrow, 1977. A two-year observational study of American medicine – the operating and emergency rooms, the mortality review committees, the hospital staff meetings, and the patterns of thought and action that allow medical personnel to cope with stress, mistakes, and failure.

Shostak, Arthur. *Our Sociological Eye: Personal Essays on Society and Culture.* Sherman Oaks, Calif.: Alfred, 1977. Vivid firsthand accounts of the personal and professional problems and satisfactions of being a sociologist.

البـــاب الثـــاني
الـذات فـى المجتمع

الباب الثاني
الذات فى المجتمع

فى الفصول الأربعة التالية سوف يعرف القارىء عديدا من الطرق التى يوجد الناس بها عالما من المعانى، وأنماط السلوك التى تتيح للجماعات البقاء عبر فترات طويلة من الزمن. ويعرض الفصل الثالث بالوصف للثقافة على أنها سياق من القيم والقواعد والسلوك والأعمال التى تبدعها الجماعات الاجتماعية. ويستقصى الفصل الرابع البناء الاجتماعى: تلك الاتساقات من التفكير والأفعال التى تجعل حياة الجماعة متسقة يمكن التنبؤ بها. وفى الفصل الخامس نصف عملية التطبيع الاجتماعى، تلك العملية التى يتعلم عن طريقها الأطفال ثقافة مجتمعاتهم وتوقعاتها. وتهدف عملية التطبيع الاجتماعى الى توافق الفرد مع أعضاء الجماعة. ولكن لا يوجد مخلوق انسانى يبلغ الكمال فى التطبع. فلابد أن يكون هناك ألوان من التباين والاختلاف فى الفكر والسلوك. والواقع، أن العقل الانسانى قادر على التفكير فى المجهول، وفيما هو ممنوع، وفيما هو غير معقول. ومن هنا، فإن التطابق والانحراف، أى الالتزام أو الخروج عن القواعد المقبولة من الجماعة يمكن أن يحدثا خلال عملية التفاعل الاجتماعى. وهذا هو موضوع الفصل السادس.

الفصل الثالث

السياق الثقافى

The Cultural Context

الفصل الثالث

السياق الثقافى

The Cultural Context

فى عام ١٩٦٦م اكتشف صياد هندى جماعة صغيرة فى الفيليبين، وكانت تتكون من أربعة وعشرين شخصا، وتعيش عند مجرى نهر فى أعماق إحدى الغابات. وقد دبر أفراد هذه الجماعة التى أطلقت على نفسها اسم «تاسادای Tasaday» شئون حياتهم بطريقة بسيطة مدهشة. وكانوا يعيشون فى عزلة تامة، بعيدين عن غيرهم من الجماعات التى تعيش فى هذه البلاد. ولم يكونوا يرتدون أية ملابس، وكانوا يتسترون بحبل رفيع أو حبلين. ولم تكن أدواتهم تزيد عن أجزاء من شجر البامبو، ومطرقة من الحجارة، وبعض جماجم القرود يلعبون بها، وأعواد من الحطب لاشعال النار، وكهوف يحتمون بها ويبيتون فيها، بقول آخر، كانوا يعيشون فى ثقافة العصر الحجرى. ولقد أبدعوا طريقة متقنة لمعيشتهم تتناسب تماما مع البيئة التى يعيشون فيها.

فالثقافة هى خطط لمعيشة جماعة يشترك أفرادها فى قطعة من الارض، ويحس كل منهم بالمسئولية تجاه الآخر، ولهم اسم يطلقونه على أنفسهم. إن ثقافة أية جماعة (أو مجتمع) تتكون من :

١ - حلول لمشكلات المعيشة والبقاء.
٢ - قيم ومثاليات تشكل قواعد السلوك.
٣ - أدوات تستخدم لأغراض مختلفة (ثقافة مادية).

ثقافــة التاساداى
Tasaday Culture

على ضوء النمـوذج الذى تتكون منه الثقافة المعاصرة، يمكن أن نصف أسلوب الحياة عند جماعة «التاساداى» على النحو الاتى :

١ ـ التوافق مع البيئة Adaptation to the Environment

حياة التاساداى فى الادغال قريبا من قنوات أتاحت لهم صيد الاسماك والضفادع بأيديهم، وكـذلك جمع الفواكه والجذور الدرنية دون جهد كبير. ولم يكونوا يحتاجون لأكثر من عصى سميكة ينقبون بها الأرض بحثا عن جذور بعض النباتات الدرنية، ومكشطة من الحجر لقطع أشجار البامبو وإعدادها لمتطلباتهم، هذا بالاضافة إلى فأس من الحجارة لقطع الأخشاب. وكانوا يلجأون الى الكهوف يعتصمون بها من التقلبات الجوية، والحيوانات الضارية.

٢ ـ حفظ النظام والدفاع Order – Keeping and Defense

إن جماعة صغيرة لا تتجاوز أربعة وعشرين فردا، وتعيش فى عزلة تامة لم تكن تحتاج إلا الى القليل من التنظيم الرسمى، كما أنها لم تكن بحاجة الى أسلحة. وكان الكبار يتخذون القرارات بالتشاور فيما بينهم. ولم يكن يوجد تقسيم للعمل، فالرجال والنساء يشتركون فى جمع وتهيئة الطعام ورعاية الأطفال. ولعدم وجود أخطار تتهددهم، فقد خلا قاموسهم من كلمات مثل الحرب أو القتال، ولم تعد الالات التى كانوا يستخدمونها لدفاع أو عدوان، فالفؤوس الحجرية لم تكن تستخدم الا لقطع الاخشاب، ولم يحدث أن استخدموها لالحاق الأذى بأحد.

٣ ـ استمرار الانجاب Orderly reproduction

كانت مشكلة استمـرار الانجـاب من أهم المشكـلات التى واجهت بقاء جماعة التاساداى. فلم يكن يوجد سوى عدد قليل من النساء. وبرغم قلة عددهن كن عرضة للمـوت أثنـاء الوضع. وفقدت هذه الجماعة اتصالاتها بجماعتين صغيرتين كانت قد تبادلت معهما بعض النساء فى الماضى، وكان عضو جماعة التاساداى الذى لا يجد عروسا له، يختفى ويبرح المكان.

٤ ـ التطبيع الاجتماعى Socialization

فى مثل هذه الثقافة الشديدة البساطة لم يكن يوجد كثير يمكن تعلمه أو انتقاله من الأباء الى الأبناء وكان الرجال والنساء يشرفون على تربية الاطفال ورعايتهم، ويحيطونهم بعطف وحنان شديدين.

٥ ـ نظام المعتقدات Belief System

كما فى معظم المجتمعات، لم يكن مجتمع التاساداى يخلو من مجموعة من المعتقدات عن الحياة والموت، والأحلام والأخطار، كما كانوا يعتقدون بفكرة «واهب التاسادای الأعظم» وبأرواح أسلافهم. الأمر الذى كان له تأثير كبير على حياتهم واستقرارهم. فقد كانوا يعتقدون بأن أرواح أسلافهم تأمرهم بعدم مبارحة أماكنهم ومساكنهم، وأن المرض سوف يفتك بهم إذا غادروا أماكنهم. وأن واهب الحظ الاعظم سوف يزورهم ماداموا لا يبرحون.

الدروس المستفادة من التاسادای The Lessons of The Tasaday

ما الذى يمكن أن نتعلمه من هذه الجماعة الصغيرة التى تختلف حياتها اختلافا كبيرا عن حياتنا؟

يعتقد عديد من الانثربولوجيين أن ثقافة التاسادای تشبه الثقافة التى كانت موجودة لدى الجماعات الانسانية الأولى. فدراسة هذه الجاعة تتيح لنا معرفة ما كان سائدا لدى الناس الذين عاشوا منذ ما يقرب من مائة ألف سنة، فى الحقبة التى كانت تعرف باسم «العصر الحجرى».

فاذا كان الامر كذلك، فاننا نستطيع أن نقول أن بعض أجدادنا كانوا على الأقل عطوفين مسالمين كرماء، يرعون الصغار، وأنهم لا يعرفون الصراع من أجل البقاء، فحاجاتهم كانوا يحصلون عليها فى سهولة ويسر فى ساعات قليلة من النهار. ولم تكن لديهم رغبة فى التملك أو العدوان. فعندما أتيحت لهم الآلات المعدنية لم يحرصوا على تملك كثير منها. كما لم تكن توجد لديهم الرغبة فى السيطرة، ولم يظهر التنافس إلا عندما شحت الموارد. ونخلص من هذا، الى أن الطبيعة الانسانية خيرة متعاونة غنية بالقدرات والامكانات التى تتطلبها المواقف المختلفة.

درس آخر هام نستخلصه من هذه الجماعة، وهو أنهم أوجدوا قواعد واضحة فيما يتعلق بالزواج. فالرجل غير المتزوج لا يمكن أن يشارك المتزوج زوجته أو يطمع فيها، لأن ذلك سوف يلحق الاختلال بالنظام الاجتماعى. ويظل غير المتزوجين على حرمانهم الجنسى لأن ذلك هو طريق الجماعة. فالثقافة وحدها هى التى تشكل السلوك الانسانى، وليست الدوافع البيولوجية. وإن هذا لأحرى أن يصدق على مجتمعاتنا أكثر

من صدقه بالنسبة لهذه الجماعة التى عاشت فى ثقافة زمن موغل فى القدم. لقد أدركت جماعة التاسادای أن بقاءها يتوقف على التحكم التام فى الدوافع والرغبات.

ومن المهم تماما، ألا نصف جماعة التاسادای بأنها غير متطورة أو أنها أقل منا. فكل الجماعات الانسانية تتكون من أفراد من النوع نفسه «الانسان العاقل» ولكن ما يميز جماعة عن أخرى هو فقط الاختلاف فى مكونات الثقافة. فجماعة التاسادای كانت تظلهم ثقافة العصر الحجرى فيما يتعلق بالنظم الاجتماعية وما يستخدمونه من أدوات، تماما كما تظلنا نحن ثقافة القرن العشرين بنظمها وتقنيتها. وقد يبدو للبعض، انبهارا بمنجزاتنا الهائلة، أننا أكثر ذكاء، وواقع الأمر ليس كذلك، فإننا نقف على اكتاف عمالقة بمعنى أن لدينا كل منجزات العصور السابقة التى نبنى ونشيد فوقها. والحق، أن ما لدى أفراد جماعة التاسادای من عواطف نحو أعضاء جماعتهم، ونحو أطفالهم بشكل خاص، لأرقى بكثير مما نجده لدى عديد من المجتمعات.

من البساطة الى التعقيد From Simple to Complex

كثيرا ما وصفت جماعة التاسادای والجماعات المشابهة لها بأنها «بدائية» أو «غير متحضرة» أو «غير مثقفة» وهذه كلها أوصاف تفتقر الى الدقة، تماما كما نقول: إن جماعة معينة ليس لديها قيم. فكل جماعة لديها قيمها، قد تختلف هذه القيم أو تتباين، ولكنها توجد على أية الاحوال. وقد رأينا أن جماعة التاسادای لها ثقافة، وإن كانت تختلف عن ثقافتنا، فهى أكثر بساطة.

وبصدد تطور الثقافات، يمكن القول، إن الثقافة (وكذلك النظم الاجتماعية) تتطور من البساطة إلى التعقيد. تسير فى خط، بدايته أكثر الثقافات بساطة وفقا لنمط الاعاشة، حيث يكون الجمع والالتقاط، ثم الصيد، فالرعى، فالبستنة (الزراعة البدائية) فالزراعة، وأخيرا أكثر الثقافات تعقيدا وهى التى تقوم على التصنيع.

وتعد ثقافة التاسادای، أكثر الثقافات التى نعرفها بساطة، فى حين أن الثقافة الاوربية والامريكية هى أكثر الثقافات تعقيدا. ويقاس التعقيد بعديد من الخصائص والسمات المختلفة المتعلقة بالنظم الاجتماعية العائلية والدينية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وكذلك بالمستوى التقنى ونمط الاعاشة.

واذا نظرنا إلى نمط الاعاشة والمستوى التقنى، فإنه يمكن القول، إن المجتمعات المعقدة أكثر رقيا من المجتمعات البسيطة. ولكننا إذا نظرنا الى العلاقات الدينية والعائلية، فإننا نستطيع القول، إن المجتمعات البسيطة أرقى وأفضل من المجتمعات المعقدة. فالمجتمعات الحديثة التى يشكل الانتاج القاعدة الأساسية فيها، تغلب عليها الماديات وتطبع كل نظمها الاجتماعية، وعلاقات أفرادها، وكل مظاهر الحياة الاجتماعية فيها وخاصة كلما كبر حجم هذه المجتمعات وازدادت كثافتها السكانية.

نمط الاعاشة Mode of subsistense

يذهب عديد من علماء الاجتماع إلى أن التعقد الثقافى يمكن أن يصنف وفقا لنمط الاعاشة. ويقصد به الطريقة التى تتوافق بها الجماعة مع البيئة التى تعيش فيها.

فمع كل تحول الى قاعدة اقتصادية أعرض يزداد عدد الناس الذين يمكن أعالتهم بطريقة أفضل، وكلما ازدادت الحاجة إلى تقسيم العمل، والتنسيق بين الانشطة المختلفة، وازداد التخصص فى الاعمال، أدى ذلك إلى زيادة الحاجة الى التعليم والتدريب ووجود جماعات من المتخصصين.

فمثلا عندما بدأ الصيد يضاف الى الاقتصاد القائم على الجمع والالتقاط، أصبح بعض الافراد (خاصة الشباب الذكور) صيادين مهرة، وتركوا للنساء عملية الجمع والالتقاط. ويتطلب الصيد أدوات جديدة كالرماح والاقواس والسهام، وأيضا تقنية لاعدادها واستخدامها بفاعلية فإذا وقع صيد، فالجلود تسلخ، واللحم يطهى، بل قد يخزن، ويستخدم بقية الصيد من جلود وعظام وحوافر وقرون فى صنع أدوات مختلفة. وكل ذلك يتطلب أنواعا جديدة من المعرفة والمقدرة الجمعية للجماعة ككل.

وأضاف الرعى أنواعا أخرى من التخصصات كالعناية بالحيوانات وتربيتها. كما تطلبت البستنة بعض المعارف عن الاشجار والنباتات والحصاد وكل نظام من هذه النظم أكثر تعقيدا من سابقه.

وما أن بدأ الانسان فى الاستقرار على نطاق أوسع وأكثر ديمومة، حتى تعددت الالات وتنوعت، وكثرت الانشطة وتباينت، واخترعت أدوات جديدة أو استعيرت من ثقافات أخرى، كما حدث بالنسبة لصناعة الغزل والسلال والقدور على سبيل المثال.

ويعد اكتشاف الزراعة علامة مميزة، ونقطة تحول عظيمة فى التطور الثقافى والاجتماعى. فالزراعة تختلف عن البستنة فى أنها أكثر تنظيما، فبدلا من الاعتماد على البذور المتساقطة ومراقبة نموها، كما هو الحال فى البستنة، قامت الزراعة على أخذ الحبوب والبذور، ووضعها فى أماكن معدة من الارض، وتعهدها بالرعاية حتى تنضج، فيتم حصادها. ويأخذ الزراع حاجتهم منها ويخزنون الباقى. وقد أدى هذا الفائض من المحاصيل الى توافقات جمعية جديدة. فقد أدى مثلا الى الاتجار مع الجماعات الاخرى، والى السفر والترحال فى سبيل ذلك، الأمر الذى أحدث أنواعا من الاحتكاك والاتصال الثقافى بجماعات أخرى، واستئناس حيوانات لتيسر سبيل هذا الانتقال. كما أن هذا الفائض قد اضطر المزارعين للتفكير فى طرق حفظ الحبوب وما ترتب على ذلك من صناعات، وكذلك التفكير فى كيفية احصائها ومعرفة قدرها، ويعد ذلك الأصل فى نشأة الكتابة وظهور الأرقام كوسيلة لمعرفة ما يمتلكه أو ينتجه كل فرد أو جماعة.

ومنذ وقت لا يبعد بأكثر من مائة وخمسين عاما تقريبا حدث تغير ثورى فى نمط الاعاشة، وهو ما اطلق عليه اسم «الثورة الصناعية» فقد غيرت المصانع التى شيدت لانتاج السلع المختلفة، تغييرا جذريا القاعدة التى تقوم عليها الثقافة والبناء الاجتماعى لمعظم المجتمعات فى أنحاء العالم المختلفة.

أنواع المجتمعات Types of Societies

لن نستخدم فى عرضنا لتطور المجتمعات مصطلحات تتضمن أحكاما قيمية مثل: بدائية أو غير متحضرة، ولكننا سوف نستخدم بدلا من ذلك المصطلحات الآتية:

١ - **المجتمعات البسيطة** : وهى المجتمعات السابقة على الثورة الزراعية والسابقة على الكتابة، فلا توجد لها لغة مكتوبة.

٢ - **المجتمعات الزراعية** : وهى المجتمعات التى تركت سجلات وتاريخا مكتوبا، وهذا ما لم تفعله المجتمعات السابقة، بالرغم من أنها قد أوجدت لغات وخلقت تقاليدا ومع ذلك فهى لم تدون كتابة.

٣ - **المجتمعات الحديثة** : وهى التى أدخلت الصناعة، وأصبحت الصناعة والتكنولوجيا المتقدمة صفة دالة عليها وعلامة لها، وحتى فيما يتعلق بالأنشطة

الزراعية، فقد دخلتها أيضا الميكنة.

وتعد هذه الأنماط الثلاثة من المجتمعات معاصرة، بمعنى أنها توجد فى عالم اليوم فى أماكن متفرقة من العالم, بل إن بلدا واحدا كالولايات المتحدة بالاضافة الى أنه بلد صناعى، يضم أيضا مجتمعات تقوم على الرعى والزراعة.

أهميـة الثقافـة
The Importance of Culture

تشير الثقافة إلى كل ما تعلمه وأبدعه أفراد الجماعات الانسانية منذ ثلاثة ملايين سنة على الاقل. والثقافة فى معظمها نتاج محاولات التوافق مع البيئة التى يعيش فيها الانسان.

وتعد اللغة من أعظم المنح التى خص الله سبحانه وتعالى بها الانسان، وهى ترتبط بطبيعة الحال بالتكوين المعقد للعقل وجهاز الصوت والأحبال الصوتية المرنة.

والثقافة مكتسبه يتعلمها الطفل منذ ولادته، ولعل من حكمة الله سبحانه وتعالى وتدبيره أن يولد الأطفال ولم يتهيأوا كغيرهم من المخلوقات لاستقبال الحياة والتفاعل معها. ولكنهم يولدون لا حول لهم ولا قوة معتمدين على الآخرين لاطعامهم ورعايتهم لسنوات طوال حتى يعتمدوا على أنفسهم. وهنا يكمن مفتاح الحياة الاجتماعية: وهو ضرورة وجود جماعة إنسانية قادرة على رعاية الصغار المعتمدين عليهم، لأنهم لا يستطيعون رعاية أنفسهم. وهنا يكون المدخل إلى الثقافة، فهذه الجماعة التى يعتمد عليها الطفل من أولى وسائط نقل ثقافة المجتمع إليه. وتدريجيا، ومع نمو اللغة والسيطرة عليها، والقدرة على استخدامها للمشاركة فى تبادل الخبرات، يتصل النشىء بالمعارف المختلفة الحالية ويستوعبها فلا يحتاج كل جيل لأن يبدأ من جديد، ويدور مع العجلة من أولها.

كل ذلك عن طريق استخدام العقل، ولضخامة الامانة وعظم المسئولية التى يحملها الانسان، فان المخ الانسانى يختلف عن مخ أى كائن آخر، كما أنه أكثر تعقيدا، ويحتوى على عدد أكبر من التعاريج والعقد، والاجزاء الأخرى المتخصصة. والعقل

الانسانى هو المسئول عن كل أفعالنا وتصرفاتنا. ويقوم وسيطا بين الدوافع الفطرية، ومقتضيات الثقافة بكل ما تضمه من قيم ومعايير. فالله جلت قدرته قد وهبنا العقل ووضح لنا معالم الطريق، وبين لنا الخير والشر، فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلا. وهكذا يمكن القول: ان السلوك الانسانى يوجه بالعقل الانسانى.

فالتقدم والتطور الانسانى، ووجود ثقافة يعيش فى ظلها الفرد كل ذلك جعل الانسان يتحكم فى سلوكه الغريزى، فيكبحه إذا خالف المعايير والقيم السائدة، ويفضل السلوك المنبثق عن العقل والتفكير. إن النشاط الانسانى لم يعد يوجه بالغريزة. الا فى أقل القليل منه. هذا إذا عرفنا الغريزة بأنها استجابة آلية لبعض القوى التى تنبع من داخل الجسم، كما يوضح ذلك النموذج الكلاسيكى التالى:

انبعاث حافز / فعل

فى هذا النموذج نجد حافزا، أو استثارة عميقة تنبعث من داخل الجسم نتيجة الحاجة إلى شىء حيوى لبقاء الكائن الحى كالطعام أو الشراب ويؤدى إشباع الحاجة المستثارة بفعل معين كتناول الطعام إلى خفض التوتر الناتج عن ظهور هذه الحاجة. ويتم ذلك فى سلسلة من السلوك لا تنفصل حلقاتها. هذا بالنسبة لجميع الكائنات الحية فيما عدا الانسان.

أما فيما يتعلق بالانسان فان الأمر يختلف، فتتابع الحلقات لا يكون على النحو السابق، وانما يكون كما يلى: ينبعث الحافز، فيثير توترا، يحتاج استبعاده الى فعل من الأفعال. وهنا يتخلل التفكير هذه السلسلة. بعرض كل من التوتر والفعل على العقل الذى يفسر ويختار.

إن عقولنا البالغة التعقيد، تتيح لنا السيطرة على سلوكنا، بدلا من أن يكون هذا السلوك مدفوعا باستجابات آلية. إن الانسان يستطيع أن يتعرف على حالته الجسمية، أى يعرف ما يستثار بداخله ومتى يحدث ذلك ويستطيع أن يختار من بين أنواع السلوك المختلفة، السلوك المقبول والمسموح به والذى يشبع حاجته ويخفض توتره، وذلك كما يتضح فى النموذج الاتى:

انبعاث حافز ← انعكاسه على العقل ← فعل

إن هذا الانعكاس على العقل هو الذى يسمح لنا برؤية أنفسنا موضوعا للعقل

وهدفا له فى نفس الوقت. وهذه القدرة هى التى تميز الانسان عن الحيوان. لاحظ فى هذا النموذج، أن انعكاسات العقل تؤثر فى كل من الجانبين.

كيف يمكن تفسير انبعاث حافز لدى فرد معين، والعمل الذى يقوم به لاشباع الحاجة الناشئة عن هذا الحافز؟ تقلصات الجوع مثلا، هى استجابة جسمية عامة لمعدة خاوية، ولكن كيف يسجل المخ ويفسر هذه الاشارات؟ إن ذلك يتوقف على مواعيد تناول الطعام، والمعانى المرتبطة به. فإذا كان الشخص قد اعتاد تناول الطعام ثلاث مرات فى اليوم، فإنه يميل إلى التعرف على الجوع ثلاث مرات فى اليوم. وإذا كان قد اعتاد أكلة واحدة، فسوف يتعرف على الجوع مرة واحدة. والانسان الصائم قد ينظر الى أنين معدته الخاوية كعلامة على قوة إيمانه. وأما مريض السكر، فقد يتجاهل هذه الاشارات بقدر الامكان.

وإن سلوك الشخص ازاء إحساسه بالجوع ليختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر، أو من موقف الى موقف آخر داخل المجتمع. فالمسلم إذا شعر بالجوع وكان فى أوربا أو أمريكا مثلا، فإنه لن يتناول أى طعام، وإنما سينتقى، فقد يكون فى الطعام المعروض لحم خنزير أو خمر، أو قد يكون الحساء الشهى الذى أمامه من أجزاء من الضفادع. ومعنى هذا، أن استجابة الشخص للجوع تختلف باختلاف الموقف وفكرتنا عن أنفسنا.

إن هذه القدرات الابداعية والانتقائية النشطة التى اتاحها لنا العقل، هى أهم ملامح إنسانيتنا. فالانسان وحده دون سائر المخلوقات هو الذى اختصه الله بهذه النعمة، ومن ثم يعتبر أقلها فيما يتعلق بتحكم واستبداد الغرائز. وإن شئنا الدقة، فإن هذه المرونة وتلك الاستجابات المتنوعة، هى التى أتاحت تقدم الانسان وتطوره عبر ملايين السنين. إننا وحدنا الذين نستطيع إيجاد القواعد التي تحكم سلوكنا، ونتفق على ما نستطيع وما لا نستطيع عمله في الجماعة التي نعيش فيها، وأن نغير بعضها عندما تقتضى الضرورة ذلك، بشرط ألا تتعارض مع التعاليم الدينية. إن هذه المرونة هي التي تعطى للجنس البشرى ميزة التقدم والتطور.

إن عقولنا يمكن أن تتغلب على ما بأجسامنا من قصور، وعلى ما تستشيره هذه الأجسام من حوافز، فنزيد من إمكانات أجسامنا، ونضع القواعد التى تنظم معيشتنا،

وبذلك تتشكل الثقافة المادية وغير المادية.

لقد ظهرت عديد من الدراسات والكتابات حول العلاقة بين الثقافة والمجتمع. ومن أوائلها ما قدمه لنا الأنثربولوجى «كلوكههن (Lyde Klukhohn)» وزميله عالم النفس «هنرى ميراى Henry Murray» ويمكن تلخيص أرائهما فى العبارات الموجزة التالية:

يمكن القول بمعنى من المعانى: «ان كل الناس متشابهون» كما يمكن القول بمعنى آخر: «ان بعض الناس يشبه بعضهم بعضا» كما انه يمكن القول: «لايوجد شخص يشبه شخصا آخر» (مقتبسه من أقوالهما عام ١٩٤٨).

معنى هـذا:

١ - ان طبيعتنا البشرية العامة تجعلنا متشابهين فى حاجات وقدرات معينة. وأى مجتمع يجب أن يتعامل مع حاجات انسانية أساسية يؤدى اشباعها الى انماط عريضة من السلوك تشكل فى نهاية الأمر النظم الاجتماعية لهذا المجتمع كالنظام العائلى والاقتصادى ... الخ.

٢ - ولكن، بما أن كل مجتمع يتطور بطريقة تختلف عن غيره من المجتمعات، فسوف يتشابه أفراد مجتمع معين فى بعض الصفات نتيجة ما يمرون به من خبرات مشتركة. أما المجتمع الآخر، فان أفراده سينمون صفات مختلفة وفق الخبرات السائدة فى مجتمعهم هم، والتى تختلف عن الخبرات السائدة فى المجتمع الأول. وهذا يفسر الاختلاف فى العادات والتقاليد وأنماط الشخصية بين المجتمعات المختلفة.

٣ - ومع ذلك، ففى داخل المجتمع الواحد، بل داخل جماعة واحدة كالأسرة، نرى كل عضو يمر بخبرات تختلف عن العضو الآخر، ومن ثم ينمى كل فرد نمطا فريدا متميزا، ويرجع ذلك لاستجابته الفردية المتميزة لما تحفل به الحياة من أحداث.

والمحصلة النهائية للنمو فى مجتمع معين، وفى أسرة معينة، هى شخص يستطيع أن يتوافق مع متطلبات هذه الجماعة وذاك المجتمع. ولكنه يظل شخصية متميزة، ويعد هذا الاختلاف والتباين ضروريا لمعيشة الانسان وبقاء المجتمع.

دراســة الثقافــة
Studyin Culture

يمكن القول بوجه عام، ان الانثربولوجيين يدرسون الثقافات البسيطة أو السابقة على الكتابة، فى حين يدرس علماء الاجتماع الثقافات والمجتمعات الحديثة. ويستخدم كل منهما مناهج متشابهة. ولكنهم يختلفون أول ما يختلفون فى الطرق التى يتبعها كل منهما. فالانثـريولـوجيون يعتمـدون على الـدراسـات الحقلية للجماعة التى يقومون بدراستها، ويفضلون استخدام الملاحظة بالمشاركة. ويتعلم الانثربولوجى الحديث لغة الجماعة التى يقوم بدراستها، ويدرب على ملاحظة كل ما يراه من سلوك، وغالبا ما يستخدم فى دراسته مرشدين محليين كمصدر للمعلومات. أما الانثربولوجى المعاصر فلابد أولا وقبل كل شىء، أن يعيش وسط الناس الذين يقوم بدراستهم، وأن يتعرف على طريقتهم فى الحياة.

ويستخدم علماء الاجتماع الطرق المختلفة التى أشرنا إليها فى الفصل السابق لجمع المادة العلمية عن المجتمعات الأكثر تعقيدا نسبيا، أوعن جماعات معينة داخل مجتمع معـين. واستنادا الى هذه المادة العلمية يستطيع عالم الاجتماع أن يتحدث عن أنماط السلوك والقيم والمعتقـدات السـائـدة. ولكن وصف الثقافة ليس عملا سهلا، لأن الثقافة شىء مجرد، ومعظم عناصرها لا يمكن لمسها، ولكنها ينبغى أن تستخلص مما يفعله الناس، وما يقولون أنهم يفعلونه.

وفى عام ١٩٥٢م قارن «كوكههن» و «كروبر» و« Kluckhohn and Kroeber » وصف الثقافة بعمل خريطة ويقولان:

«ان الخريطة ليست قطعة مجسدة من الأرض، بقدر ما هى وصف مجرد لمنطقة معينة. فإذا كانت الخريطة واضحة، ويسهل قرائتها، فإن الانسان لن يضل طريقه. وبالمثل، فإن الثقافة إذا صورت وحـددت بدقة، فإن الانسان سوف يتعرف على ما يوجد من ملامح متميزة للطرق التى يسلكها الناس فى حياتهم، وعلى ما يوجد بينهم من علاقات متبادلة» ص ٥٥٠.

وإن النقاط الأساسية التى نود أن تقر فى الاذهان فيما يتعلق بالثقافة هى:

١ - أن الثقافة تنمو عبر الزمن، ويتوقف ذلك على التاريخ المعين للجماعة.
٢ - أن الثقافة مكتسبة، وتنتقل من جيل الى آخر.

٣ـ أن الثقافة مفهومة ويشارك فيها أفراد المجتمع المعين.
٤ـ أن ثقافة أى جماعة تتكون من عديد من العناصر التى تشكل كلا موحدا. أى أنه يوجد ميل لأن تعمل سمات الثقافة وأنماطها المختلفة باتساق بعضها مع بعض. وهذا هو ما نطلق عليه اصطلاح «التكامل الثقافى».
٥ـ أنه لابد من التمييز بين العناصر المثالية والعناصر الواقعية من الثقافة. ولا تتجسد الثقافة المثالية تجسدا تاما الا فى قلة قليلة من الأفراد. كما أن المجتمعات نادرا ما تسلك كما ينبغى لها أن تسلك.
٦ـ أن الثقافة يمكن أن تمارس بطرق عديدة متباينة فلا نتوقع أن يسلك جميع أفراد الجماعة بنفس الطريقة، أو أن يشاركوا بشكل واحد فى حياة الجماعة، فالناس تختلف وتتباين، منهم الكبار ومنهم الصغار، ومنهم الرجال ومنهم النساء.

وكما يحيط الماء بالسمك الذى يوجد فى اناء زجاجى، فكذلك الثقافة، تحيط الناس من كل جانب، بكل ما تتضمنه هذه الثقافة من معتقدات وقيم وقواعد تحكم سلوكنا، ومعارف تمتلىء بها عقولنا، ولغة نعبر بها عن أنفسنا. وقد جعلنا عنوان هذا الفصل «السياق الثقافى» بدلا من الثقافة، لأنه أكثر تعبيرا عن المعنى الذى نريده، وهو أستغراق الثقافة لكل الافعال الاجتماعية. فالثقافة هنا بمثابة نسيج يضم خيوطا متشابكة معا تؤلف كلا متكاملا، هو طريقة حياة أية جماعة إنسانية، ويمكن أن توحى كلمة «النسيج الثقافى» بهذا المعنى.

وعندما نتكلم عن ثقافة مجتمع من المجتمعات، فإنا نستطيع أن نتعرض لجميع العناصر البنائية المتعلقة بالنظم الاجتماعية التى يشترك فيها جميع أفراد المجتمع، أو نعرض لسمات خاصة منتقاة، أو نصف أنماطا عريضة تضم عديدا من السمات.

العموميات الثقافية والمغيرات الثقافية

Culturals Universals and Cultural Variabilities

إلى أى مدى يمكن ان تتشابه الثقافات؟ وإلى أى مدى تكون ثقافة كل مجتمع ثقافة متفردة؟ يمكن القول بوجه عام، إنه لكون الثقافة نتاج أناس لهم جميعا حاجات أساسية وقدرات عامة، ولكون كل مجتمع يواجه مشكلات تتعلق ببقاء أفراده وجماعاته،

فإنـه توجد بعض عناصر مشتركة بين جميع الثقافات. وهذا هو ما يطلق عليه اسم «العموميات الثقافية».

فالنظم الاجتماعية عامة، لأن المجتمعات التى تفشل فى ايجاد أنماط فعالة للتوافق مع البيئة، والمحافظة على النظام، وانجاب أفراد جدد، وتعليمهم و تدريبهم، واعتناق دين أو نظام من المعتقدات، تنحل وتندثر. وهكذا يوجد فى كل مجتمع مجموعة من القـواعـد وأنـماط السلوك تتجسـد فى النظم الدينية والعائلية والاقتصادية والسياسية والتربوية. وبالاضافة الى ذلك، وجد علماء الانثربولوجيا عشرات من الظواهر التى توجد فى جميع الثقافات المعروفة وذلك مثل تحريم أنواع معينة من الزواج، وأنواع من الأطعمة، كما توجد ممارسات خاصة بالسحر، واتخاذ الزينة وخاصة بالنسبة للنساء، وكـذلـك توجد طقوس خاصة بالموت، والممارسات الطبية، وغير ذلك كثير (ميردوك Murdock ١٩٤٥).

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن كل مجتمع يختلف عن غيره من المجتمعات فى بعض المـلامـح الثقافية المتفردة. وذلك بسبب تاريخه وموقعه الجغرافى، ومحاولاته وأخطائه غير النمطية من أجل البقاء والوحدة. وإذا كانت النظم الاجتماعية واحدة، فإن شكل ومكونات هذه النظم يختلف، فنجد لكل مجتمع على سبيل المثال، نظامه الاقتصادى الخاص، وطقوسه المعينة فى المناسبات الهامة كالزواج والولادة والموت.

إن كل جماعة تختار وتوطد ما يناسبهامن أنماط ثقافية وقواعد تحكم سلوك أفرادها وغير ذلك. وهذا هو ما يطلق عليه اسم «المتغيرات الثقافية» وتضم تلك المتغيرات الثقافية كثيرا من العادات والمعتقدات والحرف والصناعات، وكل ما أبدعه الانسان من حيث هو كائن مفكر.

وفى إطـار التصـور الانسـانى، والقـدرات الانسانية، استنبط الناس عديدا من الحلول لمواجهة متطلبات البقاء. فلا يمكن لأية جماعة أن تعيش وأن تستمر فى الحياة عبر الزمن، دون تنظيم يكفل استمرار وجودها بإنجاب أفراد جدد. ومن هنا وجدت القواعد التى تنظم الزواج فى جميع المجتمعات المعروفة، ولكن هذه القواعد تختلف من مجتمع الى مجتمع آخر.

أسس الثقافــة
The Basis of Culture

الرموز واللغة Symbols and Language

تعد القدرة على استخدام الرموز، من أهم عوامل تطور وتقدم العقل الانسانى. وتشير الكلمة اليونانية Symbola الى نصفين لشىء، يحتفظ أحد الاشخاص بنصفه، ويحتفظ الثاني بالنصف الآخر ليتذكرا أنهما قد ارتبطا سويا بعقد أو بعهد، فالكلمة إذن تشير إلى معنى. هذا المعنى يحدده الناس ويتفقون عليه.

إن الرمز بمفرده لا يكون له معنى فى حد ذاته، ولكن الناس هم الذين يتفقون على المعنى الذى يضفونه عليه. مثال ذلك نجمة داود فإنها ترمز إلى اليهودية، والصليب يرمز الى المسيحية، كما يرمز الهلال والنجوم إلى الاسلام. إن حروف أية لغة من اللغات هى مجموعة من الرموز لا معنى لها بمفردها، ولكن الناس بتفاعلهم و اتصالهم يربطون بين هذه الرموز وبين معان معينة.

وتستطيع الحيوانات تعلم معنى إشارات خاصة، ويمكن لبعضها أن يتعرف على أسمه عند مناداته به، وغير ذلك مما نشاهده فى ألعاب السيرك المختلفة. ومع هذا، فإن تلك القدرة محدودة إذا قورنت بالطفل الانسانى الذي يستطيع استيعاب مئات من الرموز، كما يستطيع إبداع المعانى الجديدة والوصول بنفسه إلى كثير من التصورات، وتشكل هذه القدرة الانسانية على إبداع الرمز وتداوله، أساس الثقافة بكل مكوناتها.

وكـذلك أتاح نمو العقل وتطوره، الاستجابة لعديد من الرموز والأفعال. هذا، بالاضـافـة الى نمو الأحبال الصوتية، ومناطق المخ المختلفة، الذى يسر التحكم فى اللغة. فالاحبال الصوتية ومناطق المخ المسئولة عن الكلام تنمو وتتطور بطريقة صاعدة أو حلزونية. بالاضافة إلى ما يحدث من تغيرات فسيولوجية أخرى تجعل للناس هذه الصفة المميزة وتيسر اتصال كل منهم بالآخر. وقد أدى التركيب المعقد للمخ، مع توفر القـدرة على الكلام، إلى ظهور اللغة التى تعد أهم عامل فى نمو الثقافة. وكما قال «واشبورن Washbun » عام ١٩٧٨م «إن النظم الاجتماعية الانسانية تتكون كلها عن طريق اللغة، وقد يكون هذا هو السبب فى عدم وجود صور من السلوك بين الكائنات غير الانسانية فيما يتعلق بجوانب سياسية أو حتى اقتصادية» ص ٢٠٨.

الاتصال غير اللفظى Nonverbal Communcation

لا تتم جميع الاتصالات عن طريق اللغة، فالاشارات وتعبيرات الوجه، وحركات الجسم، كلها وسائل لنقل رسائل بدون كلمات. ويطلق على الدراسة التى تتناول الاتصال غير اللفظى اسم «لغة الاشارات Kinesics» (Birdwhistle, 1970) وهى مثلها مثل الاتصالات اللفظية المنطوقة، تتطلب معرفة بالثقافة التى تتم فيها حتى يمكن تفسيرها تفسيرا صحيحا. فقد تكون لبعض الاشارات فى مجتمعات معينة، معان مختلفة تماما عن معناها لدى مجتمعات أخرى. فى حين نجد اشارات أخرى أكثر عمومية. فالابتسامة مثلا، تحمل نفس الرسالة فى أية ثقافة من الثقافات. ويمكن أن تكون لنفس الاشارة معان مختلفة داخل المجتمع نفسه، ويتوقف ذلك على السياق الذى تحدث فيه. فتحية جندى لضابط على الطريقة العسكرية، اشارة الى الاحترام فى حين يكون أداؤها لأحد الوالدين، إشارة الى الاستخفاف. فالاشارات التى تكون مناسبة فى موقف معين، قد لا ينظر اليها كذلك فى موقف آخر. فشعار «قبضة اليد السوداء» التى ترمز الى قوة أفريقيا السوداء، والتى كانت شعار الرياضيين الافارقة، أحسوا عندما رفعوها فى أوليمبياد ١٩٦٨م أنها غير مناسبة، لأنها يمكن أن تؤخذ على أنها احتجاج على سياسة التفرقة العنصرية التى تنتهجها الولايات المتحدة الامريكية.

وقد ذكر «ادوارد هال dward Hall» فى كتابة اللغة الصامتة عام ١٩٥٩ «The Silent Language» أن المسافة التى تفصل بين شخصين يتحدث أحدهما الى الآخر، لها دلالة فى عديد من الثقافات. فقرب المسافة أو بعدها، غالبا ما يكون له دلاله معينة، قد تكون الاحترام عندما تكون المسافة كبيرة، وقد تكون الخصوصية عندما يكون الرأسان متلاصقين. وقد ركزت دراسات حديثة اهتمامها على الرسائل الخفية المتعلقة بالقوة والقيمة الاجتماعية التى تتضمنها الاشارات الجسمية كرفع اليد بالتحية مثلا. فالكبير يبادر الصغير برفع اليد بالتحية، والأكبر مقاما يبادر الاصغر مقاما بهذه التحية، والرجل يبادر المرأة وهكذا (Thorne and Henley, 1975)

اللغة والادراك الحسى Language and Perception

لا تعكس اللغة والاتصالات غير اللفظية وحدهما، القيم والمعايير والعلاقات الاجتماعية السائدة فى ثقافة معينة، لأنه يوجد بالاضافة الى هذا، الادراك البنائى.

ويقصد بذلك أن الفرد فى أى مجتمع، يرى ويفسر ويفهم العالم من خلال ثقافته كما تتجسد فى اللغة التى يتحدثها.

وقد نوقشت هذه النظرية القائلة بأن اللغة تشكل صور ومحتوى أفكار الشخص، مناقشة مستفيضة من قبل عالمى اللغويات «ادوارد سابير» و «بنيامين وورف» dwardSapir and Benjamin Whorf » فيما عرف باسم «فروض سابير- وورف» قالا: «إن الناس لا يعيشون فى عالم من الموضوعات فقط، ولكنهم يكونون تحت رحمة اللغة التى يتحدثون بها، فاللغة هى الوسيط للتعبير عن مجتمعهم.

إن «العالم الحقيقى» قد بنى لا شعوريا إلى حد كبير، على العادات التى تكمن فى لغة الجماعة. ولا توجد لغتان تتشابهان إلى الدرجة التى تعبران فيها عن واقع اجتماعى واحد. إن العوالم التى تعيش فيها مجتمعات مختلفة، هى عوالم متميزة. إنها ليست مجرد عالم واحد يحمل أسماء مختلفة (Sabir, 1949).

لقد استقى هذان العالمان فروضهما، من دراسة الطريقة التى يدرك بها أفراد من مجتمعات مختلفة، بعض الظواهر الأساسية كالزمن والمسافة واللون. وذكر «وورف» على سبيل المثال، أن قبائل «الهوبى» الهندية، التى تقطن جنوب غربى الولايات المتحدة، لا توجد فى لغتها ألفاظ تحمل معنى الزمن: الحاضر أو الماضى أو المستقبل، وذلك لأن طريقة حياة الهوبى لازمنية. ومن هنا، فإن إحساسهم بالزمن مختلف تماما عن إحساس سكان شمال أمريكا، الذين لديهم وسواس فيما يتعلق بالوقت. وإن هذا النوع من التمييز مألوف لمشاهدى أفلام رعاة البقر، ولا شك أنهم يذكرون أن هؤلاء الهنود يقيسون المسافة بالزمن: كم تبعد أقرب مدينة ياماكس؟ فيجيب «ماكس»: انها تبعد قمرين يا سيدى».

كما تفيد اللغة ايضا فى فهم مظاهر البيئة التى تلعب دورا أساسيا فى حياة الجماعة. فنجد لدى «الاسكيمو» عشرات الاسماء للثلج، يعبر كل منها عن نوع مختلف منه. وكذلك نجد عند العرب عشرات الأسماء للجمل أو الحصان، يعبر كل اسم منها عن نوع مختلف. ويهتم شباب مادون العشرين فى أمريكا، بموديلات السيارات وسنوات صنعها لأن هذه مسألة سمعة بين الشباب الذكور الامريكيين، ومن الضرورى أن يكونوا على بينة من مثل هذه الأمور. ان كلمة واحدة يمكن أن تكفى للتعبير عن كل

المركبات التى تسير على أربع عجلات، تماما كما أن لدينا إسما واحدا هو «الثلج» نعبر به عن كل أنواعه.

وتوجد بعض كلمات تحمل حكما تقويميا، يعبر بعضها عن أشياء طيبة ويتضمن بعضها الآخر معان سيئة، كالشورى والديمقراطية والحرية، أو الامبريالية والاستعمار والفاشية. وتستخدم كلمات معينة لاثارة الانفعالات وتشكيل الافكار والاتجاهات، يعرفها المشتغلون بالسياسة.

ولأن أفراد كل مجتمع يتعلمون فهما وتفسيرا معينا عن الواقع الاجتماعى بمنظار اللغة التى يتعلمونها، فإن دراسة الثقافات المختلفة تعد قضية هامة. كما أن هذا هو السبب الذى يكمن وراء ضرورة تعلم الباحثين الانثربولوجيين الحقليين لغة الجماعات التى يقومون بدراستها، ليتسنى لهم رؤية العالم الذى يتحدث هؤلاء الناس لغته. والا فسوف تنسب معان زائفة لأفعال هؤلاء الناس، كما كان يشيع لدى المشتغلين بالدراسات الاجتماعية فى القرن التاسع عشر، وبعض ذلك مازال يتبعه الدارسون السذج حتى اليوم.

التمركز العنصرى والنسبية الثقافية

Ethnocentrism and Cultaral Relativism

يميل كثير من الناس عندما يعقدون مقارنة بين الثقافات المختلفة إلى إصدار أحكام على عادات الآخرين فى ضوء معتقداتهم وقيمهم هم. من هذا القبيل ما يشيع من اعتقاد البعض، أن نهجهم فى الحياة هو النهج الأفضل، وأن أسلوبهم هو الأسلوب الوحيد الصحيح. أو يعتقد البعض أنهم وحدهم «الناس» وأن غيرهم الذين لا يشاركونهم ثقافتهم، ليسوا «أناسا» بل قد ينعتونهم بمختلف النعوت كالخنازير والقردة والكلاب كل ذلك لمجرد أنهم على غير دينهم أو عرقهم أو سلالتهم.

إن التمركز العنصرى هو الاعتقاد بأن ثقافة الفرد هى وحدها الثقافة الصحيحة والطيبة، الأمر الذى يترتب عليه اصدار احكام معيارية سلبية على هذه الثقافات الاخرى.

وتتكون كلمة Ethnocentrism من مقطعين هما Ethno و Centrism ويعنى المقطع

الأول Ethno أى العرق أو العنصر أما المقطع الثانى Centrism فيشير الى التمركز حول، أو الميل الى ويمكن أن يؤدى هذا التمركز العنصرى، عدة وظائف هامة للافراد أو الجماعات التى تأخذ به. فاعتقاد الفرد بصحة معتقداته وسلوكه، يعزز ويدعم ميله للتطابق مع جماعته أو مجتمعه، كما أن التمركز العنصرى ضرورى لتلاحم الجماعة وتماسكها ووحدتها، فيكون بمثابة الصمغ أو الغراء الذى يشد أفراد الجماعة بعضهم الى بعض.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يكون غير وظيفى، ويقلل من القدرة على التوافق الاجتماعى اذا أدى الى الاحساس بالعظمة والفوقية. أو أدى الى الشحناء والتباغض، وسوء الفهم، والى الصراع فى نهاية الأمر. أو أدى الى رفض المتعصبين البحث عن أية قيمة إيجابية فى أسلوب حياة من ليس على شاكلتهم. وكثيرا ما أشعل هذا التمركز العنصرى الصراع بين الجماعات المختلفة. لأننا إذا حكمنا على آخرين بأنهم لا يرقون إلى مستوى البشر فإننا سوف نعاملهم بطريقة تختلف عما نعامل به «الذين مثلنا» كما نجد ذلك بين الصهاينة، وفى جنوب افريقيا، وكذلك فى الولايات المتحدة، حيث يسود الاعتقاد بأن كل من يختلف عنهم دينا أو عنصرا أو سلالة هم أقل منهم.

ويحاول عالم الاجتماع أن يرتفع فوق هذا التمركز العنصرى، وأن يحرص على الملاحظة الموضوعية لجميع الثقافات. فمظاهر الثقافة المختلفة ينبغى أن تقاس فى ضوء المعانى المستمدة من هذا المجتمع والوظائف التى تؤديها له. ويطلق على ذلك الاتجاه اصطلاح «النسبية الثقافية». ويتضمن هذا الاصطلاح محاولة فهم وجهة نظر أفراد المجتمع موضوع الدراسة، بدلا من النظر اليها فى ضوء القيم السائدة فى ثقافات أخرى. أو فى ضوء قيم الباحث نفسه.

ان عالم الاجتماع لا يسأل ما اذا كانت عناصر المجتمع الذى يقوم بدراسته «حسنة» أو «سيئة» على ضوء بعض المفاهيم المطلقة الملتصقة بعقله. ولكنه يتساءل بدلا من ذلك، عن سبب بقاء هذه العناصر وما تؤديه لصالح تلك الجماعة وهذا هو معيار الحكم على عناصر الثقافة.

إن الفرض الأساسى الذى تقوم عليه «النسبية الثقافية» هو أن كل الحلول التى

تتوصل إليها جماعة معينة لمواجهة متطلبات بقائها تعد صادقة، مثلها مثل حلول أية جماعة أخرى، مهما بدت هذه الحلول غير مناسبة من وجهة نظر الباحث أو غيره ممن ينتمى الى مجتمع آخر. وعلى هذا، فإنه يحكم على التوافقات الثقافية، على ضوء الوظائف التى تؤديها للمجتمع المعنى بالدراسة، والتى تساعد على بقائه. وليس على ضوء أية معايير أخرى تشتق من خارج هذا المجتمع.

والواقع أنه يصعب ألا يتأثر باحث اجتماعى بقيم ثقافته عندما يقوم بدراسة مجتمع آخر، ولكن الباحث الاجتماعى يظل واعيا بتحيزاته، وخاصة عندما يضطر لاصدار أحكام قيمية.

الثقافة المثالية والثقافة الواقعية Ideal and Real Culture

يستطيع الملاحظ لأى مجتمع أن يميز بين مثالياته الثقافية، والسلوك الفعلى الذى يمارسه ويتناقله أفراد هذا المجتمع. ونستطيع أن نعرف الثقافة المثالية بأنها تعكس أسمى الفضائل، وأعلى المستويات التى تسود المجتمع. وأما الثقافة الواقعية، فهى تشير الى السلوك الذى يمارسه هذا المجتمع بالفعل. ونستطيع أن نعطى كثيرا من الامثلة من ثقافة عديد من المجتمعات. فثقافة الولايات المتحدة تحفل بالعديد من المثاليات: العدالة، والمساواة، والحرية، والتسامح، والديمقراطية. فى حين أن الواقع الثقافى غير ذلك فى كثير من الحالات. فنجده يسير وفق المصالح والأهواء، مثال ذلك تأييدها لاسرائيل على طول الخط، واستخدامها «الفيتو» ضد أى قرار يستنكر وحشيتها واعتداءاتها المستمرة وطردها للسكان العرب، واحتلالها أراضى الغير بالقوة. هذا بالاضافة إلى المعاملة التى يلقاها المواطنون الأمريكيون الزنوج داخل الملايات المتحدة ذاتها.

وكذلك الأمر بالنسبة للاتحاد السوفيتى، فثقافته المثالية تدعو الى نصرة الشعوب ضد الاستعمار والامبريالية، وحق تقرير المصير، والدفاع عن الشعوب المطحونة والمقهورة، بينما نرى تصرفاته الواقعية من غزو لأفغانستان، إلى حرق لقراها بما فيها من نساء وأطفال، إلى سحق حركات التحرر فى المجر، أو التعبير عن الرأى فى بولندا وغير ذلك.

عناصـر الثقافـة
Elements of Culture

أولا : السمات والمركبات والانماط العريضة

تعد السمة trait أبسط وحدة للثقافة يمكن المقارنة على أساسها. وهى عنصر واحد يمكن عزلـه وتحليله، مثـال ذلـك، طريقة المصافحة وغطاء الرأس، وطريقة تناول الطعام. أما المركب الثقافى Complex فيتضـمن عدة سمات تشكل نمطا. فالطريقة التى يخاطب بها الابن أباه، هى سمة ثقافيه تختلف اختلافا كبيرامن مجتمع الى مجتمع آخر، تتراوح بين الرسمية الزائدة: «سيدى» الى صورة فيها الود: «بابا» أو «دادى». ولكى نفهم مثل هذه الفروق والاختلافات، فإننا نضع علاقة الأب ـ الإبن فى سياق أعرض هو المـركب الثقـافى Complex هذا المركب الثقافى يمكن أن نضعه فى نمط عريض يتضمن عدة أنماط تشكل فى مجموعها نمط القرابة فى المجتمع، وهذا هو النمط الثقافى العريض.

ولنأخذ مثالا آخر، سباق الخيل مثلا، أنه يتكون من عديد من العناصر أو السمات تشكـل واقـع السباق، وليكن فى المملكة العربية السعودية. من بين هذه السمات: صفـات الخيل، ما يتحـلى به الفـارس من شجـاعـة وسرعـة بديهة ومهـارة فائقة، والاتجاهات السائدة نحو هذا النوع من السباق نظرا لماضيه العريق، هذه كلها سمات تتعلق بنوع معين من الرياضة هو سباق الخيل. وهذه السمات مجتمعة تشكل مركبا يمكن أن نطلق عليه اسم «مركب سباق الخيل».

لكى نفهم أهمية هذا المركب، ينبغى أن نضعه ضمن مجموعة أخرى من الأنشطة الـرياضية والمركبات الثقافية الأخرى، مثل مركب كرة القدم، والسلة، والمضرب، والصيد فى الصحراء، وغير ذلك من المركبات الثقافية الاخرى، ونطلق على مجموع هذه المركبات، الرياضة فى مجتمع المملكة. وهذا هو النمط الثقافى العريض themes هذا النمط العريض تحكمه مجموعة من القيم والافكار حول الرجولة والفدائية والبراعة وقوة الاحتمال وغير ذلك.

ثانيا : المعايير والقيم

تتضمن التقاليد المكتسبة لأية جماعة من الجماعات مقاييس عريضة تشتق منها قواعد السلوك، ويطلق عليها اسم «المعايير الاجتماعية» وتشمل هذه المعايير الاجتماعية أنواع السلوك التى ينبغى على الافراد القيام بها، وأنواع السلوك التى يجب عليهم تجنبها. تماما مثل «روشته» الطبيب التى تتضمن قائمة بالمسموحات والمحظورات.

ولا تقف المعايير على درجة واحدة من الأهمية، فبعضها أكثر أهمية من بعضها الآخر، ويتوقف ذلك أكثر ما يتوقف على مدى ضرورتها لسلامة الجماعة. فنحن لا نستطيع أن نساوى معايير مثل «أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك» و «أحب لأخيك ما تحب لنفسك» و «ولاتقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق» بمعايير مثل: «إغسل يديل قبل الأكل وبعده» و «إغسل أسنانك بعد كل وجبة طعام وقبل النوم» أو «حافظ على بياض ثوبك». كما أن بعض المعايير مسألة ذوق وسلوك حضارى، كأن ترد التحية بأحسن منها أو على الأقل بمثلها، والا تسلم على أحد مهما كان وأنت جالس، أو وأنت تضع ساقا على ساق، أو أن تمد قدميك فى وجه محدثك أو جليسك، أو أن تلقى أخاك بوجه عابس، تلك معايير تتعلق بالذوق والسلوك الحضارى، وهكذا يمكن القول، إن الطالب الذى يحدث زميله أثناء محاضرة الاستاذ أو يقرأ جريدة أو يقوم بأى عمل آخر ينشغل به عن المحاضرة، إنما يسلك سلوكا يتنافى مع المعايير الحضارية.

كما أن بعض السلوك الضرورى فى مجتمع من المجتمعات قد يكون غير ضرورى فى مجتمع آخر. تشريط الوجه مثلا، يعد ضرورة فى بعض البلاد الافريقية، بل هو آية من آيات جمال المرأة، أو علامة قبلية مميزة للرجال. فى حين أنه لو تخلفت ندبة بسيطة فى وجه امرأة فى مجتمع عصرى، لتطلب الأمر جراحة تجميل. معنى هذا، أننا ينبغى أن نبحث عن معنى المعايير وقوتها داخل الثقافة المعنية بالدراسة وعلاقتها بالقيم السائدة بين أفراد الجماعة فى وقت بعينه.

كيف يستطيع الدارس لثقافة مجتمع ما أن يحكم على قوة المعايير السائدة فيه؟ يستطيع أعضاء الجماعة فى الغالب أن يذكروا ما هى القواعد الاكثر أهمية، ولكن الخلط يحدث عندما نواجه بقضية الثقافة المثالية والثقافة الواقعية، فاذا سألك شخص أن

تصنف المعايير السائدة فى مجتمعك. وأن ترتبها حسب أهميتها، الأهم فالمهم، فهل تستطيع أن تفعل ذلك بسهولة؟ هل سترتبها وفق المعايير المثالية أو وفق المعايير الواقعية؟

تصنيف المعايير Classifying Norms

غالبا ما يميز فى تصنيف المعايير بين :

أ ـ الطرق الشعبية folkways

وهى الطرق التى يتصرف بها عامة الشعب، بمعنى العادات التى تتوارثها الاجيال جيلا بعد جيل، والمتعلقة بكيفية السلوك أو القيام بالافعال، مثال ذلك تناول الطعام بالشوكة والسكين، أو تناوله بأصابع اليد. فالطرق الشعبية تتعلق بأنواع من السلوك غير المهم نسبيا فيما يتعلق ببقاء الجماعة. فلن ينقلب المجتمع رأسا على عقب، اذا أصر جميع الأطفال على الأكل بالشوكة والسكين، أو رفضوا ذلك، وفى الماضى، كان الطفل ينتفض واقفا إذا مر والده بجواره أثناء جلوسه، أما اليوم فلم يعد الأمر كذلك فى عديد من المجتمعات، بالرغم من أن بعض الأباء الذين شبوا على ذلك، قد يعتريهم بعض الضيق من سلوك أبنائهم. ولاتعتبر هذه العادات الشعبية من القوة بحيث تفرض قسرا. فلن يقدم شخص إلى المحاكمة إذا تناول الطعام بطريقة مخالفة للطرق الشعبية السائدة، أو إذا لم يرد التحية، أو إذا لم يردها بأحسن منها. وكذلك لن يقدم للمحاكمة من لم يقدم الاحترام الكافى للأب، أو من لم يغسل يديه قبل الأكل. قد يغضب الأب الذى يريد أن يعلم ابنه الطرق الصحيحة للسلوك، فيأمره بمغادرة الغرفة وعدم تناول الطعام مع الأسرة، أو يستجيب أية استجابة تبين استياءه من موقف الابن. هذا الاستياء قد يكون مباشرا، ولكنه لا يتضمن عنفا. مثل هذه الاستجابات للسلوك غير المتوافق مع مثل تلك المعايير، تعد استجابات «غير رسمية» لأنها تحدث فى إطار التفاعل وجها لوجه، وهى محاولات لتشكيل سلوك الآخرين.

ويطلق على هذه المحاولات اسم «الجزاءات الاجتماعية» فالجزاءات الاجتماعية هى استجابات الآخرين لدعم المعايير التى اتفق عليها أعضاء الجماعة. وهى نوعان: جزاءات اجتماعية ايجابية، وتتضمن مكافآت مادية أو معنوية تؤكد للشخص انه يسلك سلوكا متوافقا مقبولا. وجزاءات اجتماعية سلبية، وتتضمن أنواعا من العقوبات المادية أو المعنوية لاجبار الشخص على التطابق مع معايير الجماعة.

كما أن الجـزاءات الاجتماعية قد تكون رسمية وقد تكون غير رسمية. والجزاءات الاجتماعية الرسمية تكون عن طريق القوانين، وتطبق بواسطة هيئات متخصصة خارج نطاق الاسرة والاصـدقـاء، وذلـك كالشرطـة والمحاكم. أما الجزاءات غير الرسمية فيطبقها أفراد داخل محيط التفاعل الاجتماعى للشخص كافراد الأسرة، أو الاصدقاء.

وفيما يتعلق بالطرق الشعبية، فإنها تدعم بواسطة جزاءات اجتماعية غير رسمية لدفع الفرد إلى مراعاة هذه الطرق الشعبية والالتزام بها.

ب ـ الأعــراف Norms

الاعراف عادات وقواعد تحكم السلوك، اكتسبت معنى الضرورة. فلم يعد السلوك هنا كما كان بالنسبة للطرق الشعبية «إفعل هذا الشيء» وانما يصبح هنا «لابد أن تفعل هذا الشيء» وهذه الاضافة للأمر هى التى تميز الاعراف عن الطرق الشعبية. ففى الأعراف نجد لمسة قداسة لأنها تحمل مضمونا أخلاقيا له أهمية أكبر فى حياة الجماعة. مثـال ذلـك: توقير السلطة، ومساعدة الجار، ونجدة الصديق، واحترام الناس مهما تباينت ألوانهم ودياناتهم وسلالتهم، وغير ذلك من سلوك يدعم وحدة الجماعات الانسانية.

ومن هنا، فإن من يخرج على الأعراف يتعرض لجزاءات اجتماعية أقوى من تلك التى يتعرض لها من يخرج على الطرق الشعبية. لأنه فى حين تعتمد الطرق الشعبية على رغبة النـاس فى مسـايرة العـادات، فإن الاعـراف تكـاد تكون معايير ملزمة. وبدلا من الاستجابة الفردية فى حالة الخروج على الطرق الشعبية كالنبذ والاحتقار والاستهجان من الأفـراد المحيطين بالشخص، فإن الاستجابة تكون جماعية فى حالة الخروج على الاعراف، فهى أيضا النبذ والاحتقار والاستهجان، ولكن من الجماعة ككل.

ومع ذلك، فمازالت الاستجابات هنا غير رسمية كما كانت عند الخروج على الطرق الشعبية، ولو أنها أكثر قوة بما تستمده من ردود فعل المجتمع على من يخرج عليها. إلا أنـه مهـما كانت قوة الاعـراف، فإن الأفراد يمكنهم الخروج عليها إذا استطاعوا أن يتحملوا نتائج ما يترتب على سلوكهم من فقدان للدعم المستمد من العلاقات الاجتماعية.

وإذا كانت الطرق الشعبية معايير ينصح بها، والاعراف معايير يشجع عليها بقوة،

فإن أقوى المعايير وأشدها إلزاما هى القوانين.

جـ ـ القوانــين Laws

القوانين قواعد عامة تضع حدودا واضحة لسلوك جميع أعضاء الجماعة أو المجتمع. وتـدعم القـوانـين بالجـزاءات الـرسمية. ويقـوم بتـطبيقها أفراد خارج دائرة العائلة والاصـدقـاء، يوكـل إليهم تطبيق الجزاءات الاجتماعية على كل من تسول له نفسه الخروج على هذه المعايير.

وليس من الضرورى أن تكون القوانين مكتوبة حتى تكتسب هذه القوة.

هذا الالزام هو الذى يميز القوانين عن كل من الطرق الشعبية والاعراف ويرجع هذا الالـزام أكثر ما يرجع إلى أهمية السلوك الذى تعرض له القوانين بالنسبة لبقاء المجتمع. ومن هنا يمكن القول، إن القوانين قواعد تحكم المظاهر الفردية الهامة لحياة النـاس اليومية، وذلك مثل تحقيق أمن المجتمع ورخائه كالتعامل فى البيع والشراء، وضمان استقرار الحياة الزوجية، وغير ذلك من مظاهر تتعلق بشئون الجماعة.

ويمكن أن تعتبر الوصايا العشر مثالا لهذه القوانين. تقول هذه الوصايا:

١ ـ لا تشرك بالله.
٢ ـ لا تحلف باسم الله باطلا.
٣ ـ حافظ على صلواتك.
٤ ـ اكرم أباك وأمك.
٥ ـ لا تقتل.
٦ ـ لا تزن.
٧ ـ لا تسرق.
٨ ـ لا تشهد زورا.
٩ ـ لا تشتهى امرأة قريبك أو جارك.
١٠ ـ لا تشتهى مقتنى غيرك.

وهذه الأمثلة البسيطة والقليلة من القوانين يمكن أن تتضمن جميع عناصر النظام الاجتماعى: الطاعة للسلطة العليا، احترام الكبار فى الاسرة، منع أخذ أشياء تخص الغير بما فى ذلك حياة الناس أنفسهم. الامانة فى القسم، ونزع الغيرة من الصدور.

وكما سبق القول، فإنه ليس من الضرورى أن تكون القوانين مكتوبة، ففى الجماعات البسيطة ليس هناك قانون مكتوب، والعبرة ليست بالشكل الذى توجد عليه القوانين، وإنما العبرة بالمغزى الذى تحمله، والسلوك الذى تدفع اليه.

وهناك قضية أخرى فيما يتعلق بالقوانين وطاعتها والالتزام بها، هى أن بعضها مستمد من الكتب المقدسة، وعلى هذا فإن الجزاءات لا توقع فقط فى الحياة الدنيا، بل إن الفرد سيحاسب عليها فى الحياة الأخرى، فإما جنات تجرى من تحتها الانهار، وإما جهنم وبئس القرار.

لماذا نختار قواعد معينة لسلوكنا، بينما نرفض أخرى؟ يمكن القول بوجه عام، إن معايير أية جماعة تشتق من بعض الافكار العريضة حول الخير والشر، والصواب والخطأ، هذه الافكار العريضة وتلك التصورات المحددة هى ما يطلق عليه اسم «القيم الاجتماعية».

ثالثا : القيم Values

القيم أفكار وتصورات لها أهميتها وتكون بمثابة القلب من المعتقدات الأساسية لأى مجتمع. وهى تشكل مقياسا. وعلى أساس منها تقوم معايير الجماعة أو المجتمع. فمعيار مثل «لا تقتل» يعكس الاعتقاد بقداسة الحياة الانسانية، كما يعكس أيضا حاجة الجماعة الى تجنب كل ما يمكن أن يثير العداوة والبغضاء، ويلحق الاختلال بتوازن المجتمع، ومن هنا كان الموت جزاء من يقترف مثل هذه العقوبة.

ومن أمثلة القيم: الحق والعدل والخير والمساواة والفضيلة والجمال وغير ذلك من تصورات مجردة. وتعكس المعايير السائدة فى المجتمع هذه القيم. ويمكن أن يحدث صراع القيم إذا تعارضت المعايير السائدة، سواء كانت طرقا شعبية أم أعرافا أو قوانين، مع قيم المجتمع ذاته. مثال ذلك ما حدث فى الولايات المتحدة بصدد العلاقات السائدة بين البيض والزنوج وقوانين التفرقة العنصرية المختلفة، فقد دخل أفراد المجتمع فى صراع قيم حقيقى مع قيم المساواة والاخاء والعدالة، وواجه المواطنون الامريكيون صراعا قيميا أو اخلاقيا، وحدثت مواجهة واضطرابات انتهت باصدار قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٠ الذى يدعو إلى إعلاء قيم التسامح والاخوة والعدالة التى لم يعد من السهل تجاهلها، وقد شكلت هذه القيم أساس التغير الاجتماعى.

وكلما ازداد تعقد المجتمع ، وقل التجانس بين أفراده . ازداد احتمال ظهور صراع القيم ، وذلك لاحتمال وجود قيم متضاربة تؤدى إلى ظهور معايير وأنواع من السلوك تستثير الصراع .

رابعا : الطقــوس

الـطقوس أنماط ثقافية تدور حول أحداث لها أهميتها وخطرها فى حياة الانسان . فالزواج مثلا ، لا يتم ببساطة كما يحدث لدى الكائنات الاخرى ، وإنما تحيطه معظم المجتمعات الانسانية بأنواع من الطقوس . فالزواج ليس مجرد إشباع حاجة جنسية ، وانما هو حياة كاملة تتحقق به عديد من الوظائف الاخرى ، ويتعلق بمستقبل الاجيال القادمة ، ومن هنا كانت مقولة الرسول صلى الله عليه وسلم «فاظفر بذات الدين تربت يداك» وبـالاضـافـة الى الـزواج ، توجد أحداث أخرى لها أهميتها كالميلاد والموت ، والانتقـال الى مرحلة الرشد ، وهذه كلها أحداث هامة تحاط فى كثير من المجتمعات بعديد من الطقوس .

وقد درس كثير من علماء الاجتماع والانثربولوجيا الاحتفالات العامة التى تقيمها بعض المجتمعات بمناسبة بعض التغيرات الهامة فى حياة الافراد وبخاصة انتقالهم من مرحلة معينة من مراحل النمو إلى مرحلة أخرى (فان جنب 1960 - Van Gennep, 1908) وأهم هذه الاحتفالات وأكثرها شيوعا وخاصة فى المجتمعات البسيطة ، الاحتفالات المتعلقـة بالانتقـال الى مرحلة الرشد . وتختلف هذه الاحتفالات من ثقافة الى ثقافة أخرى . ففى السهول الهندية ، يترك الذكور الذين بلغوا هذه المرحلة على سفوح الجبال لعدة أيام عرضة للناظرين . وفى جزر الاندامان يقام احتفال يجمع فيه كل من يوشك أن يدخل مرحلة الرجولة . ويضرب الفتى ضربا مبرحا ، دون أن يجفل أو تظهر عليه مشاعر الألم .

ولم يجد العلماء احتفالات مماثلة فيما يتعلق ببلوغ الاناث مرحلة النضج . فغالبا ما تتجـاهـل هذه المجتمعات بدء حدوث العادة الشهرية لدى الفتاة . وفى بعض هذه المجتمعات البسيطة يحدث تجنب للفتاة الحائض . وفى بعضها الآخر ، يتعين على الفتاة الحائض غير المتزوجة أن تترك القرية كلها خلال فترة الحيض . ولا يحدث ذلك الا فى المجتمعات البسيطة .

ومهما يكن من أمر، فإن الاحتفال ببعض المناسبات ا لهامة فى حياة الافراد كالزواج مثلا، يحدث فى جميع المجتمعات، ومن ثم يعتبر من قبيل العموميات الثقافية. وأما كيفية الاحتفال به فتختلف من ثقافة الى ثقافة أخرى. ومن هنا يعد من قبيل المتغيرات الثقافية. ومن أهم الوظائف التى تؤديها هذه الطقوس التى تمارس فى كل مكان. استبعاد القلق بصدد المستقبل، وبث الطمأنينة وتأكيد أهمية الحدث وخطورته، واحتواء حوافز الناس ومشاعرهم بوضعها تحت سيطرة الجماعة، وذلك بتحديد أوقات هذه الاحتفالات، وجعل الناس شهودا عليها.

تلك هى أهم العناصر التى تتكون منها الثقافة: السمات والمركبات والانماط العريضة، والمعايير والقيم والطقوس.

التكامل الثقافى Cultural Integration

تتباين المجتمعات وتختلف من حيث درجة الاتساق الداخلى لعناصر الثقافة. ويشير التكامل الثقافى الى التلاؤم بين عناصر الثقافة المختلفة. فالمسابقات الرياضية لا معنى لها فى مجتمع لا يهتم باتاحة فرص متكافئة للجميع، كما أن حقوق الانسان، والحريات المدنية تعد مفاهيم غريبة فى مجتمعات تكون فيها حاجات الجماعة أكثر أهمية من حاجات الأفراد.

بقول آخر، توجد ضرورة ملحة للتلاؤم بين عناصر الثقافة المختلفة. وكلما تعقد المجتمع، قل احتمال تجانس ثقافته، وذلك لتعدد عناصر ثقافته وتباينها بين أفراد المجتمع نتيجة ما يحدث من تغير اجتماعى سريع لا يطبع كل جماعات المجتمع. وعلى العكس من ذلك نجد المجتمعات البسيطة غالبا ما تحقق تكاملا ثقافيا عاليا، وبذلك تكون أقل تعرضا للاختلال.

الثقافات الفرعية Subcultures

سبق أن عرفنا الثقافة بأنها استجابة المجتمع لظروف المعيشة، وإبداعه حلولا يتوافق بها مع مشكلات البقاء عبر مراحل تاريخه. فإذا حدث واختلفت الخبرات والحاجات والفرص المتاحة، بين الجماعات التى تشكل مجتمعا ما، فإننا نتوقع اختلافا وتباينا فى

أسلوب حياة بعض هذه الجماعات نتيجة توافقات مختلفة للبيئة، وتكون النتيجة «ثقافات فرعية».

وتنحو الثقافات الفرعية إلى الظهور، إذا لم تكن الثقافة العامة متاحة بنفس القدر لجميع أعضاء المجتمع. وبما أن معظم المجتمعات ـ ما عدا المجتمعات البسيطة ـ يتباين فيها توزيع المصادر الاجتماعية ذات القيمة كالسلطة والاحترام، كما يزداد فيها تقسيم العمل والتخصصات، فإن الجماعات الفرعية تظهر فى هذه المجتمعات. وكلما تعقدت ثقافة مجتمع، وتعقد بناؤه الاجتماعى، وقل تجانس سكانه، ازداد احتمال احتوائه على عدد أكبر من الجماعات الفرعية. تختلف ثقافاتها عن الملامح الثقافية العامة للمجتمع. الأمر الذى يجعل أعضاء الجماعات الفرعية يعيشون فى ظروف مختلفة عن تلك التى تعيش فيها الجماعة السائدة أو المجتمع الكبير.

مثال ذلك جماعات الأقليات العنصرية والسلالية والدينية التى أنشأت ووطدت ثقافاتها الفرعية الخاصة بها للتوافق مع المواقف التى توجد فيها. وتنشأ هذه الجماعات الفرعية، وتزداد الحاجة إليها، بالقدر الذى يزداد فيه التمييز على أساس اللغة أو لون البشرة أو السلالة.

إقامة حدود للمحافظة على البقاء Boundary Maintenance

يعمل أعضاء الجماعات الفرعية على حماية أنفسهم من الغرباء باقامة حدود وتعزيز حواجز يعيشون داخلها ويمارسون فيها حياتهم فى طمأنينة وأمن.

وقد تقوم الجماعات الفرعية أيضا على أسس مهنية، فنجد جماعات فرعية للمعلمين أو المهندسين أو الاطباء، يستخدمون فيها كلمات تخصصية يفهمها زملاؤهم فى المهنة، ولا يفهمها غيرهم. وبالاضافة إلى الجماعات الفرعية لجماعات الاقليات العنصرية والدينية والسلالية والمهنية، توجد جماعات فرعية أخرى خاصة برجال العصابات، وتكون لهم رموزهم وايماءاتهم وحتى طريقتهم فى المصافحة، وغير ذلك من علامات يتعرف بها بعضهم على بعض، وتكون مجهولة للآخرين.

مثل هذه الحدود التى تقيمها الجماعات الفرعية تدعم وحدة أفرادها وتزيد من ترابطهم، وتحميهم من تدخل الغرباء. ويمكن القول بمعنى من المعانى، إن أية

جماعة يقوم أفرادها بانتظام بعمل يختلف اختلافا ملحوظا عن بقية أفراد المجتمع الكبير، يميلون إلى إقامة حدود تحافظ على بقائهم. وذلك كما نجد لدى الموسيقيين، والرياضيين، ورجال القوات المسلحة، والشرطة وغير ذلك من جماعات، ومن ثم تكون لهم نواديهم ومنتدياتهم الخاصة.

الثقافة الرافضة والثقافة المناهضة Counterculture and Contraculture

تعكس الجماعات الفرعية اختلافات عن الملامح الثقافية العامة التى تسود المجتمع الكبير. ويجد أفراد هذه الجماعات الفرعية الأمن والطمأنينة داخل سياق الثقافة الفرعية. هذا هو الوضع بشكل عام فيما يتعلق بالجماعات الفرعية. ولكن بعض هذه الجماعات لا تكتفى بذلك، وإنما تتضمن ثقافتها أيضا عناصر رفض Counter أو مناهضة Contra لقيم ومعتقدات المجتمع الكبير. والفرق بين الرفض والمناهضة، إنما هو فرق فى الدرجة. والثقافة الرافضة يشكلها هؤلاء الذين لا يرغبون فى التلاؤم والتوافق مع المعايير السائدة فى مجتمعهم ويتلمسون أسلوب حياة جديد، كالخنافس فى الخمسينيات، وأطفال الزهرة في الستينيات، والمتعاطين للمخدرات وحبوب الهلوسة في السبعينيات، وغيرها من الجماعات الفرعية التي تنحرف ثقافتها عن المعايير الثقافية السائدة في المجتمع.

وفى حين ترفض الثقافة السابقة قيم المجتمع الكبير ومعاييره. فإن الثقافة المناهضة تهدف إلى الاطاحة بالأنماط الثقافية القائمة وإحلال غيرها محلها. وذلك مثل جميع الحركات السرية أو الحركات العلنية التى تسعى لتحقيق أهداف من هذا القبيل.

وكما ذهبنا، يختلف هذان النوعان من الثقافة الرافضة والمناهضة عن الثقافات الفرعية التى تعمل على التوافق مع الثقافة العريضة للمجتمع مع الاحتفاظ بمقوماتها العنصرية أو السلالية أو الدينية أو المهنية. وأما فى كل من الثقافة المعارضة والمناهضة، فإن الافراد الذين لا يستطيعون أو لا يرغبون فى التلاؤم والتوافق مع أنماط السلوك المقبولة، يبحثون عن آخرين يشاركونهم وجهات نظرهم، ويشجعون معارضة أو مناهضة القيم والسلوكيات السائدة فى المجتمع، وهكذا تنشأ الحركات الثقافية المعارضة والمناهضة للمجتمع.

نظام القيم فى الولايات المتحدة

The Value Sustem of the United States

ما الذى يستطيع المرء أن يقوله عن مجتمع يكون أحب البرامج التليفزيونية وأمتعها لأفراده، عرض تتنافس فيه زوجة رجل أعمال وسكرتيرته حول من منهما تستطيع ذكر تفاصيل أدق عن حياة رجل الأعمال؟ حقا ماذا عن مجتمع يتوق فيه رجل أعمال وزوجته وسكرتيرته للظهور فى هذا البرنامج؟ ماذا عن مجتمع سمح بظهور حركة بعث للنازية عام ١٩٨٠ كان ريف شمالى ولاية «كارولينا مسرحا لأحداثها»، حيث مارست جماعة «كى كلوكس كلان» الارهابية بملابسها التنكرية، أنشطتها التخريبية ضد الزنوج من حرق لمساكنهم واتلاف لممتلكاتهم، إلى قتل وتعذيب للرجال والنساء والأطفال. هذا وجه من وجوه أمريكا، ولكن يوجد وجه آخر، فقد كان هذا هو المجتمع نفسه الذى خرج فيه مئات الآلاف من البيض يطالبون بالحقوق المدنية للزنوج، وهو ذاته المجتمع الذى يدافع عن الحرية الشخصية للانسان، وهو المجتمع الذى اجبر رئيس جمهوريته على الاستقالة، عندما انتهك هذه الحرية.

الواقع، أننا لا نتوقع أن نرى ثقافة واحدة متفقا عليها، أو قيما واضحة مجمعا عليها، فى مجتمع يضم بين طياته عشرات الأقليات العنصرية والسلالية والدينية. وهذه هى الولايات المتحدة الامريكية أكبر مثال على ذلك ويرجع عدم التجانس فى ثقافتها الى الهجرات العديدة التى تدفقت عليها من كل دول العالم تقريبا، وكل مجموعة من هؤلاء المهاجرين تختلف عن غيرها عنصريا وسلاليا ودينيا، ومن ثم أنشأت هذه الجماعات ثقافاتها الفرعية داخل الثقافة الامريكية العريضة.

ومع ذلك فللشعب الامريكى، قيم واعتقادات عامة يشترك فيها معظم أفراد المجتمع الامريكى. فقد كان تضافر الشعور بالقومية والوطنية مع الاحساس بالذاتية لايجاد تلاحم إجتماعى، من أهم عوامل التوحد لهذا الشتات المبعثر من السكان. وساعدت على ذلك الرموز الوطنية كالعلم، والنشيد القومى، والاحتفالات الرسمية بتنصيب الرؤساء والأعياد، والاجازات القومية، فى ذكرى معارك النصر.

القيم الأساسية Core Values

قضى «روبين وليمز Robin Williams » ردحا طويلا من الزمن من عام ١٩٥١ حتى عام ١٩٧٠ يحاول تحديد القيم الأساسية التى تكمن وراء سلوك واعتقادات الامريكيين الشماليين، واستخلص خمس عشرة قيمة أساسية تمثل الحياة الفاضلة، وتكمن وراء أهـداف الشعب الأمـريكى وتصرفـاتـه الاجتماعية. ويرى «روبين وليمز» أن القيم الأساسية الآتية تمثل الروح الأمريكية:

١ ـ العمل والنجاح، وهما هدفان رئيسيان للأفراد.
٢ ـ النشاط والجدية.
٣ ـ الأحكام المطلقة للخير والشر، والصواب والخطأ.
٤ ـ النجدة.
٥ ـ الاتجاه العملى وسلوك أقصر الطرق للوصول الى الهدف بأقل تكلفة
٦ ـ الاعتقاد بأن التكنولوجيا كفيلة بحل جميع المشكلات. وأن الغد سيكون أفضل من الأمس.
٧ ـ الحرص على توفر وسائل الراحة المادية، وهذا حلم جميع الامريكيين.
٨ ـ المساواة، كمثاليات مجردة.
٩ ـ الحرية كحق للمواطن على الدولة.
١٠ ـ التعاون وليس سياسة حرق الجسور.
١١ ـ العلم والمنطق هما طريقا السيطرة على البيئة، وضمان حياة مادية أفضل.
١٢ ـ القومية التى تتمثل فى الايمان بالقيم.والنظم الأمريكية باعتبارها أفضل القيم والنظم.
١٣ ـ الديمقراطية التى تقوم على كفالة الحرية والمساواة لجميع المواطنين.
١٤ ـ الفردية ويقصد بها الاهتمام بالحقوق والمسئوليات الفردية.
١٥ ـ العنصرية والاحساس بالتفوق، وهذا ما قد يدفع إلى التعصب والتفرقة بينهم وبين من يختلف عنهم لونا أو عنصرا أو دينا، فالامريكيون الأوربيون الشماليون، وهم الأغلبية، لا ينسون أنهم كانواالطلائع الأولى للاستيطان فى هذه البلاد.

وتشمل هذه القائمة مزيجا من العناصر السياسية والاقتصادية والسمات الشخصية التي يناقض بعضها بعضا. فالمساواة لا تنسجم مع الاعتقاد بالأفضلية العنصرية أو

السلالية أو المذهبية. كما أن القومية غالبا ما تعوق ممارسة الحرية، والواقع أن هذا التناقض ليس إلا انعكاسا لتاريخ الولايات المتحدة ذاته.

وهناك من يذهب الى أن وجود هذه التناقضات جنبا إلى جنب يمكن أن يبعث نوعا من الحيوية والتنافس، ويذهب آخرون الى أنها يمكن أن تثير الشحناء، والبغضاء، والانقسام داخل المجتمع. وعلى أى الاحوال، فإن مجرى التاريخ وتعاقب الأجيال هو الذى سيحدد القيم التى سوف تسود فى النهاية.

وتتعدد قوائم القيم التى صنفها الباحثون، والعلماء، والكتاب، والقادة السياسيون، ومن بينها قيم سائدة بالفعل مثل قائمة «وليمز» وقيم ينبغى أن تسود وأن يتحلى بها الشعب الأمريكى، ومن القوائم الأخيرة، القيم التى ذكرها واحد من أعظم قادة الولايات المتحدة هو «بنيامين فرانكلين ١٧٨٤ - ١٨٧٠».

١ - التحكم فى النفس: لا تأكل حتى تمتلىء، ولا تشرب حتى تنتفخ.
٢ - عدم ضياع الوقت: لا تتحدث إلا بما يفيد الآخرين أو يفيدك، وتجنب المناقشات التافهة.
٣ - النظام : لا تؤجل عمل اليوم الى الغد، وحدد اهدافك، ونظم لكل هدف وقتا تنجزه فيه.
٤ - العزم : قرر ما ينبغى عمله، ولا تتهاون فيما عزمت عليه.
٥ - الاقتصاد : لا تبدد ولا تهدر شيئا، ولا تنفق الا ما يعود عليك أو على غيرك بالفائدة.
٦ - كن عمليا : لا تجر وراء مالا يمكن أن تدركه، وابتعد عن كل مالا طائل وراءه ولا جدوى منه.
٧ - الاخلاص : تجنب الخداع، واذا تكلمت فكن صدوقا.
٨ - العدالة : تجنب أن تسىء إلى الآخرين، ولا تحاول أن تجنى فائدة على حساب الآخرين.
٩ - الاعتدال : ابتعد عن التطرف فخير الأمور الوسط.
١٠ - النظافة : لا تتساهل فى نظافة البدن أو الملابس.

١١ ـ الهدوء : احرص على الا تنفعل أمام توافه الأمور، أو أمام الأحداث التى يمكن تجنبها.
١٢ ـ الطهارة والعفة : لا تتطلع إلى ما فى يد غيرك أو إلى ما ليس من حقك.
١٣ ـ التواضع : لا تتكبر على أحد، وخاصة من هم أدنى منك منزلة.

جذور نظام القيم الأمريكى The Roots of the American Value System

تستمد الفضائل الاخلاقية التى عرض لها «بنيامين فرانكلين» و «وليمز» جذورها من الأخلاق البروتستنتية، بل إنها بمثابة القلب منها، كما وصفها «ماكس فبر» وقد سادت هذه الأخلاقيات إبان القرن السادس عشر، وهيأت الجو لازدهار التجارة وتجميع رأس المال، بل انها هى التى أرست دعائم الرأسمالية، ويعبر عن هذه الاخلاقيات اليوم بكلمة «اخلاقيات العمل» وإن من أهم القيم التى تتضمنها هذه الاخلاقيات البروتستنتية القيم الآتية:

١ ـ **العمل واجب مقدس** : لقد كان العمل عبر التاريخ كله أساس المحافظة على البقاء، فإذا أصبح ما يقوم به الفرد من عمل واجبا مقدسا، فسوف يشكل هذا دافعا قويا لانتاج أكثر مما يتطلبه مجرد البقاء.
٢ ـ **النجاح هبة من الله** : اذا كان العمل واجبا مقدسا، فلابد من شىء يميز بين هؤلاء الذين يعملون ويتقنون عملهم، وهؤلاء الذين لا يتقنون أداءه، هذا الشىء هو النجاح، والنجاح هبة الله سبحانه وتعالى لمن يرضى عن أدائهم المتقن لعملهم.
٣ ـ **الله رقيب على الانسان** : ويعنى ذلك وفقا للمذهب البروتستنتى أنه لا توجد جماعة من القسس تقف بين الانسان وربه، ولقد كانت ثورة «مارتن لوثر كنج» ثورة ضد السلطة التى كانت تدعيها كنيسة روما، من أنها وسيطة بين الانسان وربه، وأنه لا يستطيع الوصول إلى الله إلا عن طريقها، وقال «لوثر» إن الانسان مسئول أمام الله وحده، وأنه هو الرقيب على أفعاله. والانسان بالتالى مسئول عن مصيره، وليست الكنيسة هى المسئولة عن هذا المصير. وإن هذه المسئولية، وهذا الخوف الداخلى من سوء المنقلب هو الذى يفيد فى تنظيم السلوك الاجتماعى.

وقد التزم دعاة البروتستنتية الأوائل بالبساطة الشديدة فى أسلوب الحياة، وقالوا إن

الانسان ينبغى أن يتقشف، ولا يحاول الظهور بمظهر الثراء الطائل. ولقد استمر اتباع هذه التعاليم ردحا طويلا من الزمن فى الولايات المتحدة، إلا أن الأمر الآن أنقلب الى النقيض، فلقد أصابت الناس حمى الاستهلاك وتبديد ثرواتهم وثروات المجتمع من مواد أولية على شراء الكماليات التى لا تشبع سوى الرغبة فى الظهور.

وإن هذه المفاهيم القليلة التى عرضنا لها تشكل جذور القيم الامريكية التى تؤكد على العمل والنجاح وتضفى عليها معانى أخلاقية.

القيم المتغيرة
Changing Values

ثمة دلائل كثيرة على أن قوة «اخلاقيات العمل» هبطت وضعفت خلال السنوات القليلة الماضية، وظهرت قيم اخلاقية جديدة، فقد أصبحت الدوافع التى تحدو الشباب للعمل تنبع من أعتبارات أخرى مثل تحقيق الذات والانفاق على النفس والأسرة، والاستمتاع بمباهج الحياة وأطايبها كما تجسدها وسائل الاعلام المختلفة، والاعلانات التى تحتل مساحات كبيرة من هذه الوسائل الاعلامية. حتى الكبار لم يعودوا يكرسون كل وقتهم للعمل كما كان يحدث فى الماضى، وذلك بعكس اعتقاد الكثيرين، وإن الفراغ الذى كان يعتبر مفسدة، أصبح فى نظر معظم الشباب اليوم يحتل منزلة لا تقل أهمية عن المنزلة التى يحتلها العمل.

إن الستينيات قد تركت ميراثا كبيرا من التسامح، وجدية العمل، والتعلم عن طريق الخبرة، والاهتمام بالبيئة، والمحافظة عليها، وقدمت الدعم للحقوق المدنية للزنوج والنساء، وأشاعت الرغبة فى السلام. ويذهب البعض الى أن القيم التقليدية الخاصة بالوطنية، والانجاز الفردى، والتنافسى، والعمل الشاق، لم تعد لها نفس الأهمية التى كانت عليها فى الماضى.

ومع ذلك، يذهب بعض علماء الاجتماع، الى أن القيم التقليدية مازالت قوية تنبض بالحياة، وليس أدل على ذلك من موجات الاحتجاج العنيفة التى ظهرت فى الولايات المتحدة فى السنوات الاخيرة ضد هذه القيم الجديدة. وأظهرت استطلاعات الرأى العام التى أجريت فى الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ الرغبة فى العودة الى أخلاقيات

الستينيات، والعودة إلى الدين والاقبال على الصلاة، وانهالت التبرعات على الجماعات التى تدعـو إلى ذلـك. وقـد يكون من المبكر جدا الحكم على ما اذا كانت حركات الاحتجاجات القوية هذه، تمثل خلجات الأنفاس الأخيرة للاخلاقيات القديمة، أو أنها تمثل ذروة القوة لها.

مدخل لنظام القيم فى الاسلام:

عرضنا فى الصفحات السابقة لنظام القيم فى الولايات المتحدة الامريكية، وذكر مؤلفو الكتاب كيف ضاق عديد من الامريكيين اليوم بما وصل إليه مجتمعهم، وقاموا باحتجاجات عنيفة ضد الاخلاقيات الجديدة السائدة، وطالبوا بالعودة إلى الدين وإلى أخلاقيات الماضى. وتحدثنا عن أمثلة للقيم النابعة من الدين كما أرادها واحد من أعظم من حكموا الولايات المتحدة هو «بنيامين فرانكلين» وإن من يقرأ هذه القيم يجد أنها قطرة فى بحر القيم الاسلامية. وإذا كان الشعب الامريكى يطالب بالعودة إلى القيم الدينية، فأحرى بنا أن نفعل، ليصبح الاسلام حادينا على الطريق، وهادينا إلى كل مجالات التقدم، والقوة، والأخذ بأسباب التقدم العلمى والصناعى، كما يرشدنا الى ذلك ديننا الحنيف، يقول الله سبحانه وتعالى: «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات، وأنزلنا معهم الكتاب والميزان، ليقوم الناس بالقسط، وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس، وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، إن الله قوى عزيز»[1] . وسوف نعرض باختصار لبعض القيم الاسلامية.

١ ـ الايمـــان :

الايمان هو أن يؤمن الانسان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر. ومن هنا كان الايمان هو القيمة الأولى، وهو الغاية والوسيلة والقاعدة والمنطلق، لكل القيم الأخـلاقية: الحـرية، والعـدل، والاخاء والمساواة، والشورى، والتعاون، والعلم، والعمل، والصبر، والصدق، والأمانة، والتواضع، والايثار، والكرم، وكظم الغيظ، والمروءة، والعزة، وغير ذلك من قيم.

وإن الاسلام بركائزه الخمس التى يقوم عليها، لا يعنى بالشكل ولا يهتم بالصورة فيما يكلف به أتبـاعه، إنما يريد توجيها للقلب، يقول تعالى: «الذين آمنوا وتطمئن

---

١ ـ سورة الحديد آيه ٢٥

قلوبهم بذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب»[٢] ويريد تهذيبا للنفس، وارتقاء بالعمل، يقول تعالى: «إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم»[٣].

فشهادة ألا اله الا الله، تفرد الله بالوحدانية فهو العاطى، والرازق، والوهاب، والمانح، وهو وحده المانع، لو اجتمع الناس جميعا على أن يمسوا انسانا بسوء ما قدره الله له ما استطاعوا، ولو اجتمع أهل الأرض جميعا على أن ينفعوا الانسان بشىء لم يكتبه الله له ما استطاعوا، وفى هذا تحرير للانسان من العبودية لغير الله أو الخضوع لسواه. يقول عز من قائل: «ولا تدع من دون الله ما لاينفعك ولا يضرك، فإن فعلت، فإنك إذن من الظالمين، وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو، وإن يردك بخير فلا راد لفضله، يصيب به من يشاء من عباده، وهو الغفور الرحيم»[٤].

وشهادة أن محمدا رسول الله، هى إيمان بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، وأنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى.

وتنهى اقامة الصلاة عن الفحشاء والمنكر والبغى، وفرضها خمس مرات تدعيم لهذا المعنى وتذكرة لمن يخشى.

وفى إيتاء الزكاة تحقيق للتكافل الاجتماعى، وتأكيد للجماعية، ونبذ للفردية، فالانسان لا يعيش وحده، وإنما يعيش داخل جماعة، وفى سياق مجتمع، فالزكاة جسر يصل علاقات الناس الاجتماعية بعضها ببعض ويحول دون الحقد الذى يمكن أن يهدم المجتمع.

والصوم تربية عملية للارادة، وتعلم لكبح غرائز الجسم وشهوات النفس عن طريق الممارسة، والانسان فى الصوم هو وحده الرقيب على نفسه. وإذا كان اليأس والقنوط والجزع هى آفات عالمنا المعاصر بما يتميز به من طموحات وإحباطات، لأن الانسان قد ينجح مرة ويخفق مرات، فالعلاج هو الصبر واليقين بأن بعد العسر يسرا، وأن بعد الضيق فرجا، والصوم هو السبيل الى تأكيد هذه المفاهيم، فهو نصف الصبر.

---

٢ ـ سورة الرعد آيه ٢٨

٣ ـ سورة الاسراء آيه ٩

٤ ـ سورة يونس آية ١٠٦ ، ١٠٧

وأمـا الحـج، فقـد أراد به الله سبحـانه وتعالى أن يذكر المسلمين بالوحدة وجمع الشمـل، يأتى النـاس من كل فج عميق تاركـين الـدنيا وراء ظهـورهم، يطوفـون ويسعون، ويقفون جميعا على أرض واحدة هى عرفات، يرتدون أبسط لباس، دون أى تمييز عنصر ى أو سلالى أو مذهبى أو مادى، وكلهم يهلل ويكبر بكلمات واحدة: لبيك الله لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك. فهل هناك تجسيد أعظم من ذلك لوحدة الكلمة؟ ووحدة الصف؟

٢ ـ الحريـة :

الحرية عكس العبودية، وأسمى مراتب الحرية، هى التحرر من العبودية لغير الله. يقول تعالى: «قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم، ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا»[٥].

والحرية أن تمارس حقوقك دون أن تتعدى على حقوق الآخرين، الأهل أو الجيران، فما زال جبريل يوصى النبى صلى الله عليه وسلم بالجار حتى ظن الرسول أنه سيورثه.

وتتجلى الحرية بأقوى صورها فى الحرية الدينية، لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغى، من شاء اتخـذ الى ربه سبيلا. يقول تعالى: «ولو شاء ربك لآمن من فى الأرض كلهم جميعا، أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين»[٦].

والحـرية السياسية، وهـل هنـاك صورة تجسـد هذه الحرية أبلغ من قول أعرابى للخليفة عمر رضى الله عنه «اتق الله يا عمر» عمر الذى كان أول من جهر بالاسلام أمام طاغوت المشركين، وخرج مستلا سيفه وهو يقول: «من أراد أن تثكله أمه فليلقنى خلف هذا الوادى» عمر الذى إذا رأته الشياطين سالكا فجا سلكت فجا آخر، وعندما انـبرى رجل من الحضور يقول لأعرابى مستنكرا: تقول لأمير المؤمنين اتق الله؟ رد الخليفـه العـادل عمر بمقولة اصبحت مثلا، وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها: دعه يقلها، فلا خير فيكم إن لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نسمعها.

٣ ـ العـدل :

العدل أساس الملك، أساس أى بناء سواء كان على مستوى المجتمع العريض

---

٥ ـ سورة آل عمران آية ٦٤

٦ ـ سورة يونس آية ٩٩.

Macro level أم على مستوى الجماعة الصغيرة Micro Level ويؤدى اقرار العدل إلى تماسك المجتمع، وقوة الجماعة يقول تعالى: «ان الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»[٧] ويقول تعالى: «إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى»[٨].

والعدل من أهم أسس الحكم، فلا تفرقة بين غنى وفقير، ولا بين قوى وضعيف، ويضع لنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه المثل على ذلك بقوله عقب توليه الخلافة: «الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه.

٤ ـ الاخاء والمساواة :

إن من يقرأ الفصل الثامن من الكتاب، وهو بعنوان «انعدام المساواة الاجتماعية» ويرى ما يسود العالم وخاصة الدول الحديثة، من مظاهر التفرقة بكل أنواعها العنصرية، والسلالية والدينية، والمادية والجنسية، وتصنيف الناس وفق نظام تمرتب هرمى، هؤلاء فى القمة، وأولئك فى القاع، يدرك نعمة الاسلام علينا، فلقد ساوى الاسلام بين الناس جميعا على أساس وحدة الجنس البشرى. يقول تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا»[٩]. ويقول تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله اتقاكم»[١٠].

ويقول صلى الله عليه وسلم فى خطبة الوداع: «أيها الناس: إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم وآدم من تراب، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربى على أعجمى، ولا لأعجمى على عربى، ولا لأحمر على أبيض، ولا لأبيض على أحمر فضل الا بالتقوى».

٥ ـ الشورى :

تقوم الشورى على عدم الانفراد بالرأى والاستبداد به، ومما لا شك فيه أن رأى

٧ ـ سورة النساء آية ٥٨.
٨ ـ سورة النحل آية ٩٠.
٩ ـ سورة النساء آية ١.
١٠ ـ سورة الحجرات آية ١٣.

الجماعة خير من رأى الفرد، فتبادل الرأى وتقليبه يساعد على توضيحه وبلورته، ومعرفة سلبياته قبل الاخذ به. وتتيح الشورى إيجابية كل فرد فى الجماعة، ومن ثم تحمل مسئولية تنفيذ قراراتها لأنه شارك فى صنعها، بعكس الاستبداد بالرأى الذى يولد السلبية بين أفراد الجماعة، لأنهم لم يستشاروا فى صنع قراراتها، ليس هذا فحسب، بل أنهم قد يعمدون إلى عرقلة تنفيذ هذه القرارات التى تجاهلت وجودهم، الأمر الذى يكون مدعاة للسخرية كما يقول الشاعر العربى:

ويقضى الأمر حين تغيب تيم
ولا يستأذنون وهم حضور

فلدى كل فرد رغبة فى تحقيق ذاته وتأكيدها، وحاجة الى الشعور بالاهمية وبأنه موضع تقدير واحترام، والشورى وحدها هى التى تشبع هذه الحاجة.

كما تتيح الشورى اكتساب عادات ومهارات التفكير، فلا يصبح الأفراد إمعات يسيرون خلف الركب أنى سار وبمن سار، وهنا يكمن خطر الانحراف. والشورى تكتسب بالممارسة منذ الصغر فى البيت، والمدرسة، والمجتمع، فينشأ الفتى على ما كان علمه ابوه ومعلمه.

وثمة مسألة أخرى هامة مرتبطة بالشورى، وهى التسامح مع من يختلف معنا فى الرأى، فاختلاف الرأى لا ينبغى أن يفسد للود قضية، والا امتنع واستحال تبادل الرأى والمشورة.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى أن يكون الرأى شورى بين الناس «وأمرهم شورى بينهم»، أمر رسوله أن يشاور المؤمنين فى الأمر (وشاورهم فى الأمر)، وقد كان لنا فيه صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، إذ كان دائم المشورة لأصحابه، يأخذ بالرأى الذى يجمعون عليه - فيما لم يكن فيه وحى - حتى ولو كان هذا الرأى مخالفا لرأى ارتآه صلى الله عليه وسلم، كما حدث يوم بدر على سبيل المثال.

وسار الخلفاء الراشدون سيرة الرسول الكريم. فيخطب ابو بكر الصديق رضى الله عنه الناس قائلا: «أيها الناس، إنى وليت عليكم ولست بخيركم، إن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى، أطيعونى ما أطعت الله فيكم، فإن عصيت الله فلا طاعة لى عليكم».

وخطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس قائلا: «أيها الناس من رأى فى اعوجاجا فليقومه». فرد اعرابى: «والله يا أمير المؤمنين لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه، بسيوفنا «فقال رضى الله عنه الحمد لله الذى جعل فى هذه الأمة من يقوم اعوجاج عمر بسيفه اذا اعوج.

وكان الخليفة عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يطلب الرأى والنصح والمشورة، وقد أورد الاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى فى حلقاته التى يكتبها بعنوان «خامس الراشدين» أن الخليفة كتب إلى الفقيه القرطى كتابا يشكره فيه على رأى أبداه له، ونصيحة انتفع بها «إلى محمد بن كعب القرطى (كان يقدم العلماء على اسمه) من أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز. أما بعد فقد بلغنى كتابك الذى تعظنى به. وقد أصبت بذلك افضل الأجر. إن الموعظة كالصدقة، بل هى أعظم أجرا، وأبقى نفعا، وأحسن ذخرا، وأوجب على المرء المؤمن حقا لكلمة يعظ بها الرجل أخاه ليزداد بها رغبة فى الهدى، خير من مال يتصدق به عليه، وإن كان به إليه حاجة، ولما يدرك أخوك بموعظتك من الهدى خير مما ينال بصدقتك من الدنيا، ولأن ينجو رجل بموعظتك من تهلكة خير من أن ينجو بصدقتك من فقر. (الاهرام فى ١٤/٨/١٩٨٥).

٦ ـ التعاون :

يتخلل التعاون جميع أشكال الحياة الجماعية، ولا تقوم هذه الحياة بدونه. وهو يدعم وحدة الجماعة ويزيد من تماسكها وصلابتها. يقول تعالى: «وتعاونوا على البر والتقوى، ولا تعاونوا على الاثم والعدوان»[11]. ويروى عن ابن عمر رضى الله عنهما عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال: «المسلم أخو المسلم: لا يظلمه ولا يسلمه، من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته، ومن فرج عن مسلم كربته، فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة، ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة». وعن أبى هريرة رضى الله عنه، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: المؤمن مرآة المؤمن، والمؤمن آخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه.

٧ ـ العمل واتقانه :

العمل هو كل نشاط يقوم به الانسان لاشباع حاجة من حاجاته، أو من حاجات

١١ ـ سورة المائدة آية ٢.

الجماعة التى يعيش بينها، أو المجتمع الذى يعيش فيه. ومن هنا كان أساس بقاء الجماعة ونموها وازدهارها. والفرق بين الشعوب المتقدمة والشعوب غير المتقدمة هو فى نوع العمل وكيفه. يقول تعالى: «هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها»[١٢] ويقول تعالى: «وإذا قضيت الصلاة، فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله»[١٣]. وقد جعل الله سبحانه وتعالى العمل عبادة «فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى»[١٤]. ويحض الرسول صلوات الله عليه، على إتقان العمل «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه».

٨ ـ الصـدق :

الصدق هو مطابقة الأفعال للأقوال، ولا تستقيم الحياة إذا قامت على الغش والكذب. يقول صلى الله عليه وسلم: «عليكم بالصدق، فإن الصدق يهدى إلى البر، وإن البر يهدى إلى الجنة، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا، وإياكم والكذب، فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدى إلى النار. وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب، حتى يكتب عند الله كذابا».

ولقد كانت الحقيقة دائما مطلب العلماء والمفكرين، وإن ضرورة تحرى الصدق وخاصة فى أمر الفتيا، وطلب النصيحة أمر بالغ الأهمية، لما له من تأثير على سلوك الناس وتصرفاتهم، وإن صديقك من صدقك لا من صدقك. ويجب على الانسان أن يقول الحق لا يخاف فى الله لومة لائم، والساكت عن الحق شيطان أخرى، والانسان سوف يسأل أمام الله عما أبداه من رأى وما أزجاه من نصح. عن أبى هريرة ـ فى رواية أبى داود والحاكم ـ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: من أفتى بغير علم، كان إثمه على من أفتاه، ومن أشار على أخيه بأمر يعلم أن الرشد فى غيره، فقد خانه.

٩ ـ التواضـع :

تتباين المكانات وتختلف الأدوار التى يقوم بها الناس فى المجتمع وفق ما حباهم الله به من مواهب وطاقات، ووفق ما أنعم عليهم به من مال وبنين ومن عرض الدنيا ومتاعها وزينتها وزخرفها. وينبغى أن تواجه هذه النعم بالشكر والاحسان. يقول

١٢ ـ سورة هود آية ٦١.

١٣ ـ سورة الجمعة آية ١٠.

١٤ ـ سورة آل عمران آية ١٩٥.

تعالى: «وأحسن كما أحسن الله إليك»[١٥]. إن الله سبحانه وتعالى سائل هؤلاء الناس عن النعيم، والنعم التى أنعم بها عليهم، وإن شكروا زادهم من فضله. ويجب أن يعرف الانسان أن الباقيات الصالحات خير من هذا كله. يقول تعالى: «المال والبنون زينة الحياة الدنيا، والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير أملا»[١٦]. ومن هنا ينبغى الا يتتاب الانسان الغرور وينظر الى الناس من عل. يقول تعالى: «ولا تصعر خدك للناس، ولا تمش فى الارض مرحا»[١٧].

١٠ ـ الكـرم :

الكرم حد وسط بين نقيضين أحدهما إسراف وتبذير، والآخر بخل وإغلال لليد. والكرم هو الوسط العدل الذى نصحنا به الخالق سبحانه وتعالى، فالانسان لا يجعل يده مغلولـة إلى عنقـه، ويبخل بماله على نفسه، وأفراد عائلته، وأهله والمحتاجين، وغيرهم، ولا يبسط يده كل البسط، ويبذر فى ماله، فيقعد ملوما محسورا، والكرم شكر للنعمة، فإن الله يحب أن يرى أثار نعمته على عبده، فيحب أن ينفق مما رزقه سرا وعلانية، فالبر لا يبلى ولا تنقص صدقة من مال.

١١ ـ الصـبر :

الدنيا إقبال وادبار، ومنح ومنع، وإقدام وإحجام، وانتصارات وهزائم، وإشباعات وإحباطات، تلك سنة الله فى خلقه، ولن تجد لسنة الله تبديلا. ويجب على الانسان أن يأخذ الدنيا على هذا النحو، ويفهمها على هذه الصورة، ويتقبلها بحلوها ومرها، بشهدها وصابها، يأخذها ككل، لا يرضى بحلوها ويضيق بمرها، أو يتقبل شهدها ويسخط على مرهـا، وهذا أساس الصحة النفسية التى يتمتع بها الانسان، وترجع معظم الأمراض النفسية والعصبية الى افتقاد قيمة الصبر، فيلهث الانسان دون طائل، ويتعجل ما لن يدركه فيصبح على الصورة التى يصفها الشاعر:

كناطح صخرة يوما ليوهنها .. فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل

ويعجب الرسول صلوات الله عليه لأمر المؤمن الذى يراه كله خير فى الحالتين. عن

١٥ ـ سورة القصص آية ٧٧.
١٦ ـ سورة الكهف آية ٤٦.
١٧ ـ سورة لقمان آية ١٨.

أبى يحيى صهيب بن سفيان رضى الله عنه، قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد الا المؤمن، إن اصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن اصابته ضراء صبر، فكان خيرا له» ويقول تعالى: «ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين»[١٨].

١٢ ـ العزة والاعتزاز :

لله العزة ولرسوله وللمؤمنين، الانسان هو الكائن الوحيد الذى خلقه الله سبحانه مرتفع القامة، وكرمه على سائر المخلوقات، الانسان هوالذى أمر الله عز وجل الملائكة أن يسجدوا له، ومن هنا كان على الانسان أن يحتفظ بالصورة التى أرادها الله سبحانه وتعالى له، فلا يفعل ما يجعله يطأطىء رأسه خجلا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لا يحاول شخص أن يستغل حاجة انسان ويذله ويقهره مستغلا منصبا أو جاها، اذا أغرته قدرته بظلم الناس فليتذكر قدرة الله عليه، والأيام يداولها الله سبحانه وتعالى بين الناس.

ولا تأتى العزة ولا يتسنى الاعتزاز من فراغ، وانما يتحقق بالعمل الجاد وبإتقانه وبإعمال العقل والتفكير وبأداء الواجب، وبمراقبة الله عز وجل فى كل عمل تقوم به، وأن تخشى الله، وبذلك يضع الله هيبته ومحبته فى القلوب. وإن سأل لا يسأل إلا الله، ويجب أن يعرف أن اليد العليا خير من اليد السفلى.

واذا كانت العزة للمؤمنين بعد الله ورسوله، فمعنى ذلك أنه ينبغى علينا أن نحترم ما فى الانسان من قيمة انسانية يمتلكها الجميع، مهما كانت المكانات التى يحتلونها أو الأدوار التى يضطلعون بها، ويجب أن نقدر كل ما هو فاضل مخلص إنسانى فى الانسان.

الخلاصة

الثقافة هى الشكل الذى تكون عليه حياة الجماعة التى يعيش أفرادها معا فى مجتمع معين، ويشعر كل منهم بالمسئولية تجاه الآخر، وتتخذ هذه الجماعة اسما معينا يعرف

١٨ ـ سورة محمد آية ٣١.

أعضاؤها به وتشمل ثقافة المجتمع :

١ ـ حلولا لمشكلات المعيشة والبقاء.
٢ ـ مثاليات وقيما تشكل قواعد السلوك.
٣ ـ أدوات وأشياء يصنعها الانسان.

وتتدرج الثقافات من ثقافة «التاساداى» إلى ثقافة المجتمعات الصناعية المعاصرة.

وتتكون ثقافة أى مجتمع من عديد من العناصر التى تشكلا «كلا» موحدا نسبيا، وتتضمن العموميات الثقافية عناصر توجد فى جميع الثقافات مثل النظم العائلية، والاقتصادية، والسياسية، ونظم المعتقدات، وأما المتغيرات الثقافية، فتشير إلى الطريقة الفريدة المتميزة التى تنمو وتتطور بها عناصر هذه النظم الاجتماعية فى أية ثقافة من الثقافات، كالمهر، واحتفالات الزواج، والميلاد فى النظام العائلى على سبيل المثال.

وتشكل القدرة على إبداع الرموز ونقلها، أساس الثقافة ونتاجها فى الوقت نفسه، وتعد اللغة أهم نظام رمزى، وهى تتيح للأفراد إيجاد معان، وتيسر نقل الثقافة إلى الأجيال القادمة. كما أن اللغة سواء كانت لفظية أم غير لفظية، تعكس القيم والمعايير والعلاقات الاجتماعية التي توجد داخل المجتمع. كما أنها تشكل مدركات الناس للعالم الخارجى المحيط بهم.

وبصدد تقويم الثقافات الأخرى، ينحو كثير من الناس الى التمركز العنصرى. وينظرون إلى هذه الثقافات الاخرى من خلال منظار ثقافتهم، بدلا من النظر إليها من خلال النسبية الثقافية، والتي بمقتضاها نحكم على عناصر الثقافات الاخرى في ضوء السياق الذى تحدث فيه.

والمعايير الاجتماعية مثاليات لما ينبغى أن يكون عليه السلوك. وتشتق من القيم الاساسية للمجتمع، وهى تحكم السلوك فى جميع المواقف.

وتتباين المجتمعات فى مدى الاختلاف أو الاتساق الداخلى بين عناصر الثقافة. وتوجد فى كل مجتمع جماعات فرعية تنشىء ثقافتها الخاصة بها، والتى تختلف عن الملامح الثقافية العامة.

ولقد عنينا فى هذا الفصل بمناقشة القيم الاساسية والجذور التاريخية للثقافة السائدة فى الولايات المتحدة الامريكية، وما يحدث الآن من صراع بين القيم التقليدية التي تتمثل في الفردية والتنافس والانجاز، وبين القيم الجديدة التى تهم الجماعة، مثل التعاون، والمساواة والتسامح من أجل حياة أكثر بهجة واشراقا.

قراءات مقترحة:

Benedict, Ruth. *Patterns of Culture.* Boston: Houghton Mifflin, 1934. An early and still unsurpassed statement of the need to view culture as an integrated whole, reflected in all aspects of social structure and personality. The portraits of Zuni, Dobuan, and Kwakiutl cultures are unforgettable.

Hall, Edward. *The Silent Language.* Garden City, N.Y.: Doubleday, 1959. An anthropologist describes how noaverbal communication conveys cultural values, and how these shape characteristic behaviors of members of different societies: why, for example, North Americans maintain greater distance in conversation than do South Americans.

Harris, marvin. *Cannibals and Kings: The Origins of Culture.* New York: Random House, 1977. An irreverent view of contemporary anthropology by a contemporary anthropologist.

Service, Elman R. *Profiles in Ethnology.* New York: Harper & Row, 1963. Fascinating profiles of twenty-one preliterate societies at various stages of cultural development.

Slater, Philip. *The Pursuit of Loneliness* (Second Edition). Boston: Beacon, 1976. A penetrating examination of the problematic and pathological effects of American culture in the 1970s.

Wolfe, Alan. *The Seamy Side of Democracy* (Second Edition). New York: Longman, 1978. As the title indicates, a critical analysis of the value system of the United States and its consequences.

Yankelovich, Danie. *New Rules.* New York: Random House, 1981. Basing his findings on a number of national surveys and interviews, the author examines the "new rules" in American life which include an increasing search for self-fulfillment, greater diversity in personal and social values and an increasing accpetance of cultural pluralism.

الفصـــل الرابـــع

البناء الاجتماعي والجماعات

Social Structure and Groups

الفصل الرابع
البناء الاجتماعي والجماعات
Social Structure and Groups

في ٢٦ فبراير من عام ١٩٧٢م انهار أحد السدود الذي كان يحتجز ١٣٢ مليون جالونا من المياه الملوثة نتيجة استخدامها في عمليات التعدين المختلفة. وكان ذلك بعد عدة أيام عاصفة كثيفة المطر. واجتاحت مياه السد قرية «بفلوجريك» التي كانت على أسفل أحد الجبال غربى ولاية فرجينيا، والتي كان يقطنها حوالى ٥٠٠٠ آلاف نسمة. وخلال ساعات قليلة، أصبح ما يقرب من ٤٠٠٠ آلاف منهم بلا مأوى. وتناثرت جثث مائة وخمس وعشرين شخصا وسط الأوحال، في نفس الأماكن التي كانت تشكل في يوم من الأيام مجتمعا آمنا مطمئنا، وهو مجتمع المشتغلين بالتعدين. وصعق الناجون من هذه الأحداث التي داهمتهم بغتة، فانكمشوا داخل أنفسهم، لا حول لهم ولا قوة. فقد تحطمت كل الروابط الحميمة التي كانت تطبع حياتهم الاجتماعية. فالفيضان لم يدمر فقط حياتهم وطمأنينتهم وممتلكاتهم، وإنما أيضا ما كان يربطهم من علاقات وأواصر تشكل عصب الحياة الاجتماعية. بقول آخر، لقد دمر الفيضان البناء الاجتماعي كما دمر البيئة المادية «بافلو جريك» (Erikson, 1976).

ما الذي نعنيه بكلمة «البناء الاجتماعى»؟ البناء الاجتماعى هو تنظيم معين للسلوك اليومى لأفراد المجتمع ولعلاقاتهم الاجتماعية بطريقة تتيح التنبؤ بسلوك هؤلاء الأفراد إلى حد كبير. ويعد مفهوم «البناء الاجتماعى مفهوما أساسيا من مفاهيم علم الاجتماع يتضمن عديدا من العناصر الأساسية، من بينها النظم الاجتماعية، والمعايير، والمكانات، والأدوار، والجماعات. وسوف نعنى في هذا الفصل بمناقشة تلك الموضوعات والوظائف التي تؤديها.

إن كلمة «بناء» التي ترد في كتابات علماء الاجتماع، توحى على الفور بتنظيم معين لعناصر منظمة يمكن التنبؤ بها. وتعيش المجتمعات وتستمر في البقاء بفضل هذا

التنظيم المعين، الذي يعرف بمقتضاه كل عضو من أعضاء الجماعة ما ينبغى عليه القيام به، والتنبؤ بسلوك غيره بدرجة كبيرة من الثبات. وبدون ذلك لا يمكن أن يحيا الناس معا. فإذا كان يتعين على كل فرد أن يفكر وأن يعيد التفكير في كل استجابة يقوم بها، في كل لحظة من لحظات حياته، فإننا لن نتحرك خطوة أو نتخذ قرارا، وسوف تصاب حياتنا بالجمود والشلل. إن الناس يعيشون معا لأن لديهم القدرة على وضع قواعد للسلوك، وعلى الاتفاق على معايير تحدد السلوك المقبول في المواقف المختلفة. وإن ما حدث في قرية «بافلو جريك» قد عطل الاستجابات والتصرفات المعتادة والمألوفة، بحيث يمكن القول بأن هذا المجتمع قد اعتراه خلل جمعى. ويعبر «اريكسون» عن ذلك بقوله: بينما كنا أنا وأنت نواصل مسيرة حياتنا متساندين مترابطين كخليتين في جسد واحد، لم نعد بعد انهيار السد كذلك «Erikson, 1976 p. 145» وسوف يعالج هذا الفصل ظهور المعايير السلوكية ونتائجها، وهي ما تشكل قاعدة العلاقات الاجتماعية.

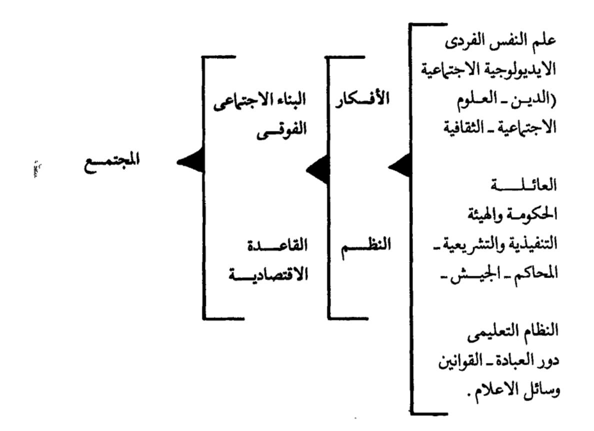
أهمية البناء الاجتماعى: The Importance of Social Structure

يصعب تصور مفهوم البناء الاجتماعى في بعض البلاد كالولايات المتحدة الأمريكية مثلا. لأن جزءا من ثقافة هذا المجتمع الموروثة، تجعل الناس فيه يميلون الى التفكير الفردى، ويبحثون عن دوافع السلوك داخل الفرد نفسه. فظاهرة مثل ميل النساء إلى الالتحاق بأعمال على درجة قليلة من الأهمية، ونقص طموحاتهن بالمقارنة بالرجال، يفسرها معظم الأمريكيين بأنها تعزى إلى شىء في الطبيعة الانثوية ذاتها يجعل المرأة أقل تصميما على النجاح والتفوق من الرجل، وأقل جرأة على اقتحام ميدان العمل. قد يكون هذا الشىء هو الهرمونات الانثوية التي تجعل المرأة رقيقة لا تقوى على العدوان، وقد يكون تخوفها من خوض معترك الحياة وقسوة النضال لئلا تتهم في طبيعتها الانثوية والظهور بمظهر الرجال، وغير ذلك من أمور تتعلق بطبيعتها كأنثى. فهل هذا هو التفسير الحقيقى لتلك الظاهرة؟ ألا يحتمل أن المرأة تسلك على هذا النحو لأوضاع اجتماعية وجدت نفسها فيها؛ ويمكن أن يقال ذلك أيضا على أفراد المجتمع المختلفين لونا، وعرقا، وسلالة، أو ثقافة. فإن عدم ارتقائهم أو تطلعهم لمكانات عليا، لا يرجع إلى لونهم أو عرقهم أو سلالتهم أو ثقافتهم، إنما يرجع اذا أردنا الدقة، إلى أوضاعهم الاجتماعية المختلفة.

وقد عولجت هذه المسألة من منظورات متعددة فيقول أصحاب نظرية الصراع مثلا: إن طرق تنظيم الانتاج، تعد أكثر المظاهر الاجتماعية أهمية، وتشتغل الغالبية العظمى في المجتمع بالانتاج، في حين تتحكم قلة قليلة في تنظيم هذا الانتاج، وفي المنتجات ذاتها. مثل هذه النظم المتعلقة بالانتاج، والتي فيها يسيطر البعض على عمل الآخرين، هي الأساس الذي يرتكز عليه البناء الاجتماعى كما يتضح في الشكل الآتى:

شكل يوضح التحليل الاجتماعى من وجهة نظر نظرية الصراع

عن «شيرمان Sherman» و «وود» ١٩٧٩ ص ٢٠٧



فأصحاب منظور الصراع يرون أن البناء الاجتماعى هو مجموع العلاقات الاجتماعية للانتاج، كعلاقة صاحب العمل بالعامل، وعلاقة الرئيس بالمرؤوس. وأن ترتيب الرجال والنساء فى نسق عريض، وفقا لعلاقات الانتاج السائدة ليؤثر فى تحديد طموحاتهن، وفى سلوكهن فى المجتمع. وتختلف هذه النظرة التى ترى أن الجانب الاقتصادى هو الذى يشكل أساس البناء الاجتماعى، ويتيح ظهور مختلف أشكال السلوك، عن النظرة التى تفسر السلوك على أساس الدوافع والخصائص الفردية.

مكونات البناء الاجتماعى
Components of Social Styructure

فى حين يهتم أصحاب نظرية الصراع بعلاقات الانتاج التى تشكل كل صور العلاقات الاجتماعية الأخرى، فإن أصحاب الاتجاه البنائى الوظيفى يركزون اهتمامهم على تحليل مكونات البناء الاجتماعى، كما نجد ذلك على سبيل المثال عند «بارسونز عام ١٩٥١م Porsons و «ليفى عام ١٩٥٢ Levy » وسوف نتبنى خلال صفحات هذا الكتاب وجهة النظر تلك، ونعالج مكونات البناء الاجتماعى بشكل من التفصيل، لا لأهمية المفاهيم التى تقوم عليها البنائية الوظيفية فى نظرتها إلى المجتمع ومعالجة قضاياه المختلفة وفوائدها فحسب، بل ايضا لأن المدخل البنائى الوظيفى لا يتجاهل المدارس الفكرية الاخرى فى علم الاجتماع.

النظم الاجتماعية Social Systems

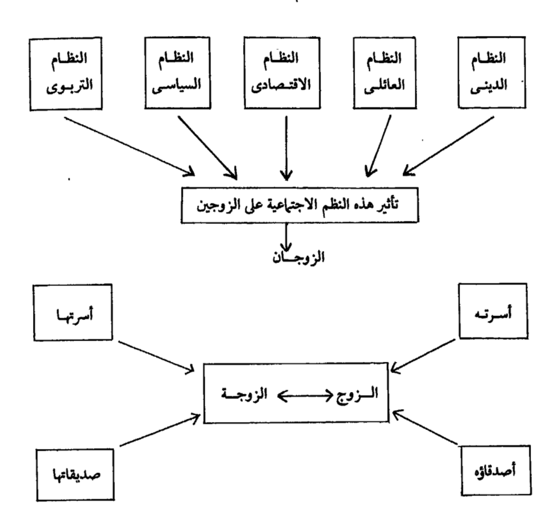
يتيح لنا مفهوم النظم الاجتماعية أن نتعرف على الطريقة التى ينتظم بها السلوك الاجتماعى. ويضم النظام الاجتماعى عناصر يعتمد بعضها على بعض، وترتبط بطريقة منظمة، حتى أن أى تغير يطرأ على عنصر واحد، يؤثر فى بقية العناصر الأخرى. ويتضمن التحليل البنائى تعريف ماهية النظام والعناصر التى يتكون منها، وكيفية ارتباط هذه العناصر بعضها ببعض. هذا النظام يمكن أن يكون المجتمع ككل، وما يضمه من نظم اجتماعية مختلفة كالنظام العائلى،

والدينى، والسياسى، والاقتصادى، والتربوى، وقد يكون أحد هذه النظم مثل النظام العائلى ومن يضمهم من أفراد، وما يتضمنه من علاقات اجتماعية. كما يمكن أن يكون أية جماعة أخرى يتفاعل فيها الافراد عبر الزمن، ويبدعون طرقا للعمل، ويوطدون علاقات فيما بينهم.

وإن المفهوم المشترك الذى يميز جميع النظم الاجتماعية ويعتبر صفة مشتركة بينها، هو الاعتماد المتبادل بين العناصر التى يتكون منها هذا الكل. كما أن هذا الكل يختلف عن الأجزاء التى تكونه، كما تختلف خصائص الماء عن خصائص كل من العنصرين اللذين يكونانه، وهما الأكسوجين والهيدروجين. هل نستطيع على سبيل المثال أن نتصور العلاقة بين زوجين بتصور الخصائص المفردة والشخصية لكل منهما على حدة؟ إننا لن نستطيع ذلك. إن أى زوجين هما أكثر من مجرد شخصين يشكلان هذه العلاقة، إنه متى تكونت رابطة الزواج، فإن الزوج سوف يفضى إلى زوجته وتفضى اليه، ويسكن إليها وتسكن إليه، ويكون كل منهما لباسا للآخر، وسوف ينشغلان بعديد من الأمور، وكل ذلك لن يتعلق بفرد واحد منهما، بل بكليهما، وخلال مايتم بينهما من تفاعل. بعبارة أخرى، إن كل نظام اجتماعى له خصائص تشير إليه وحده من حيث هو نظام (النظام العائلى مثلا) وأنه لا يمكن اختزاله إلى خصائص أعضائه أو العناصر التى يتكون منها، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الجزء داخل الكل، يؤثر في طبيعة كل جزء من الأجزاء أو العناصر الأخرى التي تشكل هذا الكل، وهذه الطبيعة لايمكن فهمها إلا في ضوء النظام الأكبر (المجتمع) الذي يضم الجميع، كما يتضح في الشكل (في الصفحة التالية).

الأنساق الصغرى والانساق الكبرى Micro and Macrosystems

يمكن القول بمعنى من المعانى، إن الحياة الاجتماعية تشبه مجموعة من الصناديق الصينية يضم كل صندوق داخله صندوقا أصغر منه. ويتحدث علماء الاجتماع عن النظام المصغر عندما يشيرون الى الاشكال الأولية والبالغة البساطة من صور التفاعل الاجتماعى، وبوجه خاص السلوك اللحظى للناس فى موقف



معين كالزوجين مثلا، أو جماعة أصدقاء، أو بعض العاملين فى إدارة واحدة. كما أنهم حين يتحدثون عن الآنساق الكبرى إنما يشيرون الى أنساق على مستوى أعلى من التجريد. فالنسق الاقتصادى نسق أكبر مجرد، بعكس خط التجميع فى شركة من الشركات الصناعية الذى يمثل نسقا أصغر، يدخل فى اطار هذا النسق الأكبر، والنسق القانونى كذلك نسق أكبر مجرد، تدخل فى إطاره أنساق أصغر، كقاعدة محكمة من المحاكم مثلا. وهكذا يتضمن كل نسق أو مستوى أكبر،

أنساقا أو مستويات أصغر.

المكانـــة Status

يستخدم مصطلح المكانة فى علم الاجتماع ليشير إلى وضع الفرد فى النظام الاجتماعى. وتكون المكانات دائما مترابطة. وأى مكانة من المكانات تتضمن مكانة أو أكثر تتصل بها. فحجرة الدراسة على سبيل المثال، تضم نسقين من المكانات: الاستاذ والطالب. ودون الاشارة إلى شخصيات بعينها، فإننا نستطيع أن نتحدث عن أستاذ وطالب بشىء من التجريد، بقول آخر، إن لدينا خريطة عقلية لنظم المكانات، تظل تشغل بأفراد معينين ـ فالطالب (أو الطالبة) نفسه يحتل مكانة طالب فى عديد من قاعات الدراسة، بأساتذة مختلفين. ولكن توجد فى كل حالة من هذه الحالات قواعد منظمة:

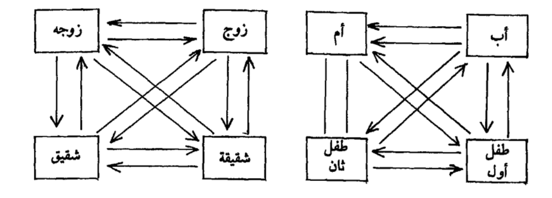
يتصدر الاستاذ القاعة، ويجلس الطلاب أمامه، مقعد كبير أو منصة للاستاذ، ومقعد أصغر للطلاب، حرية الحديث للاستاذ، والطلاب لا يتحدثون إلا بإذن، وهكـذا. وسـوف تظل هذه البنية السلوكية طابعـا مميزا لحجرة الدراسة بهاتين المكانتين حتى بعد أن تتخرج أنت ويتخرج غيرك من الكلية.

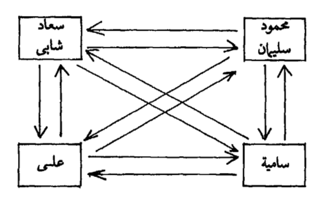
نعـود مرة أخرى الى مفهوم النظام الاجتماعى باعتباره مجموعة من المكانات المترابطة التى تشكل «الكل» (النظام) فنستطيع أن نتحدث عن النظام العائلى على سبيل المثال، فى أى مجتمع من المجتمعات. فالعائلة وحدة معترف بها، تضم عدة مكانات محددة، أى أفرادا يشغلون مراكز معينة فى وقت معين. ويختلف عدد ونـوع المكـانـات التى تشكـل العائلة من مجتمع الى مجتمع آخر. ففى بعض المجتمعات تضم العائلة جميع الافراد الذين يرتبطون معا بروابط الدم، فى حين لا تضم فى مجتمعـات أخـرى سوى الزوجين وأبنائهما المعتمدين عليهما فقط. فالعائلة مفهوم مجرد، ولكن عائلة «محمود» مثلا، ليست مجرد فكرة، فهى تضم عدة مكـانـات مترابـطة، وقد يقترب سلوكها أو لا يقترب من المعايير الثقافية السائدة. ويتضح هذا التمييز من الشكل الآتى الذى يمثل العائلة كوحدة مجردة تضم عدة مكانات. وعائلة محددة هى عائلة محمود. ويتضح من الشكل أن كل شخص يحتل مكانة مزدوجة، فهو أب وزوج وإبن وشقيق، الامر الذى يمكن

أن يشكل مصدرا لصراع الدور وللضغوط. وتشير الأسهم إلى أنماط التفاعل.

شكل يبين العائلة كوحدة مجردة تضم عددا من المكانات

وعائلة محددة هى عائلة «محمود»





المكانات الموروثة والمكتسبة Ascribed and Achieved Status

تقوم بعض الأوضاع الاجتماعية على خصائص ثابتة نسبيا لا حيلة للمرء فيها. فخصائص مثل العمر والجنس والعرق مثلا، لا يمكن تغييرها، بالرغم من محاولة البعض أن يبدو على خلاف ذلك، فيستخدم الاصباغ المختلفة ليبدو (أو تبدو) أصغر سنا، ولكن حقيقة الأمر أن العطار لا يصلح ما أفسد الدهر.

وغالبا ما ترتبط الخصائص الموروثة بأوضاع يشغلها الفرد بصرف النظر عن الجهد أو الرغبة. فأن يكون الفرد فى عمر معين، فإن ذلك يعنى قدرته على عمل أشياء معينة، وعدم قدرته على عمل أشياء أخرى. واذا ولد ابن لأسرة حاكمة فإنه يصبح أميرا، واذا كانت ابنة فهى أميرة. وهكذا يمكن أن يحدد الوضع الاجتماعى للأبوين فى بعض المجتمعات مجرى حياة الشخص أميرا كان أو خفيرا. وتلك هى المكانات الموروثة.

أما المكانات المكتسبة فهى على العكس من ذلك، لأن الفرد يشغلها باختياره ورغبته، بكفاحه واجتهاده، فالانسان يستطيع أن يتخذ عديدا من القرارات حول نوع الدراسة، والكلية، والعمل الذى سوف يزاوله، ولكن لا تزال توجد مع ذلك بعض المكانات التى تشغل بالتعيين أو بالانتخاب. ويمكن القول بوجه عام، إنه كلما تعقد المجتمع، ازدادت فرص المكانات التى تشغل عن طريق العمل، والانجاز، والجد، والاجتهاد، بدلا من أن تكون عن طريق الوراثة. وان هذا المدى الواسع من الاختيار أمام الأفراد، هو الطابع المميز للمجتمع العصرى. ويمكن أن يكون ذلك مصدرا من مصادر القلق، ولكن هذا هو الثمن الذى ندفعه مقابل حريتنا فى أن نختار لأنفسنا ما نريده.

وان معرفة مكانة فرد فى النظام الاجتماعى، سواء كانت هذه المكانة موروثة أم مكتسبة، يجعلنا نتوقع منه سلوكا معينا. وذلك لأن لكل مكانة متطلبات السلوك الخاصة بها، وعلاقات معينة تربط شاغل هذه المكانة بغيره من الناس، وهذا ما نطلق عليه اسم الدور.

الدور Role

يعد مفهوم الدور من المفاهيم الأساسية فى علم الاجتماع، ويشير الى الطرق التى يتوقع أن يسلكها شاغل مكانة معينة. فالدور نمط من السلوك تحدده المكانة المعينة التى يحتلها الفرد. فمكانة الأب مثلا، تتطلب أنواعا من السلوك تختلف اختلافا كبيرا عن أنواع السلوك التى تتطلبها مكانة الابن. ولكل مكانة من هاتين المكانتين مجموعة من الحقوق والواجبات والمتطلبات. ولكم سندهش اذا رأينا أبا

يقوم بأدوار الابن، أو ابنا فى العاشرة من عمره يقوم بادوار الأب، لأن كلا منهما يخرج بذلك عن المعايير المتعارف عليها، وعن السلوك المتوقع والمرغوب فيه. بقول آخر، عن متطلبات الدور بالنسبة لمكانة كل منهما الخاصة، سواء بالنسبة للعمر أم بالنسبة للنظام العائلى ككل. فكأن متطلبات الدور هى معايير تتعلق بأنواع من السلوك المرغوب فيها والمسموح بها.

أداء الـــدور Role Performance

يشير أداء الدور الى السلوك الذى يقترب بدرجة تقل أو تزيد، عن المتطلبات المثالية للدور. وأداء الدور عملية مستمرة يحاول فيها الفرد الذي يقوم بدور معين، أن يرتقى بهذا الأداء إلى المتطلبات المثالية له، ويصر على أن يفعل الآخرون مثله. وهكذا، فإن الأدوار أنواع من السلوك ينجزها مع آخرين هم شركاؤه فى الدور، ولهم أيضا توقعاتهم عنه، ومن ثم يظهرون موافقتهم أو معارضتهم. وعن طريق هذا التأثير المتبادل تتعدل انجازات كل منهم بما يصدرونه من أحكام تتعلق بأداء الدور.

تبـادل الـــدور Role Taking

يعد تبادل الدور أحد المظاهر الهامة لسلوك الدور، وإن كان يختلف عنه. فأداء الدور يقوم أساسا على سلوك تنظيمى وفقا لمعايير الجماعة. وأما تبادل الدور، فهو عملية انعكاسية إلى حد كبير، يحاول فيها الفرد أن يعرف كيف يبدو من وجهة نظر الآخرين (Shibutani,1961) أو أن يتخيل للحظات مؤقتة بأنه الشخص الآخر الذى يتبادل الدور معه. فالطالب (أو الطالبة) الذى يريد أن يتوسع فى الاجابة عن سؤال معين من أسئلة الامتحان، يضع نفسه موضوع أستاذ هذه المادة، ويتصرف التصرف الذى يعتقد أنه يرضيه لأن لكل شيخ طريقة كما يقال. وعلى هذا، فإن تبـادل الدور محاولة لاستشفاف رغبات الاخرين، أو التصرف وفقا لتوقعاتهم. وتتوقف هذه العملية على كل خبرات الفرد الخاصة بالثقافة التى تظله، وعلى فهم معايير وتوقعات الآخرين. ومع ذلك، فإن القدرة على تبادل الدور مع شخص آخر، قدرة محدودة بخلفيتنا وخبراتنا. وإلى ذلك يشير «شيبتانى Shibutani

بقوله»: إن الشخص الذى لم يضرب أبدا إلى الدرجة التى يفقد فيها وعيه، يصعب توقع أن يفهم الخوف الشديد الذى يعترى عديدا من الصبية الذين شبوا فى بيئات وضيعة. كما أن الناس المحظوظين الذين لم يلقوا فى حياتهم إلا كل حب ومودة وإعزاز، يجدون صعوبة كبيرة فى فهم الكراهية التى يكنها البعض لوالديهم . . . ويعتبرون ذلك تمردا على معايير الجماعة التى تحث على توفير واحترام الأسرة». ص ٥٠٧.

ومن هنا نفهم حكمة تصرف الخليفة العادل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أثناء عام الرمادة، عندما حدث قحط شديد. فقد سأل عن أقل إدام يتناوله أفقر شخص، وعندما أخبروه بأنه كسرة خبز ممزوجة بقليل من الزيت، ألزم نفسه بهذا الإدام، حتى رفع الله هذه الغمة، وعاد الخير يتدفق على المسلمين. إنه عندما لا يستطيع أفراد الجماعة تبادل الدور مع الآخرين بشىء من الثبات Reliability فان الاداء الناجح للدور لن يتحقق ابدا.

إبداع الـدور Role Creating

يتضمن التنظيم العام للحياة اليومية أننا جميعا نؤدى عديدا من الادوار دون تفكير كثير فيها. بالرغم من أن أداء الدور يمكن أن يتغير لأن الانسان دائم التفسـير والتعريف لسلوك الآخرين واستجاباتهم. ومن هنا، فإنه توجد حدود لتناول ما يطلب منا بشكل آلى ودون تفكير. وخاصة عندما نكون إزاء مواقف جديدة. فالمكـانات المختلفة التى نحتلها تتطلب ضرورة ابداع أدوار جديدة. فالطالب الذى يلتحق حديثا بالجامعة، أو المجند الجديد بالقوات المسلحة، يحتل مكانة جديدة، ولابد أن يتعلم ما يتوقع منه من سلوك فى هذا الوضع الجديد، لكى يقوم بالدور المناسب له. وهذه هى العملية التى أطلق عليها «شيبتانى» اسم «ابـداع الدور» وهذا الدور الجديد الذى يبدعه الفرد لنفسه داخل نظام اجتماعى معين، لن يتأثر فقط بالمعايير السائدة، وإنما يتأثر أيضا بخبرات هذا الفرد الماضية. وعلى أساس ما يتوقعه الفرد من الآخرين بصدد معايير السلوك، وما يراه من أدوار مناسبة، سوف يبدع الدور الذى يتناسب مع المكانة المعينة التى يشغلها.

الدور ومجموعة المكانات Role and Status Sets

بما أن لكل مكانة مجموعة معينة من الأدوار وأنواع السلوك المتاحة والممكنة، فليس غريبا أن تحدث المكانات والأدوار فى مجموعات منظمة يكمل كل منها الآخر. وكما ذكر «وليمز» Williams عام ١٩٧٠ : إن كل فرد إما أن يكون ذكرا أو أنثى ، وفى عمر معين. وتتأثر المكانات الاخرى بهاتين المكانتين، وهما العمر والجنس. وهكـذا يتحـدد الدور بالمكانات التى يوجد فيها الفرد. فعلى سبيل المثال، فإن دور أب لشاب جامعى فى الثامنة عشرة من عمره، يختلف اختلافا ملحوظا عما إذا كان هذا الأب والدا لرجل أعمال فى الخامسة والثلاثين من عمره. إن المكانات المتعددة التى يشغلها الافراد تؤثر فى الاختيار من بين أنواع السلوك المتاحة والممكنة. ويمكن القول بوجه عام، إن الشباب فى متوسط العمر يشغلون مكانات أكثر من تلك التى كانوا يشغلونها فى صدر الشباب، وأكثر من تلك التى سوف يشغلونها فى المراحل المتأخرة من العمر. وعلى ذلك فإنهم يجدون أنفسهم فى متوسط العمر، أمام مجموعة معقدة من الادوار. وإن تعدد الأدوار التى يضطلع بها الشخص من حيث هو زوج وأب وموظف أو صاحب عمل، وعائل لأب أو لأم أو لكليهما، وعضو فى ناد أو جماعة ثقافية، ليؤثر على أدائة فى أية مكانة من هذه المكانات.

صـراع الـدور Role Conflict

يحدث أحيانا أن يجد المرء نفسه أمام مطالب مختلفة أو متعارضة، الأمر الذى يتمخض عن صراع الدور. ويوجد نوع آخر من صراع الدور، عندما تتطلب الأدوار العديدة التى يقوم بها الفرد سلوكا متعارضا وفيى كلتا الحالتين يعانى المرء من صراع داخلى، لأن الانسان لا يستطيع أن يلبى أكثر من مجموعة واحدة من المطالب فى وقت واحد.

ويشيع النوع الأول من صراع الدور، والمتعلق بالمطالب المتعارضة فى الوظائف التى يكون فيها الفرد عاملا، ويشغل منصبا إداريا فى الوقت نفسه. وفى هذه الحالة، فإن مكانته كعامل تتطلب منه أن يتعاطف مع مطالب العمال، فى حين

أن مكانته فى الجهاز الإدارى، تتطلب منه تحقيق مطالب الادارة. فإذا سعى العمال إلى تحقيق مطالب معينة من المؤسسة، فإنه يقف حائرا أمام متطلبين: توقع العمال التعاطف معهم باعتباره واحدا منهم. وتوقع الإدارة ولاءه للمؤسسة.

وأما النوع الثانى من صراع الدور، فإنه يحدث عندما يجد المرء نفسه أمام متطلبين أو أكثر من الأدوار، وعلى درجة واحدة من الاهمية. على سبيل المثال، هل يذهب الموظف إلى عمله فى الصباح. أم يمكث فى البيت مع زوجته المريضة؟

ضغوط الدور Role Strain

كما أن تضاد أو تباين التوقعات ينتج عنه صراع الدور، فذلك تنتج ضغوط الدور عن تعدد الأدوار التى ينبغى على الفرد القيام بها فى وقت واحد. وبخاصة عندما تكون هذه الأدوار أكثر من طاقته، وأكثر مما يستطيع إنجازه بطريقة ملائمة. فهو لا يجد الطاقة التى تلزمه لانجازها، ولا يستطيع فى نفس الوقت استبدالها بأدوار تتطلب جهدا أقل. فالطالب الجامعى المتزوج والذى تركت زوجته عملها لتتفرغ لتربية الأطفال، والعناية بهم، والذى يتعين عليه القيام ببعض الاعمال الاضافية لتحقيق حياة كريمة لأسرته، غالبا ما يعانى من ضغوط الدور. فلا الزوجة، ولا الاطفال، ولا رؤساء العمل فى الجهات المتعددة التى يعمل بها، ولا أساتذة الجامعة، يقبلون الا أن يكرس كل وقته لهم. وكذلك المرأة المتزوجة والتى لديها أطفال صغار واضطرت الى العمل كمدرسة، وعليها أن تعنى ببيتها، وتلبى حاجات زوجها، وترعى صغارها، وربما تعنى أيضا بشيخين كبيرين، بالاضافة الى متطلبات العمل، لابد أن تعانى من ضغوط الدور.

هل توجد أية حلول لضغوط الدور هذه؟ للأسف، لا توجد إجابة سحرية عن هذا السؤال. إن احدى طرق التقليل من هذه الضغوط، إعادة تفسير الموقف كله، أو التخلى عن بعض الأدوار التى يضطلع بها الانسان. فالشاب يمكن أن يحدد متطلبات الأسرة فى ضوء القدرة المتاحة، ولا يكلف الله نفسا إلا وسعها. فينسق بين متطلبات عمله ومتطلبات أسرته (بالرغم من أن أفراد أسرته قد لا

يقبلون ذلك) والمرأة المتزوجة ولديها أطفال وتعمل، يمكن أن تشرك والديها، أو والدى زوجها فى رعاية الصغار، أو تقنع زوجها بمساعدتها فى أعمال البيت. ويتوقف نجاح مثل هذه الحلول بطبيعة الحال، على قدرة الشخص على اقناع الآخرين بأن حاجاتهم يمكن أن تتحقق بشكل مناسب بمثل هذا التنظيم للدور.

ويحدث نوع آخر من ضغوط الدور، عندما تكون المعايير التى تحكم الأداء، ومن ثم توقعات شركاء الدور، غير واضحة، أو مازالت فى دور المراجعة ولم تتبلور بعد. وذلك كما هو الحال اليوم فى بعض المجتمعات فيما يتعلق بدور كل من الرجل والمرأة فى البيت أو فى العمل أو فى المجتمع بشكل عام. وبالرغم من أن القضية غالبا ما تحسم فى ضوء أدوار المرأة المتغيرة، فإنه يوجد عديد من الرجال فى هذه المجتمعات يشعرون بالحيرة فيما يتعلق بأدوارهم هم (Kormarovsky, 1976 and Pleck, 1980)

سياق التفاعل الاجتماعى
The Context of Social Interaction

ظهـور المعايـير Emergent of norms

تتم معظم أنشطتنا اليومية داخل نظم مستقرة لها قواعدها ومكاناتها وأدوارها المعترف بها. وحتى عندما يلتقى غرباء، فإنه يوجد نمط معين لتفاعلهم بالرغم من أن هذا النمط يمكن أن يتباين تباينا واسعا بالنسبة للثقافات المختلفة. وأن أى مجتمع لا يمكن أن يسمح أبدا بوجود مواقف تختلط فيها المعايير، أو لا تتضح فيها القواعد والمكانات والأدوار، أو أن تترك الأمور للصدف والأهواء.

ولكن، ماذا عن المواقف الجديدة التى لم تحدث من قبل، كيف يعرف من يواجهها كيفية التصرف ازاءها تصرفا سليما؟

اللامعيارية Anomie

استخدم «دوركيم ١٨٩٧ - ١٩٦٦» كلمة Anomie وهى كلمة فرنسية، ليشير

بها إلى المـواقف التي تخلو من المعـايير، أو التى تكـون فيها المعايير، غير واضحة أو مهـوشة، فلا يجد الأشخاص الذين يتعين عليهم القيام بأدوار معينة قواعد معيارية بصددها. لقد وصفنا الإنسان بأنه كائن صانع للقواعد ومنظم لها، وعلى هذا لايمكن التسـامح مع الفوضى، ومن هنا، فالناس تحاول أن توجد معنى،وتضع نظما وقواعد للمواقف التي تخلو من التنظيم. وذلك بتحليل هذه المواقف وفهمها وإيجاد القواعد الكفيلة بتنظيمها.

مثال ذلك ما حدث فى انجلترا فى الشهور الأولى من الحرب العالمية الثانية، عندما اضطر الناس إلى الالتجاء إلى مخابىء تحت الأرض يحتمون بها من وابل القنابل التى لم تنقطع ليل نهار. هذه المواقف الجديدة لم تكن لها معايير واضحة، فلم يسبق أن اضطر الناس لقضاء الليالى تلو الليالى يعيشون وينامون تحت سطح الأرض . ولكن سرعان ما أوجد الناس أنواعا من السلوك الذى يتناسب مع هذه الحياة الجديدة. فظهر بينهم نوع من تقسيم العمل، وأوجدوا حياة متكاملة لا تخلو حتى من المغنين والممثلين الكوميديين، واستنبطوا أنواعا من الألعاب يزجون بها أوقـات فراغهم. وخـلال مدة بسيطة، ظهر نظام اجتماعى جديد فى هذه المخابىء واستبدل انعدام التنظيم بنوع من التنظيم.

تعريف الموقــف Difinition of The Situation

يمكن القول بوجه عام، إن سلوك الفرد لا يتحدد فقط بالمكانة التى يشغلها، وإنما يتحدد أيضا بتعريفه وتفسيره للموقف الذى يجد نفسه فيه. ويشير تعريف الموقف إلى أن السلوك الذى يقوم به الفرد، ليس ببساطة مجرد استجابة للبيئة التى يوجد فيها، بل هو مجهود نشط لتحديد وتفسير السياق الذى يجد نفسه فيه، والذى يثير اهتمامه. ثم يختار بعد ذلك أنواع السلوك التى تناسبه. بتعبير آخر، إن ما يعتبره الناس حقيقة، هو حقيقى بالنسبة للنتائج التى تترتب عليه. وعندما يتفق معنا الآخرون على تعريفنا لموقف معين، فإنه يتوفر اتفاق واجتماع وتوقعات مشتركة، تتيح فهما متبادلا، الأمر الذى ييسر التفاعل الاجتماعى. إن المواقف غير معرَّفة بذاتها، ولكن معناها يتوقف على ما يضفيه عليها المشاركون فيها. أى أن الناس هم الذين يعرفون المواقف.

فإذا كان السلوك استجابة للموقف كما يدركه المشاركون فيه، فإن المواقف تعرف تعريفات مختلفة، وفق ادراك الناس لها، الأمر الذى تنتج عنه اختلافات فى السلوك. وقد ظهرت هذه النقطة بوضوح فى أعمال عالم النفس الاجتماعى «ستانلى ميلجرام عام ١٩٦٥ Stanly Milgram فقد قام بسلسلة من التجارب أثبت فيها أن الافراد يتأثرون بالمواقف التى يجدون أنفسهم فيها، وبما يعطونه لهذه المواقف من تفسيرات.

الجماعات
Groups

انصرف جل اهتمامنا حتى الآن، الى العناصر التى يتكون منها البناء الاجتماعى مثل المكانة والدور والسياق الذى يتم فيه التفاعل الاجتماعى. ولكن المجتمع ليس مجرد تجمعات لأفراد يتفاعل بعضهم مع بعض، فالمجتمع يتكون من أفراد يرتبط بعضهم ببعض بطريقة معينة، تلك هى المعيشة داخل جماعات. ونحن ننتمى خلال مسيرة حياتنا إلى عديد من هذه الجماعات التى تؤثر كل منها فى أفعالنا وتصرفاتنا، وفى تشكيل مفاهيمنا عن ذواتنا. ولا يمكن أن يكون الفرد كائنا إنسانيا إلا اذا عاش وسط جماعات إنسانية، بالرغم من أن العلاقة بين الفرد والجماعة يمكن أن تأخذ أشكالا عديدة.

وتشير الجماعة إلى أى تجمع من أفراد يرتبطون معا بمجموعة معينة من العلاقات الاجتماعية. وتتباين الجماعات تباينا واسعا، فقد تكون جماعات تتكون من عدد كبير من الافراد كمصنع للسيارات، أو مخيم صيفى للأطفال، أو قد تكون جماعة صغيرة تتكون من عدد قليل من الأفراد كالأسرة، أو حتى من شخصين اثنين كطبيب ومريضه، كما أنها يمكن أن تختلف من حيث العضوية، فقد تكون هذه العضوية ثابتة وقد تكون متغيرة. ومهما يكن من أمر، فلابد أن يتوفر فى الجماعات عنصران أساسيان هما:

أ - الوعى بالاعضاء الآخرين داخل الجماعة.

ب - الاستجابة المتبادلة بينهم، بحيث تشكل أفعالهم سياق الجماعة ككل.

ويبدو مصطلح «الجماعة» بسيطا، لأنه يستخدم فى أحاديثنا اليومية ليقصد به عديد من المعانى. ولكن علماء الاجتماع يستخدمونه استخداما دقيقا. والجماعات سواء كانت صغيرة أم كبيرة، وسواء كانت ثابتة أم مؤقتة، فانها تتميز بعلاقات اجتماعية متبادلة بين أعضائها. وليس أى تجمع من عدة أفراد يعد جماعة بالمعنى الاجتماعى. وتتميز الجماعة بالمعنى الاجتماعى بالخصائص الآتية:

١ ـ مجموعة مميزة من العلاقات الاجتماعية بين أعضائها.
٢ ـ الاعتماد المتبادل بين أعضائها.
٣ ـ الشعور بأن سلوك أى عضو من الاعضاء يخص الاعضاء الآخرين.
٤ ـ الاحساس بالعضوية فى الجماعة، أى الشعور بالنحن We.

خصائص الجماعات Group Characteristics

الجماعات الأولية Primary Groups

يوجد تمييز دقيق فى علم الاجتماع، بين الجماعات الصغيرة التى توجد بين أعضائها علاقات شخصية حميمة، وبين الجماعات الكبيرة التى لا تتوفر بين أعضائها مثل هذه العلاقات الشخصية الحميمة.

وقد أدخل «شارلز هورتن كولى (١٩٢٩ ـ ١٩٦٤) **Charles Horton Cooley** » مصطلح «الجماعة الأولية» ليشير به إلى الجماعة التى يكون بين أفرادها علاقات تتصف بالدفء والمودة والروابط الشخصية الوثيقة. وأطلق «كولى» على هذه الجماعة اسم «حضانة الطبيعة البشرية» ورأى فيها المصدر الأول وشبه الكامل للاحساس بالوحدة الاجتماعية، والأسرة هى أول جماعة أولية فى حياة الانسان. وتتضمن الجماعات الأولية أهدافا محددة لاعضائها الذين ينظرون إلى العالم نظرة متقاربة، ويكافحون من أجل آمال مشتركة. ونظرا للروابط الوثيقة بينهم، فإن كل عضو من أعضاء الجماعات الأولية يعنى بسعادة الأعضاء الآخرين (Cooley, 1902 1909).

وإن الانتماء إلى الجماعة الأولية لهو غاية فى حد ذاته، وينظر إلى العلاقة بين أعضائها كقيمة فى حد ذاتها، ولا ينظر اليها كوسيلة لتحقيق أهداف أخرى. وإن السلوك الذى يقوم به كل عضو من أعضائها يكون مشحونا بالعواطف، ويجد

كل عضو متعة فى القيام به. كما أن الجماعات الأولية ثابتة نسبيا، والعلاقات بين أعضائها علاقات مواجهة ويكون التفاعل فيها تلقائيا، ويحس كل عضو بأنه هو الجماعة كلها، وليس مجرد عضو فيها. إن أهم ما يطبع الجماعة الأولية هو عمق وغزارة علاقاتها. وقد أكد «كولى» نقطة هامة، وهى أن الطبيعة الانسانية ليست مجرد شىء منفصل داخل كل فرد، وإنما شىء ينمو ويتطور داخل الجماعات الأولية، خلال علاقات المواجهة.

الجماعات الثانوية Secondary Groups

على عكس الجماعات الأولية، فإن الجماعات الثانوية تتصف بقلة الروابط الانفعالية بين أعضائها. كما أنها تتميز بالتفاعل الاجتماعى المحدود الذى لا يلمس إلا جزءاً بسيطا من الشخص. وبالاضافة إلى ذلك، فإن أهداف أعضاء الجماعة الثانوية يمكن أن تتباين، وتحل العلاقات الرسمية محل العلاقات التلقائية غير الرسمية التى توجد بين أعضاء الجماعة الاولية. ومن أمثلة الجماعات الثانوية الطلاب داخل قاعة المحاضرة، والعاملون فى مؤسسة كبيرة، والتنظيمات العمالية كالنقابات. ويجمع بين أعضاء هذه الجماعات الثانوية اهتمامات مشتركة، ولكن أهدافهم تختلف، وتكون اتصالاتهم وقتية نسبيا، كما أن أدوارهم تكون محددة تحديدا دقيقا.

وينظر إلى تفاعل أعضاء الجماعة الثانوية على أنه وسيلة لتحقيق أهداف أخرى أبعد: كالحصول على شهادة البكالوريوس، أو الحصول على أجر، أو تحقيق مصلحة معينة وغير ذلك. وهكذا، فإن السلوك يوجه نحو أهداف أبعد، فالاشخاص «أدوات» أو هم وسيلة لتحقيق أهداف أخرى.

وكثيرا ما تتكون جماعات أولية داخل الجماعات الثانوية، حيث تلعب الصداقة دورا كبيرا فى النظام الاجتماعى الأكبر. وقد أجريت على سبيل المثال، دراسات عديدة على سلوك الجنود أثناء الحرب العالمية الثانية، أظهرت أن الجندى المحارب لم يكن مدفوعا للقتال بدافع الوطنية أو بدافع كراهية العدو، وإنما كان مدفوعا بولائه لكتيبته، وبوجه خاص لرفاقه فى هذه الكتيبة. (Stouffer, 1949 and Shils, 1950) وتؤدى الجماعة الأولية فى المعركة وظيفة مزدوجة: الوظيفة الأولى، وضع

معايير للسلوك، وتحديد الأدوار. والوظيفة الثانية، دعم الجنود والمحافظة عليهم فى أوقات الشدة.

وفيما يلى مقارنة بين الجماعات الأولية والجماعات الثانوية

جدول للمقارنة بين الجماعات الأولية والجماعات الثانوية

الخصائص البنائية	العمليــات	عينة للعلاقات	عينة للجماعات
أولا : الجماعات الاولية:			
١ ـ التقارب المكانى.	١ ـ علاقات كلية بين الاعضاء.	١ ـ العلاقة بين الزوجين.	١ ـ الاسرة
٢ ـ قله عدد الاعضاء	٢ ـ التلقائية	٢ ـ الصداقة الحميمة	٢ ـ الجيران
٣ ـ الاتصالات الدائمة	٣ ـ ضبط اجتماعى غير رسمى	٣ ـ علاقات العمل الوثيقة.	٣ ـ فريق العمل
٤ ـ معايير وقيم مشتركة.	٤ ـ سلوك مشحون بالعاطفة.	٤ ـ علاقة الوالدين بأطفالها.	٤ ـ الشُلل.
٥ ـ أهداف مشتركة.			
ثانيا: الجماعات الثانوية:			
١ ـ عدد كبير من الأعضاء	١ ـ علاقات ترتبط بالادوار.	١ ـ علاقات الاستاذ أو المعلم بتلاميذه	١ ـ طلبه الكلية الجدد
٢ ـ مشاركة محدودة	٢ ـ الرسمية.	٢ ـ علاقة الضباط بالجند.	٢ ـ الجيش
٣ ـ لا يوجد تقارب مكانى	٣ ـ ضبط اجتماعى اكثر رسمية	٣ ـ علاقة الرئيس بالمرؤوس.	٣ ـ المؤسسات والشركات
٤ ـ اتصالات مؤقتة	٤ ـ الافراد أدوات لغايات.		٤ ـ النقابات.

الجماعة المحلية والمجتمع Gemeinschaft and Gesellschaft

ثمة تمييز يشبه التمييز الذى سبق أن عرضنا له بين الجماعات الأولية والجماعات الثانوية، هو التمييز الذى عرض له عالم الاجتماع الألمانى «تونيز Ferdinand Toennies, 1953 - 1956) بين المجتمع المحلى Gemienschaft وبين المجتمع Gesellschaft وذلك لوصف نمطين من العلاقات الاجتماعية. (وسوف نستخدم الألفاظ الألمانية).

وتتميز «الجمنشافت» بوجود علاقات أولية، حيث يعرف الناس بعضهم بعضا لأجيال عديدة، وتسودهم علاقات غير رسمية، ويرتبطون بروابط المصاهرة والتقارب المكانى. وغالبا ما تكون العضوية موروثة. وتسود هذه الجماعات علاقات تقليدية هى الاثيرة لديهم، وتبدو الأدوار طبيعية لأنها نتاج مكانات موروثة، وتولى القيادة وفق أصول مرعية.

وأما العلاقات في «الجزلشافت» فهى أقرب إلى النفعية والتعاقدية. وتكون أغلب الروابط الاجتماعية اختيارية، وتقوم على أساس المصلحة الشخصية لتحقيق هدف معين أو مجموعة من الأهداف. ويصدق هنا كل ما قيل عن العلاقات السائدة في الجماعة الثانوية. كما يصدق ما قيل عن الجماعة الأولية على الجمنشافت.

ويمكن القول بوجه عام، إن تطور المجتمعات الحديثة يمكن أن يرى في المضى قدما لاستبدال «الجمنشافت» بالجزلشافت حيث تسود العلاقات غير الشخصية والجزئية والتي تكون وسيلة لتحقيق أهداف أبعد، وغير ذلك من خصائص.

وبالرغم من أن «تونيز» وغيره قد انتابهم الأسف على هذا التحول في المجتمع المعاصر، فيما يتعلق بالاعتماد المتزايد على الجماعات الثانوية، والبعد عن العلاقات الشخصية المشحونةبالانفعالات التي تتصف بها الجمنشافت، فإنه يمكن القول بوجه عام، إن الروابط في الجمنشافت، بالرغم من أنها مصدر إشباعات شخصية وانفعالية، فإنها يمكن أن تكون مقيدة ومعرقلة للفردية والتلقائية والابداع. فعندما لا تتوفر في أى مجتمع من المجتمعات إلا عضوية الجماعات الأولية، ولا يمكن الانتساب لجماعات سواها، فإن الانسان سيفقد حريته الشخصية، وسيبادر عندما تسنح الفرصة لترك هذه الجماعة، من أجل أن يمارس حريته ويشعر باستقلاليته.

حالة خاصة : الجماعة الأولية المؤقتة

A Special Case: The Pseudo-Primary Group

بما أن المجتمع الحديث مجتمع معقد، فإن معظم المكانات والأدوار فيه تكون مؤقتة نسبيا. وكثيرا ما ينخرط الناس فى جماعات أولية صغيرة العدد نسبيا، تضع قيودا على عضويتها، وذلك لملء الفراغ بين الجماعات الأولية والجماعات الثانوية. وتلك هى الجماعات الأولية المؤقتة. وهى تشبه الجماعات الأولية التى سبق أن أشرنا اليها، وتتصف بعديد من خصائصها مثل قلة عدد أفرادها، وسيادة العلاقات غير الرسمية بينهم وأيضا فى تقبلها الفرد ككل. الا أنها تختلف عنها فى مظهرين أساسيين، ذلك أنها مؤقتة، وأن أعضاءها لا يشتركون فى معايير وأهداف واحدة. مثال ذلك، الحلقات التى تضم عددا من الجيران، أو الجماعات التى تتكون لأداء خدمة عامة كمحو الأمية، أو بعض المجالس المؤقتة لشرح وتفسير القرآن الكريم، والنوادى الأدبية وغير ذلك. والوظيفة الاجتماعية لمثل هذه الجماعات الأولية المؤقتة حماية الفرد من الطابع اللاشخصى للمجتمع الأكبر، وفى نفس الوقت لا تتطلب هذه الجماعات أية متطلبات تلمس انفعالات الأفراد.

وتعد المخيمات والمعسكرات مثالا آخر لهذا النوع من الجماعات الأولية المؤقتة، وفيها تقيم عدة عائلات سويا لفترة تطول أو تقصر، يتعرف فيها بعضهم على بعض، ويمارسون أنواعا مختلفة من الهوايات، ويشاركون فى مناقشات ومناظرات دينية وأدبية وثقافية مختلفة. ولا نستطيع أن نطلق على مثل هذه الجماعات اسم «جماعة أولية» بالمعنى الذى اصطلحنا عليه. وإنما هى جماعة أولية مؤقتة تشكلت لاشباع بعض الحاجات النفسية والاجتماعية، وتبادل الخبرات والمعلومات، ثم تنفض ويعود كل فرد إلى خضم الحياة اليومية العادية الروتينية.

داخل الجماعة وخارج الجماعة In-group and Out-group

صاغ «وليم جراهام سمنر (١٨٤٠ - ١٩١٠) William Graham Sumner »هذين المصطلحين. ويقصد بالمصطلح الأول «داخل الجماعة In - group أفراد الجماعة التي ننتمى إليهم وينتمون إلينا. وأما مصطلح خارج الجماعة Out - group فيشير الى الأفراد الذين لا ننتمى اليهم ولا ينتمون إلينا. وقد صاغ «سمنر»

هذين المفهومين لتفسير بعض الظواهر الملاحظة والمشاهدة التى لا يمكن أن نجد لها تفسيرا أو تبريرا الا بالنظر الى هذين المصطلحين. فقد لاحظ «سمنر» أن قدر العدوان الموجه نحو من هم خارج الجماعة Out – group يرتبط الى حد كبير بدرجة التلاحم التى توجد بين من هم داخل الجماعة In – group ويلقى ذلك الضوء على ظاهرة «التمركز العنصرى» والتى فيها يعتقد الشخص أن جماعته هى الأفضل، ويتجاهل كل ما يمكن أن يوجد لدى الجماعات الأخرى من فضائل. ويقول سمنر: «إذا اعتقد شخص أن طريقته فى القيام بعمل معين هى أولا وقبل كل شىء، الطريقة الوحيدة الصحيحة، فمما لا شك فيه، أن الطرق الأخرى يجب أن تكون خاطئة!» (سمنر ١٩٤٠).

ويؤجج مثل هذا التقسيم إلى: «داخل الجماعة» و «وخارج الجماعة» مشاعر التنافس التى تظهر بوضوح فى المباريات الرياضية، حيث يشتد التشجيع والحماس لدرجة الهوس. ويعزو أعضاء «داخل الجماعة» أية هزيمة تلحق بفريقهم إلى عوامل خارجية كبلادة الحكم أو غبائه أو تعصبه أو افتقاد الفريق الآخر للروح الرياضية، بدلا من إرجاع هذه الهزيمة إلى عدم توفيق فريقهم فى اللعب أو نقص فى مهارات وتدريب أعضائه، كما ذهب الى ذلك «مان عام ١٩٧٣ Man ».

إن مشاعر «النحن We » القوية لمن هم داخل الجماعة، تجعل الأعضاء يبررون الاحداث ويفسرون الوقائع بطريقة تدعم اعتقاداتهم القائمة، وتسوغ استمرار ولائهم لجماعتهم. ان هذا التلاحم والتآزر يتم على حساب الحقيقة، فهو يسوغ العنف والتدمير والقيام بأفعال أو استخدام الفاظ تحط من آدمية من هم خارج الجماعة، تجعل أعضاء داخل الجماعة لا يخجلون من سلوكهم وافعالهم، لأن الآخرين ليسوا على شاكلتهم.

الجماعة المرجعية Reference Groups

عرضنا بالمناقشة حتى الآن، للجماعات التى ينتمى إليها الفرد فعلا. ولكن يوجد نوع آخر من الجماعات لا حاجة بالانسان إلى الانتماء إليها، بالرغم من أنها تؤثر تأثيرا كبيرا على ذات الفرد وعلى وضعه، بل وعلى قيمة ومعاييره. تلك هى الجماعات المرجعية. ويعد «هربرت هيومان Herbert Human » أول من عرض لها، وكان ذلك عام ١٩٤٢ وذكر ثلاثة أبعاد لها:

البعد الأول :

أنها تشكل اختبارا أو معيارا يستطيع الفرد أن يقوم على أساسه مكانته الخاصة، وأدائه للدور الذى يقوم به. وذلك سواء كان الفرد عضوا فى هذه الجماعة المرجعية أم لم يكن عضوا فيها.

البعد الثانى :

ويرتبط بالبعد الأول، وهو أن الجماعة المرجعية، تمثل جماعة يطمح الفرد فى أن ينتسب اليها، أو يحظى بقبوله فى عضويتها. فلاعب كرة القدم فى فريق محلى مثلا، يطمح فى أن يكون ضمن المنتخب القومى، ويتخذ طريقة أداء أفراد هذا المنتخب نموذجا يحتذيه الامر الذى يزيد من كفاءة أدائه.

وأما البعد الثالث :

فهو أن الجماعة المرجعية تزود الفرد باطار مرجعى يعيد على ضوئه النظر فى خبراته الخاصة. كما يقول «شيبتانى Shibutani, 1955» بهذا الصدد: ان مصطلح «الجماعة المرجعية» لا يعنى بالضرورة طموح الفرد الفعلى للانتماء إلى هذه الجماعة أو التقليد التام لسلوك أفرادها، فقد يكون ذلك متعذرا لسبب أو لآخر. ولكن الجماعة المرجعية تعنى مجرد نموذج يضعه الفرد أمامه، ويضع تصرفات أفراده نصب عينيه.

وتتيح الجماعة المرجعية للانسان إعادة تقويم أنشطته المختلفة، وما يقوم به من أدوار، وخاصة عندما لا تكون هذه الأدوار متسقة أو منسجمة فيما بينها، فقد يكون الفرد عضوا فى أسرة، وعضوا فى جماعة عمل، وعضوا فى جماعة للنشاط الرياضى أو الادبى أو الثقافى . . . الخ. وقد تكون هذه الانشطة غير منسجمة فيما بينها، وهنا تتيح الجماعة المرجعية للانسان تقويم كل هذه الأدوار، وتضع كل دور أمام الآخر، فينتقى الانسان ويختار، ويتوقف هذا بطبيعة الحال، على مدى ارتباطه بكل جماعة من هذه الجماعات التى ينخرط فى عضويتها. فالجماعة المرجعية تساعد الفرد على ادراك الاختلافات، وعلى تحديد اختياراته. وهكذا تكون الجماعة وسيلة لمعرفة الفرد الانساق الاجتماعية المختلفة، وتنمية معارفة.

بناء الجماعة وعملياتها

Group Structure and Processes

الجماعات الاجتماعية هى النسيج الذى يتشكل منه البناء الاجتماعى. وتختلف هذه الجماعات اختلافا كبيرا من حيث الحجم والاهداف ونوع العضوية وتوجد عديد من العناصر البنائية، والعمليات العامة التى تؤثر على ما تقوم به الجماعات من وظائف.

بناء الجماعة Group Structure

تشكيل الجماعة وعضويتها Group Formation and Membership

أشار «هومانز Homans » عام ١٩٥٠ الى أن عضوية الجماعة عملية تسير على شكل دوائر، وكلما ازداد ارتباط الناس بعضهم ببعض، ازدادت مشاركتهم فى المعايير والقيم السائدة، وازداد الحب بينهم. والنتيجة التى نستخلصها من ذلك، ان الروابط داخل الجماعة تقوى بالتشابه فى الأنشطة وبالصداقة المتبادلة والمشاركة فى القيم والمعايير.

والواقع أن هذه العملية ليست عملية عارضة أو عشوائية، لأن كل فرد ينجذب نحو الجماعات التى تعزز قيمه ومعتقداته. ووجود الفرد فى مثل هذه الجماعات يعنى أنه يسير على الدرب الصحيح. وهذا ما عبر عنه «نيكومب عام ١٩٤٣ Newcomb » بالحاجة الى التطابق «ويؤدى إشباع هذه الحاجة إلى التقليل من الصراع الذى يعتمل داخل الفرد حول ماهية السلوك الصحيح. فقد تنتاب الانسان الحيرة وسط العديد من الجماعات المختلفة القيم والمعايير، إلا أنه عادة ما يخرج من هذه الحيرة باختيار الجماعة التى تتيح له أفضل إثابات عاجلة بتوفر فرص المشاركة فى أنشطتها، وتقديم المحبة والزمالة والقبول.

وكثيرا ما يقف بعض المراهقين حيارى بين جماعتين متعارضتين، هما جماعة الأسرة، وجماعة الأقران، وتزداد هذه الحيرة كلما ازدادت الفجوة بين الجماعتين، أو كلما أمعنت الأسرة فى القسوة الزائدة عن الحد، وفى عدم التفهم واشباع حاجات المراهقة النامية والمتطورة، فيتمرد المراهق على أسرته، ويزداد ارتباطه

وتعلقه بجماعة الأقران الذين يلقاهم ويتفاعل معهم يوميا. ويحل المراهق ما يعتمل بداخله من صراع بصدد موقفه من الجماعتين، بقبول تعريف أقرانه لوالديه، بأنهما «موضه قديمة» أو أنهم يحاولون بأساليبهم العتيقة أن يحولوا بين أبنائهم وبين استقلاليتهم ونموهم النمو السليم. الأمر الذى يزيد من التلاحم بين أعضاء جماعة الأقران.

حجم الجماعة Group Size

يعد حجم الجماعة من الخصائص البنائية الهامة التى تؤثر على التفاعل داخل الجماعة، وعلى المكانات والأدوار المتاحة. وحجم الجماعة هو أحد الفروق الهامة بين الجماعة الأولية والجماعة الثانوية. فالجماعة الأولية دائما صغيرة الحجم نسبيا.

ويولى عالم الاجتماع «جورج سميل G. Simmel » اهتماما خاصا بتأثير عدد أفراد الجماعة على ما يتم بينهم من تفاعل، وأصغر وأبسط صورة من صور الجماعات التى عرض لها «سيميل» بالوصف، هى الجماعة الثنائية Dyad ، التى تتكون من فردين، كالزوجين حديثى العهد بالزواج قبل انجاب الأطفال. وتتصف هذه الجماعة بالصفات الآتية:

١ ـ العلاقة الحميمة المشبوبة العواطف.
٢ ـ الميل لتجنب الخلافات.
٣ ـ الرغبة الشديدة فى تبادل المعارف والمعلومات.
٤ ـ سكن كل الى الآخر.
٥ ـ المشاركة فى المسئولية.

وتكون الجماعة الثنائية مهددة بالانتهاء، لأن أيا من الشخصين المكونين لها يمكن أن يحطمها بالهجران أو بالصد، أو بعدم الاستمرار فى دعمها والمساعدة على نموها وازدهارها.

وأما الجماعة الثلاثية Triad أى التى تتكون من ثلاثة أعضاء، فانها تكون أكثر استقرارا من الجماعة الثنائية، بالرغم من أن العاطفة والمودة يمكن أن يكونا أقل مما نجده فى الجماعة الثنائية. كما أنها تتميز بتقسيم أكبر للعمل، وبالاعتماد المتبادل

بين الاعضاء الثلاثة. ويمكن أن يتحد عضوان ضد العضو الثالث، ولكن هذا الائتلاف لا يكون ثابتا فى الغالب، فمرة مع هذا، ومرة مع ذاك، بحيث تظل الجماعة دائما مستمرة متحدة. كما أنه فى الجماعة الثلاثية لا يستطيع عضو واحد أن يسيطر عليها.

ويؤثر حجم الجماعة على ما يتم بين أفرادها من تفاعل. وقد ذكر السياسى البريطانى «دزرائيلى» أن العدد المناسب من الضيوف الذين يدعون لتناول غذاء عمل لا ينبغى أن يقل عن ثلاثة أفراد، ولا يزيد عن تسعة. وتشير نتائج عديد من الدراسات الخاصة بالجماعة الصغيرة، الى أن الحجم المناسب للجماعة التي لا تسودها العلاقات الرسمية، يقع بين خمسة وسبعة أفراد (Berelson and Steiner, 1964) فاذا زاد عدد أفراد الجماعة عن ذلك، ساد الجماعة جو من الرسميات كما هو الأمر فى الجماعات الفرعية.

عمليات التفاعل الاجتماعى Interaction Processes

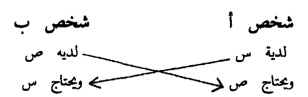
يميل الناس الى الاعتقاد بأن ما يتم داخل الجماعة من عمليات تفاعل اجتماعى مختلفة، إنما يتم بطريقة تلقائية. وقد يرجع السبب فى ذلك، إلى أننا نقضى وقتا طويلا داخل عديد من الجماعات. ولكن واقع الأمر غير هذا، فأعضاء الجماعة يحددون أهداف التفاعل الاجتماعى، ويتبادلون الرأى حول كيفية تحقيق هذه الأهداف، وطريقة توزيع ما يمكن الحصول عليه من منافع ومكاسب، وفى هذا السياق تتم عمليات التفاعل الاجتماعى المختلفة.

وبالرغم من أن لكل تفاعل اجتماعى عناصره الفريدة والمتميزة، فإن الطرق التى يتفاعل بها الأفراد ويقومون بأدوارهم تعد محدودة. ويمكن وضع العمليات التى تنتج عن التفاعل الاجتماعى فى خط متصل يتراوح بين الرغبة الشديدة فى التفاعل وتبادل المنافع، وبين الاحساس بالنفور الشديد، وبأن الفرد مجبر على هذا التفاعل. وطالما يشترك أكثر من فرد فى أى عمل من الاعمال، فإنه يوجد دائما احتمال ظهور حاجات متعارضة، لأن المنافع تختلف وتتباين، كما تختلف وتتباين الحاجة اليها.

مبادىء المقايضة Principles of Exchange

عنـدمـا يبدأ الافراد فى التفاعل، فإن عناصر المقايضة تحكم علاقات هذا التفاعل. ويقصد بعملية المقايضة هنا، أن الفرد يفكر فيما يمكن أن يعطيه، مقابل ما يمكنه الحصول عليه من أشياء يحتاجها أو يحبها ويرغب فيها. فاذا وجد فائض لدى شخص، سواء كان هذا الفائض سلعا مادية أم طاقة أو عاطفة أو مالا، ويرغب (أو ترغب) فى أن يقايض عليه بشىء يحتاجه ويرغب فيه، سواء كان حبا أم نقودا أو انتباها، فإنه يبحث عن شخص يتوفر لديه ما يحتاجه، وتتم عملية المقايضة. وان ما يعتبر مقايضة عادلة، انما يتوقف على تاريخ كل شخص، وحاجاته، وما لديه من أشياء يمكن أن يقايض عليها (هو مانز: بلو).
(Homans, 1961 : Blau, 1964)

ويمكن أن نعبر عن ذلك بالشكل الآتى :



وتنشأ العلاقات الاجتماعية، نتيجة محاولة كثير من الناس تحقيق نفع وجنى فائدة ما استطاعوا الى ذلك سبيلا. ويبقى النظام الاجتماعى ويستمر طالما أدرك المشاركون فيه أن المقايضة مفيدة ومربحة لهم. ومع ذلك، قد يكون لدى بعض المشـاركـين فى التفـاعـل قوة أكـبر من غيرهم فى عملية المقايضة، مثال ذلك المحتكرون لشىء معين يرغبه الآخرون، ولا يتوفر هذا الشىء إلا لديهم، عندئذ تكون لهم قوة أكبر من غيرهم. وكذلك الامر فيما يتعلق بالرؤساء ومرؤوسيهم، وبالمعلمين وطلابهم، والآباء وأبنائهم. وقد يدرك البعض ما لحق بهم من غبن، ويحاولون التخلص من هذا الموقف، ويستطيع البعض ذلك ولا يستطيعه آخرون. فالعاملون قد يستطيعون تغيير وظائفهم إذا تيسر لهم ذلك، وأيضا الطلاب إذا استطاعوا هذا، ولكن الأبناء لا يستطيعون تغيير آبائهم. بقول آخر، إن القوة تتبـاين وفقـا لعـدد البدائل المتاحة أمام الشخص، فاذا لم توجد بدائل، فإن

الشخص لا يسعه سوى الاذعان والبقاء داخل هذه العلاقات راضخا برغم عدم رضائه.

والواقع أن الرضوخ والاذعان مثال متطرف، فإن عمليات التفاعل تتميز بدرجة كبيرة من الرغبة والاتفاق على التفاعل وفقا لقواعد معينة. وتعد عمليات مثل التنافس، والتعاون، والتوفيق، صورا للمقايضة تحكم عمليات التفاعل الاجتماعى المعين وفقا لقواعد متفق عليها.

التنافـــس Competition

عندما يفسر فرد أو أفراد، أو تفسر جماعة أو جماعات الموقف بأنه يتضمن منافع أو مكافآت قليلة يمكن أن ينالها بعض الأفراد ولاينالها سائرهم، فإن التنافس يبدأ فى الظهور. وغالبا ما يرتبط التنافس بأشياء يختلف حظ الناس منها كالذكاء، والمهارات، والمواهب، والقوة، والشجاعة. ويفترض أن يتوفر فى التنافس نوع من تكافؤ الفرص الذى يتيح للشخص الأفضل أو الجماعة الأفضل الربح أو الفوز.

والتنافس عملية اجتماعية فى المحل الأول، لأن المتنافسين يتفقون على قواعد التنـافس. والتنـافس كما يكـون ضروريا فلابد أن يكون عادلا بتوفر الفرص المتكافئة، وبذلك يتقبل الخاسرون فشلهم، ولا يعتريهم غضب أو حقد، لتأكدهم أن الفائز أو الفائزين هم الأفضل فعلا، وأن التنافس قد تم وفقا للقواعد المتفق عليها، وأنه كان لدى الجميع فرص متكافئة، حتى ولو لم تتوفر لدى البعض نفس الفرص التى توفرت للاخرين لسبب من الأسباب كتفاوت الذكاء أو غير ذلك. ومهما يكن من أمر، فغالبا ما يتمخض التنافس عن الضيق والقلق، وهذا هو الثمن الذى يدفعه من يدخل مجال المنافسة (Stein and Hoffman, 1980)

التعـــاون Cooperation

يحدث التعاون عندما يتفق الأفراد أو تتفق الجماعات على تقسيم ما لديهم لتحقيق هدف مشترك أو بلوغ مصلحة عامة. ويتضمن التعاون أخذ الآخرين فى الاعتبار، والاعتقاد بأن مصلحة الجماعة ورفاهيتها تعم كل فرد فيها، وأنها بالتالى مسئولية أفراد الجماعة كلهم. ويتطلب ذلك ضرورة أن يدرك الأفراد أن

الجماعة تلبى رغباتهم بطريقة مناسبة. وبمنظور المقايضة، فإن التعاون هو أساس النظام الاجتماعى، وأنه أفضل أنواع التفاعل وأقربها الى تحقيق أهداف المجتمع.

التوفيــق Compromise

نستطيع أن نصف التوفيق بأنه جهد تعاونى للتقليل إلى أقصى حد ممكن من مظاهر التنافس. وهنا مرة أخرى، نجد اتفاقا أساسيا بين أعضاء الجماعة على المبادىء، وعلى معنى العدالة. وقد يتنازل الأفراد (أو الجماعات) تنازلا متبادلا عن بعض مطالبهم وتوقعاتهم من أجل تحقيق أو من أجل ضمان تحقيق أهداف أخـرى أقـل منها. وإن أهم ما فى التوفيق هو أن يدرك جميع الأطراف أنهم يحصلون على منافع لها أهميتها.

الصــراع Conflict

يحدث الصراع عندما لا يستطيع الاطراف الاتفاق على قواعد توزيع مصادر شحيحة، ويحاولون تلبية احتياجاتهم بالتحطيم أو بالتخلص من معارضيهم. وعلى عكس الصـور الأخـرى من التفاعل الاجتماعى، فإن الصراع لا يفترض فيه الخضوع للنظام الاجتماعى. إن الصراع يحدث للاعتقاد بأن الفرد لم يعد مدعوما، وأن النـظام الحـالى يعد نظاما ضاغطا، وغير عادل. ويهدف الصراع الى قهر واستبدال هؤلاء المتسببين فى فرض هذه القواعد.

وينظر الوظيفيون البنائيون إلى الصراع كعرض من أعراض اختلال التوازن داخل البناء الاجتماعى. وأما أصحاب نظرية الصراع، فيرون أن الصراع ينشأ عن العلاقات الاقتصادية داخل المجتمع، كما يتضح فى البناء الاجتماعى. وأنه ما من تفاعل اجتماعى الا وفيه بعض عناصر الصراع، لأن العلاقات الاجتماعية تتأثر بالنضال من أجل اقتسام موارد شحيحة.

(Sherman and Wood, 1979, Anderson and Gibson, 1978)

ويهدف الصراع فى عديد من الحالات الى اصلاح نظام القيم السائد، والقضاء على الظواهر التى تشعل نيران الكراهية كالتفرقة العنصرية أو التفرقة على أساس الجنس (ذكورة وأنوثة) أو على أساس السلالة. هذه الأنواع من التفرقة التى تثير الصراع والمواجهة مع المجتمع. وقد حارب الاسلام كل هذه المظاهر «كلكم لآدم

وآدم من تراب» كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: أنه لا فضل لعربى على أعجمى ولا أبيض على أسود الا بالتقوى. وكلنا يعرف المنزلة العالية التى كان يحتلها بلال بن رباح وسلمان الفارسى وغيرهما.

استبعاد الصـراع Conflict Reduction

يفترض كل طرف من أطراف الصراع أنه على الحق، وأن أهدافه ومطالبه هى الأهداف والمطالب الصحيحة، ويسبب هذا الاحساس انخراط الافراد فى أنشطة غير مقبولة بالنسبة لعديد من الأطراف، ولأن نتائج الصراع الشخصية والاجتماعية تكون مدمرة ومحطمة للروابط الاجتماعية، فقد اقترحت عدة طرق يمكن أن تكون فعالة فى استبعاد الصراع. وتتضمن هذه الطرق:

١ - التفـاوض :

ويتم بجلوس الأطراف المتصارعة معا، وتتاح الفرص للتوصل للحلول السلمية للصراع، ويعبر كل فرد أو تعبر كل جماعة عن وجهة نظرها بالوسائل المشروعة. ويمكن أن يتيح ذلـك الفـرصـة لتنقية وتصفية ما يعتمـل داخلها من مشاعر الغضب، والتوصل إلى حلول تغنى عن الصدام.

٢ - التحكيـم :

وفيه يلجأ المتصارعون الى طرف ثالث يحل النزاع بوسائل مختلفة، كما يحدث مثلا فى حالة الصراع بين العمال والادارة، أو بين دولتين. ومن هنا نعرف السبب فى أن الجماعة الثلاثية تكون أكثر استقرارا من الجماعة الثنائية حيث يوجد طرف ثالث يتدخل فى حالة ظهور صراع بين طرفين، أو بين أفراد الجماعات الصغيرة كالأسرة. وقد عرض الاسلام بشموله وعمقه لهذه الحلول قبل أن يتوصل اليها علماء الغرب بوقت طويل، فبالنسبة للمستوى الأول يقول تعالى: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا، فأصلحوا بينهما، فإن بغت احداهما على الأخرى، فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله». صدق الله العظيم.

وبـالنسبة للمستوى الثانى، يقول تعالى: «وإن خفتم شقاق بينهما، فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها، إن يريدا إصلاحا يوفق الله بينهما». صدق الله العظيم.

٣ - اتاحة المناسبات للتنفيس عن المشاعر العدوانية:

تلجأ بعض المجتمعات وكذلك بعض الجماعات، إلى هذه الطريقة للتعبير عن المشاعر العدوانية. وكان العرب يتبعون تلك الطريقة، بدعوة الاطراف المتصارعة الى وليمة يحضرها الطرفان المتصارعان ويتحدثان فيها، ويقام احتفال بهذه المناسبة يساهم فيه أفراد الجماعتين، الأمر الذى يتيح الفرصة لتصفية الخلافات. إن العدوان قد يظهر لسبب أو لآخر، وتلك حقيقة، ولكن التعبير عنه ينبغى أن يتم ما أمكن بطريقة تحقن الدماء، وتحفظ الممتلكات. وكان العرب كما نعرف يلجأون فى بعض الحالات إلى مثل هذه الطرق، فإذا تواجه الخصمان فإنه يبرز من كل جانب فارس، ويقتتلان ويعتبر كل فارس ممثلا لجماعته، فإذا هزم أحدهما الآخر، كان معنى ذلك انتصار جماعة الأول، وهزيمة جماعة الفارس الثانى.

وتوجد أيضا طرق أخرى للتنفيس عن العدوان كإقامة المباريات الرياضية المختلفة، أو حتى مشاهدتها. وتتيح هذه الطرق فرصا للتنفيس عن المشاعر العدوانية.

تحدثنا ببعض الاسهاب فى الصفحات السابقة عما يحدث من عمليات داخل النظم الاجتماعية والجماعات المختلفة، سواء كانت جماعة صغيرة تتكون من فردين أم من جماعة تتكون من عدد أكبر من الأفراد، أو بين مجتمع ومجتمع آخر وسوف نعرض الآن لنوع آخر من الجماعات تحدث فيه أيضاعمليات مشابهة، وهو «التنظيمات الرسمية» وبذلك نكون قد استكملنا عرضنا لجميع مظاهر البناء الاجتماعى.

التنظيمات الرسمية
Formal Organizations

تعد التنظيمات الرسمية جزءاً مهما من البناء الاجتماعى، لأننا جميعا ننفق داخلها وقتا طويلا. وتتصف هذه التنظيمات بخصائص أهمها:

١ - العلاقات الرسمية.

٢ ـ التنظيم الهرمى للوظائف.

٣ ـ الحجم الكبير.

٤ ـ التعقيد النسبى.

٥ ـ الاستمرار بعد ذهاب الأفراد الذين تتكون منهم.

وتشمل هذه التنظيمات الرسمية ظواهر عديدة متباينة كالمدارس، والكليات، ومؤسسات العمل المختلفة، ودوائر الحكومة وغير ذلك.

والتنظيمات الرسمية اكثر تعقيدا من الجماعات الصغيرة، وتتضمن وظائف وأعمال تتباين تباينا عريضا. وتكون المكانات فيها مكتسبة، كما تشمل تقسيما دقيقا للعمل، الذى يسير وفق لوائح مكتوبة. وينبع سلوك الدور أساسا، من المكانة التى يحتلها الفرد فى التنظيم، وليس على أى أساس شخصى. وعلى ذلك يكون دور الفرد فى التنظيم الرسمى، أقل مرونة من دور الفرد فى التنظيم غير الرسمى.

والتنظيم الرسمى وسيلة فعالة وناجحة لانجاز الأعمال الكثيرة المتنوعة التى تتطلبها التطورات الحديثة. فكلما ازداد تطور المجتمع ازدادت التخصصات المطلوبة وتعقدت الوظائف وتنوعت، وازداد بالتالى حجم التنظيم ليصبح تنظيما رسميا. فعلى سبيل المثال، كانت كتاتيب القرية والمدارس ذات الفصل الواحد، التى وجدت فى الماضى لتقوم بمهمة التعليم، مؤسسات صغيرة غير رسمية، أما المدرسة الحديثة اليوم، فإنها مؤسسة رسمية تضم عددا من المعلمين ذوى تخصصات مختلفة، وأيضا عددا كبيرا من التلاميذ، ينتظمون فى صفوف مختلفة. كما يوجد على رأس هذا التنظيم الرسمى ناظر أو مدير يكون ممثلا للسلطة.

وفى مجتمع «الجمنشافت» الذى يقوم على روابط القرابة والمهنة، وغيرها من الروابط التقليدية المختلفة، فإنه لا توجد إلا قلة قليلة من التنظيمات الرسمية. وعلى العكس من ذلك نجد المجتمعات الحديثة المعقدة، ا لتى تتزايد العلاقات الاجتماعية فيها يوما بعد آخر، وتكثر التخصصات وتتباين، ومن هنا كان لابد من تنظيمها داخل إطار رسمى.

البيروقراطيــة
Bureaucracy

تعـد البـيروقراطية إحدى صور التنظيمات الرسمية التى تناسب المجتمعات العصرية. وكان «ماكس فبر Max Veber هو أول من عرض لها، وكان ذلك عام ١٩٢٢ وفيها نجد:

١ - الحقوق والواجبات مصوغة على شكل لوائح وقواعد محددة.
٢ - تعيين الأفراد وترقيتهم يكونان على أساس مواهبهم، ومؤهلاتهم ، وخبراتهم، وليس على أساس المكانات الموروثة، أو المحاباة الشخصية.
٣ - ضمان احتفاظ الفرد بعمله، الا اذا ثبت عدم ملاءمته فنيا له.
٤ - تنظيما للمكانات فى وظائف تتدرج هرميا، بحيث تكون كل وظيفة أدنى تحت اشراف الوظيفة الأعلى.
٥ - تقسيما للعمل بمقتضاه يكون كل موظف فى التنظيم مسؤولا عن نوع واحد محدد من العمل.
٦ - السلطة والحقـوق والواجبات للوظيفة وليس لشاغل الوظيفة. ومن يشغل وظيفة معينة، فإنه إنما يكون ممثلا للتنظيم الرسمى.
٧ - رواتب محددة ومعروفة مقدما وفقا لدرجة الوظيفة فى التنظيم الهرمى.
٨ - ينظر إلى النشاط الادارى كعمل يستغرق كل الوقت والجهد، ولا ينشغل الموظف بعمل آخر يأخذ من وقته الذى ينبغى أن يكرس للعمل الرسمى.
٩ - سجلات محفوظة لكل عمل أو نشاط يقوم به التنظيم.
١٠ - عدم وجـود مجاملات أو محاباة أو خواطر شخصية أو أية اعتبارات غير رسمية، والجميع داخل التنظيم على قدم المساواة، فلا تحيز ولا محاباة.

(Gerth and Mills, 1958)

وإن المفهوم الأساسى فى البيروقراطية، هو أنها نوع من أنواع التنظيم العقلى والمنطقى، يزيد من كفاءة التنظيم، لا تشغل فيه الوظائف الا وفقاللكفاءة الفنية، وتشغل فيه المكانات عن طريق الاكتساب وليس عن طريق الوراثة. كما أن النظام يعد علامة مميزة للبيروقراطية. فلابد من الالتزام التام والدقيق بالمعايير والقواعد

العامة والخاصة بالسلوك وآداء ما يكلف به الشخص من عمل. وتمارس كل أنواع الضغوط الاجتماعية لتحقيق ذلك. فتوقع الجزاءات السلبية من انذار، وخصم، وانزال درجة، الى الفصل لضمان معدل عال من الأداء. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يتمتع الموظف الكفء بكل الامتيازات والترقيات وغير ذلك من جزاءات إيجابية، وبالاضافة إلى هذا، فإن البيروقراطية تكفل للفرد الحماية من مختلف الضغوط الاجتماعية والسياسية.

ولقد ارتبط نمو النظام البيروقراطى، بنمو النظام النقدى وتطور الدولة الحديثة. وأثبتت البيروقراطية بكل ما تضمنته من علاقات غير شخصية، ودرجة عالية من التخصص فى الأعمال، فائدتها الكبيرة فى إدارة تنظيمات العمل الكبيرة، وفى مجال القوات المسلحة، وفى القطاعات الحكومية المختلفة فى المجتمعات الحديثة.

ويمكن القول بوجه عام، إن البيروقراطية كما خطط وعرض لها «ماكس فبر» تعد «نمطا مثاليا» يصعب تحقيقها بهذه الصورة الخالصة. ولكن مع ذلك، يظل تعريف «فبر» لها، مرشدا وحاديا لكل من تعرض بعد ذلك لأنواع أخرى من البيروقراطية تتناسب مع العالم الواقعى، وإننا لنجد فيها عنصرا أو آخر من العناصر التى ذكرها «فبر» وإن الصورة التى تكون عليها البيروقراطية لا تتوقف فقط على فاعلية التنظيم، وإنما تتوقف أيضا على المجتمع الذى تطبق فيه. والواقع أن المجتمعات المعاصرة لا تخلو من العديد من التنظيمات البيروقراطية، التى يمكن أن تختلف وتتباين فى بعض العناصر، ويتوقف ذلك على التاريخ الفريد والمتميز لكل مجتمع من هذه المجتمعات، وعلى طبيعة الأعمال السائدة فيه، وعلى التكنولوجيا المتاحة وعلى نظم القيم والمعايير التى تحكمه.

المظاهر الايجابية Positive features

من أهم المظاهر الايجابية للبيروقراطية، التقسيم الدقيق للعمل وفقا لتخطيط مدروس يقوم على التخصص، والتفويض المناسب للمسئوليات لمواجهة حاجات التنظيم الرسمى. ذلك أن النظام المعمول به فى «الجمنشافت» لن يكون أداة مناسبة لادارة مصانع السيارات أو الطائرات أو إدارة المزارع الكبيرة، أو انقاذ حياة

شخص يعانى من أزمة قلبية. فحيث تتعقد التكنولوجيا تعقدا هائلا، لا يمكن لشخص واحد مهما أوتى من مهارة وعلم، إدارة العمل والسيطرة على جميع متطلبات الانتاج، حتى ولو كان يشمل تخصصا واحدا كالزراعة أو ادارة مؤسسة تعليمية أو إدارة مستشفى.

كما أن الحصانة التى توفرها البيروقراطية للعاملين طالما يلتزمون بالقواعد ويثبتون جدارتهم فى العمل، وضمان تدرجهم وارتقائهم فيه، يجعل العاملين يتحمسون، ويبدعون، ويبتكرون، لأن بقاءهم فى عملهم مضمون طالما لم يقصروا أو يتراخوا.

المظاهر السلبية Negative Features

توجد فجوة لا يمكن تجاهلها بين البيروقراطية المثالية والتطبيق الفعلى لها. ويرجع ذلك اكثر ما يرجع إلى عدم فاعلية قنوات الاتصال، والاعتماد على التقارير، وإلى التعقيد الشامل غير الضرورى فى صياغة اللوائح. وإن من يقرأ لوائح العمل فى أية وزارة من الوزارات سوف يفاجأ بهذا التعقيد غير الضرورى، فقد تتضمن لائحة من اللوائح صفحة كاملة لما ينبغى عمله ازاء الأشجار والزهور، يمكن اجمالها فى عبارة واحدة «لاتحطم الزهور ولا تقتلع الأشجار».

والواقع، أنه يصعب على المواطن العادى فهم عديد من اللوائح المتعلقة بمصالحه، وبحقوقه، وواجباته المصوغة على هذا النحو من التعقيد، ويحتاج معها الى شروح وتفسيرات. وترجع أسباب التعقيد فى الصياغة الى طبيعة البيروقراطية ذاتها. فبما أنها تتضمن قواعد ولوائح مكتوبة تتعلق بالسلوك المناسب، فإنها تنحو لمحاولة تغطية كل الاحداث الممكنة لأن كل من يتعامل بهذه اللوائح ينبغى أن يجد كل شىء فيها.

ولقد كتب الاستاذ «لورانس بيتر عام ١٩٦٩ Professor Lawrence Peter كتابا أسماه «الهرمية Hierarchiology وحلل فى سخرية لاذعة حالة التبلد وانعدام الكفاءة المهنية فى أية بيروقراطية. يقول المؤلف تحت ما أسماه «مبدأ بيتر»:

فى مرحلة مبكرة من حياتى اصطدمت بمشكلة انعدام الكفاءة المهنية. فعندما كنت معلما صغيرا انتابتنى الحيرة لرؤية عديد من ذوى العقول الجامدة يعملون

نظارا وموجهين ومشرفين على أعلى المستويات. وبدأت أسأل المعلمين الأكبر سنا والأكثر خبرة، والمحصلة التى خرجت بها، أن هذه العقول الجامدة . . . . وقد اثبتت جمودها، بدأت ترتقى سلم الوظائف درجة بعد أخرى. ووسعت دائرة استقصاءاتى، فاكتشفت أن ذلك هو ما يحدث فى عديد من الوظائف والمهن . . . إن الموظف الكفء لا يستحق الترقية، والموظف غير الكفء هو الأجدر بها. وعلى ذلك، فإن الموظف الذى يريد أن يرتقى الى أعلى الدرجات ينبغى أن يكون غير كفء.

ولقد عرض «بيتر» بالنقد لما يعرف بساعات الدوام الرسمية، وكيف يعمل الموظفون على تمضيتها. كما انتقد ايضا الاسراف فى الوظائف الكبيرة، واختصار الوظائف الصغيرة على أهميتها لمسيرة العمل.

النقد الآخر الذى وجه للبيروقراطية، أنها باشتراطها ضرورة وجود لوائح مكتوبة تنظم كل أنواع التصرفات الممكنة، وتغطى كل الاحداث المحتملة، جعلت هذه اللوائح هى التى تحكم الانسان بدلا من أن يحكمها الانسان. وإذا عرض أى أمر صغير أو كبير، ينظر فيما إذا كان يوجد فى اللوائح أم لا يوجد.

وكذلك نُقدت العلاقات غير الشخصية التى تتضمنها البيروقراطية، فقد جعل ذلك الاعضاء يشعرون بالاحباط لعدم وجود أى نوع من المرونة. فإذا كان لأى عضو طلب، قيل له إن اللوائح لا تسمح، بصرف النظر عما اذا كان هذا الطلب معقولا أو غير معقول. ويشعر الناس أنهم محاصرون داخل بناء لا يملكون ازاءه أى شيء. ويرد المدافعون عن البيروقراطية، بأن ذلك أفضل من تدخل العوامل الشخصية كالقرابة والمحسوبية، وأننا فى ظل البيروقراطية نضمن على الأقل، معاملة متساوية، وفرصا متكافئة. ومعنى ذلك، أنه بالرغم من أن البيروقراطية تتميز بعلاقات غير شخصية تجاه الافراد، فإنها تضمن على الأقل، معاملة متساوية للجميع.

الجماعات الوسيطة داخل البيروقراطية:

Mediating Groups Withen the Bureaucracy

بما أن مثاليات مثل العقلية، والمنطقية، والتنظيم المتناهى فى الدقة، لا يمكن

أن يتحقق فعلا بهذا الشكل فى التنظيمات المعقدة، فقد ظهرت الجماعات غير الرسمية لتسد الفجوة. إن التغيير فى القواعد والأسس، وفى أنماط الاتصالات، والقيادات الرسمية، عجز عن أن يجارى احداث الحياة اليومية. هذا بالاضافة إلى أن تعقد، وجمود القواعد، واللوائح المصاغة، لم يترك فرصة، أو يدع مجالا لمواقف او تصرفات جديدة. ومن هنا، كان لابد من أن تظهر أنماط من العلاقات غير الرسمية، علاقات جماعات أولية تسود أعضاء فريق العمل، لتحل محل العلاقات غير الشخصية التى تسود البيروقراطيات. وإن هذا النوع من البناء غير الرسمى، إما أن يعزز أهداف التنظيم، كما يحدث فى الجماعات الأولية داخل القوات المسلحة (الأسر) أو يعرقل أهدافه وبخاصة اذا استغل لعرقلة الانتاج. والوقوف به عند مستوى معين.

وتؤدى الجماعات غير الرسمية، داخل التنظيم الرسمى، عدة وظائف:

١ - تزويد أفراد الجماعة بالاشباعات الشخصية.
٢ - إزالة الحواجز التى كانت تطبع الاتصالات فى التنظيم الرسمى.
٣ - إيجاد نوع من التنظيمات غير الرسمية داخل الجماعة.
٤ - توفير وإتاحة روابط شخصية تربط الأفراد بالتنظيم أو المؤسسة لما تستثيره من ولاء بين أفراد الجماعة.

وفيما يلى عرض للجماعات التى يكون الفرد أكثر ميلا للانتساب إليها خلال مراحل حياته المختلفة. وقد وضعنا بين قوسين تلك التى يحتمل أن ينتمى إليها الفرد، وتتاح لبعض الناس ولا تتاح للبعض الآخر. ففى مرحلة الشيخوخة المتأخرة على سبيل المثال، يمكن للمرء أن يستمر فى الاستمتاع بعديد من العلاقات التى توفرها الجماعة الأولية، كما كان الوضع فى مرحلة الشباب، اللهم الا اذا حدثت بعض التغيرات كالمرض أو موت الأقران.

جدول يبين الاشكال النمطية لعضوية الجماعة خلال مراحل الحياة المختلفة

مرحلة الحياة	عضوية الجماعة الأولية	عضوية الجماعة الثانوية
١ ـ الحضانة	الأسرة	الأقارب
٢ ـ ما قبل المدرسة	الأسرة ـ أقران اللعب.	الأقارب ـ الجيران
٣ ـ المدرسة	الأسرة ـ الأقران	زملاء حجرة الدراسة والمدرسة الأقارب ـ الجيران ـ دور العبادة جماعات الهوايات والانشطة الرياضية.
٤ ـ المراهقة	الأسرة ـ الاصدقاء الحميمون جماعات العمل.	المدرسة ـ جماعات قضاء وقت الفراغ. جماعات العمل دور العبادة.
٥ ـ الرشد المبكرة	الأسرة الكبيرة ـ الاصدقاء الحميمون. الاصدقاء المؤقتون. الاسرة عن طريق الزواج والابوة أو الأمومة ـ جماعات العمل الوسيطة (الجماعات الأولية المؤقتة)	تنظيمات العمل الرسمية. الجماعات المهنية ـ الاتحادات أو النقابات ـ دور العبادة الجيران ـ الهوايات والانشطة الرياضية والاهتمامات الخارجية.
٦ ـ الرشد المتوسطة	عائلة الفرد ـ الاصدقاء الحميمون الزوجة (أو الزوج) الأسرة والأبناء ـ جماعات العمل الوسيطة	جماعات العمل الرسمية ـ دور العبادة ـ الجيران ـ الهوايات (الجماعات الأولية المؤقتة)
٧ ـ الشيخوخة	الزوجة (أو الزوج) ـ الاصدقاء الحميمون (الجماعات الأولية المؤقتة).	دور العبادة ـ الجيران جماعات الاهتمام الخاصة.
٨ ـ الشيخوخة المتأخرة	الزوجة أو الزوج ـ الاصدقاء الحميمون (الاحفاد) (الجماعات الأولية المؤقتة) ـ (جماعات الاهتمامات الخاصة).	دور العبادة ـ الجيران.

الخلاصـــة
Summary

يبدأ هذا الفصل بوصف للفيضان الذى حدث فى قرية «بافلوجريك» وملاحظة أن الكارثة كانت أكثر من مجرد خسارة فى البيوت والممتلكات. فلقد دمرت هذه النكبة غير المتوقعة أيضا، نسيج العلاقات الاجتماعية الذى كان يربط الناس بعضهم إلى بعض، ويشدهم بروابط من الحقوق والواجبات. وعندما اضطربت طرق التعامل المألوفة، فقد الناس إحساسهم بالحياة فى عالم يسوده النظام، حيث يجد كل فرد مكانا فيه. ومن هنا جاءت معاناة الكثيرين والاحساس بالضغوط والضيق والقلق.

إن البناء الاجتماعى هو الشكل الذى تتجسد فيه المثاليات الثقافية والتوقعات التى تتعلق بسلوك الأفراد. وداخل البناء الاجتماعى يرتبط الأفراد بعضهم ببعض بروابط معينة كالقرابة، والجوار، والعمل المشترك، والمواطنة. إن المفاهيم الاساسية فى دراسة البناء الاجتماعى هى النظم والمكانات والأدوار. والدور أصغر وحدة فى البناء الاجتماعى. ويتكون من مجموعة من السلوك المتوقع من الشخص فى المكانة المعينـة التى يوجد فيها. وأما المكانة، فهى وضع الفرد فى البناء الاجتماعى. وترتبط المكانات بمكانات أخرى عن طريق قواعد معينة هى المعايير التى تسود المجتمع. وتشكل هذه المكانات نظاما يتكون من مجموعة من عناصر متشابكة يعتمد بعضها على بعض. أن الأعضاء الذين يحتلون مكانة معينة، أو يقومون بدور معين فى النظام الاجتماعى يرتبطون معا بروابط من السلوك يمكن التنبؤ بها.

ويمكن أن تتحدد المكانات منذ الولادة، ويطلق عليها فى هذه الحالة اسم «المكـانـات المـوروثـة» أو تكتسب بالجهد والكفاح، وتسمى حينئذ «بالمكانات المكتسبـة» وإن مما يميز المجتمعـات العصرية، زيادة عدد المكانات المكتسبة، واضفاء أهمية متزايدة على عمل الفرد وكفاحه ليحدد بنفسه مكانته فى السياق الاجتماعى. وإن ارتباط المكانات بالادوار هو الذى يشكل السلوك الانسانى، فمعظم أنشطتنا اليومية تتحدد بمتطلبات الأدوار التى نقوم بها. وغالبا ما يتسبب تعدد الأدوار فى أنواع من الضغوط. كما يمكن أن تؤدى التوقعات المبالغ فيها من شركاء الدور الى أنواع من الصراع، قد يكون داخل الفرد، وقد يكون بينه

وبين شركاء الدور.

وإننا لا نستطيع أن نتصرف إلا اذا عرفنا توقعات الدور أو الادوار. وينتاب الناس القلق فى حالة عدم وجود معايير وقواعد، ولا يزول هذا القلق الا اذا عرف الناس موطىء أقدامهم، وأوجدوا المعايير والقواعد المناسبة. فالنظام ضرورى فى كل ما يتعلق بشئون الانسان.

وأما على مستوى المواجهة (وجها لوجه) فإن نظم المكانات ـ الأدوار، تشكل جماعات إنسانية يعى أعضاؤها ويحس كل منهم بعمل الآخر وفعله.

وغالبا ما توصف الجماعات بأنها إما أولية وإما ثانوية، ويتوقف ذلك على درجة القرب وعدم التكلف، وعلى عمق العلاقات وحرارتها، وتتميز المجتمعات الصناعية بكثرة الجماعات الثانوية.

وتزود عضوية الجماعات الأفراد بالمعارف اللازمة، وبالدعم الانفعالى اللازم للقيام بالأدوار المطلوبة. وتتيح الجماعات المرجعية للفرد معايير يقوم على ضوئها سلوك الدور. سواء كان عضوا أم غير عضو فيها.

وإن الجماعات المختلفة التى ننخرط فى عضويتها خلال مسيرة حياتنا، تفيد فى تزويدنا بمختلف المعارف عن الواقع الاجتماعى، كما أنها تشكل اتجاهاتنا وقيمنا، وتزودنا بالمعايير التى نقوم بها سلوكنا.

وللجماعات خصائصها من حيث هى جماعات، وذلك مثل الحجم، وتقسيم العمل، ووجود قواعد تؤثر على أدائها لوظائفها. ويتضمن التفاعل داخل الجماعة بعض عناصر المقايضة، وتتباين كل جماعة وتختلف من حيث احتوائها على مزيج من هذه العمليات التفاعلية. هذا بالاضافةالى أن تفاعل الجماعات مع غيرها من وحدات المجتمع ينتج عنه المقايضة، والتعاون، والتنافس والصراع. وغالبا ما يتم التلاحم داخل الجماعة بتوجيه العدوان خارج الجماعة.

كما تتجمع الجماعات فى عدد من الوحدات لتشكل أنساقا أكبر هى التنظيمات. وفيها تتحد الوحدات الأصغر لتحقيق بعض الأهداف الخاصة كتربية النشىء، والدفاع عن الوطن أو تحقيق العدالة. ويشكل مجموع هذه التنظيمات فى قطاع واحد من قطاعات المجتمع النظام الاجتماعى. وتتشابك النظم الاجتماعية المختلفة

وتترابط لتكون فى نهاية الأمر البناء الاجتماعى، أو المجتمع.

وعلى ذلك، فالبناء الاجتماعى يشمل أنماطا معيارية من النظم الاجتماعية كالنظام العائلى، والنظام الدينى، والنظام الاقتصادى، والنظام السياسى، والنظام التربوى. وتضم هذه النظم الاجتماعية عديدا من الجماعات، قد تكون صغيرة تشمل فردين، وقد تكون كبيرة تضم أفراد المجتمع كلهم.

وفى المجتمعات العصرية حلت التنظيمات الرسمية الكبيرة محل الجماعات الصغيرة. وأهم الجماعات الرسمية الكبيرة، النوع المعروف باسم «البيروقراطية» بتخصصاتها الدقيقة فى الأعمال والوظائف، وبنائها الهرمى، ونظامها فى التعيين والترقية الذى يقوم على الكفاءة والموهبة. وللبيروقراطيات ايجابياتها كما أن لها سلبياتها. ويمكن أن تضم البيروقراطيات داخلها علاقات من نوع تلك العلاقات السائدة فى الجماعة الأولية، وذلك بين العاملين فيها.

وإن ما أوردناه فى هذا الفصل من مفاهيم مثل البناء، والنظام والمكانة، والدور، والجماعات، والتنظيمات المعقدة، والبيروقراطية، تعد بالغة الأهمية للتحليل الاجتماعى.

والبناء الاجتماعى هو الوجه الآخر من العملة التى تشكل الثقافة وجهها الأول. وهما معا يشكلان المجتمع الانسانى. وسوف نناقش فى الفصل التالى العلاقة بين الثقافة والبناء الاجتماعى، أى العملية التى تتعلم بها الكائنات الانسانية ثقافتها. كما سوف نعرض للجماعات التى تعنى بذلك.

قراءات مقترحة

Erikson, Kai. *Everything in Its Path.* New York: Simon & Schuster, 1976. What happened when the dam burst at Buffalo Creek, destroying life, property, and the social fabric of an entire community. A very readable, sensitive account of this tragedy and its after-math.

Gubrium, Jaber F. *Living and Dying at Murray Manor.* New York: St. martin's, 1975. An ethnographic account of one total institution, in which group structure and relationships determine life or death.

Kanter, Rosabeth Moss. *Men and Women of the Corporation.* New York: Basic,

1977. How the corporation's own structure, chain of command, and promotion system affects the behavior of employees. It is the job, not gender, that produces different styles of working.

Milgram, Stanley. *Obedience to Authority.* New York: Harper & Row, 1973. Milgram's controversial account of experimental studies that demonstrate the crucial importance of the definition of the situation in affecting behavior.

Porter, John. *The Vertical Mosaic.* Toronto: U. of Toronto, 1965. A landmark report on Canadian social structure, its cross-cutting groups, and the distribution of influence.

Whyte, William H. *The Organization Man.* New York: Simon & Schuster, 1956. Another sociological classic. Whyte describes the pervasive influence of the corporation on the lives of its managementpersonnel, including lifestyles and the behavior of their children and spouses.

الفصل الخامس

الذات الاجتماعية

The Social Self

الفصل الخامس

الذات الاجتماعية

The Social Self

من القصص الشعبى العالمى المحبوب، والشائع فى كتب الادب قصة «الطفل البرى» الذى يضل طريقة فى الغابة وتقوم الحيوانات المختلفة على تربيته. فمنذ قصة «الطفل البرى» التى كتبها «هس Hesses » عام ١٩٤٤م، ومثل هذه القصص تترى عن حالات مشابهة ألهبت خيال عامة الناس، بل وشغلت العلماء أيضا. والواقع، أنه لم يثبت وجود مثل هذا الطفل البرى أو غير المستأنس الذى ورد فى هذه القصص. فالرضيع أو الطفل الانسانى لا يمكن أن يربى إلى مرحلة الشباب العادية بواسطة حيوانات كالقردة أو الذئاب. فلم يوجد فى الواقع أمثال طرزان أو الرجل الذئب أو طفل الأحراش وغير ذلك من الشخصيات التى أبدعها خيال الأدباء وجسدتها شاشات السينما.

وإذا اكتشف غدا أمثال هؤلاء الاطفال الذين تركوا فى الغابات فإن المناقشات سوف تتجدد، وإلى أن يحدث ذلك، فإننا نقول مرة أخرى، إن من المستحيل أن يصبح الفرد إنسانا دون أن يتفاعل مع غيره من الكائنات الانسانية، فإن النمو الجسمى، والاجتماعى ليس سجادة تطوى وتفرد آليا، كما أن الحيوانات لا يمكنها القيام بوظيفة المربى للانسان.

إن السلوك الانسانى سلوك متعلم. وتسمى العملية التى يتعلم بها الفرد كيف يسلك ككائن إنسانى «عملية التطبيع الاجتماعى Socialization وتتضمن هذه العملية نقل الثقافة التى يولد الفرد فى ظلها عن طريق اللغة، والاشارات والايماءات المختلفة. وفى نفس الوقت، يتعلم الوليد كثيرا عن نفسه منذ أن يبدأ احساسه بذاته ومنذ أن تبدأ تنميته لهذه الذات.

وسوف نعنى فى الجزء الأول من هذا الفصل، باستقصاء طبيعة عملية التطبيع

الاجتماعى التى يتعلم الطفل ثقافته عن طريقها. وسوف نتحدث فى الجزء الثانى عن التطورات الاجتماعية المختلفة، وعن تكوين الشخصية وظهور «الذات Self».

التطبيع الاجتماعى
Socialization

الاثار المترتبة على العزلة التامة :

وصف «كنجزلى دافيز Kingsley Davis» عام ١٩٤٠ حالتى عزلة تكادان تكونونان تامتين، ومنذ ذلك الوقت لم تكتشف حالات اخرى تجعل علماء الاجتماع يغيرون رأيهم حول ضرورة التفاعل الانسانى لنمو الاطفال.

الحالة الاولى التى أوردها «دافيز» كانت حالة الطفلة «أنا Anna» وهى طفلة فى حوالى الثامنة من عمرها، حرمت من كل أنواع الاتصالات الانسانية تقريبا. فقد كانت طفلة غير شرعية حاولت أمها إخفاءها بعد شهور من ولادتها، فأغلقت عليها حجرة مظلمة، حيث كانت تتناول فيها طعامها، وشرابها، وتقضى حاجاتها الضرورية. وعندما اكتشفت السلطات وجودها كانت بالغة الهزال، لا تستطيع المشى أو الكلام، أو عمل أى شىء يدل على ذكاء.

وبعد مضى سنتين بعيدا عن أمها، استطاعت أن تطعم نفسها، وأن تمشى، وأن تنفذ بعض التعليمات البسيطة، الا أنها كانت عاجزة عن الكلام. وخلال سنوات قليلة أخرى، بدأت الكلام فى مستوى طفلة فى العامين من عمرها، كما أصبحت قادرة على القيام ببعض الاعمال المتوقعة من طفلة فى عمرها. ولسوء الحظ، ماتت الفتاة بعد ذلك بفترة قصيرة، قبل التوصل إلى نتائج حاسمة حول طبيعة قدراتها الاساسية.

ولقد استخلص «دافيز» من المعلومات التى استطاع جمعها عنها خلال هذه الفترة، أن الفتاة كانت متخلفة عقليا، وأن أمها كانت أيضا متخلفة عقليا، الأمر الذى سبب حيرة بصدد هذا التشابه فيما اذا كان هذا التخلف يرجع الى عوامل وراثية، أو أنه يرجع الى ظروف العزلة، والاهمال، وانعدام الرعاية التى عانتها

الفتاة خلال سنى حياتها المبكرة.

وأما الحالة الاخرى التى وجدها «دافيز» فكانت الفتاة «ايزابل» التى لاقت ظروفا مشابهة للظروف التى مرت بها «أنا» حتى بلغت السادسة من عمرها، وكانت أمها صماء بكماء. وعندما اكتشفتها السلطات كانت مثل «أنا» لاتستطيع المشى أو الكلام، وكانت تبدو أيضا متخلفة عقليا. ولكن على عكس «أنا» توفر فريق من العلماء والاخصائيين فى مختلف الحالات الجسمية، والنفسية، والاجتماعية على رعـايتهـا ومساعدتها على النمو. وبذلت جهود مكثفة لاستثارة قدرتها على الكلام. وكانت النتيجة أنها لم تستطع الكلام فقط، بل إنها نمت نموا مدهشا خلال فترة قصيرة جدا من الزمن، وخلال عامين وصلت الى المستوى العادى لسنها، وخلال نصف عام آخر كانت نسبة ذكائها قد تضاعفت ثلاث مرات.

الاسس البيولوجية The Biological Bases

تتميز الكائنات الانسانية عن غيرها من الكائنات غير الانسانية بقدرتها الفائقة على التعلم، وبأن سلوكها لا يتحدد بما يستثار لديها من غرائز. إن الانسان يتميز بالعقل الذى يعكس مختلف الاستجابات، كما يتميز بالقدرة على الكلام وغير ذلك من الخصائص التى تتطلب عملية التعلم الضرورية لحياة ومعيشة الانسان، ولكن الطفل الإنسانى يولد أقل نضجا من سائر الكائنات الاخرى عند مولدها، فهو لايستطيع أن يعنى بنفسه، كما أن جهازه العصبى يكون غير ناضج. ويرجع العجز غير العادى للطفل الإنسانى عند مولده إلى أسس بيولوجية. ثم بمساعدة المحيطين به وتوفير المثيرات المختلفة، يبدأ عقل الوليد فى النمو، ويأخذ فى تعلم لغة مجتمعه وثقافته، كل ذلك بمساعدة أسرته التى تلبى له حاجاته الضرورية. ويأخذ عقل المولود فى الاتساق مع مختلف الاحاسيس، ويبدأ فى التعرف على نفسه، وعلى العالم المحيط به، وفى تنظيم هذه الخبرات المختلفة. وتتميز المرحلة الاولى من العمر بالنمو العقلى السريع، إذ تبلغ أعلى معدل لها فى هذه السنوات المبكرة.

الاعتماد على الاخرين Dependency

يرجع اعتماد الطفل على من يتولى تربيته ورعايته منذ مولده، إلى عجزه عن

تلبية حاجـاته الضرورية، ويلعب هذا العجز دورا أساسيا فى عملية التعلم. فخلال هذه المرحلة المبكرة التى ينمو فيها المخ والجهاز العصبى، ويلتصق فيها الطفل بمن يعنى به، تتشكل أولى خبراته النفسية والاجتماعية. ويظل هذا الاعتماد على الاخرين ملازما لنا طوال حياتنا، مع تغير الناس الذين نعتمد عليهم، من الوالدين إلى الأصدقاء إلى الزوجات (أو الازواج) وحتى إلى الأبناء. إن الانسان يحتاج طوال حياته للاخرين لتزويده بحاجاته النفسية المختلفة، وخاصة حاجته إلى الحب، وهو أول خبرة اعتيادية لدى الطفل.

ويبحث العقل دائما عن المعرفة، ويتلمس الاجابة عن عديد من الاسئلة التى تحاصره، فيتساءل الفرد من أنا؟ هل أنا شخص محبوب؟ هل أنا انسان طيب؟ ولايولد الطفل مزودا بإجابات عن مثل هذه الاسئلة، ولابد أن يلتمس معرفتها لدى الآخرين، بادئا بطبيعة الحال بهؤلاء الذين يزودونه بحاجاته المبكرة.

ولابد أن يتهيأ من يعنى بهؤلاء الصغار الذين لا حول لهم ولاقوة، وليس هناك أفضل من الام لهذه المهمة. لقد خلق الله سبحانه وتعالى المرأة وزودها بإمكانات حمل الطفل وهنا على وهن، وولادته وارضاعه والعناية به. وتشتق الام سعادتها مما تقدمه لمولودها، مهما عانت فى سبيل ذلك.

وأثناء ضم الام وليدها إلى صدرها أثناء الرضاعة، فانه يكون حساسا لكل ما يصدر عنها، وبمرور الزمن يكتشف الرضيع أن أمه تبادله انفعالاته ومشاعره، فتبتسم عندما يبتسم، وتهش له عندما يهش لها. وينشأ الاعتماد المتبادل بين الرضيع وأمه، هذا الاعتماد الضرورى لحياته.

الحاجات الانسانية Human Needs

يشكل تزويد الطفل بالغذاء حاجة واحدة فقط من حاجات الرضيع الضرورية. وتوجد بالاضافة الى هذه الحاجة إلى الغذاء، حاجات أخرى يشتقها الطفل من وجوده مع آخرين، وهى ضرورية لكى ينشأ صحيح الجسم والنفس طوال حياته.

ومن أهم هذه الحاجات الحاجة إلى الحب، والحاجة إلى القبول والحاجة إلى تأكيد الذات. وإن الاشخاص الذين يكونون فى وضع يمكنهم من إشباع هذه

الحاجات الضرورية للطفل، هم أنفسهم الذين يلحقون به ضررا بالغا قد يلازمه طوال حياته اذا فشلوا فى تزويده بهذه الحاجات، وبخاصة اذا كانوا من أولئك الذين تشكل استجاباتهم له أهمية معينة.

وتقوم الحاجة إلى الآخرين فى مرحلة المهد على أساس جسمى، وأما فى السنوات التالية، فإن الروابط تقوم كلها تقريبا على أسس انفعالية، وهى تقوم على أساس النموذج الاعتيادى الاول الذى كونه مع أمه. وإن الحالتين اللتين أوردناهما عن «أنا» و «ايزابل» تظهران الحاجة إلى الاتصال الانسانى لكى يصبح المولود كائنا إنسانيا. ولابد أن يستمر التفاعل ليظل الطفل شخصا سويا.

وتوجد دلائل متزايدة مستقاة من عديد من الدراسات، عن العلاقة الوثيقة بين الصحة الجسمية والنفسية، ووجود الطفل وسط عائلة، وبين أصدقاء دعما لهذه الشبكة من العلاقات مع من يحيط به. (Cobb, 1979 Lynch, 1977) ومن بين هذه الدراسات الدراسة الطولية التى أجريت فى أحدى مناطق كاليفورنيا وأظهرت أن الاطفال الذين لا تتوفر لهم روابط اجتماعية، تكثر حالات الوفيات بينهم خلال السنوات التسع الاولى من حياتهم، أكثر من غيرهم الذين يعيشون داخل علاقات وروابط اجتماعية وثيقة. (Berkman and Syme, 1979)

الفروق الفردية Individual Differences

بالرغم من أن جميع الاطفال يولدون متشابهين من حيث عدم اكتمال نضجهم، فإنهم بطبيعة الحال ليسوا متماثلين. فبعضهم سوف يتعلم أسرع من غيره، ويكون أحدهم فى مستقبل أيامه عاملا، والآخر محاسبا، والثالث طبيبا .. الخ. وقد يصير أحدهم طويلا، والآخر قصيرا، وقد يصبح أحدهم رابط الجأش، والثانى عصبى المزاج، وغير ذلك مما لايعد ولايحصى من صفات يرجع بعضها إلى مكونات جينية. معنى ذلك أنه توجد انتحاءات وراثية نحو أنواع معينة من الصفات والتصرفات. وكل مولود هو مزيج فريد من مثل هذه السمات، الا اذا استثنينا التوائم المتماثلين الذين يشتركون فى نفس الخصائص الوراثية.

ولكن الشىء الأساسى أن هذه الانتحاءات الجينية لا تشكل السلوك آليا، ان الانتحاء لايعنى أكثر من احتمال حدوث استجابة معينة بقدر يفوق احتمال

حدوث أخرى. وتظهر الانتحاءات داخل بناء اجتماعى يمكن أن يشجع ظهورها أو يكف هذا الظهور.

وإن ما ينبغى أن يستقر فى الاذهان أن كل شخص نمط متفرد، هو مزيج من العوامل الفطرية والصفات المتعلمة. وسننتقل الان الى العملية التى يتعلم بها الفرد القواعد السائدة فى مجتمعه، والادوار المعينة التى يتوقع أن يقوم بها خلال حياته.

عملية التطبيع الاجتماعى The Socialization Process

يولد المولود مزودا بالقدرة على تعلم أية ثقافة، وتحدث أية لغة، وتنظيم خبراته على أنحاء مختلفة كلما تدرج فى النمو. ولكن الصغار لن يمشوا، ولن يتكلموا الا اذا استثيروا لفعل ذلك، بالرغم من توفر الاستعدادات والقدرات الجسمية للقيام بهذا.

وإن وظيفة التطبيع الاجتماعى المبكر هى أن تقدم للطفل عالما واحدا من المعانى، على أنه العالم الوحيد الممكن (Berger and Luckman, 1966) وسوف تنمو التعريفات المتعلقة بالواقع مع الفرد كلما تدرج فى النمو، وسوف تحيط الثقافة به كما يحيط الماء بالسمك! وعن هذا الطريق يتعلم الطفل لغة جماعته وطرق معيشتهم.

وعلى المستوى المصغر، مستوى العائلة، فإن الطفل يزود بمختلف المعارف خلال تدريبه على الادوار الاجتماعية.

أولا : تعلم الفرد لوضعه Learning One's Place

عندما يشغل الافراد مكانات معينة، فإن عليهم أن يتعلموا الأدوار والقواعد التى تحكم التفاعل الاجتماعى مع شركاء الدور. ويتضمن تعلم الدور عددا من العناصر هى:

(١) المعلومات المتعلقة بهذا الدور.

(٢) التدريب على الادوار.

(٣) استجابات الاخرين.

(٤) التدعيمات الاجتماعية.

١ ـ المعلومات المتعلقة بالدور :

ينبغى أن يتلقى الفرد معلومات كافية حول الدور الذى يتعين عليه القيام به، لما فى ذلك من تأثير على أدائه.

فالمجند الجديد بالقوات المسلحة يجب أن يتلقى معلومات كافية عن هذا الدور الجديد من الجند القدامى. وكذلك المرأة المقبلة على الامومة ينبغى تزود بالمعلومات الكافية عن تربية الطفل ورعايته. وحتى الاطفال يجب أن يرشدوا إلى السلوك المناسب وفقا للمواقف التى يمرون بها، وأن يزودوا بمعلومات عن كيفية الظهور بالمظهر الطيب.

٢ ـ التدريب على أدوار الكبار

تفيد معظم الأداءات من الفرص المتاحة للتدريب على الأدوار. وإن فرص التعلم بالمحاولة والخطأ فى ظروف تتصف بالتسامح المعقول، سوف تحقق فائدة كبيرة للممارسين الجدد لأية أدوار، سواء كانوا أزواجا فى شهر العسل أم طلابا جددا فى الجامعة.

وتوجد صورة اخرى للتدريب على الادوار، يطلق عليها اسم «**التطبيع الاجتماعى على الادوار المتوقعة**». وفيها يدرب الشخص على الادوار التى يتوقع أن يشغلها. فتدرب الفتاة على دور ربة البيت، ويدرب الفتى على دور الجندى، ويدرب طلاب السنوات النهائية فى أماكن العمل التى يتوقع أن يعملوا بها، ويتعلم كبار السن بعض الهوايات والممارسات التى سوف يزجون بها أوقات فراغهم بعد التقاعد.

كما توجد عملية أخرى قريبة من التطبيع الاجتماعى على الادوار المتوقعة، وفيها يقلد الشخص الناس الذين يعجب بهم، ويحترمهم، ويرغب فى أن يصير مثلهم، كالاباء والمعلمين والعلماء وغيرهم من الشخصيات الشهيرة التى يمثل أداؤهم لأدوارهم نماذج تحتذى.

٣ ـ استجابات الاخرين Reactions of Others

يقوم الافراد بعديد من الانجازات تخضع للتقويم وتوقيع مختلف الجزاءات

الاجتماعية عليها. وهذه الجزاءات تكون ايجابية اذا أحسن الافراد القيام بأدوارهم، وقد تكون سلبية، ويقصد بها عدم الموافقة كليا أو جزئيا على أداءات الاعمال المختلفة.

ويتوقف تعديل الناس لسلوكهم للحصول على الجزاءات الايجابية أو تجنب الجزاءات السلبية، على أهمية الاشخاص الذين يمنحون الثواب أو يوقعون العقاب، ويتباين هؤلاء الاشخاص من حيث الاهمية، فبعضهم لا أهمية لثوابه أو لعقابه أو لمدحه أو لقدحه، ولكن هناك أيضا من تكون لارائهم وأحكامهم أهميتها وخطورتها.

٤ ـ الدعم الاجتماعي Social Support

غالبا ما يتوقف نجاح الشخص فى أداء دوره على مساعدة من يشرف على تدريبه، ودعم أدائه، لتعلم ما يقوم به من دور أو أدوار الاشخاص المحيطين به، عنصرا أساسيا فى نجاحه فيما يقوم به من أدوار.

ثانيا : تعلم السلوك الخاص بالجنس Learning of Sexuality

شاءت حكمة الله سبحانه وتعالى، أن يزود الناس بدافع جنسى قوى، وذلك لاستمرار الجنس البشرى وتعمير الكون. وبالرغم من أن الدافع الجنسى يعد دافعا بيولوجيا طبيعيا، فإن السلوك الخاص به سلوك متعلم، وهو من أهم الدوافع التى تخضع لسيطرة المجتمع ورقابة الجماعة، امتثالا لأمر الله سبحانه وتعالى «ولاتقربوا الزنا، إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا».

ويعد التطبيع الاجتماعى المتعلق بالجنس والسلوك الجنسى متطلبا أساسيا فى جميع المجتمعات، لانضباط الحياة الاجتماعية. وتحيطه المجتمعات بعديد من القيود، لأن الفاحشة إذا شاعت فى مجتمع من المجتمعات، كان ذلك إيذانا بانحلال المجتمع وفنائه كما يقول ابن خلدون.

ويتعلم الناس السلوك الجنسى السوى الذى يقره الشرع ويحفظ الفرد والمجتمع، عن طريق مصادر التطبيع الاجتماعى المختلفة. وينبغى أن يحرص المجتمع على تجنب كل ما يثير الشهوة، ويحرك الفتنة.

ويتعلم الناس قمع وكبت مشاعرهم الجنسية حتى تتهيأ لهم الظروف المناسبة، بعديد من الوسائل ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع، فعليه بالصوم، فإنه له وجاء» فمن شأن الصوم التقليل من ضغط الطاقة التى تكمن وراء الدافع الجنسى. كما تفيد بهذا الصدد أيضا ممارسة أنواع الرياضه المختلفة والقراءات النافعة وقبل كل شىء وبعده، رؤية الله سبحانه وتعالى حية ماثلة فى العقل والقلب.

وتتباين المجتمعات بصدد المفاهيم العامة التى تحكم السلوك الجنسى، ووسائل خفض التوترات الناجمة عن الدافع الجنسى، ويرجع هذا التباين الى عوامل دينية، وعرقية، وسلالية، وإلى عوامل خاصة بالدخل والعمر. فعلى سبيل المثال، نجد مجتمعات تتفنن فى «موضات» تشد الانتباه الى مفاتن المرأة، الأمر الذى لا تقره مجتمعات اخرى وتحرمه وتدعو إلى عدم التبرج تبرج الجاهلية الأولى.

الفروق بين الثقافات الفرعية
Subcultural Differences

إن تعلم السلوك الجنسى الصحيح، أى المتفق مع تعاليم الدين وتقاليد المجتمع، ليس الا مجالا واحدا من عديد من مجالات تعلم الدور فى ظل قيم ومعايير معينة. ويرتبط ذلك أشد ارتباط وأوثقه بظروف التنشئة الاسرية، والدخل، ونوع التعليم، والوضع المهنى. وقد لاحظ كل من «وينبرج» و «وليمز» عام ١٩٨٠ «Wienberg and Williams » التباين والاختلاف بين أبناء الطبقة العاملة وأبناء الطبقة الوسطى فيما يتعلق بالانخراط فى أنشطة منحرفة بهذا الصدد، فأبناء الطبقة الوسطى أكثر محافظة، وأقل تعرضا للانحراف من أبناء الطبقة الدنيا.

وتلعب الاسرة دورا بالغ الاهمية فى تشكيل قيم الابناء. وسوف نناقش أهمية الطبقة الاجتماعية فى الجزء الثالث من هذا الكتاب. ومع ذلك، فما دمنا بصدد الكلام عن عملية التطبيع الاجتماعى فلابد أن نشير إلى دراسات «مالفن كوهن» عام ١٩٧٧ Malvin Kohn عن العلاقة بين مهن الابناء وعملية التطبيع

الاجتماعى. فإن معظم مهن أفراد الطبقة الوسطى تتطلب مهارة التعامل والتفكير، وقدره على مواجهة المشكلات ومحاولة حلها، كما تشجع حب الاستطلاع المعقول، والتخيل والابتكار، وخاصة من الوالدين. فى حين تتطلب معظم حرف الطبقة العاملة الانصياع للاوامر، والتفكير المحدود الوقتى، والتعامل مع الالات، ومن ثم يحاول الاباء غرس قيم الطاعة، وعدم المعارضة، والامتثال للسلطة والاهتمام بتعلم المهارات الفنية.

فرق طبقى آخر أشار إليه بعض الباحثين بصدد اختلاف الاستجابة لبعض أعمال الابناء، وما يترتب على هذه الاعمال من نتائج. فعلى سبيل المثال، إذا كسر إبن من أبناء الطبقة العاملة زجاج نافذة فقد يعاقب الطفل على هذا الفعل، لانهم يضيقون بمثل هذه الخسائر فى الممتلكات. وأما آباء الطبقة الوسطى، فإن كل ما يعنيهم بهذا الصدد هو أن يجيب الابن على أسئلة مثل: ما الذى دفعه إلى أن يسلك على هذا النحو؟ لماذا فعل ذلك؟ وذلك فى محاولة لمعرفة الدوافع التى تكن وراء السلوك.

وكذلك أجريت عديد من الدراسات عن الفروق بين المجتمعات التقليدية والمجتمعات الحديثة بالنسبة لأنماط تربية الاطفال.

ونورد فيما يلى جدولا يلخص أهم هذه الفروق، وهو مأخوذ عن «سكولنك» Skolnick عام ١٩٧٨.

المجتمعات التقليدية	المجتمعات الحديثة
١) يتأثر وضع كل فرد فى العائلة بمكانته المتعلقة بالعمر والجنس	الاهتمام بالذاتية وشخصية كل فرد.
٢) الاب هو الرئيس، ويختلف عن كل من الام والابناء، وأن اقرار النظام منوطه به، والكل ملزم تجاهه بالاحترام.	الاب أكثر مودة وأقل تسلطا. والام لها دورها أيضا فى اقرار النظام فى البيت.
٣) الاهتمام بالسلوك الظاهر، لا بالدوافع التى تدفع اليه.	التأكيد على الدوافع والمشاعر وسبب قيام الطفل بهذا النوع من السلوك.
٤) التأكيد على الطاعة العمياء،	تقوم الطاعة على الفهم، والعقاب

واستخدام العقاب البدنى، والزجر والتعنيف والتهديد.	بالاهمال، وجعل الطفل يحس بالذهب، والتهديد بالحرمان من الحب.
٥) يتحقق التطابق والتلاحم بين افراد المجتمع بالتأكيد على (النحن We).	يقوم الاتصال على المداخل الفردية والتعبير عن المشاعر الذاتية والتأكيد على «الانا I».
٦) يسير الاتصال فى طريق واحد من الوالد الى الابن.	يسير الاتصال فى طريقين من الوالد الى الابن، ومن الابن للوالد، حيث يكون الوالد على استعداد للاقناع والاقتناع.
٧) ان أهم الصفات ذات القيمة هى أن يتحلى الطفل بالطاعة والنظافة.	المهم هو سعادة الطفل، وأداؤه لعمله، ومراعاة الاخرين، والشغف بالاستطلاع وضبط النفس.
٨) لا يشعر الوالد بالحاجة الى تبرير مطالبه، فالاوامر ينبغى ان تنفذ «لانى قلت ذلك».	لايقول الوالد لابنه «اغلق فمك» وانما يقول: «أرجو ان تلزم الهدؤ او اذهب الى حجرة أخرى، لاننى أريد ان اتحدث فى التليفون»
٩) التركيز على الالتزام بالقواعد وعلى الامتثال للسلطة والاستمرار فى التمسك بالنظام	التركيز على التعريف بأسباب القواعد ومبادىء السلوك المختلفة وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بالمبادىء الاخلاقية.
١٠) قد يكون لدى الطفل احساس قوى بذاته الاجتماعية، ولكن على حساب الفردية.	الاحساس القوى بالذات، ووجود مشكلات لدى الطفل تتعلق بذاته، وقد تتولد لديه مشاعر الذنب والاحساس بالاغتراب.

Source: Arlene Skolnic, 1978, P. 357.

مصادر التطبيع الاجتماعى

Agents of Socialization

اذا كانت الثقافة متعلمة، فلابد أن توجد قنوات لتوصيلها، هذه القنوات يطلق عليها اسم مصادر التطبيع الاجتماعى. وأهم هذه المصادر هى:

(١) الوالدان :

ان أول مصادر التطبيع الاجتماعى واكثرها اهمية يتمثل فى الاشخاص الذين يعنون بالمولود. وفى الشهور المبكرة من حياته، ترسل اشارات من الام له يحس بها، وتكون أساس فهمه للعالم المحيط به. وهى بالاضافة الى لغتها معه، والتى تقــدم إليه لأول مرة، تشكــل ادراكـاتـه، وتختلط الـرغبـة في استمـرار التفـاعـل مع الأم بالخوف من فقدان المصدر الذى يزوده بهذه المشاعر السارة، الامر الذى يدفع الرضيع لأن يكون حساسا لكل ما يصدر عن الام من لمسات، وتعبيرات ترتبط بعنايتها به، ورعايتها له.

وتكون اتصالات الأم الاولى برضيعها اتصالات غير لفظية وتتعلق أكثر ما تتعلق بالحالات المزاجية والانفعالية، وتعبر عنها الام بعديد من الطرق كهدهدتها له، وملامسته، واللعب معه، ويستجيب الرضيع لهذه المشاعر الايجابية ويسعد بها. وتشكل أهمية بالغة فى توطيد الثقة بين الطفل ومن يقوم على تطبيعه. واذا كان نوع التفاعل مهما، فإن مقداره مهم أيضا، وخاصة بالنسبة لتعليم الطفل التعاطف والتقدير لمشاعر الآخرين، ووضع نفسه موضعهم. ويمكن القول بوجه عام، ان حزم الوالدين مع أبنائهما يعلمهم تخيل مشاعر الاخرين.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، يمكن أن تكون رسائل الام لطفلها، واشاراتها له، ومعاملتها إياه، على العكس مما سبق تماما، فتصبح فيه آمرة إياه بغلق فمه، والكف عن الصراخ، بل قد تضربه إذا ظهرت منه بادرة عدوانية، كعضه لها أثناء الرضاعة، ثم فجأة تهدهده وتهش له، وتنتاب الرضيع الحيرة إزاء هذه الاستجابات المتناقضة، فأية اشارات وأفعال يستجيب لها، وأية رسائل يجيب عليها، وبذلك تتقطع الروابط بين الام ووليدها، الامر الذى يمكن أن يؤدى فى بعض الحالات المتطرفة الى الاضطراب أو المرض النفسى. ويساعد على ذلك الاوامـر المتنـاقضة التى تعوق الفهم السليم (Laing, 1977) هذا بالاضافة إلى اسقاط الوالدين لمشاعرهما الخاصة على ابنهما، فيفرضان عليه وقت غذائه مثلا، وبذلك يدمران احساس الصغير بمشاعره الخاصة.

وهكذا نجد التأثير الكبير للسلطة الوالدية على الصغار، ويتمثل هؤلاء الصغار ثقافة مجتمعهم عن طريق التوقعات الوالدية، ويشكل هذا التعليم المبكر أساس

النمو المستقبلى. ويمكن أن تؤثر مشاعر الذنب التى تتولد نتيجة الفشل فى تحقيق المتطلبات الوالدية فى الافراد طوال حياتهم. ومع ذلك فان معظم الاباء ان لم يكونوا كلهم، يحاولون تعليم أطفالهم ما يعتقدون أنه ضرورى لنجاحهم وفقا للثقافة السائدة، وكيف يشبون كبارا قادرين على مواجهة متطلبات الحياة. وعندما يقول أى من الوالدين للطفل «ان هذا لمصلحتك» فإنه يعتقد أن ما يحاول غرسه فى الطفل هو فعلا لمصلحته فى حاضرة ومستقبله.

وغالبا ما يستطيع الاباء فى المجتمعات البسيطة تعليم أبنائهم كل ما يؤهلهم لحياة الرشد. ولكن الامر ليس على هذا النحو فى المجتمعات الحديثة سريعة التغير الذى تصبح فيه معلومات الاباء قديمة بالنسبة لابنائهم. ومن هنا كان لابد من دخول مصادر اخرى تساهم وتشارك فى تعليم الابناء صغارا أو راشدين لتأهيلهم لما يطلب منهم من أدوار. وبهذا يعد الوالد العصرى مصدرا واحدا فقط من مصادر التطبيع الاجتماعى، وهو وإن كان أولها، الا أن تأثيره أصبح محدودا، وجل ما يطمع فيه الآباء اليوم هو أن يكونوا قد نجحوا فى أثارة دافعية أبنائهم للتعلم، وتزويدهم ببعض القيم التى تحكم سلوكهم المستقبلى، بالاضافة الى بعض مهارات التفاعل الاجتماعى.

(٢) الأقـران : Peers

تعد جماعة الأقران المساوية فى العمر، مصدرا آخر من مصادر تزويد الطفل بالمعلومـات، وبالتالى تطبيعه اجتماعيا. ويستمد الاقران قوتهم من تساويهم مع الأبناء فى العمر، وذلك بعكس الوالدين، اللذين توجد بينهما وبين الأبناء مسافة اجتماعية ورسميات، حتى فى اكثر البيوت تسامحا. هذا فى حين يستطيع الابناء التعامل مع رفاقهم على قدم المساواة، فيمكنهم الاختلاف أو حتى الشجار معهم اذا تطلب الامر ذلك دون ان تنتابهم مشاعر الذنب. ولكنهم لا يستطيعون ذلك بطبيعة الحال مع الوالدين.

إن العلاقة مع الاقران ضرورية فى كل مراحل العمر. فهى مهمة فى مراحل الـطفـولـة لتعليم الأطفـال كثـيرا من المهـارات الاجتـماعية الضرورية لحياتهم المستقبلية. وعندما يذهب الصغار الى المدرسة تزداد أهمية الاقران فى تزويد الابناء بالمعارف الضرورية لكيفية التعامل داخل حجرة الدراسة وخارجها، بل خارج

المدرسة أيضا. وتشكل جماعة الاقران مصدرا مهما من مصادر التطبيع الاجتماعى بالنسبة لعديد من الامور التى سوف يواجهها الفرد فيما يستقبل من حياته. ولقد حظيت علاقة الاقران بأهمية كبيرة من قبل العلماء الاجتماعيين وأجروا كثيرا من الدراسات العلمية بصددها.

(٣) جماعات الرفاق فى مرحلة المراهقة :

Adolescent Peer Groups :

ينتاب القلق كثيرا من الاباء وغيرهم من الكبار، فيما يتعلق بالصداقات التى يعقدها المراهقون الذين تتراوح أعمارهم بين ١٣، ١٨ عاما، مع جماعات خارج البيت. ويخشى الاباء من سلطة هذه الجماعات وتأثيرها على ما نشأوا أبناءهم عليه من قيم ومعايير سلوكية، لما يظهره المراهقون من ولاء لهذه الجماعات.

ومع ذلك، فإن جماعة الاقران ضرورية فى مرحلة المراهقة لما تؤديه هذه الجماعات من وظيفة ضرورية فى حياة الأبناء للانتقال من مرحلة الاعتماد على الغير الى الاستقلالية والاعتماد على النفس، وفى رحلتهم من الطفولة الى الرشد. وتشكل جماعة الاقران بيئة مدعمة لتطبيع الشباب على الأدوار التى تتطلبها مرحلة الرشد، (Eisenstadt, 1956, Erikson, 1963) وذلك لما يسود علاقات المراهقين من تسامح، الامر الذى يساعد على بناء ذاتيتهم.

وتشبه العملية التى تعمل بها جماعة الاقران هنا باعتبارها مصدرا من مصادر التطبيع الاجتماعى، ما عرضنا له بالوصف عندما تحدثنا عن أهمية جماعة رفاق الاطفال فى عملية التطبيع الاجتماعى. ان جماعة أقران المراهقين تلعب دورا بالغ الاهمية فى إشاعة المودة والقبول والثقة بالنفس. ولا يعنى ذلك استغناء المراهقين عن دعم الاباء. وتشير معظم الدراسات الى ضرورة استمرار روابط المودة والحب بين الوالدين والابناء (Bengtson and Troll, 1978).

وفيما يتعلق بالاهمية النسبية لكل من الوالدين والرفاق باعتبارهم مصدرا من مصادر التطبيع الاجتماعى فى مرحلة المراهقة، فقد اثبتت الدراسات أهمية الآباء في تحديد الأهداف بعيدة المدى، وفي إرساء القيم الأساسية. في حين تتضح أهمية الرفاق فى اختيار أساليب الحياة الوقتية، سيما المظهر وقضاء وقت الفراغ.

(Kandel and Lesser, 1972 Troll and Bengtson, 1979)

وتتجلى أهمية جماعة الرفاق فى اعداد المراهق لحياة الرشد وما تتطلبه من أدوار، وكذلك فى تنمية اتجاهاتهم المختلفة.

(٤) المعلمون :

يوكل اليوم معظم التطبيع الاجتماعى الرسمى الى متخصصين فى الاضطلاع بهذا الدور، وهم المعلمون، ابتداء من الحضانة فصاعدا. وهم يتقاضون أجرا على هذا الدور الذى يقومون به، والمعلم المثالى هو الذى يجمع بين غزارة المعرفة ومهارة تقديمها. وهو بالاضافة الى ما يزود به تلاميذه من معارف ومهارات مختلفة داخل وخارج حجرة الدراسة، فإنه يلعب دورا أساسيا كنموذج يحتذى، ويشوق التلاميذ لعملية التعلم ذاتها.

وخلال سنى الدراسة المختلفة من المرحلة الاعدادية حتى الجامعة يوطد بعض الشباب علاقة وثيقة بمعلميهم واساتذتهم، ويصبح هؤلاء المعلمون والاساتذة ناصحين أمناء لهم سواء فيما يتعلق بسلوكهم أو تصرفاتهم، أو بصدد ما قد يعرض لهم من مشكلات، أو ما قد يقررونه بصدد مستقبلهم، (Levinson, 1978)

(٥) وسائل الاعلام Media

كان الاباء والاصدقاء والمعلمون يشكلون فيما مضى أهم مصادر التطبيع الاجتماعى سيما فى مرحلة الطفولة. وكذلك كانت المجلات، والكتب تقوم بدور كبير كمصادر للمعرفة، وتزويد القراء بالقيم، والمعايير الضرورية، وبالنماذج التى يمكن ان تحتذى. أما اليوم فلابد أن نضيف مصادر أخرى غير شخصية بالغة القوة فيما يتعلق بعملية التطبيع الاجتماعى، تلك هى الراديو، والسينما، والتليفزيون، فقد أصبحت من أهم وسائل المعرفة بالنسبة لكثير من الناس وبخاصة تلك المتعلقة بنمط الحياة، وتشكيل الاتجاهات المختلفة.

وقد ركزت عديد من الدراسات على أهمية التليفزيون فى حياة الاطفال والشباب، فهم يجلسون أمامه عددا من الساعات تفوق ما يقضونه فى دور العلم (أكثر من خمسين ساعة اسبوعيا) وقد أجريت كثير من الدراسات على تأثير أفلام

العنف على الاطفال، وأيدها بعض العلماء وعارضها بعضهم الآخر. وحجة المؤيدين، أن هذه الافلام والبرامج تتيح متنفسا لما يعتمل داخل النفس من رغبات عدوانية مكبوتة. وأما المعارضون فيذهبون إلى أنها تشكل نماذج تحتذى وتقدم قدوة لنماذج من السلوك، ولايستطيع المشاهدون التمييز بين الحقيقة والتمثيل، الأمر الذى ينتج عنه كثير من مشكلات العدوان داخل البيت أو خارجه (Straus; Gelles and Steinmetz, 1979)

تكويـن الشخصيـة
Personality Formation

إن نقل الثقافة ليس إلا مظهرا واحدا من مظاهر التطبيع الاجتماعى. فأثناء اكتساب الافراد وتوقعات الدور، نجدهم يتعلمون أيضا الكثير حول ذواتهم. فالذات Self عبارة عن تنظيم للمدركات حول من هو «الشخص»، وأى نوع من الناس يكون؟ فلانسان لايولد مزودا بمثل هذه المعارف، وهى تتجمع تدريجيا مع خبرات التطبيع الاجتماعى نفسها التى يتعلم بها الانسان ثقافته.

وبما أن مفهوم الذات هو المحور الذى تقوم عليه الشخصية فإن الدراسات المتعلقة بالتطبيع الاجتماعى إنما هى أيضا دراسات ترتبط بتكوين الشخصية.

«كولى و «ميد» والذات الاجتماعية :
Cooley, Mead and the Social Self :

يصل الرضيع تدريجيا إلى التمييز بين ذاته وذات أمه ويستحيل بطبيعة الحال، أن نسأل الرضيع أو حتى الطفل الصغير، عن مشاعره ومدركاته. وكل ما يقوم به العلماء الاجتماعيون هو تخيل مشاعر الصغار. ولا يمكن أن نعتبر ذلك وصفا علميا بالمعنى الدقيق وإن كانت تصوب على ضوئه المعلومات المستمدة من الكبار. وفى عدم وجود معارف يقينية، لا يسع العالم الاجتماعى الا أن يتصور ما يحدث على النحو التالى:

يستغرق الرضيع تماما فى عملية الرضاعة، ولكن العقل الانسانى يعكس ما يراه وما يدركه. وفى وقت من الاوقات، يبدأ الرضيع فى ادراك نفسه متميزا عن الآخرين. فعندما تخاطبه أمه، أو من يعتنى به بقولها «أنت»، فإن الرضيع يبدأ يميز ذاته بشكل غير واضح. وهذا ما عناه العلماء بالقول إن العقل الانسانى يتصور نفسه كشىء. فالطفل يستجيب لكلمة «أنت» على أنها ذاته.

ولكن ماهى «أنت» هذه؟ انها هى التى تجعل الاخرين يسيرون بك نحو تصديقها. فعندما يتحدثون لك «أنت» وينادونك «أنت» ويتحدثون عنك «أنت» مع الآخرين، فإنك سوف تتعلم من «أنت».

الذات الاجتماعية The Social Self

إن أول من قدم مفهوم «الذات الاجتماعية» إلى العلماء الاجتماعيين هو عالم النفس الامـريكى «وليم جيمس William James (١٨٤٢ - ١٩١٠) وقـال «جيمس» إن الشخص تكون له كثير من الذوات الاجتماعية بقدر ما يوجد من أشخاص يتعرفون عليه، ويحملون له صوره فى عقولهم. وعلى ذلك، فان الذات ليست روحا مجردة، ولكنها تمتد بجذورها فى صميم التفاعل الاجتماعى. ويرتبط الافراد بمجتمعهم عن طريق هذه الذوات الاجتماعية. فيقول الانسان: إننى أنا الشخص الذى يؤمن، ويشعر، ويعمل بطريقة تحكمها المعايير المستقرة والمتوطدة فى مجتمع ما خلال فترة زمنية معينة.

الذات كما تبدو فى المرآة The Looking glass Self

تأسيسا على مفهوم «وليم جيمس» عن الذات الاجتماعية، ذهب شارلز هورتن كولى (١٨٦٤ - ١٩٢٩) Charles Horten Cooley إلى أن الـذات تتكـون من أحـاسيس غريزية، وشعور ذاتى يأخذ مضمونا متميزا عن طريق التفاعل مع الناس المحيطين بالفرد والذين لهم أهمية خاصة لديه.

ويشتهر «كولى» لدى العلماء المعاصرين بفكرته عن الذات كما تبدو فى المرآة. فكما تعكس المرآة الصورة، فكذلك نرى أنفسنا فى الانعكاسات التى ترد إلينا من الاخرين. فالناس هم المرآة التى نرى فيها صورتنا. ويرى «كولى» أن أفكارنا

التى تتكون لدينا عن ذواتنا تأتى من: ١) تخيلنا للصورة التى نبدو عليها فى عيون الاخرين. ٢) تفكيرنا فى كيفية حكمهم على تصرفاتنا. ٣) شعورنا إزاء هذا كله. بعبارة أخرى، إن إحساسنا بالذات هو عملية مستمرة نامية متطورة كلما تفاعلنا مع الآخرين الذين تكون آراؤهم فينا دائمة التغير.

ولكن لا ينبغى أن تؤخذ فكرة «كولى» على أنها تعنى أن الانسان مستقبل سلبى إزاء هذه الانطباعات التى تصدر عن الآخرين، بل ان العكس هو الصحيح، فالانسان عند «كولى» شخص نشط ينتقى ويختار ويفكر فى انطباعات الاخرين، ويختار من بينها، ويحكم على الاهمية النسبية لشركاء الدور. فالذات لا تتأثر بكل الصور التى تعكسها المرآة. ونحن بوجه عام، ننحو إلى قبول المدركات التى تدعم الذات، ونرفض تلك التى لا تدعمها. ويقول «كولى» ان الناس يتباينون فى درجة تأثرهم بما يصدر عن الاخرين، فبعضهم يتأثر أكثر من بعض. وقد طور هذه الفكرة «جورج هربرت ميد»

تبادل الادوار مع الاخرين Taking the Role of the Others

إذا كنا كما يرى «كولى» نتعلم الكثير عن ذواتنا من تصور كيفية حكم الاخرين على تصرفاتنا، فإن العقل المنعكس لا يرى نفسه مجرد شىء، وانما هو قادر أيضا على التغلغل فى عقول الاخرين ورؤية ما بداخلهم!

ويرى «جورج هربرت ميد George Herbert mead» أن نمو الذات يتم بأخذ أدوار الاخرين، وهذا هو الاساس الذى يقوم عليه نمو الذات، وليس مجرد انعكاس أفعالنا كما ذهب الى ذلك زميله «كولى».

ومهما يكن من أمر، فإن ما نستخلصه من كل من نظريتى «كولى» وميد» هو أن خبراتنا التطبيعية الاولى تتم داخل الجماعات الاولية، وأن وحدة الجماعة الاولية وترابط أفرادها، وما يوجد بين أفرادها من اعتماد متبادل، يولد معانى مشتركة. إننا نستطيع أن نخمن ما يفكر فيه الاخرون لاننا نشترك معهم فى اللغة، والرموز، والايماءات، والمعانى. وبهذه المجموعة من التوقعات، فإن كل شخص يستطيع أن يحكم على الاداءات والانجازات على ضوء المقاييس والمعايير السائدة.

ويستطيع الطفل أن يتعلم الكثير عن طريق ادراكه لكيفية السلوك المناسب،

وعن طريق الخبرة التى يمر بها، بكل ما فيها من محاولات، وأخطاء، وتغذية مرتجعة. ويتم ذلك عن طريق اللغة سواء كانت لفظية أم غير لفظية، وبما تتضمنه من إيماءات. ويستخدم «ميد» كلمة «ايماءات» ليشير بها الى الرموز المشتركة بين أعضاء الجماعة، والتى تشكل جزءاً من أداء الدور. ويقول «ميد» إننا نتمثل ثقافتنا ونظمنا الاجتماعية عن طريق أخذ أدوار الاخرين وبذلك يصبح المجتمع جزءا من ذاتنا.

مراحل أخذ الدور **Stages of Role Taking**

تتم خطوات أخذ الدور، وهو المفهوم المحورى، فى نظرية «ميد» على مراحل، تبدأ منذ مرحلة المهد حتى السنة الثالثة من العمر، وفى هذه المرحلة المبكرة، يقلد الصغير الاخرين المحيطين به، وهم فى الغالب أفراد أسرته والمتصلين بها. وهذا النوع من النشاط يكون تلقائيا ومتخيلا وغير منتظم الى حد كبير. وهو يتيح للصغير أن يفرق بين ذاته وذوات الاخرين. وقد يتحدث الصغير مع احدى لعبه على أنها صديق له، وقد يبثها شكواه من أحد الوالدين. ويؤدى كل ذلك دورا مهما فى عملية التطبيع الاجتماعى لانه يدرب الصغير على أخذ أدوار الاخرين.

وتبدأ المرحلة الثانية، فى الثالثة أو الرابعة من العمر، وفيها يبدأ فى لعب أدوار حقيقية، قد يكون جنديا يطلق النار، أو ممرضه ترعى المرضى، أو طبيبا أو معلما، وغير ذلك من أدوار يؤديها بمهارة أكبر من المرحلة السابقة. وتحقق وظيفة بالغة الاهمية، هى أخذ مزيد من الادوار.

وأما المرحلة الثالثة، فتبدأ مع التحاق الطفل بالمدرسة والاختلاط بعديد من الاقران، وممارسة مختلف الانشطة ومن بينها الانشطة الرياضية مثل كرة القدم أو السلة أو الطاولة. ويتعلم الطفل عن طريق ذلك صورا اكثر تعقيدا، ويأخذ مزيدا من الادوار والانشطة. والالعاب فى هذه المرحلة اكثر تنظيما من المرحلتين السابقتين، وتحكمها قواعد ونظم معينة، وتضم مجموعة اكبر من شركاء الدور على الطفل أن يتعلم أدوارهم.

فهو مثلا قد يأخذ دور حكم مباراة فى كرة القدم، ويتطلب ذلك معرفة بتشكيل الفريق، ومركز كل لاعب فيه، وقواعد اللعب المتعارف عليها وما هو

مسموح وما هو غير مسموح به. وان المسألة ليست مجرد مباراة رياضية معينة، أنما المهم هو المعرفة بأن ثمة مكانات، وأدوار، وقواعد تحكم الانشطة المختلفة.

انبثاق الذات The Emergence of Self

إن هذه السلسلة من أخذ الادوار ليست الا مظهرا واحدا مما اعتبره «ميد» عملية تكون الذات، لانها اذا كانت تمثل كل ما يدور حول الطفل، فإنه لن يبقى سوى القليل فى خبرات الفرد للابداع والتلقائية.

ويميز «ميد» بين (I) (وهو ضمير المتكلم فى حالة الرفع) وبين (me) (وهو ضمير المتكلم فى حالتى النصب والجر). فـ I مظهر فعال مبدع من الذات، وهو ينعكس ويستجيب لـ me وهو يتكون من تمثل اتجاهات الاخرين. وهكذا، فان انبثاق الذات عملية يتفاعل فيها I مع الـ me فى حوار مستمر يجرى داخل عقل الفرد.

وتتحاور الفاعلية I مع المفعولية me داخل عقل الانسان ويتمخض هذا الحوار عن تنظيم للمدركات، لتشكيل صورة مفهوم الذات. هذه الصورة التى تحكم السلوك فى أى وقت من الاوقات. وبهذا يكون المجتمع ممكنا. ولا يتسنى ذلك فى نظر «ميد» إلا لأننا نستطيع أن نأخذ اتجاهات الاخرين، وأن نشاركهم فى عالم من المعانى، كما أن العقل الانسانى لن يكون له وجود، إلا لأن الانسان يستطيع أن ينعكس على نفسه، ويصبح ذاتا subject وموضوعا object للتفكير.

آراء أخرى عن الذات الاجتماعية

Other Views of the Social Self:

لقد كان لأراء كل من «كولى» و «ميد» تأثير كبير على علم الاجتماع الامريكى، فإن اهتمامهم باستجابات الاخرين وأخذ الادوار، يتكامل مع المفهوم الاجتماعى للشخصية. وبالرغم من أن الفكرة القائلة بأن الذات نتاج الظروف الاجتماعية، هى فكرة مقبولة من معظم العلماء الاجتماعيين، فإنه يوجد خلاف كبير بينهم فيما يتعلق بالاعتقاد بالاهمية النسبية لكل من العوامل الوراثية والبيئية بالنسبة لنمو الشخصية، وسلوك الفرد فيما يستقبل من حياته.

فمن ناحية، يرى التفاعليون الرمزيون من أمثال «جوفهان» أن الذات، وهى المحور الذى تقوم عليه الشخصية تتشكل خلال التفاعل مع الاخرين. فى حين يرى العلماء الاجتماعيون الذين ينحون منحى نفسيا أن الذات تشكل الى حد بعيد نتيجة عوامل داخلية كالذكاء والمزاج وبعض البدايات الجينية، ولا تتأثر الا تأثرا قليلا بالمؤثرات البيئية التى يمكن أن تقل أو تزيد وفقا للظروف.

وقد انتقد «دنيس رونج Dennis Wrong فى مقال له عام ١٩٦١ التصور الاجتماعى الزائد للشخصية الانسانية. ويقول إن علماء الاجتماع قد تجاوزوا الحد وتجاهلوا معطيات علوم مثل علم النفس وعلم الاحياء، كما تجاهلوا الاسس النفسية والانفعالية للسلوك - فالناس يتباينون من حيث التحكم فى الدوافع، فبعضهم أكثر تحكما من بعض. كما أننا نجد أن بعض سمات الشخصية موروثة، وتتحدد بعض هذه السمات فى السنوات الاولى من العمر، بصرف النظر عما يحدث من تغيرات فى بيئتهم الاجتماعية ويرى «رونج» أن عملية التطبيع الاجتماعى لا يمكن أن تفسر بشكل واضح الافعال الغريزية والسلوك الانفعالى. هذا بالاضافة الى تجاهل علماء الاجتماع لمجموعة السمات المتعلقة بالمعرفة والجوانب المعرفية التى تتعلق بالقدرة العقلية.

وبالرغم من أن دراسة تأثير العوامل المعرفية والانفعالية فى عملية التطبيع الاجتماعى تدخل فى مجال الدراسات النفسية بوجه عام، إلا ان ما أثارته من أفكار وما خلصت اليه من نظريات بهذا الصدد تستحق أن نشير إليها إشارة موجزة.

فرويد واريكسون ومراحل النمو :

Freud, Erikson, and Stages of Development:

لقد ترك سيجموند فرويد مؤسس مدرسة التحليل النفسى بصمات واضحة على الفكر الامريكى، استمرت وقتا طويلا. وبالرغم من أن أغلب العلماء الامريكيين أصبحوا ينظرون اليوم إلى أراء ونظريات «فرويد» على انها نتاج ثقافة القرن التاسع عشر القائمة على مفاهيم نظرية لم تخضع مطلقا لاختبارات معملية دقيقة، فإن استمرار التأثير الفرويدى لمدة عقود طويلة على العلماء الذين هيأوا المناخ

الفعلى للمجتمع الامريكى، جعل العلماء المحدثين يناقشون عديدا من المفاهيم والنظريات الفرويدية، مثال ذلك نظرياته عن الصراع بين الفرد والمجتمع، والتى صاغها «فرويد» فى كتابه «الحضارة واحباطاتها».

Civilization and its Discontents (1930 1962)

الفرد والمجتمع Society and the Individual

إن الفكرة الرئيسية التى يدور حولها كتاب «الحضارة واحباطاتها»، هى التوتر الدينامى بين فرد يكافح لاشباع حاجاته الغريزية، والنظام الاجتماعى الذى يحول بين أعضائه وبين الاشباع المباشر لهذه الحاجات. ان الناس يولدون مزودين بمجموعة من الحاجات والرغبات التى تسعى إلى الاشباع، . وإذا قام الناس كلهم بإشباع هذه الحاجات، فإن الحياة الاجتماعية تصبح مستحيلة. فالمجتمع أو الحضارة كما يفضل «فرويد» استخدامها، تقوم على كبت كثير من هذه الحاجات وتلك الرغبات. والتطبيع الاجتماعى هو العملية التى يتعلم الفرد من خلالها التخلى عن اللذة التى تنتج عن هذا الاشباع، أو يتعرض لمشاعر الذنب التى تظهر اذا أصر على هذا الاشباع، والتى تتجسد اكثر ما تتجسد فى من يقوم بتطبيعه اجتماعيا وأولها والداه، الأمر الذى لاقبل له به. فالطفل يعتمد على الوالدين لتزويده بحاجاته الاساسية للغذاء، والحب، والعطف، ويدفعه خوفه من فقدان اللذة التى تنتج عن إشباع هذه الحاجات، إلى التوافق مع توقعات الاخرين منه.

وإذا كانت نظرية فرويد تختلف إلى حد كبير مع جميع النظريات التى عرضنا لها، الا أنها تختلف كلية فى نظرتها إلى نمو الذات الاجتماعية للطفل. فالطفل عند «فرويد» لا يتوافق ولا يتجانس مع الجماعة التى يعيش فى ظلها، الا تحت ضغط القلق، والخوف، والاحساس بالذنب، وهذا يجعله يلجأ الى الكبت، أى دفع رغباته وحاجاته الى اللاشعور، وتظل قابعة فيه الى أن تحدث ظروف معينة يمكن أن تدفع بها الى الشعور فى أية مرحلة من مراحل حياته المقبلة. وهكذا نرى أن الحضارة -عند «فرويد» إنما تقوم على الرغبات المكبوتة.

الذات الفرويدية The Freudian Self

إن تشكيل الشخصية عند «فرويد» كما هـو عند ميد» عملية مستمرة دينامية متفاعلة بين:

(١) الرغبات الغريزية التى يمثلها «الهو ID »

(٢) الذات المطبعة اجتماعيا والتى تمثلها الذات العليا Super ego وهى التى تحدد ما ينبغى ومالا ينبغى فعله.

(٣) الذات Ego وهى الجزء المتوسط والموجه، والذى يصل الانسان بعالم الواقع.

وبالرغم من أنـه لا توجد طريقة لاثبات هذه النظرية، فإن مصطلحات التحليل النفسى أصبحت جزءاً من الحديث اليومى كاللاشعور، والكبت، والعقد النفسية. فالنـاس يتحدثون عن دوافع انسانية تظهر على شكل رغبات تسعى للاشباع، الا أنها تناقش على ضوء العالم الواقعى الذى يعيش فيه الفرد، وعلى ضوء الحياة الفعلية والاجتماعية التى تؤثر على سلوك الانسان.

مراحل النمـو Stages of Development

تعد نظرية فرويد عن مراحل النمو النفسى والاجتماعى من أهم انجازات «فرويد» التى لاقت أيضا اهتماما عريضا. فيرى «فرويد» أن الطفل يمر بسلسلة متتابعة الحلقات لابد ان يمر بها خلال نموه الى مرحلة الرشد. وهذه المراحل تهم فى الواقع علماء النفس اكثر مما تهم علماء الاجتماع، ولذلك لن نعرض لها هنا.

اريكسون ونظرية الذات Erikson and Ego Theory

تناول عديد من علماء النفس بعد وفاة فرويد، فكرة مراحل النمو النفسى، مجرد فكرة أن النمو يمر بمراحل معينة أو بسلسلة متصلة الحلقات، وان كانوا قد اختلفوا معه فى نقطتين أساسيتين، النقطة الاولى هى تركيز الاهتمام على سنى ما قبل مرحلة المراهقة، واعتبروا ذلك تضييقا شديدا فى هذه المراحل، فالنمو النفسى عملية مستمرة طوال الحياة. وأما النقطة الثانية، فهى تأكيد «فرويد» الـزائد على الرغبات الغريزية المستقرة فى اللاشعور أو فى الهو ID الامر الذى يصعب اثباته.

وقد أولت النظريات الحديثة اهتمامها بالذات العاقلة والمتحكمة فى السلوك وهى الجـزء المـوجه من الشخصية، وتعـد نظرية عالم النفس المعـاصر «اريكسون» من أشهر النظريات الحديثة التى جاءت بعد نظرية «فرويد» والتى عرضت لمراحل نمو الذات. Ego

ولقـد وسـع «اريكسون» فى مراحل نمو الشخصية، وعرض للتغيرات التى تعتريها طوال حياة الفرد، واهتم بتنظيم المدركات حول النفس التى اطلق عليها أيضا اسم «الذات Ego » وقال إن حياة الانسان تمر بسلسلة من المراحل تتطلب إعادة تنظيم الذات. وفتح «اريكسون» الباب أمام إمكانية إعادة التنظيم، وإن كانت مراحل النمو ليست على درجة واحدة من القابلية للتغير، فإن كل عنصر جديد، وكل خبرة جديدة تضاف الى البناء الموجود بالفعل. ومع ذلك فإن إمكانية التغـير فى الشخصية، وإصـلاح وتعـديل الاخـطاء السـابقة، قد جعل نظرية «اريكسون» اكثر مرونة وتحررا من نظرية «فرويد».

لقـد عرض «اريكسـون» بالـوصف عام ١٩٦٤ لثمان مراحل للنمو ترتبط بالتغيرات التى تحدث للفرد خلال مسيرة الحياة وبالتغيرات التى تطرأ عل النظام الاجتماعى. اى انه عرض لفترات الانتقال التى يحتل فيها الفرد مكانات جديدة، ويقوم بأدوار مختلفة. ذلك أن كل مرحلة من مراحل العمر تتطلب أعمالا جديدة، واحتمالات مخرجات ايجابية أو سلبية نتيجة القدرة أو عدم القدرة على التوافق مع التغيرات الجديدة التى تحدث فى حياة الافراد.

وفيما يلى المراحل الثمان التى عرض لها «اريكسون»:

المرحلة الاولى :وفيها ينمى الرضيع خلال الخبرات التى يكونها مع أمه، احساسا قويا بالثقة، أو إحساسا بعدم الثقة حسب نوع هذه الخبرات.

المرحلة الثانية: يتعلم الطفل ويمارس خلال السنوات الثلاث الاولى من حياته العـديد من المهـارات الجـديدة، الامر الذى يمكن أن يتمخض عن إحساس بالاستقلالية أو بالخجل والشك وعدم الثقة فى قدراته النامية.

المرحلة الثالثة : يؤدى نجاح الطفل فيما بين الرابعة والخامسة من عمره فى استطلاع البيئة والتعامل مع رفاقه، الى الاحساس بالمبادأة والثقة بالنفس. وأما

الفشل فى ذلك، فيؤدى الى الاحساس بالذنب.

المرحلة الرابعة : وهى المرحلة التى تقع بين السادسة والثالثة عشرة وهى مرحلة انتقال من البيت الى المدرسة، وهى اما ان تتمخض عن احساس بالحماس والقوة أو بالنقص والفتور.

المرحلة الخامسة : وتتميز هذه المرحلة، مرحلة المراهقة، بأنها المرحلة التى يتبلور فيها الاحساس بالذات. ويؤدى فشل المراهق فى تكوين مفهوم دقيق عن الذات، إلى الخلط والارتباك.

المرحلة السادسة : وهى مرحلة الرشد المبكرة، وهى مرحلة استقرار انفعالى، ويؤدى الفشل فى ذلك الى العزلة والوحدة.

المرحلة السابعة : وهى مرحلة الرشد الناضجة، وأهم أعبائها تحقيق المواطنة والاستقرار المهنى، وتكوين عائلة، ويؤدى النجاح فى ذلك الى الانتاجية. وأما الفشل فى هذا فإنه يؤدى إلى العكوف على الذات، والركون الى الدعة والخمول، ولعن الناس الذين لا يبادرون بتقديم يد العون للاخرين.

المرحلة الثامنة : وهى مرحلة نهاية العمر. ويؤدى النجاح فى تحقيق الاهداف الى إضفاء معنى على حياة الفرد، وإلى الشعور بالاستمرارية والتكامل. وأما الفشل فى تحقيق ما خطط له من أهداف فانه يؤدى الى الاستغراق فى العزلة والى الشعور باليأس.

نقد نظريات المراحل Critique of Stage Theories

يعد وصف «اريكسون» لهذه المراحل الثمان عرضا نظريا مثاليا. فقليل من الناس هم الذين مروا خلال سنى حياتهم بهذه الأزمات التى عرض لها. كما أن معظم الناس لم يحرزوا خلال نضالهم فى الحياة إلا بعض النجاح، ومع ذلك لم يشعروا بالذنب أو بانعدام الثقة وغير ذلك مما أشار اليه «اريكسون» وقد يكون أهم أنجاز حققه «اريكسون» هو أنه قدم إطارا عريضا لنمو الانسان خلال جميع مراحل العمر، وأنه نظر الى كل مرحلة من هذه المراحل على أنها تتيح فرصا عديدة لنمو الذات وتطورالشخصية.

وتحفل كتب علم نفس النمو بالعديد من النظريات التى تعرض لنمو الذات، وتركز على المراحل الانتقالية من حياة الفرد (انظر Sheehy, 1976, for Journalist review) وتعد معظمها منظورات نفسية، حيث أنها تعنى أساسا بها يحدث من تغيرات فى النفس. ولكن توجد بالاضافة إلى ذلك منظورات اجتماعية تهتم بالتغييرات الاجتماعية للأدوار، التى تتطلب ضرورة توافق الذات معها.

وقد انتقد علماء الاجتماع نظريات المراحل التى تتدرج بالانسان من الطفولة إلى الرشد (انظر (Clausen, 1972 Bates and Brim, 1980) لان علماء الاجتماع يفضلون اصطلاح «مجرى الحياة» بدلا من اصطلاح المراحل، لان كلمة مجرى الحياة، تتضمن التدفق والاستمرارية (Stein andd Etzkowitz, 1978) إن مفهوم المراحل يستهوى العقل العصرى، لانه وسيلة عقلية منطقية لتنظيم المعارف التى لاحصر لها، إلا أنه من ناحية أخرى، يعد طريقة تعسفية ومحدودة للنظر الى النمو النفسى.

النمـو المعرفـى
Cognitive Development

جان بياجيه : Jean Piaget

يحفل التراث النفسى الخاص بنمو الشخصية بمعلومات كثيرة عن النمو الانفعالى، وعن مفهوم الذات، ونمو الانا، ولكن هناك جانب أخر مهم يتغير بنمو الانسان، ذلك هو الجانب العقلى والنمو المعرفى. ويشير النمو المعرفى الى الكيفية التى يفكر بها الانسان ويدرك ما حوله. ويعد عالم النفس السويسرى «جان بياجيه» (١٨٩٦ - ١٩٨٠) أحد اعلام هذا المجال.

بدأ «بياجيه» من ملاحظات أساسية، فقد شاهد الصغار يلعبون أحد العاب «البلى» (كرات زجاجية متفاوتة الاحجام) وسألهم أن يعلموه هذه اللعبة. وبعد مشاهدات عديدة للأطفال فى مختلف الأعمار، استخلص «بياجيه» أن الأطفال مختلفى الأعمار يختلفون أيضا في مراحل نموهم المعرفى، أي أنهم يختلفون فيما لديهم من مفاهيم بصدد ما يقومون بفعله.

وقد وجد أن التدرج فى التعقد المعرفى يرتبط بتغيرات فى التفكير الأخلاقى،

وأهم هذه التغيرات استطاعة العقل معالجة مدركات نظرية متزايدة، وتناول مفاهيم مجردة كالعدالة، والشرف، والحق وغير ذلك. وكما قلنا انطلق «بياجيه» من مشاهداته لألعاب الأطفال. ففى لعبة «البلى» مثلا أخذ الاطفال الصغار قواعد اللعبة كمسلمات لا تناقش، ولم يخطر لهم ادخال أية تعديلات عليها. وأما الأطفال الأكبر قليلا فكانوا أكثر مرونة، لانهم عدَّلوا بعض القواعد لتتناسب مع المواقف غير المتوقعة. وفى أعمار اكثر تقدما أدرك الأطفال أن اللعبة تتكون من مجموعة من القواعد يمكن الاتفاق بصددها، ويستطيع اللاعبون تغييرها، بل وابداع قواعد جديدة.

وهكذا يمكن القول إن الاطفال يستطيعون كلما تدرجوا فى النمو ادراك عديد من الأشياء المجردة كالموت مثلا، أو العلل التى تكمن وراء المعلولات، وأن المقادير الكبيرة يمكن أن تقسم إلى مقادير أصغر، وكذلك الأشكال، فالشريط الطويل من الصلصال يمكن أن يتخذوا منه أشكالا عديدة كالحيوانات والطيور.

ولكن بالرغم من أن النمو المعرفى يزداد بتقدم العمر، فإن العقل لا يمكن أن ينموا آليا دون أتاحة خبرات ومثيرات حقيقية، فكما رأينا فى حالتى «أنا» و «ايزابل» فإن العقل لم يحدث فيه أى نمو، وعلى هذا يمكن القول، أن المثيرات البيئية والمحاولات والاخطاء، ومحاولات الفهم والاجادة، والتغذية المرتجعة نتيجة استجابات الآخرين، كلها ضرورية للنضج العقلى والنمو المعرفى.

سكنر والأشراط الإجرائى : B.F. Skinner and Operant Conditioning

يهتم السلوكيون، كما يدل على ذلك اسمهم، بدراسة السلوك مع أقل قدر من الاهتمام بالعوامل الذاتية، كالانفعالات ووظائف الذات. والسلوك هو الفعل الذى يمكن ملاحظته وقياسه بدقة. ويعد «ب. ف. سكنر ١٩٠٤» من أشهر علماء النفس السلوكيين المحدثين، وقد أجرى عديدا من التجارب لأشراط السلوك، وتطبيق نتائج تجاربه على الانسان.

ويشير الأشراط الإجرائى إلى تشكيل السلوك بتقديم إثابة، فعندما يثاب فعل معين فإنه يزداد احتمال تكراره. وعندما تحجب الإثابة، فانه يقل احتمال تكرار الفعل، هذه الإثابات هى معززات للسلوك، وتنقسم إلى:

(١) معززات ايجابية Positive Reinforces وهى استجابات تصدر عن الاخرين لتشجيع إعادة الافعال.
(٢) معززات سلبية Negative Reinforces وهى استجابات لا تشجع اعادة السلوك.

وهكذا يمكن القول، أن بعض الافعال ترتبط بمخرجات سارة، كما أن بعضها يرتبط بمخرجات غير سارة. وبقدر ما تكون الإثابة مرغوبة من الكائن الحى، يكون حدوث السلوك المناسب.

صناديق سكنر Skinner Boxes

أحز «سكنر» شهرة عريضة منذ تجربته الشهيرة على طفلة رضيعة، وضعها تحت الملاحظة الدقيقة فترة طويلة من اليوم، وداخل بيئة يتحكم فيها تحكما تاما، حتى أنها أصبحت تعرف «بصندوق سكنر» ولم تعش هذه الطفلة معيشة عادية فقط، بل انها نمت نموا مدهشا بعكس توقعات الكثيرين.

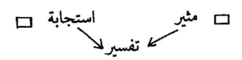
ولقد كان لمفهوم البيئة كصندوق، تطبيقات نفسية وتربوية هامة. وبالرغم من أن الكائنات الانسانية تختلف عن حيوانات وطيور التجارب، لانها تشيد وتقيم بيئتها الخاصة بها، الا أنها تشبه الحمام وغيره من حيث أن سلوكها يعزز تعزيزا إيجابيا أو سلبيا، ويشكل قاعدة السلوك التالى على أساس المعرفة بهذه الجزاءات. ويمكن النظر الى البناء الاجتماعى كصندوق كبير من صناديق «سكنر» يسلك فيه الناس ويتصرفون داخل نظام من الاثابات والعقوبات.

تعديل السلوك Behavior Modification

طبقت مبادىء الاشراط الاجرائى فى مجال العلاج النفسى وخاصة على الحالات التى ترغب السلطات احداث تغييرات جذرية بها فى السلوك. ومن هنا استخدمت هذه المبادىء اكثر ما استخدمت فى السجون والمصحات العقلية لانهما بيئتان يمكن التحكم فيهما طوال اليوم. وأجريت فيهما عديد من التجارب الخاصة بتعديل السلوك. وكانت جميع الاثابات تمنع عن النزيل حتى يقوم بأداء السلوك الذى يرغب فيه المختصون والقيّمون عليه. وبمرور الوقت كان السلوك يتغير

بصرف النظر عن الحالة الداخلية للفرد كالحوافز والدوافع.

وأدخل بعض السسلوكيين المحدثين عددا من التعديلات، فكانوا يتركون وقتا بين تقديم المثير واستجابة الشخص، أى يتضمين التجربة عنصرا تفسيريا، وهذا ما قرب بين السلوكية الحديثة والاتجاه التفاعلى الرمزى.



المنظور الاجتماعى للشخصية :

A Sociological Perspective On Personality :

ينظر عديد من علماء الاجتماع إلى الشخصية على أنها انعكاس لمجموعة الأدوار التى يقوم بها الفرد فى أية مرحلة من مراحل حياته. إنك أنت ما تقوم به. أو بتعبير «كنت بيرك Kenneth Burke » العمل هو الكينونة Doing is Being وبالرغم من أن بعض قواعد الشخصية ترسى فى مرحلة الطفولة، الا أن الشخصيات متفردة ودائمة التغير نتيجة مجموع الخبرات التى يمر بها الفرد. إن مقاييس الطفولة الخاصة بالوظائف النفسية، لا تتيح لنا التنبؤ بالصحة النفسية والعقلية للفرد، لان الشخص يتعرض بعد ذلك لعديد من الخبرات والعلاقات التى تشكل وتحدد نمو الذات Skolnick, 1978.

وغالبا ما يستخدم علماء الاجتماع اصطلاح الذات Self بدلا «الشخصية» Person-ality لمزيد من التركيز على المظاهر الاجتماعية، والانفعالية، والكيان الداخلى للفرد. فالذات شىء يمكن أن يعكسه الفرد، ويشارك به الاخرين. وقد ذهب «جوفمان Goffman » في كتابه «الذات تتجلى في الحياة اليومية عام ١٩٥٩ «The Presentation of Self in Every day Life » الى أن الذات وهى نتاج اجتماعى تتجلى «كذاتى الحقيقية «the real me » لكى تؤثر في الاخرين. ويقول «جوفمان» (1961 B) «أنه توجد ذات مؤثرة Virtual Self » تطل على الاخـرين لتقوم بالدور الذي ينتظر القيام به، هذه الذات الاجتماعية المثالية تتيح الفرصة للفرد ليصبح نمطا خاصا من الأشخاص بصرف النظر عن سمات شخصيته المعينة.

امكانات العقل The Mind as a Jailor

قام «فيليب زمباردو Philip Zimbardo وفريق من الباحثين بتجربة لاقت شهرة بالغة، اتضح منها ان الخط الفاصل بين الذات Self والذات اثناء قيامها بالدور Self in role يمكن أن يسقط أو يتلاشى تحت بعض الظروف. أعلن فيليب فى إحدى الصحف المحلية عن حاجته إلى بعض الأشخاص للاشتراك فى «دراسة عن الحياة فى السجون» مقابل خمسة عشر دولارا فى اليوم ولمدة اسبوعين، وتقدم كثيرون، واختار من بينهم، واحدا وعشرين شخصا، متوسطى الأعمار، أصحاء جسميا، ناضجين انفعاليا، حسنى السمعة، لم تسبق إدانتهم فى أية جرائم، وكانوا من أفراد الطبقة الوسطى وجامعيين، وقسم المختبرون أفراد العينة عشوائيا إلى حراس وسجناء، ووضع الجميع فى بناء أشبه بالسجن. واتخذت كل الخطوات والترتيبات والتنظيمات ليكون سجنا حقيقيا.

وقام كل من الحراس والسجناء بالأدوار التى تمارس فى السجن الحقيقى شكلا وموضوعا، فارتدى السجناء زى السجن، وكانوا يسألون الحراس السماح لهم بمعظم الانشطة العادية كمسجونين. وكان الحراس بدورهم وهم يرتدون زى الحراس الكاكى، يحملون أدواتهم من صفارات، وعصى، ونظارات عاكسة للشمس.. الخ.

ولم تعط أية جماعة من الجماعتين تعليمات رسمية عن كيفية أدائهم لأدوارهم، ومع ذلك فخلال أيام «تلاشى هؤلاء الأشخاص فى الدور الجديد المناسب، فسرعان ما تعلم الحراس ممارسة السلطة الغاشمة على المسجونين، وبدأ المسجونون يسلكون كأشخاص لاحول لهم ولاقوة امام معاملة الحراس غير الإنسانية. ودهش الباحثون من السرعة والسهولة التى وجهت وسيطرت بها تلك الأدوار المحددة، وتعريف الموقف، على سلوك الأفراد بهذا الشكل.

وأطلق سراح أحد السجناء بعد يوم ونصف بسبب ما اعتراه من اكتئاب نفسى شديد، واختلال فى التفكير، والصراخ اللاارادى. وخلال كل يوم من الأيام الثلاثة التى تلت ذلك، كان يظهر على واحد من المسجونين الأعراض نفسها، ومن ثم يطلق سراحه. وظهرت لدى رجل خامس اعراض مرض نفسى - جسمى، ظهر على شكل طفح جلدى، وفى نهاية اليوم السادس، أوقفت التجربة

كلية، لما آل اليه هؤلاء الأشخاص المتعلمين الأسوياء الذين كانوا يمتلئون صحة. مالذى تسبب فى هذا التحول؟ من الواضح أن السبب لا يكمن فى شخصية الفرد، لأن الجميع قد اختبروا، واختبروا بعناية شديدة، ووزعوا على المكانات التى اضطلعوا بها بطريقة عشوائية. يقول القائمون على التجربة: «ان استجابات المفحوصين الشخصية الإجتماعية غير السوية تعد نتاج وجودهم وتفاعلهم مع البيئة التى دعمت السلوك الذى يعد سلوكا مرضيا غير سوى فى مواقف اخرى غير هذه المواقف، ولكنه يعد مناسبا وملائما فى السجن. إننا اذا لاحظنا استجابات مماثلة لهذه الاستجابات فى سجن حقيقى، فإن الطبيب النفسى، سوف يعزو بدون شك، هذه الأعراض، أو أى سلوك أخرى للسجين، إلى قصور فى شخصيته أو إلى سوء تكيفه. فى حين أن الإنتقادات التى توجه الى نظام السجن، سوف تتحول بسرعة الى دمغ او نعت الحراس بأنهم «سيكو باتيون» أى شخصيات مريضه نفسيا. وهذا الانتحاء لرد وارجاع اختلالات واضطرابات السلوك الى عوامل داخل شخص معين أو جماعة معينة، فيه تقليل من قوة العوامل البيئية المؤثرة. (Zimbardo et. al, 1973)

مسافة الدور Role Distance

عندما لا تتوفر بدائل أمام الأفراد، فإنهم يلجأون فى الواقع الى الاختباء فى أدوار كريهة «مجانين» مثلا» كما يقول «زمباردو» ولكن «جوفمان» يذهب الى أن العلاقة بين الذات، والذات اثناء قيامها بالدور، يمكن أن تأخذ أشكالا عديدة. إننا نستطيع أن ننظر إلى قيام الفرد بالدور، كخط يبدأ من القبول التام لما يقوم به من دور إلى الرفض التام لما تجبره عليها المكانة التى يحتلها. وتشير مسافة الدور إلى المسافة التى يستطيع القائم بالدور أن يضعها بين الذات وما يقوم به من دور. وتوجد عديد من الطرق المسافية Distaning devices يستخدمها الناس تحذر الاخرين بألا ينظروا اليهم على أساس ما يقومون به من أدوار. فالشباب الذين يشتغلون بأعمال بعض الوقت، كعمال نظافة أو سعاة بريد أو نقاشين أو عمال فى محطات خدمة السيارات أو غيرها من الاعمال التى تكون فى الواقع أقل من مكانتهم الحقيقية، يغلب احتمال تصرفهم بطريقة تجعل الاخرين يعرفون أنهم طلبة جامعيون فى الواقع، أو يعرفون أن تلك الأعمال التى يقومون بها انما هى أعمال مؤقتة، وأنهم يتطلعون إلى أعمال أفضل. وربما يأخذون معهم إلى مكان

عملهم مرجعا أو كتابا قيما، يستطيع أن يراه الاخرون. أو يتصرفون فى عملهم بدون اكتراث ليعرف الاخرون أنهم غير جادين فيما يقومون به من أعمال أقل من مكانتهم. إن مسافة الدور هى طريقة لحماية الذات، فهى تتيح للفرد بعض التجاوزات فى التعبير عن أسلوبه الشخصى.

وحتى فى الأدوار التى يجب الفرد أداءها، فإنه يوجد ميل لايجاد مسافة للفردية ويستخدم «جوفمان» اصطلاح «الهروب الخفيف» «Petty truancies» ليشير به الى بعض الخروج الطفيف عن المألوف والمتعارف عليه، وبذلك يستطيع الفرد أن يعبر عن فرديته. وتلك هى التمردات القليلة التى يعبر بها الاشخاص عن تفردهم Uniqueness.

التطبيع الاجتماعى والثقافة

Socialization and Culture

ذهبنا فى الفصل الثالث إلى القول بأن الثقافة هى مجموع السمات والانماط التى تتكون نتيجة المحاولات الدؤوبة للتوافق مع البيئة، وهى تشكل فى مجموعها الامكانات الانسانية العريضة وتتباين هذه السمات والانماط من مجتمع إلى مجتمع أخر، فبعض المجتمعات مثلا، تمجد الاندفاع، فى حين تؤثر مجتمعات أخرى الحكمة والتريث. وقد تعنى مجتمعات بصناعة الادوات المختلفة، وتعنى مجتمعات أخرى بصناعة المال، وكذلك هناك سمات مطلوبة ومرغوب فيها بالنسبة للإناث والذكور قد لا تكون مرغوبة فى مجتمعات أخرى (Bernard, 1981) وفى كل الثقافات تختلف خصائص شخصية الاطفال عن الخصائص الشخصية التى نتوقعها من الكبار، (Benedict, 1938) بتعبير آخر، يوجد تباين كبير بين الثقافات المختلفة من حيث الأمزجة وسمات الشخصية، كما توجد اختلافات فيما يتعلق بالمكانات والأدوار الخاصة بالجنس والعمر، وفيما يتعلق بالشخصية بوجه عام.

ويرجع هذا الاختلاف إلى عميات التطبيع الاجتماعى. فهى التى تنحو إلى تطبيع الأفراد اجتماعيا على نمط الشخصية المرغوبة فى مجتمع معين، ذلك أن ما يعد سويا فى مجتمع من المجتمعات قد يعد انحرافا أو ظاهرة مرضية فى مجتمع

آخر. فعلى سبيل المثال، وصفت «روث بندكت عام ١٩٣٤ Ruth Benedict » سكان جزيرة «دوبى Dobu » بأن الثقة منعدمة تماما فيما بينهم، الا أنه تظلهم أوثق الروابط والعلاقات الأسرية. وكذلك وضعت هذه العالمة الانثربولوجية السكان الهنود من قبيلة «الزونى Zuni » فى الجنوب الغربى من الولايات المتحدة الامريكية بأنهم يطبعون اجتماعيا على سمات شخصية تختلف اختلافا تاما، وهى عدم التنافس فيما بينهم، الامر الذى يتيح نوعا من الحياة الاجتماعية التعاونية.

عالمان مختلفان من الطفولة Two Worlds of Childhood

قضى الاستاذ «يورى برونفنبرنر Urie Bronfenbrenner, 1970 » وهو حجة فى الدراسات الخاصة بالتطبيع الاجتماعى فى مرحلة الطفولة، عدة سنوات فى دراسة كيفية تربية الاطفال وتنشئتهم فى كل من الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، وفى المقارنة بين شخصيات الصغار وسلوكهم فى كل من المجتمعين، وقد وجد فروقا واسعة تكفى للحديث عن «عالمين» مختلفين من الطفولة. كيف نتجت هذه الفروق؟ لقد نتجت هذه الفروق نتيجة خبرات التطبيع الاجتماعى الشديدة الاختلاف فى كل من المجتمعين.

إن مصادر التطبيع الاجتماعى واحدة فى كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، ولكن المخرجات مختلفة. فالطفل السوفيتى يطبع على أن يصبح شخصا متعاونا متطابقا مع الجماعة، وأما الطفل الامريكى فيشجع على التنافس والفردية.

والمعلم فى حجرة الدراسة فى المدارس السوفيتية سلطة لاتناقش. وتفرض جماعة الاقران معاييرها وجزاءاتها على أساس الجماعة. كما يثيب المعلم تلاميذه على أساس الأداء الجماعى، أكثر مما يثيبهم على الأداءات والقدرات الفردية. ومن هنا تترك الجماعة بصماتها على أداء كل عضو من أعضائها، ويصبح الفرد حساسا لمطالب جماعة الاقران. ويتبنى تلاميذ الصفوف الاعلى تلاميذ الصفوف الادنى ويوجهونهم، فالمدرسة كلها عبارة عن جماعة، وليست مجرد مجموعة من الافراد. وبهذه الطريقة تكون مصلحة الجماعة هدف كل فرد فيها. ومن الواضح أن عملية التطبيع الاجتماعى هذه تفرز أفرادا يصلحون لمجتمع شمولى. فنظم التطبيع الاجتماعى تخطط أولا وقبل كل شىء لاعداد الصغار للمجتمع الذى ينشأون فى ظله، وللنظام السائد فيه.

وأما الطفل الأمريكى، فانه يشجع على التفوق على أقرانه وعلى التنافس معهم، هذا التنافس الذى يطبع كل مظاهر الحياة فى المجتمع الأمريكى. ان أهم درس للنجاح فى مجتمع مثل مجتمع الولايات المتحدة هو معرفة «أن ما هو خير لكل فرد انما هو خير للمجتمع». بعكس التطبيع الاجتماعى فى الاتحاد السوفيتى، فان أهم ما تحرص عليه عملية التطبيع الاجتماعى بمصادرها المختلفة، تقرير «ان خير المجتمع هو خير لكل فرد»، أى أن المجتمع يأتى أولا ثم يأتى بعد ذلك الافراد. فى حين نجد فى الولايات المتحدة، أن الفرد يأتى أولا ثم يأتى بعد ذلك المجتمع. نمطان مختلفان من خبرات التطبيع الاجتماعى ينتج عنهما نمطان مختلفان تماما من الشباب، زود كل منهما بالمتطلبات التى تؤهله للنجاح فى المجتمع الذى يعيش فيه. حقا، إنهما عالمان مختلفان.

وهكذا، تبدو عملية التطبيع الاجتماعى مسئولة عن معظم ما يتم من التوحد فى الشخصيات داخل ثقافة معينة. ولكن، هل يمكن القول إن عملية التطبيع الاجتماعى مسئولة أيضا عن التغيرات بين الشخصيات داخل الثقافة المعينة، وخاصة عن التغيرات بين الأجيال، أو بين جيلين: جيل الشباب وجيل الكهول، أو جيل الأبناء وجيل الأباء.

التطبيع الاجتماعى خلال مجرى الحياة

Socialization Through the Life Course:

من الواضح، أن التطبيع الاجتماعى الذى تم فى مرحلة الطفولة لا يمكن أن يعد الفرد لمختلف أدوار الرشد، سيما فى المجتمعات الصناعية الحديثة. دعنا نفكر فقط فى التغيرات الأساسية فى الأدوار التى يضطلع بها الفرد فى مرحلة الرشد المبكرة: التخرج من الجامعة، الالتحاق بعمل، الزواج، الوالدية، الانشطة العامة والخاصة فى المجتمع المحلى. مثل هذه التغيرات تتطلب بالضرورة التخلى عن بعض الادوار القديمة وإعادة التطبيع الاجتماعى على طرق ومعايير تتناسب مع الادوار الجديدة، إن كل تغير رئيسى فيما يضطلع به الفرد من أدوار، يحمل معه امكانية إعادة تنظيم الذات.

كم مرة قلت عن شخص: «كم تغير بعد أن تزوج؟ أو «لقد جعلت منه هذه

الوظيفة شخصا آخر» أو «لقد أصبح أبى غير معقول بعد إحالته الى التقاعد» إن هؤلاء الاشخاص ليسوا أناسا جددا بطبيعة الحال، ولكنهم نفس الاشخاص تغيرت أدوارهم، ومن ثم تغيرت طرقهم فى الحياة، وتغيرت وفقا لها نظرتهم إلى أنفسهم، وأساليبهم فى التعامل مع الآخرين.

ان هذا التغير بوجه عام، أساس الابداع والتخطيط لحياة أفضل وإن كان من ناحية أخرى، يمكن أن يكون أساس المتاعب النفسية عندما يعجز الفرد عن التوافق. ويؤمن كثيرون فى الدول المتقدمة بقدرة الانسان على تغيير ذاته، دون أن يفقد الكثير من مقومات شخصيته الأساسية. وقد تكون وجهة النظر هذه ضرورية لايجاد الاحساس بالاستمرارية، مع أن الكثير فى واقع الأمر يكون دائم التغير.

الخلاصة

Summary

لا يمكن للطفل أن يصبح كائنا انسانيا ما لم يتفاعل مع أفراد آخرين من الجنس البشرى، فالناس يختلفون عن سائر المخلوقات الأخرى، لأنهم يتحركون بالعقل وليس بالغرائز. وكذلك يختلف الناس عن الكائنات الأخرى بالقدرة الكبيرة على التعلم، وبأن سلوكهم سلوك متعلم عن طريق عملية التطبيع الاجتماعى، هذه العملية التى تتضمن نقل الثقافة التى يعيش الفرد فى ظلها عن طريق اللغة أساسا.

والتطبيع الاجتماعى عملية مستمرة لا تتوقف، فهى تستمر كلما تدرج الشخص فى شغل مكانات معينة، فهو يتعلم الأدوار والقواعد المناسبة التى يحكم بها تفاعله مع الآخرين. كما أنه يتزود بالمعارف الضرورية لأداء أدواره، والتى يمكن أن تتعدل نتيجة انطباعات الاخرين عن أدائه لهذه الأدوار. ويعزز هذا الأداء بالتدعيمات الاجتماعية عند نجاحه فى القيام بمتطلبات الدور. ويعد الوالدان، والاقران، والمعلمون، ووسائل الاعلام، من أهم مصادر التطبيع الاجتماعى. وتختلف خبرات التطبيع الاجتماعى داخل المجتمع الواحد بين مختلف الجماعات

المهنية والجماعات الفرعية.

ويتضمن التطبيع الاجتماعى أيضا نموا للذات. ويرى «كولى» أن الذات تشكل عن طريق «النظر فى المرآة» هذه المرآة التى تعكس استجابات الناس الذين يهموننا، لما نقوم به من أفعال. ويؤكد «ميد» أن القدرة على أخذ أدوار الآخرين هى الأساس فى نمو الذات. ولقد أكد كل من «كولى» و «ميد» على أهمية التعزيزات الاجتماعية بالنسبة لنمو الذات. وأما «فرويد» فقد أهتم بالصراع الأساسى بين الرغبات الغريزية الفردية والضغوط الاجتماعية وتتميز الذات عند «فرويد» بأنها نتاج تفاعل دينامى بين الرغبات الفطرية التى تشكل ضغوط «الهو ID » وبين ضوابط «الذات العليا Super Ego » و «الذات Ego » وأما «اريكسون» فقد اهتم بالنمو المستمر للذات طوال الحياة. ونظر الى حياة الفرد على أنها سلسلة من المراحل متصلة الحلقات، تتطلب اعادة تنظيم الذات فى كل مرحلة من هذه المراحل. وفتح «اريكسون» الباب امام إمكانات تغير الشخصية، وإمكانات النمو طوال الحياة.

ولقد درس علماء نفس آخرون التفكير والادراك لدى الاطفال. من بين هؤلاء عالم النفس السويسرى «بياجيه» الذى خلص من ملاحظاته للاطفال الذين فى مراحل عمرية مختلفة، هم أيضا فى مراحل مختلفة من النمو المعرفى. ويستطيع الأطفال الأكبر سنا تناول مفاهيم أكثر تعقيدا وتجريدا من الأطفال الأصغر سنا.

وركز بعض العلماء على السلوك الخارجى الذى يمكن مشاهدته وقياسه، بدلا من العوامل الداخلية كالانفعالات والدوافع، ومن هؤلاء «سكنر» الذى أظهر أن السلوك يمكن أن يشرط بتأثير الاثابات والعقوبات. أى بالتدعيمات الايجابية والسلبية.

ومن المنظور الاجتماعى، فإن الشخصية تتكون من مجموعة من الادوار فى المكانات المختلفة التى يشغلها الفرد. وعرض «جوفمان» للعلاقة بين مفهوم الذات، والذات أثناء قيامها بالدور، والنتائج التى يمكن أن تترتب على ذلك.

ولقد أظهرت دراسة الثقافات المختلفة، تباينا واسعا فى مضمون عملية التطبيع الاجتماعى، كما أكد ذلك التقرير الذى كتبه «برونفنبرنر» عن تربية الأطفال فى كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الامريكية. فقد نتج عن التطبيع

المختلف فى كل منهما، عالمان مختلفان من الطفولة.

وتتضمن التغيرات الرئيسية فى الأدوار، امكانية إعادة تنظيم الذات. وإن عملية التطبيع الاجتماعى هى عملية تعلم الفرد لثقافته، وتكوينه لشخصيته، وينتج عنها نوع من الانتظام والاتساق فى السلوك، مع أخذنا فى الاعتبار إمكانية التغير فى الشخصية خلال مسيرة الحياة. وينمى كل شخص طرقا خاصة به يعبر بها عن فرديته، وإن كان ذلك يتم داخل حدود بطبيعة الحال.

قراءات مقترحة

Bronfenbrenner, Urie. *Two Worlds of Childhood.* New York: Russell Sage, 1970. Observational study of child rearing comparing the United States and the Soviet Union.

Fromm, Erich. *Escape from Freedom.* New York: Holt, 1947. An analysis of the interplay between individual needs, personality, and the social structure. Fromm suggests that the burdens of personal choice drive many people into obedience to authority.

Gagnon, John, and **William Stmon.** *Sexual Conduct: The Social Sourcesof Human Sexuality.* Chicago: Aldine, 1973. The authors develop a social learning theory of sexual behavior. Individuals learn a complex social script that guides their sexual conduct in situations defined as appropriate for that behavior.

Goffman, Erving. *The Presentation of Self in Everyday Life.* Garden City, N.Y.: Doubleday, 1959. Ordinary social interaction as high drama. We are all actors presenting a version of ourself to an audience of others, on various stages, in different roles, everyday.

Hewitt, John P. *Self and Society.* Boston: Allyn, 1976. the concepts of symbolic interaction clarified. How the self develops through social interaction and how social order is created.

Rose, Peter I. (Ed.) *Socialization and the Life Cycle.* New York: St. Martin's, 1979. An excellent anthology dealing with various aspects of the life cycle.

Sidel, Ruth. *Women and Child Care in China: A First-Hand Report.* Baltimore: Penguin, 1972. Sensitive observations of the effects of collective child-rearing on women, children, and the nature of the family in the People's Republic of China.

الفصل السادس
التطابق والانحراف

Conformity and Deviance

الفصل السادس
التطابق والانحراف

Conformity and Deviance

يتوقف النظام الاجتماعى على قيام أفراد المجتمع بما يتوقعه الآخرون منهم. ولكننا مع ذلك نسمع أو نقرأ أو نشاهد أفرادا يخرجون على القواعد والمعايير. ومن هنا يمكن القول، إن الانحراف خروج على القواعد والمعايير التى تواضعت عليها الجماعة وارتضتها لسلوك أفرادها. وعندما يذكر الانحراف، فغالبا ما يتطرق تفكيرنا إلى الاجرام والمجرمين أو الى المرض العقلى والمرضى العقليين، ولكن الانحراف بالمعنى الحرفى هو البعد عن المتوسط السائد، ومن هنا يمكن القول، إن الانحراف لا يقتصر على الاجرام أو الاضطراب العقلى، فهو يمكن أن يشمل أيضا العبقرية أو الأعمال والبطولات الخارقة أو الكرم الزائد أو الشجاعة الفائقة أو الحكمة الزائدة أو الحلم الزائد، ومن هنا يعد هذا النوع من السلوك غير العادى مضرب الأمثال، ويذكر المتحلون به على أنهم نماذج غير عادية، ومن أمثلة ذلك مدح أبى تمام للخليفة المعتصم: أقدام عمرو فى سماحة حاتم . : . فى حلم أحنف فى ذكاء إياس ومن هذا القبيل ايضا المليونيرات أو المليارديرات أو الحائزون على جائزة نوبل فى العلوم وغيرهم. كل هؤلاء يعدون منحرفين عن المتوسط العادى والسائد، ولكنه انحراف مقبول من المجتمع، بل يشجع عليه، وذلك بعكس النوع الآخر من الانحراف الذى يتمثل فى ارتكاب المعاصى، والجرائم المختلفة، فهو أيضا يمثل انحرافات عن الطبيعى والعادى، ولكنها غير مقبولة من الله والناس.

وعندما تتصدى الدراسات الاجتماعية لدراسة ظاهرة الانحراف، فإنها لا تعنى إلا بدراسة السلوك غير المقبول اجتماعيا، أى الانحرافات غير المقبولة عن المعايير والقواعد السائدة فى المجتمع. ويمكن القول إنه حيثما توجد قواعد ومعايير للسلوك، وتعريفات للسلوك المقبول، فإنه يوجد انحراف، وخروج، وسلوك غير

مقبول، فالتطابق والانحراف وجهان لعملة واحدة، لا يوجد أحدهما الا بوجود الآخر، كالخير والشر، والشكر والكفر، والتقوى والفجور.

وعندما نتصدى لدراسة السلوك المنحرف أو السلوك غير المقبول فى مجتمع من المجتمعات، فإننا لابد أن نعرف المعايير والقواعد والقيم السائدة فى هذا المجتمع، ولابد أن نعرف ما يراه الشراح والمفسرون والمشرعون مهددا للمجتمع.

وينظر عديد من العلماء إلى الخارجين على المعايير والقواعد على أنهم أشخاص يعانون من نوع من المرض الجسمى أو العقلى أو النفسى، أو عدم التكيف لسبب أو لآخر، يدفعهم إلى السلوك غير السوى، أى أن المنحرفين هم أثمون أو مرضى.

وقد يختلف الانحراف من حيث المحتوى أو النوع أو الدرجة، ولكنه لا يختلف من حيث طبيعته الأساسية، وهو أنه سلوك غير متطابق. وتتشابه العملية التى ينشأ ويوطد بها كل من السلوك السوى والسلوك المنحرف إلى حد بعيد، ذلك أنه ينبع من الخبرات الاجتماعية التى يمر بها الفرد خلال حياته، ومما يلقاه من جزاءات اجتماعية إيجابية أو سلبية.

وسوف نهتم فى هذا الفصل باستقصاء أنواع المعايير التى يتوقع من الأفراد تمثلها ومراعاتها، والمواقف التى تنعت بالانحراف، والوظائف الاجتماعية للانحراف، وكيفية تدعيم وتوطيد المعايير المقبولة، وعقاب من يخرج عليها أو ينحرف عنها.

تحقيق التطابق
Structuring Conformity

كان ينظر إلى الانحراف فى الماضى على أنه مس من الجن، أما اليوم فإنه ينظر إليه على أنه مرض يتطلب العلاج، لما يحدثه السلوك المنحرف من اختلال في المجتمعات، فإن الجهود كلها تعبأ، والقوى جميعها تتضافر للحد منه والحيلولة دونه، ومن هنا يمكن أن تتيح الانحرافات فرصا لدعم وتحقيق التطابق.

انبثاق المعاييـــر Emergance of Norms

تنبثق المعـايير خلال عمليات التفـاعل الاجتماعى، وتمثل نوعا من الاتفاق الجمعى فى المواقف المختلفة. وفى المواقف التى لا توجد بصددها معايير متوطدة، فإنه يتوقع أن تنبثق معايير نتيجة ما يحدث من تفاعل اجتماعى.

ففى عام ١٩٣٥ أجرى عالم النفس الاجتماعى «مظفر شريف Muzafer Sherif » تجربة تعد الى اليوم من التجارب الكلاسيكية. وتبين هذه التجربة كيف تتكون المعايير بين مجموعة من الافراد فى المواقف الجديدة أو التى يكتنفها الغموض. واستخدمت التجربة المعملية نوعا من الخداع البصرى، وهو الذى يسمى «التـأثـير الـذاتى للحركة Autokinctic effect وفى هذه التجربة عرضت نقطة ضوئية صغيرة ثابتة فى حجرة مظلمة لفترات قصيرة، وكانت تظهر للرائى على أنها تتحرك بشكل غريب فى جميع الاتجاهات. ومن هنا لم يكن عجيبا أن يتفاوت الأشخاص فى تقديرهم لكيفية تحركها. وسأل «شريف» أثناء التجربة مجموعة من الأفراد فردا فردا، تقدير المسافة التى تتحركها نقطة الضوء. وبالرغم من عدم وجود أساس موضوعى لهذه المعلومة، فإن كل شخص أوجد مقياسا أو معيارا لحركة نقطة الضوء. ونظم «شريف» بعد ذلك مجموعات من المفحوصين الذين سبق أن أجرى عليهم التجربة، بحيث تتكون كل مجموعة من الأفراد الذين تباينت معاييرهم تباينا كبيرا، ومما أثار الدهشة أنه حدث تقارب نحو معيار مشترك، وحدث هذا التقارب دون إدراك منهم بأنهم يتأثرون بعضهم ببعض، أو بأنهم يتقاربون نحو معيار مشترك، وقالوا عندما اتضح لهم ذلك فيما بعد، إن أحكامهم الفردية قد بنيت قبل أن يتحدث الآخرون، وأن أحدهم لم يتأثر بالآخر (شريف ١٩٣٥).

ونجـد فى هذه التجـربـة وغـيرها من التجارب المعملية، ثلاثة محددات لها دلالتها. المحدد الأول، أنه يوجد فى الموقف غير المنظم نوع من الاختلال فى الادراك الحسى. ويميل الفرد لإبداء أى رأى للتخلص مما يعانيه من الشعور بعدم التأكد. والمحدد الثانى، أن الضغوط التى يولدها الموقف الجمعى، يمكن أن تجعـل الفرد يغير من أحكامه التى سبق أن أصدرها، بل أن يتشكك فى مدركـاته الحسية أمام الأحكام المختلفة التى يبديها معظم أفراد الجماعة. وأما

المحدد الثالث والأخير، فهو أن زميلك قد يوافقك على ما تذهب إليه ويؤمِّن على رأيك حتى مع عدم اقتناعه به، أو حتى مع اعتقاده بأن مدركاتك ومدركات الآخرين خاطئة، فمن ذا الذى يريد أن يتهمه الأخرون بالغباء.

ومع ذلك، فالحياة أعرض وأرحب من أن تُشبَّه بحجرة صغيرة فى أحد المعامل. فبالرغم من تأثير الضغوط الجمعية فيما يتعلق بالتطابق، فإنه يصعب حدوث التطابق أو الامتثال التام لجميع المعايير. وإن كلا منا قد انحرف عن معيار أو آخر فى فترة من حياته، وربما ما يزال يفعل حتى الآن. ويمكن النظر إلى التطابق والانحراف كنقطتين على خط واحد تمثل النقطة الأولى على أول الخط «التطابق التام» وتمثل النقطة الثانية على نهاية الخط عدم التطابق التام.

الامتثال للمعيار

منخفض		عمال
●	⟵⟶	●
عدم تطابق تام		تطابق تام

وينبغى أن نعترف بأن وضع أى شخص على هذا المتصل ذى النهايتين سوف يتباين من معيار الى آخر.

اختلاف قوة المعايير Differential Strength of Norms

المعايير مقاييس عامة للسلوك، ومن هنا يستطيع أى شخص أن يخرج عليها ما لم تكن هناك ضوابط معينة تحول دون ذلك. وتتمثل هذه الضوابط فى أنواع من الجزاءات الاجتماعية التى توقع على من تسول له نفسه الخروج على معايير الجماعة، الأمر الذى يؤدى الى حدوث التطابق، أى أن هذه الجزاءات تؤدى الى توطيد معايير الجماعة. ويمكن القول بوجه عام، إنه كلما ازدادت أهمية المعايير التى تعكس قيم المجتمع، ازدادت شدة الجزاءات التى تفرض على الخارجين عليها. ويوضح الجدول الآتى الأنساق المتباينة من المعايير التى توجد داخل أى مجتمع من المجتمعات، والهدف من كل نسق منها، مع أعطاء أمثله لها.

جدول يبين الانساق المتباينة من المعايير فى المجتمع

أنواع المعاييـــر	الهدف منهـــا	أمثلة لهـــا
١ ـ تقنية أو معرفية	ايجاد مقاييس توجه معلومات الأفراد، وتساعد على حسن أدائهم لما يقومون به من أعمال.	المراجع والكتب العلمية والدوريات المختلفة.
٢ ـ عرفيـــة	ايجاد مقاييس لآداب السلوك المتعارف عليهـا.	آداب السلوك الخاصة بالتحية والزيارات والشكر والاعتذار.
٣ ـ جماليـــة	الارتقاء بالذوق العام، وتنمية الاحساس بالجمال	تناسق الالوان، ومقاييس الجمـال المختلفـة.
٤ ـ أخلاقيـــة	إيجاد مقاييس للصحة والخطأ والتطابق والانحراف.	الوصايا العشر ، وحسن معاملة الجار والنجدة ووصايا لقمان لابنه.
٥ ـ تنظيميـــة	إيجاد المقاييس الضرورية لبقاء واستمرار المجتمع.	أركان الاسلام الخمسة

وتعتبر المعايير الأخلاقية والتنظيمية فى المجتمعات المعاصرة أكثر أهمية فيما يتعلق بالتطابق من المعايير الجمالية، والتقنية، والعرفية. وترتبط الجزاءات الاجتماعية بهذا التدرج للمعايير، فعلى سبيل المثال يعد ارتداء رجل لملابس ذات الوان صارخة، أو ارتداء امرأة لملابس أشبه بملابس الرجال، أو قيام مالك بدهان واجهة منزله بألوان منفرة ومجافية للذوق العام، أو عدم رد شخص على التحية بمثلها على الأقل، أو عدم الاعتذار عند الخطأ، يعد كل ذلك انحرافا عن المعايير العرفية، والجمالية، والأخلاقية يتعرض مقترفه لجزاءات بسيطة كالاستهجان والنبذ أو التجاهل، لا يمكن مقارنتها بالجزاءات التى توقع على من يخرج على المعايير

التنظيمية، فإن من يقتل أو يسرق أو يزنى، يتعرض لجزاءات شديدة كالسجن أو القتل.

ونحن نحاط دائما بمجموعة من المعايير نتمثلها خلال عملية التطبيع الاجتماعى على أنها المعايير الوحيدة الصحيحة لفعل الأشياء كما قال عالم الاجتماع «وليم جراهام سمنر William Graham Sumner » ومع ذلك، فإن بعض هذه المعايير يمكن أن تتغير بمرور الزمن، كما أنها يمكن أن تختلف من مجتمع الى مجتمع آخر.

كيف يرى المتطابقون المنحرفين؟ How Conformists See Deviants?

ما هو السلوك المنحرف، وكيف ينظر الناس اليه؟ قدم «سيمونز Simons عام ١٩٦٩ استخبارا إلى ٢٨٠ شخصا، متباينين فى خصائص مثل العمر، والجنس، والعرق، والتعليم، ومناطق معيشتهم، وكان يريد أن يعرف درجة تشددهم أو تسامحهم إزاء أنواع معينة من السلوك. واختار لمعرفة ذلك مقياس «المسافة الاجتماعية a scale of social distance » وهو مقياس لمعرفة المدى الذى يمكن للشخص فيه أن يقبل أنواعا مختلفة من الناس كأقارب أو كأصدقاء أو كجيران أو كأعضاء فى جماعة نشاط أو كمواطنين، ودرجة تقبلهم، أو عدم تقبلهم كلية. وبعد تطبيق الاختبار حسب «سيمونز» متوسط المسافات الاجتماعية، وفقا لأنماط السلوك المختلفة، وكانت النتائج كما هو موضح في الجدول في الصفحة المقابلة.

وعندما طبق هذا الاختبار عام ١٩٧٩ أى بعد سنوات، على مجموعة من طلاب الجامعة حدث تعديل فى الدرجة، بل إن سلوكا مثل ارتداء ملابس الهيبز أو اتخاذ مظهرهم لم يعد ينظر اليه كانحراف. وكذلك أضيفت انحرافات أخرى لم تظهر فى الاستخبار الأول مثل الاغتصاب، وإفساد الأطفال بتعليمهم النشل أو السرقة، والقرصنة الجوية، والضرب الوحشى للزوجات.

ما الذى نستخلصه من هذه الدراسة عن السلوك المنحرف وغيرها من الدراسات المماثلة؟ إن الانحراف لا يمكن فى الفعل نفسه بقدر ما يكمن فى تعريف الناس له. فالانحراف يتحدد بالاستجابة الاجتماعية لفعل معين أو

السلـــوك	المسافة الاجتماعية
١ ـ اللـواط	٣ر٥
٢ ـ السحــاق	٢ر٥
٣ ـ الدعــارة	٠ر٥
٤ ـ تدخين الحشيـش	٩ر٤
٥ ـ التطرف السياسى	٣ر٤
٦ ـ الزنـــا	١ر٤
٧ ـ شـرب الخمـر	٠ر٤
٨ ـ ارتداء ملابس الهييز أو الظهور بمظهرهم	٩ر٣
٩ ـ لعب الميسر أو القمار	٦ر٣
١٠ ـ اعتياد الاجــرام	٥ر٣

المصدر : Sim,Deviant,Barkley,Calif,Glendessary Press, 1969, P.33.

لأسلوب حياة يتعارض مع النظم الاجتماعية، والمعايير الأخلاقية السائدة التى اصطلح عليها المجتمع.

بعض الوظائف الاجتماعية للانحراف Some Social Functions of Deviance

إن القول بأن الانحراف لا يكمن فى الفعل نفسه بقدر ما يكمن فى تعريف الناس له، كان موضع ملاحظة عالم الاجتماع الفرنسى «اميل دوركيم» فقد ذهب الى القول بأن الانحرافات يمكن أن تكون ضرورية للمحافظة على قوة المجتمع وتلاحم أفراده. بمعنى أن تَفَشّى الانحرافات تدفع أفراد المجتمع للوقوف صفا واحـدا لمقـاومتها ومعارضتها. وخلال تجمع واتحاد أعضاء المجتمع للتعبير عن استيائهم وغضبهم من مثل هذه الانحرافات، ينشئون روابط وثيقة فيما بينهم أكثر من ذى قبل. إن هذا الاستياء الذى كان سببا فى جمع الشمل وتوحيد الكلمة

هو ما عبر عنه دوركيم باصطلاح «الغضبة العارمة» والتى عبر عنها العرب «بالغضبة المضرية» وهى مشاعر يشترك فيها جميع أفراد الجماعة، ولا تخص شخصا بعينه. وعن طريق ظهور هذا الشعور الجمعى، أو ما يطلق عليه الآن اسم «الضمير الجمعى» يقوى ويدعم التنظيم الاجتماعى. (وتشبه فكرة «دوركيم» عملية حقن الجسم بأمصال معينة تحتوى على جراثيم حية ضعيفة بقصد تكوين أجسام مضادة تحدث مناعة فى الجسم ضد هذه الأمراض).

ويوضح هذا الرأى الغضبة العارمة التى اجتاحت الولايات المتحدة عندما حملت الأنباء سوء معاملة ٥٢ من الرهائن الامريكيين فى ايران لمدة ١٤ شهرا ١٩٧٩ - ١٩٨١ وقد أدت هذه المشاعر المتأججة الى تلاحم أفراد الشعب الامريكى، ووقوفهم صفا واحدا أمام التصرف الايرانى الذى اعتبروه انتهاكا للقانون الدولى، وقالوا بأن هذا يحلهم هم أيضا من أية مواثيق دولية إزاء ايران. وعندما عرّف المعتدون أو المنحرفون فإنهم عوقبوا بمختلف أنواع العقوبات، منها تجميد أرصدة ايران. وهكذا اتحد أفراد الشعب الامريكى حول مبادىء اخلاقية مشتركة دعمت نظام المعتقدات الامريكى.

ويفسر هذا أيضا الغضبة العارمة التى اجتاحت العالم الاسلامى عندما احتل الصليبيون بيت المقدس حيث المسجد الأقصى ثانى الحرمين، ومسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووقفوا صفا واحدا بقيادة صلاح الدين الايوبى، ودحروا الغزاة واسترجعوا بيت المقدس.

وهكذا يمكن القول، أن للانحراف وظيفة مزدوجة: توحد الجماعة، وتقرير الحدود الملزمة. ويقصد بتقرير الحدود الملزمة، العملية التي تتوطد بها المعايير والقيم المشتركة داخل الجماعات الاجتماعية المختلفة كالأسرة والمدرسة، وتنظيمات العمل، وداخل القرية والمدينة، بل داخل المجتمع بأسره. وتتبلور حدود السلوك المسموح بها في هذه المجتمعات، والتي لا ينبغي للناس أن يتعدوها. ومن هنا يوجد نوع من الاتساق والثبات في السلوك يتيح إمكانية التنبؤ به. وغالبا ما يتصرف الناس داخل هذه الحدود، إذا خطر للبعض تعديها، فإنه يلقى استجابات رادعة.

الضبـط الاجتماعى Social Control

يشير الضبط الاجتماعى الى العملية الاجتماعية المخططة أو غير المخططة التى تعلم النـاس الامتثال للمعايير، أو تجبرهم على التطابق معها. بمعنى أن كل مجتمع يصطلح على نوع من العقوبات أو الجزاءات الاجتماعية السلبية توقع على السلوك المنحرف.

والضبط الاجتـماعى قد يكون رسميا، كما قد يكون غير رسمى. وتتضمن الوسائل غير الرسمية للضبط الاجتماعى استجابات مثل الاستهجان، والتجنب، والنبذ، والاحتقار، وتظهر هذه الاستجابات عدم تقبل الناس لهذا النوع أو ذاك من السلوك المنحرف عن المعايير السائدة.

وعندما تفشل الوسائل غير الرسمية للضبط الاجتماعى، يبدأ عمل الوسائل الرسمية التى تتمثل فى مؤسسات أنشأها المجتمع لهذا الغرض، مثل مؤسسات العـلاج النفسى والعقـلى، والشرطة والسجون، والقضاء والمحاكم، ومؤسسات الخدمة الاجتماعية، وذلك بقصد الحيلولة دون الخروج على المعايير، والحد من الانحراف، واصـلاح ما اعوج من سلوك.

ولأصحاب نظرية الصراع رأى مختلف فيما يتعلق بمؤسسات الضبط الاجتماعى الرسمى، فهم يذهبون الى أنها لم تنشأ الا لحماية مصالح الأقوياء، وفرض المعايير التى تخدم مصالح أفراد الطبقة العليا، فأفراد هذه الطبقة هم الذين يحددون السلوك المقبول والسلوك غير المقبول، التصرفات المرغوبة والتصرفات غير المرغوب فيها.

والضبط الاجتـماعى سواء كان رسميا أم كان غير رسمى، يؤدى وظيفـة مزدوجة، يتمثل أحد وجهيها فى تأكيد وتدعيم الحدود المقبولة من السلوك. وأما الوجه الآخر فيتلخص فى بيان كيفية التعامل مع المنحرفين، وتحديد العقوبات الخاصة بأنواع السلوك المنحرف.

نظـريات الانحـراف
Theories of Deviance

ظهرت نظريات عديدة حول الانحراف والمنحرفين، ولم تقتصر هذه النظريات على تقديم مجموعة من الفروض حول طبيعة ونشأة السلوك المنحرف وإنما حاولت أيضا من خلال منظور فلسفى، أن تتلمس طرقا يمكن من خلالها السيطرة على هذه الانحرافات والتحكم فيها. وتهتم بعض هذه النظريات أكثر ما تهتم بالفرد وبالعوامل الفردية، وهى النظريات الفردية. وأهتم بعضها الآخر أكثر ما اهتم بتأثير العوامل الاجتماعية، وتلك هى النظريات الاجتماعية.

النظريات غير الاجتماعية للجريمة والمرض العقلى :
Nonsociological Explanation of Criminality and Mental Illness:

أولا : النظريات البيولوجية Biological Theories

تعـزو هذه النـظريات الانحـرافـات إلى عيوب وراثية معينة فى الاشخاص المنحرفين، وهى المسئولة عن سلوكهم المنحرف. ويرجع هذا التصور الى مفهوم قديم أخذ به عديد من علماء القرن التاسع عشر الذين قالوا بوجود استعدادات وراثية بيولوجية تكمن وراء السلوك المنحرف. وقد تأثروا فى ذلك بأفكار كل من «شارلز دارون» عن التطور، وبالتيارات المختلفة التى كانت تعمل على تحسين النسل عن طريق التحكم فى العوامل الوراثية بانتقاء أفضل هذه العناصر لايجاد تربية منتقاة.

١ ـ أشكال الجســم Body Types

أجــريت عديد من البحـوث فى القـرن التـاسـع عشر استهـدفت دراسـة الجـريمةمتأثرة بعلم «الفراسة» فربطت بين أشكال الجمجمة والصفات العقلية والشخصية. ومن أشهر العلماء الذين نحوا هذا المنحى، الطبيب الايطالى «سيزر لومـبروزو Ceasar Lombroso » الـذى قام بدراسة تشريحية لعدد من المجرمين طبعت عام ١٨٧٦م انطلاقا من الأساس الوراثى للانحراف الذى يلاحظ فى

المظهر الجسمى للشخص. وتحدث «لومبروزو» عن نمطين من المنحرفين هما: المعتوه والمجرم. وقال إن المعتوه يختلف من حيث التكوين الجسمى، فتكوين جسمه غير متناسق، وشكل وجهه وشكل جمجمته غير عادى. وأما المجرم فلا يختلف من حيث الشكل، ولكن لديه انتحاءات وراثية نحو الجريمة، وهى النظرية التى عرفت باسم «بذرة الشر».

وظلت فكرة ربط شكل الجسم بصور معينة من الجرائم أو الاختلال العقلى، ذائعة الانتشار حتى وقت قريب جدا. فعلى سبيل المثال قام «شيلدون Sheldon» عام ١٩٤٩ بتصنيف الناس على أساس شكل الجسم: الطويل والقصير، والنحيف والبدين، والرفيع الهزيل والقوى العضلات العريض العظام. وأورد خصائص لكل نمط من هذه الأنماط، وطبقها على حالات الانحراف غير المقبول، وعلى العبقرية وعلى الانحراف المقبول. كما قام «شيلدون» بالاشتراك مع «الينور جلويك Eleanor Glueck» بدراسة، انطلقت من هذا الأساس عام ١٩٥٢ بعنوان «الصبية المنحرفون».

وبالرغم من أن «نظرية أشكال الجسم» استهوت كثيرا من الباحثين لأجيال عديدة، الا أنه شابها قصور شديد، ليس فقط فيما يتعلق بتناقض نتائج هذه الدراسات، بل أيضا فى افتقارها إلى أدلة أخرى من الانحرافات. وقد استخلصت معظم هذه البحوث نتائجها من دراسة عينة قليلة من الأفراد الذين أدينوا فى جرائم مختلفة، أو أودعوا مصحات عقلية. وهذه عينة غير ممثلةولا يعتد بنتائج دراستها. إن هؤلاء الذين أدينوا فى جرائم مختلفة، أو الذين يعالجون من اضطراب عقلى، أو بعض الأشخاص الذين يعاقرون الخمر، أو يتعاطون العقاقير المنشطة أو المثبطة، لا يمثلون إلا عينة ضئيلة من الأشخاص الذين ساء توافقهم، وانحرفوا عن الصراط المستقيم لسبب أو لآخر. وبالاضافة الى هذا كله، فإنه يوجد ملايين من الأشخاص الذين يتصفون بتلك الصفات التى ذكرها الباحثون ومع ذلك لم ينخرطوا فى أى سلوك منحرف.

٢ ـ نظرية الكروموزومات (المورثات) Cromosomal Theories

بالرغم من أن الدراسات المتعلقة بالربط بين شكل الجسم والانحراف قلت الى حد كبير، فإن البحث عن العلاقة بين الخصائص البيولوجية والانحراف قد

استمر. وأهم هذه الابحاث وأحدثها، تلك التى قامت على افتراض أن انماط الكروموزومات غير العادية، قد تكون لها علاقة بالانحراف والسلوك المناهض للمجتمع. وذهب عديد من هذه الدراسات الى أنه توجد نسبة غير عادية من الرجال من نزلاء السجون والمصحات العقليةنمط الكروموزومات لديهم هو X YY ونحن نعرف أن الكروموزومات لدى الرجل السوى العادى هى X Y ومع ذلك، فإن البحوث المتعلقة بذلك لم تقدم أى دليل واضح على الارتباط الوثيق بين X YY والسلوك المناهض للمجتمع. كما أن هذه الدراسات لم تستقص عدد حالات X YY بين مجموع السكان ولا عدد حالات X YY التى لم تنخرط فى سلوك منحرف، بل ربما نجد من بينهم نماذج يشار اليها بالبنان فى المجتمع.

ثانيا : النظريات النفسية Psychological Theories

يذهب أصحاب هذه النظريات إلى القول بأن السلوك المنحرف يرجع إلى حالات التخلف العقلى أو التدهور النفسى. ولازال هذا الرأى يلقى قبولا حتى اليوم بالرغم من أعتراض بعض العلماء عليه، ويدللون على أنه يوجد أشخاص تورطوا فى عديد من الانحرافات بالرغم من تمتعهم بالذكاء وبالصحة النفسية.

وقد استخدم اصحاب النظريات النفسية مصطلحات مثل «البلاهة» و «انعدام العقل» وغير ذلك، للاشارة الى حالات الانحراف عن المعايير. ولكن مع نمو حركة الصحة النفسية والعقلية، اعتبرت هذه المصطلحات غير علمية، وحلت محلها مصطلحات مثل «السيكوباتية» أى المرض النفسى، و «السسيوباتية» أى المرض الاجتماعى، «ومناهضة المجتمع»، أى الخروج عن المعايير البنائية.

ويربط مفهوم «السسيوباتية» بين النظرية النفسية والنظرية البيولوجية. فقد ذهب الباحثون الى أن الشخصية السّسيوباتية تعزى الى حد كبير، الى اضطراب عقلى، والى النمط الكروموز X YY أو نشاط هرمونى زائد (Arther and Cahoon, 1964–Hook, 1973–Satterfield and Cantwell, 1974) وعلى هذا، فإن الشخصية السسيوباتية تعد «بذرة شريرة» من هذا المنظور.

ويوجد اتجاه آخر فى النظر إلى الشخصية السسيوباتية، وهى أنها نتاج تطبيع اجتماعى سيىء أثناء مرحلة الطفولة، لم يتح الفرصة لتكوين القدرة على عمل

علاقات اجتماعية سوية، أو أوجد مشاعر الذنب والاحساس بالقلق. ويعد هذا الاتجاه، اتجاها قديما إلى حد ما. ففى عام ١٨٢٩ قام المسئولون عن السجون فى الولايات المتحدة بجمع تاريخ حياة عدد من المسجونين لمعرفة أسباب تورطهم فى سلوك اجرامى. ومن بين ١٧٣ حالة تمت دراستها، ا تضح أنه توجد ٩٩ حالة منها ترجع مباشرة إلى فشل التربية الوالدية (Rothm, 1971 أى عدم إشباعها لحاجات الأطفال الأساسية.

وبالرغم من جاذبية السسيوباتية كسبب للانحراف، فإنها تعرضت لنقد حاد، لأنها لم تضف اية معلومات جديدة، وكل ما قيل، إن السسيوباتية انحراف عن المعايير الاجتماعية، وأن بعض الأشخاص ينحرف عن المعايير الاجتماعية لأنهم سسيوباتيون.

ومع ذلك، فإن السسيوباتية ليست الحالة العقلية الوحيدة التى يعتقد أنها تكمن وراء السلوك المنحرف، فقد ذهب عديد من علماء الصحة النفسية الى أن الانحراف يرجع الى اضطراب نفسى. وقد تأثر أصحاب هذا الاتجاه بأراء «فرويد» وتلاميذه. فالفرويديون يرون أن الشخص المنحرف، شخص تعرض نموه النفسى لاضطرابات وصدمات خلال مرحلة الطفولة المبكرة، ولسبب أو لآخر أثر عدم التطابق مع المجتمع.

ومهما يكن من أمر، فإن استعراض أراء علماء النفس الذين اتجهوا هذا الاتجاه، يظهر اختلافا كبيرا فى وجهات نظرهم بهذا الصدد. (Norris, 1959 (Steadman and Cocozza, 1978 كما أن أراءهم بصدد نزوع المرضى العقليين السابقين لارتكاب الجرائم اكثر من غيرهم، لم يعزز بأية أدلة تثبته وتبرهن عليه. فلا توجد دلائل تشير الى أن المرضى العقليين أكثر ميلا من غيرهم للقيام بأعمال اجرامية. وخلال سنوات، لم يتم القبض الا على عدد قليل من المرضى العقليين السابقين بالمقارنة مع غيرهم من مجموع السكان (Ashley Cohn and Freeman 1945)

ويمكن القول بوجه عام، إن مثل هذه النظريات الفردية فى النظر الى الانحراف، حولت الانتباه بعيدا عن العوامل الاجتماعية والظروف الاجتماعية

القاصرة التى يمكن أن تفرخ الانحراف.

النظريات الاجتماعية للإنحراف
Sociological Perspectivees on Deviance

بالرغم من عدم تجاهل علماء الاجتماع لمقولات علماء النفس والاطباء النفسيين، وعلماء البيولوجى عن الأسباب التى يمكن أن تكمن وراء ظاهرة الانحراف، فإنهم يركزون اهتمامهم على الأسباب والعوامل الاجتماعية. ويقول أصحاب هذا المنظور، إننا يجب أن نتجه إلى تحليل كل من ظروف المجتمع الذى يحدث فيه الانحراف، وإطار التفاعل الاجتماعى المتعلق بالفرد المنحرف نفسه. ولا يستطيع علماء النفس والأطباء النفسيون وعلماء البيولوجى التنبوء بالانحرافات أو تفسيرها، بما يتوفر لديهم من معطيات عن العقل أو الجسم أو النفس، لأن الانحراف يحدث داخل سياق اجتماعى. ومن هنا لا يمكن التقليل من شأن الظروف الاجتماعية. فهذه الظروف هى التى يمكن أن تشجع أو لا تشجع التعبير عن نوع معين من السلوك، وهى التى تدعو أو لا تدعو الى استهجانه.

وتتعدد المداخل الاجتماعية لدراسة السلوك المنحرف، وهى تكمل بعضها بعضا، وتحاول جميعها إلقاء الضوء على:

١ - أسباب ظهور الانحرافات داخل أى مجتمع من المجتمعات الانسانية المعروفة.
٢ - العمليات التى تؤدى الى انحراف الأشخاص.
٣ - وسائل الضبط الاجتماعى المستخدمة لاحتواء أو عقاب من تسول له نفسه الخروج على القواعد والمعايير التى اصطلح عليها المجتمع.

أولا : مدخل الوظيفيين The Functionalist Approach

تهتم النظرية الوظيفية بالطرق التى تحافظ بها عناصر البناء الاجتماعى وأنواع السلوك المختلفة على التوازن والثبات النسبى للمجتمعات أو الجماعات. وعلى هذا، لا ينظر الوظيفيون الى الانحراف على أنه سلوك عشوائى، وإنما ينظرون

اليه على أنه له دلالة داخل سياق اجتماعى. وهكذا، فإن معظم السلوك الذى نسميه سلوكا منحرفا، إنما يعكس إلى حد كبير، القيم الاجتماعية للمجتمع الذى يحدث فيه، أو الذى يتضمن على الأقل تأثيرا للخروج على ما تعارف عليه هذا المجتمع من مقاييس سلوكية. وكما قال «اريكسون Erikson » عام ١٩٦٦ «ان اللص وضحيته يشتركان فى التقدير العام لقيمة الملكية، وإن المرتد والمحقق معه يتكلمان فى الغالب نفس اللغة، وهما يعنيان بتعاليم دينية معينة. وإن الخائن والوطنى يتصرفان فى ضوء النظم السياسية نفسها، ولكن أحد الفريقين يتخذ جانبا ايجابيا بعكس الآخر الذى يتخذ جانبا سلبيا». إننا بدلا من الاقتصار على النظر إلى الانحراف على أنه عرض من أعراض اختلال البناء الاجتماعى، ينبغى أن ننظر إليه ونأخذه أيضا كوسيلة لدعم تماسك الجماعة، وذلك بتعزيز سلطة المعايير، وزيادة قدرة جهاز الضبط الاجتماعى فى المجتمع.

ثانيا : نظرية تعريف الانحراف Labeling Theory

تمتدح هذه النظرية اتجاه الوظيفيين، وتعالج سؤالين رئيسيين: يتعلق السؤال الأول بكيفية ظهور الانحراف. وأما السؤال الثانى، فيعالج أثار وصم الشخص بالانحراف، أو معرفة أنه منحرف، على ما يستقبل من سلوكه. إن اهتمام هذه النظرية بعملية تعريف سلوك الشخص هو الذى أعطاها اسمها «نظرية تعريف الانحراف» ووفقا لوجهة النظر هذه، فإن الانحراف لا ينظر إليه فى ضوء ما يتضمنه السلوك فى حد ذاته، وإنما ينظر اليه فى سياق التفاعل بين الشخص الذى يقترف هذا الفعل، وهؤلاء الذين يتأثرون به (Becker, 1963) ووفقا لهذه النظرية، فإن السلوك المنحرف هو السلوك الذى يسميه الناس سلوكا منحرفا.

إن تدعيم أية قاعدة اجتماعية إنما يتوقف على عديد من العوامل مثل: من الذي يخرج على القاعدة؟ من الذي ينظر إلى هذا الفعل على أنه خروج عن القاعدة؟ ومدى تقديره لما يمكن أن يسببه خروجه عن القاعدة الاجتماعية، من ضرر له ولغيره من أفراد جماعته، أو بالنسبة للسياق الاجتماعى الذي يحدث فيه هذا الخروج عن القاعدة. مثال ذلك، سيدتان تدخلان متجرا كبيرا، تعجب كل منهما بشىء ثمين من المعروضات

وبسرعة تدس كل منهما هذا الشيء في حقيبة يدها. السيدة الأولى من علية القوم ومن أسرة معروفة، أما الثانية فهى فقيرة لا حسب ولا نسب لها. ضبطت السيدتان بواسطة المخبر السرى للمتجر، ما الذي تظنه حدث بعد ذلك؟ عُرّفت السيدة الأولى بأنها مصابة بمرض الكلبتومانيا (السرقة القهرية) Kleptomania وأحيلت إلى أخصائى نفسى. وأما السيدة الثانية فقد اعتبرت سارقة وحولت إلى المحكمة. ارتكبت السيدتان الفعل نفسه، ولكن لأنهما من طبقتين اجتماعيتين مختلفتين، فقد عرف الفعل الواحد تعريفين مختلفين يعكسان مصالح الجماعات الاجتماعية. ويختلف ذلك تماما عما نجده في تراثنا الاسلامي، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم «وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها» كما نجد أيضا مقولة أبى بكر الصديق رضى الله عنه بعد توليه الخلافة: «الضعيف فيكم قوى حتى آخذ الحق له، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه» ويقول عز من قائل: «إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها، وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل»[1]

وتذهب نظرية تعريف الانحراف الى أنه لا يوجد عمل اجتماعى يعد فى ذاته خاطئا أو شريرا دون النظر الى السياق الذى يتم فيه. إن القاتل يعد بطلا اذا قتل فى ساحة الوغى. وان اعتداءك على شخص بالضرب سيعرضك آليا للمحاكمة، الا اذا كان هذا الشخص ابنك.

السلوكيات المنحرفة
Deviant Careers

ان استحالة الفرد إلى شخص منحرف لا تعنى مجرد تسمية، بل الأمر يتوقف أيضا على الخبرات الاجتماعية التى مر بها هذا الشخص. فالفرد الذى خرج على القاعدة الاجتماعية قد يقبض عليه ويدان علنا، ومن ثم يسمى منحرفا. والشخص قد يدين نفسه، فإذا أدرك أنه أصبح مدمنا للمخدرات لا يستطيع منها فكاكا، فقد يختار من تلقاء نفسه مصحة لعلاج حالة الادمان التى ضاق بها وحطمت حياته، أو لأن الاخرين أصبحوا يطلقون عليه اسم «مدمن

(١) سورة النساء، آية ٥٨.

مخدرات». وما أن يدمغ شخص بصفة معينة حتى تصبح هذه الصفة التى اطلقت عليه «السمة الرئيسية الدالة عليه» كما ذهب الى ذلك جوفمان goffman عام ١٩٦٣ فلا يعود هو «س» أو «ص» من الناس، وانما هو «فلان» المدمن المنحرف.

وإن وصف الفرد ودمغه بوصمة معينة، معناه أنه يسلك سلوكا يختلف عن السلوك السوى أو المعيارى السائد فى المجتمع، وقد تعمم هذه الوصمة على كل سلوكه، فيفترض الناس آليا أن هذا الشخص لديه سمات أخرى غير مرغوب فيها، أو أن كل عمل يقوم به عمل منحرف، فيسىء به الظن من كان يظن به حسنا. فكأن الأفراد الذين يتصفون بصفة منحرفة يعاملون كأنهم يحملون وصمة عار، ويشعر الفرد بثقل هذه الوصمة كلما تجنبه الأخرون وفروا منه فرار السليم من الأجرب، ويمتص الشخص فكرة الآخرين عنه، ويبدأ فى اعادة تشكيل شخصيتة لملاءمة توقعات هذا الوضع النمطى الجامد (Goffman, 1963) ويبدأ فى تمثل المراحل التى مر بها حتى أصبح موصوما بهذه الوصمة.

المرحلة الأولى : كان يعانى من بعض القلق، فأعطاه قرين سوء قليلا من المخدرات، أحس معها ببعض النشوة.

المرحلة الثانية : عاد الى بيته سعيدا، ولم يدرك أحد أنه انحرف بتعاطى المخدرات.

المرحلة الثالثة : كان كلما اعتراه القلق، تناول المخدرات بكميات متزايدة، فلم تصبح الكميات البسيطة تؤثر فيه، كما أن مشكلاته تزايدت. وهكذا انفضح أمره وعرف بين الناس بأنه مدمن مخدرات. واطلق عليه هذا الاسم.

المرحلة الرابعة : تمثل هذه الكنية الجديدة.

المرحلة الخامسة : بدأ ينخرط مع من على شاكلته من المدمنين. وهكذا أصبحت صفة المدمن هى «السمة الرئيسية الدالة عليه» حتى أنه كان يفخر بذلك، ويعتقد أصدقاؤه القدامى أنه انما يمزح، ويحاولون نصحه وحثه على أن يرجع الصديق القديم الطيب، وعبثا يحاولون، فلم يعد سوى فلان المدمن.

وأما المرحلة السادسة والأخيرة، فانه يبدأ فى ملازمة من على شاكلته ويحملون وصمته، لأن التفاعل مع من ليسوا على شاكلته أصبح شديد الايلام له، فقد أصبح وهو المنحرف يتجنبهم أينما وجدوا. وأما بين من يحملون وصمته، فإنه يشعر أنه بين رفاق يدعمونه، فكلهم فى الهم سواء. فالمنحرف لا يُقبل اجتماعيا من هذه الجماعة فحسب، بل ان هذه الجماعة تتيح له عالما يبرر انحرافه، فالمنحرفون يوجدون عالمهم ويحافظون عليه: نحن فقط السعداء وغيرنا تعساء!! ألا ساء ما يفعلون وما يقولون. وتشكل هذه الثقافة الفرعية المنحرفة، المرحلة الاخيرة فى السلوكيات المنحرفة.

اللامعيارية Anomie

تشير اللامعيارية الى الاختلال الذى يتعرض الفرد له أو الاضطراب الذى يحدث فى المجتمع، عندما تتصارع المعايير، أو تضعف، أو تغيب. وتظهر، هذه الصفة عندما ينكر الفرد ما طبع عليه من معايير، وقيم سلوكية تسود ثقافته. فنحن نجد على سبيل المثال، أن المعايير والقيم السائدة فى المجتمع الامريكى تتيح لكل فرد يعمل بجد، واجتهاد، واخلاص، أن ينجح وأن يحقق ثراء، وقد لا يصدق البعض إمكانية تحقيق ذلك بالوسائل المشروعة، إما بسبب ضعف أخلاقياتهم أو نقص قدراتهم، أو ظروف تنشئتهم. فى حين يقبل الجميع المثاليات الشائعة فى المجتمع الامريكى بأن النجاح يمكن إحرازه بالعمل الجاد والشاق. كما حدث بالنسبة للكثيرين الذين ارتقوا درجات السلم الاجتماعى من أدنى درجة حتى وصلوا إلى أعلاها. ولكن توجد بعض الاقليات العنصرية، والسلالية، والدينية وغيرها، تدرك أنه توجد فجوة بين المثاليات التى تقال وتدعى، وبين ما يمارس فى الواقع.

فعندما لا تتكافأ فرص تحقيق الثروة والنجاح بين أفراد المجتمعات الفرعية وبقية أفراد المجتمع فى معظم المجتمعات، فكيف نتوقع أن يستجيب هؤلاء الأفراد الذين طبعوا اجتماعيا على أن الثروة والنجاح هدفان مرغوب فيهما؟ (Robert Merton, 1957) يتلمس الناس عديدا من الطرق لتحقيق ذلك، بعضها سوى، وكثير منها غير سوى، ويتوقف ذلك على الفرص المتاحة.

ومن هنا ندرك عظمة الاسلام فى تقريره المساواة بين الناس، ووحدة الجنس البشرى، ودعوته إلى القضاء على كل أشكال التفرقة العرقية، والجنسية، والسلالية، والطبقية. يقول تعالى: «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة، وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرا ونساء، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام، إن الله كان عليكم رقيبا»[1].

السلوك المستهجن Eccentric Behavior

بالرغم من أن الانحراف هو الانحراف، فإنه توجد مواقف يحدث ازاءها نوع من التسامح، فلا يرفض فيها الشخص أو يعزل عن سياق التفاعل الاجتماعى، ويكتفى باستنكار السلوك أو استهجانه، بالرغم من خروجه على القواعد المتعارف عليها، ووصفه بأنه سلوك غير سوى. ويرجع هذا التسامح، والاكتفاء بالاستهجان إلى عديد من الأسباب أهمها:

١ - قد يعد غرابة أطوار لا تلبث أن تزول.
٢ - قد يقف وراء هؤلاء الأشخاص من يدعمهم أو يؤازرهم.
٣ - قد يكون هؤلاء الأشخاص ممن ينالون شهرة عريضة أو ممن يحتلون مراكز اجتماعية أو سياسية أو علمية رفيعة.

فالشهرة أو الثروة قد تحمى هؤلاء من أن يوصموا بالانحراف، حتى لو كان فعلهم منحرفا، وذلك كما حدث مع رتشارد نيكسون عام **١٩٧٤** واضطر الى التنحى عن رئاسة الولايات المتحدة، وكانت هذه أول سابقة فى تاريخ الرئاسة الامريكية، نتيجة سلسلة من الاحداث التى عرفت باسم «ووترجيت» واستقال معه معظم مستشاريه، ومن بينهم النائب العام، وأدين فى هذه القضية عديدون وصدرت ضدهم أحكام مختلفة. ولكن كل من أدين فى تلك القضية، وحتى من حكم عليهم بالسجن، لم تدمر حياتهم، ولم يوصموا بالانحراف، وعاد كثير منهم الى إلقاء المحاضرات والكتابة، ويكسب عديد منهم مئات الآلاف من الدولارات سنويا.

---

(١) سورة النساء. آية ١.

الخروج البسيط والعادى عن المعايير :
Petty And Institutionalized Evasion Of The Norms

غالبا ما يتم تجاهل الخروج البسيط والعادى عن المعايير، الا اذا عم وانتشر، وأصبح مصدر تهديد للنظام الاجتماعى. مثال ذلك استخدام أدوات المصلحة أو المؤسسة، من أقلام، وورق أو تليفونات أو غيرها فى أغراض شخصية، أو تكلفة ساعى أو بستانى المؤسسة فى أعمال خاصة. أو استخدام طالب فى مذاكرته تلخيص طالب آخر سهر الليالى فى اعدادها من عدد من المراجع، فاستفاد دون أن يبذل الجهد اللازم، وغير ذلك من أمثلة للخروج البسيط عن المعايير والذى كثيرا ما يحدث فى الحياة اليومية.

وبالرغم من معرفة أن مثل هذا الخروج عن القواعد يتضمن المخاطرة بالتعرض للجزاءات السلبية، فإن من يخرج عن هذه المعايير البسيطة، غالبا مالا يكترث بما يمكن أن يترتب على سلوكه هذا من نتائج، وقد تكون القاعدة نفسها غبية، أو قد تكون غير ملائمة وغير معقولة، وقد تكون المخالفة مما يصعب اثباتها، أو أن النتائج المترتبة على اكتشافها لا تثير ازعاجا كبيرا للشخص، بل ان الشخص يمكن أن يبرر هذا الخروج عن القاعدة بأنه بعض التعويض عن الجهد الزائد الذى يقوم به بلا مقابل.

مثل هذا الخروج العادى على المعايير غالبا ما يحدث فى أية مؤسسة أو إدارة، وهو جزء غير رسمى من النظام، وقد يعرف ولكن يتسامح فيه، لأنه لا يعوق أهداف المؤسسة.

ولكن مهما يكن من أمر، فإن الالتزام بالقواعد والمعايير هو الالتزام، وان من يخرج خروجا بسيطا أو عاديا، يمكنه اذا استمرأ ذلك وتسامح المسئولون بصدده، أن يصبح هذا سلوكا متعلما لديه، ويكون مدخلا للانزلاق الى خروج أكبر عن المعايير والقواعد المتوطدة والمتعارف عليها.

المعارضات المنظمة للمعايير Principled Challenges To The Norms

تختلف المعارضات المنظمة عن غيرها من أنواع الخروج على المعايير ذلك أنها

محاولات متعمدة من فرد أو جماعة ، لمجابهة واضعى هذه القواعد. وقد ينظر الى هذه المعارضة على أنها تتضمن محتوى أخلاقيا، وأنها محاولات لاصلاح أو تعديل قاعدة معينة أو تغيير قانون من قوانين المجتمع دون التعرض لبنية المجتمع الأساسية، أو محاولة تغيير البناء المعيارى، وغالبا ما تحدث هذه الاعتراضات الاخلاقية عندما تفشل الوسائل المناسبة والمشروعة فى ممارسة الضغط، أو أن يكون تحركهابطيئا جدا، بشكل لا يرضى مصالح من يسعون إلى التغيير. من أمثلة هذه المعارضات، المظاهرات ا لتى حدثت فى أمريكا ضد التفرقة العنصرية، وأدت الى إصدار قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٥ وكذلك المعارضة لحرب فيتنام والتى أدت الى انسحاب القوات الأمريكية منها. وكذلك المظاهرات التى نظمت فى بريطانيا وغيرها من الدول عامى ١٩٦٠ و ١٩٦٩ ومازالت تظهر بين الحين والآخر احتجاجا على التفجيرات النووية والقواعد العسكرية النووية.

المرض العقلى كسلوك منحرف

Mental Illness as Deviant Behavior

فى حين يهتم علماء النفس بتصنيف الاضطرابات العقلية وبيان أسبابها وطرق علاجها، فإن علماء الاجتماع يهتمون باستقصاء العوامل والظروف الاجتماعية التى يمكن أن ترتبط بهذه الاضطرابات العقلية. كما يهتمون باستجابات الناس لهؤلاء المرضى العقليين، وكيفية اطلاق هذا الاسم عليهم، والأثار المترتبة على ذلك.

ويرى علماء الاجتماع أن المرض العقلى انحراف يرجع أكثر ما يرجع إلى البيئة التى عاش ويعيش فيها الفرد، ويتطلب استقصاء هذه الظاهرة كثيرا من الصبر والمثابرة لمعرفة أسبابها، ودوافعها، والوظائف التى تؤديها.

ويعكس تشخيص المرض العقلى المعايير السائدة وقت حدوث هذا السلوك المرضى. فعلى سبيل المثال، اكتشف «بيجامين رش Bejamin Rush » فى القرن الثامن عشر شكلا جديدا من أشكار الهوس هو «التمرد» وقد انتشر كصدى للثورة الامريكية. كما انتشر فى القرن التاسع عشر مرض آخر بين العبيد، شخصه الاطباء النفسيون على أنه نوع من «الذهان Psychosis » وكانت أهم أعراضه

الهرب بعيدا عن سادتهم. وكذلك نظر الأطباء النفسيون فى القرن التاسع عشر الى ممارسة العادة السرية كعرض من أعراض المرض العقلى، أما اليوم فلم تعد تعتبر كذلك، وإن كان الأطباء الجسميون والعقليون يحذرون من ممارستها لأسباب أخرى. وهكذا نرى أن العديد من الاضطرابات العقلية تعد فى الواقع انعكاسا لظروف اجتماعية لأنها تحدث داخل سياق اجتماعى. ومن هنا تضاف باستمرار أمراض عقلية جديدة إلى قائمة الاضطرابات العقلية المعروفة. ومن أمثلة ذلك التدخين، وخاصة بين شباب العشرين (Jaff, 1975) فقد أضيف إلى قائمة الاضطرابات العقلية عندما ازدادت التحذيرات من أضراره على صحة الانسان، لدرجة أنه أصبح يكتب على كل علبة سجائر العبارة الآتية «التدخين سبب رئيسى لسرطان الرئة وأمراض القلب والشرايين» وذلك كتحذير حكومى رسمى. ومن هنا أصبح الاصرار على الاستمرار فى ممارسته، مؤشرا على وجود مرض عقلى.

قضية أخرى لاقت اهتماما كبيرا من علماء الاجتماع، وهى توزع المرض العقلى أو انتشاره بين فئات معينة من السكان. وكان السؤال المثار هو: هل يتعرض أفراد جماعة فرعية معينة أكثر من غيرهم، لما يشخص على أنه مرض عقلى؟ وإذا صح ذلك، فما هى العوامل الاجتماعية التى يمكن أن تؤثر فى الاضطراب العقلى؟

من الفروض الاجتماعية المبكرة حول المرض العقلى، أنه نتاج ظروف اجتماعية. ودلل أصحاب هذه الفروض على صحتها فيما يشاهد من أن الأمراض العقلية تكاد لا تظهر الا فى أحياء المدينة الأكثر فقرا وتخلفا. وعارض بعض علماء الاجتماع المحدثين هذا الرأى على ضوء ما توفر من معارف علمية جديدة. فقد وجدوا على سبيل المثال، أن كبار السن من الزنوج اكثر عرضة للاضطراب العقلى من نظرائهم من البيض الذين فى نفس العمر. وكذلك أفادت دراسات أخرى سألت عينة من الاطباء النفسيين عن الحالات التى عالجوها، اتضح منها أن حالات المرض العقلى اكثر حدوثا بين ذوى الياقات الزرقاء عنها بين ذوى الياقات البيضاء. وخلصوا من ذلك الى أن الاضطرابات العقلية نتاج ظروف اجتماعية تتمثل فى الاوضاع العائلية، وظروف العمل وضغوطه، وحالات البطالة، والتفرقة بأشكالها، وغير ذلك من عوامل اجتماعية.

المرض العقلى كعملية اجتماعية Mental Illness as Social process

يذهب علماء الاجتماع إلى أنه توجد كثير من العوامل التى تكمن وراء المرض العقلى، بعضها يرجع لأسباب وراثية كالامراض التى تكون فى الجينات الوراثية كالزهرى، أو لأسباب نفسية كالتأثير النفسى للمخدرات، أو المحاولات المتعمدة لتغيير الحالة الشعورية، ولكن أكثرها عوامل اجتماعية، تكمن فى السياق الاجتماعى الذى عاش ويعيش الفرد فيه.

ولكن كيف يدمغ هؤلاء الأفراد بصفة المرض العقلى؟ يرى «توماس شيف Thomas Scheff, 1966» أن الناس تلاحظ هذا السلوك غير السوى وتنكره وتعلق عليه، وأحيانا تتجنب مقترفيه. بالرغم من استياء الناس لتحول أصدقائهم، أو أحبائهم أو أحد أفراد عائلتهم «الأسوياء» إلى «مرضى» فإن ذلك لا يحول دون زيادة عدد من يستنكر هذا السلوك، ومن يتجنب هؤلاء الأشخاص.

تعقب سيرة الشخص المريض Tracing the Patient's Career

اهتم «إرفينج جوفمان Erving Goffman» اهتماما خاصا بكيفية حدوث التغير فى تفكير الشخص أثناء تحوله (أو تحولها) من الحالة السوية إلى حالة المرض العقلى (Goffman, 1961) وكما يقول «جوفمان» فإن الاحساس بحدوث المرض العقلى، يبدأ بمعرفة الشخص نفسه أنه يمر بحالة غير عادية. وتلعب المصادفات التى تحدث فى حياة الفرد الدور الأكبر فى تحوله إلى مريض عقلى. وتتضمن هذه المصادفات المهنة التى يلتحق بها، والدخل الذى يحصل عليه، ورؤية خروجه على القواعد ومشاهدته لها. وما يتيحه المجتمع من فرص وتسهيلات مختلفة، ونوع المعايير التى خرج عليها.

إن الاشخاص الذين يودعون المستشفيات العقلية، غالبا ما يودعون فيها لأن سلوكهم أصبح مزعجا للآخرين الذين لم يعودوا يتحملونه، بالرغم من أنهم لم يرتبكوا فى الغالب شيئا يعاقب عليه القانون، وهكذا، فإن تدخل المؤسسات بأنواعها، والسلطات بأشكالها أمر ضرورى لمواجهة المرض العقلى. وهذا التدخل قد يكون من مؤسسات الضبط الاجتماعى غير الرسمية كأفراد العائلة أو الأصدقاء أو الجيران، أو قد يكون من المؤسسات الرسمية التى تمثل المجتمع مثل الشرطة،

والنيابة، والمؤسسات الاجتماعية، والأطباء النفسيين. وغالبا ما يطلق على هذه المؤسسات الرسمية اسم «حراس البوابة» لأنهم يكونون بمثابة المشرفين على تحقيق الأمن.

ويمثل الشكل الآتى التحولات التى تطرأ على مفهوم الذات لدى الفرد.

شكل يبين كيفية تغير مفهوم الذات لدى الفرد

قبل الدخول الى المستشفى

في المستشفــى

مفهــوم العمليـة

العملية الاجتماعية

مراجعة تكوين الــذات

العملية الاجتماعة

شعور عادى بتقديـر الــذات

- الخروج على القواعد
- ضبطـه
- شكايته
- الحكم عليه وتسميتـه

الانتقاص من قدرات الذات تفسـخ الروابط الاجتماعية

- التخلص من الادوار القديمة.
- التخلص من العلاقات الشخصية القديمة.
- توطيد علاقـات وثيقة مع المعالجين
- رفض تصديق الماضى الذى مر بـه.

- انعـدام الاحساس بشخصيته
- بداية تكوين شخصيـة جديــدة

وما أن يدخل الشخص المستشفى حتى تحدث عملية اجتماعية أخرى لاحداث تغـيرات فى مفهـوم الـذات لديه، فيتخلص مما كان يقوم به من أدوار خارج المستشفى، مثلما يتخلص من كل ما فى حوزته من أشياء شخصيه كالملابس، وأمواس الحلاقة، والأقلام. وكذلك يتبادل المريض الأحاديث مع هيئة التمريض حول حياته قبل دخوله المستشفى، وحياته فى المستشفى. ويعمل المعالجون كل ما فى وسعهم للحيلولة دون احتفاظ المريض بأى شىء شخصى، أو أية أشياء

تتعلق بذاته، وبوضعه، وبمكانته، وبأدواره الخاصة، أو حتى بالاحترام الذى كان يكنه لنفسه قبل دخول المستشفى. ويطلبون منه مواجهة الموقف الجديد وهو أنه إنسان مريض. ويستجيب المريض على أنحاء مختلفة لهذه العمليات، والمحصلة النهائية أن ذاته لم تعد أمرا شخصيا. وتبدأ ذات جديدة فى الظهور للتوافق مع هذا الموقف الجديد، وتتشكل هذه الذات تدريجيا، ولكنها ليست كالذات القديمة «ليست كما كانت» حصنا «خاصا به، ولكنها» مدينة صغيرة مفتوحة» كما يقول «جوفمان».

ماذا بعد العلاج؟ After Treatment What?

إن وصم شخص بأنه «مريض عقليا» ليس أمرا هينا، بالرغم من أن كثيرا من الناس يكونون صورة نمطية جامدة بصدد أنواع معينة من الانحرافات، من بينها المرض العقلى. ويعزز التفاعل الاجتماعى اليومى العادى هذه النمطية الجامدة ويثبتها. فالمصطلحات المتعلقة بالاختلال العقلى كثيرا ما تستخدم فى الاحاديث اليومية بعديد من الطرق «لابد أن تكون مجنونا إذ تقول هذا «للاشارة إلى عدم قبول الرأى، أو استخدام عبارات مثل «حاجة تجنن» و «حاجة تهوس» و «انت راح تجننى» كما تحفل وسائل الاعلام من صحف ومجلات وأفلام ومسلسلات بتصوير شخصيات المرضى العقليين على أنحاء مختلفة، قد تتضمن السخرية أحيانا، بحيث أصبحت توجد صفات نمطية جامدة للمرض العقلى مثل: الحديث بطريقة غير منطقية، والسلوك بطريقة غير متوقعة، والشكوى الدائمة والعبوس المستمر وأحيانا العنف غير المبرر.

وتؤثر هذه الصفات النمطية الجامدة على الأشخاص الذين يتصفون وينعتون بها، وقد تجعلهم يدورون فى فلك هذا السلوك المنحرف حتى يجدوا من يخلصهم من هذه الوصمة، ويقدم لهم يد العون والعلاج.

علاج المرض العقلى Treating Mental Illness

بصرف النظر عما يعانيه الناس من أعراض، فإنهم لا يتلمسون جميعا طرق العلاج من مرضهم العقلى. ويتوقف سعى المرضى إلى العلاج أو عدم سعيهم

إليه، على كثير من العوامل، مثل درجة المعاناه، واستجابات من حولهم، والوضع الاجتماعى، ومدى الوعى. فمثلا نجد الاشخاص الذين يأملون أن تتحسن حالتهم، ويكونون على دراية ببعض المعارف النفسية يكونون أقرب الى تلمس العلاج على أيدى متخصصين فى الصحة النفسية، أكثر من غيرهم الذى لا يعتقدون بجدوى ذلك.

وقد ينشأ المرض العقلى نتيجة بعد الانسان عن الدين، وانشغاله عن ذكر الله، والتقرب اليه، والاستعانة به، فينوء جهازه النفسى بما يقع عليه من ضغوط وصراعات وهنا يكمن العلاج فى الدين، وفى الالتجاء الى الله القادر على كل شىء، والمعين على الشدائد، واذا كان خير الهدى هدى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن الشخص القريب من الله بعمله يمكن أن يردد قول الرسول الكريم «اللهم إن لم يكن بك غضب على فلا أبالى» فتهون كل شدة، وييسر كل صعب، أن من أهم وظائف الدين فيما يتعلق بالصحة النفسية، ترك بعض الأمور التى لا يستطيع المخلوق لها حلا، مهما حاول وسعى بكل جهده، للخالق القادر الذى لا تحد قدرته حدود، فمن شأن ذلك تخفيف الضغط عن جهازه النفسى وشفائه مما هو فيه.

وثمة مسألة أخرى بصدد العلاج النفسى، فقد لاحظ «هولنجشد» و «ردلخ» Hollingshed and Redlich على سبيل المثال عام ١٩٥٨ أن ذوى الدخل المنخفض غالبا ما يعالجون فى المستشفيات والمصحات العامة بدلا من الذهاب إلى عيادات الأطباء النفسيين. ولكن الاشخاص الأكثر ثراء وتعليما، يفضلون العلاج فى عيادات أو مصحات المعالجين المتمرسين، كما أنهم يواظبون على العلاج لفترات أطول من غيرهم الأقل دخلا. وفى حين يتلقى الموسرون علاجا نفسيا أو علاجا بالتحليل النفسى، فإن الفقراء والأقل حظا يتلقون علاجا بالصدمات الكهربائية، أو بجراحة فى المخ أو بمختلف أنواع العقاقير.

وعلى أية الأحوال، فقد تطور مفهوم مستشفى الأمراض العقلية شكلا وموضوعا، ففى وقت من الاوقات كان هؤلاء الذين تشخص حالتهم على أنها مرض عقلى يودعون السجون. وإبان القرن التاسع عشر تطور العلاج وانشئت مستشفيات عقلية صممت لتتيح حياة أفضل وعناية أرقى للمرضى. ولكنها مع

ذلك لم تزل دون المستوى المطلوب. فالمستشفيات العقلية بوضعها التقليدى مؤسسات يمكن أن تحقق ضررا أكثر مما تحقق نفعا. ويصعب إن لم يكن مستحيلا، أن يطبع الفرد فيها للعودة إلى العالم الخارجى، طالما يتطابق مع المعايير السائدة فى هذه المستشفيات بأوضاعها التقليدية.

ومن هنا جاءت الدعوة الى إعطاء مزيد من الاهتمام إلى هذه المستشفيات، والعمل على تحسين بيئتها ماديا واجتماعيا. وظهر فعلا بعض التحسن، فبدلا من الطرق التقليدية فى معاملة المرضى وأخذهم جميعا على أنهم حالات واحدة متشابهة، فإن العلاج الاجتماعى الحديث أصبح يفرق بين الحالات المتباينة، وأصبح ينظر إلى كل شخص على أنه مختلف عن الآخر، وأنه نتاج ظروف وعمليات اجتماعية مختلفة، وأن لكل فرد دوره فى النظام الاجتماعى.

إن مصطلح «العلاج الاجتماعى» أدخل لأول مرة فى المستشفيات العقلية، وفيه يشجع المرضى على المشاركة فى تدبير شئونهم، والاضطلاع بمزيد من المسئوليات بالنسبة لحياتهم اليومية، أكثر مما هو متاح فى المستشفيات العقلية النمطية. وخلال العقدين الماضيين أو نحو ذلك، اصبح الاتجاه السائد فى علاج المرض العقلى هو العلاج داخل جماعاتهم. ولم يشمل التطور مفهوم العلاج الاجتماعى فحسب، بل شمل أيضا زيادة ميزانيات هذه المستشفيات. وتهتم حركة الصحة العقلية الاجتماعية بعلاج الشخص داخل سياق اجتماعى، وذلك بدلا من العزلة الاجتماعية التى كانت تفرض على المريض. والصعوبة الأساسية التى تواجه هذا الاتجاه الجديد هو فشل المجتمعات المحلية فى توفير المتطلبات الأساسية لهذا النوع من العلاج، بحيث يجد المرضى الذين يعالجون داخل مجتمعهم الدعم الكافى، ومن هنا، فإن هذه الطريقة الجديدة لم تلق الدعم والتشجيع الكافيين من النظم الاجتماعية المختلفة.

بعض الملاحظات حول الانحراف والتطابق
Some Reflections on Deviance and Conformity

لا يخلو مجتمع من المجتمعات من قواعد تحكم السلوك. وتتباين تلك القواعد

من مجتمع إلى مجتمع آخر، كما أن بعض هذه القواعد يمكن أن تتغير عبر الزمن داخل المجتمع الواحد. وكذلك قد يحدث تباين فى المجتمعات الحديثة بصدد المعايير التى تحكم السلوك داخل الجماعات الفرعية. وتتصارع القيم فى بعض المجتمعات المعقدة مثل المجتمع الامريكى بصدد بعض القضايا الاجتماعية كالتعصب العنصرى مثلا والمساواة فى الحقوق والواجبات بين الموظفين. أو بين دعاوى السلام، وصناعة أسلحة الدمار وبيعها، وبين تحقيق أمن المواطنين واجراء التجارب النووية، وغير ذلك.

فإذا اشتد الصراع بين المعايير فى الدول الصناعية، فمن الذى يحدد أهمية واحد منها على الآخر؟ يتوقف ذلك ببساطة شديدة على القوة النسبية للجماعات التى تخدمها هذه القيم المعينة، وتحقق مصالحها، أى أنه كلما ازدادت قوة الجماعة، كان ذلك أدعى لاعتبار قيمها ومعاييرها محكا .للصواب والخطأ. بقول آخر، إن مضمون المعايير يشكل متغيرا أقل أهمية من القوة النسبية للمساندين له والمدافعين عنه.

معنى هذا، أن ما هو صواب اليوم، قد يكون خطأ فى الغد، وهذا هو بالضبط الفرق بين المعايير الوضعية والمعايير الالهية الثابتة.

وقد اصبحت قضايا الانحراف والتطابق «قضايا اجتماعية» عندما ظهرت صراعات لم تحل بين الجماعات المتنافسة حول بعض المعايير، أو حول الوسائل التى تفرض بها هذه المعايير. مثل ذلك ما أثير من مناقشات حول حيازة أو استخدام عقار L.S.D (ويستخلص من الحشيش) المغير للحالة المزاجية للشخص. فقد أصبح استخدام هذا المخدر مشكلة اجتماعية فى نهاية الستينيات فى الولايات المتحدة الامريكية، وذلك بسبب الأراء المختلفة حول تأثير هذا المخدر، والوسائل التى يمكن السيطرة بها على متعاطيه. واحتدم الخلاف بين العلماء الذى توصلوا الى معرفة أثاره المدمرة، عن طريق التجارب المعملية، ومن ثم تجريم حيازته أو استخدامه، ولكن هناك جماعات أخذت تدعو الى عدم التجريم لأسباب اقتصادية أو سياسية، بل إنها تدفع إلى مشروعيته. وانتصر فى نهاية الأمر الفريق الأول الذى رأى تجريم حيازته أو صنعه، واعتبار متعاطيه شخصا منحرفا. ويوضح هذا المثال الطبيعة الاجتماعية لدراسة السلوك المنحرف،

ففيه نجد أن حماس جماعة معينة واهتمامها جعل جماعات أخرى تعترف بأن ممارسة معينة هى ممارسة منحرفة، ويقول أعم، إن الأفكار وأنواع السلوك المختلفة لا توجد فى فراغ، وإنما تتجسد فى عمليات جمعية، ويتوقف مصيرها على القوة النسبية لهؤلاء المتبنين للمعايير التى تشكل وتحدد ثقافة المجتمع.

الخلاصــــة

توجد فى كل مجتمع إنسانى أنواع من السلوك تؤخذ على أنها مقاييس تتفق مع أداء الأدوار. ويطلق على هذه المقاييس اسم «المعايير الاجتماعية». وما أن تتوطد هذه المعايير حتى تشجع مؤسسات الضبط الاجتماعى المختلفة على التطابق معها. وتوضح المعايير وتضع حدودا للسلوك المقبول، ومن ثم يتحدد تلقائيا السلوك غير المقبول، وهو الذى تجاوز هذه الحدود. ويشير الانحراف إلى الانشطة التى تتعارض مع توقعات الآخرين، وهى التى تنتهك القواعد التى أقر المجتمع صلاحيتها ومناسبتها. وأما المنحرف فهو الشخص الذى يدان بواسطة مؤسسات الضبط الاجتماعى.

ويمكن القول بوجه عام، إن السلوك المنحرف يمكن النظر اليه على أنه ضرورة وظيفية فى أى مجتمع من المجتمعات. فالانحراف يجعل المجتمع كله يهب ويقف صفا واحدا لدعم قيمه ومعاييره، ويدفع الى وضع الحدود الفاصلة بين ما هو مقبول وما هو غير مقبول. كما يوجد المجتمع قنوات للتعبير عن المشاعر التى تعوق توافق الجماعة أو المجتمع.

وركزت عديد من البحوث فى الماضى اهتمامها، على الأسباب الفردية للانحراف. ولقيت النظريات التى قامت على الفروق البيولوجية بين المنحرفين وغير المنحرفين، اهتماما كبيرا. ولكن لم توضح نظرية واحدة من هذه النظريات علاقة مباشرة بين خصائص بيولوجية معينةوصورة خاصة من صور السلوك المنحرف. وكذلك فشلت النظريات النفسية فى إيجاد علاقة واضحة بين خبرات الطفولة المبكرة والحالات العقلية، أو بين فعل معين غير متطابق.

وأما النظريات الاجتماعية، فقد أولت اهتمامها للفعل المنحرف داخل سياقه

الاجتماعى: من يفعل؟ وماذا يفعل؟، ومتى؟ وأين؟ وكيفية استجابة الآخرين له. إن الفعل ليس مهما، بقدر الاستجابة له، أو بقدر التأثير الذى يحدثه على الأخرين. والمجتمع هو الذى يحدد هذا الفعل. ويسمى الشخص منحرفا عندما يحكم على سلوكه بأنه تجاوز الحدود المعيارية، وعندما تثبت مسئولية الفرد عن هذا السلوك.

وما أن يعرف الشخص بأنه منحرف، حتى يوصم بمختلف أنواع الصفات. وما أن يتمثل الشخص وصمة الانحراف حتى تبدأ مسيرته على هذا النحو، فيبدأ فى الانخراط فى جماعات فرعية تكفل الدعم لسلوكه المنحرف، وتشبع له حاجة تقدير الذات.

وثمة منظور اجتماعى آخر يبحث عن مصدر الانحراف فى البناء الاجتماعى بدلا من الفرد. فعندما توصد كل الطرق أمام الفرد لتحقيق أهدافه بالوسائل المشروعة، فإنه يختار السلوك المتعارض مع المعايير. ويحدث أحيانا أن تظهر معارضة المعايير فى صورة منظمة بدعوى خير المجتمع، كالمظاهرات ضد التفرقة العنصرية أو ضد زرع الصواريخ النووية.

وقد يأخذ المرض العقلى صورة انحراف متراكم يظهر على صور مختلفة بواسطة أفراد مختلفين تحت ظروف متباينة. ويعد المرض العقلى عملية اجتماعية تتضمن التعريف والوصم والتمثل لهذا المرض وخطوات المسيرة فيه وأخيرا، العلاج.

قــراءات مقترحــة

Becker, Howard S. *The Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance.* New York: Free Press, 1963. The labelling perspective is applied to the study of jazz musicians and marijuana smokers.

Erikson, Kai. *Wayward Puritans.* New York: Wiley, 1966. Another classic in the labelling tradition, this time a historical analysis of the ways in which deviant behavior was created and dealt with in Puritan New England.

Goffman, Erving. *Stigma: Notes on the Management of a Spoiled Identity.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1963..Goffman's title is self-explanat-

ory. This essay deals with reactions to labelling; the ways in which a stigmatized individual protects the self-image and learns to negotiate social interaction.

Mercer, Jane. *Labelling the Mentally Retarded.* Berkeley: Univ. of California, 1973. a careful, well-documented study of children defined as mentally retarded in the California public school system. The disproportionate number of minority children in this group led Mercer to devise more appropriate measures of intelligence, with the result that large numbers were found capable of normal functioning.

Rothman, David. *The Discovery of the Asylum.* Boston: Little, Brown, 1971. This is an historical overview of the ways in which deviance has been treated in the United States. The creation of special, isolated environments for those called mad or criminal is only one technique explored and exploited inour history.

Szasz, Thomas. *The Myth of Mental Illness: Foundations of a Theory of Personal Conduct.* New York: Harper and Row, 1961. In this controversial book, Szasz argues that the label "mentally ill" has been used to control individuals who present problems to others but who are not ill in any medically-acceptable way. With the exception of those very few people who suffer organic brain disorders, most of what is called mental illness reflects difficulties in interpersonal relations.

الباب الثالث

الفروق الاجتماعية وانعدام المساواة

Social Differences and Inequalily

الباب الثالث

الفروق الاجتماعية وانعدام المساواة

Social Differences and Inequalily

الفروق الاجتماعية وانعدام المساواة

Social Differences and Inequalily

نجد فى الفصول الأربعة التالية وصفا للعمليات التى ينتظم بها أعضاء المجتمع فى أنساق على أساس الذكورة والأنوثة، والعمر، والمهارة، والقوة، ولون الجلد، والذكاء، أو أية صفة إنسانية أخرى، كما سنرى كيف تنتظم هذه الأنساق فى مراتب وفقا لقيم متباينة يضفيها المجتمع على تلك الخصائص.

وبافتراض أنه يوجد فى كل نظام اجتماعى قدر محدود من المصادر ذات القيمة، سواء أكانت سلعا مادية كالثروة أو الأرض، أم أمورا معنوية كالتقدير والحب. فالسؤال الذى يوجهه علماء الاجتماع هو: كيف تتوزع المصادر النادرة داخل نظام التدرج الطبقى الاجتماعى؟ أى ما العلاقة بين الفروق الاجتماعية، وانعدام المساواة الاجتماعية؟ وما الطرق أو الوسائل (الميكانيزمات) المستخدمة لاكتساب أو طلب الأنماط الاجتماعية المرغوب فيها وهى: السلطة والهيبة والملكية؟.

وسوف نناقش فى الفصل السابع عملية التدرج الاجتماعى وتوزيع المصادر النادرة بين الأفراد والجماعات. وإن محصلة التدرج الاجتماعى هى انعدام المساواة على أساس التمتع بالسلطة والهيبة والملكية. وأما الفصل الثامن فيعالج نتائج انعدام المساواة فى الغرب المعاصر، وعلى وجه التحديد فى أمريكا الشمالية، وتحركات الأفراد والجماعات من طبقة أو شريحة اجتماعية إلى أخرى.

وتستخدم كل من الخصائص الموروثة والمكتسبة فيوضع الفرد على خريطة نسق

التدرج الطبقى الاجتماعى. وفى الفصل التاسع سوف نتعرف على أهمية كل من الـذكورة، والأنوثة، والعمر فى تقسيم العمل، ونظام التدرج الطبقى الاجتماعى المتـدرج هرميا. وأمـا الفصـل العاشر، فسوف يعنى بخصائص مثل الديانة، والسـلالـة، اللتـين تسـاهمان فى تصنيف الأفراد والجماعات، وتحددان الوضع الاجتماعى فى عديد من بلدان العالم.

الفصــل السابــع

التدرج الطبقى الاجتماعى

Social Stratification

الفصل السابع
التدرج الطبقى الاجتماعى

Social Stratification

فى عام ١٩٥٤ نفذ الكاتب البريطانى «جورج أرويل George Orwell » إلى صميم نظم التدرج الاجتماعى بعبارة واحدة فى كتابة الشهير «مزرعة الحيوان Ani-mal Farm » «... إن كل الحيوانات هنا متساوية، ولكن بعضها متساو أكثر من البعض الأخر».

هل هذا هوالحال دائما؟ هل يكون بعض الأفراد بالضرورة أكثر مساواة من البعض الآخر؟ إن مثل هذه الأسئلة التى تبدو بسيطة، تشكل موضوعا هاما قامت حوله مساجلات ومناقشات فلسفية واجتماعية حفلت بها كتب الفلسفة والعلوم الاجتماعية، وعالجت مفاهيم تتعلق بالطبيعة الانسانية والبناء الاجتماعى. وباختصار، هل المجتمع الصالح هو المجتمع ا لذى يساوى بين أفراده على أساس حاجاتهم وقدراتهم العامة؟ أو هو المجتمع الذى يأخذ فى اعتباره ما يوجد بين أفراده من فروق فى المهارات وفى الذكاء وفى المواهب؟ وهل يمكن أخذ هذين البعدين فى الاعتبار؟ سنناقش فى الفصول الأربعة التالية ظواهر مثل الفروق الاجتماعية، وانعدام المساواة، والطرق التى يختلف ويتباين بها أفراد المجتمع، ونحدد من هم أكثر مساواة من الآخرين.

توجد فى كل المجتمعات ثلاثة أنواع من المصادر الاجتماعية ذات القيمة هى:

١ - السلطة Power وهى القدرة على تحقيق أهداف الفرد حتى ولو كان ضد إرادة الآخرين.

٢ - الهيبة Prestige وهى ما يتمتع به الفرد من تقدير ومهابة وما يحتله من منزلة ومكانة.

٣ - الملكية Property وهى ما يحوزه الفرد من ثروة ثابتة أو منقولة.

ولا تتوزع هذه المصادر توزيعا متساويا بين الأفراد أو بين الجماعات فى أى مجتمع من المجتمعات. وتنشأ نظم التدرج الاجتماعى عندما يكون التمييز بين الأفراد والجماعات هو الأساس فى توزيع هذه المصادر القليلة، الأمر الذى يتمخض عن التدرج الهرمى الاجتماعى. وينتظم هذا التدرج فى مراتب، مرتبة عليا ومرتبة وسطى ومرتبة دنيا. وتكون المرتبة الدنيا أعرض، وتضيق المراتب كلما صعدنا من أسفل السلم الى أعلاه.

مبادىء التدرج الطبقى الاجتماعى
Principles of Stratification

بالرغم من أن المرء يستطيع أن يتصور مجتمعا تكون لكل الناس فيه مكانة متساوية، فإن الخبرة الانسانية تظهر لنا ضرورة وجود بعض صور التدرج الاجتماعى فى أى مجتمع من المجتمعات، على الأقل فيما يتعلق بالفروق فى العمر أو الجنس وما يترتب على ذلك من تقسيم للعمل، وتعد هذه ظاهرة عامة فى جميع المجتمعات. وعندما يقوم أعضاء المجتمع بأعمال مختلفة، فإنهم يكافأون أيضا مكافآت مختلفة. وهكذا، فإننا نجد فى جميع المجتمعات بعض الأفراد والجماعات يحصلون على شىء أكثر مما يحصل عليه الآخرون. ويمكن القول بوجه عام، إنه كلما ازداد التخصص فى المجتمع، ازدادت الفروق بين أفراده وجماعاته الفرعية، وذلك لأن الناس سوف يقومون بأنشطة مختلفة، وتتوثق الصلات بين الأفراد الذين ينشغلون بنفس النشاط، أكثر من الأفراد الذين ينخرطون فى أنشطة أخرى. وبالرغم من أن الاختلاف الضرورى فى الأعمال التى يتطلبها المجتمع يمكن أن يعد سببا لقيام نظام التدرج الاجتماعى، فإنه لا يعد سببا كافيا، فالسبب فى التفاوت إنما يرجع إلى أن الاعمال المختلفة تقوم تقويما مختلفا، ذلك أن بعض الأعمال تعتبر أكثر أهمية من أعمال أخرى.

نظم التدرج الطبقى Stratification Systems

يمكن القول انطلاقا مما سبق، انه يترتب على تقسيم العمل، قيام بعض الأفراد والجماعات بأدوار أكثر أهمية مما يقوم به أفراد آخرون أو جماعات أخرى. كيف يحدث ذلك؟ تختلف النظريات الاجتماعية كما يختلف المنظرون الاجتماعيون

فى تحليلهم للمبادىء التى يقوم عليها التدرج الاجتماعى.

أولا : النظرية الوظيفية فى التدرج الطبقى الاجتماعى :

The Functional Theory of Stratification:

لعلنا نذكر أن المنظور الوظيفى يحاول أن يفسر البناء الاجتماعى فى ضوء معطيات معينة. مثل: ما سبب التدرج الاجتماعى؟ وما النتائج المترتبة على هذه الظاهرة الاجتماعية التى تكاد تكون ظاهرة عامة فى جميع المجتمعات الانسانية. وإن أفضل من عرض لوجهة النظر الوظيفية بصدد التدرج الاجتماعى هما عالما الاجتماع الشهيران «كنجزلى دافيز Kngsley Davis » و «ولبرت مور Wilbert Moore » وذلك فى مقالهما الشهير عام ١٩٤٥ «بعض مبادىء التدرج الاجتماعى» ويتلخص رأيهما فيما يلى: ببساطة شديدة، يتباين الناس فيما لديهم من قدرات ومهارات، ويحتاج المجتمع فى كل العصور إلى أفراد تتوفر فيهم قدرات ومهارات لا تتوفر فى غيرهم، هذه القدرات والمهارات يقدرها أفراد المجتمع تقديرا عاليا فى مرحلة ما من تاريخه، ففى العصور القديمة مثلا كانت تقدر صفات مثل القوة، ومهارة الصيد، والحكمة. وفى المجتمعات الحديثة تقدر صفات مثل الذكاء الاجتماعى، والطموح وغير ذلك. ومن ثم يعطى أصحابها أعلى المكافآت. وهذه المكافآت المتميزة محدودة فى مقدارها. ويقول أصحاب هذه النظرية، إننا إذا أعطينا هذه المكافآت المتميزة للجميع فإنها تفقد قيمتها.

فكما قلنا، يختلف حظ أعضاء المجتمع من القدرات والمهارات والمواهب، ومن هنا فإن من مصلحة الجميع أن يكلف الأفراد الذين يمتلكون القدرات والمهارات العالية، بالأعمال التى تتطلب هذه الصفات. قد تتطلب هذه الأعمال الضرورية لرفاهية المجتمع حكمة بالغة، أو تكون محفوفة بالمخاطر والصعاب، ومن ثم يستحقون عنها مكافآت أكبر من تلك التى تعطى للعاطلين من هذه المواهب والقدرات، والا فلن نجد أحدا يقبل القيام بهذه الأعمال المضنية أو الشاقة، إذا لم يكن لها مقابل يستحق بذل الجهد والعناء. ومن هنا يبدأ التمايز فى المكافآت، تمايز من حيث السلطة والهيبة والثروة.

وقد دعمت دراسات حديثة عن العلاقة بين مستويات الدخل والاحترام، والمهن التى تتطلب ذكاء وتدريبا، ما ذهب إليه «دافيز» و «مور» بالرغم من أنه

لا يمكن الجزم بالعلاقة بين الدخل والهيبة، وبين المهن التى يشغلها الأفراد (Cullen and novic, 1979).

وقد أثار بعض الوظيفيين المحدثين جدلا حول المساواة فى الفرص التعليمية. فالوظيفى يعتقد أن النظام التربوى يتمخض عن تدرج هرمى يتعلق بالذكاء، يتبوأ فيه الموهوبون قمة هذا الهرم. ويعتبر هذا التدرج أساسا للنجاحات والاثابات التى يحصل عليها الأفراد. ومن ثم، فمن الواضح أن الأساتذة فى مجالات العلم المختلفة يمثلون صفوة عقلية، وكذلك رجال القضاء والأطباء. وباختصار، يرى الوظيفيون أن التدرج الاجتماعى ضرورى وحيوى فى المجتمع الحديث، ويشكل حافزا قويا لأداءات وانجازات الأفراد.

وقد أثيرت اعتراضات كثيرة حول هذا الرأى، من أهمها النقد الذى وجهه «ملفين تمين Merlvin Tumin » عام ١٩٥٣ ومن أهم النقاط التى ذكرها «ملفين»:

١ - امكانية أن يؤدى التدرج الاجتماعى الى تأثير عكسى ضار، لما ينجم عنه من مشكلات عديدة بسبب اغلاق الطريق أمام الطموحات.
٢ - الاستياء الذى تثيره الفروق الشاسعة بين القمة والقاعدة.
٣ - قلة وندرة الأماكن على القمة، الأمر الذى يقلل الفرص أمام ذوى المواهب المختلفة.
٤ - شغل عديد من الوظائف التى على القمة عن طريق الوراثة أكثر من شغلها عن طريق الاكتساب.

ثانيا : نظرية الصراع Conflict Theory

تفسر نظرية الصراع كما رأينا فى الفصل الأول، البناء الاجتماعى على أنه نتاج التنافس على موارد أو على دخول ضئيلة. فالأفراد والجماعات يناضلون لتحقيق مكانة عالية، وما أن يحصلوا عليها، حتى يحاربوا للاحتفاظ بأماكنهم فى النظام الاجتماعى الهرمى.

وإن النضال بين هؤلاء الذين يتحكمون فى الاقتصاد، وهؤلاء الذين يبيعون عملهم، هو الذى شغل أصحاب الصراع. ويقولون أن الأقوياء الذين على القمة

يورثون المكانات المرموقة لأبنائهم. ليس هذا فحسب، بل أنهم عن طريق كثير من الوسائل يفرضون وجهة نظرهم ليتقبلها الناس على أنها الحقيقة. ويحاولون إيجاد فلسفة تبرر هذه الاوضاع: إننا هنا على القمة، لأننا جديرون بذلك، والآخرون فى القاع لأنهم يفتقرون إلى المقومات الرئيسية للنجاح والتفوق.

ثالثا : وجهة النظر التوفيقية A Unified View

تذهب وجهة النظر هذه إلى أننا لسنا بحاجة إلى اعتبار المنظورين الوظيفى والصراعى على طرفى نقيض، فيذهب «جرهارد لنسكى Gerhard Lenski, 1966» الى أن النموذج الوظيفى يمكن أن يفسر التدرج الهرمى الطبيعى، وأن النموذج الصراعى ضرورى لتفسير انعدام المساواة فيما يتعلق بشغل الوظائف العليا.

ويفسر أصحاب هذه النظرية التدرج الاجتماعى والتباين فى المكانات، بأن الناس لا يبدأون من نقطة بداية اجتماعية واحدة، أو موقف اجتماعى واحد. ويشبهون ذلك بسباق العدو، الذى يكون فيه بعض الأفراد طبيعيا أسرع من غيرهم، ومن ثم يفوزون بجائزة السباق (وهذه وجهة النظر الوظيفية) ولكن من ناحية أخرى، فإن بعض هؤلاء المتسابقين غير متساوين من حيث الفرص المختلفة التى يهيئها لهم أباؤهم، فيتوفر للبعض كل الفرص اللازمة، فى حين لا يتوفر للآخرين إلا سوء التغذية، ونقص التدريب، وغير ذلك من الظروف التى تساعد فى سباق العدو. ومن هنا فان العدائين لا يبدأون فى الواقع من خط واحد كما يظهر أمام الجميع (وهذه وجهة نظر أصحاب نظرية الصراع) ويقول أصحاب النظرية التوفيقية إن كلا التفسيرين وارد ولا تناقض بينهما. ويمكن للدولة أن تضع ذلك فى الاعتبار: بالمعسكرات المشتركة، والمكافآت التشجيعية، والمدن الجامعية والمنح المختلفة وغير ذلك.

ومهما يكن من أمر، فإن تفسير وجود النظام الاجتماعى الهرمى، ليس الا جانبا واحدا لموضوع التدرج الاجتماعى، وهناك جانب آخر مهم، وهو العرض للأبعاد المختلفة للتدرج الطبقى الاجتماعى.

أبعاد التدرج الطبقى الاجتماعى
Dimensions of Social Stratification

سنعرف التدرج الاجتماعى على أنه ارتقاء أو احتلال مكانات فى النظام الاجتماعى، على أساس التوزيع المختلف للسلطة والهيبة والملكية. أول أسئلة تثار بهذا الصدد هى على سبيل المثال: هل توزع هذه المصادر الثلاثة بطريقة واحدة؟ أو أن واحدة منها أكثر أهمية من المصدرين الآخرين؟ وكيف ترتبط هذه المصادر الثلاثة؟

يذهب أصحاب نظرية الصراع إلى أنه يوجد نضال مستمر ودينامى بين القلة التى تملك وسائل الانتاج، وبين هؤلاء الذين لا يملكونها. ومهما يكن من أمر، فإنه يوجد فى كل عصر أفراد لهم سيطرة Control أكبر على غيرهم: الآباء على أطفالهم والأزواج على زوجاتهم، وأصحاب الأرض على المستأجرين، وأصحاب العمل على العمال وغير ذلك من أمثلة. ويرى أصحاب نظرية الصراع أن الثروة هى السلطة Power وأنها هى التى تضفى الهيبة Prestige وأن هذه المصادر الثلاثة ضرورية للتحكم فى وسائل الانتاج.

وعلى عكس نظرية الصراع، يؤكد «ماكس فبر» على التقارب بين الابعاد المتعلقة بالمكانة الاجتماعية. ويميز بين عدة أوجه للتدرج الاجتماعى فى المجتمعات الغربية.

١ - **الطبقة الاجتماعية : Class** وتشير إلى جماعات من الناس المتساوين فى المستوى الاقتصادى، والذين تجمع بينهم مصالح واهتمامات مشتركة يكونون على وعى بها.

٢ - **الجماعات التى تضمها مكانة واحدة: Status groups** وتتميز بأن لها طريقة واحدة فى المعيشة تفخر بها وتقدرها وتختلف هذه الجماعات عن الطبقة الاجتماعية. فالطبقة تقوم على أساس اقتصادى، بينما هذه الجماعات تقوم على مبدأ تقسيم العمل..

٣ - **الأحزاب : Parties** وهى تعبيرات سياسية عن المصالح المختلفة.

فالأساس هنا أساس سياسى ونضال من أجل السيطرة، وقد يعكس أولاً يعكس المصالح الطبقية.

توزيع الملكية The Distribution of Property

تتضمن كل ثقافة طرق تكوين الثروات ووسائلها، هذه الثروات قد تكون إبلا أو ماشية أو أغناما، أو محاصيل زراعية، أو أرضا زراعية، أو ذهبا، أو أموالا فى البنوك، أو عقارات .... الخ.

ويأخذ معظم أفراد المجتمع حقيقة، أن بعض الناس أو الجماعات يكونون أكثر غنى من بعضهم الآخر على أنها أمر مسلم به. وهذا التباين فى التوزيع غالبا ما تعززه القيم الاجتماعية والنظم الدينية. كقوله تعالى: «والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق»، ويقول سبحانه أيضا: «نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا، ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات».

ولكن الله سبحانه وتعالى نظم أمر المال. يقول تعالى: «وفى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» فجعل الزكاة ركنا من أركان الاسلام. وهكذا فالمجتمع الاسلامى يخلو من الصراع.

التوزيع غير المتساوى للملكية والنظام الاجتماعى فى الولايات المتحدة:

Unequal Distribution of Property And Social Order In U.S.A.

وأيا ما كان عدم المساواة فى توزيع الثروة، فإن ذلك لا يؤدى بالضرورة إلى عدم الاستقرار الاجتماعى. إن العامل المهم هو فى إدراك عدم المساواة هذه. ففى أمريكا الجنوبية مثلا، يشعر المواطنون هناك أن الحكومات الدكتاتورية العسكرية توفر لهم النظام والاستقرار، بل إنها فوق ذلك تحقق الفخر لبلادهم، وذلك برغم التفاوت الكبير فى توزيع الثروات والملكيات فى هذه البلاد.

ويعد التوزيع غير المتساوى للملكية فى الولايات المتحدة مشروعا، للاعتقاد السائد بأن كل شخص لديه الفرصة للعمل والنجاح، وأن الناس ينبغى أن يتباينون فيما يحصلون عليه من مكافآت وأرباح، على أساس الجهد الذى يبذلونه. والأسر الغنية موضع تقدير واحترام وإعجاب من بقية أفراد الشعب، إنها تتمتع بنفوذ كبير فى الولايات المتحدة.

السلطــة Power

السلطة وهى القدرة على فرض الارادة على فرد، أو على مجموعة من الأفراد فى جماعة، تتوزع توزيعا غير متساو فى كل العلاقات الاجتماعية تقريبا، وفى كل جماعة وفى كل مجتمع. فبعض الأفراد، وكذلك بعض الجماعات تكون لهم قوة أكبر فيما يتعلق بفرض القرارات على الآخرين. وما يعنينا هنا هو السلطة كمصدر من المصادر الاجتماعية. ومن المهم التمييز بين السلطة الفردية والسلطة النابعة من التحكم فى صنع القرار المتعلق بمجموعة من الناس.

وتشير السلطة الى القوة الشرعية، أى القائمة على مبايعة أفراد المجتمع لجماعة قليلة من الأفراد لتحكم بالعدل وفق القوانين التى يقرها المجتمع. (وفى مجتمع المملكة يتم الحكم وفق كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم). وتتجسد هذه السلطة فى الولايات المتحدة وأوربا وبعض الدول الأخرى، فى الرئيس أو الحاكم، وجماعة المستشارين، ورئيس الوزراء والمجالس النيابية. وكل هؤلاء جاءوا من أفـراد الـطبقـة العليا المتميزة اقتصـاديا، وأحيانا تتوفر شروط أخرى قليلة واستثنائية، كأن يكون ذكرا أو أن يكون أبيضا، أى ليس زنجيا. وأحيانا يكون المال أو الثروة هو الطريق الى السلطة، وأحيانا أخرى تكون السلطة وسيلة الى الثروة. ومع ذلك يوجد من خرج من الحكم أو المنصب العام وهو أشد فقرا مما دخله (Domhoff, 1980) وعلى أية الاحوال فقد نظمت هذه الأمور فيما يعرف بقانون «من أين لك هذا» وهو احصاء ثروة من يشغل منصبا عاما، قبل توليه لهذا المنصب وبعده. والـواقع أن هذا القانون طبقه الخليفة العادل عمر بن

الخطاب، قبل الغرب بقرون عديدة، على من كان يوليهم من الولاة.

وفى بعض الأحيان لا تكون كل السلطة شرعية، وتستمد السلطة غير الشرعية مكانتها عن طريق القوة، أو عن طريق وسائل أخرى غير قانونية. فسلطة المافيا وعصابات الجرائم المنظمة فى الولايات المتحدة مثلا، لها قوة سياسية واقتصادية كبيرة تمارسها دون أن تتعرض لها السلطات الشرعية، الا تعرضا ضئيلا.

وحتى السلطة التى نجدها فى الحياة اليومية، فانها تعكس مكانات Statuses أخرى: سلطة الرجل على زوجته وأبنائه، وأصحاب العمل على العمال. أى أن علاقات السلطة ترتبط بالمكانات المختلفة التى توجد فى النظام الاجتماعى العريض، أى فى المجتمع ككل. إن المحك النهائى للسلطة هو فى صنع القرار. فالشخص الذى يضع قرارات للآخرين، يكون صاحب السلطة. والاشخاص الذين يصنعون القرار هم فى الغالب الذين ينتسبون الى مكانة أعلى.

الهيبة Prestige

تختلف الهيبة، أو التمتع بتبجيل الآخرين وتقديرهم، عن الملكية والسلطة، فهى خاصية يكتسبها الفرد نتيجة تعامله مع الآخرين. فالفرد لا يحظى بالهيبة، الا إذا أضفاها الآخرون عليه، والا إذا أنزلوه هذه المنزلة العالية.

ان الهيبة هى تقدير أو تقويم ثقافى للخصائص والصفات الشخصية (Goode, 1977) وتضفى الهيبة فى بعض المجتمعات على رجال الدين وعلى الحكماء. وترتبط فى بعض المجتمعات الأخرى بالقوة والانتصار فى الحروب. وفى أمريكا الشمالية يهاب الناجحون، وخاصة اذا ارتبط هذا النجاح بالتدريب الشاق الطويل، كما يتضح ذلك بالنسبة للمهنيين كالعلماء والمحامين والقضاة، وأساتذة الجامعات والاطباء. فهؤلاء يقدرون تقديرا عاليا، وينزلون منزلة رفيعة بأى مقياس من مقاييس الاحترام.

ويحدد الجدول الآتى مكانة المهن المختلفة للوظائف فى سنتين هما سنة ١٩٧٣ و ١٩٧٧.

جدول يبين منزلة الهيبة بالنسبة لعدد من الوظائف
في عام ١٩٦٣ وعام ١٩٧٧م

الوظيفة	الدرجة عام ١٩٦٣ م	الدرجة عام ١٩٧٧م
الأطباء	٩٣	٨٣
أساتذة الجامعة	٩٠	٧٨
المحامون	٨٩	٧٦
علماء الطبيعة	٩٢	٧٤
أطباء الاسنان	٨٨	٧٤
موظفو البنوك	٨٥	٧٢
الطيارون والملاحون	٨٦	٧٠
علماء الاجتماع	٨٣	٦٦
مدرسو المدارس الابتدائية	٨١	٦٠
الموسيقيون	٧٨	٤٦
موظفو مكاتب البريد	٦٦	٤٢
مندوبو البيع	٦٦	٤٠
النجارون والسباكون	٦٥	٤٠
عمال المصانع	٦٣	٤٠
عمال محطات البترول	٥١	٢٢
سائقو التاكسى	٤٩	٢٢
جامعو الروبابيكيا	٣٩	١٧
البوابون	٤٨	١٦
الطباخون	٤٤	١٥
ماسحو الأحذية	٣٤	٩

ويدل هذا الجدول على أن المنزلة العالية، يحتلها خريجو المدارس والجامعات، مع استثناءات ضئيلة جدا. وتوجد فروق لها دلالتها فيما يتعلق بالأوضاع النسبية فى مختلف الوظائف بين عامى ١٩٦٣ و ١٩٧٧ كمايتضح من الجدول السابق.

إن منزلة الهيبة فيما يتعلق بالوظائف فيها نوع من الثبات فى الولايات المتحدة. وأجريت ٨٥ دراسة أخرى عن الهيبة بالنسبة للوظائف المختلفة فى ٦٠ بلد آخر، وقد أظهرت نفس تسلسل الهيبة فى كل بلد من هذه البلدان، ولدى جميع المستويات الطبقية، بصرف النظر عن طرق الاستخبارات المستخدمة (Treiman, 1977) والتفسير الذى يقدمه «تريمان Treman » لعمومية هذا التدرج الهرمى للاحترام وهو من وجهة النظر البنائية الوظيفيية، أن جميع المجتمعات المتقدمة تقوم على تقسيم للعمل يوجد أدوارا مهنية لادارة شئونها، تتطلب إعدادا خاصا ومهارات ومعارف معينة. وهكذا تشابهت هذه المجتمعات فى نظم التمرتب والتدرج، وتوزعت الهيبة على هذا الأساس. الأمر الذى يمكن معه القول بوجه عام، أن تدرج الهيبة يرتبط بالمهارات والتدريب وبالدخل.

وينعكس هذا التدرج الوظيفى والهيبة التى تمنح لمكانة كل وظيفة على أنواع التعامل المختلفة بين شاغلى هذه المكانات مثل طرق مخاطبتهم: صاحب السعادة أو سعادتكم، حضرتكم، سموكم ... الخ. وأيضا من الذى يبدأ الحديث ومن الذى ينهيه وغير ذلك.

المكانة الاجتماعية الاقتصادية Socioeonomic Status

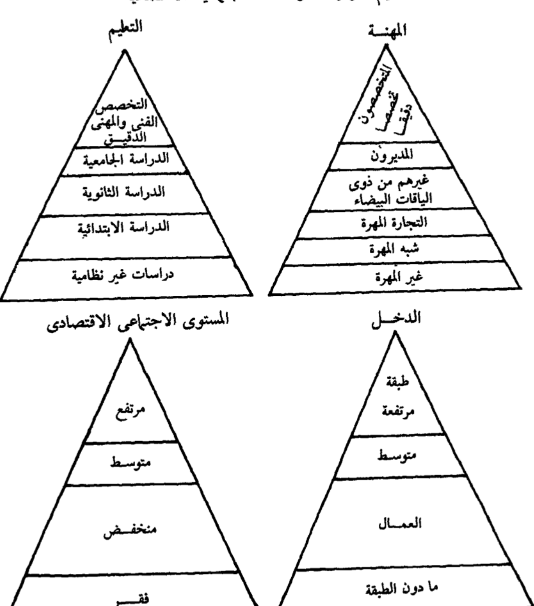
يتحدث عديد من علماء الاجتماع عن المكانة الاجتماعية الاقتصادية على أنها مقياس بسيط للوضع الاجتماعى العام. ويوحى مفهوم المكانة الاجتماعية الاقتصادية بالتداخل بين المكانة الاجتماعية والمكانة الاقتصادية، ولكن لا يقصد به التوحد التام Complete Unity بين السلطة، والهيبة، والثروة. فقد أشارت البحوث الى أهمية التعليم، والمهنة، والدخل كمقياس وحيد للمكانة الاجتماعية الاقتصادية.

ويعتبر التعليم والمهنة والدخل من الخصائص المكتسبة، بالرغم من أنها يمكن

أن تتـأثـر بعـوامـل مثل المكانة الاجتماعية للوالدين، وبخصائص موروثة مثل العرق، والجنس، والعمر، والدين.

ويمثل الشكل الآتى أبعاد التدرج الاجتماعى، فيما يتعلق بالتعليم والمهنة، والمكانة الاجتماعية الاقتصادية فى الولايات المتحدة الامريكية.

شكل يبين الأبعاد المختلفة للتدرج الاجتماعى فيما يتعلق بالتعليم، والمهنة، والمكانة الاجتماعية الاقتصادية



وسوف نعرض باختصار لهيكل النظام الطبقى فى الولايات المتحدة الامريكية ليكون مثالا لبعض الدراسات التى عرضت لنظام الطبقات الاجتماعية.

النظام الطبقى فى امريكا الشمالية
Social Calss In North America

الاعتقاد بعدم الطبقية The Myth of Classlessness

أعتقد منذ زمن طويل، أنه في حين يعرف الأمريكيون الشماليون ويقرون بوجود طبقـات عليا وطبقات دنيا، فإنهم مع ذلك ينظرون إلى مجتمعهم على أنه يقوم على طبقـات متميزة. واذا سئـل أمريكيون شماليون أن يصفوا أنفسهم، فإنه يتضح من إجاباتهم أن الطبقة الاجتماعية تحتل مكانة أقل أهمية من بعض مظاهر مثل: المهنة، والسلالة، والدين، والتعليم. ولكن ذلك لا يعنى أن الأمريكيين الشماليين لا يعون المكانة الاجتماعية. فيوجد فرق مهم بين الوعى الطبقى Calss Awareness والشعور الطبقى Class Consciousness فالوعى الطبقى هو الاعتراف بالفروق التي تقوم على الدخل والمهنة والهيبة والسلطة. في حين يجعل الشعور الطبقى مثل هذا الوعى محورا لتعريف الذات والعمل الاجتماعى، أى أن الشعور الطبقى لا يكون عنصرا أساسيا في حياة الفرد.

وتتلخص أهم الأسباب التي تذكر لتفسير عدم وجود شعور طبقى في أمريكا الشمالية فيما يأتى:

١ ـ عدم وجود قرابات الدم التقليدية القديمة بما تتضمنه من ارستقراطية وراثية، وتفضيلات راسخة ومتوطدة.

٢ ـ ما تضمنه الدستور الأمريكى من مبادىء مثل المساواة والحرية.

٣ ـ تاريخ الهجرة الذي قطع الأواصر التقليدية، وجعل شعار الأمريكيين البدء من جديد Starting Anew.

٤ ـ فشـل الحـركـات العمالية في توليد الاحساس بتماسك الطبقة العمالية لمعارضة المديرين وأصحاب العمل كطبقة.

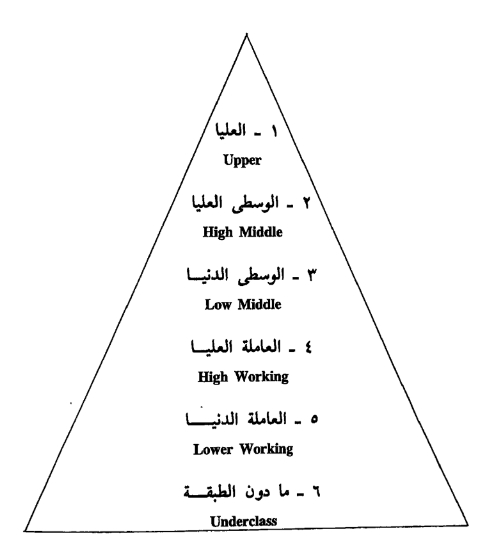
٥ ـ إمكـانية الحـراك الاجتـماعى (التحـرك من أدنى منـزلـة إلى أعـلاها) والذي

عززه النمو الاقتصادى فى القرون الثلاثة الماضية.

٦ ـ تعدد الولاءات داخل المجتمع: كالولاء للعرق، والدين، والسلالة. بقول آخر، ان انعدام التجانس فى مجتمعات أمريكا الشمالية، حال دون ظهور ذاتيات تقوم على أساس طبقى متميز.

وينقسم المجتمع الامريكى إلى ستة أقسام اجتماعية متدرجة هرميا كما يتضح فى الشكل الآتى:

شكل يبين توزيع الأقسام الستة للبناء الاجتماعى المتدرج تدرجا هرميا



١ ـ الشريحة العليا Upper Stratum

التى يكون دخل الأسرة فيها ١٠٠٫٠٠٠ دولار سنويا أو أكثر. ويمكن أن يحصل على هذا الدخل خريجو الجامعات من ذوى التخصصات المهنية العالية أو الدقيقة جدا.

٢ ـ الوسطى العليا :

وتتكون من المديرين المتعلمين تعليما عاليا، والذين يتراوح دخلهم بين ٥٠٫٠٠٠ ـ ٩٠ ألف دولار سنويا.

٣ ـ الوسطى الدنيا :

ذوو الياقات البيضاء الاخرون White Coller من العاملين، والذين يتراوح دخلهم بين ٣٠٫٠٠٠ و ٥٠٫٠٠٠ دولار، ويمكن أن يكون بينهم معلمو المرحلة الثانوية، وغيرهم من الذين يتقاضون أجورا منخفضة، ويحظون باحترام كبير.

٤ ـ العاملة العليا :

العمال المهرة ذوو الياقات الزرقاء Blue Coller مثل الكهربائى ـ والسباك وغير ذلك، وأيضا أمناء المخازن والسكرتاريون وعمال المصانع الذين يكسبون ما بين ١٥٫٠٠٠ الى ٣٠٫٠٠٠ دولار امريكى.

٥ ـ العاملة العليا :

العمال شبه المهرة وغير المهرة، الذين يشتغلون بأعمال ذات مكانة دنيا Low Status Occupation والذين يكسبون ما بين ٨٫٠٠٠ و ١٥٫٠٠٠ دولار فى العام.

٦ ـ ما دون الطبقة :

شبه المتعطلين، والعمال ذوو المهارات المنخفضة، والذين دخلهم تحت خط الفقر، ٨٫٠٠٠ دولار للعائلة المكونة من أربعة أفراد.

قياس الطبقة الاجتماعية Measuring Social Class

إن تحديد الطبقات الاجتماعية بوجه عام، ووضع الأفراد والعائلات داخل طبقة معينة، ليس بالعمل البسيط. ومع ذلك، فمن الممكن أن يقسم البناء

الطبقى الى ستة أنساق تقليدية كما يتضح من الشكل السابق.

وإننا نستطيع القول فى نهاية الأمر، أنه فى حين حاول عديد من الباحثين استخدام المهنة كمؤشر بسيط على الطبقة، فإن الافراد الذين ينتمون إلى مهنة واحدة يمكن أن يكونوا فى أوضاع مختلفة تماما تؤثر فى تقدير الانسان لنفسه وفى شخصيته، واحساسه بالسيطرة على ظروف العمل. فالطبيب الذى يعمل فى عيادة خاصة مثلا، تربطه علاقة مختلفة تماما بعمله عن الطبيب الذى يعمل فى قسم معين فى مستشفى عام مثلا.

التعليـــم :

بما أن مؤشر الطبقة ليس محددا حتى أقل تحديد، فالأفراد الذين على نفس المستوى من التعليم يمكن أن يوزعوا أو ينتشروا على كل المكانات الاجتماعية فى الهرم المتدرج. وليس غريبا أن نرى أصحاب ملايين ممن لم يحصلوا الا على تعليم نظامى ضئيل، بينما نرى حملة الدكتوراه يقل دخلهم عن المتوسط، وبوجه عام، فإننا كثيرا ما نرى حملة الشهادات الجامعية الذين يوضعون فى الطبقة المتوسطة، يقارنون بالحاصلين على الثانوية العامة فقط.

الدخــــل :

قد يبدو الدخل معيارا شديد الوضوح والجاذبية، وغالبا ما استخدم كأساس لترتيب الأفراد والعائلات. ونجد التقارير الحكومية تحدد مستويات ميزانية الفرد على أساس: دخل منخفض، ودخل متوسط ودخل مرتفع. كما أنها تعطى بعض الوصف لأسلوب حياة كل طبقة، فمثلا بالنسبة للعائلة ذات الدخل العالى، والتى تتراوح ميزانيتها من ٢٧٫٠٠٠ الى ٧٥٫٠٠٠ دولار سنويا فإنها تمتلك بيتا مزودا بأحدث الأثاث والاجهزة، كما أنها تقتنى سيارة حديثة. وعلى عكس ذلك، نجد العائلة ذات الميزانية المنخفضة التى تتراوح ما بين ١١٫٠٠٠ و ١٧٫٠٠٠ دولار سنـويا، والتى تستأجر بيتا غير مزود بمكيفات وتستخدم وسائل ترويح عامة، وتأكل قليلا من اللحم، وكثيرا من البطاطس أى تعيش بوجه عام أقل

من هؤلاء الذين ميزانيتهم أعلى (Rose, 1979) ومع ذلك، فبما أن دخل الفرد الحقيقى نادرا ما يكـون معروفا للآخرين، فإن الحكم على الوضع الاجتماعى للأفراد غالبا ما يقوم على أساس أسلوب الحياة Lifestyle بمعنى الطريقة التى يعيش بها الأفراد.

وقد حاول Richard Colman and Lee Ralnwater (1987) تحديد طريقة الحكم على الوضع الاجتماعى، والوزن النسبى لمختلف العوامل التى تدخل فى هذا الحكم. وخلصا الى أن الدخل يعتبر العامل الأول (أو الوظيفة المحترمة). فالثروة أو الدخل تشكل بعدا كميا وكيفيا فيما يتعلق بمستوى المعيشة (سيارات ـ بيوت ـ كرم ـ خدمات اجتماعية) ويعد بحث «كولمان» و «رين واتر» محاولة هامة لدراسة المكونات المختلفة للاوضاع الاجتماعية بما فى ذلك المكونات الذاتية (مثل كيفية توقير الناس واحترام بعضهم بعضا. هذا، بالاضافة الى المكونات الموضوعية التى يمكن قياسها (مثل مقدار النقود التى يكسبها الفرد، وكيفية اكتسابها).

وقام «نوك Nock » و «روسى Rossi » عام ١٩٧٩ بدراسة عن أهمية المهنة والتعليم. وقاما بسؤال المفحوصين أن يقوّموا الوضع الاجتماعى Social Standing لمجموعة من العائلات وضعوها لهم فى قائمة. واشتملت هذه الدراسة على متغيرين هما المهنة والتعليم. ووجدت هذه الدراسة أنه بالرغم من أن وظيفة الزوج كانت أهم عامـل فى تحديد الـوضـع الاجتماعى، فإن المفحوصين وضعوا فى الاعتبـار أيضا عمل وتعليم الزوجة والأبناء البالغين. واستخلص الباحثان أنه توجد عدة عوامل وأبعاد ترتبط وتتداخل فيما يتعلق بالتقدير الاجتماعى للعائلات. وإن علماء الاجتماع الذين لا يختارون إلا بعدا واحدا بسيطا كمعيار موضوعى لتقـويم التقـدير الاجتماعى، ينسون أن عملية تقويم الناس بعضهم لبعض، عملية بالغة التعقيد، وليست بالعملية البسيطة التى يكفى عامل واحد لتفسيرها.

الدعامة الفكرية للنظام الطبقى الأمريكى:

Ideological Support for American Class System

تشـير البحـوث إلى أن التبـاين الشديد فى توزيع الأفراد أو الجماعات على المستويات المختلفة فى هرم المكانة الاجتماعية الاقتصادية، إنما يرجع أكثر ما يرجع إلى قصـور فى إمكـانـات وقـدرات هؤلاء الافراد، وتلك الجماعات عن تحقيق

المكانات العالية أو المرتفعة. فالنظام الطبقى موجود فى مجتمعات أمريكا الشمالية ومعترف به بين الناس، بل هو مقبول منهم فى الغالب.

والسبب فى هذا التقبل للاوضاع إنما يرجع أكثر ما يرجع إلى الفكر السائد فى الولايات المتحدة بين الناس، وهو أن النظام الطبقى الاجتماعى نظام مفتوح، بمعنى أن أى فرد لديه الموهبة والحافز، يستطيع أن يشق طريقه، وأن يمضى قدما لأعلى مراتب الهرم.

ويمكن القول بوجه عام، إن أهم الدعامات الفكرية للنظام الطبقى الامريكى التى تجعل الناس يتقبلون هذا النظام ولا يضيقون به هى:

أ - الايمان بوجود فرص متكافئة :

The Promise of Equal Opportunity

الاعتقاد بأن أى شخص يمكن أن يتدرج من القاعدة إلى القمة. وهذا أحد أهم المعتقدات أو الأفكار السائدة فى الثقافة الامريكية، وقد ساعد على تدعيم هذا الاعتقاد، الازدهار الاقتصادى واتساع رقعة الولايات المتحدة، أى الظروف الاقتصادية والجغرافية التى أتاحت فرصا هائلة أمام الامريكيين الشماليين للاستثمار.

ب - الاخلاقيات المتصلة بالعمل The Work Ethic

تؤكد الاخلاقيات المتصلة بالعمل على مفهوم المسئولية الفردية، أى أن مسئولية النجاح والفشل مسئولية الشخص نفسه، وليس مسئولية أحد آخر فمن يرتفع درجة أو درجات، إنما يكون بجهده وذكائه وقدرته واصراره. ومن نفس المنطلق يمكن القول، أن من لم يحقق نجاحا، فبسبب عوامل وسمات شخصية فيه هو، كالكسل أو نقص الطموح، وليس بسبب شىء آخر.

جـ - الفردية Individualism

يوجد لدى الامريكيين الشماليين اعتقاد جازم بالفردية التى تؤكد على أهمية السمات والخصائص الذاتية كالدافعية، والذكاء والاتجاهات، والقدرة على التحكم. ويرتبط هذا النمط من التفكير ارتباطا وثيقا بالاعتقاد بالمسئولية الفردية،

والايهان بارادة الانسان الحرة، وبامكانية تحقيق الذات. بقول آخر يرتبط هذا العامل بالعاملين السابقين.

د ـ نظريات الحتمية البيولوجية :

Theories of Biological Determinism

تؤكد نظريات الحتمية البيولوجية عدم القدرة على التحكم فى المظاهر المختلفة للسلوك. وتذهب إلى أن المخرجات الاجتماعية Social out Comes إنما هى حتميات بيولوجية. إن مثل هذه النظريات تدعم الفكرة القائلة بأن العالم كالغابة، البقاء فيه للأصلاح. وهذه هى الأفكار التى ينظر بها الامريكيون الشماليون الى انعدام المساواة، فهو انعكاس لنظام طبيعى يقوم على ما يوجد بين الأفراد من فروق واختلافات فطرية وطبيعية فيهم هم أنفسهم.

وفى دراسة أجريت على مجموعة من تلاميذ المدارس، ظهر من أجاباتهم أنهم يفسرون الفقر والغنى على ضوء ما يوجد بين الأفراد من اختلافات وفروق كما يتضح من العبارات الآتية: الناس الأغنياء عادة هم الأكثر ذكاء، والأكثر جدية ومثابرة على العمل، وأما الناس الفقراء فأغلبهم غير مكترث، إنهم لايطمحون للحصول على المال، سعداء بما هم فيه. وقال بعض التلاميذ: «إنك اذا أردت فعلا أن يكون لديك المال، فإنه سيكون عندك المال، مهما كانت حالتك من الفقر.»

(Ummings and Taebel,1978)

الخلاصـــة

يشير التدرج الاجتماعى إلى وجود فروق داخل الجماعات الاجتماعية تقوم على خصائص موروثة ومكتسبة. وتوجد بعض صور التدرج الاجتماعى فى كل مجتمع من المجتمعات. وتنشأ هذه الصورة عن تقسيم العمل، ذلك أن بعض الأدوار تعتبر أكثر أهمية من غيرها، الأمر الذى يؤدى إلى التوزيع غير المتساوى لمصادر اجتماعية محدودة هى: السلطة، والهيبة، والملكية.

وتفسر النظريات الوظيفية التدرج الاجتماعى فى ضوء ما يترتب عليه من نتائج تتعلق بالمجتمع وبالأفراد الذين يعيشون فيه. إن المكافآت المتباينة على الأعمال

المختلفة مسألة ضرورية لدفع الناس واستحثاثهم على العمل، وعلى تنمية قدراتهم لشغل الوظائف الضرورية للمجتمع. وتفسر نظرية الصراع التدرج الاجتماعى على أنه نتيجة التنافس على المكافآت والأجور، أو على مصادر شحيحة. وإن هؤلاء الذين يتحكمون فى هذه المصادر سوف يعملون على الاستئثار بها، والتمتع بمزاياها فى جميع النظم الاجتماعية التي تشكل المجتمع. ويمكن أن يستخدم كل من المنظورين الوظيفى والصراعى ليكمل أحدهما الآخر فى دراسة أسباب ونتائج التدرج الاجتماعى.

ما هو شكل ومضمون التدرج الاجتماعى الهرمى فى أمريكا الشمالية؟ تشير المعارف العلمية المتعلقة بتوزيع مجمل الثروة والدخل السنوى، إلى وجود فروق أساسية فى التنظيم الهرمى بين القمة والقاعدة. إن السلطة، وهى القدرة على فرض إرادة الشخص على أشخاص آخرين، أو إرادة جماعة معينة على جماعة أخرى، تتوزع أيضا توزيعا غير متساو. وإن سلطة إصدار القرارات، وفرض القواعد والأوامر غالبا ما تكون فى يد الأكثر ثراء والأقوى سلطة. وأما الهيبة فهى على عكس الملكية والسلطة، ترتبط بصفات الشخص نفسه اكثر مما ترتبط بالثراء أو بالمكانة الاجتماعية، فالاحترام يرجع الى ما يتحلى به الفرد من مهارات، وما يحصل عليه من تدريب، وبما يحظى به من تقدير فى مختلف الجماعات المهنية.

ويستخدم علماء الاجتماع مفهوم «المكانة الاجتماعية الاقتصادية» كمقياس عام للوضع الاجتماعى. وتشير المكانة الاجتماعية الاقتصادية الى ما تلقاه الفرد من تعليم وتدريب، وما تحظى به وظيفته من احترام، وما تدره عليه من دخل.

وبالرغم من وجود وعى عام بالوضع الطبقى الاجتماعى بين الامريكيين الشماليين، فإن علماء الاجتماع يختلفون على وجود شعور طبقى بينهم. ويعتقد معظم الامريكيين الشماليين وكذلك الكنديين، أن نظامهم السياسى لا يقوم على المصالح الطبقية، بمعنى أن أى شخص مهما كان وضعه الاجتماعى يستطيع أن يرتقى سلم المكانات الاجتماعية الاقتصادية من أول درجة فيه حتى آخر درجة. وتشير الدراسات المتعلقة بالطبقات الاجتماعية فى المجتمع الامريكى إلى أن ما يبدو انعدام مساواة، لا يدرك على أنه انعدام مساواة فى الواقع، وذلك لوجود اعتقاد قوى راسخ بأن المجتمع الامريكى مجتمع طبقى مفتوح، يستطيع من لديه

الموهبة، والطموح، والقدرة، والصبر، والجلد على العمل الشاق، أن يصل الى القمة، فالطريق مفتوح أمامه. وتوجد دعامات فكرية قوية تدعم وجهة النظر هذه، وتعزو أى نجاح أو إخفاق الى صفات وخصائص تتعلق بالأفراد أنفسهم.

قراءات مقترحة

Braverman, Harry. *Labor and Monopoly Capital: The Degradation of Work in the Twentieth Century.* New York: Monthly Review Press, 1974. The development of class structure in the United States and the prevalence of alienation in many occupations is thoroughly analyzed.

Clement, Wallace. *The Canadian Corporate Elite: An analysis of Economic Power.* Toronto, Canada: McClelland and Stewart, 1975. A powerful recent analysis of the role of Canadian economic elites in shaping and controlling the structure and processes of Canadian society.

Porter, John. *The Vertical Mosaic.* Toronto, Canada: Toronto Press, 1965. The classic study of stratification in Canada, the composition of the Canadian class structure, and an examination of Canadian elite groups.

Rose, Stephen J. *Social Stratification in the United States.* Baltimore, Md.: Social Graphics, 1979. The most recent empirical information regarding the nature and distribution of inequality in the United States.

Bennett, Richard, and **Jonathan Cobb.** *The Hidden Injuries of Class.* New York: Random House, 1973 (Vintage Books). A sensitive discussion of the subjective experience of social class.

Burner, Jonathan, and **Charles E. Starnes.** *Inequality: Privilage and Poverty in america.* Santa Monica, Calif.: Goodyear, 1976. An analysis of the patterning and persistence of inequality particularly through the policies of wealthfare and welfare.

الفصـــل الثامـــن

انعـدام المسـاواة الاجتماعية

Social Inequality

الفصل الثامن
انعدام المساواة الاجتماعية

Social Inequality

مقدمة
Introduction

سواء أدرك افراد المجتمع مدى أهمية الوضع الطبقى أم لم يدركوا هذه الأهمية، فإن علماء الاجتماع يهتمون اهتماما كبيرا بالمتغيرات المتعلقة بهذا الوضع، لأهميتها البالغة فى التنبؤ بالسلوك، وبأسلوب الحياة، وبفرص العيش المتاحة. واذا كان على الباحث أن يتلمس معلومة واحدة تتيح له أن يتنبأ بالمخرجات الفردية لشخص معين، فإن معرفة وضعه الطبقى تعد أهم من أى مقياس للشخصية، أو الذكاء، أو المهارات. ولهذا السبب بذل علماء الاجتماع جهودا كبيرة لدراسة أسباب ونتائج التدرج الاجتماعى.

الطبقة الاجتماعية والمتغيرات المتعلقة بفرص الحياة:
Social Class and Life Chance Variables

١ - متوسط الأعمار Life Expectancy

الأعمار بيد الله سبحانه وتعالى، وإذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون، ولكن الله سبحانه وتعالى جعل لكل شىء سببا، ومن هنا فإنه يمكن القول، بأن معدل الوفيات يقل مثلا، مع توفير الرعاية الصحية، ورفع مستوى المعيشة، والعناية بتغذية الأطفال. وعلى هذا، فإنه كلما ارتفع وضع الشخص الطبقى، ومن ثم توفرت له مقومات الحياة الكريمة، عاش حياة أطول. وتشير الاحصاءات الى أن معدلات الوفيات تزداد مع الفقر المدقع، وتقل باطراد كلما

ارتفع الدخل والمستوى التعليمى. ويرجع ذلك لارادة ومشيئة الله سبحانه وتعالى الذى يبسط الرزق لمن يشاء. ويوفر أفراد الطبقة الوسطى والعليا لأبنائهم الرعاية والعناية والغذاء، ويعالجونهم حين يمرضون، ويوفرون لهم حياة مريحة مطمئنة كريمة تبعد بهم عن ذل الحاجة.

٢ ـ الاحداث والعلاقات الأسرية **Family Events**

أثبتت الدراسات التى أجريت فى أمريكا أنه كلما انخفض الوضع الطبقى ازداد احتمال زواج الأفراد فى سن مبكر، قبل العشرين، وإنجاب أكثر من ثلاثة أطفال، وازداد ايضا احتمال حدوث الشجار والنزاع. وكلما ارتفع الوضع الطبقى حرص الأفراد على أن تكون لديهم عائلة صغيرة. وغالبا ما تكون علاقاتهم الأسرية وطيدة، ويشتقون من زواجهم إشباعات أفضل. كما تتيح لهم ظروفهم المادية الجيدة فرصا للتنزه والترفيه، الأمر الذى يجعل حياتهم أكثر بهجة، وأقل ضيقا وتوترا.

٣ ـ الحياة المطمئنة **Institutionalization**

إن الأفراد المقتر عليهم فى الرزق يكونون أكثر تعرضا للمتاعب العقلية من الأفراد الذين حباهم الله من فضله وأسبغ عليهم من نعمه. وترجع المتاعب العقلية أكثر ما ترجع، إلى ظروف مثل الدخول الضئيلة، والبطالة، والتقدير المنخفض للذات، وشعور الفرد بأنه لا حول له ولا قوة. ومع ذلك، لم يتضح بعد تماما ما إذا كانت مثل هذه الضغوط التى يتعرض لها الأفراد هى السبب فى حدوث الأمراض العقلية أو أن الفقراء هم الذين يعرضون على المصحات العقلية العامة، وبالتالى نتعرف على حالاتهم، فى حين يذهب الموسرون إلى العيادات والمصحات الخاصة، ومن هنا لا نعرف عددهم.

وبنفس الطريقة أجريت بحوث عن الأشخاص الذين أدينوا فى جرائم مختلفة، وأودعوا السجون، اتضح منها أنهم جاءوا من بيئات مدقعة الفقر. وتوجد خلافات ومناقشات مستفيضة بين علماء الاجتماع حول الفروق بين الطبقات، والميل إلى ارتكاب الجرائم.

(Hindelang,Hirschi, and wels,1979) (tittle,Villemz and Smith,1978)

٤ ـ الصحة النفسية Emotional Well being

إن وجود علاقة بين الوضع الطبقى والصحة النفسية، يعد من أهم اكتشافات العلوم السلوكية. فكلما ارتفع الوضع الطبقى، قل تعرض الأفراد لأعراض الاختلال الانفعالى. وقد يرجع السبب فى ذلك إلى حد ما، إلى ارتباط هذا الاختلال بضغوط الاحداث التى يتعرض لها الأفراد، والتى تقل لدى أبناء الطبقات الدنيا. ومع ذلك، أثبتت الدراسات الحديثة أن ضغوط الاحداث لا ترجع الى الأحداث ذاتها بقدر ما ترجع الى تفسير الشخص لهذه الاحداث واستجابته لها، كما ذهب الى ذلك «كسلر» و «كليرى» عام ١٩٨٠ (Kessler and Cleary,1980) فقد يقع حدثان متشابهان لشخصين، نجد الأول يهلع ويجزع، ونجد الآخر يصبر ويحتمل. وهنا نرى الدور الكبير الذى يلعبه الايمان، فقلب الأول فارغ من الايمان، وقلب الثانى عامر بالايمان.

الطبقة الاجتماعية والمتغيرات المتعلقة بأسلوب الحياة
Social Class and Lifestyle Variables

توجد أيضا فروق طبقية فيما يتعلق بأسلوب الحياة، أى الطرق التى ينفق الناس بها أموالهم وأوقاتهم. فالناس الذين يشغلون مكانات عليا ولديهم فائض من المال، يمكنهم الاستمتاع بحياتهم وبأوقات فراغهم وباجازاتهم، والعيش بطريقة تختلف عن معيشة الناس الذين لا تتوفر لهم إلا الضرورات، أى الذين يشغلون مكانات دنيا، ويزداد الأمر سوءا إذا انعكس ذلك على فرص التغذية الجيدة، أو تحصيل العلم. وتوجد مجالات أخرى للتباين الطبقى فيما يتعلق بأسلوب الحياة، ومن أهمها:

١ ـ الاتجاهات والقيم والمعتقدات Attitudes, Values, and Beliefs

يمكن القول بوجه عام، إن افراد الطبقة العاملة فى أمريكا محافظون فيما يتعلق بالحقوق والواجبات، ولكنهم ليبراليون فيما يتعلق بالأمور السياسية والاقتصادية. وعلى العكس من ذلك نجد أفراد الطبقة العليا والطبقة الوسطى ليبراليين فى أسلوب حياتهم، ومحافظين فى القضايا السياسية والاقتصادية. ولكن توجد

استثناءات لهذه القاعدة، فإن المثقفين من أبناء الطبقة الوسطى هم الذين قادوا حركة الحقوق المدنية فى الستينيات، وحركة مناهضة الحرب فى فيتنام فى السبعينيات من هذا القرن.

٢ ـ تقدير الذات Self esteem

تؤثر المكانة الطبقية على تقدير الذات بين الشباب، فهم يقدرون ذواتهم وفقا لمكانتهم الطبقية. فمن الواضح أنهم يقومون أنفسهم فى ضوء زملائهم، ويساعد على ذلك أن الأحياء التى يقطنونها، والمدارس التى يلتحقون بها تكون متجانسة طبقيا إلى حد كبير. فى حين تكون معايير الحكم والتقويم مختلفة لدى الكبار إلى حد بعيد، لأن علاقاتهم ومعاملاتهم تتسع، كما أن فرصهم فى تحسين أوضاعهم الطبقية تزداد، بعكس الصغار الذين مازالوا تحت تأثير المكانات الموروثة.

٣ ـ شغل أوقات الفراغ leisure

يتأثر شغل أوقات الفراغ تأثرا كبيرا بالمكانة الاجتماعية. فنجد أفراد الطبقة العليا يميلون إلى رياضة الفروسية والتنس والرماية، كما يميلون الى زيارة المتاحف وقراءة الكتب الجادة. فى حين نجد أبناء الطبقة الوسطى والعاملة يميلون فى الغالب إلى رياضة كرة القدم، ومشاهدة التليفزيون، وقراءة الكتب الخفيفة والمسلية.

وهكذا يمكن القول، بأن الوضع الطبقى يرتبط ارتباطا وثيقا بكل مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية.

الفقـر فى امريكـا
Poverty in America

الوجه الآخر لأمريكا The Other America

تأثر عدد من الدراسات الاجتماعية تأثرا كبيرا بكتاب «ميخائيل هارنجتون Michael Harrington » الوجه الآخر لأمريكا» والذى نشر عام ١٩٦٢. إن القناعة

التى سادت باستمرار عن تقدم أمريكا وازدهارها فى الفترة التى أعقبت الحرب العالمية الثانية (١٩٤٥ ـ ١٩٦٠) تلاشت تماما بعد أن كشف «هارنجتون» النقاب عن الوجه الآخر لأمريكا، والذى نتج عن تجاهل أوضاع الفقراء فى هذه الدولة البالغة الثراء. وقد ألقى «هارنجتون» الضوء على هؤلاء الفقراء الذين اختفوا عن الأعين والتجأوا إلى الأحياء الوضيعة يتوارون فيها. ولم يعد هناك مفر من مواجهة الواقع المر، وهو أنه وجد فى عام ١٩٦٠ أكثر من ٣٩ مليون شخص (حوالى ٢٢٫٣٠٪ من عدد سكان الولايات المتحدة) يعيشون تحت خط الفقر وفقا للمستوى الذى حدده المسئولون، وهو ما يقرب من ٣٫٠٠٠ آلاف دولار سنويا للأسرة غير الريفية المكونة من أربعة أفراد. هذا بالاضافة الى أنه يوجد ١٠٪ أخرى ترتفع دخولهم قليلا فوق هذا المستوى. بقول آخر، ان ما يقرب من ثلث سكان الولايات المتحدة يعيشون فى حالة فقر، فى حين يرفل الباقون فى رفاهية ونعيم. وقد حدث ذلك بعد ثلاث أحقاب من الأزمة الاقتصادية التى وصفها الرئيس «فرانكلين روزفلت» بقوله: «إن ثلث سكان الولايات المتحدة لا يجدون السكن والملبس والغذاء المناسب».

الحرب على الفقر وحالة الفقر اليوم :
The "War on Poverty" and Poverty Today

أصدر الكونجرس إبان حكم الرئيس «ليندون جونسون» فى منتصف الستينيات، عدة تشريعات أساسية لتزويد الفقراء بالمساكن والمواد الغذائية وتوفير الرعاية الصحية لهم، واتاحة فرص التدريب أمامهم على مختلف الوظائف والاعمال. ولكن هذه الجهود لم تقم على دراسة وتخطيط كافيين. ولقد تأثرت الحرب على الفقر بالحرب فى جنوبى آسيا التى استنزفت المال، والجهد، والمخصصات المعتمدة للخدمات المدنية. وكلما ازدادت ضراوة الحرب الفيتنامية، قلت الأموال المخصصة للفقراء. ومهما يكن من أمر، فإن التحليلات الاجتماعية أشارت الى أن برامج مكافحة الفقر عنيت أكثر ما عنيت بتغيير الناس، ولم تهتم بتغيير النظم الاجتماعية العريضة التى يعيشون فى ظلها.

ومما يبعث على السخرية أنه قد استقر فى وجدان عديد من الامريكيين عدم

جدوى شن الحرب على الفقر. واستقطعت أول ميزانية يعلنها الرئيس الحالى «رونالد ريجان» فى فترة رئاسته الأولى، الكثير من المساعدات للفقراء، وذلك بحجة أن الفقر مسألة فردية لا يجدى علاجها بإصدار التشريعات، أو بإلقاء النقود للفقراء.

ومع ذلك، فثمة دلائل تشير إلى أن النسبة المئوية للفقراء قد تناقصت فى العشرين سنة الأخيرة، كما يتضح من الجدول الآتى:

جدول يبين النسب المئوية للسكان الذين

تحت خط الفقر

السنة	النسبة المئوية
١٩٥٩	٢٢ر٤
١٩٦٦	١٤ر٧
١٩٦٩	١٢ر١
١٩٧٩	١١ر٦

المصدر :

Statistical Abstract,1979, P.462 CPR. Series P 60 No24, July 1980 P.2, and No 125 October 1980.

وهذه الـ ١١ر٦٪ للناس الذين تحت خط الفقر، والمبينة فى الجدول السابق، تشكل حوالى ٢٥ر٢ مليون نسمة. وفى عام ١٩٨٠ حدد خط الفقر بمبلغ ٨ر٤٠٠ دولار للعائلة غير الزراعية المكونة من أربعة أفراد. وقد ذهب بعض علماء الاجتماع وكثير من السياسيين الى أن خفض النسبة المئوية للفقراء بمقدار النصف خلال عشرين عاما، يعد نجاحا فى رفع الاشخاص الطموحين الراغبين فى العمل وبذل الجهد، فوق خط الفقر. ولم يتبق سوى من لا أمل فى الارتقاء بهم (Kris-

tol,1978) ويرى آخرون أن التعريفات المتغيرة للفقر تخفض تخفيضا زائفا، نسبة الذين تحت خط الفقر، ويعزى جزء كبير من هذا التخفيض إلى برامج المساعدات الحكومية والتي تتمثل في تزويد هذه العائلات بالأغذية، والأموال، والمساكن، والسلع وغير ذلك، وبهذا ارتفع دخل عديد من الأفراد والعائلات فوق خط الفقر، فى حين أن دخولهم لازالت قاصرة، وغير متناسبة مع مهاراتهم المهنية. فنجد على سبيل المثال، أن ٢٧٪ من جميع العائلات عام ١٩٧٧ كانت تدرج تحت خط الفقر قبل تلقيها مختلف أنواع المساعدات المادية والعينية. وقد خفضت هذه المساعدات النسبة، الى ١٣٫٨٪ ومهما يكن من أمر من يقوم بالاحصاءات، سواء أكانت الحكومة أم المعارضة، فإنه يوجد ما بين ٢٥ و ٣٥ مليون مواطن فى الـولايات المتحـدة، يعيشون فى حالة فقر أو حالة قريبة من الفقر، دخل معظمهم أقل من ٣٫٠٠٠ آلاف دولارا للفرد.

من هو الفقير Who Are The Poor

العــرق Race

إن الـ ٢٤٫٥ مليون امريكى الذين صنفوا عام ١٩٧٨ تحت خط الفقر، كان من بينهم ١٦٫٣ مليون ابيض، و ٧٫٦ مليون زنجى و ٢٫٦ مليون من أصل أسبانى. ولكن بما أن البيض يشكلون ٨٠٪ من مجموع السكان فى الولايات المتحدة، فإنه لا يوجد الا حوالى ٩٪ فقط من البيض يعيشون فى حالة فقر. ومن نفس المنطلق، فإن ما يزيد عن ٣٠٪ من الزنوج و ٢١٫٦٪ من الذين من أصل اسبانى يعيشون فى حالة فقر. بقول آخر. فإن غير البيض الفقراء، هم أكثر من ثلاثة أضعاف البيض الفقراء.

الذكورة والأنوثة والعمر Gender and Age

إن النساء أكثر عرضة من الرجال لحياة الفقر، كما أن الأطفال وكبار السن الذين تجاوزوا ٦٥ عاما أكثر تعرضا لحياة الفقر من الشباب. وفى الولايات المتحدة عام ١٩٧٩ كان ١٥٪ من كبار السن دون خط الفقر، بالرغم من أن الأشخاص الذين تجاوزوا الخامسة والستين يشكلون حوالى ١١٪ من مجموع السكان ككل.

وفى عام ١٩٧٧ كان ٣٦٫٣٪ من كبار السن الزنوج تحت خط الفقر، وكانوا ٦٢٫٥٪ عام ١٩٥٩. وهكذا، فإن كبار السن الزنوج الفقراء اكثر من ضعف (١/٢ ٢) كبار السن البيض الفقراء. إن اكثر الناس فقرا فى الولايات المتحدة هم من بين الزنوج والنساء وكبار السن.

أماكن الاقامــة Places of Residence

غالبا ما يتجمع الفقراء فى الولايات المتحدة فى الأحياء القديمة من المدن، وفى المناطق الريفية من الجنوب الامريكى. وفى عام ١٩٧٨ على سبيل المثال، كان حوالى ٨٪ من البيض الذين يقطنون العواصم الكبيرة تحت خط الفقر، فى حين كان الزنوج يشكلون ٣٩٪. ويشكل الفقراء فى الجنوب ضعف هذا العدد، معظمهم من كبار السن الزنوج.

أســباب الفقــر
Causes of Poverty

تعــرضت بعض النـظريات لتفسـير أسبـاب الفقـر، ويمكن تصنيف هذه التفسيرات فى أربعة أنساق عريضة:

١ ـ تفسيرات تعزو الفقر الى شخصية الفرد وتصرفاته.
٢ ـ تفسيرات تعزوه الى البيئة التى يشب فيها الفرد ويطبع اجتماعيا وما يلقاه فيها من خبرات.
٣ ـ تفسيرات تعزو ذلك الى الصدفة، وإلى القسمة والنصيب، وإلى سوء الحظ، أو الى أسباب خارجة عن إرادة الشخص.
٤ ـ تفسيرات تهتم بتأثيرات البناء الاجتماعى، وبوجه خاص سوق العمل والنظام التعليمى، والتفرقة بأنواعها.

أولا : التفسيرات الفردية Individualistic Explanations

بعد عشر سنوات من كتاب «هارنجتون» الوجه الآخر لأمريكا أجرى «جورر.

فيجين Joerr. Feagin » مسحا اجتماعيا شمل عينة ممثلة لجميع المحافظات الامريكية لمعرفة الاعتقادات العامة حول أسباب الفقر، وكانت النتائج التى حصل عليها على النحو التالى:

جدول يبين أسباب الفقر التى أبداها الأمريكيون فى
لمسح الاجتماعى القومى

	مهمه جدا	مهمه الى حد ما	غير مهمه
	النسبة المئوية	النسبة المئوي	النسبة المئوية
١ ـ الاسراف وسوء التدبير من جانب الفقراء.	٥٨	٣٠	١١
٢ ـ عدم بذل الفقراء للجهد.	٥٥	٣٣	٩
٣ ـ افتقار الفقراء للقدرة والموهبة.	٥٢	٣٣	١٢
٤ ـ الانحلال الخلقى وشرب الخمر.	٤٨	٣١	١٧
٥ ـ المرض والمعوقات الجسمية.	٤٦	٣٩	١٤
٦ ـ الاجور المنخفضة لبعض الاعمال والصناعات.	٤٢	٣٥	٢٠
٧ ـ فشل المجتمع فى ايجاد التعليم المناسب.	٣٦	٢٥	٣٤
٨ ـ التعصب وأنواع التفرقة ضد الزنوج.	٣٣	٣٧	٢٦
٩ ـ فشل القطاع الصناعى الخاص فى توفير الوظائف الكافية.	٢٧	٣٦	٣١
١٠ ـ استئثار الاغنياء بالوظائف المتميزة.	١٨	٣٠	٤٥
١١ ـ مجرد سوء الحظ .	٨	٢٧	٦٠

Source: Joer. Feagin; Psychology Today, November, 1972, P. 104

من الواضح أن معظم المفحوصين يعتقدون بأن الخصائص الشخصية تحدد النجاح أو الفشل: «الاسراف وسوء التدبير»، «وعدم بذل الجهد»، «الافتقار الى القدرة

والموهبة»، «الانحلال الاخلاقى وشرب الخمر»، فقد حصلت هذه الاسباب الاربعة على أعلى النسب فى كونها أسبابا بالغة الأهمية لحالات الفقر. هذا بالاضافة الى أن السبب الخامس وهو «المرض والمعوقات الجسمية» هو أيضا صفة شخصية، وإن كانت خارجة عن ارادة الشخص. وينعكس عدم اعتقاد الامريكيين المعاصرين بالحظ، أو خلودهم الى التواكل، فى عنوان مقال كتبه «فيجين» عام ١٩٧٢ وهو: «ان الله لا يساعد هؤلاء الذين لا يساعدون أنفسهم». وقد عززت أبحاث حديثة أخرى نتائج المسح الاجتماعى الذى قام به «فيجين» ومن أهما بحث «ميخائيل لويس» عام ١٩٧٨.

ثانيا : التفسير بثقافة الفقر The Culture of Poverty Explanation

ويفسر هذا المدخل أيضا الفقر فى ضوء الخصائص الفردية، وهو يركز على عوامل تتعلق بالثقافات الفرعية مثل: العلاقات الأسرية، والقيم، والاتجاهات، والمعايير السلوكية التى ينتهجها الفرد فى مختلف شئون حياته.

ويعد العالم الأنثربولوجى «أوسكار لويس Oscar Lewis, 1959 من أهم من اتجه هذا الاتجاه، وذلك فى كتاباته عن تاريخ حياة المكسيكيين الفقراء فى قاع المدن. وقد أوجد «لويس» مفهوم ثقافة الفقر Culture of Poverty » ويعنى بها: مجموعة من الاعتقادات والسلوكيات تتلاءم مع الفقر، وهى تنتقل من الوالدين الى الطفل، وهذا من شأنه أن يجعل دائرة الفقر تتدعم باستمرار.

ويعزو «لويس» استمرارية الفقر إلى خبرات التطبيع الاجتماعى. فالطفل يتعلم القيم والسلوكيات المرتبطة بالفقر من والديه، وينعكس ذلك على حياته. وفى حين يقتصر اتجاه العوامل الشخصية على المعوقات التى توجد لدى الفرد أيا كانت، فإن مدخل ثقافة الفقر، يركز على العوامل الثقافية الفردية. ويرى أن تغيير خبرات التطبيع الاجتماعى سوف تكون لها نتائج ايجابية. وقد أفاد هذا المدخل فى إعداد معظم البرامج الفيدرالية فى الولايات المتحدة فى العقدين الأخيرين. وبالرغم من أن تغيير الناس خلال مراحل الطفولة واعادة تربيتهم وتعليمهم فى مرحلة المراهقة والرشد وتزويدهم بمختلف أنواع التدريبات، ليس بالعمل السهل أو البسيط، فإنه أثبت فعاليته ونجاحه إلى حد ما. ومع ذلك، فإن عملية اعادة التطبيع الاجتماعى لبعض

الأفراد، لم تؤثر كثيرا فى حالات فقر ملايين الفقراء الذين يقبعون محاصرين فى أعماق المدن، لأنه لم يحدث شىء يغير حياتهم الى الافضل.

ثالثا : التفسيرات الجبرية أو القدرية:

Fatalistic Explanations

يمكن القول بمعنى من المعانى، إن التفسيرات الشخصية والثقافية المتعلقة بالفقر قدر محتوم، فسوء حظ الفرد هو الذى جعله يولد لأبوين فقيرين، ومن ثم يكتسب خصائصهما، ويتطبع بثقافتيهما. ويعتقد آخرون أن بعض الناس يكونون سيىء الحظ، أو أنهم يفشلون فى انتهاز ما يتاح لهم من فرص، وتعد هذه التفسيرات أيضا من التفسيرات التى تعزو الفقر إلى خصائص فردية.

ويوجد نوع آخر من القدرية يرتبط بالاعتقاد بأن الأفراد قد كتب عليهم ما هم عليه من حال طوال حياتهم، وأن من العبث والغباء أن يحاولوا تغيير مجرى حياتهم، وأن أقصى ما يفعلونه هو الرضا بقدرهم. ويقنع عديد من الفقراء بهذا الاعتقاد انتظارا وتلمسا لحياة أفضل فى الآخرة. ويزداد الاعتقاد بالقدرية بين الفاشلين عنه بين الناجحين. فليس ثمة شك فى أنه من الأسهل للفرد أن يلوم قدره، أو الظروف الخارجة عن إرادته بدلا من أن يلوم نفسه.

ولقد نهى الاسلام عن لعن القدر وعن التواكل، فليس للانسان الا ما سعى، وأن سعيه سوف يرى، وإن من يعمل مثقال ذرة خيرا يره، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره. وقد أودع الله سبحانه وتعالى فى الانسان عقلا يفكر به، وبعث الأنبياء بالرسالات التى تخاطب هذا العقل ليعرف طريق الخير والنجاح، وكان الأنبياء أنفسهم صلوات الله عليهم، أمثلة تحتذى بصدد العمل والسعى. ولقد أمر الله سبحانه وتعالى السيدة مريم وهى فى ضعف المخاض، أن تهز اليها بجذع النخلة ليساقط عليها رطبا جنيا، ولم يسقطه عليها دون كد وتعب. بل ان بئر زمزم لم تتفجر بالمياه الا بعد سعى السيدة هاجر بين الصفا والمروة. والامثلة على قيمة السعى والعمل والحض عليه عديدة لا تحصى.

رابعا : التفسيرات الوظيفية : Structural Explanations

بعكس المداخل السابقة التى عرفها كثيرون بأنها لوم للضحية، (Ryan, 1972) فإن معظم علماء الاجتماع يهتمون فى تفسيراتهم للفقر بعوامل تتعلق بالبناء الاجتماعى، وأهم العوامل التى يوردها التفسير البنائى هى: العوامل الاقتصادية، والعوامل التربوية، وعوامل تتعلق بأنواع التفرقة المختلفة.

أ) العوامل الاقتصادية Economic Factors

يفسر الاتجاه البنائى الفقر بأنه يرجع الى النظام الاقتصادى السائد الذى لا يتيح للعمال غير المهرة إلا أحط أنواع الأعمال وأضألها. هذا بالاضافة إلى فشله فى استيعاب كل العمالة الممكنة. فعلى سبيل المثال، تسببت الميكنة الزراعية فى خفض الطلب على العمالة الزراعية وأشاعت البطالة بين العمال الزراعيين.

ولم يكن وضع العمال فى المدينة بأفضل منه فى الريف، وبخاصة مع انتقال عديد من الشركات والصناعات الخفيفة من المدن الى الضواحى البعيدة، لخفض النفقات. ولم يستطع العمال الذهاب إليها والعمل فيها لعدم توفر المساكن الرخيصة فى معظم هذه الضواحى، ولعدم الترحيب بهم فيها، وبخاصة اذا كانوا من الزنوج.

كما أن مجال الأعمال التجارية يخضع تماما للاتحادات والغرف التجارية التى تسيطر عليها بعض العائلات، وتحتكر الوظائف والأعمال، ونادرا ما تتيح لأية جماعات عرقية أخرى دخول هذا الميدان الا اذا أجبرت على ذلك بقوة القانون.

وإن أغلب الفقراء من النساء والأطفال، الذين لا يتوفر لهم فى الغالب مكان فى النشاط الاقتصادى. ولم تعط الحكومة أولوية لحل هذه المشكلات، وذلك بتدريب ربات البيوت على أعمال اقتصادية تدر عليهن دخلا على سبيل المثال. ويقول المشرعون إن على الامهات أن يمكثن فى بيوتهن لرعاية أطفالهن، ويمكن تقديم بعض العون للفقيرات منهن لمساعدتهن على التفرغ لهذا العمل. ولقد رفض الرئيس «رتشارد نيكسون» عام ١٩٧٣ التشريعات الخاصة بإقامة مراكز لرعاية الطفل، لأنه رأى أنها مدمرة للأسرة الامريكية، وزاد من المعونة التى

تعطى للفقيرات لرعاية أطفالهن، ولكن هذه المعونات لم تكن كافية، الأمر الذى اضطر هؤلاء النساء إلى تلمس أعمال أخرى غير رسمية لا تتطلب مهارة أو تدريبا مثل تنظيف المؤسسات العامة، وذلك للاحتفاظ بأموال المعونة، وتجنبت قلة من النساء حالة الفقر عن هذا الطريق.

إن أغلبية الفقراء فى الولايات المتحدة يتضمنون عائلات يعول كل منها شخص واحد على الاقل يعمل طوال الوقت. فى مجال الخدمات: حراسة المساكن، المساعدة فى أعمال المطاعم والمطابخ والفنادق، أعمال الكى وغيرها من الاعمال التى لا يكفى دخلها لاعالة أسرة، هذا بالاضافة إلى عدم التمتع الكامل لشاغليها بمزايا التأمين والرعاية الصحية، هذا بالاضافة الى أنها تخضع لمساومات مستمرة على الأجور بين العمال وأصحاب العمل. وحتى لو شاركت الزوجة زوجها فى مثل هذه الأعمال، أو إذا وجد الزوج عملا آخر بجانب هذا العمل، فإن مجموع الدخل لن يكفى لاعالة أسرة مكونة من أربعة أفراد، وسيظلون تحت خط الفقر.

ب) العوامل التربوية **Educational Factors**

غالبا ما تفشل النظم التربوية وخاصة فى المناطق الحضرية، فى تزويد التلاميذ بالمهارات اللازمة لتجنب الفقر. ويتسرب عدد كبير من التلاميذ من المدارس، أو ينظرون الى العملية التعليمية كلها على أنها لا طائل وراءها. وفى عام ١٩٧٨ لم ينتظم ثلث التلاميذ فى التعليم المدرسى فى أحدى مناطق مدينة نيويورك. ويعزى فشل هذه النسبة الكبيرة من التلاميذ فى التعليم إلى عديد من الأسباب، من أهمها: نقص فى إعدادهم ودافعيتهم للتعلم، واكتظاظ الفصول، وعدم توفر فرص الراحة أو الهدوء لأداء واجباتهم المنزلية، وعدم إدراكهم الواضح لأهداف التعليم.

وبالنسبة لكثير من الشباب الزنوج من الجنسين، فإن التعليم لا يكون موجها بدرجة كافية نحو العمالة ونحو كسب العيش. وفى عام ١٩٧٦ كان معدل العاطلين الزنوج من شباب بعض الكليات اكثر بثلاثة أضعاف من زملائهم البيض الذين فى نفس أعمارهم وكلياتهم، وأكثر بضعفين ونصف من زملائهم من

البيض خريجى المدارس الثانوية. والواقع، أن فرص العمل أمام من لم يكمل دراسته الثانوية من البيض، أكثر من فرص العمل المتاحة أمام من أكملوا هذه المرحلة من الزنوج (Hill, 1975) وهكذا، فإنه لو ظل الشباب الزنوج فى المدارس، وحصلوا على شهادة التخرج، فإن عائدهم من العمل بها سوف يقل عن زملائهم من البيض.

جـ) عوامل التفرقة Discrimination factors

اذا كان الفقر أكثر انتشارا بين الزنوج منه بين البيض فى الولايات المتحدة، فإننا لابد أن نأخذ عوامل التفرقة فى الاعتبار. وتعد التفرقة العنصرية أشد من التفرقة والتعصب على أساس السلالة أو الدين. فقد قامت هذه التفرقة حاجزا منيعا أمام الزنوج، حتى بعد اصدار قانون الحقوق المدنية عام ١٩٦٠. إن البناء الاجتماعى للمجتمع الامريكى مسئول إلى حد بعيد عن الفقر الذى يرزح تحته الزنوج.

نتائج التفسير البنائى للفقر :

Consequences of Structul Poverty:

فى التفسير البنائى، ينظر الى سمات الشخصية على أنها استجابة لظروف الفقر أكثر من كونها سببا له. واذا وجدت ثقافة خاصة بالفقر. فإنها تكون توافقا لظروف الحياة الواقعية. فتحت ظروف الحراك الاجتماعى المغلق، والاهمال، وانخفاض مستويات الطموح، فإن المعيشة اللحظية، بمعنى أن يعيش الانسان اللحظة التى يوجد فيها فقط، تعد توافقا منطقيا تماما مع هذا الواقع الأليم. وعندما يواجه كل جيل تال من الفقراء معوقات العمل وانعدام القبول نفسها، فإنه سوف تظهر نفس استجابات آبائهم السلوكية، الأمر الذى يعطى انطباعا بأن ثقافة الفقر قد انتقلت من الآباء الى الأبناء

(Rainwaiter,1966–Liebow,1967 Coward,Feagin and Williams,1974).

وطالما استمرت المعوقات البنائية، فسوف توجد ثقافة الفقر، ولكنها نتيجة للفقر

وليست سببا له.

إن حياة الفقر حياة تعيسة حافلة بالمتاعب. فالفقير غير المؤمن قد يلجأ الى الانتحار، وقد يندفع لارتكاب الجرائم ويكون مصيره غياهب السجون، ويكون عرضة للاضطرابات النفسية، كما قد يتعرض زواجه للفشل، وقد يعانى من سوء التغذية، بل ومن العديد من الامراض الجسمية الأخرى. إن نتائج الفقر عميقة وشاملة، فالفقر لا يدع جانبا من حياة الفرد الا ويترك عليه بصماته، حتى علاقاته الاجتماعية، فالشخص اذا افتقر اتهمه من كان له مؤتمنا، وأساء به الظن من كان يظن به ظنا حسنا، واستثقل الناس دمه وهجروا مجلسه، حتى حياة الفقير ذاتها قد تقصر نتيجة ما عصف بها من أنواء ومشاق. كما أن الفقير لا يستطيع بسهولة أن يلجأ الى السلطات المحلية المسئولة يطلب منها العون لعديد من الأسباب من أهمها انعدام الثقة وصعوبة الاتصال من الجانبين. ويشكل العملاء الفقراء مشكلة لا حل لها أمام القائمين على مشروعات الرفاهية والضمان الاجتماعى الذين يتعين عليهم التعامل مع هؤلاء الفقراء. (Sheehan,1976)

بقاء الفقر واستمراره
The Persistence of Poverty

كيف يمكن أن نفسر بقاء الفقر واستمراره فى أغنى دولة على ظهر الارض؟ يذهب أصحاب نظرية الصراع الى أن الفقراء أعجز من أن يواجهوا سطوة الأغنياء الذين يسيطرون على الاقتصاد ويتحكمون فى توزيع السلع والخدمات، هذا بالاضافة الى ما يتمتعون به من نفوذ كبير فى مختلف الدوائر. كما أن الفقراء أضعف من أن يواجهوا الايديولوجية التى تسوغ وتبرر انعدام المساواة.

وأما التفاعليون الرمزيون فيذهبون الى أن تعريف الفقراء للموقف الذى يوجدون فيه يدعم ذواتهم وفكرتهم عن أنفسهم التى تقوم على أنهم يفتقرون إلى مقومات النجاح، وأنه ليس أمامهم الا الخضوع والولاء للأغنياء.

ولكن، ماذا عن التحليل الوظيفى؟ كيف يعتبر الفقر توافقا فى مجتمع من المجتمعات(كتب «جانج Gangs » عام ١٩٧٢ مقالا أثار جدلا كبيرا، وحاول

فى هذا المقال أن يمزج بين التحليل الوظيفى وتحليل أصحاب نظرية الصراع لينشر قائمة تتضمن «الوظائف الايجابية للفقر» ففى حين يكون واضحا أن الفقر غير وظيفى للفقراء، فإن «جانج» يدعى أنه وظيفى لغير الفقراء الذين يفيدون منه بعديد من الطرق، يمكن أعتبارها محققة لتوافق المجتمع ككل. وقد أورد «جانج» خمس عشرة وظيفة للفقر، من بينها الوظائف الآتية:

١ - يفيد فى شغل الوظائف ذات الأجور المنخفضة، والموسمية والوضيعة، وضمان أن «الأعمال القذرة Dirty work بكل ما تتضمنه الكلمة من معنى، سوف تنجز.

٢ - إن الدخول المنخفضة للفقراء، تعنى اتاحة أموال اكثر للاستثمار.

٣ - إن العمال الذين يقومون بالأعمال المنزلية والخفيفة سوف يخففون كثيرا من أعباء الاغنياء ليتفرغوا لما هو أهم.

٤ - يوجد الفقر عديدا من الوظائف لغير الفقراء، مثل القانونيين، والمشتغلين بالخدمات الاجتماعية وغيرهم.

٥ - إن الفقراء يمكن أن يدانوا وأن يعاقبوا على ما اقترفوا من آثام، ويعطى ذلك انطباعا للجميع بسيادة القانون.

٦ - يمكن أن يتخذ الفقراء أيضا كأمثلة لما لا يود عمله، فعقابهم على بعض الأفعال يجعل الآخرين يرتدعون.

٧ - وفوق كل شىء، فإن الفقر يستبعد أعدادا كبيرة من الناس من مجالات التنافس والنضال، الأمر الذى يزيد من فرص نجاح الجماعات الاخرى، وخاصة هؤلاء الذين يزودون الفقراء بحاجاتهم من السلع والخدمات.

ويشير «جانج» الى أنه يستخلص من وجهة نظر النظرية الوظيفية ذاتها، أن الفقر سوف يستمر طالما يحقق فائدة لغير الفقراء، ويلخص «جانج» أهم الحلول للفقر فيما يأتى:

١ - جعل الفقر غير وظيفى بالنسبة للأغنياء (عن طريقة اثارة الفقراء للمتاعب أمام الأغنياء، أو التهديد باستخدام العنف معهم أو بزيادة الضرائب عليهم).

٢ - ايجاد بدائل وظيفية أخرى تكون أقل تكلفة لجميع أفراد المجتمع. ومع

ذلك، فإن جميع البدائل التى اقترحها «جانج» سوف تكون اكثر تكلفة بالنسبة للأغنياء من استمرار الوضع على ما هو عليه. ويرى أيضا ضرورة مساعدة الفقراء وخاصة كبار السن والنساء والأطفال والعجزة، عن طريق برامج الضمان الاجتماعى والرفاهية الاجتماعية.

الحراك الاجتماعى
Social Mobility

يشير الحراك الاجتماعى إلى حركة الأفراد والجماعات داخل نظام التدرج الاجتماعى. والفرق بين المجتمعات الطائفية Caste Societies والمجتمعات الطبقية Class Societies هو الفرق بين مجتمعات لا تسمح بالحراك الاجتماعى داخلها، أو تجاوز حدود المكانة التى ولد فيها الأفراد، ومجتمعات تسمح بالحراك الاجتماعى، وتجاوز المكانة التى وجد الأفراد أنفسهم فيها.

النظم الطائفية caste Systems

فى المجتمعات الطائفية تكون أغلب التحركات فى أضيق الحدود، بل تكاد تكون قاصرة على حالات الزواج والمصاهرة التى يمكن أن ترفع قليلا الوضع الاجتماعى لأحد أفراد العائلة. وتقوم النظم الطائفية أساسا على المكانات الاجتماعية الموروثة. فمكانة الأسرة الاجتماعية التى يولد فيها الفرد تحدد مجرى حياته كلها، فيما عدا بعض الاستثناءات القليلة تحدث لبعض الموهوبين والمحظوظين. ويحافظ على حدود النظم الطائفية عن طريق التحكم فى الزواج والتعليم والعمل. وغالبا ما ترتبط النظم الطائفية بالمجتمعات البسيطة أو النامية. ولكن من الخطأ اعتبار هذه الظاهرة مجرد ميراث عن الماضى غير المستنير، فإن النظم الطائفية مازالت توجد بكل ضوابطها فى بعض المجتمعات الحديثة. فنجد على سبيل المثال أن النظام السياسى في جنوب أفريقيا يقوم على أساس النظم الطائفية، وكذلك الحال فى الهند. بل إن هذا النظام يوجد فى بعض مناطق من امريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية. فقد كان الزواج محرما وممنوعا بين البيض والزنوج فى أمريكا حتى عام ١٩٦٥ حيث ألغيت هذه الاجراءات عقب حادثة مشهورة

لقصة حب بين شاب أبيض وشابة زنجية كانت ولاية فرجينيا مسرحا لاحداثها.

ويمكن القول، انه توجد فى الولايات المتحدة بعض العناصر التى تميز المجتمع الطائفى وهى:

١ - **أماكن الاقامة**: يوجد فصل واضح فى المساكن بين البيض والاجناس الأخرى.
٢ - **المؤسسات التعليمية** : يفرق فى التعليم بين البيض والاجناس الاخرى مثل الزنوج ومن ينحدرون من أصل أسبانى، بصرف النظر عن الموهبة.
٣ - **البناء المهنى** : وفيه تشغل جماعات الأقليات مهنا وأعمالا وضيعة.

وهكذا، يمكن أن نجد عناصر من كل من النظامين الطائفى والمفتوح فى المجتمع نفسه. ولا يوجد مجتمع مفتوح كلية أو مغلق كلية. ولكن يمكن أن يوجد تباين كبير فى احتمال الحراك الى أعلى أو الى أسفل داخل المكانات المتدرجة هرميا.

النظم الطبقية Class Systems

تقوم النظم الطبقية على كل من الخصائص الموروثة والمكتسبة مثل الموهبة، والقدرة، والجد والاجتهاد، والطموح، والحظ الذى يتيح للافراد الوصول الى مكانات أعلى أو أدنى من مكانات أبائهم أو عشيرتهم، وهذا ما يطلق عليه «التحرك عبر الأجيال» كما يمكن أن يتحرك الفرد داخل نظام التدرج الاجتماعى أثناء فترة حياته، وذلك ما يطلق عليه «التحرك عبر الجيل».

الحراك الاجتماعى الى أعلى Upward Mobility

تعطى حالة الرئيس الامريكى «ابراهام لنكلن» مثالا نمطيا للحراك الاجتماعى الى أعلى، فقد قادته موهبته، وطموحه، ومثابرته، وجهده ونجاحه، من الكوخ الخشبى الذى كان يقطنه الى البيت الابيض، مقر الرئاسة فى الولايات المتحدة. ويضرب هذا المثل دائما لتأكيد الاعتقاد بأن الموهبة والعمل الشاق والاجتهاد يمكن أن يجعل الانسان يحرز أعلى مكانة. وقد ظهرت فى نهاية القرن الثامن عشر حركة

أدبية كبيرة لاستثارة عزائم وطموحات الشباب، وقد تزعم الكاتب الأمريكى «هوراتيو ألجر Horatio Alger » هذه الحركة، وكتب عدة كتب حاول أن يؤكد فيها لقرائه من الشباب قيمة العمل وأخلاقياته، وأن الشباب يستطيع بالعمل الشاق، والموهبة، والصبر والمثابرة أن يرتفع من القاعدة إلى القمة، وأن ينتقل من العسر الى اليسر. ومازال هذا الاعتقاد راسخا رسوخا قويا لدى الشباب الامريكى حتى أنهم إذا لم يصلوا إلى ما يصبون إليه من ثراء، مع الأخذ بكل هذه الأسباب، فإنهم يقولون إن الحظ تخلى عنهم، ولكن أبناءهم سوف يحققون ذلك.

الحراك الاجتماعى الى أسفل Downward Mobility

إذا كنا قد ذهبنا الى القول بأن العمل الشاق، والجد، والاجتهاد، والطموح والمثابرة يمكن أن يساعد الفرد على ارتقاء درجات السلم الاجتماعى حتى القمة، فإن صفات أخرى مثل الكسل، والدعة، وافتقاد، الطموح والهمة وغير ذلك من صفات سلبية، يمكن أن تجعل الفرد ينحدر من مكانته الاجتماعية حتى يستقر فى القاع. وتحفل الحكايات الشعبية لدى جميع الشعوب بعديد من الأمثلة على ذلك.

الحراك الأفقى Horizontal Mobility

يغير عديد من الناس اليوم وظائفهم وأعمالهم. ولا يقتصر الأمر على تغيير الوظائف والأعمال، بل إن كثيرا من الأفراد والعائلات ينتقل من ولاية الى أخرى، ومن مدينة أو قرية الى مدينة أو قرية أخرى، حتى يستطيعوا العيش بالدخل نفسه معيشة أفضل كثيرا، وتحدث معظم هذه التغيرات دون صعود أو هبوط فى وضعهم الاجتماعى.

ويقاس الحراك الاجتماعى للمرأة بمقارنة المكانة الاجتماعية لأبيها بالمكانة الاجتماعية لزوجها، فالزواج أو الطلاق يمكن أن يكون له تأثير كبير على الحراك الاجتماعى للمرأة. ومع ذلك، فإن معظم النساء اليوم ينخرطن فى قوة العمل، ويشاركن فى ايجاد حياة أفضل ومستوى معيشة أرقى للعائلة ككل، والحصول على

مكانة مهنية خاصة بهن.

الحراك الاجتماعى فى الولايات المتحدة :

يمكن القول بوجه عام، إن المرونة الكبيرة للحراك الاجتماعى تعد خاصية من خصائص المجتمعات الصناعية ذات النظم السياسية الديمقراطية التى تتيح فرصا متكافئة، وتنخفض فيها معدلات المواليد. وتوجد فى هذه المجتمعات باستمرار وظائف وأعمال جديدة، بينما عديد من الوظائف العليا، لا يمكن للصفوة مهما بلغ عددهم أن يشغلوها، وخاصة فى دولة مثل الولايات المتحدة التى تنمو اقتصادياتها نموا هائلا.

ويتفق معظم علماء الاجتماع على أنه يوجد حراك اجتماعى كبير إلى أعلى فى الولايات المتحدة. ولا تنفرد الولايات المتحدة بهذه الخاصية، بل يشاركها فى ذلك عدد كبير من الدول الصناعية. وأتيحت خلال الاحقاب العديدة الماضية كثير من الفرص أمام ذوى الياقات الزرقاء (أصحاب العمل اليدوى) ليصبحوا من ذوى الياقات البيضاء (أصحاب العمل غير اليدوى) وقد قام «جرهارد لنسكى عام ١٩٦٦ Gerhard Lenshi » بدراسة مكثفة عن التمرتب الاجتماعى، أظهرت أن ما يقرب من ثلث الذكور فى الولايات المتحدة قد حققوا حراكا اجتماعيا إلى أعلى بعد الحرب العالمية الثانية، وخلال الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٦٥. وكانت النسبة فيما يتعلق بالرجال فى السويد هى ٣٢٪ وفى بريطانيا ٣١٪ وأما فى كل من الدانمارك والنرويج فقد بلغت ٣٠٪ وكانت المقارنة فى معظم هذه الدراسات بين المكانة المهنية للأباء والمكانة المهنية للأبناء وقت اجراء الدراسة.

وبالاضافة إلى الدراسات التى أجريت حول التغير فى المهن خلال الأجيال، أجريت دراسات أخرى حول تغير المهن خلال الجيل نفسه، وذلك بالسؤال عن أول عمل أو مهنة التحق بها الفرد، وآخر مهنة شغلها أو يشغلها. وقد أظهرت مثل هذه الدراسات أنه يوجد حراك اجتماعى ولكنه أقل من معدل الحراك الاجتماعى بين الأجيال.

ويشير ذلك، إلى أن بناء Structure الاقتصاديات الصناعية الحديثة الذى

يشجع الحراك الاجتماعى الى أعلى، يتعلق بتطور المجتمع وتغيره، أكثر مما يتعلق بالدوافع الفردية. إن أغلب التحرك فى نظام التدرج الاجتماعى يمكن أن يعزى إلى عوامل اجتماعية، أكثر مما يعزى الى عوامل فردية. وإن مثل هذه العوامل الاجتماعى (متطلبات الحراك) تتضمن التغيرات فى البناء الاقتصادى، ومعدل المواليد فى العصور المختلفة. هذه التغيرات التى تؤثر فى معدلات الحراك الاجتماعى بالنسبة للأجيال، والحراك الاجتماعى بالنسبة لجيل واحد. أى أن هذه التغيرات هى التى تحدد امكانيات تحرك أعضاء جماعة فرعية إلى أعلى، أو عدم تحركها وبقائها فى المكانة نفسها. وربما تكون العوامل الشخصية كالموهبة والدافع والحظ، لها أهميتها فى تفسير من هو الذى سيتغير وضعه، ومن هو الذى لن يتحرك وضعه داخل نظام التدرج الاجتماعى (مجرد الحراك Pure Mobility) ولكن أغلب البحوث عن الحراك الاجتماعى، تعزوه إلى التأثير الكبير للقوى والعوامل البنائية فى المجتمع.

إن الحراك الاجتماعى البنائى، يشير إلى التغيرات فى النظام الاقتصادى، الذى يفتح الطريق أمام الاشتغال بالعمل العقلى، ويوسع المجال ويفسحه للياقات البيضاء، ويقلل من مجال العمل اليدوى. وتتصف المجتمعات الصناعية الحديثة أو العصرية بالتغيرات البنائية التالية:

١ - ميكنة الزراعة Mechanization of Agriculture

تقلل الميكنة الزراعية بدرجة كبيرة من الحاجة الى العمال الزراعيين. الأمر الذى أدى الى الاستغناء عن كثير منهم، والتماس العمل فى أماكن أخرى. وكان معظمهم من ذوى المهارات الضئيلة، كما أن حظهم من التعليم كان متواضعا، ولم يكونوا يتقاضون الا أجورا ضئيلة على خدماتهم.

وقد أتاحت هذه الميكنة الزراعية لأبناء أصحاب المزارع التحول الى العمل غير اليدوى ليصبحوا من ذى الياقات البيضاء.

٢ - التوسع فى الوظائف الادارية وغيرها من الأعمال اليدوية:

حدث هذا التوسع فى جميع المجالات المحلية والاتحادية وكان من نتيجة ذلك

أن ازداد عدد الوظائف الكتابية، والوظائف فى مجال المبيعات وتضاعف ثلاث مرات منذ عام ١٩٠٠م.

٣ ـ النمو الكبير فى قطاع الخدمات العامة:

وذلك مثل الخدمات فى المجال الحكومى والتعليمى، والرعاية الصحية والخدمات الاجتماعية. وقد أشارت الاحصاءات الى أن عدد العاملين فى هذه المجالات تضاعف فى المدة من عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٧٨م فى حين ظل عدد العمال الزراعيين ثابتا، بالرغم من التقدم والنمو الهائل فى مجال الزراعة. وكانت أكبر زيادة فى مجال التعليم الرعاية الصحية.

الخصائص الفردية للحراك الاجتماعى الى أعلى :
Individual Characteristics of The Upwardly Mobile

إذا تجاوزنا العوامل الاجتماعية البنائية فى الحراك الاجتماعى، فهل يوجد تأثير للعوامل والخصائص الفردية يرتبط بالنجاح فى نظام التدرج الاجتماعى؟ أظهرت البحوث فى كل من الولايات المتحدة وكندا، أن من الأفضل للشخص أن يكون: رجلا، وأبيض، والطفل الوحيد أو الأول لأسرته.

وقد أجرى «أوتو» و «هالر» عام ١٩٧٩ (Otto and Haller) أربع دراسات رئيسية، استخلصا منها كيفية تأثير طموحات الآباء فى الأبناء (ولم يعرض الباحثان للموقف بالنسبة للاناث فى أى من هذه الدراسات) كما استخلصا كيفية انتقال هذه الطموحات خلال عملية التطبيع الاجتماعى التى تتم داخل العائلة. وغالبا ما يحدث التوجيه خلال عملية التطبيع الاجتماعى فى بيوت افراد الطبقة الوسطى أكثر مما يحدث فى بيوت أفراد الطبقة العاملة. وان كان ذلك لا يمنع من حدوثه أحيانا فى بيوت أفراد هذه الطبقة. ومجمل القول، إن طموحات الآباء تنتقل الى الأبناء عن طريق تدارس الخبرات والتعزيز المستمر لدفع الابناء لتحقيق ما يتوقعه الآباء منهم. ومع ذلك، فقد وجدت بعض الدراسات الاخرى. أن هناك عوامل أخرى تؤثر فى هذا الانتقال من طبقة اجتماعية الى أخرى، مثال ذلك ما يحدث فى الولايات المتحدة من تفرقة عنصرية. ومن أمثال هذه الدراسات دراسة الطبقة

الوسطى والطبقة العاملة فى احدى كليات البنات الزنوج التى قام بها «هيجنبثهام عام ١٩٨١ Higginbotham » وقد وجد فى هذه الدراسة دعما عاما من الوالدين لطموحات بناتهن.

وكذلك فإنه من الصعب عزل ما يتم داخل الاسرة من تفاعل اجتماعى بصدد الطموح، عن متغيرات أخرى خارج الأسرة، كالمعلمين فى مراحل الدراسة المختلفة، والمناهج الدراسية، وقدرة الآباء على توفير نفقات التعليم العالى لابنائهم. ويمكن القول إن الدافعية إلى الانجاز والطموح يمكن أن تتأثر بالوضع الاجتماعى للاباء، والذى يتمثل فى عوامل الجنس والعرق والمكانة العائلية.

وينبغى أن يكون واضحا، أنه فيما يتعلق بالحراك الاجتماعى إلى أعلى فإن أفراد المجتمع لا يبدأون كلهم من نقطة بداية واحدة، ولا ينتهون كلهم إلى نقطة نهاية واحدة. وهذا أمر واضح، ولكن ما هو غير واضح تماما، أو ما هو أقل وضوحا، هو الكيفية أو الطريقة التى ينتقل بها الأفراد من طبقة الى أخرى، أو من موقع الى آخر فى نظام التدرج الهرمى.

الدراسات الخاصة بالحصول على المكانة الاجتماعية:
Status Attainment Studies

تعد الدراسة التى قام بها «بلو Blau » و «أوتى Ottis » عام ١٩٦٧ الخاصة بالحصول على المكانة الاجتماعية، من الدراسات الأساسية التى أجريت عن الحراك الاجتماعى. ولقد وجد الباحثان أن المكانة المهنية للأب هى مؤشر للتنبؤ بنوع تعليم الابن، وأول وظيفة يلتحق بها. فالمكانة المهنية للأب وما يرتبط بها من وضع اجتماعى، تؤثر تأثيرا قويا فى نوع التعليم الذى سيتلقاه الابن ومدته، وهذا بدوره يلعب دورا هاما فى أول وظيفة يلتحق بها، وأول عمل يقوم به.

وفى دراسة استخدمت طريقة المسح الاجتماعى وشملت إحدى عشرة قومية فى الولايات المتحدة (وقد خلت هذه الدراسة أيضا من عينة من البنات واقتصرت على الذكور) قام بها جنكز Jenks مع فريق من زملائه عام ١٩٧٩م وجدوا أنه بالرغم من أن الحظ مازال يلعب دورا فيما يتعلق بالعمل التى يتكسب منه

الشخص، فإن العوامل المتعلقة بالخلفية الاسرية. مازالت هى أقوى العوامل فى تأثيرها فيما يتعلق بالحصول على المكانة المهنية، والعمل الذى يتكسب منه الفرد، فإن من الأفضل للفرد الامريكى لكى يمضى قدما فى نضاله: أن يكون أبيض، من أصل أوروبى شمالى، وأن يكون يهوديا أو بروتستنتينيا، وأن يكون من عائلة صغيرة العدد، ومن أبوين حصلا على تعليم جامعى، وأن يكون دخلهما مرتفع نسبيا، ولكن توجد استثناءات بطبيعة الحال.

نقد الدراسات الخاصة بالحصول على المكانة الاجتماعية:

Critique of Status Attaiment Studies

تؤخذ معظم الدراسات الخاصة بالحصول على المكانة الاجتماعية من زاوية المنظور البنائى. فالاساس الذى تقوم عليه المناقشة بالدرجة الأولى، هو أن الاشخاص الذين يتمتعون بخصائص معينة مثل التعليم، والدافعية، والحظ يستحقون أن يأخذوا أكثر مما يأخذه الآخرون. وهذا هو الاتجاه الرأسمالى من التدرج الاجتماعى، والذى فيه تترجم قيمة الشخص فى النظام الاقتصادى إلى وضع مهنى وإلى دخل، ومكانة اجتماعية. بقول آخر، إن الصفات التى يتحلى بها الفرد فى النظام الاقتصادى، هى التى تحدد وضعه الاجتماعى. وفى الحالات التى لا تؤهله فيها صفاته للحصول على الدخل المناسب، فإن ذلك يعنى وجود اختلال فى السوق أو فى أى نظام من النظم الاجتماعية.

ويرى أصحاب نظرية الصراع أن هذا الاختلال أو القصور لا يحدث مصادفة، وانما هو جزء من النظام الاقتصادى، فالنساء، والزنوج، وشباب الطبقة العاملة يدفع بهم الى قطاعات اقتصادية نادرا ما يحققون فيها حراكا اجتماعيا إلى أعلى (Beck et al, 1980) وبالرغم من أنه يوجد اليوم حراك اجتماعى الى أعلى أكثر مما كان عليه الأمر فى الماضى فإن الوضع النسبى للجماعات الفرعية لم يتغير. أى أنه برغم وجود عديد من حالات النجاح لأفراد من الزنوج والنساء، فإن المكانة الاجتماعية النهائية للنساء والزنوج فى النظام الهرمى للوظائف والمهن والدخول ظلت ثابتة خلال الاحقاب القليلة الماضية. وثمة دلائل تشير الى أن متوسط دخل الذكور الزنوج على سبيل المثال، قد انخفض بالمقارنة بدخل أمثالهم

من البيض. وأن دخل النساء العاملات مازال قريبا من نصف دخل الرجال.

ومما تجدر الاشارة إليه، أن معظم الدراسات التى أجريت عن الحصول على المكانة الاجتماعية قد اتخذت الرجال البيض موضوعا لها (Burawoy, 1977) وتدل الدراسات الحديثة عن الزنوج والنساء، أن طريقة حصولهم على مكانة اجتماعية تختلف تماما عنها لدى الرجال البيض. فعلى سبيل المثال، فإن الزنوج والنساء يحصلون على مكانة اجتماعية أقل مقابل ما بلغوه من تعليم، وما حصلوا عليه من شهادات بمعنى أن الشهادة الجامعية التى يحصل عليها الزنوج والنساء تتيح لهم الالتحاق بعمل أقل أهمية وأضأل اجرا، مقارنة بما يحصل عليه الرجال البيض الحاصلون على نفس الشهادة.

ويحتدم الخلاف بين علماء الاجتماع حول قياس ومعنى المعارف المتعلقة بالحراك الاجتماعى. فهم يختلفون حول الوزن النسبى للذكاء، والتعليم، والخلفية الأسرية فى تحديد الحصول على المكانة الاجتماعية. ومع ذلك، فإنه يمكن القول، إن العائلة التى يولد فيها الفرد هى المتغير الأكثر أهمية. وإن معرفة الوضع الطبقى يعد أكثر أهمية من معرفة نمط الشخصية أو نسبة الذكاء، اذا أردنا أن نتنبأ بالنجاح المهنى للشخص.

المكانة الاجتماعية وأسلوب الحياة اليومية
Social Status and Everyday Life

خلال ما تحفل به الحياة اليومية من أخذ وعطاء، فإن الناس يتلقون ويعطون معلومات عن أنفسهم. وقد استخدم «جوفمان Goffman, 1959 » مصطلح «الانطباع الظاهر» لوصف هذه المحاولات التى نقوم بها للتأثير على الآخرين لتكوين صورة معينة لنا نهدف بها إلى إيجاد واجهة مقبولة لنا من الآخرين.

وكثيرا ما نرى الاشخاص أنفسهم على أنحاء مختلفة، ويرجع ذلك اكثر ما يرجع إلى ادراك هؤلاء الأشخاص للمكانة الاجتماعية التى يشغلها من يتعاملون معه، فهناك سلوك معين مع الأعلى مكانة، وسلوك آخر مع المتساوى فى المكانة، وسلوك ثالث مع الأدنى مكانة. ويتجلى ذلك بوضوح فى أسلوب التخاطب، كما

يتجلى فى الجلوس أو الوقوف أو حتى فى الصمت.

وفيها يتعلق بالواجهة التى يجب أن يكون عليها الشخص أمام الناس، وخاصة فى المجتمعات التى يهتم فيها الناس بالمظهر دون المخبر، فالافراد يهتمون بعديد من الأشياء معظمها استهلاكية، كالملابس الفاخرة والسيارات الحديثة، والساعات الثمينة، والأثاث والسجاد المختلف اشكاله وألوانه والثريات الكهربائية، وما الى ذلك من رموز ودلائل على الثراء، بقصد اعطاء انطباع ظاهرة كما ذهب الى ذلك «جوفمان».

تعريف دلالات المكانة الاجتماعية Identifying Status Cues

إن لدينا جميعا مهارات الحكم على المكانة الاجتماعية، والمقارنة بين الناس بهذا الصدد، برغم ادعاء الكثيرين أنهم لا يفعلون ذلك، أو على الاقل لا يقصدونه. اننا نقوم الناس فيما يتعلق بالعمر، والجنس، والعرق، والديانة او المذهب. إن المقارنة بالنسبة للدين أو المذهب أو السلالة أقل وضوحا ولكنها موجودة. ولكن الاكثر وضوحا، ودلالة على المكانة الاجتماعية الاقتصادية هى ما يرتديه الانسان من ملابس، ونوع مسكنه والحى الذى يقطن فيه وما يلفظ به من حديث، ومن يتخذهم من أصدقاء، ففى الجامعة على سبيل المثال، يقوم تمييز المكانة التى يحتلها الفرد فى التنظيم الهرمى للمكانات على أساس نوع الملابس التى يرتديها، والسيارة التى يقودها: نوعها وموديلها، والساعة التى فى معصمه والمسكن والحى وغير ذلك. ومن هنا يحرص كثير من الناس على مثل هذه المظاهر للمحافظة على صورة ذواتهم.

ملاحظات حول انعدام المساواة الاجتماعية

Reflections on Social Inequalities

لا نعرف مجتمعا يتساوى فيه توزيع المصادر الاجتماعية ذات القيمة وهى السلطة والهيبة والملكية. فالناس يتفاوتون على الأقل فى العمر، والجنس، ونوع العمل، ودخولهم من هذا العمل. وتثار كثير من المناقشات فيما يتعلق بالتدرج

الاجتماعى. وحول المكانة الأعلى التى يحتلها الرجل بالمقارنة بالمكانة التى تحتلها المرأة والتى هو جدير بها نتيجة الاعمال الاكثر أهمية التى يضطلع بها، أو لما يقوم به من أعمال لا تستطيعها المرأة.

وتذهب وجهة النظر الوظيفية الى أن المهارات والمواهب لا تتوفر الا للقليلين، لما تتطلبه من مراحل طويلة من التعلم، ومن التدريب الشاق والصبر والمثابرة، الأمر الذى ينبغى أن يكافأ عليه صاحبها وذلك من أجل خير المجتمع. والنقد الذى يثار حول وجهة النظر هذه، ان المكافآت والعطايا تغدق على هؤلاء الذين يتـاح لهم فرص مثـل هذا التعليم وذاك التدريب، فى حين يحرم منها أعضاء المجتمع الآخرون الذين لم تتح لهم مثل هذه الفرص، بالرغم من أن الموهبة لا تنقصهم، وأن القدرة على العمل والصبر والمثابرة لا تعوزهم. ويرى أصحاب نظرية الصراع أن مدى Range الاختلاف والتباين بين القمة والقاعدة فى معظم نظم التدرج الاجتماعى، مدى اوسع جدا، أكثر مما يتطلبه ضمان انجاز الأعمال التى يحتاجها المجتمع. ليس هذا فحسب، بل إن افراد عائلات معينة تحتكر هذه الوظائف والأعمال المجزية لعدة أجيال. وقد وصف «روبرت ميرتون عام ١٩٧٣ هذا النوع من التوزيع غير المتكافىء بعبارة وردت فى «العهد الجديد» وهو الانجيل، معناها: «الاغنياء يعطون حتى يصبحوا أكثر غنى. والفقراء يحرمون حتى يصبحوا أكثر فقرا» والاسلام الحنيف له منظور آخر بطبيعة الحال، فالله سبحانه وتعالى لا يضيع أجر من أحسن عملا يقول تعالى: «فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى» ولا يفرق الاسلام بين رجل أو أمرأة، أو أبيض وأسود.

وتثير هذه الظاهرة موضوعا آخر يدور حوله الجدل: هل يصل أفراد عائلات معينـة وطبقة اجتماعية خاصة دائما الى قمة المكانات الهرمية عن طريق الوراثة ولخصـائص فطرية فيهم، أم عن طريق اكتسابهم وتحصيلهم لصفات تؤهلهم لاحتلال هذه المكانات؟ يذهب البعض الى أن بقاء الصفوة Elites على رأس هذه المكانات الاجتماعية إنما هو نتيجة طبيعية لذكائهم المرتفع الموروث وما يرتبط به من انجاز. ولكن بعض العلماء الاجتماعيين يرون رأيا آخر، وهو أن هذه الظاهرة ترجع أكثر ماترجع الى احتكار الصفوة للوسائل والطرق والمقومات التى تتيح لهم مثل هذا الانجاز، وذلك مثل: التعليم، والتدريب المهنى على الوظائف المرموقة،

وعلى الأماكن المهيئة لهم فى الشركات والمؤسسات، بل وايضا لسهولة حصولهم على ما يريدون من قروض من البنوك «Ratcliff » وفى بلاد مثل الولايات المتحدة وكندا، لن يستطيع أفراد الجماعات الأقل مكانة أن يصعدوا إلى أعلى، إلا إذا لم يتوفر العدد الكافى من أبناء الطبقة العليا لشغل الوظائف المرموقة، ويتاح ذلك بوجه خاص فى هذه البلاد التى تزدهر اقتصادياتها، وبالتالى تكثر الوظائف المرموقة فيها.

الخلاصـــة

Summary

يعـالج هذا الفصل أسباب ونتائج انعدام المساواة الاجتماعية: التوزيع غير المتسـاوى للسلطة، والهيبة، والملكية، وانعكاسات ذلك على فرص الحياة أمام الأفراد، وعلى أسلوب حياتهم. وان معرفة الوضع الطبقى الاجتماعى للشخص، تتيح لعالم الاجتماع أن يعرف الكثير عن أسلوب حياة هذا الشخص، واتجاهاته، وقيمه، واحتمالات مواجهة ما يلقاه أثناء حياته من خبرات. فعلى سبيل المثال، كلما ارتفع وضع الانسان الطبقى زادت احتمالات تمتعه بصحة جسمية ونفسية، واحتمالات توفيقة فى زواجه. فالناس الذين ترتفع دخولهم ودرجة تعليمهم يكون لديهم من المصادر الشخصية والاجتماعية ما يمكنهم من مواجهة ما قد يتعرضون له من ضغوط مختلفة. وأما الناس الذين تنخفض دخولهم ودرجة تعليمهم، فإنهم يكـونون أكثر تعرضا للمتاعب المختلفة. وكذلك فإن الاختلافات فى الاوضاع الـطبقية الاجتماعية تؤدى الى اختلافات فى اسلوب الحياة، والاتجاهات والقيم والاعتقادات، وفى انماط تربية الأطفال، والأنشطة المتعلقة بأوقات الفراغ، وفى تقدير الناس لأنفسهم، وحتى فى أنماط صداقاتهم.

وقد ذكر «ميخائيل هارنجتون» فى كتابه «الوجه الآخر لامريكا» عام ١٩٦٠ أن ٣٩ مليون امريكى يعيشون فى حالة فقر، أى حوالى $\frac{1}{٣}$ سكان الولايات المتحدة آنذاك. وقد خفضت الاعتمادات المخصصة لحرب الفقر نتيجة الحرب فى فيتنام، ونتيجة للتحول فى نظرة السياسيين إلى ما لها من أولوية، وكذلك لضعف اهتمام الرأى العام بهذه المشكلة.

وتشير الاحصاءات الصادرة فى الولايات المتحدة الى انخفاض نسبة السكان الذين يعيشون فى حالة الفقر ما بين ١٩٦٠ و ١٩٨٠م بالرغم من أن بعض هذا الانخفاض يعزى الى التغير فى التعريفات الرسمية للفقر. وفى عام ١٩٧٩ كان يوجد ما بين ٢٥ و ٣٥ مليون شخص أمريكى يقل دخلهم عن ٣٫٠٠٠ آلاف دولار سنويا، وهو ما يعتبر تحت خط الفقر أو قريبا جدا منه. ويوجد بين هذا العدد من الفقراء نسبة كبيرة من غير البيض، والنساء، والاطفال، وكبار السن، والمقيمين فى قاع المدن.

وتتلخص أهم أسباب استمرار الفقر فيما يأتى: قد يعزى الفقر الى شخصية الأفراد أنفسهم وتصرفاتهم، أو قد يرجع الى ظروف البيئة الثقافية. وقد يكون الفقر نتيجة سوء الحظ، أو عوامل خارجة عن ارادة الفرد. وقد يرجع الفقر الى عوامل تتعلق بالبناء الاجتماعى مثل نقص فرص العمالة، أو نقص فى فرص التعليم المتاحة. وللفقر نتائج بالغة العمق والشدة فهو يؤثر على كل مظاهر حياة الفرد. ويقول كابلوفتز Caplovitz ان الفقير يمكن أن يدفع ثمنا اكبر مما يدفعه الغنى للحصول على ضرورياته من الطعام والملبس. ويستمر الفقر فى الولايات المتحدة إلى حد ما بتأثير «الوظائف الايجابية» التى يؤديها الفقر للناس الأغنى والأقوى.

ويتكون نظام الضمانات الاجتماعية والرفاهية الاجتماعية من عدد من البرامج الفيدرالية والمحلية التى تهدف الى تزويد الفقراء بحاجاتهم من الطعام، والسكن، والرعاية الصحية وحتى بالنقود. ويمكن التقليل من حالة انعدام المساواة بعديد من الطرق أهمها الضرائب التصاعدية.

ويتضمن الحراك الاجتماعى حركة الأفراد والجماعات. وتتميز المجتمعات الطبقية المغلقة بانعدام الحراك الاجتماعى بعكس المجتمعات الطبقية التى تتيح الحراك الاجتماعى. ويعزى الحراك الاجتماعى الملحوظ الى أعلى، فى المجتمعات الصناعية، الى التغيرات البنائية فى اقتصاديات الدول الصناعية، والذى يؤثر فى أنواع الوظائف المتاحة. وبالرغم من أن بعض الدراسات الحديثة تشير الى زيادة فرص الحصول على مكانات اجتماعية أفضل، فإن الوضع الاجتماعى الطبقى للأباء مازال يؤثر فى المكانة الاجتماعية التى يحققها الأبناء. ولقد وجد «جنكز

Jenks ، أن عوامل الخلفية الأسرية مازالت أقوى العوامل فى المكانة المهنية و الدخول.

ولا يوجد مجتمع تتوزع فيه السلطة، والهيبة، والملكية توزيعا متساويا. ويختلف علماء الاجتماع فى تفسير هذه الظاهرة، كما يختلفون فى تفسير أسباب استمرار انعدام المساواة فى البلاد الغنية.

قراءات مقترحــة

Blauner, Robert. *Alienation and Freedom: The Factory Worker and His Industry*. Chicago: Univ. of Chicago Press, 1964. A major analysis of the processes of worker alienation under modern methods of production that influenced much subsequent research and theory.

Blumberg, Rae Lesser. *Stratification: Socioeconomic and Sexual Inequality.* Dubuque, Iowa: Brown, 1978. The author integrates the concepts of sexual and socioeconomic stratification in an historical and comparative analysis of inequality.

Harp, John and **John Hosley** (Eds.) *Structured Inequality in Canada.* Scarborough, Ontario: Prentice-Hall of Canada, Ltd., 1980. The many facets of inequality among Canadians are examined by contributors to this recent collection. Regional, class, and gender differences, income distribution, poverty, and the political economy of status groups are discussed.

Harrington, Michael. *The Other America.* New York: Macmillan, 1962. A classic study in which Harrington helped "re-discover" the prevalence of poverty among one-third of the population at the same time that the majority of U.S. families enjoyed unprecedented prosperity.

Hauser, Robert and **David Featherman.** *The Process of Stratification: Trends and Analysis.* New York: Academic, 1977. In a 1972 update of the original Blau and Duncan study of the U.S. occupational structure (1962), the authors conclude that the chances of upward mobility have increased over time as the effect of parental status has lessened.

Jencks, Christopher et al. *Who Gets Ahead?* New York, Basic, 1979. This extensive reanalysis of eleven major studies of status attainment identifies the primary variables in upward mobility for U.S. males and provides estimates of their relative importance in this process

Seifer, Nancy. *Nobody Speaks For Me! Self-Partraits of American Working-Class Women.* New York: Simon & Schuster. 1976. A sensitive portrait of ten working-class women and their struggles with work, their family lives, community involvements, and political activism.

الفصـــل التاســـع

التـــدرج الـــطبقى الاجتمـاعى على أساس الجنس والعمر

Gender and Age Stratifiction

الفصل التاسع
التدرج الطبقى الاجتماعى على أساس الجنس والعمر
Gender and Age Stratifiction

بالرغم من أننا غالبا ما نأخذ الجنس، الذكورة والانوثة، أمورا مسلما بها، ولا نفكر فى أهميتها فيما يتعلق بتأثيرها على وضع الشخص فى البناء الهرمى للمكانات الاجتماعية، فانها تعد عوامل بالغة الأهمية فى تحديد هذه المكانات. ما هى أهمية صفات الذكورة أو صفات الأنوثة فى تحديد وتقويم أدوار الراشدين؟ هل يغلب احتمال حصول الذكور على هيبة أكبر، أو على سلطة أعلى، أو على تحكم أقوى من الاناث فيما يتعلق بالثروة والملكية؟ وإذا كان ثمة اختلاف، فما هى أهم أسبابه؟

وبالمثل، ما هو تأثير العمر على توزيع المصادر الاجتماعية ذات القيمة؟ هل تتوزع السلطة، والهيبة، والملكية توزيعا غير متساو بين الفئات العمرية؟ هل تتغير مكانة الفرد الاجتماعية بتغير مراحل حياته؟ وإذا حدث ذلك، فبأية طريقة؟

هذه هى أهم الاسئلة التى سوف نحاول أن نجيب عنها فى هذا الفصل. وفى الجزء الأول منه، سنعالج موضوع التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة، وأما الجزء الثانى فسيتناول التدرج الاجتماعى على أساس العمر.

التدرج الطبقى الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة
Gender Stratification

الذكورة أو الأنوثة خاصية بيولوجية، أما الأعمال التى توكل الى كل من الذكور

أو الاناث فهى مكتسبة يتوقف الكثير منها على البناء الاجتماعى والسياق الثقافى لكل مجتمع من المجتمعات. وإذا كان هذا التمييز واضحا فإننا نستطيع أن نطلق على مكانة كل من الذكور والاناث اسم «المكانات الموروثة» أى (المكانة المتعلقة بالجنس) ونستطيع أن نطلق على الأعمال التى يقوم بها كل من الذكور والاناث اسم «الخصائص المكتسبة» أى (الأدوار المتعلقة بالجنس) ونقصد بها ما تحدده الثقافة السائدة من اتجاهات وتصرفات وأوضاع اجتماعية خاصة بكل جنس. وبذلك يمكن أن تختلف هذه الأدوار وتتباين من مجتمع الى مجتمع آخر. كما أنها يمكن أن تتغير عبر الزمن داخل المجتع نفسه.

ولا تحدد المتغيرات الثقافية تباين الأدوار التى يضطلع بها كل جنس فحسب، وإنما تحدد أيضا خصائص شخصية كل منهما.

إن الطفل ينسب بمجرد ولادته إلى هذا الجنس أو ذاك على أساس تشريحى (مكانه موروثة) ثم يبدأ بعد ذلك فى تعلم الأدوار الخاصة بجنسه وفى بعض المجتمعات لا يكون لهذه المكانة الموروثة الا علاقة ضئيلة بتعلم الأدوار الخاصة بالجنس، فكل من الذكور والاناث فى هذه المجتمعات يقوم بنفس الأعمال أو بأعمال متشابهة، وقد أمدتنا الدراسات الأنثربولوجية بمعلومات كثيرة عن التباين فى الأدوار على أساس الذكورة والأنوثة فى المجتمعات المختلفة. وأظهرت هذه الدراسات بوضوح تام، أنه فى بعض المجتمعات، يقوم كل من الذكور والاناث بالأدوار نفسها، فى حين يتوقع فى مجتمعات أخرى، أن يقوم كل منهما بأدوار مختلفة تمام الاختلاف. ومن هنا يمكن القول، إن عملية التطبيع الاجتماعى (وهى التدريب على أداء الأدوار المتعلقة بكل جنس) ترتبط بالبناء الاجتماعى وخاصة بالنظامين الاقتصادى والعائلى، كما ترتبط بأنماط الثقافة السائدة، وأن هذه العوامل الاجتماعية والثقافية أقوى من العوامل البيولوجية فى تحديد السلوك والتصرفات الخاصة بكل جنس.

ومهما يكن من أمر الاختلاف بين المجتمعات فى الأدوار الخاصة بكل جنس، فهناك حدود لهذا التباين، فالمرأة فى كل المجتمعات تقريبا، تقوم على العناية بالطفل، ورعاية شئون البيت. والنساء يطبعن اجتماعيا على تنمية الأدوار وسمات الشخصية التى تؤهلهن للقيام بهذه الأعمال، كما يشجعن على ذلك. كما يدرب

الرجال على القيام بالأدوار التى تتطلب جهدا عضليا، أو المحفوفة بالصعاب أو بالخطر، بما فى ذلك مهمة الدفاع عن الوطن. ومن ثم فهم يطبعون اجتماعيا على تنمية الأدوار، وسمات الشخصية التى تؤهلهم للقيام بهذه الأعمال على أفضل نحو وأحسنه.

ويحتاج المجتمع لكل من الدورين ولكل من سمات الشخصيتين، ولا محل للقول بأفضلية جنس على جنس آخر، أو سمات شخصية معينة على سمات شخصية أخرى. فسمات الشخصية الأنثوية ضرورية للمرأة، ويجب أن تشجع عليها. وسمات الرجولة ضرورية للرجل، ويجب تشجيعها وتعزيزها.

أن تعهد المرأة للأطفال بالرعاية، وتزويدها لهم بالحب والحنان، وإشاعة الدفء فى البيت، يعد عملا بالغ الأهمية. وكذلك فإن قيام الرجل بالأعمال الشاقة والعنيفة والخشنة، ودوره فى الذود عن حياض الوطن كلها أعمال مهمة، تحتاج صفات مطلوبة فى الرجال أكثر مما هى مطلوبة فى النساء. وتوجد هذه الأنماط المتباينة من التطبيع الاجتماعى فى كل المجتمعات تقريبا (Barry,Bacon,and Child, 1957)

وبعكس الاعتقاد الشائع، فليس من قبيل العموميات الثقافية، أن الرجال هم المسئولون بالدرجة الأولى عن إعاشة الأسرة أو الجماعة. فالنساء فى معظم مجتمعات ما قبل الزراعة، كن يشتغلن بجمع الثمار، والحفر بحثا عن جذور النباتات الدرنية، والمشاركة الفعالة فى تدبير الطعام للعائلة. وكان عمل الرجال الأساسى الصيد، وهو برغم أهميته، لا يشكل الجزء الأساسى من الغذاء المطلوب لاعاشة العائلة. وفى مرحلة الزراعة، كان الرجال يقومون بإعداد الأرض للزراعة، وبالتجارة والرحلة من بلد الى آخر، وبالأعمال الشعائرية المختلفة، وبعديد من الأنشطة الأخرى التى تتطلب قوة وجهدا ولكن النساء كن أيضا يشاركن فى عديد من الأعمال والأنشطة الخاصة بالإعاشة وببقاء الجماعة.

ومع ذلك، فبالرغم من المرونة النسبية فى الأدوار المتعلقة بالجنس، والاسهام الفعال للمرأة فى اقتصاديات مجتمعات ما قبل الثورة الصناعية، فإن الحقيقة تظل قائمة، وهى أن عمل الرجل يقوم تقويما أعلى من عمل المرأة. وهذا هو جوهر التدرج الاجتماعى على أساس الجنس: التقدير الأكبر لاسهامات الرجال فى

الجماعة. وبالتالى، الوظائف الأعلى والأفضل بكل مقاييس التدرج الاجتماعى. وقد أثبتت الدراسات الحديثة استمرار التدرج الاجتماعى على هذا النحو. ومن بينها الدراسة التى قام بها «لابيدس Lapidus» عام ١٩٧٨ وقام فيها بدراسة الادوار التى تقوم بها المرأة فى الاتحاد السوفيتى، ووجد أن عمل المرأة، يقوِّم أقل من عمل الرجل على الرغم من دعوة مفكريهم إلى المساواة بين الرجل والمرأة، وإلحاحهم على ذلك. وبالرغم من قيام المرأة فى الاتحاد السوفيتى بعديد من الأعمال التى تعد تقليديا من أعمال الرجال، فإن أجرها مع ذلك يكون أقل. كما أنها تعد بالدرجة الأولى لرعاية شئون البيت، والقيام بعديد من الأدوار التى لا تتطلب مهارة كبيرة.

الأسس البيولوجية للتدرج الطبقى الاجتماعى على أساس الذكورة والانوثة:

Biological Bases of Gender Stratification

يذهب البعض إلى القول بأن صفات مثل القوة والخشونة هى المصدر الأساسى للسلطة التى يتمتع بها الرجال. ولقد أجريت عديد من الدراسات على الحيوانات العليا بوجه خاص، أثبتت أنه لا توجد فروق كبيرة بهذا الصدد بين ذكور هذه الحيوانات وإناثها. واستنتج العلماء من الدراسات التى أجريت على هذه الحيوانات العليا، أن الفروق البيولوجية لا تنهض وحدها سببا لتفسير التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة.

وكذلك تذهب بعض النظريات إلى أن التكوين البيولوجى نفسه، يشكل أساس تقسيم العمل: المرأة للحمل والانجاب ورعاية الطفل، والرجل للصيد والقنص والقيادة، كما يدل على ذلك تاريخ البشرية. ويقوم جوهر النظرية البيولوجية الاجتماعية، على أن بقاء النوع يتوقف على عوامل موروثة غير مكتسبة، تكرس المرأة جهدها للحمل، والانجاب، ورعاية الاطفال، ويكرس الرجل جهده للسعى على الأسرة، وحماية المرأة والأطفال.

ولكن مثل هذه التفسيرات للتدرج الاجتماعى على أساس الجنس، لا تفيد فى تفسير المدى الواسع من التباين والاختلاف فى السلوك الخاص بكل من الجنسين

فى المجتمعات المختلفة. ومن هنا ينبغى أن نبحث عن السبب فى تباين الاعمال المتعلقة بكل من الجنسين، وبالتالى فى التدرج الطبقى داخل البناء الاجتماعى ذاته لنجد تفسيرا لهذا التباين فى التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة الذى نجده فى معظم المجتمعات.

معنى التباين الذى يقوم على الذكورة والأنوثة:

The Meaning of Gender Based Differences

إن أى نظام للتدرج الاجتماعى يمكن أن يبرر إذا كان من يتربعون على قمة الهرم الاجتماعى يملكون الموهبة والمقدرة فعلا، الأمر الذى يجعل تربعهم على القمة ونجاحهم ضروريا وحيويا لبقاء الجماعة واستمرارها، وأما العاطلون من الموهبة والمهارة والمفتقدون للطموح والدافعية، فإنهم يقبعون فى الدرجات الدنيا من سلم التدرج الاجتماعى الهرمى.

ولا يكفى القول بأن الفروق بين الرجال والنساء فيما يتعلق بوضعهم فى السلم الهرمى للتدرج الاجتماعى، تقوم على أساس مثل ضخامة الحجم أو العدوانية والخشونة، لأن هذه المعايير لا تفسر التباين فى المنزلة التى يحتلها أفراد كل من الجنسين، ولابد من ربطها بقدرات معينة تؤهل للقيادة والتصرفات الحكيمة. وهناك من يذهب إلى القول بأن الرجال أقدر على الحكم لأنهم أضخم جسما وأكبر حجما من النساء، ولكن، هل يرتبط ذلك بالقدرة على الحكم، وما يتطلبه من رجاحة عقل واتزان وقدرة على وزن الأمور وتصريفها؟ إن نجاح الجنس البشرى وتقدمه يعتمدان بوجه على تحكيم العقل، والسيطرة على الدوافع، والتحكم فى الغرائز، وليس على مجرد القوة الغاشمة.

يوجد أيضا من يفسر وضع المرأة المنخفض فى سلم التدرج الاجتماعى، بوجود أمور تشغل المرأة عن التطلع إلى المكانات العليا، مثل الحمل والولادة وتربية الأطفال. وقد دعمت هذه الآراء عديد من النظريات النفسية القديمة والحديثة، وذهبت الى أنه توجد عوامل فطرية وهرمونية تؤهل للقيادة والنضال الشاق، وتفتقر إليها المرأة، بالاضافة إلى انشغالها ببيتها، وبزينتها، وحرصها على أن تظل جذابة، وتأثرها بأمور مثل العادة الشهرية وغيرها، الأمر الذى يجعلها غير مؤهلة لشغل المكانات القيادية.

إن السؤال الأساسى هو : بصرف النظر عن تأثير الثقافة والبناء الاجتماعى، هل توجد أية فروق هامة تؤدى دائما إلى التفرقة على أساس الجنس (الذكورة والأنوثة) فيما يتعلق بالسلطة Power والاحترام Prestinge ؟ كانت توجد دائما عبر العصور تفسيرات لهذه التساؤلات. فقد ذهب «أرسطو عام ٣٥٠ قبل الميلاد إلى أن وزن المخ مسئول عن تفوق الرجال فى الذكاء، وذهب هذا المذهب أيضا علماء محدثون مثل «ماكوبى» و «جاكلين عام ١٩٧٤» «Maccoby and Jacklin » حيث قالا بوجود فروق واضحة بين الذكور والاناث ترجع إلى عوامل بيولوجية. بالاضافة إلى ذلك، توجد عديد من الأقوال الشائعة بين الناس عن الفروق بين الذكور والاناث، فيقال مثلا، إن الفتاة اجتماعية أكثر من الفتى. أو أنها أكثر تأثيرا بالايحاء، أو أكثر ميلا إلى الهوى. وأن الفتى أكثر تعقلا وأكثر ميلا للتحليل وتحكيم العقل، ومن ثم فهو أجدر بالأعمال التى تتطلب مستوى أعلى من التفكير والتحكيم فى المواقف المختلفة. وهذا كله غير صحيح. وفيما يتعلق بالاجابة عن السؤال: «هل النساء أقل إيجابية من الرجال؟ «فإن الدراسات والبحوث تدلنا على أن الاجابة هى: «كلا» (Gagnon and Greenblat,1978)

ما هى الفروق البيولوجية بين الجنسين التى تحدد التدرج الاجتماعى لكل من الرجل والمرأة؟ الاجابة عن ذلك، أن هذه الفروق التشريحية ليست قدرا محتوما، ويتوقف الأمر أكثر ما يتوقف على طبيعة المجتمع، وعلى المكانات الموروثة الخاصة بكل من الذكور والاناث، والتى تستخدم بدورها لتبرير تدرج كل من الذكور والاناث فى سلم التدرج الطبقى الاجتماعى.

التطبيع الاجتماعى والأدوار المتعلقة بكل من الذكور والاناث:
Socialization To Gender Roles:

أياما كانت الفروق الفطرية الموروثة بين الذكور والاناث، فان التأثير الأكبر على سلوك كل من الجنسين يرجع إلى عوامل اجتماعية ـ ثقافية. إن تعلم الدور الخاص بكل جنس، لا يختلف عن تعلم أى دور آخر خلال نفس العملية، وهى عملية التطبيع الاجتماعى، وعن طريق نفس مصادر التطبيع الاجتماعى التى أسلفنا الاشارة اليها، وهم الأباء والأقران والمعلمون ووسائل الاعلام، إن الجنس

يتحدد أو يعرف عند الميلاد، ولكن تعلم الدور الخاص به، لكى يكتمل الفرد الى رجل ناضج أو الى امرأة ناضجة، يستغرق سنوات طوال. ولا يوجد مجتمع يترك ذلك للصدفة أو للنمو الطبيعى للانتحاءات الموروثة التى يولد الكائن الانسانى مزودا بها، بل إن كل مجتمع ينظم ذلك عن طريق كل مصادر التطبيع الاجتماعى، ووفقا للثقافة التى يعيش الفرد فى سياقها.

والواقع، أن الأنماط التقليدية التى تتبع مع كل من الذكور والاناث تبدأ مع توقع مقدم الطفل، أى قبل ولادته الفعلية، هذه التوقعات تصبح حقيقة اجتماعية بمجرد ولادة الطفل ومعرفة جنسه. ومنذ الولادة فصاعدا، فإن الأفراد يتلقون أنواع التربية والمعاملة المتعلقة بالسلوك المناسب. ويثابون على التطابق مع كل ما يتعلق بجنسهم ويعاقبون اذا هم انحرفوا عنه أو خالفوه.

نتائج التدرج الطبقى الاجتماعى على أساس الذكورة والانوثة:
Consequences of Gender Stratification

ما هو تأثير التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والانوثة على وضع الفرد وفرصه فى المجتمع؟ إن معظم مزايا أن يكون الانسان رجلا فى معظم المجتمعات، تتلخص فى إمكانية تمتعه بمناصب السلطة، والهيبة، والتحكم فى الممتلكات. ولكن الأمر قد يختلف فى بعض المجتمعات، ففى المجتمعات الاسلامية مثلا، نجد أنه فيما يتعلق بالاحترام، لم يفرق الاسلام فى المعاملة بين الرجل والمرأة، وكان يقرن دائما بين الوالدين فى حسن المعاملة، ولم يفرق بين الأب والأم، بل الاحترام والتقدير والقول الكريم لهما معا. وأما فيما يتعلق بالتصرف فى الممتلكات، فقد اعطى الاسلام للمرأة حقها فى ذلك، مثلها مثل الرجل تماما سواء بسواء. وأما المزايا التى تعطى للمرأة فى المجتمعات الغربية فإنها أقل وضوحا، وان معظم النساء فيها قد تقبلن الى وقت قريب، مكانتهن المنخفضة كأمر لا مهرب منه ولا مناص. إن الاهتمام بقيمة الحمل وتربية الأطفال باعتبارهما عملا من الاعمال الخاصة بالمرأة، يعطى المرأة انطباعا بأن عملها إنما هو مكمل لعمل الرجل، وأن وظيفتها أن تظل فى بيتها تدبر شئونه، وترعى أطفالها وزوجها. فى حين يقوم الرجل بالكد والسعى عليها. وتقدر جميع المجتمعات الدور الذى تقوم به الأم. فقد جعل الله سبحانه وتعالى الجنة تحت

أقدام الأمهات. وكرر الرسول صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، أن الأم هى أولى الناس بحسن صحابة أولادها. ويرى بعض علماء الاجتماع ان مكان المرأة الحقيقى هو بيتها، تلبى حاجات أطفالها وعائلتها. وهذا واجبها المقدس وهذه رسالتها فى هذا العالم، فى حين تكون واجبات الرجل خارج بيته. (Tuchman,Daniel and Benet,1980)

وقد تمثلت الفتيات والسيدات وجهة النظر القائلة بأن انجازات المرأة أقل من انجازات الرجل. فعلى سبيل المثال، غالبا ما تقلل المرأة من أعمال النساء بأكثر مما تفعل بالنسبة لأعمال الرجال، واذا طلب من دارسة تقويم مقالات علمية كتبها اكاديميون متخصصون، فانها سوف تقدر المقالات التى كتبها رجال بأكثر مما تقدر المقالات العلمية التى كتبتها عالمات، فهى تعتقد أنه بذل فيها جهد أكبر (Goldberg, 1968) وإن من بين أكثر القضايا اتساقا فى كتب علم النفس الاجتماعى قضية تقدير المرأة المنخفض لنفسها، بخلاف ما يوجد عند الرجل. بل إن النساء غالبا ما يصفن أنفسهن وغيرهن من النساء بصفات سلبية، أكثر مما يفعلن بالنسبة للرجال. وهذه النظرة السلبية للمرأة من قبل المرأة، يمكن أن تتغير تماما بالتعليم وبالاتصال والتعرف على نساء يشغلن مكانات عليا. وقد وجد «فيربر Ferber » و «هبر Huber » و «سبيتز Spitze » عام ١٩٧٩م أن النساء اللائى حصلن على تعليم عال، واشتغلن مع رئاسات نسائية، واحتككن بهن، يكن أقل ميلا للعمل مع الرؤساء الرجال، سواء فى الوظائف أم فى المهن المختلفة.

وتشير الدلائل الى أن سبب وصف النساء لأنفسهن بأنهن عديمات الأهمية والجدوى، أنهن يشغلن أدوارا ضئيلة المسئولية والسلطة، وغير ذات أهمية. ومن ذلك الأمومة نفسها، فبالرغم من التقدير البالغ لها، فإن النساء لا يلقين عليها اثابات أو تقديرات اجتماعية، وغالبا ما تجعلهن اكثر اعتمادا على دعم وحماية الآخرين. وإن عزاء المرأة الحقيقى هو ما تحصل عليه من سلطة واحترام من أبنائها، وتقديرهم لدورها كأم، وهى تشتق سعادتها من رؤية أبنائها يكبرون ويشقون طريقهم فى الحياة بنجاح.

وفى المجتمعات الصناعية المعاصرة، غالبا ما ينسى الناس فيها اليوم، أنه منذ

عشرات قليلة من السنين، كان اغلب النساء يشتغلن خارج البيت. وكن عنصرا فعالا فى الاقتصاد، سواء فى القرية أم فى المدينة، أم فى كل مجالات الحياة. فلقد كان التفرغ الكامل للأمومة وتدبير شئون البيت يعد رفاهية لا يقدر عليها سوى الزوجات الغنيات، اللائى كن غالبا ما يستأجرن أخريات للعناية بالأطفال وتدبير شئون البيت (Rossi,1964) ولكن حدث تغير بعد الحرب العالمية الثانية، فقد تركت عائلات كثيرة المدن، وذهبت الى الأحياء التى أنشئت حديثا، والتى كان كل بيت فيها مخصصا لأسرة واحدة. هذا بالاضافة الى أن هذه البيوت كانت متباعدة تحول دون تفاعل الزوجات الاجتماعى ببعضهن. ونتيجة لذلك اتسع الوقت الذى تكرسه المرأة لبيتها، وأعطت كل وقتها وطاقتها طوال اليوم لزوجها وأبنائها. وارتفع معدل المواليد فى الفترة ما بين ١٩٤٧، ١٩٥٧ وازدهر الاقتصاد، وتقدمت صناعة الادوات المنزلية مثل الغسالات، والمجففات، والثلاجات، والخلاطات، وعربات ولعب الأطفال، والاثاث، وكل ما من شأنه أن يساعد على الحياة فى هذه الضواحى المنعزلة حتى شوايات اللحم الكهربائية التى تتميز بها الحياة فى الضواحى. ويعد البيت فى الضواحى وحدة مستهلكة تماما، تتفرغ فيه المرأة للعناية ببيتها ويقاطنيه وبصيانة ما فيه من أدوات ومعدات.

ومع ذلك، ظهرت مشاعر قوية بعدم الرضا بين النساء فى منتصف الستينيات، وهو الوقت الذى بدأت فيه الموجة الثانية للحركة النسائية فى الولايات المتحدة وكندا وغيرهما من الدول الصناعية. وكانت الموجة الأولى فى أوائل الستينيات للمطالبة بالمساواة مع الرجال فى الحقوق السياسية والاجتماعية، على أساس أن النساء يشاركن الرجال فى النضال من أجل بناء الدولة، ويقمن بالاضافة الى عملهن الأساسى فى البيت بكل الاعمال التى يقوم بها الرجل (Morgan,1979) وبالاضافة الى هذا، فإن عددا كبيرا من النساء انضممن الى قوة العمل، وسعت أخريات الى الالتحاق بالوظائف المختلفة. وذلك نتيجة زيادة أعباء المعيشة. وفى ضوء هذه الظروف، ازدادت صعوبة دعوة النساء لتكريس حياتهن لعمل واحد هو رعاية الأطفال، والذى أصبح الآن لا يشكل أكثر من ١/٧ فترة حياتهن (Sokoloff,1981) وصارت الأسس التى يقوم عليها التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة محل تساؤل. وأصبح من الضرورى إعادة تحليل المكانة الاجتماعية الحالية لكل من الرجل والمرأة فى الولايات المتحدة.

أولا : البعد الخاص بالسلطة The Power Dimension

ليس ثمة شك فى أن الغالبية العظمى من مناصب السلطة فى أمريكا الشمالية يشغلها رجال بيض. ومن بين الأسباب التى تعطى لتفسير هذا الوضع، أن النساء ليس لديهن الاستعداد لتولى المناصب القيادية، وأنهن لم يطبعن اجتماعيا على تولى القيادة. وفوق كل شىء، لا ينبغى أن يشغلن عن أعبائهن الأساسية الخاصة ببيوتهن.

وهناك أيضا من يذهب إلى القول بأن وجود النساء بين جماعات الرجال سوف يكون معطلا ومعوقا للعمل، بمعنى أن الرجال قد ينشغلون بالتنافس على جذب انتباه النساء (Tiger,1969) كما يحتمل أن بعض الرجال لا يريدون العمل مع النساء لضآلة منزلتهن العامة فى المجتمع، الأمر الذى سوف يؤدى الى التقليل من قدرهم واحترامهم بالتبعية.

ومع ذلك، فإن الجدول الآتى يعكس التغير فى اتجاهات الرأى العام نحو النساء. ففى حين لم يوافق سوى ٣١٪ من مجموع السكان الامريكيين عام ١٩٣٧ فى التصويت على تولى المرأة منصب الرئاسة فى الولايات المتحدة، صوت بالموافقة على ذلك ٦٧٪ عام ١٩٧٨ ومع ذلك لم تتقدم أمرأة لترشيح نفسها لمنصب الرئاسة حتى الأن. وقد وجدت المرشحات للمجالس النيابية صعوبة كبيرة فى جمع الأموال اللازمة للحركات النسائية ليتفرغن للعمل السياسى (New York Times,Oct. 14,1980)

جدول يبين التغير فى الاجابة عن سؤال: هل تصوت الى جانب إمرأة لتولى منصب الرئاسة ؟

العام	النسبة المئوية	العام	النسبة المئوية
١٩٣٧	٣١٪ نعم	١٩٥٨	٥٢٪ نعم
١٩٤٩	٤٨٪ نعم	١٩٦٧	٥٧٪ نعم
١٩٧٨	٧٦٪ نعم		

المـصـدر : New York Times, April 21,1980,Gallup Organization.

وكذلك يقل بشكل ملحوظ، اقبال النساء على ترشيح أنفسهن فى الانتخابات سواء على المستوى الفيدرالى، أم على مستوى الولاية، أو على المستوى المحلى، كما يدل على ذلك الجدول الآتى:

جدول يبين من الذى يحكم الولايات المتحدة

	الرجـال ٪	النسـاء ٪
مجموع سكان الولايات المتحدة	٤٨٫٧	٥١٫٣
مجلس الشيـوخ	٩٩	١
مجلس النـواب	٩٦	٤
المحكمة العليـا	١٠٠	٠
المحكمة الفيدراليـة	٩٩	١
حكام الولايـات	٩٦	٤
ممثلو الولايـات	٩٠	١٠
مجلس شيوخ الولايـة	٩٥	٥
الهيئة الانتخابيـة	٨٩	١١
المكاتب المشرفة على الأقاليـم	٩٧	٣
هيئة المستشاريـن	٩٢	٨
اعضاء مجلس التعليـم	٧٥	٢٥

المصـدر: Center for the Study of Women in Politics,1980.

وبالرغم من أن النساء يشكلن ٥١٪ من عدد سكان الولايات المتحدة، فإنهن يمثلن نسبة مئوية ضئيلة جدا فى المكاتب السياسية. وفى كل من الولايات المتحدة وكندا، فإن بناء القوة السياسية يسيطر عليه الرجال.

وبالرغم من زيادة عدد النساء فى الشركات زيادة ملحوظة فى السنوات الأخيرة، فإن مستوى أجورهن ومسئولياتهن مازال أقل من الرجال. وفى عام ١٩٨٠ كانت نسبة النساء من الوظائف العليا لا تتجاوز ٢٨٪ فالنساء لا يتطلعن الى التربع على قمة الرئاسة فى الشركات الكبرى. فلا تشغل النساء اكثر من ٥ر١٪ من مجموع مناصب رؤساء مجالس الادارات، وأعضاء مجالس الادارات، ونواب الرؤساء (Wall Street Journal, Oct 7, 1980)

ثانيا : الهيبة Prestige

بما أن الهيبة تقاس بالوضع الوظيفى، وبما أن النساء لا يوجدن فى معظم المناصب العليا، فمعنى ذلك انهن لا يحظين بهيبة كبيرة فى المجتمع، بالرغم من أن فكرة احترام المرأة ترد دائما على ألسنة القادة السياسيين، كما أنها وردت فى كل الديانات السماوية، كما توجد ايضا فى كل الكتب المدرسية.

وفى الوقت الحاضر، فإن الوظائف التى تمثل فيها النساء النسبة الأكبر، تحظى بهيبة أقل من الوظائف التى يمثل فيها الرجال النسبة الأكبر، هذا بالاضافة الى أن النساء نادرا ما يصلن الى قمة المؤسسات التى يعملن فيها، أو الوظائف التى يشغلنها، وغالبا ما يحظين بهيبة أقل فى الأماكن التى يعملن فيها مع الرجال وجها لوجه (England,1979)

ثالثا : الملكية Property

كانت ولاية نيويورك أول ولاية أمريكية تصدر قانونا عام ١٨٦٠ يكون للمرأة المتزوجة بمقتضاه الحق فى أن تكون لها ملكيتها الخاصة، وأن توقع عقودا باسمها (ولكن بموافقة زوجها) وأن يكون لها حق حضانة أطفالها.

وفى مجال الحسابات النقدية، لم يصبح للمرأة المتزوجة حق فتح حسابات فى البنوك باسمها، الا عام ١٩٧٠.

ويسبب دخول المرأة القوة العاملة فى السبعينيات بشكل كبير لم يسبق له مثيل، فإن السيطرة الاقتصادية للازواج قد ضعفت. وأظهرت معظم البحوث أن الزوجات العاملات أصبح لهن النصيب الأوفر فى إصدار القرارات، وفى السلطة

داخل الأسرة، مقارنة بالنساء اللائى ليس لديهن عمل يتكسبن منه. فالدخل الذى يحصل عليه الانسان يعد مصدرا مهما من مصادر الثقة بالنفس وتقديرها (Gillespie,1971 rutin,1975)

ولكن مازال ينظر الى إسهام المرأة من عملها على أنه ثانوى بالنسبة لمجموع إنفاق الزوج على الاسرة، كما أنه يغلب أن يكون دخلها أقل من دخله. وفى عام ١٩٧٩ استمر متوسط دخل العاملات اللاتى يعملن طوال الوقت، يشكل حوالى ٦٠٪ من متوسط دخل الرجال. وفى أى بيت من البيوت، فإنه يغلب أن يكون الفرق أكبر، فإن النسبة بين دخل الزوجات وأزواجهن تظل ثابتة، فهذه النسبة لم تتغير منذ عام ١٩٣٩ حتى عام ١٩٧٩ (Nor Wood and Waldman, 1979)

وكلما ارتبطت الأوضاع فى نظم التدرج الاجتماعى بالمكانات المكتسبة، كانت منزلة النساء العاملات أقل فى المجتمع. وبقدر ما تتوزع المصادر الاجتماعية ذات القيمة، وهى السلطة، والهيبة، والملكية على أساس الخصائص الموروثة، بقدر ما يكون وضع النساء أقل من وضع الرجال. وان الطريقة أو الكيفية التى تتفاعل بها المكانات الموروثة والمكتسبة تعد بالغة الأهمية فى تحديد مجرى التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة. وتوجه هذه النقطة اهتماما الى المعارف والمعلومات المتعلقة بالوضع الاقتصادى لكل من الرجال والنساء.

الرجال والنساء فى قوة العمل Men And Women In The Labor Force

إن الزيادة المطردة فى مشاركة النساء فى قوة العمل كانت من أهم التغيرات التى حدثت فى الحقبة الماضية، وكان معظم النساء يشتغلن طوال الوقت، وذلك بعكس الاعتقاد السائد، من أن النساء يشتغلن بعض الوقت. وفى الولايات المتحدة عام ١٩٧٩ كانت ثلاثة نساء من كل أربعة نساء يشتغلن طوال الوقت. وكان ثلاثة نساء من كل أربعة نساء غير عاملات يبحثن عن عمل طوال الوقت (Norwood and Woldman, 1979) وقد جاءت الزيادة الحديثة الكبيرة الى حد ما فى المشاركة فى قوة العمل، من النساء البيض، الأفضل تعليما، واللاتى تتراوح

أعمارهن بين ٢٥، ٣٤ عاما، د وهى الفترة التى تشتد فيها حاجة أبنائهن للرعاية. والواقع، أن معظم الزيادة السريعة فى قوة العمل، كانت من نساء متزوجات لديهن أطفال صغار. وفى المناطق التى ترتفع فيها نفقات المعيشة، كان دخل المرأة ضروريا للمحافظة على مستوى المعيشة المعقول. ويتضح ذلك اذا عرفنا أن متوسط دخل الزوج وحده من عمله كان ١٧٫٧٩١ دولارا عام ١٩٧٩ وأن متوسط دخل الزوج والزوجة فى العام كان ٢٤٫٩٧٣ دولارا.

وتختلف الأسباب الأخرى التى تعمل من أجلها النساء. فالنساء غير المتزوجات (أو المطلقات والأرامل صغار السن) يعملن ليعلن أنفسهن. فى حين تعمل أخريات لأهمية العلاقات الاجتماعية التى يتيحها لهن العمل، ولتأكيد ذواتهن.

ويختلف توزيع الرجال والنساء فى قوة العمل اختلافا كبيرا، فتوجد وظائف تعد نمطيا من عمل الرجال، وأخرى تعد نمطيا من عمل النساء. ومازال اكبر نسق وظيفى تكاد تحتكر المرأة عمله حتى اليوم، هو أعمال السكرتارية والاختزال، والكتابة على الآلة الكاتبة وما شابه ذلك.

وتشكل النساء اليوم النسب المئوية الآتية فى الوظائف التالية فى الولايات المتحدة:

- ٩٩ ٪ من مجموع العاملين فى أعمال السكرتارية والكتابة على الآلة الكاتبة.
- ٩٨ ٪ من مجموع العاملين فى الأعمال المنزلية فى المساكن الخاصة.
- ٩٧ ٪ من مجموع العاملين فى ميدان التمريض.
- ٩٢ ٪ من مجموع العاملين كأمناء صناديق فى البنوك.
- ٩١ ٪ من مجموع العاملين على أمانة الصناديق فى الشركات (الخزائن أو ماكينات الصرف).
- ٧٤ ٪ من مجموع العاملين على الأجهزة أو الماكينات فى المكاتب.
- ٧١ ٪ من مجموع العاملين فى المدارس الابتدائية والمتوسطة والثانوية.
- ١١ ٪ من مجموع العاملين فى مجال الطب.
- ٩ ٪ من مجموع المحامين والقضاة.
- ٣ ٪ من مجموع المهندسين

هذه الاحصاءات عن **(Nor Wood and Waldman, 1979)**

يتضح من القائمة السابقة، أن الوظائف التى يزداد عدد النساء فيها زيادة كبيرة لا توجد فيها فرص تحمل مسئولية كبيرة، أو فرص الترقى، ويتطلب كثير منهانفس المهارات التى تتطلبها الأعمال المنزلية. وتعد معظم هذه الوظائف، أقل الأعمال الاقتصادية أجرا.

وإن تركز النساء فى وظائف الخدمات، وفى الأعمال المكتبية يرجع إلى طبيعة العمل ذاته، وإلى الصفات والقدرات التى يتحلى بها أفراد كل من الجنسين. وينظر إلى الوظائف التى يغلب وجود النساء فيها على أنها أقل مسئولية، وبالتالى فهى أقل تقديرا واحتراما، وأضأل أجرا. ويصدق ذلك على كل المجتمعات الصناعية، سواء كانت مجتمعات رأسمالية أم مجتمعات اشتراكية (Coser,1980) والواقع ان النساء يشكلن فى معظم هذه المجتمعات، قوة العمل الرخيصة التى يمكن أن تستخدم موسميا. وإن الزيادة الحديثة فى عدد النساء فى قوة العمل فى انحاء العالم المختلفة ترجع الى زيادة استخدام التكنولوجيا، التى تتطلب سرعة ودقة، ولا تتطلب الا القليل من المسئولية. كما أن أعمال المرأة لا تتضمن أعباء كبيرة فيما يتعلق بالتأمين، أو تدخل الاتحادات العمالية (Aarnet,1980)

رياح التغير **Winds of Change**

قامت مظاهرات نسائية فى أمريكا عرفت باسم «الحركة النسائية» للاحتجاج على مكانتهن المنخفضة فى العمل، والمطالبة بالمساواة فى الحقوق والوظائف القيادية ذات الأهمية والاحترام. وعبأت هذه المظاهرات حشدا من النساء حتى غير العاملات، وتمخضت هذه الحركة عن اصدار الكونجرس الامريكى قرارا يتضمن «المساواة فى الحقوق بين الرجال والنساء».

... وخفت صوت المعارضة **And Blasts of Opposition**

ان التشكيك فى صدق أو ضرورة الأنماط التقليدية فى التطبيع الاجتماع لكل من من الذكور والاناث، يعد خروجا على أعمق المظاهر الراسخة للسلوك الانسانى، فإن الذكورة أو الانوثة جوهر الذات، وان الادوار المتعلقة بالذكورة

أو الانوثة، تتيح للفرد أن ينظم خبراته (أو خبراتها) الخاصة، وأن يحدد استجاباته نحو الآخرين. وإن الادعاء بأن مثل هذه الادوار ونظام التدرج الاجتماعى القائم عليها، ضررها أكثر من نفعها، ادعاءات ضعيفة لا تستند على أسس قوية. وتتعدد الجماعات التى تعارض اعادة تعديل الأدوار، ومن بينها:

١- جماعات من الرجال والنساء الذين لهم مصلحة فى بقاء الحال على ما هى عليه. فالرجال يفيدون من خدمات الزوجة فى البيت، ولا يريدون للزوجة أن تعمل وتحصل على أجر، ومن ثم تقلل من نفوذهم وسيطرتهم على البيت، أو تنافسهم فى قيادتهم له. وأما النساء اللائى يعارضن تعديل الأدوار، فهن النساء اللائى يستمتعن بعملهن فى البيت، ويرين أنه هو الذى يضفى معنى على حياتهن.

٢ - منظمات العمل التى ترى أن عليها فى هذه الحالة أن تغير من نظم العمل فيها.

٣ - الجماعات الدينية التى تؤمن إيمانا قويا بالتقسيم الحاد للعمل بين الجنسين.

وهكذا نرى أن بعض الرجال والنساء، ورجال الاعمال، ورجال الدين فى الولايات المتحدة لا يرون أية فائدة ترجى من تغيير نظام التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة، بل والأكثر من هذا، يرون أن التغيير سوف يلحق ضررا كبيرا بالقيم والنظم التى أثبتت نجاحا وحققت فائدة حتى الآن.

مستقبل التدرج الطبقى الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة:
The Future of Gender Stratification

ما هى احتمالات التغير، وما هى الاتجاهات التى سيأخذها؟ ان أغلب الاتجاه السياسى السائد فى الولايات المتحدة، يعد اتجاها شديد المحافظة بصدد القضايا الاجتماعية. ولكن النظام التعليمى يتغير تغيرا كبيرا على المدى الطويل، ويبدو أنه سوف يستمر فى التغير. فنسبة الاناث تتزايد فى كل مراحل التعليم، ويتزايد عدد الخريجات تزايدا كبيرا. ولا يبدو أن هذه الزيادة سوف تتوقف. وبالتزايد المستمر فى عدد النساء فى التعليم العالى سواء مجال التعليم أم التعلم، لن تغير

على المدى الطويل مفاهيم القيادات فى هذه الميادين وفقا لقدرات النساء فحسب، ولكن سيلحق التغير أيضا بمحتوى المواد الدراسية الثقافية، والاكاديمية للنساء.

وعلى المستوى الاقتصادى، فسوف ترقى تدريجيا أعداد من النساء العاملات الى مستوى الادارة، ولكن التوزيع العام للنساء العاملات لن يتغير فى الغالب. وسوف تكون مجالات الطلب الكبيرة فى المستقبل على الوظائف الفنية المتخصصة تخصصا دقيقا، وسوف تستمر هذه الوظائف حكرا على الرجال. وسيتزايد الأقبال أيضا على أعمال الخدمات، وقطاع السكرتارية والأعمال المكتبية، وهذا النوع من العمل سوف يتزايد فيه عدد النساء عما عليه الآن. وباختصار، سوف يظل التدرج الوظيفى كما كان عليه من قبل: مكانة الرجال ودخولهم، أعلى من مكانة النساء ودخولهن.

وفيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية، والصداقات الحميمة، والحياة الزوجية، فانه يصعب قياس التغيرات بصددها، ولكن ثمة دلائل على ازدياد مشاركة الرجال فى مسئولية الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال، ومما لا شك فيه أنه مهما زاد عدد النساء فى قوة العمل فان المرأة سوف تظل تقوم بالوظيفتين، وظيفة العمل خارج البيت، ووظيفة العمل داخل البيت.

التدرج الطبقى الاجتماعى على أساس العمر
Age Stratification

يعد العمر خاصية موروثة، ويستخدم معيارا للحصول على المكانات الاجتماعية ذات القيمة أو ترك هذه المكانات. كما أن الراشدين يميزون عن غير الراشدين، بالرغم من أن الحدود الدقيقة بين النسقين، تختلف اختلافا كبيرا باختلاف المجتمعات، كما انها تختلف عبر الزمن. فيعتبر الفتى راشدا فى بعض المجتمعات بمجرد البلوغ، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالفتاة. وتختار بعض المجتمعات الأخرى سنا موحدا يعتبر بمقتضاه الشخص راشدا، وعادة ما يكون الثامنة عشرة. وبالنسبة لأمريكا الشمالية، فإن سن الرشد اختلف فيها من حقبة زمنية إلى حقبة زمنية أخرى. وأما اليوم، فإن سن الرشد يتباين بالنسبة للأدوار

المختلفة: فهو ١٨ سنة بالنسبة لحق التصويت وكذلك الالتحاق بالقوات المسلحة و ١٦ سنة لزواج الفتيات، وأما بالنسبة لزواج الفتية فهو ١٨ سنة.

ولا يعاقب القانون البريطانى الأطفال اذا ارتكبوا أفعالا مخلة بالمعايير الاجتماعية السائدة، باعتبار أنهم لم يميزوا بعد بين السلوك الاخلاقى والسلوك غير الاخلاقى، فى حين أنه أذا ارتكب الكبار هذه الافعال فإنها تشكل جريمة يعاقبون عليها.

وعندما يشب الأطفال ويدخلون مرحلة الرشد، فإنهم يصبحون مسئولين، ومؤهلين لتحمل أعباء السلطة، ويحظون بالاحترام فى المجتمع. وعندما يكبر هؤلاء الافراد أنفسهم ويبلغون سنا معينة فإنه يتعين عليهم الاعتزال وترك هذه المكانة الاجتماعية الهامة. وفى بعض المجتمعات يؤجل تولى السلطة أو المكانة حتى يموت الكبار الذين يتولون هذه السلطة. وهذا هو الحال فى الريف الأيرلندى حتى اليوم.

وتقيم بعض المجتمعات الاحتفالات لانتقال السلطة من جماعة عمرية معينة الى جماعة عمرية أخرى، وهى التى يطلق عليها «طقوس المرور rites of passage » والتى يدخل بعدها الشباب الذكور مرحلة الرشد، بعد أن يمروا باختبارات عديدة لمعرفة مدى شجاعتهم وقوة تحملهم. وتقام فى بعض المجتمعات احتفالات أيضا عند اعتزال الكبار العمل، (Foner and Kertzer,1978)

وكما تحدد أعمار معينة فى المجتمعات الصناعية الحديثة لتولى الأفراد أدوارا معينة، فكذلك تحدد أعمار معينة للاعتزال أو التقاعد، هى ٧٠ عاما فى الولايات المتحدة، ٦٥ عاما فى كندا.

بقول آخر، فإن كل مجتمع ينظم تولى الأفراد للمكانات الهامة، واعتزالهم إياها بتحديد الأعمار المناسبة لذلك. ويتمخض عن هذه العملية نظام هرمى للسلطة والاحترام يرتبط بالعمر، هو ما يطلق عليه اسم «التدرج الهرمى على أساس العمر».

جماعات العمر والبناء الاجتماعى
Age Groups And Social Structure

يوجد لسكان كل مجتمع من المجتمعات بناء عمرى معين ويتحدد هذا البناء بعوامل أهمها:

١ - عدد المواليد والوفيات.
٢ - انماط الهجرة من المجتمع، والى المجتمع.

وبهذا يمكن فى أى وقت من الأوقات ترتيب السكان فى جماعات عمرية مختلفة الاحجام. وتختلف اشكال الترتيبات السكانية فى المجتمعات الصناعيةالتى تتميز بانخفاض معدلات المواليد، وانخفاض معدلات الوفيات، والهجرات القليلة منها وإليهـا، عن المجتمعات غير الصناعية التى تتميز بمعدلات مواليد ومعدلات وفيات مرتفعة.

البناء العمرى والأدوار Age Structure of Roles

يقصد بالبناء العمرى والأدوار، الفرص والمكانات الاجتماعية المتاحة للناس فى الأعمار المختلفة، فالوظائف المتاحة للأعمار المختلفة تتفاوت من مجتمع الى مجتمع آخر، ويتوقف ذلك على عدة عوامل، من بينها مدى التقدم التكنولوجى، وظروف العرض والطلب، وحركة السوق التجارية، أو توفر المواد الأولية وغير ذلك.

وفيما يتعلق بالحياة الأسرية، فإن الـزواج غالبـا ما يكـون متـاحـا لجميع الراشدين، ولكن ذلك لا يحدث بالضرورة. فعلى سبيل المثال، قد يحدث نقص فى عدد الرجال بعد الحرب، وبذلك لا تحظى كل النساء بأزواج.

ويصدق ذلك على جميع النظم الاجتماعية، فعلى سبيل المثال، يختلف عدد المكانات والادوار المتاحة للناس وقوتها من وقت الى آخر، وكذلك الأمر فيما يتعلق بعـدد الأفـراد المؤهلين فى كل فئة عمرية. ومن هنا، يجب أن تتكيف النظم الاجتماعية مع ما يحدث من التغيرات السكانية. ويبدو ذلك واضحا فيما يحدث الآن من اغلاق لعدد من المدارس والفصول فى المستوى الابتدائى، لأنـه لا يوجـد العـدد الكافى من الأطفال لشغلها كما كان عليه الحال فى الخمسينيات

والستينيات. وتحول عدد من هذه المدارس الى بيوت لمواجهة أزمة المساكن التى حدثت بعد عام ١٩٦٥ وهكذا نجد أن التغيرات السكانية قد أصبحت مصدرا للتغيرات الاجتماعية (Waring,1975)

القدرات وعلاقتها بالعمر Age related capacities

تحدد العوامل البيولوجية فى عديد من الحالات قدرة الفرد على القيام بالأدوار المختلفة، وذلك مثل فترة الخصوبة عند المرأة، فنادرا ما تحمل المرأة قبل الثانية عشرة أو بعد الخمسين. وكذلك لا يستطيع الشيخ المسن أو الصبى الصغير القيام بعمل شاق جسمانيا. كما أن من النادر أن يحقق أحد بطولة رياضية بعد سن الأربعين.

ومع ذلك فانه يمكن القول بوجه عام، إن حدود العمر مسألة ثقافية واجتماعية، فعلى سبيل المثال تكون ملكة جمال العالم صغيرة السن. كما تختار شركات الطيران مضيفات الطائرات اقل من سن معينة، وان كان قد ازداد الآن قليلا، ولكنه ظل فى حدود العشرين عاما، فلا يمكن أن ترى مضيفة طيران فى سن الستين مثلا. ليس ذلك بسبب القدرة الجسمية التى ترتبط بالعمر، ولكن الأن المضيفات يتوقع فيهن الوسامة والصبا. مثال آخر للمحددات الاجتماعية لحدود العمر، هو السن المناسب للزواج، فان هذا السن يختلف من مجتمع الى آخر، كما أنه يتغير عبر الزمن، وكذلك يختلف بالنسبة للذكور عنه بالنسبة للاناث.

ضغوط الأدوار والفراغ خلال مرحلة الحياة

Role Strain And Role Slack Throughout The Life Course

عندما يستبعد أفراد من مكانات يعتقدون أنهم أهل لها، فإنهم يمكن أن يجنحوا إلى تصرفات غير عادية. فعلى سبيل المثال، يفسر بعض العلماء جناح الأحداث بأنه محاولات غير ناضجة للقيام بدور الكبار: قيادة السيارات، شرب الخمر، تجربة الممارسات الجنسية وغير ذلك. وقد وجدت دراسة حديثة أن لعب الميسر بين شباب العشرين من أبناء الطبقة الوسطى، له علاقة وثيقة بحاجتهم الى مكانة بين أقرانهم الذين يعانون من فراغ فى مرحلة المراهقة المتأخرة

(Richards,1979) وبـذلك تكون مرحلة المراهقة مرحلة فراغ الدور، بمعنى أن قدرات الفرد تكون أقل مما هو مطلوب. وأما مرحلة الرشد المبكرة أو مرحلة ربيع العمر فهى مرحلة ضغوط الدور التى يتحمل الفرد فيها مطالب العمل، والزواج، والأبوة، وغيرها من المسئوليات المدنية (Goode,1960 Wilensky)

مرحلة منتصف العمر Middle Age

تقـع مرحلة منتصف العمر، أو ما يطلق عليها مرحلة خريف العمر، بين مرحلة الرشد المبكرة، بما تحفل به من ضغوط الأدوار، وبين مرحلة الشيخوخة التى تتميز بقلة الأدوار التى يقوم بها الفرد. ولم يفطن العلماء إلا حديثا، الى أهمية مرحلة منتصف العمـر، والى أنها جديرة بالـدراسـة الجادة، وكذلك بدأ الاهتمام بأزمات منتصف العمر كثيرة الشيوع الآن لدى كل من الرجال والنساء.

فبالنسبة للنساء، فإن أهم مشكلة هى احساس المرأة بأنها فقدت دورها. ان بلوغ المرأة منتصف العمر قد يؤدى بها الى الاحساس بأنه لم تعد لها قيمة فى المجتمع، حيث قيمة المرأة فى صباها وجمالها، ويزيد الطين بلة أن الأبناء عندما يكبرون يتركون البيت، وبذلك تقل الاعباء المنزلية عن ذى قبل، وتشعر المرأة بفراغ كبير. وتحاول كثير من النساء أن يملأن هذا الفراغ بالعودة الى الدراسة، أو بأداء بعض الخدمات لجاراتهن. ويزداد الاحساس بفراغ الدور لدى المطلقات أو اللائى هجرهن أزواجهن.

وكذلك فإن للرجل الذى بلغ منتصف العمر أو خريفه مشاكله: فهو قد وصل الى قمة التدرج الوظيفى، وبدأ يعانى من فتور الحماس، وأدرك أن إنجازاته كانت أقل من طموحاته المبكرة، وهو الآن يراقب الشباب وهم يأخذون مكانه (Brim,1976) كما أن الرجال ايضا يمتعضون مما طرأ على أجسامهم ومظهرهم من تغيرات (Lewis,1981)

مرحلة العمر المتقدم Old Age

وتـأتى هذه المـرحلة بعـد مرحلة ضغوط وصراعات منتصف العمر، وتزداد مشكلات مرحلة العمر المتقدم أو مرحلة الشيخوخة فى العالم الصناعى الغربى

المعاصر بدرجة أكبر مما توجد عليه فى مجتمعنا العربى، ذلك أن المشكلات التى يعانى منها كبار السن فى هذه المجتمعات لا توجد فى الغالب فى مجتمعاتنا العربية حيث الترابط الأسرى، وحيث بر الأبناء بالآباء. وأما الشيخوخة بما يرتبط بها من ضعف فى القدرات، فإنها تصبح مشكلة شخصية واجتماعية فى المجتمع الغربى.

ولم تكن هذه المرحلة تمثل مشكلة فى الماضى، فقد كان كثير من كبار السن يقومون بعديد من الأعمال لجماعتهم، فكانت النساء العجائز يجمعن الغذاء، ويراقبن الأطفال. وكان الشيوخ من الرجال يبدون النصح، ويزودون الجماعة بما تحتاجه من معلومات.

وفى المجتمعات التقليدية التى تقوم على الزراعة أو الرعى، فإن كبار السن يحتلون فيها منزلة اجتماعية بالغة الاهمية، فرب العائلة الممتدة من الذكور تكون له اليد العليا فى كل شىء يخص الجماعة، فهو الذى يتحكم فى توزيع السلع والخدمات على أفراد الجماعة القرابية. وهو الذى يقرر متى تنتقل قطعان الماشية، أو قطعة الأرض، أو أى شىء يتعلق بالثروة الى أفراد العائلة الذين بلغوا مرحلة الشباب. كما أنه هو الذى يختار الزوجات والازواج لأبنائه وبناته، ويستمر فى تنظيم حياة أبنائه المتزوجين. وعلى مستوى المجتمع الأكبر، فإن كبار السن هم يشغلون وظائف السلطة السياسية والدينية.

ولا ترجع الفروق فى المكانة الاجتماعية التى يحتلها كبار السن فى كل من المجتمعات البسيطة والمجتمعات الحديثة بكل تأكيد الى اختلافات غير عادية فى الطبيعة الانسانية لأفراد كل من المجتمعين، فتوجد الطاعة ويتوفر الاحترام فى المجتمعات البسيطة، حتى اذا ما تطورت هذه المجتمعات اختفت فجأة الطاعة وتلاشى الاحترام. ولكن الواقع أن المكانة العالية التى يحتلها كبار السن فى المجتمعات البسيطة انما ترجع اكثر ما ترجع الى قدرتهم على التحكم فى الاشياء ذات القيمة لابنائهم ولمجتمعهم ككل: القدرة الاقتصادية، ولاء العائلة، الخبرة أو الحكمة، وهذه هى بعينها المقومات الثلاثة التى فقدها كبار السن خلال عمليات التحديث والتطور. معنى ذلك، أن مكانة كبار السن المنخفضة فى المجتمعات العصرية إنما ترجع أكثر ما ترجع، إلى فقدهم القدرة على التحكم

فى هذه المقومات الثلاث، سواء على المستوى العائلى أو على مستوى المجتمع الأكبر، حتى أصبح الأبناء فى هذه المجتمعات يشككون فى قدرة كبار السن، وينزلونهم أدنى مكانة.

كبار السن فى المجتمعات الحديثة :

The Elderly In Modern Societies

فيما يتعلق بأبعاد التدرج الاجتماعى الثلاثة، وهى السلطة والهيبة والملكية، فإن كبار السن فى المجتمعات الصناعية فقدوا الكثير من ميزاتها. فمع التصنيع والتحضر، والعصرية التى غيرت الاتجاهات والسلوك، فقد كبار السن ميزة التمتع بهذه المقومات الثلاثة، فيما عدا بعض المجتمعات الفرعية فى هذه المجتمعات الصناعية، والتى مازالت تعيش معيشة بسيطة.

ويمكن القول بوجه عام، إن المكانات المكتسبة حلت محل المكانات الموروثة عندما أصبح للتعليم أهميته الكبيرة فى إعداد الشباب للمكانات التى سوف يحتلونها فى مرحلة الرشد. وبالرغم من أن الحاجة ماتزال قائمة للدعم المادى والمعنوى الذى يستمده الشباب من عائلاتهم، فإنهم يستطيعون أن يشقوا طريقهم فى الحياة، وأن يختاروا نوع تعليمهم ومهنهم، وأن يعتمدوا على أنفسهم فى ذلك. ولم تعد توجد الا قلة من الأفراد الذين يعتمدون اعتمادا أساسيا على ما يورثه لهم أباؤهم من أرض أو مال. وأقل من هؤلاء من لا يزال يسمح للأباء باختيار شريكة حياته، بالرغم من محاولة آبائهم التأثير عليهم بهذا الصدد. ولم يعد كبار السن فى هذه المجتمعات الصناعية يلقون بالا أو يكترثون لما حدث من تغير بالنسبة لسيطرتهم أو تحكمهم فى حياة أفراد عائلاتهم.

كما لم يعد كبار السن يأملون فى استمرار ما كانوا يحظون به من تقدير وهيبة على أساس استمرارهم فى الاسهام فى خدمة المجتمع، فمعظم الموظفين والعاملين يعملون فى الحكومة والقطاع العام، وليس فى مؤسساتهم الخاصة، ومن هنا، فإنهم يحصلون على معاش، يصل فى الولايات المتحدة وكندا الى نصف ما كانوا يحصلون عليه تقريبا قبل التقاعد. وقليل من الناس سواء فى الولايات المتحدة أو كندا (١٢٪) من يحصل على عمل بعد الخامسة والستين. وإن ١٥٪ من

مجموع من هم فوق الخامسة والستين يكون تحت، أو على خط الفقر. ولا يحصل سوى عدد قليل من كبار السن فى المجتمعين على دخول مرتفعة. والغالبية العظمى لا يحصلون الا على الدخل الذى يساعدهم بالكاد على معيشة معقولة (Hesse,1980)

وقد بدأ الاهتمام يتزايد اليوم بكبار السن فى كل من الولايات المتحدة وكندا، ويرجع السبب فى ذلك الى اسباب سياسية تتعلق بالرغبة فى الفوز بأصواتهم فى الانتخابات، فهم يشكلون ما يقرب من ١٠٪ من مجموع أصوات الناخبين، هذا بالاضافة الى أنهم أكثر حرصا من الشباب على الذهاب إلى لجان الانتخابات والادلاء بأصواتهم. وقد يفسر هذا الى حد ما، انتخاب «رونالد ريجان» رئيسا للولايات المتحدة وهو فى هذا العمر المتقدم (٦٩ عاما) وهو أكبر من انتخب كرئيس للولايات المتحدة فى فترة رئاستهم الأولى.

وبالرغم من أن كبار السن اليوم لا يتطلعون بكل تأكيد الى ما كان لهم من سلطة وهيبة فى الماضى، فليس هناك ما يدعو الى الاعتقاد بأن الشباب فى الماضى كانـوا سعداء بالنظم التقليدية وتدخلات الكبار. والواقع أنه يمكن القول ان العلاقات المتبادلة اليوم بين الأجيال هى أكثر ارضاء عما كان عليه الأمر فى الماضى (Hess and waring, 1978) فالتفاعل الاجتماعى بين الآباء والأبناء الشباب، يقوم على التقدير والمودة والحب، وليس على الأوامر والإرغام.

ولا ينبغى أن نتحسر ونذرف الدموع على عصر العائلة الممتدة الذهبى الذى ولى، فلم يحدث أن وجد هذا العصر الذهبى سواء فى الولايات المتحدة أم فى كندا أو فى أى مكان آخر فى أوربا، وحيث توجد العائلات الممتدة، فليس ثمة ما يدعو الى الاعتقاد بأن أعضاءها أشد سعادة من أعضاء الأسر المفردة، بل إن هناك دلائل كثيرة تشير الى العكس.

كبار السن فى البلاد العربية :

اذا كان الاهتمام قد بدأ اليوم يتزايد فى الولايات المتحدة بكبار السن لأسباب سياسية، فإن الاهتمام بكبار السن فى المجتمعات العربية ظل وسيظل نابعا من التقاليد الاسلامية ومن التراث العربى الأصيل، وما زالت المؤتمرات والندوات

تعقد فى البلاد العربية عن المسنين ومشكلات الشيخوخة، آخرها الندوة التى عقدت فى المغرب منذ شهور قليلة لدراسة أوضاع وطموحات وحاجات المسنين، ورغم أن الندوة انتهت بعد ثلاثة أيام الى اصدار مجموعة من التوصيات تدعو الى الاعتناء بالاوضاع الصحية والسكنية والاهتمام بشؤون المسنين، فإن مسألة اعداد مخطط طويل المدى لحماية المسنين وتحقيق اندماجهم فى المجتمعات ما يزال يتطلب الكثير من الجهد.

ومن أهم ما انتهت اليه الدراسة العلمية الميدانية المسهبة التى أعدتها الوزارة، هو أن مسـألة اعداد خطة علمية لحماية المسنين والعناية بأوضاعهم، ينبغى أن تشتمل على محورين: واحد على المدى البعيد، وآخر على المدى القريب.

وتشير الدراسة الى ان المخطط القصير المدى لرعاية المسنين ينبغى أن يتجه للعجـزة والارامل وذوى العاهات الصحية والعقلية من المسنين، وان يوفر لهم امكانية العيش الكريم سواء بدعم الاسر التى تتكفل برعايتهم، أو بزيادة عدد الملاجىء وتطوير خدماتها. اما المخطط بعيد المدى فهو يرمى الى العناية بالانسان من يوم مولده حتى وفاته.

وأفردت الدراسة جزءا مهما لاستقصاء آراء المسنين لمعرفة مدى شعورهم بضغط العمر المتقدم، وتبين من خلال تحليل الاجابات، أن نسبة من المسنين تعتقد أن الكهولة تعنى لهم مرحلة التهميش، وعدم الاكتراث بآرائهم، وأنها تجعلهم أبناء لأولادهم! وتعتقد نسبة كبيرة منهم أن المأوى أو ما اسمته الدراسة «بدور الراحة» افضل من كفالة الاسرة، لانها توفر لهم علاقات اجتماعية يستريحون لها بسبب الهموم والمشاغل المشتركة.

وأظهرت الدراسة أن الكفالة الاجتماعية الاسلامية ما تزال تمارس دورا مؤثرا فى حماية المسنـين ورعـايتهم، ولـذلك فإن القلق على أوضاع المسنين فى هذه المجتمعات ليس على نفس القدر فى المجتمعات الغربية، الا أن أنماط برامج التنمية الحالية من شأنها أن تعرض هذه الكفالة لبعض الخلل فى المستقبل، وحذر بعض المشاركين فى الندوة خلال المناقشات، من الاعتماد على الكفالة الاجتماعية داخل الاسر اعتمادا كبيرا أو كليا، اذ ان المسنين داخل الاسرة محدودة الدخل

يتعرضون للحرج. وتشير الدراسة الى ان أوضاع المسنين المكفولين أسريا مرتبطة باوضاع أسرهم. ولا ينبغى تجزئة التعامل مع أفراد الاسرة الواحدة. ووفق ذلك تؤكد الدراسة انه لا يمكن وضع سياسة اجتماعية لحماية المسنين دون ان تكون هذه السياسة مدرجة ضمن مخطط اجتماعى شمولى، وركزت الدراسة بصفة خاصة على الوضع الصحى للمسنين مع التأكيد باستحالة وضع سياسة اجتماعية خاصة بالشيخوخة دون مراعاة الجوانب الصحية لهم.

وتعرض الدراسة إلى مجموعة من المبادىء التى ترى ضرورة اعتمادها لتكون أساسا لكل سياسة اجتماعية توضع لرعاية المسنين، وأول هذه المبادىء ان لا يتم ربط قيمة المرأة أو الرجل بسنوات عمره، أو دوره فى الاقتصاد، حيث تقول الدراسة، أن من شأن ذلك ان يشعر الانسان بالتفاؤل وبقيمته الانسانية بعد عمر الخمسين الذى يشكل بداية الشعور باقتراب الشيخوخة. وتدعو الدراسة إلى تجنب إشعار أى عضو من العائلة بأنه أصبح مسنا، وتدعو فى هذا الاطار الى تسهيل مسألة احالة الموظف او العامل إلى التقاعد. على ان يتم ذلك بأسلوب يتفادى إحراج المسنين. وكانت اللجنة المغربية للشيخوخة قد دعت من جانبها عند تأسيسها عام ١٩٨٢ الى ضرورة احداث منحة للشيخوخة يتسلمها المسنون الذين لا يشملهم نظام التقاعد ونظام الضمان الاجتماعى.

وتتضمن التوصيات الدعوة إلى مساعدة العائلات على تحمل مسؤولياتها التقليدية فى الحفاظ على اواصر الالفة، والمودة، والتعايش والتفاهم، والاحترام بين افرادها، مهما كانت درجات أعمارهم. وتجنب استقلال الافراد بعضهم عن بعض مع دعم شخصية كل فرد.

وتدعو الدراسة إلى مطلب أصبح ملحا فى الدول النامية، وهو تنمية المناطق الريفية والقضاء على الفوارق بين المدن والقرى لوقف هجرة الشباب، وقيام ما اسمته الدراسة «بالمدن الريفية» وذلك بتجهيز هذه المناطق وتوسيع الخدمات الاساسية فيها.

ونقدم فيما يلى أهم التوصيات التى خلصت إليها الندوة:

١ - إنشاء جمعية «المحالون على المعاش» وضرورة اعطاء مكانة هامة للاشخاص

المسنين فى مخططات التنمية الوطنية.
٢ ـ تنمية الدراسات حول الامراض المعدية.
٣ ـ اعادة دراسة نظام الاسعافات الأولية.
٤ ـ تنمية الدراسات الميدانية من النوع الذى قامت بها الوزارة بناء على الميادين التى أوصت بها الندوة وتطويرها.
٥ ـ رصد المشاكل الخاصة بالمسنين فى التخطيط المقبل.
٦ ـ عدم الخلط بين الميزانية الخاصة بوزارة الصحة وبين النفقات الطبية.
٧ ـ تقريب نظام الصحة من العائلات والاشخاص المسنين لتسهيل الحصول على الاسعافات الطبية ما أمكن ذلك.
٨ ـ تطوير مؤسسات إيواء العجزة والمسنين.
٩ ـ تشجيع مشاركة الاشخاص المسنين فى التنظيم الصحى وفى ادارة المصالح على المستوى المحلى والوطنى.
١٠ ـ العمل على نشر المبادىء الصحية بين السكان.
١١ ـ ايجاد حد أدنى من النفقات لصالح المرأة المسنة، أرملة كانت أم مطلقة.
١٢ ـ العناية بالمرأة المسنة.

«جريدة الشرق الاوسط» السبت ١٩٨٥/١/٣.

كبار السن والسياسة The Politics of Aging

أحرز كبار السن ومناصروهم فى الولايات المتحدة عديدا من الانتصارات السياسية، انعكست على عديد من الامتيازات لهم، سواء فيما يتعلق بالضمان الاجتماعى أم بالرعاية الصحية، أو غير ذلك من برامج الخدمات. ولا ترجع هذه المكاسب بالضرورة الى الأنشطة السياسية لكبار السن بالرغم من وجود بعض التنظيمات القليلة الخاصة بهم.

والمشكلة الاساسية أمام قيام تنظيمات قوية خاصة بكبار السن ليس نقص الأموال أو الجهد الجسمى اللازم لقيام مثل هذه التنظيمات، بقدر ما هو عدم اتفاق الكبار أنفسهم، والاختلاف الكبير بينهم على قيام مثل هذه التنظيمات، فإن وجهات نظرهم واهتماماتهم تتباين تباينا كبيرا. ومن هنا فليس مما يثير الدهشة

أن تقوم صعوبة كبيرة أمام تشكيل تنظيم يضم كبار السن على أساس سياسى، (Ragan and Davis,1978)

ولا يرغب كل كبار السن أن تمد فترة التقاعد، بل ان البعض يريد تخفيضها ولا يريد رفعها، كما أن الموسرين منهم يضيقون بالرعاية الطبية التى تقدمها الهيئات العامة. ولقد اقتنع كثير من كبار السن ببرامج الضمان الاجتماعى التى حاربوها فى الماضى حربا لا هوادة فيها، على أساس أنها «نزعات اشتراكية».

وليس من السهل تنظيم آراء كبار السن حول قضايا عامة، وعندما بذلت جهود كبيرة معهم لاقناعهم بمؤازرة بعض التشريعات والقوانين المحلية غالبا ما كانوا ينيبون أحدا للحديث باسمهم.

وهذه الصعوبة فى إيجاد رأى عام وتنظيم من أى نوع، يعنى أن كبار السن لا يرغبون أن يتخذ أحد قضيتهم مطية لأهدافه، وبوجه خاص هؤلاء الذين يثيرون قضايا الأقليات، ويريدون أن يقحموا قضيتهم ضمن هذه القضايا. ومع ذلك، فإنه يمكن القول، إنه بدون توحد سياسى قوى بينهم، فإن كبار السن سوف يصعب عليهم إحراز أية منافع أو مزايا جديدة. وكما لاحظ كثير من علماء السياسة (Society,1978) فان جميع الاهداف السهلة قد تحققت، وضمنت التشريعات التى صدرت حتى الآن، المقومات الرئيسية لحياة الغالبية العظمى من كبار السن. وان أية امتيازات اخرى سوف تكون على حساب الفئات العمرية الأصغر، هذه الفئات التى تئن تحت وطأة الزيادة الكبيرة فى ضرائب الضمان الاجتماعى. كما أنه يوجد عائق آخر أمام إقامة تنظيم سياسى لكبار السن، هو أن كبار السن الذين لم يحظوا حتى الآن بالرعاية، وبالدخول الكافية، وبالاعانات المادية والخاصة بالخدمات، معظمهم ينتمى إلى جماعات الاقلية التى تفتقر إلى الدعم السياسى.

ويبدو أن من الصعب فى ظل الظروف الحالية، توفير الدخول المناسبة وكفالة الرعاية الصحية، واتاحة كل أنواع الخدمات التى تكفل لجميع كبار السن العيش فى بيوتهم فى نعيم وهناء. وقد يمضى وقت طويل حتى تظهر هذه الأمنيات إلى حيز التنفيذ. ومن هنا فإن جماعات من كبار السن الأكثر بؤسا، والذين وقعوا

ضحايا التفرقة بمختلف أشكالها، قد قنعوا بفكرة أن مرحلة العمر المتقدمة هى المحط الأخير لهم، فشيخوختهم ليست السبب فيما يلاقونه من إهمال أو عدم اكتراث.

الخلاصــــة

Summary

تعد الذكورة والأنوثة، وكذلك العمر، محددات قوية لوضع الفرد الاجتماعى. وبالرغم من أن المكانة الخاصة بالذكورة والأنوثة تعد مكانة موروثة منذ الميلاد على أساس تشريحى، فإن الخصائص المتعلقة بها تعد خصائص مكتسبة تتأثر بالثقافة السائدة التى تتوقع سلوكا معينا مناسبا من أفراد كل من الجنسين. ويشير التباين الكبير سواء داخل الثقافة الواحدة (ريف أو حضر مثلا) أم بين الثقافات المختلفة، فى تعريف وتحديد الأعمال الخاصة بكل جنس، إلى أن عملية التطبيع الاجتماعى والبناء الاجتماعى أقوى بكثير من العوامل البيولوجية فى تحديد الاتجاهات والتصرفات وقواعد السلوك الخاصة بكل جنس. وبالرغم من هذا التباين فى الادوار المتعلقة بكل من الذكور والاناث. فإن الدراسات تشير الى أن أعمال الرجل تقوم تقويما أعلى من أعمال المرأة. وهذا هو أساس التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة: التقدير الأعلى لاسهامات الذكور فى المجتمع، وما يترتب على ذلك من مكانات مرتفعة فى أغلب ابعاد التمرتب الاجتماعى.

الى أى مدى ينبع هذا التقويم المختلف، وتلك المكانات المتباينة من الفروق البيولوجية بين الذكور والاناث؟ تشير التجارب على الحيوانات العليا، الى أن هذه الفروق لا تؤثر الا تأثيرا قليلا على السلوك الذى يفسر التدرج الاجتماعى لكل منهما.

وبالرغم من أن معظم الاعتقادات الشائعة حول الفروق بين الذكور والاناث تفتقر الى الدليل التجريبى، فإن هذه الاعتقادات تؤثر فى سلوك الناس، وفى اتجاهاتهم.

وتشير الابحاث الحديثة عن الشخصية، أنه يوجد فى كل شخص مزيج من السمات الذكرية والأنثوية، ولكن خلال عملية التطبيع الاجتماعى على الادوار المتعلقة بكل جنس، فإن مجموعة السمات والخصائص الأخرى تقمع.

وتدل المعارف المستقاة من كل من المجتمع الامريكى والمجتمع الكندى، أن الغالبية العظمى من وظائف السلطة العليا فى يد الرجال. وبزيادة أعداد النساء اللاتى يدخلن اليوم مجال القوى العاملة، فإن الهيمنة الاقتصادية للرجل قد تضاءلت. ومع ذلك فإن النساء اللائى يشتغلن طوال الوقت لا تزيد أجورهن عن ثلثى أجر الرجل. كما أن أجر خريجات الجامعة من النساء ينقص بمقدار ٢٠٪ عن أجر الخريجين من الرجال. ويغلب على بعض الوظائف الطابع النسائى، كما يغلب على بعضهاالآخر الطابع الرجالى. وان الوظائف التى يغلب عليها الطابع النسائى أقل أجرا ولا تتيح مسئولية أو طموحا كبيرا. وان هذا التركيز فى الوظائف يعد سببا ونتيجة فى نفس الوقت للانطباع السائد عن الوظائف الخاصة بكل من الجنسين، وللاعتقادات الشائعة حول الصفات اللازمة للعمل، وللقدرة النسبية لكل من الرجال والنساء.

وتتضمن التطورات الحديثة دعما ومعارضة للتغير فى التدرج الاجتماعى على أساس الذكورة والأنوثة. ومع ذلك، فإن التغيرات الحادثة فى مجالات التعليم، والاسهام فى قوة العمل، والعلاقات الشخصية بين الجنسين وغير ذلك، قد أثرت تأثيرا قويا فى شعور النساء بأنفسهن.

ويعتبر العمر خاصية موروثة، ويستخدم متطلبا اساسيا فى الحصول على المكانات الاجتماعية للأعمار المناسبة لأداء أدوار معينة، الى وجود أعمال ترتبط بالتدرج الاجتماعى فيما يتعلق بالسلطة والاحترام.

ويوجد بناء عمرى معين لسكان كل مجتمع من المجتمعات، ينتج عن عدة عوامل، من بينها معدل المواليد والوفيات وأنماط الهجرة السائدة. ويمثل الهرم السكانى أعداد الذكور والاناث فى الأعمار المختلفة المتاحين لشغل مختلف الأدوار الاجتماعية، وبالرغم من تأثير العوامل البيولوجية على السلوك، فإن اغلب التحديات الخاصة بالعمر تحديات ثقافية واجتماعية. وعندما يستبعد الشخص عن

الأدوار التى يعتقد أنه قادر على القيام بها، فإن النتائج يمكن أن تكون غير طيبة.

ويشتق الوضع الاجتماعى لكبار السن من قدرتهم على التحكم فى الاشياء ذات القيمة لأبنائهم ولمجتمعهم، وذلك مثل الأرض أو العقار أو الثروة، أو الولاء الأسرى، أو المعارف والمعلومات القيمة. ويعد كبار السن جماعة لا حول لها ولا قوة الى حد بعيد فى المجتمعات المعاصرة، بالرغم من أن عددهم يتزايد، وأن بعضهم يشغل وظائف مهمة ومحترمة فى التنظيمات السياسية والدينية.

وتشكل الاختلافات الكبيرة فى وجهات النظر السياسية والاجتماعية، صعوبة أمام وحدة الكبار على أساس المكانة العمرية. وقد صدرت عديد من التشريعات التى كفلت للغالبية العظمى من كبار السن حاجاتهم المعيشية الأساسية، ولا يبدو هناك أمل فى اصدار المزيد منها.

قراءات مقترحــــة

Davidson, Laurie, and **Laura Kramer Gordon.** *The Sociology of Gender.* Skokie, Ill.: Rand McNally, 1979. A timely analysis of gender role socialization and the impact of the family, ideology, stratification, the economy, ethnicity, and the Woman's Movement on continuity and change in gender roles. Although primarily concerned with the United States, the book includes a comparative treatment of gender roles in Sweden, China, and Israel.

Hess, Beth B., and **Elizabeth W. Markson.** *Aging and Old Age: An Introduction to Social Gerontology.* New York: Macmillan, 1980. A detailed analysis of aging and old age utilizing a social systems and historical perspective. Includes an examination of the impact of ideology and beliefs about aging, the processes of aging, and the role of the aged in various institutional spheres.

Marshall, Victor W. (Editors). *Aging in Canada: Social Perspectives.* Pickering, Ontario, Canada: Fitzhenry & Whiteside, 1980. An anthology of articles dealing with various aspectsof aging in Canada and implications for individuals, families, and the larger society, including the meaning of aging, work, and leisure, changing family contexts, health care, and the needs of and services for an aging population.

الفصل العاشر
الاقليات العنصرية والسلالية والدينية

Racial, Ethnic, and Religious Minorities

الفصل العاشر
الاقليات العنصرية والسلالية والدينية

Racial, Ethnic, and Religious Minorities

خلال الحرب العالمية الثانية، وضع معظم الأمريكيين من أصل يابانى فى الولايات المتحدة فى معسكرات اعتقال، وكذلك احتجز الكنديون من أصل يابانى فى مناطق داخلية بعيدة فى كندا.

وعندما تولى «جون كيندى» رئاسة الولايات المتحدة عام ١٩٦٠ كان أول تصريح له، أن يؤكد للشعب أنه وان كان ينتمى الى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، فلن يدع الدين يؤثر فى سياسة الولايات المتحدة.

وعندما تدفقت أمواج اللاجئين الكوبيين على فلوريدا فى ولاية ميامى فى أوائل عام ١٩٨٠ استقبلهم الامريكيون استقبالا بالغ السوء، واشترك الشباب والأطفال فى مظاهرات صاخبة حملوا فيها لافتات تضمنت شعارات عدائية مثل «لاتلوثوا أمريكا».

ولم توجد فى تاريخ امريكا، وكذلك الأمر بالنسبة لكندا، الا أحداث قليلة نسبيا من حالات التعصب الأعمى وانعدام التسامح الدينى والعنصرى والسلالى. واستقبلت أرض الولايات المتحدة التى يتصدر مدخلها شعار الحرية، جموعا عديدة من الفقراء الذين جاءوا يبحثون عن فرص عيش أفضل، وإن كان هذا لم يمنع من حدوث بعض المضايقات لأفراد جماعات الأقليات الدينية والعنصرية والسلالية.

ويعد العرق، والدين، والسلالة، أنساقا اجتماعية تؤثر فى وضع الأفراد الاجتماعى فى عديد من المجتمعات. وتختلف المجتمعات اختلافا كبيرا فى مدى وجود جماعات عرقية ودينية وسلالية بين سكانها وفى قوة هذه الجماعات فبعض

المجتمعات مثل مجتمع السويد والدانمرك والنرويج، تعد مجتمعات متجانسة. بمعنى أن سكانها يتشابهون فى الأرومة العنصرية، والديانة، والأصل السلالى. ومن ثم فإن مثل هذه المجتمعات لا تعانى من مشكلات امتصاص أعداد كبيرة من الناس لهم عادات ومعايير تختلف عن عادات ومعايير أغلبية السكان. ومع ذلك، فإن بعض هذه الدول كالسويد مثلا، بدأت تعانى الآن من العمالة الوافدة من جنوب أوربا وشمال أفريقيا، وكانت قد استعانت بهم لسد احتياجاتها من العمال غير المهرة وشبه المهرة.

كما أن بعض المجتمعات الأخرى تكون غير متجانسة، بمعنى أنها تضم أعدادا كبيرة من المواطنين الذين يختلفون اختلافا كبيرا من حيث اللون والملامح، والمعتقدات والقيم، كما أنهم يتباينون لغة وثقافة، ويختلف الجميع عن النمط القومى المثالى. ويضم الاتحاد السوفيتى عشرات من القوميات داخله. وكذلك الأمر وإن كان بدرجة أقل، فيما يتعلق بيوغسلافيا، واستراليا، ونيوزيلندا، وجنوب أفريقيا، واسرائيل والولايات المتحدة، وكندا. ويتوقف النظام الاجتماعى فى مثل هذه المجتمعات على عدة عوامل، من بينها:

١ - كيفية اتصال الجماعات المختلفة ببعضها البعض.
٢ - كيفية توزيع المصادر فيما بينهم، أى مدى توفر العدالة الاجتماعية.

والفكرة الأساسية فى هذا الفصل هى بيان كيفية تأثير المكانات الموروثة الخاصة بالعرق والدين والسلالة، على نظام التدرج الاجتماعى الهرمى العام.

تعريف جماعات الأقلية

Minoity Groups Defined

جماعات الأقلية هى الجماعات التى تختلف عن النمط العام السائد من السكان. وهذه السيادة لا تكون بالضرورة سيادة عددية. فالسيادة تشير الى التحكم فى مظاهر الحياة الاجتماعية الرئيسية، كما أنها تتضمن سلطة تحديد المعايير وقيم الحق والخير. وهكذا، فإنه بالرغم من أن الانجلو ساكسون البيض

البروتسنانت، كانوا يمثلون أقلية بالنسبة لسكان أمريكا، فإنهم هم الذين شكلوا ثقافة، الامة الامريكية ولغتها وأيديولوجيتها وقوانينها إنهم هم الامريكيون، ومن عداهم من غير البيض أو البروتستانت أو من غير شمال أوربا، يختلفون عنهم وفقا لصفاتهم المتباينة وهم لا ينحون فقط جانبا، بل إنهم يكونون أيضا عرضة لمعاملة غير متساوية:

وتوجد أربعة عوامل تعرف فى ضوئها مكانة جماعة الأقلية:

١ - تمييز السمات الموروثة التى يمكن التعرف بها على جماعة الأقلية.
٢ - تباين المعاملة على أساس الاتصاف بهذه السمات.
٣ - تنظيم صورة الذات حول هذه السمات.
٤ - الوعى بأن هناك آخرين يشاركون الشخص هذه السمات أو الذاتية.

وهكذا تتشكل أنساق من الأفراد ينتمون إلى مجتمعات فرعية. وتؤدى المشاركة فى هذه المجتمعات الفرعية ثلاث وظائف لأعضائها:

١ - تزويد الفرد بذاتية يتعرف بها على نفسه.
٢ - تتيح له أنماطا من العلاقات التى تتصف بها الجماعة المحلية (جمنشافت).
٣ - تفسير المجتمع القومى الأعرض فى ضوء تقاليد جماعة الاقلية6(Gordon,1978)

وبذلك يستطيع أعضاء جماعة الأقلية أن يوجدوا ثقافة فرعية توفر الحماية والأمان لهؤلاء الذين آثروا أن يظلوا داخلها. ليجدوا الروابط الأولية والثانوية التى يفتقدونها خارج الجماعة الفرعية. وذلك أنه غالبا ما يصعب على أعضاء الجماعة الفرعية دخول المجرى العريض للمجتمع بكل ما يضمه من نظم اجتماعية.

وتضم كل من الولايات المتحدة وكندا جماعات أقلية تتميز على أساس الابعاد السلالية، والدينية، والعنصرية.

ويشير البعد السلالى إلى الخلفية القومية أو التميز الثقافى. ويتباين الأفراد والجماعات فى العادات واللغات والتقاليد وفقا للأصل الذى جاءوا منه.

ويشير البعد الدينى إلى مجموعة المعتقدات والشعائر المرتبطة بالمقدسات. ويتعرف أصحاب الديانات المختلفة بعضهم على بعض عن طريق المشاركة فى

الشعائر وترددهم على أماكن عباداتهم.

وأما العرق فهو أصعب من حيث التعريف ويقوم أكثر ما يقوم على أساس السمات البيولوجية.

ويعد العرق والسلالة مكانتين موروثتين، فلا يستطيع أحد أن يغير لون جلده ولا أصله الذى انحدر عنه، بالرغم أن البعض يمكن أن يتنكر لأبناء جلده أو لأصله. ويعد الدين أيضا مكانة موروثة، الا أن الشخص يستطيع أن يغيره اذا ارتد.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، تعد الطبقة الاجتماعية مكانة مكتسبة فى المجتمعات الصناعية، وتتوزع المصادر الاجتماعية ذات القيمة وهى السلطة والاحترام والملكية وفق القواعد والنظم التى تضعها الجماعات السائدة فى المجتمع. وتتوقف المكانة العالية أو المنخفضة التى يمكن أن يحصل عليها أفراد جماعات الأقليات العرقية والدينية والسلالية، على عدة عوامل:

١ - مدى اقترابهم من الثقافة فى الملامح والعادات.
٢ - المهارات والمواهب (بما فى ذلك التعليم) التى يمكنهم تقديمها للمجتمع.

وهذا يعنى أن الخلفية التاريخية لمختلف جماعات الأقلية سوف تختلف اختلافا كبيرا، الأمر الذى يصعب معه إلى حد ما، القيام بعملية تعميم بالنسبة لهذه الأقليات. فعلى سبيل المثال، تختلف معاملة اليهود عن معاملة الزنوج فى كل من الولايات المتحدة وكندا اختلافا كبيرا، بالرغم من أن كلا منهما يعد جماعة أقلية بالنسبة للثقافة السائدة. ولأن اللون الأسود يعد سمة ملحوظة فى مجتمع من البيض، فإنه يحتمل أن يكون حاجزا قويا أمام الحراك الاجتماعى.

المكانات الموروثة والتدرج الاجتماعى الهرمى

Ascribed Status and stratification Hierarchies

غالبا ما تشكل المكانات الموروثة حدودا طبقية مغلقة فى الولايات المتحدة،

فهى تحد من تولى أفراد جماعات الأقلية الوظائف المهيبة أو مناصب السلطة. وبمرور الوقت أصبح كل من الدين والسلالة عقبة أقل قوة عما كان عليه الأمر فى الماضى، أمام انجازات أعضاء جماعات الأقليات وأعمالهم. فلم يكن الكاثوليك يستطيعون ترشيح أنفسهم لمنصب الرئاسة عام ١٩٢٨ ولكن «جون كيندى» وهو كاثوليكى انتخب رئيسا عام ١٩٦٠ وكذلك عين حديثا وزيران ممن ولدا خارج الولايات المتحدة، أحدهما من أصل ألمانى، والآخر من أصل بولندى. ويحتل اليهود والايطاليون اليوم معظم المناصب العليا فى الشركات فى كل من الولايات المتحدة وكندا، بالرغم من أنه منذ عشرات قليلة من السنوات، كانت نفس هذه الشركات ترفض حتى مجرد استئجارهم. وفيما يتعلق بالقدرة على تولى مناصب عليا فى المجتمع، فإن بعض الجماعات الفرعية تفضل عن جماعات فرعية أخرى.

جــذور العنصريــة

Roots of Racism

المستوطنون الاوربيون فى امريكا الشمالية:

European Settlers in North America

لم تحدث الزيادة الكبيرة فى تعداد الولايات المتحدة إلا منذ ما يقرب من مائتى عام فقط، وذلك عندما تدفقت هجرات الأجانب عليها، وبدأوا فى إزاحة السكان الأصليين الذين دخلوا القارة قبلهم بحوالى ٢٠٫٠٠٠ سنة على الأقل عبر جسر أرضى من قارة أسيا. ولم يمض وقت طويل حتى أصبحت قبائل الامريكيين الأصليين جماعة أقلية عنصرية - سلالية أقل منزلة من البيض الوافدين الأكثر حضارة. ولأن ثقافة المستوطنين البيض عرفت بأنها أرقى من ثقافة الشعوب الأخرى، فإن الصفات الجسمية للجماعات العنصرية الأخرى، اعتبرت دليلا على أن أصحابها أقل بيولوجيا. وهكذا برر المستعمرون البيض استيلاءهم على الأرض والمصادر الطبيعية الهامة، وتدميرهم المنظم لثقافات السكان الأصليين.

السكان الأصليون فى امريكا الشمالية :
Native Americans In North America

ان النظرة النمطية التى كانت سائدة إبان القرن التاسع عشر للسكان الأصليين جاءت على لسان الرئيس الامريكى «اندروجاكسون» لتبرير عمليات طردهم من أراضيهم عام ١٨٣٠ :

«ما الذى يفضله الشخص المخلص بالنسبة لبلاد تمتلىء بالاحراش والغابات يقطنها عدة آلاف من الهمجيين بالنسبة إلى . . . جمهوريتنا، العامرة بالمدن . . . . والمزارع اليانعة، والتى يقطنها أكثر من ١٢ مليون من الناس السعداء، والتى ترفرف عليها نعمة الحرية والحضارة والدين؟».

ولم تحترم المعاهدات التى عقدت مع القبائل الامريكية الأصلية، على اعتبار أن الهنود ليسوا أندادا للأمريكيين البيض، وساندت الحكومة حركات الاجلاء الجبرية للهنود عن أراضيهم التى طمع فيها المستوطنون البيض، حتى قطع الأراضى التى تركت للقبائل الهندية لتزويدها باحتياجاتها الأساسية، وقعت أيضا فريسة فى أيدى غير الهنود (Stevens,1940) وبحلول عام ١٩٧٨ كان يوجد ما يقرب من ٥٣ مليون هكتار من الاراضى، أو ما يقرب من ٢ر٣٪ من أراضى الولايات المتحدة، تحت اشراف مكتب الشئون الهندية، الذى كان يشرف على استخدام هذه الأراضى. ولأن هذه الاراضى التى تركت للهنود كانت غير صالحة للاستغلال الاقتصادى، فقد تحققت اهداف البيض وتنبؤاتهم بصدد تخلف الاقتصاد الهندى (Guillemin,1980)

وبعكس الاعتقاد الشائع، فإن سكان امريكا الأصليين لم يعيشوا فى الولايات المتحدة فى مناطق محددة لهم لا يتجاوزونها، إذ ان الغالبية العظمى منهم تعيش فى المناطق الحضرية مثل لوس انجلوس وشيكاغو وغيرهما من كبريات المدن. ويعمل جزء كبير آخر مزارعين وعمالا موسميين فى المناطق الجنوبية الغربية والشمالية الوسطى. كما أن العديد منهم يعيش فى ولاية نيويورك، وشمالى نيوانجلند.

وكذلك فإن الهنود غير معرضين للانقراض كما يتوهم البعض، فإن تعدادهم يزداد بمعدل أسرع من معدل سكان الولايات المتحدة ككل، بل هو أكثر من

ضعف هذا المعدل، وذلك فى الفترة ما بين عام ١٩٤٠ وعام ١٩٧٠ ويحتمل أن يسجل تعداد عام ١٩٨٠ زيادة تفوق المليون نسمة. ويقدر عددهم الآن بأكثر من ١٥ مليون نسمة.

وتعرض من بقى من سكان أمريكا الأصليين لأشكال عديدة من الاضطهاد والعنف، قاوموها بعديد من الطرق كالمظاهرات وأعمال العنف والالتجاء إلى القضاء، وكذلك احتلالهم لجزيرة الكاتراز، محاولين لفت الأنظار الى نقض المستوطنين البيض لمعاهداتهم، وإلى سوء الحال التى وصلوا إليها. وصدرت نتيجة لذلك عدة قوانين لتعويضهم عن أراضيهم التى اغتصبت، وحكم لهم بمبلغ مليون دولار تعويضا عن ممتلكاتهم التى دمرت. وكان من الصعب على الامريكيين الهنود إيجاد تنظيم سياسى قوى يضمهم، للاختلافات الكبيرة بين قبائلهم، فلا يوجد ما يسمى بالامريكى الهندى النمطى، كما لا توجد لهم لغة أو ديانة أو ملامح جسمية واحدة.

وكان الوضع فى كندا يشبه ما حدث فى الولايات المتحدة، فقد أزيح السكان الأصليون وأبعدوا عن مصادر ثروتهم الطبيعية، وعوملوا أسوأ معاملة، وتعرضوا لألوان مختلفة من التفرقة. وكان عدد السكان الهنود فى كندا يبلغ قرابة ٣٠٠٠,٠٠٠ نسمة كثير منهم من الاسكيمو الذين مازالوا يقطنون المقاطعات الشمالية، كما أن جزءا منهم يرتبط بهنود السهول فى الولايات المتحدة. ونيعيش ما يقرب من ٣/٤ الهنود فى كندا فى مناطق محدوة لا يسمح لهم بتجاوزها، كما أنهم يعيشون فى فقر مدقع، ولا يحظون إلا بأقل قدر من التعليم والرعاية الصحية، وتزداد بينهم معدلات الانتحار، والأمراض المعدية، وتبلغ أكثر من ثمانية أضعاف مثيلاتها بالنسبة لبقية الكنديين (Giniger, 1980; Perspective Canada, 1980)

تدفق المهاجرين إلى الولايات المتحدة :

The Immigrant Experience In The United States

ازداد تدفق المهاجرين إلى الولايات المتحدة، استجابة لمتطلبات التوسع الزراعى والصناعى فيها، وبلغ ذروته فى الأحقاب الأخيرة من القرن التاسع

عشر. ومع ذلك فبحلول العشرينيات من القرن العشرين، اصدرت الحكومة قانونا حد من تدفق الأجانب، وكان ذلك عام ١٩٢٤ ومنذ ذلك الوقت لم يسمح الا لقلة من الأفراد بالهجرة الى الولايات المتحدة، تحت ظروف غير عادية.

وخـلال الاعـوام من ١٦٨٩ الى ١٧٥٤ ازداد عدد السكـان البيض فى المستعمرات الامريكية الثلاث عشرة من حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ إلى مليون نسمة، فى حين استقدم حوالى ٢٠٠٫٠٠٠ زنجى عبيدا. وكانت طلائع الأوربين البيض إلى أمريكا من المجرمين، والذين عضهم الفقر بأنيابه. وكذلك ضمت الطلائع الأولى عدة مئات من اليهود وأصحاب الديانات المضطهدة الأخرى. وعندما قامت الثورة الامريكية، كان سكان البلاد يتفاوتون فعلا عنصريا، ودينيا، وسلاليا.

وحتى الخمسينيات من القرن التاسع عشر، كان معظم المهاجرين يقدمون من شمال أوربا، وبالرغم من أن القادمين الجدد من الايرلنديين والالمان كانوا ينتمون إلى ثقافة قريبة جدا من ثقافة المستوطنين البيض، فإن مذاهبهم الدينية وانتماءاتهم السياسية كانت مختلفة عن المذهب الدينى، والانتماءات السياسية للمستوطنين، الأمـر الـذى أدى إلى قيام عديد من المظاهرات ضدهم، من بينها المظاهرات المناهضة للكاثوليكية.

وفى الثمانينيات من القرن التاسع عشر كانت الروافد الأساسية للهجرة تأتى من جنوب وشرق أوربا. وفيما بين عام ١٨٧٥ ـ و١٩٢٦ هاجر إلى الولايات المتحدة ما يقرب من ٩ مليون ايطالى، ومئات الآلاف من البولنديين، والمجريين، والسلافيين، والالمان، والرومانيين، واليهود. وما يقرب من ٣٫٣ مليون من الروس الذين سمح لهم بدخول أمريكا فى الفترة ما بين ١٨٢٠ و ١٩٥٠ وفى هذه الفترة أيضا سمح لحوالى ١١٫٠٠٠ روسى بدخول كندا.

وكان معظم الذين وفدوا من جنوب وشرق أوربا من الفلاحين ذوى الثقافة الريفية، الذين حملوا معهم لغاتهم الغريبة، ودياناتهم وعاداتهم ومعاييرهم وقيمهم المختلفـة، وقد استقبلوا بازدراء وتخوف. واحتقر العمال الذين ولدوا فى امريكا هؤلاء الوافدين الجدد الذين تدفقوا على سوق العمل وتسببوا فى خفض الأجور. وكان البروتستانت يمقتون الكاثوليك الرومان (البابيست) واليهود. وكان ينظر إلى

اللون الأسود وملامح الوجوه الغريبة للقادمين الجدد على أنها تهديد آخر للنقاء العنصرى. وقد عكس القانون الامريكى لوقف الهجرة، والذى صدر عام ١٩٢٤ هذه المخاوف من ذرية أضعف، وكذلك بسبب عدم الحاجة لمزيد من العمال ذوى المهارات المنخفضة، فما يوجد يكفى، ولا حاجة لمزيد من المهاجرين (Par-rillo,1980)

تدفق المهاجرين الى كندا Immigrant Experience In Canada

تاريخيا، كانت سياسة الهجرة فى كندا مخططة لتشجيع نمو المناطق الزراعية الشاسعة فيها، مع الابقاء على الطابع البريطانى للبلاد. واليوم، فإن معظم الكنديين من أصل روسى (أوكرانيا) وايطالى وبولندى وسويدى وهولندى. وفى شرقى كندا توجد جالية يهودية مزدهرة.

وبالرغم من أنه لا توجد فى كندا رسميا، سياسة هجرة خاصة «بالكندى الابيض» فإنه لم يكن يرحب كثيرا بالزنوج أو الاسيويين كمستوطنين حتى الستينيات من القرن العشرين (Richmond,1978) ومنذ هذا التاريخ انخفض عدد المهاجرين من أوربا، وازدادت نسبة القادمين من أسيا ومن مناطق الكاريبى. كما تضاعف عدد القادمين من دول شمال ووسط أمريكا، وهم خليط مختلف سلاليا وعنصريا. ولا يشكل الزنوج الا أقل من ٣٪ من عدد السكان، هاجر معظمهم من الولايات المتحدة منذ قرن مضى. كما وفدت أعداد كبيرة من دول العالم الثالث سمح لهم باقامة مؤقتة أو دائمة.

وإن الأقلية السلالية ـ الدينية الوحيدة الكبيرة فى كندا هى من أبناء المستعمرين الفرنسيين الذين ازداد عددهم سواء بالهجرة أم بالزيادة الكبيرة فى معدلات المواليد. واليوم، فإن الكنديين المتحدثين بالفرنسية يشكلون حوالى ٢٦٪ من مجموع السكان، و ٧٩٪ من سكان مقاطعة كويبك. ولأن هؤلاء الكنديين الناطقين بالفرنسية، كانوا ضحايا التمييز فى الوظائف والعمل وعدم اتاحة فرص النجاح أمامهم، فقد ظهرت حديثا حركة انفصالية قوية تطالب بالحكم الذاتى لمقاطعة كويبك. وكان الكنديون الناطقون بالانجليزية يشكلون أعلى معدلات فى الحراك الاجتماعى الى أعلى، بأكثر مما كان يتحقق للكنديين الناطقين بالفرنسية،

ولكن كل ذلك انتهى فى مقاطعة كويبك منذ السبعينيات من هذا القرن. ولم يسيطر الناطقون بالفرنسية فقط على الاتحادات التجارية والوظائف غير اليدوية، ولكنهم كونوا طبقة وسطى جديدة قوامها أصحاب الوظائف الحكومية (Guin-don,1978 Laczko, 1978) ومع ذلك فقد ظل القطاع الخاص تحت سيطرة المتحدثين بالانجليزية. وأصبحت اللغة مشكلة محيرة فى مقاطعة كويبك لأنه لم يعد هناك مزيد من الوظائف للكنديين المتحدثين بالفرنسية. وإذا كان قد قضى على الحركة التى كانت تطالب بالانفصال والحكم الذاتى عام ١٩٨٠ فإن الفرصة مازالت مهيأة لانتفاضات جديدة، إذا لم تتحسن الأحوال الاقتصادية للكنديين المتحدثين بالفرنسية.

وفى الوقت الحالى، فإن السياسيين والحكوميين المسئولين عن الكنديين الناطقين بالفرنسية قد استخدموا تشريعات باللغتين الفرنسية والانجليزية فى المقاطعة، وضمان التعليم المستقل للمتحدثين بالفرنسية، بمعنى عدم فرض اللغة الانجليزية على سكان المقاطعة.

نماذج لتكامل جماعات الأقليات
Models For The Integration of Minority Gorups

تثير خبرة ثلاثة قرون مع الهجرة إلى أمريكا الشمالية، مخاوف صانعى السياسة الامريكية، وإن أهم مشكلة تواجههم هى كيفية انصهار هذه الامشاج المتباينة من السكان فى بوتقة الدولة، لتصبح البلاد كلها وحدة قوية متماسكة. إن الاستقرار الاجتماعى يتطلب تقاربا إن لم يكن توحدا فى القيم والمعايير، حتى يستطيع أعضاء الجماعات المختلفة التفاعل بيسر وسهولة. وقد اقترحت عدة نماذج لتكامل جماعات الأقليات، من بينها نموذج الانصهار فى البوتقة، ونموذج التعدد الثقافى.

أولا : نموذج الانصهار فى البوتقة The Melting pot Model

يقوم نموذج الانصهار فى البوتقة على أساس الاعتقاد بأن المهاجرين يمكنهم،

بل ينبغى عليهم أن يتخلوا تدريجيا عن تفردهم، وأن يبدأوا فى تعلم اللغة السائدة واستخدامها، وتعلم ثقافة المجتمع الكبير من أجل الحظوة بالفرص المتكافئة للنجاح فى «العالم الجديد» وتساعد وسائل الاعلام ونظم التعليم العام كثيرا بهذا الصدد. ويدعم هذا النموذج أن الفروق بين الناس إنما ترجع للظروف البيئية المعينة التى نشأوا فيها، ذلك أن الناس جميعا هم من نسل أب واحد هو آدم عليه السلام، وأم واحدة هى حواء عليها السلام. ومن هنا، فإنه على المدى الطويل، سوف يأتى الوقت الذى يتطابق فيه جميع سكان امريكا مع القيم والمعايير والمعتقدات السائدة، ومن ثم يسود التجانس جميع المواطنين.

وبالرغم من المنطق المعقول الذى يكمن وراء هذا النموذج، وبالرغم من نجاح نظام المدارس العامة فى ايجاد لغة وثقافة مشتركة لملايين المهاجرين، فإن الأقليات السلالية ظلت «غير منصهرة» ولا يرجع سبب ذلك فقط إلى أن الفكرة التى قام هذا النموذج على أساسها فيها تبسيط زائد للطبيعة الانسانية، وإنما يرجع أيضا الى أن أنصار هذا النموذج لم يأخذوا فى الاعتبار ما للعرق والدين والسلالة من أهمية كبيرة كمصادر للذاتية وتحقيق الذات. هذا بالاضافة إلى أن هذا النموذج يفترض ضمنيا أن معايير وقيم وأسلوب حياة الأنجلو ساكسون البيض البروتستانت تمثل النمط المثالى الذى ينبغى على الآخرين أن يحتذوه.

ومهما يكن من أمر، فإن ما يرجى هو أن «يتأمرك» أعضاء جماعات الأقليات عن طريق مناهج التربية والتعليم بما تتضمنه من مقررات فى التربية القومية واللغة الانجليزية، والآداب التى تتضمن سير الابطال الوطنيين، وكذلك عن طريق الاناشيد الوطنية. وبهذه الطريقة فإن الجيل الثانى أو الثالث من المهاجرين سوف يرتبط ارتباطا قويا بالمؤسسات والاهداف الامريكية وبالوطن الكبير.

ولتيسير الحراك الاجتماعى إلى أعلى، لجأ كثيرون الى تغيير أسمائهم التى تعكس خلفية دينية أو سلالية. فلقد كانت توجد فى مجتمع الصفوة الجامعيين نسبة معينة لليهود ومن تنتهى أسماؤهم بحروف لينة كالألف والواو والياء. كما شقت قلة من أعضاء جماعات الأقليات طريقها إلى التنظيمات السياسية وحظى عدد بسيط منهم بمناصب إدارية عليا فى البنوك والشركات. ولن تتم «الأمركة» الا بتكامل الأقليات فى النظم الاجتماعية والبناء الاجتماعى للمجتمع الأكبر.

ومع ذلك، فإن استمرار بقاء العوامل السلالية والعنصرية والدينية سواء بسبب التعلق بالذاتية الشخصية أم بسبب المعاناة من التعصب وأشكال التفرقة، أحدث انتكاسة فى عملية امتصاص أعضاء جماعات الأقلية، ومن ثم ظهر النموذج الجديد، نموذج التعدد الثقافى.

ثانيا : نموذج التعدد الثقافى Cultural Pluralism

إن المفهوم الشائع عن الولايات المتحدة، وكذلك عن كندا أنهما عدة أمم، وهذا يعنى أن كلا منهما «أمم داخل أمة» الأمر الذى يمكن أن يفيد فى كثرة الاسهامات المتفردة والمتميزة التى يمكن أن تقدمها ثقافات المهاجرين المتباينة، مما يساعد على حيوية الحياة الاجتماعية. وعلى ذلك فإن نموذج التعدد الثقافى يتضمن القبول والتسامح مع ما يمكن أن يوجد من اختلافات فردية نسبيا فى قضايا تتعلق بالشعائر الدينية والتنظيمات المحلية والشئون الأسرية وما إلى هذا، وذلك التسامح لا يمتد إلى التغيرات البنائية التى قد تتمخض عن سلطات متوازنة مع سلطات الدولة داخل مجتمعات الأقليات، أو تلك التى يمكن أن تؤدى الى مدى واسع من التباين فى توزيع الملكية، والاحترام، أو الثروة، فى المجتمع الأكبر.

وكان يعتقد أن الحياة الحضرية الصناعية سوف تؤثر على الأجيال التالية من أبناء أعضاء جماعات الأقليات، فتجعلهم تدريجيا أقل احساسا بسمات خلفياتهم الثقافية (فيما عدا بعض الفروق السطحية التى لا ضرر منها) وأكثر وعيا بأن الجميع أمريكيون أمامهم فرص متساوية للنجاح. ولكن يبدو أن الأمر لم يتحقق تماما على هذا النحو. فيوجد اليوم بعث للعنصرية يتجلى فى الرغبة فى أن يعرف الفرد ويكتشف جذوره. ولا ترجع هذه الرغبة فى معرفة الجذور إلى أهميتها فى التفرد والاحساس باستمرار الذاتية فقط، ولكن لأن هذه المعرفة والاكتشاف للماضى الذى كان جميع أعضاء جماعة الأقلية يشاركون فيه، يوجد أساسا للدعم المتبادل بين أعضاء هذه الجماعة، ولولاه لشعروا بالعزلة.

وبالنسبة لبعض الجماعات الدينية والسلالية، فإن هذا البعث للعنصرية لا يضر، لأن السمات الموروثة لم تعد تشكل عائقا أمام فرص النجاح. وبالنسبة لبعض الجماعات الأخرى، فإن تأكيد الذاتية عن طريق بعث الماضى، يفيد فى

استمرار التلاحم لمواجهة بقايا التعصب والتفرقة. وكذلك تفيد بعض جماعات الأقليات من إحياء الماضى والاعتزاز به فى تعبئة أعضائها للعمل السياسى، وتشكيل رابطات واتحادات خاصة بهم، لتكون جماعات ضغط فى المجتمع الكبير.

العمليات المؤدية لتكامل جماعات الأقليات :

Processes for the Integration of Minority Groups

توجد عدة طرق تستطيع بها جماعات الأقليات أن ترتبط بالمجتمع الأكبر. وتشكل هذه الطرق أو العمليات خطا متصلا له نقطة بداية ونقطة نهاية Con-tinuum تمثل النقطة الأولى الانعزال عن المجتمع Segregation ويسير الخط حتى النقطة الأخيرة وهى الاندماج فى المجتمع amalgamation وبين النقطة الأولى والنقطة الأخيرة توجد عدة نقاط هى التى نطلق عليها اسم العمليات المؤدية للتكامل، والتى من شأن تحقيقها بلوغ النقطة الأخيرة وهى الاندماج فى المجتمع، وذلك كما يتمثل فى الخط التالى الذى يوضح عمليات امتصاص المجتمع الأكبر لثقافة جماعات الأقلية.



أولا : الانعزال أو الفصل Segregation

العزل أو الفصل محاولة حصار الأقليات فى مناطق معينة لا يتجاوزونها وهو نوعان:

أ - **عزل أو فصل بقوة القانون de jure** أى يضمنه القانون وتنص عليه التشريعات المختلفة. كما هو حادث اليوم فى جنوب أفريقيا. وتهدف الممارسات العنصرية فى هذه الدولة، إلى تمكين اقلية ضئيلة من البيض من حكم

البلاد التى تقطنها أغلبية أفريقية سوداء وملونة (خليط عنصرى).

ويتضح هذا العزل فى مظاهر عديدة مثل: تقييد حرية الحركة، والحصر فى مناطق ريفية معينة، أو مناطق حضرية منفصلة قريبة من المدن، وإيجاد نظم تعليمية وإقامة مدارس خاصة بهم، وتخصيص وسائل مواصلات لهم، وسن تشريعات بالامتيازات التى توفرها الدولة يعطى أفضلها للبيض وأقلها لغير البيض.

وهذه الممارسات والتنظيمات العنصرية السائدة حاليا فى جنوب أفريقيا تشبه ما كان يوجد فى الولايات المتحدة حتى منتصف الخمسينيات من القرن العشرين، والتى كانت تستمد قوتها من قرارات المحكمة الدستورية العليا. وأما الآن فقد منع هذا العزل فى الولايات المتحدة، وأصبح القانون يعاقب مرتكبيه.

ب - عزل غير مفروض :وهو عزل موجود فعلا، أو هى عزلة غير مفروضة، وسارت سيرة العرف وتختارها وتؤثرها جماعات الأقلية من تلقاء نفسها، بتأثير عوامل معينة موجودة فى المجتمع الكبير بطبيعة الحال. وكمثال لهذا النوع من العزلة ما يوجد الآن فى الولايات المتحدة. واذا كان النوع الأول قد أصبح الان محرما، فإن النوع الثانى ظل موجودا حتى اليوم.

ثانيا : التلاؤم Accommodition

وتمثل هذه المرحلة وعى أعضاء الأقليات بمعايير وقيم ثقافة الأغلبية دون تمثلها بالضرورة. بمعنى أن أفراد الأقليات يتوافقون مع ثقافة الأغلبية دون اعتبارها ثقافتهم. وكمثال لذلك، توافق المستوطنين الكوبيين الذين وفدوا إلى ميامى بولاية فلوريدا بنجاح مع النظم الاجتماعية والثقافية الامريكية السائدة، ولكنهم مع ذلك ظلوا متميزين ثقافيا ولغويا، أى أنهم مع توافقهم مع النظم الاجتماعية والثقافة الامريكية أقاموا مجتمعا محليا يتحدث بالاسبانية فى ولاية فلوريدا.

ثالثا : التثقف Acculturation

ويطلق عليه احيانا اسم «التمثيل الثقافى» ويحدث عندما يتمثل أفراد جماعات الأقية قيم ومعايير وأنماط سلوك أغلبية المجتمع، ولكن دون أن يسمع لهم

بالاندماج فى تجمعات هذه الأغلبية.

رابعا : التمثيل **Assimilation**

ويطلق عليه أحيانا اسم «التمثيل البنائى» لتمييزه عن «التمثيل الثقافى» ويشير إلى دخول أعضاء جماعات الأقلية فى الجماعات الأولية وفى الروابط والاتحادات، وفى التنظيمات الأساسية لمجتمع الأغلبية. ويتوقف المعدل الذى يتم به تمثل جماعات الأقلية، على عدة عوامل مثل الفروق الجسمية الواضحة، ودرجة اختلاف السمات الثقافية لجماعات الاقلية مع الثقافة المثالية للأغلبية. ومن هنا يمكن القول أن تمثل أفراد جماعات الاقلية يكون أسهل إذا كانوا بيض البشرة، ومن المتحدثين باللغة الانجليزية.

خامسا : الاندماج **Amalgamation**

وهو الخطوة الأخيرة فى عمليات تكامل جماعات الأقلية مع ثقافة الأغلبية السائدة. ويشير الاندماج إلى مزج الثقافات أو الاجناس معا لتكوين أنماط ثقافية وعنصرية جديدة. ويتحقق ذلك عن طريق الزواج. وقد ازدادت نسبة الزواج المختلط بين ذوى الأديان والسلالات المختلفة زيادة كبيرة منذ عام ١٩٦٠. ولكن الزواج بين جماعات عنصرية مختلفة، لم يحدث الا نادرا، أقل من ٢٪ من جميع الزيجات التى تمت فى الولايات المتحدة منذ عام ١٩٦٠ حتى اليوم.

والواقع، أن العمليات التى يتم بها التكامل والتى بمقتضاها تصبح جماعات الأقليات جزءا لا يتجزأ من مجتمع الأغلبية، تعد عملية بالغة التعقيد والصعوبة. ومازالت العزلة التى يحتمها العرف هى التى تطبع معظم النظم الاجتماعية. وكذلك لم تتطور العلاقات المباشرة وجها لوجه، كما لم يحدث أيضا تمثل للذاتية، بمعنى تنمية أفراد الأقليات لذات تقوم كلية على العضوية فى مجتمع الأغلبية.

معوقات التكامل

أولا : العنصرية التنظيمية **Institutional Racism**

ظل نظام الاسكان المنعزل معمولا به فى الولايات المتحدة حتى اليوم، وذلك

بمساعدة عدد من المؤسسات التنظيمية. فالبنوك العقارية مثلا، ترفض إعطاء أية قروض لبناء مساكن فى مناطق معينة لأفراد معينين. وهذا الاجراء بالرغم من عدم شرعيته فإنه يستخدم لعدم إعطاء فرص لبناء مساكن تختلط فيها الأجناس. وإن هذه الممارسات التى تقوم بها البنوك وغيرها من المؤسسات، من شأنها توضيح مفهوم «العنصرية التنظيمية» ففى عديد من مجالات الحياة الاجتماعية لا تقوم التفرقة العنصرية فقط على أساس المعايير والسلوكيات، أى على مؤسسات الضبط الاجتماعى غير الرسمى، وإنما لابد أن تدعم أيضا بمؤسسات الضبط الاجتماعى الرسمى. وقد وصف «بيرس Pearce » فى صفحة ٢٥٤ من كتابه «حراس البوابة والباحثون عن المساكن» كيف تتأثر منظمات الاسكان الكبيرة الرسمية بالمعايير غير الرسمية العنصرية، فلا يمكن أن تساعد هذه المنظمات فى بناء مسكن لزنجى فى حى يقطنه البيض. وواقع الأمر أن أية مؤسسة يعرف عنها أنها تساعد على إسكان عائلات زنجية فى أحياء البيض، تعرض نفسها للافلاس، لأن الناس سوف تحجم عن التعامل معها، هذا بالرغم من أن تلك المؤسسة التزمت بالقوانين التي تقضى بعدم التفرقة العنصرية.

كما تظهر العنصرية التنظيمية أيضا فى المؤسسات العسكرية والنظم التعليمية، والمنظمات الدينية والسياسية، وفى وظائف الشركات وغيرها. وباختصار، فإنه بالرغم من الاتجاهات الفردية والمعايير القانونية، فإنه توجد جماعات ضغط تحاول بشتى الوسائل إبقاء هذا العزل واستمراره (Dinkney,1975;1976)

ثانيا : التعصب Prejudice

توجد بالاضافة إلى المعوقات الجمعية للتكامل والتى من أهمها العنصرية التنظيمية، بعض المعوقات الفردية التى من أهمها: التعصب والتفرقة العنصرية.

ويشير التعصب إلى الأحكام القبلية التى تطلق على الأفراد على أساس سلالى، أو عنصرى، أو دينى، أو على أى أساس اجتماعى آخر. وتشكل مثل هذه الاتجاهات نمطا فكريا جامدا، تنسب فيه مجموعة معينة من الصفات غير المرغوبة أو المرغوبة، الى جميع أفراد جماعة اجتماعية معينة، مثال ذلك ما يقال من أن البيض أكثر ذكاء من غير البيض. أو أن اليهود أمهر الناس فى التجارة،

أو أن الشعب الصينى شعب غامض، أو أن النساء مجبولات على الاعتماد على الآخرين، أو أن الشيوخ مخرفون. وتغذى أمثال هذه الاعتقادات التعصب وتدعمه، كما أنها تفسد القدرة على ادراك الاخرين على أنهم أشخاص متفردين قد يشبهون هذا الحكم المنطى الجامد، وقد لا يشبهونه، وغالبا مالا يشبهونه.

كما يتعزز التعصب بالبحث عن كبش فداء، أى البحث عن أى شخص آخر نلومه على ما تسببنا نحن فيه من أخطاء، أو نعزو إليه تعثر حظنا. ويشير مصطلح «كبش الفداء» إلى ما ورد فى الانجيل من التضحية بكبش لتجنب غضب الرب على ما ارتكبه البشر من آثام. وإن من قبيل البحث عن كبش فداء فى المجتمع المعاصر، لوم الفقراء على فقرهم، ويعطى ذلك احساسا بأن الضحايا المنهوبين والمستغلين هم المسئولون عن فقرهم. وكذلك إلقاء اللوم على جماعة معينة أو دولة معينة، والزعم بأنها المسئولة عن متاعب ومشكلات الدولة أو الأمة، كما حدث من إلقاء المانيا النازية باللوم على اليهود على ما آل اليه الاقتصاد الالمانى من تدهور فى العشرينيات من هذا القرن.

وينشأ التعصب عن ظروف معقدة، ويرتبط بعديد من العوامل أهمها:

١ - عدم وجود اتصالات، أو وجود اتصالات قليلة مع أعضاء جماعات الاقليات، ومن ثم فإن الاعتقادات الزائفة التى تشيع عنهم لا تصوب ولا يتحقق من مدى صدقها.

٢ - تغذية الاسرة له، بنعتها أفراد جماعة الأقليات باستمرار بصفات سلبية أمام الأبناء، فالتعصب اتجاه مكتسب كغيره من الاتجاهات يتم اكتسابه وتعلمه داخل سياق الأسرة والجماعة الأولية.

٣ - عوامل تنظيمية تتمثل فى المؤسسات الاجتماعية المختلفة والتعصبات الفردية، تنحو للتطابق مع المعايير التى تسود المجتمع المحلى، بمعنى أنها أنماط تنظيمية أكثر من كونها عيوبا فردية.

ويمكن قياس الرغبة أو عدم الرغبة فى إيجاد اتصال بعضو من أعضاء الجماعات الأولية، عن طريق المقاييس المتصلة ذات البداية والنهاية Continuum لقياس المسافة الاجتماعية Social distance وأحد هذه المقاييس الذى يقاس به

التعصب، المقياس الذى يستخدم مجموعة من الاسئلة (أو المقياس المتدرج) يسأل فيها المفحوص respondent أن يحدد معدل درجة القرب أو المسافة الاجتماعية من الاقليات، ويلخص الجدول الآتى نتائج احدى هذه الدراسات التى سأل المختبرون فيها المفحوصين عن مدى الرغبة فى قبول أربع جماعات عنصرية سلالية، فى خمسة أنواع من العلاقات الاجتماعية هى: المواطنة، والعمل، والجيرة، والصداقة، والزواج. وذلك لمعرفة مدى البعد الاجتماعى على المقياس الذى يمثل خطا متصلا له نقطة بداية ونقطة نهاية. تمثل النقطة الأولى الرغبة الشديدة، وتمثل النقطة الاخيرة عدم الرغبة مطلقا، وبين النقطتين درجات متفاوتة من الرغبة.

أرغب رغبة شديدة	أرغب الى حد ما	لا أرغب الى حد ما	لا أرغب مطلقا

وكانت النتائج على النحو التالى:

جدول يبين المسافة الاجتماعية نحو أربع جماعات عنصرية
(بالنسبة للقبول)

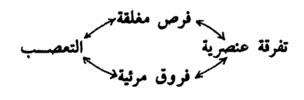
العلاقة	الانجليز	الألمان	الالمان اليهود	الزنوج
١ ـ المواطنة.	٪ ٩٦	٪ ٨٧	٪ ٥٤	٪ ٥٧
٢ ـ العمل.	٩٥	٨٣	٤٠	٣٩
٣ ـ الجيرة.	٧٥	٧٩	٢٦	١٢
٤ ـ الصداقة.	٩٧	٦٧	٢٢	٩
٥ ـ الزواج.	٩٤	٥٤	٨	١

المصدر : Emory S.Bogardus:Imagination and Race Attitudes, New York, Ozer, 1971, P.25.

ثالثا : التفرقة العنصرية Discrimination

فى حين أن التعصب يمثل مجموعة من الاتجاهات، فإن التفرقة العنصرية تمثل الممارسة الفعلية للتعصب، ومعاملة الناس معاملة غير متساوية. ويرتبط المفهومان ارتباطا وثيقا من عدة أوجه، فالتعصب يؤدى إلى التفرقة العنصرية، كما أن التفرقة العنصرية بدورها تعزز التعصب، وذلك فى حلقة مفرغة كما يمثلها الشكل الآتى:

شكل يمثل الحلقة المفرغة للتعصب
والتفرقة العنصرية



(العرق - الجنس - السلالة - الدين)

ويتضح من هذا الشكل أن التفرقة العنصرية تؤدى إلى إغلاق فرص النجاح أمام أفراد جماعات الأقلية، فمنذ سنوات خلت على سبيل المثال، عندما كان الامريكيون الايرلنديون لا يحظون الا بأقل قدر من التعليم، ولا يتمتعون بفرص متكافئة للتدريب على الأعمال التى تتطلب تكوين مهارات عالية، ومن ثم لم تتح لهم إلا أدنى الوظائف، الأمر الذى أكد الاعتقاد السائد بغباء الأيرلنديين.

ومع ذلك، فالبرغم من الصلة الوثيقة بين التعصب والتفرقة العنصرية، فإنه توجد فروق بينهما، فالفرد قد يكون متعصبا، ولكنه لا يمارس التفرقة العنصرية فى معاملاته، وبالعكس قد يمارس شخص تفرقة عنصرية دون أن يكون قد تكون لديه اتجاه تعصب، كأن ينكر شخص حق خدمه أو موظفيه فى معاملة متساوية مع أبنائه أو زملائه أو رؤسائه.

ويتضح من الجدول الآتى، أن النـاس يمكن أن تسلك على نحـو مخالف

لاتجاهاتهم عندما يتطلب الموقف ذلك. فسمسار العقارات الأبيض الذى يتعامل مع الزنوج لا يظهر كراهية لهم. كما أن الشخص الذى تكون لديه اتجاه كراهية وخوف من اليهود، يمكن أن يصوت الى جانب انضمامهم لعضوية ناديه الخاص، اذا وجد تأييدا قويا من الأعضاء الآخرين لذلك. إن الأمر ببساطة لا يعدو أن الناس تميل إلى أن تسلك السلوك الذى يلقى قبولا من الآخرين، وخاصة أعضاء الجماعة التى ينتمون اليها.

جدول يوضح العلاقة بين الاتجاهات والسلوك

	الاتجاه المتعصب	الاتجاه المتسامح
١ ـ السلوك الذى فيه تفرقة.	لا يكره فقط جاره العنصرى، ولكن يحول دون سكناه أو استمراره فى سكناه بكل الوسائل ولو كان من بينها حرق مسكنه.	كاتجاه سماسرة العقارات من عدم الاكتراث بالمكان الذى سوف يقطنه العملاء، ولكن لن يحاربوا العنصرية التنظيمية أو انعدام المساواة.
٢ ـ السلوك الفطن الهادىء.	لا يريد سكنى غرباء بجواره، ولكنه لا يفعل أى شىء للحيلولة دون ذلك أو تغييره اذا حدث.	مسايرة القوانين السائدة وعدم معارضة سكنى الغرباء بجوارهم.

ويتضح من الجدول السابق أيضا أن العنصرية يمكن أن تقل دون تغير فى الاتجاه، وذلك بتشجيع معايير الجماعة التى لا توافق على مثل هذا السلوك. ولأن تغيير السلوك أكثر سهولة من تغيير الاتجاه، فإن السياسات التى تعمل على تخفيف التفرقة العنصرية بمظاهرها المختلفة، تعد أكثر نجاحا فى القضاء على العزلة، من السياسات التى تعمل على التقليل من التعصب. وغالبا ما توجد التفرقة العنصرية التنظيمية والفردية معا، وذلك عندما تسمح المعايير أو حتى تشجع على

مظاهر الكراهية المكشوفة.

تأثير التعصب والتفرقة العنصرية :
Impact of Prejudice and Discrimination

لا يقتصر تأثير التعصب والتفرقة العنصرية على المظاهر الواضحة مثل القتل وتدمير الممتلكات، وإنما يمتد تأثيرهما أيضا إلى الذات. فالناس الذين يكونون ضحايا التفرقة العنصرية، غالبا ما يكونون صورا سالبة للذات، تؤدى إلى التقدير المنخفض لها، وإلى التقليل من قيمة أعضاء نفس جماعة الأقلية. وبذلك يتعلم أفراد الأقليات التصرف بطريقة تساعد على استمرار انعدام المساواة أو تعزز استمرار وجود الشخصيات النمطية الجامدة.

ولا تلحق أضرار التعصب والتفرقة العنصرية بجماعات الأقلية فقط، وإنما تدفع الأغلبية ثمنها أيضا. ففى حالة العزلة الفعلية للأقليات، لابد من ازدواجية كل التسهيلات المتاحة لأفراد الشعب مثل المدارس، والجامعات، والاستراحات وغير ذلك من المؤسسات والمرافق الضرورية. هذا بالاضافة إلى الجهد البشرى الكبير الذى يبذله أفراد جماعة الاغلبية لهذه العمليات والتصرفات على شخصية الفرد المتعصب أو الذى يمارس التفرقة العنصرية.

الخوف من المزاحمة **Fear of Displacement**

إن أغلب الذين يلجأون الى التعصب والتفرقة العنصرية هم الأكثر تضررا من نجاح أفراد جماعات الأقليات، فهم يخشون المنافسة والمزاحمة اذا أحرز الآخرون مكانة متساوية. فعلى سبيل المثال، كان أغلب الكراهية للمهاجرين فى القرنين التاسع عشر والعشرين ملحوظا بدرجة أكبر فى أوساط الطبقة العاملة الذين شعروا أن دخول جماعات جديدة إلى سوق العمل سوف يقلل من جهودهم لتحسين ظروف العمل. وقد لاحظ «كمنج Cumming » عام ١٩٨٠ أن الصراع أصبح الآن شديدا ومباشرا بين العمال البيض والزنوج على الوظائف والأعمال المنخفضة الأجر والتى تتطلب مهارات ضئيلة، وكان التعصب أقل وضوحا بين البيض والزنوج فى الوظائف التى تتطلب مهارات عالية والمرتفعة الأجر، لأن عدد المتنافسين أقل.

الأقليــات العنصريــة
Racial Minorities

الزنوج فى امريكا Blacks In America

وصل أول فوج من الزنوج إلى الولايات المتحدة إلى «جاستون» بولاية «فيرجنيا» فى مطلع القرن السابع عشر. وقد جلبتهم سفينة هولندية من أفريقيا، وباعتهم إلى المستعمرين البيض. وفى ذاك الوقت كان للزنوج نفس مكانة الخدم الذين يعملون بعقود، بمعنى أنهم يستطيعون أن يستردوا حريتهم بعد فترة معينة. ولكن سرعان ما أصبح الزنوج يعاملون بعد ذلك كعبيد وكممتلكات للبيض أكثر من كونهم آدميين، وكلما ازداد عدد العبيد ازداد اعتماد المزارعين الجنوبيين على عملهم. وقد برر هذا النظام من انعدام المساواة على أساس أن البيض قد خلقوا سادة، وأن الزنوج قد خلقوا عبيدا. وأن الله خلق الزنوج ليخدموا المستعمرين البيض!!.

وفى الفترة ما بين عام ١٦٦٠ وعام ١٨٦٠ هرب أكثر من ١٠٠,٠٠٠ ألف عبد الى الشمال ليلحقوا بالزنوج الأكثر حرية هناك، ولكن الأغلبية ظلت فى الجنوب تعانى من المعاملة غير الآدمية حتى اعلان وثيقة حقوق الانسان عام ١٨٦٣ إبان الحرب الأهلية. وفيما بين أعوام ١٨٦٦ و ١٨٧٧ أصبح الزنوج يتمتعون بمشاركة واسعة فى الحياة الاقتصادية والسياسية تحت حماية القوات العسكرية الامريكية. ولكن سرعان ما استصدرت الولايات الجنوبية تشريعات تحد من هذه المكاسب. وفرضت هذه التشريعات تحت ضغط الجماعات الارهابية وتهديدها مثل جماعة «كى كلوكس كلان Ku Klux Klan » وجماعة «فرسان زهرة الكاميليا».

كما صدرت عدة قوانين بعد ذلك عرفت باسم «قوانين جيم كرو Jim Crow » كان من شأنها زيادة ضعف الزنوج الاقتصادى والسياسى. فلقد كرست هذه القوانين عزلة الأجناس، وأنكرت على الزنوج حق التصويت فى الانتخابات. وأصدرت المحكمة العليا فى الولايات المتحدة عام ١٨٩٦ إعلانا يقول: «إذا كان جنس أقل من جنس آخر اجتماعيا، فان دستور الولايات المتحدة لا يستطيع أن

يضعها على قدم المساواة» ومن ثم ظل النظام المزدوج فى التعليم، وفى الاسكان حتى صدر القانون الذى يعرف باسم «قانون براون» عام ١٩٥٤ والذى نص على الحقوق المتساوية فى الجنوب.

الهجرة شمالا Migration North

تحرك مئات الآلاف من الزنوج الى الشمال هربا من ويلات العنف والتفرقة العنصرية السائدة فى الجنوب، ومن ناحية أخرى، كانت الظروف الاقتصادية فى الشمال أفضل منها فى الجنوب، وهذا هو السبب الاساسى فى الواقع. فقد أدى انشاء استخدام الميكنة الزراعية فى الجنوب الى خفض الحاجة الى الأيدى العاملة فى الريف. وفى الأعوام ما بين ١٩١٤، ١٩٢٤ هاجر ما يقرب من مليون زنجى الى المراكز الصناعية الحضرية حيث اشتد الطلب عليهم للعمل فى المصانع.

وبعد أن كان ٨٠٪ من السكان الزنوج يعملون بالزراعة عام ١٨٩٠ اصبح ٨٠٪ منهم يعملون فى المراكز الحضرية. وواجه الزنوج فى المدن واقع العزلة فى المساكن والتعليم. ولكنهم بالرغم من ذلك توفرت لهم فرص العمل وخاصة خلال الحرب العالمية الثانية، وفترة الازدهار الاقتصادى التى أعقبتها. وازدهرت المجتمعات المحلية الزنجية فى عديد من المراكز مثال ذلك حى «هارلم» فى مدينة «نيويورك» الذى أنجب عديدا من الفنانين والموسيقيين. ومع ذلك، فإن تدفق المزيد من الزنوج الجنوبيين غير المتعلمين وغير المهرة نسبيا، إلى المدن الشمالية، قلل فرص العمل أمامهم، وأصبحت الحياة فى المدن الشمالية شبيهة بما كان سائدا فى الجنوب. وتوجد اليوم حركة هجرة عكسية، حيث تتحرك أعداد كبيرة من الزنوج جنوبا لتلبية احتياجات المصانع الجديدة التى أقيمت فيه.

الزنوج والتدرج الطبقى الاجتماعى الهرمى : Blacks and Stratification Hierarchies

فى عام ١٩٧٨ بلغ تعداد السكان الزنوج فى الولايات المتحدة ٢٥٫٥ مليون نسمة، أى ما يقرب من ١١٪ من مجموع السكان فيها. فإلى أى مدى يتحرك الزنوج داخل نظام التدرج الاجتماعى الهرمى؟ وإلى أى مدى ينطبق مصطلح «الطبقة المغلقة» لوصف حالة العزلة وانعدام المساواة التى يعيشون فيها؟

أولا : السلطة Power

بالرغم من أن جميع المعوقات القانونية أمام حق الزنوج فى التصويت قد أزيلت، فإن معدلات اشتراك الزنوج فى التصويت كانت دائما أقل من معدلات البيض. ويرجع السبب إلى حد ما فى اختلاف المعدلين، إلى الصعوبات التنظيمية المتعمدة فى التسجيل والتصويت التى مورست فى الجنوب. ولكن السبب الرئيسى يرجع إلى سوء الحالة الاقتصادية والتعليمية للزنوج. هذا بالاضافة إلى احساسهم بأنه لا حول لهم ولا قوة، وشعورهم بالاغتراب، وكل هذا يقلل من دافعيتهم للذهاب إلى لجان الانتخابات للادلاء بأصواتهم «ما الخير الذى سيعود من ذلك».

وقد ارتفع عدد الزنوج المنتخبين فى وظائف رسمية ارتفاعا كبيرا من ١٥٠٠ شخص عام ١٩٧٠ الى ٤٥٠٠ شخص عام ١٩٧٨. كما حصل عدد قليل من الزنوج على مناصب عليا سواء فى الحكومة الفيدرالية أو فى حكومات الولايات، وأيضا فى الوظائف المدنية الوسطى، كما عينوا قضاة، وضباط شرطة وغير ذلك. وفى الوقت الحالى، يشغل الموظفون الزنوج ما بين ١٠٪ و ١٢٪ من وظائف الدولة، وهى نسبة تعادل تقريبا نفس نسبتهم فى مجموع السكان.

ثانيا : الملكية Property

يمكن القول، إن الزنوج أقل حظا من البيض إلى حد كبير فيما يتعلق بالعمالة، والوظائف، والدخل، والثروة. وكما أن الزنوج آخر من يستأجرون، فإنهم أيضا أول من يطردون عندما يسوء الاقتصاد. وهكذا كان معدل العاطلين من الزنوج عام ١٩٧٩ ضعف عدد البيض.

وكذلك فإن الشباب الزنوج حديثى الخبرة، هم آخر من يستأجرون، أى بعد استنفاد ذوى الخبرة. وبذلك تزداد البطالة بين الشباب الذين هم فى مرحلة عمرية تتطلب الاستقرار الاقتصادى للزواج وتكوين أسر، وسوف تتمخض الأثار البعيدة لهذه البطالة عن حدوث اضطرابات اجتماعية فى الاحقاب القادمة.

وبالاضافة إلى هذا، فإن ٧٠٪ من المتعطلين الزنوج لا يتلقون

إعانات بطالة (Urban League,1980) وبعكس ما يشاع من أكاذيب، فإن الفقراء الزنوج لا يعيشون على برامج الرفاهية الاجتماعية، فإن أكثر من نصف الفقراء الزنوج لا يتلقون أية معونات على الاطلاق من برامج الرفاهية الاجتماعية (Urban League,1980) وببساطة، فليس صحيحا أن برامج المساعدة الفيدرالية أو الخاصة، بالولايات المتحدة تزود العاطلين الزنوج بالاعانات، كما أنه ليس صحيحا بالتالى، أن الشباب الزنجى يرفض الوظائف للحصول على منح برامج الرفاهية الاجتماعية.

وعندما يعمل الزنوج فان أجرهم يقل كثيرا عن أجر أمثالهم من البيض. وان دخل العائلة الزنجية التى يشتغل أحد أفرادها طوال الوقت، يعادل تقريبا ٣/٤ دخل العائلة البيضاء. ويقل دخل جميع العائلات الزنجية اليوم بمقدار ٦٠٪ عن دخل جميع العائلات البيضاء. وتعكس هذه الأرقام الى حد ما النسبة الكبيرة للعائلات الزنجية التى ترأسها أمرأة (٤٠,٥٪ مقابل ١١,٦٪ بيضاء) ويكون معظم هؤلاء النساء خارج قوة العمل (U.S. Bureau of the Census, 1980)

ولقد كتب الكثير عن زيادة نسبة العائلات الزنجة التى انتقلت إلى الطبقة الوسطى، ولكن ذلك الانتقال يعنى فى هذه الحالات وجود أجرين، أجر الرجل وأجر زوجته. وإن أجر الزوجين الزنجيين الشابين يزيد بحوالى ١٣٠٠ دولار عن متوسط دخل العائلة البيضاء التى يعولها الزوج فقط (Statistical Abstract 1979, P.457)

كما أن دخل الزنوج أقل من دخل البيض المتساوين معهم فى المؤهلات التعليمية والمهنية. والواقع، أن دخل خريج المدرسة الثانوية الأبيض، يعادل دخل خريج الجامعة الزنجى. ويرجع ذلك أكثر ما يرجع، لاختلافات فرص العمل المتاحة لكل من البيض والزنوج. وأن معظم الوظائف والمهن المتاحة للزنوج هى الأقل أجرا، كالعمل فى دور الحضانة، والوظائف الكتابية، ووظائف النظافة، والنقل وما شابهها.

ثالثا : الاحترام Prestige

تدل المعارف التى عرضنا لنا عن أوضاع الزنوج السياسية والاقتصادية والمهنية

دلالة واضحة على أن المصادر الشخصية والاجتماعية للاحترام، لا تتاح للزنوج فى الـولايات المتحدة. وحتى فى مجال مثل مجال التعليم، فإننا نجد أن نسبة الخريجين من المدارس الثانوية والمؤهلين لدخول الجامعة قد ارتفعت من ٣٥٪ الى ٤٢٪ الا أننـا نجـد أن معـظمهم يذهب الى الكليات المتـوسـطة، والمدارس التجارية، ولا يلتحق بالجامعة.

النتائج المستخلصة Conclusion

ترجح الأدلة وجود نظام الطوائف فى الولايات المتحدة بصدد علاقة الزنوج بالبيض فى التدرج الاجتماعى، وذلك بالرغم من الجدل المثار حول الأهمية النسبية للطبقة والعرق. فعلى سبيل المثال يدعى «ولسن (Wilson,1978) » ان النواحى العنصرية لم تعد لها أهمية كبيرة بصدد حالات الفقر. فى حين يذهب آخرون الى أن المشـاعر المعادية للزنوج هى السبب فى حالة الفقر، وفى استمرار هذه الحالة. وبالاضافة الى ذلك، فإن المكاسب الاقتصادية والسياسية التى حصل عليها الزنوج بدأت تقل نتيجة سوء الأحوال الاقتصادية. وان الفقراء بوجه عام والزنوج بوجه خاص هم المتهمون بأحداث التضخم المالى والتدهور الاقتصادى فى الولايات المتحدة، وهكذا تلام دائما الضحية ويترك الجانى.

الأسيويون فى الولايات المتحدة وكندا :
Asian In The Uited States And Canada

الأسيويون الأمـريكيون نسق غير متجانس يتكون من شعوب مختلفة الثقافات والديانات واللغات. ومع ذلك فإن الناس وكذلك السلطات المسئولة عن الهجرة، يضعونهم جميعا فى خانة الآسيويين. ولكننا سنحاول فى هذا الفصل أن نعرض لبعض الجماعات الأسوية المختلفة التى هاجرت الى الولايات المتحدة وكندا خلال المائة والثلاثين سنة الماضية، وأهم المشكلات العامة والخاصة التى تواجههم نتيجة اختلافهم عنصريا وسلاليا.

أولا : الصينيون chinese

بدأت الهجرة الصينية تتوافد على نطاق واسع إلى الولايات المتحدة فى منتصف

القرن التاسع عشر، وكان معظم الصينيين يعمل فى الشركات التى تتولى مد خطوط السكك الحديدية. وبحلول عام ١٨٦٩ كان عددهم يربو على ١٠٠٫٠٠٠ صينى، كانت الغالبية العظمى منهم من الشباب الذكور.

وبسبب اختلافهم الجسمانى والثقافى الواضح، وكذلك بسبب رغبتهم فى العمل ساعات كثيرة جدا مقابل أجر زهيد، فقد كانوا أول ضحايا مظاهرات العنف التى اجتاحت الولايات المتحدة وكندا، فقذفوا بالحجارة فى الشوارع، وحرقت بيوتهم، وضربوا أو صلبوا فى الميادين العامة. وفى عام ١٩٠٦ دمرت المظاهرات فى كندا حى الصينيين بالكامل فى مدينة «فانكوفر».

وسرعان ما صدرت القوانين التى تجبر الصينيين على العيش فى مناطق معينة من المدينة لا يبرحونها مطلقا. وفى عام ١٨٨٢ أوقفت السلطات المسئولة، هجرة الصينيين إلى الولايات المتحدة، وكانوا قد شكلوا مجتمعا غالبيته العظمى من الرجال، كما كانوا معزولين عن مجرى الحياة الامريكية. ولجأت كندا الى طريقة أخرى للحد من أعدادهم، وهى فرض ضريبة على كل رأس، كانت تصل إلى ٥٠٠ دولار فى السنة على كل مهاجر صينى حتى عام ١٩٢٣ عندما صدرت القوانين بمنع هجرتهم (Luman,1974)

ولقد كان للحركات المناهضة للصينيين أثار سيئة. فقد حوصر الصينيون فى حارات قليلة داخل المناطق الحضرية، وهى التى اطلق عليها اسم «المدن الصينية» وكانت تتكون أساسا من الرجال الذين لا مأوى لهم. ومضت حياتهم الاجتماعية داخل ثلاثة أنواع من التنظيمات التي يتشكل غالبيتها العظمى من الرجال هى:

١ - العشيرة العائلية التقليدية.
٢ - جمعية مساعدة المهاجرين.
٣ - المجتمعات السرية أو الجمعيات السرية التى كان من بين أهدافها تنظيم ممارسة الأنشطة المحرمة مثل لعب الميسر، وتدخين الأفيون وغيره من المخدرات، والبغاء. واستطاع الصينيون بهذه الوسائل أن يتغلبوا على مشكلاتهم وعزلتهم التى فرضت عليهم، حتى انتهت هذه العزلة فى بداية الأربعينيات من هذا

القرن. كما ساعدهم أيضا تكافلهم الاجتماعى، وجمعهم لبعض المال لدعم بعض الأعمال، والاشتغال بالتجارة البسيطة، ومساعدة المحتاجين منهم.

السلالات الصينية اليوم Chinenese Ethnics today

تغيرت مكانة الصينيين تغيرا جذريا بعد معركة «بيرل هاربور» التى أغرق فيها اليابانيون الأسطول الامريكى. فأصبحوا «الآسيويين الطيبين» بالمقارنة إلى «اليابانيين السيئين» فقد كتبت مجلة «التيم» فى ٢٢ ديسمبر عام ١٩٤١ مقالا هاجمت فيه الامريكيين اليابانيين هجوما عنيفا، ونعتت اليابانيين بأقبح الصفات.

وهكذا حظى الصينيون بالقبول فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٣ وسمح لهم باستقبال عرائس لهم فى الولايات المتحدة عام ١٩٤٦ وبحلول عام ١٩٧٠ ازدهرت المجتمعات المحلية الصينية فى مدينة نيويورك وجزر «هاواى» وكذلك فى كاليفورنيا.

وأقبل الصينيون على التخصصات المختلفة وأبدعوا فيها، وحققت ذريتهم معدلات عالية من الحراك الاجتماعى إلى أعلى. فقد تخرج منهم نسبة كبيرة من الجامعات، وعملوا فى مجالات الهندسة والعلوم والمحاسبة والرسم وغيرها. وبالرغم من أنه مازالت توجد بعض التفرقة العنصرية فيما يتعلق بالسكنى والاقامة، فإنها أقل مما يوجد بالنسبة للزنوج على سبيل المثال.

ثانيا : السلالات اليابانية Japanese Ethnics

ذكر «كيتانو Kitano » عام ١٩٧٦ أن المهاجر اليابانى جاء الى المكان الخطأ (كاليفورنيا) وفى الوقت الخطأ (فقد جاء بعد الصينيين مباشرة) وجاءوا بالعرق ولون البشرة الخطأ، وايضا جاءوا بالدين الخطأ، كما أنهم جاءوا من البلد الخطأ. (ص ٣١)

وحدثت أولى هجرات لليابانيين على نطاق واسع فى الفترة ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٩٢٤ عندما وجد عمال يابانيون محدودى التعليم ومن أصل ريفى، أعمالا لهم فى الشركات التى كانت تمد خطوط السكك الحديدية، وفى مجالات مثل

التعدين، والزراعة، وتعليب الأسماك والفاكهة. وبعكس الصينيين، فقد سمح لهم باصطحاب زوجاتهم، وبذلك أقاموا عائلات مستقرة. ولكنهم كانوا كالصينيين عرضة للسخط الذى بدأ يتزايد مع نجاحهم وزيادة اعدادهم. وفى الولايات المتحدة، لم يكن يسمح لهم بتملك الأرض. وفى كندا كانوا ممنوعين من الوظائف والتخصصات التى يحتاج العمل فيها الى الحصول على تصاريح معينة.

ولم يتمثل الجيل الأول من المهاجرين اليابانيين، الذين كان يطلق عليهم اسم «إسى Essei » ثقافة الأغلبية تمثلا كبيرا. ولكن أبناءهم الذين ولدوا فى الولايات المتحدة أو كندا، والذين كان يطلق عليهم اسم «نيسى Nisei » قد تطبعوا بالقيم والتربية السائدة وتوافقوا مع معايير وتوقعات ثقافة الأغلبية. ولكن بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية وانضمام اليابان إلى المحور المعادى لأمريكا، وغدرها بالاسطول الامريكى فى «بيرل هاربور» فإن الامريكيين اليابانيين أخذوا من ديارهم وأجبروا على الاقامة فى مناطق نائية. وأودع أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ أمريكى من أصل يابانى فى معسكرات اعتقال حتى نهاية الحرب.

اليابانيون اليوم Japanese Today

وصل عدد الامريكيين اليابانيين عام ١٩٧٠ الى ما يقرب من ٦٠٠٫٠٠٠ نسمة. وكان عدد النساء فيهم أكثر من عدد الرجال بشكل ملحوظ. وكان الجيل الثالث يحتل أعلى منزلة بين الجماعات غير البيضاء سواء فى تحصيل العلم أم فى الدخول الاقتصادية. وفى كندا وصل متوسط معدل دخل العائلة منهم إلى ما يقرب من ضعف متوسط دخل أية عائلة سلالية أخرى (Makabe,1976) كما أن توزعهم المهنى كان أكثر تنوعا من السلالات الصينية، ولكنهم كانوا يتركزون أيضا بدرجة أكبر فى الأعمال الخاصة بسلالتهم بأكثر من تركزهم فى مختلف الشركات، ومؤسسات العمل الامريكية. وهكذا، فبالرغم من أن الامريكيين اليابانيين والامريكيين الكنديين، حققوا حراكا كبيرا فى مجتمعهما، فإنه مازالت توجد ثنائية بنائية تعكس التفرقة العنصرية، وإن كانت بدرجة أقل من الأجناس الأخرى.

ثالثا : الامريكيون الاسيويون الآخرون Other Asian Americans

فى عام ١٩٧٠ هاجر إلى الولايات المتحدة ما يقرب من ٣٠٠ر٠٠٠ الف فيليبنى و ١٥٠ر٠٠٠ هندى و ٣٠٠ر٠٠٠ كورى جنوبى و ١٠٠ر٠٠٠ فيتنامى وقد أثار وصولهم استجابات مختلفة، كغيرهم من المهاجرين غير الاوربيين الشماليين. ويشكل الأسيويون اليوم اكثر من ١/٣ جميع الشعوب الذين دخلوا أمريكا فى الآونة الأخيرة، ويشكل الكوريون غالبيتهم.

الاقليات السلالية
Ethnic Minorities

إن الخاصية الواضحة التى تطبع مجتمع امريكا الشمالية هى التباين الواسع للجماعات القومية لسكانه. ولتوضيح الفكرة العامة للهجرة واعطاء صورة عن أسرع نمو سلالى لجماعة أقلية فى الولايات المتحدة سوف تتركز مناقشتنا هنا على أحدث القادمين الجدد وهم الامريكيون الاسبان.

الامريكيون الأسبان Hispanic Americans

الأمريكيون الأسبان نسق يضم عددا كبيرا من الجماعات الفرعية المتميزة ثقافيا وعنصريا، والذين تجمعهم معا لغة مشتركة هى اللغة الأسبانية. وفى عام ١٩٧٩ كان عددهم فى الولايات المتحدة يربو على ١٢ مليون نسمة من المتحدثين بالأسبانية حسب التقديرات الرسمية، ويعتقد أنه توجد عدة ملايين أخرى منهم داخل البلاد دون وثائق رسمية. ويتوقع أن يزيد عددهم زيادة كبيرة بسبب ارتفاع معدل المواليد لديهم، بالاضافة إلى أن نسبة الشباب فيهم كبيرة.

وفى عام ١٩٨٠ كانت الأقسام الفرعية الثلاثة الرئيسية للسكان المتحدثين بالاسبانية فى الولايات المتحدة هى: (أ) ـ الامريكيون المكسيكيون، الذين يطلق عليهم اسم «شيكانو Chicanos» وهم حوالى ٦٠٪. (ب) البيرتوريكان وهم حوالى ١٤٪. (جـ) الكوبيون ويشكلون ما يقرب من ٦٪ من الامريكيين الأسبان. والباقون مهاجرون من الجمهوريات الامريكية الجنوبية والوسطى،

وخاصة من جمهورية الدومينيكان وجمهورية كولومبيا.

ويبين الجدول الآتى الفروق المذهلة داخل جماعة الاقليات المتحدثة بالأسبانية، وخاصة فى التعليم والدخل. ويوجد نظام هرمى للتدرج الاجتماعى عند السكان الامريكيين الأسبان، لا يقوم فقط على هذا المزيج من المكانات الاقتصادية الاجتماعية، ولكنه يقوم أيضا على لون البشرة. وهكذا تمتزج العنصرية بالسلالية لتحدد المكانة النسبية للامريكيين المتحدثين بالأسبانية. سواء داخل نظام التدرج الاجتماعى للمجتمع العريض أو داخل نظام التدرج الهرمى للاحترام لدى الامريكيين الأسبان. وتقلل هذه التقسيمات الداخلية من احتمال إيجاد الوعى اللازم لايجاد أساس تقوم عليه سلطة سلالية.

جدول عن الأشخاص الذين هم من أصل اسبانى

(خصائص مختارة : ١٩٧٨)

	المكسيكيون	البيورتوريكان	الكوبيون وغيرهم
الخصائص			
(١) العمر :			
دون ١٨	٤٣٫٠	٤٦٫٠	٣٦٫٤
من ١٨ - ٣٤	٣١٫١	٢٧٫٨	٢٧٫٥
٦٥ +	٣٫٧	٢٫٣	٦٫٩
(٢) سنوات اكمال الدراسة :			
الذكور : اقل من ٥ سنوات	٢١٫٩	١٤٫٠	٦٫٢
التعليم الثانوى	٣٦٫٦	٢٦٫٠	٥٦٫٩
الجامعة	٤٫٨	٥٫١	١٨٫٠
الانـاث : اقل من خمس سنوات	٢٤٫٤	١٥٫٧	٧٫٤
التعليم الثانوى	٣٢٫١	٣٦٫٠	٥٥٫١
الجامعة	٣٫٩	٣٫٦	١٠٫٣

(٣) العمالـــة :			
الذكور : ذوو الياقات البيضاء	١٨٫٥	٢٦٫٢	٣٦٫٤
ذوو الياقات الزرقاء	٦٣٫١	٥٢٫٣	٤٧٫٨
الخدمات والزراعة	١٨٫٤	٢١٫٥	١٥٫٨
النسبة المئوية للبطالة	٩٫٦	١١٫٧	٨٫٥
عائلات ترأسها نساء	١٥٫٥	٤١٫٠	١٨٫٦
(٤) دخل العائلـة : ١٩٧٨			
أقل من ٤٫٠٠٠ دولار	٩٫٣	١٥٫٨	٥٫٠
من ٤٫٠٠٠ - ٩٩٩٩	٢٦٫٠	٤٢٫٢	٢٤٫٠
من ١٠٫٠٠٠ - ١٤٫٩٩٩	٢٢٫٩	١٦٫٠	١٩٫٢
من ١٥٫٠٠٠ - ١٩٫٩٩٩	١٧٫٤	٢١٫١	١٦٫٦
من ٢٠٫٠٠٠ - ٢٤٫٩٩٩	١٠٫٨	٧٫٥	١٧٫٥
من ٢٥٫٠٠٠ - فأكثـر	١٣٫٥	٦٫٤	١٧٫٣
متوســط الدخـــل	١٢٫٨٣٥	٨٫٢٨٢	١٥٫٣٢٦
النسبة المئوية للأقل من خـــط الفقــــر.	١٨٫٩	٣٨٫٩	١٦٫٣

المصـــدر :

Statistical Abstract, 1979.P.1 and Cultural Population Reports, Sevies P.20 - 347 Ocotber, 1979, P6.

الشيكانـــو Chicanos

عندما استعادت الولايات المتحدة أراضيها فى الجنوب الغربى، كانت هذه المناطق زاخرة فعلا بالمهاجرين المكسيكيين. وباعتبارهم مواطنين امريكيين بدأت اقتصادياتهم تزدهر مثلهم مثل الامريكيين البيض الذين هاجروا الى الغرب (Moore,1976)

وكغيرهم من الجماعات الأخرى الذى لم يحوزوا قبولا من جماعة الأغلبية، فإنهم

لجأوا الى المعيشة فى مناطق جغرافية معينة مثل جنوب كاليفورنيا، وجنوب تكساس، ونيومكسيكو، كما أنهم لجأوا أيضا الى المعيشة فى مناطق مكسيكية متجاورة. ومع ذلك، فإن ظروف إقامتهم كانت تتراوح بين العزلة الشديدة وبين النمط المنفتح تماما، ويتوقف ذلك على المجتمعات التى يعيشون بين ظهرانيها (Moore,1976) وبالرغم من أن المكسيكى ظل على طبيعته النمطية فى الاشتغال كعامل زراعى يعمل فى هذا المكان أو ذاك، فإن قلة من شيكانو استقروا فى مناطق زراعية محددة، وقد قدر هذا العدد عام ١٩٧٩ بأقل من ٢٠٪ من مجموع عددهم. ويعيش ما يقرب من ٤٠٪ من الشيكانو داخل المدن الكبيرة. وهم أقل تعليما من قرنائهم البيض أو الزنوج، الأمر الذى جعلهم أقل مشاركة فى التعليم الحديث. ويعزى هذا التخلف فى التحصيل المدرسى الى حد كبير الى الصراع الثقافى بين البيت والمدرسة، الأمر الذى كان يؤدى بالكثيرين منهم الى ترك المدرسة.

والعائلة الممتدة هى النمط التقليدى للعائلة المكسيكية، وترتبط ارتباطا وثيقا بالجماعة القرابية التى تعد مصدرا اساسيا للالتزامات والدعم الانفعالى والاجتماعى. وتتميز الأدوار المتعلقة بالذكور والاناث داخل العائلة تميزا دقيقا، فالرجال يوفرون سبل العيش والحماية للزوجات، والبنات، والنساء بدورهن يكرسن جهودهن للعناية بالذكور من أفراد العائلة. وبالنسبة للرجل المكسيكى فانه يحب استعراض قوته الجسمية والتحدث عن فحولته مع النساء، والزهو بنفسه، وتصدر مجالس مستمعيه من الأصدقاء الرجال.

وإذا كانت هذه الأنماط السلوكية التقليدية للمكسيكيين تؤدى وظيفة أساسية، وهى أنها تعينهم على مواجهة ما يلقونه من تعصب وتمييز عنصرى فإنها تزيد من عزلتهم عن الثقافة السائدة، حتى أنه يتعين على الفرد الذى يسعى إلى الحراك الاجتماعى إلى أعلى، أن يختار بين أن يظل متقوقعا داخل عالمه المنعزل سلاليا إلى حد بعيد، أو أن يغترب عن عائلته وأصدقائه وجذوره السلالية.

البيروتوريكان **Puerto Ricans**

يعتبر البيروتوريكان وافدين جدد نسبيا إلى الولايات المتحدة، فقد هاجروا إليها عندما ساءت الأحوال الاقتصادية فى جزيرتهم، وبحلول عام ١٩٨٠ كان

عددهم يبلغ ١٫٧ مليون نسمة. وكان ٢/٥ من عائلاتهم يعيش فى الولايات المتحدة تحت خط الفقر، ولكن هذا المستوى يعد أفضل كثيرا من حالتهم على جزيرتهم.

وفى حين أنه غالبا ما يصنف البيورتريكان مع الشيكانو فى مجموعة واحدة فإن الجماعتين تختلفان اختلافا كبيرا جدا من حيث التاريخ، والثقافة، والتكوين العنصرى. فثقافة البيورتريكان خليط من التأثيرات الزنجية والأسبانية، مع مزيج من الثقافة المكسيكية. فالمكسيكيون وثقافتهم مزيج من عناصر أسبانية وأمريكية هندية. ويبذل البورتوريكان أقصى ما فى وسعهم للاستقرار فى البلاد، وهم يعملون اليوم فى مجال التعليم والسياسة والفنون والشرطة. وانتخبوا أعضاء منهم فى الكونجرس الامريكى، وفى مجالس ولايات نيويورك ونيوجرسى، كما أنهم اقاموا عديدا من التنظيمات المحلية. وكذلك التحق عديد من شبابهم بكليات الحقوق، والتجارة، والطب، والتربية. ومع ذلك فإن بعضهم لم يتكيف مع المعيشة فى الولايات المتحدة، وفشل فى التعليم وعانى من البطالة. وواجهت المجتمعات المحلية البورتريكية مشكلات معقدة فى مدينة نيويورك وغيرها من المدن الشرقية فى مجال الرعاية الصحية الجسمية فى مدينة نيويورك وغيرها من المدن الشرقية فى مجال الرعاية الصحية الجسمية والعقلية، وأيضا فى مجال الاسكان (Fitzpat-rick,1876)

وقد تضاءلت الفجوة التى كانت توجد بين متوسط دخل العائلة البيروتوريكية ومتوسط دخل العائلة البيضاء، فبعد أن كان متوسط دخل العائلة البيضاء يزيد مرة ونصف عام ١٩٦٩، أصبح يزيد بمقدار الثلثين فقط. وبالرغم من هذه المؤشرات. فإن الهيئة الامريكية للحقوق المدنية ذكرت عام ١٩٧٨ أن التفرقة العنصرية والسلالية والجنسية ستظل حائلا أمام فرص حصول الأقليات على الوظائف المختلفة.

الكوبيون Cuban

بدأت هجرة الكوبيين إلى الولايات المتحدة بأعداد كبيرة بعد أن تقلد «فيدل كاسترو» السلطة فى منتصف الخمسينيات من هذا القرن. وفى الفترة من عام

١٩٥٤ الى عام ١٩٧٨ سمحت السلطات الامريكية لحوالى ٣٢٥٫٠٠٠ ألف كوبى بالاقامة فى الولايات المتحدة. وفى أوائل عام ١٩٨٠ فوجىء المسئولون باللاجئين الكوبيين يندفعون فيما يشبه هجرة جماعية إلى شواطىء أمريكا على متن سفن صغيرة، وبلغ عددهم اكثر من ١٥٠٫٠٠٠ كوبى وبالرغم من أنه لم يعرف بعد تصرف الحكومة الامريكية بصدد هؤلاء المهاجرين الكوبيين الجدد، فإن المهاجرين الأوائل أقاموا عددا من المشروعات التجارية الصغيرة الناجحة فى مجتمعاتهم المحلية.

وبخلاف كل الجماعات الفرعية المتحدثة بالأسبانية، كان الكوبيون أكبر سنا، واكثر تعليما، وأشد ميلا للحياة فى المناطق الحضرية، ولكن ليس بداخل المدن، وكان يحصلون على أعلى الدخول. ويمكن أن يعزى جزء كبير من نجاحهم الى مؤهلاتهم العلمية والمهنية، هذا بالاضافة الى أن تلك الموجة الأولى من المهاجرين كانت من أبناء الطبقة المتوسطة، وذلك بعكس الذين قدموا عام ١٩٨٠ فلقد كانوا فى المتوسط، أحدث سنا واقل تعليما، وأضأل مهارة. واستقبل هؤلاء الوافدون الجدد استقبالا عدائيا بالغ الشدة، مصدرة التخوف من أنهم يعوقون الحراك الاجتماعى والتقدم سواء للكوبيين القدامى المستقرين أم لغيرهم.

الأقليات الدينية
Religious Minorities

تحدثنا ببعض التفصيل عن الأقليات العنصرية والسلالية، وبينا كيف يحد العرق والسلالة من فرص الفرد فى اكتساب السلطة والملكية والاحترام. ويعد الدين أيضا متغيرا له أهميته فى تحقيق الفرد لذاته، وبلوغ ما يصبو إليه من آمال فى المجتمع العصرى.

البروتستانت Protestants

يدين معظم سكان الولايات المتحدة وكندا بالمذهب البروتستنتى. وبالرغم من أن الدستور ينص على عدم اقحام الدين فى سياسة الدولة، فإن القيادات

السياسية والاقتصادية كانت قاصرة على البروتستانت البيض حتى وقت قريب.

ونظرا لتعدد الفرق فى المذاهب البروتستنتى. وبالتالى تعدد معتنقيه من السلالات والعروق المختلفة، ومن بينهم البيض والزنوج، فإنه يصعب القيام بتعميم حول العلاقة بين هذا المذهب والطبقة الاجتماعية. وكل ما يمكن عمله هو بيان ثروة أفراد كل فرقة من فرق المذهب البروتستنتى وتعليمهم ووظيفتهم بالتقريب. ويأتى اتباع الكنيسة الأسقفية البروتستنتية، على القمة، يليهم أتباع الكنيسة المسيحية واللوثريون أتباع مارتن لوثر كنج، وأخيرا يأتى الميثوديون والمعماديون. بمعنى آخر، يوجد تنظيم هرمى للاحترام داخل المذاهب البروتستنتى فى الولايات المتحدة، يحتل أفراد كل فرقة مرتبة معينة فى هذا التنظيم الهرمى، بعضهم على القمة وبعضهم فى القاع، ويأتى الأفارقة الزنوج الميثوديون ضمن هذا النسق الأخير. ويصدق هذا الكلام أيضا على المكانة الاقتصادية الاجتماعية Socioeconomic Status.

وبالاضافة إلى تباين صور المذهب البروتستنتى، فإن اتباع فرقه المختلفة يتباين توزيعهم فى أنحاء الولايات المتحدة، فعلى سبيل المثال يتركز اللوثريون فى ولاية فيرجينيا، فى حين يتركز الميثوديون، وكذلك المعماديون فى ولاية تكساس.

الكاثوليك catholics

بالرغم من أن الكاثوليك تمتعوا باحترام كبير فى بعض الولايات التى كان مكتشفوها الأوائل من الكاثوليك الرومان، مثل ولاية مريلاند، فإنه كان ينظر إليهم بعين الريبة من الأغلبية البروتستانت. ويوجد بين الكاثوليك الأغنياء والفقراء، الغنى الفاحش فى عائلات مثل عائلة كنيدى. والفقر المدقع مثل العائلات المكسيكية، ويعكس نظام التدرج الهرمى الموجود داخل اتباع المذهب الكاثوليكى، الوقت الذى قدم فيه المهاجرون، كما يرتبط أيضا بعوامل عنصرية وسلالية. ويتربع الايرلنديون، والاوربيون الشماليون على قمة نظام المكانات الداخلى للمذهب الكاثوليكى، يليهم الأوربيون والشرقيون، وتستقر الجماعات التى من أصل أسبانى فى القاع.

وقد أتى وقت كان تفكير شخص كاثوليكى ايرلندى فى الزواج من كاثوليكية إيطالية مصدرا لصراع هائل بين العائلتين، وذلك بسبب تباين المراكز الطبقية الاجتماعية للجماعات السلالية. فإذا كان الشعور المعادى للكاثوليكية يسود البلاد كلها، فكذلك الأمر فيما يتعلق ببعض التقسيمات الداخلية للكاثوليكية.

وارتفعت نسبة السكان الكاثوليك فى الولايات المتحدة ارتفاعا كبيرا خلال هذا القرن، فمن ١٠٪ تقريبا من عدد السكان عام ١٩٠٠ الى ما يقرب من ٢٥٪ اليوم. وقد جاءت معظم الزيادة حتى عام ١٩٢٥ من الهجرة الكثيفة من جنوب وشرق أوربا، وبعد عام ١٩٢٥ كانت الزيادة فى عدد السكان الكاثوليك تعزى الى معدلات مواليدهم المرتفعة بالمقارنة بغير الكاثوليك. ومع ذلك، فإن خصوبة النساء الكاثوليكيات قد انخفضت انخفاضا كبيرا منذ عام ١٩٧٠ فيماعدا النساء الفقيرات اللائى من أصل أسبانى. واليوم، فإن الكاثوليك ينظمون الحمل، مثلهم فى ذلك مثل بقية سكان أمريكا. ويتوازى هذا التغير مع ما حدث من تقارب بين الكاثوليك وغير الكاثوليك فى التعليم والعمل والدخل (Greeley,1977)

الى أى مدى ظلت الكاثوليكية تلعب دورا فى تحديد الوضع الطبقى حتى اليوم؟ الواقع، أنها لا تلعب اليوم الا دورا قليلا جدا. وان ما تبقى من تفرقة انما ترجع إلى التأثير العنصرى والسلالى أكثر منه إلى التأثير الدينى.

وان التقارب الدينى السلالى بين الجماعات المختلفة المقترن بالكراهية للكاثوليك، قد حال لأحقاب طويلة دون الحراك الاجتماعى للشباب الكاثوليكى الى أعلى داخل نظام التدرج الاجتماعى. ولكن هذه المعوقات قد انتهت تماما الآن، ويتواجد الكاثوليك بنسبة كبيرة اليوم فى مجالات السياسة والأعمال والتعليم العالى.

وفى الوقت نفسه يمكن القول بأن الكنيسة شكلت اساسا للذاتية ونمو علاقات الجماعة الأولية. وبالرغم من كثرة حالات الزواج المختلط، فإن الغالبية العظمى من الكاثوليك مازالوا يتزوجون من بينهم، كما أن اعدادا كبيرة منهم مازالت ترسل ابناءها الى المدارس الكاثوليكية.

اليهــود Jews

وجد اليهود فى امريكا منذ عام ١٦٥٤ وظل عددهم قليلا جدا لمدة طويلة، ولذلك لم يتعرضوا الا تعرضا ضئيلا لعواصف العنف التى ثارت فى الولايات المتحدة ضد الأقليات. وتمت هجرة اليهود الى امريكا على أربع مراحل متميزة. فقد وصل عدد من العائلات البرتغالية ـ الاسبانية اليهودية فى أوائل القرن السابع عشر، جاء بعدهم عدد قليل من الألمان اليهود الذين فروا من الاضهاد الدينى فى غرب أوربا. وفى عام ١٧٩٠ كان عدد اليهود فى الولايات المتحدة لا يزيد عن ٢٫٥٠٠ يهودى. وبلغ عددهم ١٠٫٠٠٠ بحلول عام ١٨٣٠. وفى الفترة من ١٨٣٠ الى ١٨٨٠ وصل عدة مئات من اليهود من ألمانيا وفرنسا وانجلترا.

وحتى عام ١٨٨٠ كان معظم اليهود المهاجرين إلى امريكا الشمالية متعلمين نسبيا، ورفيعى الثقافة، ومتمرسين فى الشئون المالية. وبصرف النظر عن عاداتهم الدينية، فإنه كان يصعب تمييزهم عن بقية الامريكيين الآخرين. وحقق عديد منهم نجاحا كبيرا فى أعمال البنوك وتجارة القطاعى وصناعة النسيج. ولحق عدد كبير منهم بالحركة التى كانت تتجه غربا، وأقاموا مجتمعات محلية يهودية عبر القارة.

الا أنه فى الفترة ما بين عام ١٨٨٠ وعام ١٩٢٠ وصلت موجة من المهاجرين اليهود تختلف كلية عن المهاجين الأوائل: فلاحون من أوربا الشرقية هربوا من المذابح التى كانوا يتعرضون لها (فقد شن البولنديون والروس حربا مقدسة ضد اليهود وأخذوا يذبحونهم) وفر الى امريكا ما يقرب من ٢٫٥ مليون يهودى قبل أن تتغير قوانين الهجرة عام ١٩٢٤. وبمقارنتهم بمن سبقهم من اليهود الأسبان والألمان، فإن المهاجرين اليهود الجدد كانوا غير متعلمين نسبيا وغير مهرة وغير مثقفين.

وأما الموجة الرابعة التى جاءت ما بين عام ١٩٣٦ وعام ١٩٤٦ فقد جاءت على مرحلتين اشتملت المرحلة الأولى على الهاربين من المانيا النازية وغيرها من الدول الأوروبية الدكتاتورية، ولم تسمح الولايات المتحدة الا بدخول ١٥٠٫٠٠٠ ألف منهم، وكـانـوا بوجه عام من المتعلمين تعليما عاليا، ومن المهنيين رفيعى المستوى الذين سرعان ما تكيفوا مع نمط الحياة الامريكية. وأما المرحلة الثانية،

فكانت فيما بين عامى ١٩٤٥، ١٩٤٦ وضمت ١٠٠،٠٠٠ يهودى وهم الذين بقوا على قيد الحياة ونجوا من معسكرات الاعدام والحرق فى المانيا وأوربا، وسمح لهم بالاقامة فى الولايات المتحدة. ويشكل جميع اليهود نسبة تقدر بـ ٣٪ من عدد سكان الولايات المتحدة، ونسبة أقل من عدد سكان كندا.

ويوجد بين اليهود كما يوجد بين عديد غيرهم من جماعات الاقلية، نظام تدرج اجتماعى داخلى يقوم على زمن الوصول، ويرتبط بالأصل السلالى، وبالخلفية الطبقية الاجتماعية، ويتربع الأسبان على القمة، يليهم الألمان ثم يهود شرق أوربا. وأحرز اليهود بوجه عام، نجاحا فى المجال التعليمى والاقتصادى فى كل من الولايات المتحدة وكندا.

وقد غير النجاح الذى أحرزه اليهود فى الولايات المتحدة صورة مجتمعاتهم المحلية التقليدية. فمن المعروف تاريخيا عن اليهود أنهم عندما يواجهون بالتعصب ينقلبون إلى بعضهم يتماسكون، ويزداد التقارب بينهم اكثر فأكثر داخل مجتمعات أو حارات مغلقة عليهم، ويزداد التقارب بينهم اكثر فأكثر داخل مجتمعات أو حارات مغلقة عليهم. وكان هذا هو نمط الحياة التقليدى السائد فى أوربا وشمال أمريكا، وفى كل بلاد العالم تقريبا. ولكن سرعان ما قضى حراكهم الاجتماعى الى أعلى على الجماعة القرابية، وانتزع الأفراد من هذه الحارات المغلقة، وشجعهم على الانجاز الفردى. وارتفعت معدلات الزواج المختلط ارتفاعا كبيرا (ربما كان ٤٠٪) وفيما يتعلق بمعدلات الخصوبة اليهودية، فإنها أقل معدل من أية جماعة سلالية - دينية فى الولايات المتحدة.

استخلاص بعض الأفكار عن العلاقات الجمعية :
Emerging Themes in Group Relations

يمكن أن نخرج من هذه النظرة العاجلة على الأقليات العنصرية والسلالية والدينية التى توجد فى امريكا الشمالية، بعدة أفكار أساسية نوجزها فيما يأتى: تواجه الأقليات بمقاومة شديدة، وذلك لرغبتها فى تحقيق مكانة عالية فى نظام التدرج الاجتماعى. وهى عرضة لدرجات مختلفة من التحيز والتفرقة. ويوجد ميل لايجاد مكانات هرمية داخل المجتمعات المحية للأقليات، ومحاولات متفاوتة

الدرجات من النجاح لتحويل هذه الأوضاع الى نظام عام فى التدرج الاجتماعى للمجتمع ككل. وغالبا ما يعتمد الأعضاء على دعم مجتمع الأقلية المحلى. وتلعب الجذور السلالية لجماعات الأقلية دورا هاما فى إضفاء ذاتية على أعضاء جماعة الأقلية فى المجتمع الصناعى الحديث. ولقد حدثت تغيرات كبيرة بين الجيل الأول والجيل الثالث من المهاجرين، وذلك بالنسبة لجميع جماعات الأقليات، وتتجه هذه التغيرات نحو الاقتراب من انماط معايير وسلوك جماعة الاغلبية السائدة. ويقل تدريجيا تأثير التفرقة على الاساس الدينى والسلالى، ولكن ذلك لم يحدث بالنسبة للفروق العنصرية أو الفروق بين الذكور والاناث.

عندما تصطدم جماعات الأقلية When Minority Groups Clash

لماذا لم تجمع المصائب المصابينا؟ اذا كانت جماعات الاقلية كلها سواء، لم تلق خلال تاريخها الطويل فى الولايات المتحدة سوى التفرقة العنصرية والمكانة الوضيعة، فلماذا لم تتجمع كلها فى خندق واحد، وتقف بنيانا مرصوصا لمواجهة تحكم وسيطرة الجماعات السائدة؟ الواقع أنه حدثت محاولة من هذا القبيل فى الستينيات من هذا القرن استهدفت حشد كل المضطهدين من النساء والزنوج والأسبان وغيرهم، وقامت عدة مظاهرات تطالب بالمساواة، وحملوا لافتات تحمل شعارات مثل «كل الناس خلقوا متساوين» وبذلت محاولات أخرى فى السبعينيات لتكرار ما حدث فى الستينيات، الا أنها باءت بالفشل. فلم تنجح العناصر المنظمة فى أن توحد صفوفها ودبت الخلافات بينها. واليوم، فإن كل جماعة لا تسعى فقط للسير فى طريقها غير عابئة بغيرها من جماعات الأقلية، بل أنها ايضا اضطرت للدخول فى صراعات مع جماعة أو أكثر من هذه الجماعات.

ويكفى أن نسوق أمثلة قليلة: لقد دب الخلاف فى الحركة النسائية، واتهمت كل جماعة منهن الأخرى بأنها أهملت مصالحها. وتصدعت الجبهة التى كانت تضم اليهود الامريكيين والزنوج، فقد استاء اليهود من تأييد الزنوج للفلسطينيين والقضية الفلسطينية برغم مساعدة اليهود الكبيرة وتأييدهم لحركة مطالبة الزنوج بحقوقهم المدنية. فى حين اتهم الزنوج اليهود بأنهم لا يسعون الا لتحقيق مصالحهم الخاصة. وشعر الامريكيون الاسبان بأن الجميع يتخلون عنهم، بل انهم يتآمرون ضدهم. وبالرغم من أن المظاهرات التى اندلعت عام ١٩٨٠ فى

ميامى وفلوريدا كانت احتجاجا على قتل أربعة من رجال الشرطة لرجل أعمال زنجى، فإنها استغلت لاظهار استياء الزنوج واحتجاجهم على المساعدات التى قدمت للاجئين الكوبيين، الذين انتزعوا العديد من الوظائف والأعمال من الزنوج.

وعندما يتدهور الاقتصاد، فسوف تتقلص برامج مساعدة الفقراء وستزداد المخاوف على المكانات المكتسبة وخاصة فيما يتعلق بالأعمال غير الثابتة والمهددة أصلا. ولن نتجاوز الحقيقة اذا تنبأنا اليوم بازدياد حالات الصدام اللفظى والجسمانى بين جماعات الأقليات. فانهم سيدركون أن المكاسب التى تحققها جماعة اقلية معينة، تكون على حساب الجماعات الأخرى (Thurow,1980) وهكذا فإن المحصلة النهائية، هى أنه لن تقوم قائمة لجماعة اقلية واحدة تملك بمفردها القوة الكافية للتأثير على الصفوة المهيمنة. وبذلك تنعدم امكانية حدوث تغيرات اساسية فى البناء الخاص بالتدرج الاجتماعى.

الخلاصة

عنى هذا الفصل بعرض أوضاع جماعات الأقليات العنصرية والسلالية والدينية فى الولايات المتحدة وكندا. ويعتبر العرق والدين والسلالة مكانات موروثة تؤثر فى وضع الأفراد والجماعات فى نظام التدرج الاجتماعى فى معظم المجتمعات. وتختلف المجتمعات من حيث تجانسها أو عدم تجانسها الثقافى.

وتتحكم جماعات الأغلبية السائدة فى جماعات الأقليات. وتتعرف جماعة الأقلية فى ضوء أربعة عناصر أساسية هى:

١ - السمات المميزة التى يمكن التعرف بها على أفراد جماعة الأقلية.
٢ - اختلاف المعاملة بناء على معرفة هذه السمات المميزة.
٣ - تنظيم صورة الذات على اساس هذه الذاتية المميزة.
٤ - الوعى بمشاركة الآخرين لهم فى هذه الذاتية.

وتـرجع جذور العنصرية فى الولايات المتحدة وكندا الى المعاملة التى لقيها السكـان الأصليون لأمريكا. فبتعريف ثقافة المستوطنين البيض بأنها أرقى من غيرها من الثقافات، قام البيض بطرد الهنود من اراضيهم وبتدمير ممتلكاتهم. وكما دمرت ممتلكات الهنود، فقد دمرت ايضا ثقافتهم.

وترجع هجرات غير الهنود لامريكا الشمالية، الى القرن السادس عشر. وحتى الخمسينيات من القرن التاسع عشر، جاء معظم المهاجرين من شمال أوربا، ولكن بحلول الثمانينيات من القرن التاسع عشر كانت الغالبية تفد من جنوب وشرق أوربـا. وكـانت كل موجه جديدة من المهاجرين تواجه بمشاعر معادية وبـالتخـوف وبـالازدراء وبالتفرقة. وبالرغم من أن الولايات المتحدة تعتبر بلد المهاجرين، فإن نسبة المولودين خارج الوطن تعتبر أقل من كندا. وان أكبر اقلية دينية سلالية فى كندا من أصل فرنسى، وتشكل اكثر من ربع مجموع السكان فيها.

كيف يمكن أن تلتحم الجماعات المتباينة معا لتكوين دولة؟ يذهب نموذج الانصهار فى البوتقة، الى أن ذلك يمكن أن يحدث بأن يتخلى المهاجرون عن تفردهم، وأن يشاركوا الاغلبية لغتها وثقافتها، وذلك بمساعدة النظم التعليمية والمدارس العامة، والافادة من وسائل الاعلام المختلفة التى يمكن أن تلعب دورا كبيرا بهذا الصدد. وهكذا يمكن أن يحظوا بفرص نجاح متكافئة مع الأغلبية. ويجيب النموذج الآخر، نموذج التعدد الثقافى، عن هذا السؤال بقوله ان الولايات المتحدة هى «أمم داخل أمة» تتعدد فيها اسهامات جماعات المهاجرين المختلفة والمنفردة، الأمر الذى يضفى حيوية على الثقافة الامريكية. وفى الحقيقة نجد أن جماعات الأقلية تتصل بالمجتمع الأبر عبر خط ذى بداية ونهاية، يتراوح بين العزلة شبه التامة والالتحام شبه التام بالثقافة السائدة. والنقاط الأساسية على هذا الخط هى الانعزال والتلاؤم والتحضر والتمثل والاندماج. وتشكل تلك النقاط العمليات الأساسية لتوافق الأقليات مع الأغلبية السائدة.

وتعكس معوقات التكامل كلا من :

١ ـ الأنماط التنظيمية للتفرقة التى تقوم على بناء من المعايير والسلوكيات.

٢ ـ الاتجاهات الفردية (التعصب) وأثرها على السلوكيات (التفرقة) ولقد كان

التعصب والتفرقة نتائج سلبية بالغة الشدة، لم تقتصر على الجوانب المادية المتعلقة بحياة الناس وصحتهم وسكنهم وفرص العمل أمامهم، بل أثرت أيضا فى تشكيل صور الذات لديهم.

ويحفل تاريخ الزنوج والصينيين الذين جلبوا من بلادهم لأداء مهام لا تتطلب مهارة كبيرة، ولكنها كانت بالغة الأهمية فى تنمية البلاد، بكل أنواع التفرقة والكراهية بل والعدوان المادى.

وأحرز الامريكيون الزنوج مكاسب تاريخية ذات مغزى فى مجالات السلطة والمكانة الاقتصادية والاحترام، وذلك منذ عام ١٩٦٥ بوجه خاص. ولكن مازالت توجد بالرغم من ذلك فروق كبيرة بين ظروفهم وظروف البيض يمكن أن تتخذ كمؤشر على وجود نظام طبقى مغلق فى الولايات المتحدة تنعدم فيه المساواة. واذا كان الزنوج قد أحرزوا بعض الانتصارات وزادت أدوارهم السياسية والاقتصادية، فإن ذلك قد توقف الان تماما مع النمو الحثيث لاقتصاديات الولايات المتحدة.

وكذلك وقع الصينيون الذين جاءوا للعمل فى مد خطوط السكك الحديدية، ضحايا التفرقة واعمال العنف. وحاولوا التوافق بالانعزال داخل احياء خاصة بهم فى المناطق الحضرية، وساعدهم على معيشتهم، ما ساد بينهم من تكافل اجتماعى، وتساند حتى انتهت ظروف العزلة.

وتعرض اليابانيون الذين وفدوا الى امريكا الشمالية لتقديم خدمات ضرورية للمجتمع الامريكى، لنفس سياسات التفرقة، زاد عليها أنهم ادخلوا معسكرات اعتقال اثناء الحرب العالمية الثانية، وبلغ عددهم فيها أكثر من ١٠٠٫٠٠٠ يابانى. ويحتل الامريكيون اليابانيون والكنديون اليابانيون اليوم منزلة رفيعة فى مجال التعليم والاقتصاد، وان كان نشاطهم الاقتصادى يتجه الى الأشياء الخاصة بهم اكثر ما يتجه الى الشركات والمؤسسات الامريكية الكبرى.

والأن، يشكل الأمريكيون الأسبان أكبر جماعة أقلية سلالية فى الولايات المتحدة. ويتكونون من جماعات كبيرة العدد متميزة ثقافيا وسلاليا، ويتحدثون لغة مشتركة هى لغة الأسبانية. ويشكل الامريكيون المكسيكيون (الشيكانو) والبيورتريكان والكوبيون، الأقسام الثلاثة الفرعية السلالية الكبيرة.

ويعد الدين نسقا اجتماعيا آخر يؤثر فى صورة الذات وتولى السلطة والظفر بالاحترام والفوز بالملكية. وبالرغم من سيادة المذهب البروتستنتى فى كل من

الولايات المتحدة وكندا، فإن التباين بين البروتستانت فيما يتعلق بالثروة والتعليم والعمل والاحترام يشبه تماما ما يوجد لدى الكاثوليك واليهود فى علاقته بمتغيرات مثل: الزمن الذى تمت فيه الهجرة والأصل السلالى والخلفية الطبقية الاجتماعية.

وبالرغم من أن التمييز الدينى والسلالى تقل أهميته بمرور الزمن، فإن التفرقة التنظيمية والتحيز الشخصى استمرا فى دعم التمييز العنصرى الذى يقف حجر عثرة أمام انعدام المساواة فى امريكا.

قراءات مقترحة

Baltzell. E. Digby. *The Protestant Establishment.* New York: Random House, 1964. The classic study of the history, power, and lifestyles of the white Anglo-Saxon Protestant elite in the United States.

Ishwaran, K. (Ed.). *Canadian Families: Ethnic Variations.* Toronto: McGraw-Hill Ryerson, Ltd., 1980. This anthology contains essays on the ethnic, cultural, and religious variations, in family life among Canadian Indians, Greek, Polish, Japanese, Italian, French, Chinese, Dutch, and other minorities.

Ladner, Joyce. *Tomorrow's Tomorrow: The Black Woman.* Garden City, N.Y.: Doubleday, 1972. A sensitive account of the experiences of black adolescents struggling against recism, discrimination, and poverty in an urban ghetto.

Moore, Joan. *Mexican Americans.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1976. 2nd Edition. A recent and extensive sociological overview of the economic, political, religious, and familial experiences of Mexican Americans.

Parrillo, Vincent. *Strangers to the Shores: Race and Ethnic Relations in the United States.* Boston: Houghton, 1980. A comprehensive account of the experiences of the major immigrant populations in the U.S. including the older and newer European groups, Native Americans, Asian Immigrants, blacks, Hispanics, and other groups comprising the American mosaic.

Pinkney, Alphonse. *Black Americans.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1975, 2nd Edition. This thorough examination of the historical and contemporary experiences of black Americans, the black community, socioeconomic status, social institutions, deviance, assimilation, the black revolt and black nationalism should effectively destroy many stereotypes.

البـــاب الرابـــع

الباب الرابع

المجالات التنظيمية

Institutional Spheres

سنحاول فى الفصول الخمسة التالية، أن نصف المجالات التنظيمية الرئيسية للحياة الاجتماعية وهى: العائلة، والاقتصاد، والسياسة، والتربية، ونظم المعتقدات. ولقد كانت العائلة الممتدة أو الجماعة القرابية، هى التى تسيطر على هذه المجالات من الأنشطة فى الماضى، ولكن هذه السيطرة اضطلعت بها مؤسسات أخرى خلال تطور التاريخ الانسانى، وأصبحت الأنشطة الاقتصادية والسياسية والتربوية تتم فى مؤسسات متخصصة، يحتل فيها الأفراد مكانات مستقلة عن الروابط العائلية، بل إن العائلة نفسها تخصصت لأداء مجموعة من الوظائف.

ويطلق على هذه العملية من التخصص التنظيمى والمنفصل عن الجماعة القرابية اسم «التمايز البنائى» الذى يصبح فيه كل مجال نظاما فرعيا معقدا داخل المجتمع الأكبر. وهكذا، فإن أفراد المجتمعات العصرية، ينفقون أوقاتهم ويبذلون كل جهودهم وطاقاتهم داخل هذه النظم المتمايزة، فهم يخرجون من البيت إلى مدارسهم أو إلى مجال عملهم أو إلى أماكن عباداتهم، ويتزوجون وينجبون أطفالا ينشغلون بتربيتهم، كما أنهم يجدون الدعم الانفعالى فى رحاب هذه النظم.

وفى الفصول الخمسة التالية، سوف نتتبع التطور التاريخى لهذه المجالات التنظيمية ثم نصف أبنيتها فى أمريكا الشمالية المعاصرة.

الفصل الحادى عشر

الزواج والحياة العائلية

Marriage and Family Life



الفصل الحادى عشر
الزواج والحياة العائلية

Marriage and Family Life

إن الحديث الموضوعى عن العائلة أو حتى محاولة تعريفها، ليس بالأمر الهين اليسير، فالعائلة أحد المجالات التنظيمية التى يعرفها كل فرد معرفة وثيقة، فهى مهد طفولتنا ومرتع صبانا، وهى ملجأنا وملاذنا فى هذا العالم بعد الله سبحانه وتعالى. وهى التى تضفى على الحياة معنى، وتمنح العالم الاستمرارية والبقاء. وتحجب عواطفنا وانفعالاتنا الدراسة الموضوعية للحياة الاجتماعية.

ومهما يكن من أمر، فإننا نستطيع أن نقول، إن العائلة لا تختلف عن غيرها من المجالات التنظيمية التى تشكل المجتمع، كالمجال الاقتصادى، والسياسى، والدينى، والتربوى. فالعائلة مجموعة من المعايير والسلوكيات تنتظم حول بعض الأنشطة الأساسية. وهى نتاج اجتماعى نظمته الشرائع السماوية واصطلح عليه الناس. وتختلف سلطات وصلاحيات العائلة والأدوار التى يقوم بها أفرادها، من ثقافة إلى ثقافة أخرى، كما أنها تكون عرضة لبعض التغيرات عبر الزمن. وبالرغم من أن العائلة تبنى على علاقات بيولوجية معينة، وعلى وشائج سلوكية مستمرة بين أطرافها، فإنها نظام اجتماعى يقوم على سلوك مكتسب.

أصـــول العائلة Origings of the Family

قالت «كـاثلين جف Kathleen Gough» عام ١٩٧١ «إن الحيوانات العليا جميعهـا تتصف بخصـائص وتتميز بميزات لولاها ما نشأت العائلة. فالصغار يولدون ضعافا لا حول لهم ولا قوة، ويحتاجون إلى رعاية تستمر وقتا يقصر أو يطول، حتى يمكنهم الاعتماد على أنفسهم. وعندما تصل الحيوانات العليا الى

مرحلة النضج الجنسى، فإن الذكور والإناث تشبع دوافعها الجنسية بشكل متكرر لا يوجد عند معظم الثدييات الأخرى . . . ونجد فى مجتمعات الحيوانات العيا نظاما لتقسيم العمل يقوم على الذكورة والأنوثة، يكون دور الأنثى تربية ورعاية الصغار، ويقوم الذكور بدور الحماية والدفاع» ص ٧٦١ - ٧٦٢.

ويتمير الانسان عن الحيوانات العليا، ويتصف بخصائص لا توجد فيها، لولا هذه الخصائص لكانت الروابط العائلية التى يقيمها داخل العائلة، لا تختلف اختلافا كبيرا عن الروابط الضعيفة المفككة التى نجدها لدى الشمبانزى مثلا. وأهم هذه الخصائص كما تراها «كاثلين» هى: العقل، واللغة، والتحكم الذاتى، والقـدرة على التخـطيط التعاونى، والقدرة على التوافق المتعلم كقاعدة أساسية للروابط الانفعالية الوثيقة والعلاقات المستمرة المتبادلة بين أفراد العائلة.

ونستطيع أن نستخلص مما نشاهده فى مجتمع التاسادای وغيره من المجتمعات بالغة البساطة، أن الأصل هو التعاون والمشاركة بين الزوجات والأزواج فى كثير من الوظائف الاقتصادية وغيرها من الوظائف التى تقوم بها العائلة، كما أنه توجد مساواة فيما يتعلق بالسلطة أكثر مما نجده فى المجتمعات الأكثر تعقيدا.

وتقول «كاثلين»:

«إن التواصل الى اللغة، واختراع الآلات، وتكوين العائلة، هى بغير شك أعـظم الانجـازات الثـورية للانسان. ويقف وراء هذه المقومات الثلاث عقل مبدع، هذا العقل هو الذى يميز الانسان عن سائر المخلوقات، وهو الذى اتاح له السيادة المطلقة على العالم. إن العقل الانسانى هو الذى يلهم الناس بأنواع السلوك المختلفة كالوحدة والتجمع للمحافظة على البقاء، والبحث عن المعرفة، والسيطرة على الدوافع الجنسية، وقمع الأنانية وغير ذلك من تصرفات.

ولقد كان للعائلة أهميتها منذ فجر الحضارة، فإنها بما تتصف به من خصائص تتيح للفرد تقدما كبيرا في ميدان التعاون والمعرفة الهادفة والابداع والمحبة.

نظام المحارم وتطور الأسرة :
Incest Taboos and the Development of Family

يؤكد العرض لأصل العائلة أهمية الدور الذى يقوم به العقل، فهو يفسر الاشارات الصادرة من الجسم ويختار الاستجابات المناسبة. وهذا يعنى أن الانسان قادر على التحكم فى دوافعه ورغباته كالدوافع الجنسية ونزعات الكراهية. هذا التحكم هو تمثل للأوامر والنواهى التى تنظم الاتصالات الجنسية: من هم الذين يمكن الزواج منهم؟ ومن هم الذين يحرم الزواج منهم؟ ويطلق علماء الاجتماع والانثربولوجيا على الاتصالات الجنسية المحرمة اسم «الاتصالات التابوية» نسبة الى «التابو» وهو الشيء المحرم.

وتوجد فى كل مجتمع انسانى قواعد بصدد المحارم، فيحدد كل مجتمع تحديدا دقيقا من هو المحرم. وقد حدد الاسلام ذلك فى قوله تعالى: «حرمت عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتى أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتى فى حجوركم من نسائكم اللاتى دخلتن بهن، فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم، وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف، إن الله كان غفورا رحيما».

ولنظام المحارم أهمية كبيرة أخرى بالاضافة إلى تنظيمه للعلاقات الجنسية داخل الجماعة، فقد ذهب «ليفى ستراوس عام ١٩٦٩ Levi Strauss » إلى أن هذا التحريم كان أساس بقاء الجماعة وقوتها. فبمنعه الزواج من داخل الجماعة، اضطر أفرادها إلى الزواج من خارج عائلتهم المباشرة، وبذلك أوجد أنواعا من الروابط القرابية بين العائلات المختلفة. وقضت هذه الروابط بما أوجدته من التزامات، على العداوات والخصومات التى كانت سائدة بينهم. كما أن ذلك التحريم قد زاد من قوة هذه الجماعات بما أوجده من تعاون بينها، الأمر الذى ساعد على بقاء الجماعة وقوتها. كما ازداد عدد العائلات المتعاونة فى المجتمع، الأمر الذى ساعد أيضا على بقائه وقوته.

وتوجد فائدة أخرى لنظام التحريم ساعدت أيضا على بقاء الجماعة، والتى لم

تعرف إلا بعد الدراسات التى قام بها عالم الوراثة الشهير «جريجور مندل Gregor Mendel » منذ ما يقرب من مائة عام. وقد استخلص من هذه الدراسات فائدة إدخال دم جديد فى العائلة عن طريق الزواج من خارجها. وذهب «مندل» إلى القول بأن تكرار الزواج الداخلى يزيد من احتمال ظهور بعض الأمراض الجينية (الوراثية)، فى حين أن الزواج من خارج العائلة الكبيرة، يقلل من احتمال حدوث العيوب الخلقية الجسمية والعقلية. وهكذا كانت للنتائج غير المقصودة لنظام المحارم نفس قوة التأثيرات المقصودة.

عوامل المقايضة Exchange Factors

يذهب «ليفى ستراوس Levi Strauss » وآخرون، الى أن تبادل العرايس بالعرسان، وهى العملية التى يطلق عليها اسم «زواج الشغار» كانت تؤدى وظيفة بالغة الأهمية فى العلاقات الاجتماعية. وهذه العملية مثال لكل أنواع المقايضة التى تربط الأفراد والجماعات بروابط وثيقة، وتساعد على بقاء وقوة النظم الاجتماعية. فإذا وافق الرجال على اعطاء بنتاتهم أو أخواتهم الى شخص أو الى عائلة أخرى، فسوف يستتبع ذلك كل صور المقايضة. فالأفعال الاجتماعية المتضمنة فى هذه العملية تعنى تبادل شىء بشىء، بمعنى أن إعطاء هدية معينة فى وقت معين، يلزم الطرف الآخر بإعطاء شىء أو هدية بنفس القيمة فى زمن لاحق.

مبدأ الشرعية : The Principle of Legitimacy

الأساس الثالث للزواج والعائلة، عرض له «مالينوفسكى Malinowski » عام ١٩٣٠ وعبر عنه باصلاح «مبدأ الشرعية» أى أنه بمقتضى عقد الزواج أصبح الرجل مسئولا عن حماية المرأة وأطفالها، وكذلك عن وضعهم فى النظام الأساسى فى المجتمعات البسيطة، وطالما أن صلة النسب هى الوسيلة الأساسية فى تحديد المكانات الاجتماعية، فإن دور الأب فى تعيين الوضع الاجتماعى للأطفال يصبح أمرا ضروريا ليأخذ الطفل مكانه فى المجتمع. مع ملاحظة أن الأب لا يكون بالضرورة الوالد البيولوجى. المهم هو أن يجد الأطفال والدا اجتماعيا، وهو الشخص الذى سوف يتحمل المسئولية بمقتضى الشرعية التى أضفتها احتفالات الزواج.

القرابة فى الثقافات المختلفة
Kinship in Cross-cultural Perspective

ركزنا خلال صفحات هذا الكتاب على أهمية العلاقات التى تقوم على الاساس العائلى (القرابة) بالنسبة للبناء الاجتماعى. ومع ذلك، فإن النظم القرابية تختلف من مجتمع الى مجتمع آخر. ويمكن القول بوجه عام ، أنه توجد عدة أبعاد رئيسية تستخدم لوصف نظم القرابة وهى:

١ - عدد الزوجات اللائى يسمح بهن مجتمعات، فى وقت واحد.
٢ - اختيار الزوجة أو الزوج.
٣ - خط النسب والوراثة.
٤ - مكان معيشة الزوجين.
٥ - علاقات السلطة.
٦ - وظائف العائلة.
٧ - بنية العائلة.
٨ - بؤرة الالتزام.

ويوضح الجدول الآتى كثيرا من الاختلافات بين الأنماط التقليدية والحديثة فيما يتعلق بنظم القرابة.

جدول يبين الفروق بين المجتمعات التقليدية والمجتمعات الحديثة بصـــدد نظـــم القرابـــة

	المجتمعات التقليدية	المجتمعات الحديثـة
١ ـ عدد الزوجات مجتمعات في وقت واحد .	واحدة في حالة عدم التعدد. Monogamy وأكثر من واحدة في حالة تعدد الزوجات . Polygamy	زوجة واحدة . (Monogamy)
٢ ـ اختيار الزوجة أو الزوج .	يتم الاختيار بواسطة الوالدين لدعم سلطة العائلة .	اختيار حر نسبيا .
٣ ـ خط النسب .	من الذكور في العائلة الابوية . Patrilineal ومن الاناث في العائلة الأموية	من الجانبين . Bilateral من الجانبين Bilateral
٤ ـ مكان معيشة الزوجين .	مع عائلة الزوج في العائلة الأبوية . ومع عائلة الزوجة في العائلة الأموية .	في سكن خاص بهما
٥ ـ علاقات السلطة .	درجات متباينة من هيمنة الرجال (العائلة الأبوية)	مشتركة الى حد كبير (مساواة) .
٦ ـ وظائف العائلة .	العائلة تقوم بكل الوظائف . ـ حماية الجماعة القرابية .	التخصص . توفير البيئة المستقرة لتربية الأطفال ، وتقديم الدعم الانفعالى .
٧ ـ بنية العائلة	ممتدة .	نووية .
٨ ـ بؤرة الالتزام .	علاقات الدم (قرابة عاصبة)	علاقات الزواج والأطفال (علاقة المصاهرة) .

العموميات والمتغيرات الثقافية :
Cultural Universal and Variations

تشكل المعلومات المتعلقة بالأبعاد السابقة، بنية العائلة فى المجتمع. وتتطور هذه البنية عبر الزمن، مع غيرها من القواعد العديدة التى تحكم الزواج، وتربية الأطفال، والطلاق، والترمل. وتشكل هذه النظم العائلية القدرة الانسانية الهائلة على التنوع والتوافق. فنجد تباينا كبيرا فى الطرق التى يزوج بها الكبار أبناءهم، وفى الاحتفالات الخاصة بذلك، وفى تنظيم العلاقة بين الآباء والأبناء. والواقع، أن احتفالات الزواج على سبيل المثال تتباين تباينا كبيرا جدا، حتى أنه ليستحيل أن نعطى تفسيرا واحدا لهذا التباين، سواء كان تفسيرا إقليميا أم اقتصاديا أو سياسيا.

وتعد احتفالات الزواج من العموميات الثقافية، لأنها توجد فى كل المجتمعات، والمجتمع بأكمله يبارك هذه العلاقة الجديدة التى سوف تزوده بالأجيال القادمة. وان الطقوس والعادات التى نجدها فى احتفالات الزواج لترمز إلى الوحدة التى تمت بين الجماعات القرابية المنفصلة بما فى ذلك تبادل الهدايا. كما أن هذا الاعلان عن الزواج يعنى مسئولية الزوجين تجاه مجتمعهم. ولم يكن الزواج بالنسبة للغالبية العظمى من الناس طوال التاريخ الانسانى شأنا شخصيا، وإنما هو شأن عائلى واجتماعى. وكان كبار العائلة فى الماضى، هم الذين يرتبون أمور الزواج، ومازالت هذه العادة شائعة حتى فى القرن العشرين، كما أنها مازالت هى النمط المفضل فى بعض المجتمعات فى أنحاء مختلفة من العالم، ولكن ليس فى كل المجتمعات.

وفى حين يطور كل مجتمع ويحسن حلوله المتميزة لقضية تنظيم انجاب أعضاء جدد فيه، توجد مع ذلك اتجاهات أساسية تحكم تغير النظم العائلية عبر الزمن.

العائلة فى السياق الاجتماعى للمجتمعات المختلفة :
The Family in Cross-Temporal Context

تتباين وظائف وأشكال العائلة خلال التطور الاجتماعى الثقافى كغيرها من المجالات التنظيمية الأخرى. فالعائلة تتطور من الجماعة القرابية الكبيرة، وهى

العائلة الممتدة، إلى العائلة الصغيرة، وهى العائلة النووية.

النظم العائلية الممتدة Extended Family Systems

كانت الجماعات العائلية الكبيرة عبر التاريخ الانسانى، وفى عديد من المجتمعات اليوم، تلبى حاجات ومصالح أفراد معينين. وغالبا ما يعبر عن الجماعة القرابية باصطلاح العائلة الممتدة. وهى وحدة كبيرة نسبيا تتكون من عدد من العائلات المترابطة. وهى اما أن تتكون من أب وأبنائه وعائلاتهم، واما أن تتكون من أم وأخيها وبناتها وعائلاتهن. وهناك نوع آخر من العائلة الممتدة يتكون من رجل وعدد من زوجاته، وذلك فى المجتمعات التى يمارس فيها تعدد الزوجات.

وتتعدد مزايا العائلات الممتدة، فهى تتيح الثروة، والسلطة، والحماية، كما أنها توفر عددا من العرائس والعرسان للمصاهرة مع عائلات أخرى. ولقد كانت البستنة والزراعة تقومان على العمل الانسانى وعلى ملكية الأرض، واستمرت الزراعة لآلاف السنين تشكل النمط الأساسى للتوافق مع البيئة، وكانت العائلة الممتدة هى العامل الأساسى فى الازدهار والبقاء. وقبل ظهور الدولة القومية الحديثة، كانت أعباء رعاية الصغار وتعليمهم وتدريبهم والحفاظ على الملكية وتوفير الحماية، تقع على كاهل العائلة الممتدة. ولعدم وجود حكومات مركزية توفر استتباب الأمن والنظام، فإن كل عائلة ممتدة كانت تتولى حراسة أرضها، وتوفر الحماية لأفرادها.

العائلة النووية Nuclear Family

تشتمل كل عائلة ممتدة على عدد من العائلات الصغيرة التى تضم كل عائلة منها شخصين متزوجين وأطفالهما الذين يعيشون معهما. وترتبط هذه العائلة الصغيرة ارتباطا وثيقا بدرجة تقل أو تكثر، بالعائلات الصغيرة الأخرى داخل هذه العائلة الممتدة ولكن علماء الاجتماع لا يطلقون على تلك الوحدات الصغيرة داخل هذه الوحدة القرابية اسم عائلة نووية. الا إذا خرجت واستقلت بمسكنها وبمواردها وبعملها. وعلى هذا، فإن العائلة النووية هى العائلة التى تتكون من رجل وزوجته وأطفالهما الذين يعتمدون عليهما، ولها مسكنها ومواردها الخاصة.

ويمكن القول بوجه عام، إن العائلة النووية هى خاصية نمطية للمجتمعات الحديثة. وبهذا المعنى، فإن نظم العائلات الممتدة تعد نظما تقليدية، فى حين أن العائلة النووية كوحدة مستقلة، تعتبر نظاما عصريا. ولكن العائلات النووية كانت توجد أيضا فى عديد من المجتمعات البسيطة، فلقد كانت شائعة فى أوروبا فى مرحلة ما قبل الصناعة بعكس ما يعتقد كثيرون.

والعائلة الممتدة والعائلة النووية نمطان مثاليان، وتوجد عناصر من كل منهما فى معظم المجتمعات. فنجد فى المجتمع العصرى وحدات عائلية نووية، لكل منها مكان إقامتها المستقل ومواردها المستقلة، وبرغم ذلك نجد بينهم وبين أقاربهم مصالح كثيفة وعلاقات مدعمة متبادلة. وقد استخدم بعض علماء الاجتماع أمثال سسمان Sussman,1959 » اصطلاح «العائلة الممتدة المعدلة» ليصف هذا النمط الحديث، بالرغم من أنه لو استخدم بدلا من ذلك اصطلاح «العائلة النووية المعدلة» لكان أكثر وضوحا فى بيان اختلافه عن النمط العادى للعائلة النووية.

ومع ذلك، فإنه يوجد فرق آخر هام بين العائلة الحديثة والعائلة الممتدة، يتعلق بأولوية الاهتمام والعاطفة. فنجد فى نظام العائلة الممتدة أن رابطة الدم هى مصدر الحقوق والواجبات، وأنها موضوع العاطفة. وإن ما يميز العائلة النووية ليس انعزال بنيتها عن بقية الاقارب فحسب، وإنما يميزها قبل ذلك تحول بؤرة اهتمامها إلى الداخل، إلى الزوج (أو الزوجة) والأطفال. باصطلاح فنى أكثر، فإن قرابة الدم (العصب) فى العائلة النووية تكون أقل أهمية من الروابط الزواجية. فعلى سبيل المثال، إذا تسلمت برقيتين فى وقت واحد، تقول البرقية الأولى، إن أحد الوالدين مريض ويوشك على الموت، وتقول البرقية الثانية، إن حادثا وقع للزوجة (أو الزوج) فإلى أية جهة سوف تذهب؟ فى معظم المجتمعات التقليدية، ليس ثمة شك فى أن حقوق الوالدين وخاصة الأب، تعلو فوق حقوق الجميع.

وقد هيأ نمو الصناعة، البيئة التى شجعت على ظهور الوحدات العائلية الأصغر والمنعزلة نسبيا. فانفصل العمال وانتقلوا بعائلاتهم الى المراكز الصناعية لتلبية الحاجة الى القوة العاملة. كما أتيحت للعائلة المفردة فرص الحراك الاجتماعى إلى أعلى، وفق معايير الانجاز.

وباصطلاحات علم الانثربولوجيا، فإن العائلة الامريكية الشمالية عائلة أحادية الزواج monogamous (اتخاذ زوجة واحدة) تقوم على اختيار غير مقيد نسبيا لشريك أو شريكة الحياة، ويكون خط النسب والميراث فى الأب والأم. ويقيم الزوجان الجديدان بيتهما مستقلا عن الأقارب الآخرين، ويتقاسمان سلطة صنع القرار.

العائلة الحديثة
Modern Family

ذكر بعض علماء الاجتماع فى مجال العرض للفرق بين العائلة الحديثة والعائلة الممتدة، أن العائلة الممتدة قلت أهميتها فى العصر الحديث لفقدها التدريجى لمعظم وظائفها فى المجالات الاجتماعية المختلفة، وأن الوظائف التى كانت تقوم بها اضطلعت بها الآن مؤسسات متخصصة خارج نطاق العائلة.

ففى المجال الاقتصادى، لم تعد العائلة وحدة مكتفية بذاتها. وأصبحت تعتمد على ما يحصل عليه أفرادها من أجور نظير عمل خارج البيت. فقد أحدثت الثورة الصناعية تغيرات كبيرة فى العلاقات بين البيت ومكان العمل الذى أصبح الآن منفصلا تماما، الأمر الذى أحدث تغيرات فى العلاقات بين أفراد العائلة، ففقد النساء والأطفال قيمتهم الاقتصادية، وأصبحوا معتمدين على دخل الزوج. وتعد العائلة الحديثة اليوم وحدة متسهلكة تعتمد فى دخلها على مصادر اقتصادية خارج نطاق البيت.

وفيما يتعلق بالمجال السياسى، فإن ظهور الدولة المركزية الحديثة، قلل الحاجة الى الحماية التى كانت تضفيها العائلة الممتدة على أفرادها، فقد حلت قوات الجيش والشرطة والمحاكم محل أفراد العائلة المسلحين.

وبالنسبة للمجال التعليمى، فقد انشئت المدارس لاعداد الأفراد لمتطلبات الاقتصاد الصناعى الحديث، ولا تستطيع اليوم الا قلة ضئيلة من الأباء تعليم ابنائها كل المهارات المتخصصة التى تتطلبها المنافسة فى المجتمع الحديث. ومن هنا تولى خبراء متخصصون مهمة هذا الاعداد. وحتى التفقه فى الدين، فإنه

أخذ ايضا من العائلة، وانشئت له الكليات والمعاهد المتخصصة.

وللتناقص التدريجي فى أهمية العائلة الممتدة كمصدر اقتصادى، أخذ الشباب فى التحرر من سيطرة كبار السن. ولم يكن العامل الاقتصادى هو السبب الوحيد لهذا التحرر، بل إن ما تحفل به الحياة الاجتماعية الحديثة من تحديات وصراعات قد أوجد لدى الشباب حاجة شديدة للحب والدعم الانفعالى الذى لا يمكن أن يتـوفـر بسهولة فى العائلة الممتدة، التى ينشغل كل فرد فيها بالتنافس مع شقيقه. وبدأ الشباب تدريجيا يكونون عائلاتهم النووية الخاصة بهم، يجدون فى حضنها هذا الحب وتلك العاطفة. وأصبحت احدى وظائف العائلة النووية تقديم هذا الدعم الانفعالى لكل أعضائها عن رضا وقناعة، ولما يشتقه كل فرد فيها من إشباعات لقيامه بدوره بهذا الصدد، ولم يعد القيام بهذا الدور عملية آلية كما كان يحدث فى العائلة الممتدة.

ولكن إعطاء هذا الحب، وتوفير ذلك الدعم الانفعالى لا يمكن أن يصدرا إلا عن زوجين يرتبطان معا برباط عاطفى وثيق، وتكون الزوجة سكنا للزوج والزوج سكنا للزوجة. ومن هنا ظهرت أهمية اختيار شركاء الحياة الذى يقوم على الرضا والقبول انطلاقا من حاجات الفتى والفتاة نفسيهما، وليس لتلبية حاجات العائلة الممتدة كما كان يحدث فى الماضى.

اختيار شركاء الحياة فى المجتمعات الحديثة :
Mate Selections in Modern Societies

يقوم الزواج فى العائلة الامريكية المعاصرة على الاختيار الحر، ولكن يمارس فى الوقت نفسه تطبيع اجتماعى قوى لتحديد نمط الشخص الذى يمكن أن يقبل كشريك مناسب للحياة الزوجية. ان الشاب والشابة لا يشجعان على الزواج من أفراد جماعات مختلفة عنصريا أو دينيا أو سلاليا أو من طبقة اجتماعية مختلفة. وفى معظم الحالات يتم الزواج بين أبناء الجيران الذين يعرفهم الوالدان معرفة وثيقة.

وبالرغم من أن الشخص يستطيع من الناحية النظرية، أن يختار أية واحدة (أو تختار أى واحد) من مئات الملايين من الفتيات اللائى يمتلىء بهن العالم،

فإن الشخص لا يختار من الناحية الواقعية الا التى يعرفها. هذا بالاضافة الى أن آراء الوالدين والأقران تؤثر فى عملية الاختيار. والنمط العام هو أن يختار الشخص الشريك الذى يماثله فى الخلفية الاجتماعية، ومن هنا سوف نتحدث عن الزواج المتماثل والزواج المتكافىء والزواج غير المتكافىء.

الزواج المتكافىء **Homogamy**

ان الزواج المتكافىء homogamy (حيث Homo = مثل و gamy = زواج) هو الذى ينحو فيه الفرد الى اختيار عروسه (أو اختيار عروسها) المتماثلة دينا (أو مذهبا) وعرقا، وسلالة، وطبقة اجتماعية. هذا بالاضافة الى التماثل فى القيم والاتجاهات. ولا يتوفر ذلك إلا اذا كانت (أو كان) قد مرت بخبرات تطبيع اجتماعى متماثلة، فذلك أدعى الى التفاهم وعدم الاختلاف فيما يستقبل من الحياة.

ومن هنا يمكن القول، إن هناك عديدا من الأسباب تجعل الناس ينحون الى الزواج ممن يكون على غرارهم. وتشير المعلومات المستقاة عن حالات الطلاق، وعن حالات السعادة الزوجية، الى مزايا الاختيار المتكافىء فى الزواج.

وهناك من يذهب الى القول بإن الزواج غير المتكافىء heterogamy (حيث hetero = مختلف) له أيضا فوائده، فتكون فيه حيوية، وفرص تعلم وجهات نظر أخرى، واكتشاف طرق جديدة للادراك. ولكن هذه المزايا يصعب موازنتها بعدم الفهم المتبادل، واحتمالات وجود مزيد من مجالات عدم الاتفاق، وكذلك امكانية حدوث صراعات. وبالاضافة الى عدم تفضيل الزواج غير المتكافىء عنصريا، أو سلاليا، أو دينيا، فإنه لا يفضل ايضا الزواج غير المتكافىء عمريا أو طبقيا.

سوق الزواج **The Marriage Market**

عندما كف كبار السن عن التدخل فى زواج أبنائهم ومحاولة تدبير شئونهم، بدأ الأبناء المساومة للحصول على أفضل ما يتمنونه من فرص الزواج. وقد استخدمنا هنا كلمة «المساومة» عن قصد، لأن عملية اختيار شركاء العمر فى أمريكا الشمالية تشبه السوق فى أوجه عديدة. فكل شريك يحاول استثمار مزاياه، مثله مثل التاجر الماهر الذى يروج

لبضاعته لجذب المشترين. والشخص الذى يريد أن يتزوج، يحاول الحصول على أفضل شريك، كما يحدده ذوقه الشخصى، وقيمه الثقافية ومعاييره المختلفة، وكذلك توقعاته من شريك حياته.

وكل شخص له قيمة فى هذا السوق بناء على ما يحوزه من صفات مرغوبة من الآخرين. وفى معظم الحالات، فإن الصبا والجمال فى المرأة هما أكثر السمات ذات القيمة للرجال. وبالعكس، فإن مركز الرجل ودخله هما الصفتان الجديرتان بالاعتبار لدى كثير من النساء. هذا مع ملاحظة أن قيمة المرأة تقل فى سوق الزواج مع التقدم فى العمر، فى حين أن قيمة الرجال تزداد مع التقدم فى العمر، المصحوب بزيادة الدخل والمركز بطبيعة الحال.

وتعد الطبقة الاجتماعية أيضا متغيرا له قيمته، بالرغم من أن معظم الناس يتزوجون من نفس طبقتهم، الا أن الرجال يمكنهم الزواج من طبقة أقل من طبقتهم، لأنهم يستطيعون بانجازاتهم أن يرفعوا اللائى يتزوجونهن الى طبقتهم. وتبذل الفتاة كل ما فى وسعها لتتزوج من نفس طبقة والدها، أو من طبقة أعلى عن طبقته الاجتماعية. ولكن هذا النمط يمكن أن يتغير طالما تحقق النساء مكانتهن المهنية الخاصة بهن، وطالما أن المكانة الاجتماعية ـ الاقتصادية تتحدد بانجازات كل من الشريكين.

المســاواة **Egalitarianism**

تتصف العائلة الحديثة بالتقليل من الفروق فى السلطة التى كانت سائدة فى الماضى بين الزوج والزوجة، وبين الوالدين والأطفال. ويرجع ذلك الى حد كبير، الى تيارات الحرية التى سادت الحضارة الغربية التى نبعت من عصر التنوير. فمن الصعب الدعوة الى الحرية والمساواة فى المجتمع ككل، فى حين ينكر ممارستها فى أشد وحدات المجتمع خصوصية وهى العائلة. هذا بالاضافة الى أن العلاقة التى تسودها المساواة تتيح الفرصة لظهور علاقات التقدير والاحترام الحقيقيين، بأكثر مما تتيحه العلاقات التى تقوم على التفوق والسيطرة من جانب، والاحساس بالنقص والدونية من جانب آخر.

وتتباين الفروق فى السلطة بين الازواج والزوجات، كما تتباين من مجتمع الى

مجتمع آخر، هذا بالاضافة الى أنها يمكن أن تتغير عبر العصور. ويرتبط ذلك الى حد بعيد بظروف الاعاشة. ففى الماضى كانت سيادة الازواج على الزوجات تقل فى المجتمعات التى كانت تقوم على جمع الثمار والبحث عن جذور النباتات، وتزيد فى المجتمعات الزراعية، وعادت لتقل مرة أخرى فى المجتمعات الصناعية.

الآبـــاء والأبنـــاء Parents and Children

ترجع زيادة الحرية التى يتمتع بها الصغار والبالغون فى الولايات المتحدة اليوم، الى ظهور اتجاهين حديثين. يتعلق الاتجاه الأول بتطور المعارف والنظريات النفسية التى تعنى بنمو الأطفال. ويتمثل الاتجاه الثانى فى عدم قدرة الآباء اليوم على التحكم والسيطرة على الأماكن التى يرتادها أبناؤهم. ولقد كان من النتائج البعيدة الأثـر لنـظريات «فـرويد» وتلاميذه، الاهتمام الشديد بتأثير الحياة العائلية على الأطفـال منـذ نعـومة أظفارهم. وخشى الأباء عواقب كبت رغبات الأطفال. وأصبحت قضية تربية الأطفال محور اهتمام أفراد العائلة. ومن أكثر الكتب رواجا فى الولايات المتحدة، الكتب التى تعنى بتوجيه الام لأفضل طرق تنشئة الطفل ورعايته جسميا ونفسيا.

وإن ظاهرة كون الطفل محور اهتمام أفراد العائلة، ليست ظاهرة حديثة. فلقد وجـد المؤرخـون أن الـوعى بحاجات الأطفال الانفعالية يرجع الى عدة قرون مضت. وخفضت المستشفيات والمستوصفات التى انشئت للعناية بالطفل، تخفيضا كبيرا من معدلات وفيات الأطفال. ولم تعد المرأة حريصة على كثرة الانجاب طالما أن معـظمهم سيعيش. فأخذت تكتفى بطفل أو اثنين (وذلك بدلا من ثمانية وعشرة أطفال كعدد نمطى لانجاب النساء عبر التاريخ، وفى عديد من دول العالم حتى اليوم، ومن ثم أصبح من الممكن إحاطة الاولاد بجو من الحب. وأصبحت الطفولة مرحلة متميزة من مراحل الحياة. وكرست النساء جهودهن من أجل تغذية الأطفال والعناية بهم.

وينحو التطور الى الاهتمام بالاطفال داخل العائلة النووية، وليس لكونهم مجرد أبناء، ولكن لأنهم مخلوقات تستحق ذلك لذاتها. ولقد أدت الوشائج الانفعالية الـوثيقـة التى توجد بين الزوجين، بالاضافة الى تشجيع الاستقلالية والانجاز

الفردى، الى تغيرات كثيرة فى العلاقة بين الأجيال من الاحترام المفروض للأباء، الى الاحترام النابع من الحب والتقدير. والشخص الناضج هو الذى يستطيع أن يشق طريقة فى الحياة، ويجد له مكانا فى المجتمع غير معتمد على والديه ماديا ونفسيا.

من العائلة الموجهة الى العائلة المنجبة :
From Family of Orientation to Procreation

العائلة النووية وحدة مصيرها الزوال، واذا قامت بوظيفتها كما ينبغى، فإن ابناءها يعدون لخلافتها، ويكونون عائلاتهم النووية الخاصة بهم. وعندما يموت الوالدان، فإن الوحدة النووية الأصلية تسمى «العائلة الموجهة» لأنها تزود أبناءها بالتوجيهات اللازمة، ثم تنتهى هذه العائلة وتحل محلها عائلات نووية جديدة، تتكون من ذريتهم وأزواجهم وزوجاتهم وأطفالهم. ويطلق على كل عائلة جديدة من هذه العائلات اسم «العائلة المنجبة» لأنها مصدر الأجيال القادمة.

الخطبة والزواج Courtship and Marriage

عندما يكتمل نضج الشاب، فإنه يبدأ فى الاستعداد للاستقلال عن أسرته، ويأخذ فى البحث عن شريكة تكمل معه مشوار حياته. وتختلف المجتمعات وتتباين فى كيفية اتمام الخطبة، وفى اجراءاتها، والاحتفالات الخاصة بها، كما تختلف أيضا بصدد إجراءات الزفاف والاحتفالات الخاصة به. وفى حين يعد الزفاف، وحفل العرس، والاعلان عنه، من العموميات الثقافية التى تحدث فى كل المجتمعات الانسانية، فإن اجراءات الزواج وطريقة الاحتفال به تعد من المتغيرات الثقافية، لأنها تختلف من ثقافة الى أخرى. وفى أمريكا الشمالية عندما يقع الاختيار على فتاة معينة، يبدأ تبادل الهدايا الخفيفة، ثم تعلن بعد ذلك الخطبة رسميا فى حضور عدد قليل من الأهل. وبعد مدة معينة يتم الزفاف فى حفل كبير يشهده عدد غفير من الأهل والأصدقاء، وكأنه اعلان الدنيا كلها وإشهاد لها على هذا العقد. والواقع، أن ما يحدث فى أمريكا شبيه فى بنيته ووظيفته بما يحدث فى أى مجتمع بسيط. فالزواج يتم بشعائر دينية، وتمثل العائلتان تمثيلا كبيرا فى حفل الزفاف، وتقام وليمة بهذه المناسبة يدعى اليها بالاضافة الى

أهل العروسين، عدد من أصدقاء الطرفين. وبالرغم من الاعتقاد الشائع بأن النمط العتيق للزواج بدأت تقل أهميته، فإن المعارف العلمية بهذا الصدد تشير الى عكس ذلك، فمعظم الزيجات مازالت تتم بالاحتفالات التقليدية.

دورة حياة العائلة The Family Cycle

ما أن يتم الزواج وتتكون عائلة نووية جديدة، حتى تأخذ فى الترتيب لمقدم الطفل الأول، وهكذا تبدأ دورة حياة هذه العائلة الزواجية. وفى العامين أو ثلاثة الاعوام التى تسبق مقدم الطفل الأول، يعيش الزوجان بمفرديهما، وفى معظم الحالات يكونان فى قوة العمل يدخران للمستقبل، وكذلك يستمتعان بحياة اجتماعية نشطة.

ويحدث مقدم الطفل الأول تغيرات كبيرة فى العلاقة بين الزوجين. أولها، أن الأم تكون أميل الى ترك عملها، وبالتالى ينخفض دخل الاسرة انخفاضا ملحوظا. وتبدأ حياتها تدور حول الطفل وحاجاته، وغالبا ما يكون ذلك على حساب الزوج ـ الوالد، الذى يبدأ فى التنافس مع الطفل المنتظر فى أن يحظى باهتمام الزوجة.

ويبلغ متوسط عدد اطفال الأسرة فى الولايات المتحدة اليوم طفلين، يتم إنجابهما خلال العشر السنوات الأولى من الزواج، بفارق فترة بسيطة بينهما. وبما أن معظم الزيجات تتم فى بداية العشرينيات من أعمار الزوجين، فمعنى ذلك أن دورة حياة الأسرة تبدأ وكلا الزوجين مازال صغير السن نسبيا. وهذا عكس ما كان يحدث فى الماضى فى الولايات المتحدة، عندما كان من المألوف أن يكون الزوجان فى الأربعينيات عند مقدم الطفل الأول.

وينشغل الوالدان بتربية الأطفال ويتعهدونهم بالرعاية، ويشرفون على دراستهم حتى يبلغوا أشدهم.

ويبدأ عش الزوجية يخلو بزواج آخر ابن (أو ابنة) ورحيله عن البيت، وتبدأ مرحلة جديدة من حياة الزوجين تمتد لفترة تطول أو تقصر.

الـزواج الحديـث

بالرغم من الحقيقة القائمة من أن الغالبية العظمى (٩٥٪) من الشباب الامريكى يتمتع بحياة زوجية (ليس بالضرورة مع شريكة أو شريك الحياة الأولى) فإن مخاوف العلماء تتزايد بصدد الزواج المعاصر، وتقوم هذه المخاوف أساسا بسبب زيادة معدلات الطلاق فى كل من الولايات المتحدة وكندا. وأما الأسباب الأخرى للمخاوف فهى زيادة حالات الشجار والتوترات، وزيادة مشاركة المرأة فى القوى العاملة، وضعف القيم الاخلاقية والبعد عن الدين.

ومما لا شك فيه أنه توجد مؤثرات فى الحياة الزوجية المعاصرة لم تكن موجودة بنفس الدرجة فى الأيام الخالية، والسؤال الذى يفرض نفسه هنا هو: لماذا؟ اذا كان الشاب قد تزوج عن حب، واختار بنفسه شريكة حياته، ليحيا حياة هنيئة دافئة عاطفيا تستمر طوال العمر فلماذا نجد عديدا من الازواج يقول بعد ذلك أنه لم يحقق ما كان يرجوه من نجاح فى حياته الزوجية؟ ويفسر كثير من الأشخاص المتزوجين ذلك بأنهم لم يحسنوا الاختيار. ومع هذا، فعندما سئل أفراد عينة كبيرة من المتزوجين عن أحوالهم الزواجية، ذكر ما يقرب من الثلثين أن حياتهم سعيدة جدا. وقال ٣٠٪ انهم سعداء الى حد ما، وذكر الباقون (٣ر٣٪) أنهم غير سعداء مطلقا. ويهرب معظم أفراد هذه الفئة الأخيرة من هذه الظروف التعسة بالطلاق، أو بالهجر. كما أن بعضهم يسلم أمره إلى الله، إذا لم يقدر على الطلاق لسبب أو لآخر، ويرى أنه ليس فى الامكان أبدع مما كان، وأن الحياة تجرى بطريقة مقبولة.

ولا نستطيع فى هذا الفصل من كتاب يعالج أوليات علم الاجتماع، أن نستقصى جميع مظاهر الزيجات الحديثة، ولكننا سنعلق على بعض ملامح قليلة تحتاج فى الواقع لمعالجة مستفيضة، وهذه الملامح هى:

١ ـ منافع الزواج، وحظ كل شريك منها.
٢ ـ قضية الشجار والعنف داخل الأسرة.
٣ ـ موضوع الطلاق وفسخ عقد الزواج.

منافــع الــزواج The Benefits Marriage

تذهب النظرية الوظيفية الى أن كلا الشريكين يستفيد من تقسيم العمل، وتبـادل المحبـة، اللذين يطبعان الزيجات-الحديثة. ففى مقابل تكريس الزوجه جهـودها للأعباء المنزلية، فإنها تحظى بمكانة اجتماعية، وتتمتع بالحماية والأمن المادى، وفرصة إنجاب ذرية تحقق استمرارية الأجيال. وأما الرجال فيسعدون بالكد والكفاح خارج البيت لتوفير أفضل ظروف معيشية ممكنة لزوجاتهم وأبنائهم. ويحقق الـزواج للمجتمـع عدة أهداف، أهمها دافعية الناس للعمل والانتاج، وتحقيق بيئة اجتماعية مستقرة.

وأما نظرية الصراع فتذهب من ناحية أخرى، إلى أن انسجام الوظائف على هذا النحو يصعب تحقيقه. ليس فقط لأن لأعضاء الأسرة مصالح يرغبون فى تحقيقها، والتى غالبا ما تكون متعارضة، ولكن ايضا لأن ظروف الحياة الاقتصادية السائدة قد لا تمكن الأسرة من آداء وظائفها على أفضل نحو. هذا بالاضافة الى زيادة الأعبـاء والمسئوليات على الـزوجـين خارج البيت. فالصراع ينشـأ نتيجة كثرة الخلافات بين الزوجين مع تزايد الضغوط الخارجية، وخاصة الظروف الاقتصادية.

وفى ظل هذه الظروف، تتأرجح الأدوار داخل العائلة، يريد كل عضو أن يحظى بأكبر قدر منها وخاصة فيما يتعلق بالسلطة. وتتوقف السيطرة على الخلافات واحتواؤها على عدد من المتغيرات والبدائل المتاحة، ونوع الدعم الذى يلقاه أعضاء العائلة من الآخرين، والوضع المالى لكل من الزوجين. وان التركيز على مثاليات الحب والغـرام، يحجب عن أعـين عديد من الأفراد حقيقة ما تزخر به الحياة الزوجية من مشكلات ومن صراع على السلطة، ومن الرغبة فى تحقيق الذات، وغير ذلك مما يمكن أن يحدث داخل البيت.

ويذهب البعض الى أن المرأة تحقق فوائد اكثر مما يحققه الرجل من الزواج، فهى التى غالبا ما تمسك بزمام المبادرة فى البيت دون تحمل المسئوليات العديدة التى يتحملها الرجال خارج البيت، وأنها تترك القرارات الرئيسية للزوج ليتحمل نتائجها. وغالبا ما نرى الزوج يموت قبل الزوجة.

ولقـد أثـارت هذه الأفكار مناقشات حية بين علماء علم الاجتماع العائلى.

وبالرغم من أن الرجال يأخذون سلطة أكبر داخل العائلة نتيجة أدوارهم الاقتصادية وسعيهم وكدهم خارج البيت، فإن هذا لا يعنى أن النساء لا حول لهن ولا قوة بالضرورة. كما أننا لا يمكن أن نوافق على الرأى القائل بأن النساء أكثر استفادة من الزواج من الرجال، فإن كلا من الرجل والمرأة يحقق اشباعات من الحياة العائلية ومن أدواره التى يقوم بها عن طيب خاطر.

العنف داخل العائلة Family Violence

إن ما تتصف به العائلة الحديثة من حب وما يسود أفرادها من عطف ومودة، ليس كل جوانب الصورة، فثمة جوانب غير وردية فى العلاقة العائلية. إن الناس الذين يعتمد بعضهم على بعض عاطفيا ونفسيا، وتشيع بينهم علاقات الحب والمودة المتبادلة، يكونون شديدى الحساسية لما يصدر عن أى فرد منهم من سلوك يشتم منه رائحة الاساءة، فإن الطعنة تكون أشد ايلاما عندما تأتى من شخص يتوقع منه المودة والحب. ويقدر عدد البيوت التى يسود العنف بين أعضائها بما يقرب من ١٠ - ٢٠٪ من عدد البيوت فى امريكا الشمالية (Straus,Gelles,and Steinmetz,1978) وبالرغم من عدم توفر معارف علمية تسمح بالمقارنة بين ما كان يحدث من عنف داخل العائلة فيما مضى من أيام، لتقارنها بما يحدث اليوم، فإن الأكثر ترجيحا، أن البيت كان دائما مكانا محفوفا بالمخاطر، ولا حرج أن نضيف، أنه لم يوجد قط اليوم الذى كانت فيه الحياة العائلية تمضى دونما أخطار تتهددها. هذا بالاضافة الى أنه كان هناك وقت كانت تعتبر فيه الزوجات والأطفال ضمن ممتلكات الزوج - الأب، وكان هؤلاء يفتقدون حماية المجتمع المحلى. ولقد لاقت العقوبات البدنية للزوجات والأطفال تعاطفا وتأييدا عريضين من عامة الشعب فى الولايات المتحدة. ولم تبدأ مناقشة قضية العنف داخل العائلة الا منذ وقت قريب، وبدأت بمناقشة عقاب الطفل الذى يسىء التصرف، ومدى جدوى عقابه، ثم تطرقت المناقشة لتشمل ايضا مسألة ضرب الزوجات. ولم تقتصر المناقشة على الزوجات والأطفال، بل شملت ايضا الأزواج ضحايا العنف داخل العائلة، وكذلك ما كان يلقاه بعض كبار السن من معاملة لا تليق بهم.

وفيما يتعلق بالطفل سيىء السلوك، والذى يتعرض من جراء ذلك لأشد أنواع العقاب. فالواقع أن الشخص السيىء الحقيقى هنا ليس هو الطفل بقدر ما هى

الأم. فلقد كانت الأم صغيرة السن، ليس لديها المعرفة الكافية وكانت معزولة مسكينة، وكانت حياتها مجدبة من العاطفة، تعتمد ماديا على زوجها، أو حتى على والد زوجها اعتمادا كليا، وكانت تجهل كيفية تنشئة الاطفال، وترتعد خوفا من المسئولية، يتهددها دائما شبح الطرد من البيت، وكانت تخاف من زوجها. والعجيب بعد ذلك أن مثل هذه الأم تتوقع من طفلها أن يسلك على أحسن نحو وأفضله، والطفل ببساطة شديدة، لا يستطيع ذلك، أو هو غير قادر أن يسلك على النحـو الـذى يرضى الأم، الأمـر الـذى يسبب للأم مزيدا من الاحباطات، ولا تجد سوى الضرب تنفس به عن نفسها. والواقع أن مثل هذا الطفل ليس سيئا، كما أنه ليس بطىء النمو، وإنما يفتقد التدعيمات الايجابية: الابتسامة، الضحكة، اللمسة الرفيقة الحانية، وغير ذلك من الاثابات التى ينبغى أن يبذل الوالدان كل جهد لتقديمها لأطفالهما (Lamt,1978)

لقـد كان العنف هو الطابع المميز للأسرة، وكان يوجه أكثر ما يوجه نحو الزوجات، وهذا لا يمنع أن بعضهن كان يرد الصاع صاعين، ولكن الأغلبية لم تكن تفعل، فلقد كان تطبيعهن الاجتماعى على أدوارهن المستقبلية، يتضمن ضمن ما يتضمن، حضهن على الخضـوع، وألا يسألن الا القليل لأنفسهن. وهكذا كان كثرة من النساء يعتقدن أنهن مسئولات بشكل ما اذا ما ثار غضب أزواجهن، ويلمن أنفسهن على ما يلقين من سوء المعاملة، لأنهن لم يعرفن كيف يسسن أزواجهن، ويحافظن على حياتهن الزوجية.

جـذور العنـف Roots of Violence

يتفق معظم الباحثين على أن العنف فى الأسرة هو انعكاس للعنف الذى يسود فى المجتمع، وهذه بعض الصور لما يحدث من عنف فى المجتمع: كثيرا ما نجد تسامحا مع العدوان بل نجد الحث عليه أحيانا، فالشرف الرفيع لا يسلم من الأذى، حتى يراق على جوانبه الدم، هذا هو الدرس الذى يتعلمه الصبية. وهم يشاهدون كيف يتبادل اللاعبون فى الملاعب الضرب أحيانا، الذى قد يصل الى حد كيل الكلمات، كما يحدث فى كرة القدم مثلا، ثم لا عقاب. وغالبا ما تتسم مطالب العمال بالعنف. وكثيرا ما نلاحظ المشاجرات التى تحدث فى الأحياء الشعبية لأوهى الأسباب. وينفق الشباب الأمريكيون ملايين الدولارات على كتب

الأدب المكشوف والصور والافلام الداعرة. وتصرخ الأمهات البيض مطالبات بعدم التحاق الأطفال الزنوج بمدارس التعليم العام مع اطفالهن. ويخشى رجال الشرطة استدعاءهم لفض المنازعات بين المدنيين، أكثر من خشيتهم لاستدعائهم لمطاردة اللصوص (Pinkney,1972) وهذه على أية الأحوال، أمثلة لبعض صور العنف، التى تحدث فى المجتمع.

وعندما يشجع العنف، أو ينظر إليه على أنه وسيلة مشروعة لحل ما قد ينشأ من صراع فى المجالات الاجتماعية، فلن يأخذنا العجب أو تنتابنا الدهشة، اذا ما ظهر هذا العنف فى حياتنا الشخصية. وما أن يطبق العنف مرة واحدة، حتى يصبح وسيلة مقبولة للتعامل مع الآخرين. إن الطفل الذى يعاقب جسميا، يتعلم أن الناس الكبار يضربون من هم أصغر منهم، وهذا درس يمكن أن يكرره الأطفال فيما يستقبل من حياتهم. واذا كان ثمة قاعدة واحدة صحيحة يمكن استخلاصها من البحوث والدراسات النفسية والاجتماعية فهى: إن العنف لا يفيد فى علاج الخطأ، أو يضمن عدم تكراره مرة أخرى، بل على العكس، إن العنف يولد العنف.

الطلاق والزواج مرة أخرى Divorce and Remarriage

ارتفعت نسبة الطلاق باطراد فى الولايات المتحدة وكندا خلال الأحقاب القليلة الماضية، وذلك كما يتضح من الاحصاءات الرسمية.

واذا كان الطلاق هو الطريقة الرسمية التى ينحل بها عقد الزواج، فهناك طرق أخرى غير رسمية تنحل بها العلاقة الزوجية، وذلك مثل الهجر والانفصال. ويلجأ الزنوج اليه اكثر مما يلجأون الى الطلاق. فى حين يحدث العكس لدى البيض. ويمكن أن يعزى ذلك الى الفروق فى الدخول، والقدرة على اللجوء الى الوسائل القانونية.

ونجد فى أى وقت من الأوقات، نساء مطلقات اكثر مما نجد من الرجال، ذلك أن الرجال سرعان ما يتزوجون مرة أخرى. ويعكس ذلك القيمة المختلفة لكل من الرجال والنساء فى سوق الزواج. وتلاحظ هذه الفروق بشكل خاص فى الأعمار المتقدمة. فمعدلات زواج النساء مرة أخرى بعد الأربعين، تقل بدرجة

ملحوظة عن معدلات الرجال الذين يتزوجون مرة أخرى بعد الأربعين، بل إن احتمالات زواج الرجال مرة أخرى تظل قائمة حتى ٦٥ عاما. وتشير الاحصاءات الى أن ٨٣٪ من الرجال المطلقين يتزوجون مرة أخرى، مقابل ٧٥٪ من النساء المطلقات.

ما هى التفسيرات التى يمكن اعطاؤها لمثل هذه المعدلات المرتفعة من الطلاق؟ يمكن القول بشكل شديد العمومية، ان الطلاق هو الوجه الآخر من عملة الاختيار الحر لشركاء الحياة، ولمثاليات الحب الرومانتيكى. فاذا تزوج شخص لينعم بالحب ويحظى بالاستقرار النفسى والانفعالى، فما الذى يبرر استمرار علاقة الزواج اذا لم تعد تقدم شيئا من ذلك، بل ربما أصبحت تقدم العكس، فتصبح مدمرة للعقل والجسم. ويقول آخر، ان الزواج الذى يقوم على الحب والغرام يقوم على عامل وحيد يمكن أن يتغير بمرور الوقت، أو بالاصطدام بمشكلات الحياة ومتاعبها، وهو بذلك زواج، يحمل فى طياته عوامل انحلاله، فالعلاقة الزوجية المتينة هى التى تبنى على أكثر من دعامة.

وتعانى جميع المجتمعات الحديثة من نفس المشكلة التى تعانى منها الولايات المتحدة، وهى ارتفاع معدلات الطلاق، الأمر الذى اضطر بعض هذه الدول لاصدار قوانين مدنية تبيح الطلاق، بالرغم من المعارضة القوية من رجال الدين لموضوع الطلاق.

وبالاضافة الى ذلك، فإنه توجد عوامل أخرى يمكن أن تكون سببا فى زيادة معدل الطلاق. من بين هذه العوامل، أن المرأة التى تعمل وتحصل على أجر لم تعد مجبرة على تجرع حياة زوجية تعسة، أو معاملة سيئة. هذا بالاضافة الى أن اقامة امرأة مطلقة بمفردها، لم يعد شيئا يستنكره المجتمع الامريكى كما كان الأمر فى الماضى. حقا انه ليس من السهل على الشخص أن يكون مطلقا بين مجتمع من المتزوجين، وخاصة اذا كانت امرأة، الا أن الأمر اليوم على أية الأحوال أصبح أقل إيلاما.

ويمكن أن يكون العمر الذى يتم فيه الزواج متغيرا له أهميته فى ارتفاع معدل الطلاق. بل انه يمكن القول، بأنه اذا كان يوجد متغير وحيد يرتبط باتساق، بالتعاسة الزوجية واحتمال الطلاق، فإنه يكون السن الصغيرة التى يتم فيه الزواج

الأول: فكلما انخفضت سن كل من الذكور والاناث، ازدادت مخاطر تعرض الـزواج للفشـل (Schoen,1975-Glick and Norten,1979) فأى شىء فى السن الصغيرة يزيد من احتمال فسخ عقد الزواج؟ إن من أهم المتغيرات الملاحظة بهذا الصدد، أن الزواج قد تم فى مرحلة لم يكن نضج الشخص فيها قد اكتمل، كما أنه بعدم اتمامه لتعليمه، لا يحصل الا على وظيفة منخفضة الدخل. وهكذا يمكن القـول، إن الدخل الضئيل، مع انخفاض مستوى التعليم، والدخول المبكر لمعترك الحياة قبل اكتمال النضج العام، والنضج الانفعالي بوجه خاص كل أولئك يمكن أن يكون سببا تنجم عنه حياة زوجية غير مستقرة.

ومن هنا يمكن القول، إن من أهم العوامل التى يمكن أن تكفل الاستقرار للزواج الأول، النضج بكل أنواعه، والحصول على درجة علمية تؤهل للحصول على وظيفة مرتفعة الأجر. وما أن يتم الزواج، حتى يصبح من الواضح أن أقوى العـوامل التى تكفل استقرار الحياة الزوجية، هو عدد السنوات التى استمرها الزواج، فكلما كانت هذه السنوات قليلة ازداد احتمال الطلاق. لنأخذ جميع من تزوجوا عام ١٩٦٠ على سبيل المثال: ٤٪ سيطلقون فى نهاية العام الأول من زواجهم و ٢٪ سيطلقون فى نهاية عام ١٩٦٢ و ١ر٢٪ فى نهاية عام ١٩٦٣ وهكذا حتى نصل الى ٦ر١٪ فى نهاية عام ١٩٦٩ و ٥ر١٪ تقريبا بنهاية العام الرابع عشر من الزواج (National Centre for Health Statistics August, 1979) أى أنه بمضى الأعوام يقوى الزواج، ذلك أن الزوجين يصبحان أصلب على مواجهة الضغوط، وتخطى الصعاب التى تزخر بها الحياة الحديثة.

وبالرغم من تأثر ملايين الأطفال بحالات الطلاق، فإن ثمة دلائل على أن عددهم اليوم يقل عن عددهم فى الستينيات، ويرجع ذلك أكثر ما يرجع الى انخفـاض معـدل المـواليد، وحـدوث الطلاق فى وقت مبكر من الزواج، هذا بالاضافة الى أن عدد أطفال المضطربين فى زواجهم، يكون أقل من عدد أطفال السعداء فى زواجهم.

عائـلات الأقليـــات
Minority Families

ان العـلاقـات العـائلية التى عرضنـا لها حتى الآن فى هذا الفصل، هى

العلاقات العائلية الخاصة بالثقافة السائدة. وإذا كانت العائلة النووية هى النموذج الذى تتطلع اليه غالبية الأمريكيين، فقد لا يكون الأمر على هذا النحو بالنسبة لبعض ابناء الثقافات الفرعية كالامريكيين الزنوج، والامريكيين الاسبان مثلا، والذين مازالوا يعيشون داخل عائلات ممتدة. وبالرغم من تحول كثير من أفراد الجيل الثالث منهم الى العائلات النووية، فإن العائلات الفقيرة من جميع الجماعات العنصرية أو السلالية، مازالت تعتمد على الروابط القرابية التي تتميز بها العائلاث الممتدة، مصادر لبقائها.

العائلات ذات الأصل الأسبانى فى الولايات المتحدة:

Hispanish Families in the United States

ظلت العائلات المتحدثة بالأسبانية فى الولايات المتحدة، حريصة على إنجاب عدد كبير من الأطفال، فهى مازالت محتفظة بالأنماط التقليدية للبلاد التى هاجرت منها. هذا بالاضافة الى تأثرها القوى بتعاليم الكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

وللرجال وبخاصة الشيوخ، كلمة مسموعة وسلطة كبيرة داخل العائلة وخارجها. كما أن النساء يرتبطن بعلاقات وثيقة بكثير من النساء خارج العائلة. مثل هذا النمط من الترابط التقليدى، والسلطة القوية على نساء وأطفال العائلة، يسمى النمط العشائرى.

ولا يخلو وصف العائلة الأسبانية الأصل من محاذير، فاذا قال الباحث الأمريكى، إن العشائرية والمعدل المرتفع من المواليد يمكن أن يعوق الحراك الاجتماعى الى أعلى. أو أن الرجال «الماشيمو» الأسبان يقهرون نساءهم، فإنه يتهم بالتعصب ضدهم. ويحدث رد فعل عكسى لدى الباحثين الامريكيين الأسبان، فيتحدثون عن نفس هذه الصفات على أنها فضائل ومثاليات، فيصفون العائلة الأسبانية الأصل بأنها محبة للأطفال، ومفعمة بالحيوية، ومترابطة، وأنها متدينة وفاضلة. ويقول «ميراند Mirande,1977» بهذا الصدد: «إن الاختلاف الجوهرى بين وجهتى النظر، لا يكمن فى وصفهم لخصائص العائلة، وانما يكمن فى تفسيرهم وتقويمهم لهذه الخصائص. فالنظام العشائرى عند «الشيكانو» مثلا، هو نظام عام معترف به، الا أن منتقديه يرون فيه نظاما غير ديموقراطى، بعيدا عن القيم الأمريكية، معوقا للانجاز الفردى، ومعرقلا للتقدم. فى حين يراه

مؤيدوه مدعما انفعاليا، وماديا، فى هذا العالم العدوانى الظالم.

ومع ذلك، فبمرور الوقت سوف تسود القيم الاساسية لسلوكيات الأغلبية، بما فى ذلك تبنى أنماط العائلة النووية، بين شباب هذه العائلات، الذى يسير عديد منهم فى نفس الدرب الذى يسير فيه أعضاء الجماعات السلالية الأخرى، فى الحراك الاجتماعى الى أعلى.

العائلات الزنجية فى الولايات المتحدة :
Black Families In The United States

تحاط مناقشة الأنماط العائلية لدى الامريكيين الزنوج، بكثير من المشاعر المتضاربة. ويميل الزنوج أكثر من غيرهم من السكان البيض أو الذين هم من أصل أسبانى، إلى العيش داخل عائلات ذات والد واحد (أب أو أم) وذلك بسبب الطلاق أو الانفصال أو الهجر أو الترمل. ومعنى ذلك وجود تباين كبير فى خصائص المكانة الزوجية والمنزلية للزنوج. ولا توجد الا أعداد قليلة منهم تعيش داخل عائلات نووية. ففى عام ١٩٧٥ مثلا، بلغت نسبة الزنوج الذين يعيشون داخل عائلات نووية ٥٥٪ مقابل ٨٠٪ من البيض.

العائلة الزنجية فى قاع المدينة: هل هى ماترياكية أو ماتريفوكية؟
The Inner-City Black Family: Matriachal or Matrifocal?

يعترض كثير من الباحثين على استخدام كلمة «ماترياكية (التى تسيطر عليها الأم) لوصف العائلة الزنجية الفقيرة. ويذهبون الى أن الاصطلاح الأكثر دقه هو «ماتريفوكية» (المتمركزة حول المرأة) ذلك أن معظم الرجال الزنوج تشيع بينهم البطالة، ومن ثم يصعب عليهم القيام بالدور التقليدى للرجال باعتباره عائلا للاسرة. هذا بالاضافة الى أن معونة الانعاش الاجتماعى الفيدرالى لا تعطى للمرأة التى تعول أبناء قصرا، الا فى حالة عدم وجود رجل كبير فى البيت. ومن هنا، فإن ظروف البيت الاقتصادية تتحسن إذا تركه الزوج العاطل عن العمل. ويترك كثيرون البيت سعيا وراء عمل فى أى مكان آخر، ولكنهم يكونون غير قادرين على استقدام زوجاتهم وأطفالهم إلى مكان عملهم الجديد.

ويترتب على ذلك، وجود نسبة كبيرة، من العائلات الزنجية «الماتريفوكية» تقدر

بأكثر من ثلث مجموع العائلات الزنجية وتتكون العائلة الزنجية فى هذه الحالة من الأم وأقاربها الاناث وأطفالهن، يعشن فى بيت واحد ويتقاسمن المصادر المتاحة. وعندما تتولى المرأة السلطة داخل هذه العائلة، فإنها تتخلى عنها بمجرد حضور زوجها الى البيت.

ولقد سارت الأبحاث والدراسات عن طبيعة العائلة «الماتريفوكية» فى اتجاهين:

أ ـ يتمثل الاتجاه الأول فى أعمال «هل Hill » عام ١٩٧٢ و «ستاك Stack » عام ١٩٧٤ اللذين أشارا الى قوة النمط «الماتريفوكالى» على أنه وسيلة لبقاء استمرار الأجيال، وتوفير الخدمات لأفراد العائلة بوجه عام، ومقاومة عوامل التفكك وانعدام التكامل التي تحدثها الضغوط الموجودة خارج الأسرة.

ب ـ وأما الاتجاه الثانى، فيعمل على استقصاء الظروف الخارجية: البطالة والأجور المنخفضة للأعمال غير الفنية، والمساكن المعزولة، وغير ذلك من الأنماط التنظيمية لأشكال التفرقة العنصرية (Rainwater and Yancey, 1967) وتعد العائلة «الماتريفوكية» بالنسبة لكل من الاتجاهين، استجابة لظروف الفقر وليست سببا له. بمعنى، أنها محاولة ضرورية للتوافق من أجل البقاء والتقدم فى بيئة عدوانية (Hill,1972574).

عائلة الطبقة المتوسطة الزنجية المستقرة :

The Black Stable Middle-Class Family

تتزايد أعداد العائلات الزنجية فى الطبقة المتوسطة عن طريق التعليم، والمهنة، والدخل الذى يحصل عليه الكبار. ففى عام ١٩٥٠ على سبيل المثال، لم يكن عدد العائلات الزنجية التى يزيد دخلها عن متوسط دخل العائلة فى الولايات المتحدة أكثر من ١٠٪ من عدد العائلات الزنجية. وقد ارتفعت هذه النسبة بمقدار الثلث عام ١٩٧٧.

وتختلف عائلات الطبقة المتوسطة الزنجية عن مثيلاتها البيضاء. فتتكون الغالبية العظمى منها من زوجين يشتغلان بعمل مهنى فى الغالب، ويقل دخلهما معا عن دخل رجل ابيض واحد يعمل نفس العمل الذى يشتغلان به.

ولا تتميز العائلة الزنجية من الطبقة المتوسطة فقط بأن كلا الزوجين يعمل عملا طوال الوقت، ولكنها تتميز أيضا بأن العلاقة بين الزوجين اكثر مساواة من العائلة البيضاء، وكذلك من العائلة الزنجية التى يعولها شخص واحد فقط (Wil-lie,1981) ويرجع السبب فى ذلك الى تساويهما فى التعليم ونوع العمل. فى حين أنه فى العائلات البيضاء التى يعمل فيها الزوجان، نجد تفاوتا كبيرا فى المستوى الوظيفى بين كل من الزوج والزوجة.

الخلاصـــــة

Summary

العائلة كغيرها من النظم الاجتماعية، مجموعة من المعايير والسلوكيات، تنتظم حول بعض الأنشطة الأساسية، مثل الانجاب، والتطبيع الاجتماعى، والحماية، والمودة، والرعاية. وتعد العلاقات العائلية من الملامح الأساسية للبناء الاجتماعى لأى مجتمع من المجتمعات. وبالرغم من أن النظم القرابية تختلف من مجتمع إلى مجتمع آخر، كما أنها تختلف عبر الزمن، فإنها يمكن أن توصف جميعها فى ضوء عدة أبعاد رئيسية هى:

١ ـ عدد الزوجات اللائى يسمح بهن مجتمعات فى وقت واحد.
٢ ـ اختيار الزوجة أو الزوج.
٣ ـ خط النسب والوراثة.
٤ ـ مكان معيشة الزوجين.
٥ ـ علاقات السلطة.
٦ ـ وظائف العائلة.
٧ ـ بنية العائلة.
٨ ـ بؤرة الالتزام.

إن أهم تحول أساسى فى العائلة، كان الانتقال من العائلة الممتدة الكبيرة بسببيا والتى تتكون من عدة بيوتات مرتبط بعضها ببعض الى العائلة النووية التى تتكون من الزوجين وأطفالهما. والعائلة النووية وحدة أقل قوة وتعددا فى الوظائف من

العائلة الممتدة، لأن العديد من الوظائف التى كانت تقوم بها تولتها الآن مؤسسات خارجية. ومع ذلك، فإن ضغوط ومطالب الحياة الحديثة أوجدت حاجات ماسة إلى العاطفة والدعم الانفعالى، يحاول معظم الناس تلمسه فى شركاء حياتهم، ولدى أطفالهم. وهكذا أصبحت العائلة الحديثة متخصصة فى دعم العلاقات الشخصية، والتطبيع الاجتماعى للأطفال.

وكذلك فإن ما يطبع العائلة الممتدة هو التقليل من الفروق فى السلطة بين الأزواج والزوجات، وبين الأباء والأبناء. وتعزى هذه التغيرات نحو المساواة، إلى الاتجاهات الليبرالية الأعرض، والتغيرات التشريعية، وتأثير النظريات النفسية عن نمو الطفل، وكذلك ضعف قدرة الآباء على التحكم فى تحركات أبنائهم الاجتماعية.

ويعتبر الزواج والأبوة، من الملامح العامة للمجتمع الامريكى، فإن ما يقرّب من ٩٥٪ يتزوجون مرة واحدة على الاقل، و ٩٠٪ منهم يصيرون آباء. ويفضل الامريكيون استمرارية الزواج والأبوة المدعمين بالمشاعر الايجابية.

وبالرغم من أن معدلات الزواج مازالت تسجل ارتفاعا، فإنه توجد تخوفات بالنسبة لمستقبل العائلة الامريكية، ترجع الى ارتفاع معدلات الطلاق وتكراره، وازدياد العنف داخل العائلة، والتدهور العام فى المستوى الاخلاقى، وكثيرا ما تنعكس الضغوط الانفعالية على الزوجات والأطفال فينفسون بالعنف. وبدلا من أن يريح هذا التنفيس بالعنف ويخفف من التوترات النفسية، فإننا نجده يولد مزيدا من العنف والقسوة.

وعندما يصبح الزواج مصدرا للقلق والضيق، ويفقد دعمه العاطفى والانفعالى، فلا مفر من الطلاق أو الانفصال. وتتزايد معدلات الطلاق، وتعود الغالبية العظمى من الرجال والنساء إلى الزواج مرة أخرى.

قــراءات مقترحـــة

Bernard, Jessie. *The Future of Marriage.* New York: Bantam, 1973. An informative and lively summary of the sociological research on marriage and the family.

Bura, Wesley, Reuben Hill, F. Ivan Nye, and **Ira L. Reiss** (Eds.). *Contemporary Theories about the Family (2 Vols.). New York: Free Press, 1979. A comprehensive collection of essays on the modern family, including the effects of social change, interaction patterns, marital problems, childrearing, and the various theoretical models used to study the family.*

Goode, William J. *World Revolution and Family Patterns.* New York: Free Press, 1963. This is a landmark study of the relationship between industrialization, modernization, ideology, and changes in the family life in China, Japan, India, Middle East, parts of Africa, Western Europe, and North America.

Ross, Heather L. and **Isabel V. Sawhill.** *Time of Transition: The Growth of Families Headed by Women.* Washington, D.C.: Urban Institute, 1975. The economic and social situation of children and mothers in single-parent families is thoroughly examined.

Rubin, Lillian Breslow. *Worlds of Pain.* New York: Basic Books, 1976. This description and analysis of working-class families, marriage, and intimate relationships is based on in-depth interviews by a sensitive researcher.

Skolnick, Arlene. *The Intimate Environment: Exploring Marriage and the Family.* Boston: Little, Brown, 1978 (second edition). One of the best of the fine marriage and family texts available. A very clear and lively analysis of the family, class and ethnic differences, gender roles, love and sexuality, parenthood, childhood, socialization, and the future of the family.

Stein, Peter J. (Ed.). *Unmarried Adults in Social Context.* New York: St. Martins, 1981. An anthology examining the variety of single lifestyles with sections on work, health, parenting, intimacy, aging, living arrangements, and social class, gender, age, and racial differences.

Straus, Murray, Richard J. Gelles, and **Suzanne K. Steinmetz.** *Violence in the American Family.* New York: Doubleday, 1978. Presents the most complete analysis of the context, prevalence, causes, and consequences of violence against wives, children, and husbands.

Willie, Charles V. *A New Look at Black Families.* second edition. Bayside, New York: General Hall, 1981. The strengths and problems of black families are thoroughly and compassionately presented in this landmark essay.

الفصل الثانى عشر
النظم الاقتصادية

Economic Systems

الفصل الثانى عشر
النظم الاقتصادية

Economic Systems

عندما أنشأت شركة جنرال موتور مصنعا لتجميع السيارات فى مدينة «لوردزتون» بولاية «أوهايو» عام ١٩٦٦ كانت الدفعة الأولى من العمال الذين التحقوا به، من الذين تركوا أعمالهم فى المصانع الأخرى، على وعد بالحصول على أجر أعلى. وبدأ العمل بالمصنع فى نهاية الستينيات، وكان ينتج حوالى ٦٠ سيارة فى الساعة. وعندما أراد المصنع إنتاج موديل جديد من السيارات، قرر مديرو الشركة تطوير هذا المصنع وتحديثه. وأغلق المصنع ثم افتتح بعد عدة شهور بخط تجميع آلى جديد تماما، حلت فيه عديد من الآلات محل العمال، وأصبح المصنع ينتج ١٠٠ سيارة فى الساعة. وكمثال للتحديث كانت معظم اللحامات فيها تتم بواسطة انسان آلى ولم يعد أمام العامل سوى ٣٦ ثانية يقوم فيها بعدة أعمال معقدة قبل أن تظهر وحدة جديدة أمامه على خط التجميع. وبذلك تم توفير ٣٥٠ عاملا وتسريحهم.

وقد أغضب هذا التصرف العمال، وقالوا إن الشركة أخلت بعقد العمل المبرم مع النقابة، وذلك بقيامها بتغيير ظروف العمل دون التشاور مع النقابة، وقاموا بأعمال تخريبية فى المصنع، فأنزلوا السيارات من على خط التجمع ودعوا إلى الاضراب. وبعد مفاوضات عديدة بين النقابة وأصحاب الشركة، وافق العمال على زيادة الانتاج مقابل إعادة العمال المسرحين وتعويضهم، وغير ذلك من مسائل مالية. ولكن المشكلة الأساسية الخاصة بظروف العمل لم تتغير. وتتلخص هذه الظروف فى رتابة العمل التى تبعث على الملل، فلم يعد العامل يستطيع أن يفخر بما أنجزته يداه، وما أبدعه عقله. وانتاب العمال شعور بعدم الاكتراث، فلم يعد يهمهم ما إذا كان الانتاج جيدا أو رديئا (Tarkel,1972).

وأصبحت مدينة «لوردزتون» رمزا لظروف العمل العصرى وما نجم عنه من مشكلات. فقد أثار ما حدث فى هذه المدينة، مشكلات الآلية والاغتراب، والاشباعات المشتقة من العمل وغير ذلك من موضوعات سوف نعود لمناقشتها فى موضع تال من هذا الفصل، لأننا لن نستطيع أن نتفهمها تفهما جيدا إلا اذا عرفنا طبيعة النظام الاقتصادى العريض للمجتمع macrosystem.

أصول النظم الاقتصادية ووظائفها :

Origins and Functions of Economic Systems

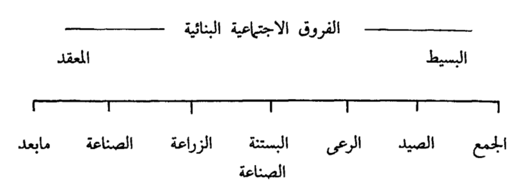
ينشأ السلوك الاقتصادى عن المحاولات التي تقوم بها أية جماعة إنسانية للتوافق مع البيئة التي تعيش فيها. ويتمخض عن هذه المحاولات نمط الاعاشة mode of subsistence الذى يميز هذه الجماعة. فكأن اصطلاح «نمط الاعاشة» يشير الى الطرق والوسائل الأساسية التي تلجأ إليها الجماعات الانسانية للمحافظة على بقائها فى الموقع الجغرافى الذى تحتله. وأهم هذه الأنماط المعيشية هى:

١ ـ مرحلة الجمع (جمع الفواكه والجذور الدرنية)
٢ ـ صيد الأسماك.
٣ ـ صيد الحيوان.
٤ ـ الرعى.
٥ ـ البستنة (زراعة الأشجار المثمرة).
٦ ـ الزراعة.
٧ ـ الصناعة.

وخلال تطور التاريخ الانسانى، كانت الطرق الاقتصادية الأكثر تقدما وملاءمة للظروف، تحل محل الطرق الاقتصادية البسيطة التي لم تعد ملائمة للظروف المتطورة. وكانت الطرق الجديدة تقوم على تقسيم أكبر للعمل. ويحدث تطوير المجتمعات لأنماط جديدة للاعاشة تلبية للاحتياجات المتزايدة، ونتيجة للاتصال بمجتمعات أخرى. وتوجد بعض المجتمعات تظل كما هى لا يطرأ عليها أى تغيير لمدد تطول أو تقصر.

وتتباين الثقافات المعاصرة فى الخصائص التى تطبع نظمها الاقتصادية. فمازالت

جماعة التاسادای تعيش على الجمع، والاسكيمو على صيد الأسماك، والبشمن على صيد الحيوان، والتنجس على الرعى، والتربرياندز على البستنة، والايكاتان على الزراعة، وأما دول غرب أوربا، فتعيش على الصناعة.



نمط الاعاشـــة

ويوضح هذا الشكل الحركة العامة لتطور النظام الاقتصادى عبر التاريخ الانسانى. وهو يسير من البساطة الى التعقيد. ولا يعنى تطور المجتمعات نحو التعقيد بالضرورة، أن المجتمعات المعقدة أفضل من المجتمعات البسيطة. فالواقع أن أعضاء المجتمعات البسيطة أهنأ حالا وأكثر استمتاعا بما يجدونه من أوقات فراغ لا تتوفر لأعضاء المجتمعات العصرية، هذا الى بعدهم عن مصادر التلوث البيئى المختلفة.

وما أن يتطور مجتمع إلى نمط إعاشى جديد، حتى تعترى عديد من التغيرات كثيرا من نظمه وعاداته وتقاليده، وتبدأ عملية التمثيل التنظيمى institutionalization وفيها تصبح التوافقات الاقتصادية الجديدة، أسلوب حياة الجماعة فى مختلف المجالات التنظيمية، وتشمل هذه التغيرات بنية العائلة وعلاقات السلطة داخلها، وزيادة التخصص فى العمل، وظهور الأسواق بديلا لنظم المقايضة وغير ذلك. ومهما يكن من أمر، فإن التغير من نمط إعاشة معين إلى نمط إعاشى آخر، لا يعنى أن كل المجتمع قد تغير إلى هذا النمط الجديد الأكثر تعقيدا. فكثيرا ما نشاهد فى عديد من المجتمعات الحديثة بجانب المدن الصناعية الضخمة، المزارع الصغيرة، وقرى صيادى الأسماك، تتعايش جميعها داخل هذا المجتمع الحديث.

مكونات النظم الاقتصادية Components of Economic System

يتكون النظام الاقتصادى لأى مجتمع من المجتمعات من عدد من المكانات الاجتماعية ترتبط بعمليات الانتاج، والتوزيع، والاستهلاك.

أولا : الانتاج Production

توجد ثلاثة مستويات للانتاج، يرتبط كل مستوى منها بنمط مختلف من أنماط الاعاشة.

أ ـ **الانتاج الأولى** : ويشير إلى استخراج الأشياء ذات القيمة من الارض أو من الماء. فصيد السمك، والزراعة، والتعدين، هى أنماط أولية من الانتاج.

ب ـ **الانتاج الثانوى** : نشاط اقتصادى يتضمن تحويل المواد الخام إلى سلع أخرى. مثال ذلك، الغزل، والنسيج، وعمل السلال، والأوانى الفخارية، وهى من أقدم الأعمال اليدوية. وقد حلت الآلات اليوم محل الأيدى، ولكن الأساس واحد، وهو تحويل المادة الخام إلى سلعة، فلا يوجد فرق بين تحويل الطين إلى أوانى فخارية، وصناعة الزجاج من الرمل.

جـ ـ **المستوى الثالث** : توفير الخدمات: ويدخل هذا المستوى الثالث فى صميم الأنشطة الاقتصادية. ويتضمن توفير الخدمات بدلا من توفير السلع. ويزداد التوسع فى هذا المستوى فى النظم الاقتصادية الأكثر تطورا. ويضم المديرين ذوى الياقات البيضاء، وموظفى الحكومة، والمشتغلين بالأعمال الطبية، والأخصائيين الاجتماعيين، والمعلمين، ورجال الادارة، وعمال الخدمات، وماسحى الأحذية.

وتتميز المجتمعات الحديثة بالزيادة الكبيرة فى عدد العاملين فى قطاع الخدمات، فى حين تتميز مجتمعات العالم الثالث، بالزيادة فى عدد المشتغلين بالأعمال اليدوية، والأنشطة الخاصة بالاقتصاد الذي يقوم على أساس زراعي.

ثانيا : التوزيع Distribution

لكل مجتمع قواعده فى توزيع ما يتاح فيه من مصادر على الأشخاص والجماعات المختلفة، ويتأثر هذا التوزيع بالأفراد والجماعات التى تضع هذه القواعد. وتتصف عديد من المجتمعات البسيطة بالمشاركة فيما يتاح من مصادر وبخاصة تلك المتعلقة بالغذاء، مالم تكن هذه المصادر بالغة الندرة. وفى حالات المجاعة، توجد احتمالات لظهور العنف للحصول على الاحتياجات الضرورية. ولكن فى الحالات العادية، فإنه يوجد نمط من المشاعية لدى المشتغلين بالجمع، والصيد، والبستنة، فمن كل حسب قدرته، ولكل حسب حاجته، ويعتمد بقاء الجماعة على هذه الأنماط.

وتوجد ثلاثة مستويات أيضا للتوزيع هى:

أ ـ التبادل Barter

ويتم عن طريق تبادل الهدايا التى يتحتم ردها فيما بعد. أو عن طريق المقايضة المباشرة بين البائعين (تبادل) ويلعب هذا التبادل دورا اجتماعيا مهما، بالاضافة الى دوره الاقتصادى. ذلك أنه يضم الأفراد والجماعات فى نسيج من العلاقات الاجتماعية التى تقوم على الواجبات أو المصالح المتبادلة.

ب ـ اعادة التوزيع Redistribution

وهى مستوى اقتصادى أكثر تعقيدا من المستوى الأول، وفيه يجمع الفائض من الانتاج (الذى لا يحتاجه أعضاء العائلة) فى مكان معين، ويعاد توزيعه على المحتاجين أو المستحقين له.

جـ ـ الأســواق Markets

وهى أرقى النظم الاقتصادية الخاصة بالتوزيع. وقد ارتبطت نشأة الأسواق بظهور العملة. وفيه تقوّم جميع السلع والخدمات. وتصبح السوق هى الطرف الثالث الذى تقوّم فيه المعروضات المختلفة إنتاجية أو خدمية. وتتحدد قيمة ما يعرض فى السوق على رغبة الناس فى الحصول عليه، وعلى القدر الذى يتاح به فى السوق.

وهكذا يحدد العرض والطلب قيمة ما يوجد فى السوق. فإذا زاد العرض عن الطلب، فإن القيمة (أو الثمن) تقل، وأما اذا زاد الطلب وقل العرض، فإن القيمة ترتفع. وفى حالة وجود منتج واحد أو قلة من المنتجين للسلعة، فإننا نكون أمام عملية احتكار Monopoly يمكن أن تتسبب فى رفع الأسعار بشرط استمرار زيادة الطلب، لأنه إذا قل الطلب، فإن الثمن يتدهور. ومن هنا، ندرك سبب قيام «منظمة الدول المصدرة للبترول (أوبيك) بتحديد انتاج كل بلد من البلدان المصدرة للبترول.

العرض	الطلب	الأثمان	
مرتفع	منخفض	↓	يضطر العارضون لتخفيض السعر لاجتذاب المشترين القلائل.
منخفض	مرتفع	↑	يرتفع السعر بوجود كثيرين يتنافسون على هذه السلعة النادرة.

ثالثا : الاستهــلاك Consumption

يشـير الاستهلاك إلى طرق استخدام أفراد المجتمع للسلع والخدمات. وفى المجتمعات البسيطة، ينتج أفراد البيت أو الجماعة القرابية ما يكفى لاستهلاكها، وهو ما يطلق عليه اسم «الاقتصاد الاستهلاكى» وفيه يكون البيت (أو الجماعة القـرابية) وحدة منتجة ومستهلكة فى الوقت نفسه، أى أنه لا يوجد فرق بين الوحدات المنتجة والوحدات المستهلكة. وذلك بعكس المجتمعات الحديثة، فإن أهم ما تتميز به هو الفصل بين الوحدات المنتجة والوحدة المستهلكة، أى بين البيت ومكان العمل. ففى الاقتصاد الصناعي، يترك العاملون بيوتهم للذهاب إلى مكان عملهم الذي يحصلون منه على دخلهم، وبذلك أصبح البيت وحدة مستهلكة.

ويرى معظم الاقتصاديين أن مطالب المستهلك لا تشبع أبدا، وهو يتطلب

دائما المزيد. فما أن يظهر شيء جديد فى السوق حتى يحرص كل بيت على اقتنائه، حتى لو كان لديه هذا الشيء، فإنه يريد الأحدث مثال ذلك عربات الأطفال والغسالات والثلاجات، وأدوات اعداد الطعام من خلاطات وعجانات وشوايات وأفران وغير ذلك من أدوات توفر الوقت والجهد. وهكذا تتزايد احتياجات البيت وتتسع باستمرار. وبالرغم من أن الرغبة فى استهلاك السلع واقتنائها تعد رغبة عامة لدى جميع الأفراد، فإن الطلب عليها يرتفع فى المجتمعات التي يكون فيها امتلاك السلع دلالة على الثراء أو النجاح. وقد حلل عالم الاقتصاد الامريكى «فبلن Veblen » (١٩٥٧ - ١٩٢٩) ما فى هذا الاتجاه من إسراف ومضيعة، وأطلق عليه اسم «الاستهلاك المخرب» الذى يحاول به الفرد أن يحصل على التقدير والاحترام عن طريق شراء أشياء أكثر مما يحتاجه، ليظهر على الآخرين، ويلقى بأشياء لم تستخدم ليقتنى الاحدث (فبلن ١٨٩٩).

وتختلف المجتمعات الصناعية الحديثة عن غيرها من المجتمعات التي لها أنماط إعاشة مختلفة اختلافا كبيرا فيما يتعلق بالانتاج والاستهلاك والتوزيع. وإن الاختلافات من العمق والاتساع، بحيث تدفع الى النظر الى عملية التحديث على أنها عملية تؤدى الى تغير جذرى فى علاقات أعضاء المجتمع بعضهم ببعض، بل وأكثر من هذا، فهى تغير البناء الاجتماعى للمجتمع ذاته.

النظم الاقتصادية المعاصرة
Contemporary Economic Systems

يتلخص الفرق الأساسى بين النظم الاقتصادية الرأسمالية والنظم الاقتصادية الاشتراكية، فى الدرجة التى تتدخل فيها الدولة فى تخطيط الأنشطة الاقتصادية والسيطرة عليها.

درجة تدخل الدولة فى تخطيط وتنظيم
النظم الاقتصادية

ضئيل	شديد
الرأسمالية	الاشتراكية

ويتضح من هذا الشكل أن النظام الرأسمالى يقوم فى نموذجه النمطى على أقل قدر من تدخل الدولة فى التخطيط والسيطرة على النظم الاقتصادية والنشاط الاقتصادى، فى حين يقوم النظام الاشتراكى على تدخل الدولة التام فى تخطيط النظم الاقتصادية والأنشطة الخاصة بها والسيطرة عليها.

الرأسمالية Capitalism

تشكل نظريات علماء الاقتصاد الانجليز «آدم سميث Adam Smith » و «دافيد ريكاردو David Ricardo » و «جيرمى بنثام Jeremy Bentham » فى أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، الأساس الايديولوجى للنظم الاقتصادية الرأسمالية. فقد استجاب هؤلاء المفكرون لمتطلبات التجارة والاستثمار فى الدول الصناعية، والتى كانت انجلترا على رأسها فى ذلك الوقت، وطوروا نظرية تحرر التجار من القيود السياسية لاستثمار رؤوس أموالهم بالطريقة التى تحقق منافعهم وتضمن لهم الربح. وهذا هو جوهر الرأسمالية: الملكية الخاصة لوسائل الانتاج والتوزيع لتحقيق الربح. والسوق الحرة هى التى تحدد الأسعار الحقيقية للسلع عن طريق قوى العرض والطلب، فى ظل المنافسة الشريفة (عدم تدخل قوى خفية) ويبذل كل مستثمر أقصى ما يستطيعه من جهد لزيادة انتاجه وتحسينه وخفض سعره. وبذلك يتوفر أمام المشترين للسلع والخدمات، عديد من المصادر يختارون من بينها، الأمر الذى يؤدى الى خفض الأسعار بزيادة العروض منها. وتتزايد على المدى الطويل فرص العمالة، وأرباح المستثمرين، كما تتثبت الأسعار بواسطة «قوى السوق The market forces».

ومازال لهذه المفاهيم المثالية النظرية، بريقها الأخاذ حتى اليوم، وكان الشعار الذى رفعه أعضاء المعسكر الذى يسعى لفوز رونالد ريجان بمنصب رئيس الولايات المتحدة عام ١٩٨٠ هو عدم تدخل الحكومة فى الاعمال واتاحة فرص الاستثمار الحر لايجاد مزيد من فرص العمل.

ولكن الاستثمار الحر هيأ للشركات الكبيرة التي لديها إمكانات ضخمة، أن تبتلع منافسيها، الأمر الذي أدى الى زيادة تمركز القوى الاقتصادية. وكانت إحدى نتائجه الانهيار فى الاسواق الذي حدث فى أوربا وامريكا الشمالية عام ١٩٢٠ وقد دفع هذا الوضع المتردي الحكومات الغربية الى أن تتدخل بصور

مختلفة فى النظم الاقتصادية والأنشطة الخاصة بها، وذلك مثل ضمان ودائع البنوك، وتنظيم إدارات وأعمال المؤسسات الاقتصادية الكبيرة، والسيطرة على المعروض من النقود للحد من التضخم.

وإن أفضل وصف للنظام الاقتصادى السائد اليوم فى الولايات المتحدة وكندا هو «رأسمالية الدولة» والأساس فى هذا النظام هو الأسواق الحرة، ولكن مع بعض التدخلات من جانب الدولة. ويتمثل هذا التدخل فى مظاهر عديدة مثل الالتزام بسياسة الدولة العامة وقوانينها، كما أن الدولة تفرض ضرائب على قطاعات معينة من الأنشطة الاقتصادية، وتعفى أخرى من الضرائب. وكذلك تمنح الحكومة الفيدرالية إعانات كبيرة للمزارعين، وشركات تعبيد الطرق السريعة وشركات بناء السفن. هذا بالاضافة الى ما تمنحه من قروض وتسهيلات لبعض الشركات لمواجهة المنافسة العالمية، وذلك مثل شركة «لوكهيد» لصناعة الطائرات وشركة «كريزلر» لصناعة السيارات. وقد جعل ذلك بعض علماء الاجتماع يصفون هذا النظام بأنه إنعاش للأغنياء على حساب الفقراء. Marshall, 1977 وقال عنه «تسج Tussig » عام ١٩٧٤ بأنه نظام إنعاش ذو وجهين، وجه تغل فيه الحكومة يدها عن دعم برامج إنعاش الفقراء، ووجه آخر تبسط فيه يدها لانعاش الأغنياء.

وإلى عكس ذلك يذهب بعض علماء الاجتماع الآخرين، فيرون أن عدم تدخل الدولة يمكن أن ينتج عنه عديد من المشكلات الاقتصادية وكثير من حالات انعدام المساواة. فعدم تدخل الحكومة فى مجالات مثل الرعاية الصحية والاسكان مسئول الى حد كبير عن حدوث التضخم المالى الذى كان أحد أسبابه الحقيقية الأموال التى اضطرت الحكومة لتقديمها إلى برامج «الانعاش الاجتماعى»، كما ذهب إلى ذلك «ستار Starr » و «اسبنج Esping » و «اندرسون Anderson » عام ١٩٧٧ :

«يثار جدل شديد فى الولايات المتحدة اليوم بين أنصار كل من الاتجاهين، أنصار التدخل وأنصار عدم التدخل. ويصور انصار عدم التدخل القطاع الخاص بأنه ضحية التدخل الحكومى. فى حين يقول انصار الاتجاه الآخر، إن العكس هو الصحيح، فالمشكلة ليست فى تدخل الحكومة الزائد فى شئون القطاع الخاص

بقدر ما هى فى التدخل الزائد للقطاع الخاص فى سياسة الحكومة. ولن يكف هؤلاء وهؤلاء عن تبادل الاتهامات حول أسباب الازمات الاقتصادية، الا اذا وجدت حكومة قوية قادرة على الوقوف فى وجه المصالح القوية للقطاع الخاص، وراغبة فى معالجة المشكلات البنائية فى الاقتصاد، وذلك لكى تنهض بأعبائها نحو توفير الرعاية الصحية لكل افراد الشعب، وإتاحة المسكن المناسب، وتحقيق أمن الوطن والمواطن».

ويحدث التضخم المالى عندما تزيد العملة المتداولة فى مجال السلع والخدمات زيادة كبيرة جدا، الأمر الذى ينتج عنه ارتفاع أسعار السلع والخدمات. وبالعكس، فإن الكساد يحدث عندما تقل العملة المتداولة فى مجال السلع والخدمات بدرجة كبيرة جدا، فى حين تكثر نسبيا هذه السلع والخدمات، الأمر الذى ينتج عنه تدهور أسعارها.

وتمر النظم الاقتصادية الرأسمالية بأوجه مختلفة من الانتعاش والانكماش، وذلك لأن عوامل العرض لا يمكن أبدا أن تتوازن. كما أن تعقد الاقتصاديات الصناعية المتقدمة يجعل من المتعذر مواجهة «الايدى الخفية» التى تعبث بالسوق الحرة.

وقد حدث تطور آخر فى الاقتصاديات الرأسمالية الحديثة يخل بالتوازن الطبيعى المفترض فى السوق. ويتمثل فى ظهور التكتلات التي تضم داخلها كثيرا من المؤسسات والشركات المتباينة الأعمال لتصبح وحدة واحدة كبيرة. وتختلف هذه التكتلات عن الاحتكار، لأن الاحتكار يكون لشئ واحد فقط ومن ثم يمنع التنافس، أما التكتل فلا يحول دون التنافس بالضرورة، فقد يقوم تكتل آخر ينافسه. ولكن خطورة التكتلات تكمن فى أنه عندما تشترى شركة معينة عديدا من الشركات المتباينة الأعمال، وتنضوى جميعها تحت لواء شركة واحدة، فإن سلطة اتخاذ القرارات الاقتصادية فى كثير من القطاعات الاقتصادية، تتركز فى يد حفنة قليلة من المديرين أو أصحاب هذه التكتلات.

وثمة نقطة أخرى جديرة بالاعتبار فيما يتعلق بالاقتصاد الرأسمالى، هى ظهور المؤسسات التى تمارس أنشطتها الاقتصادية وتطورها فى عديد من الدول، وتتكون مجالس ادارات هذه الشركات الاستشارية من جنسيات مختلفة، معظمها من الدولة المؤسسة لهذه الشركة. والمشكلة فى مثل هذا النوع من الشركات، أن قراراتها

يمكن أن تؤثر فى اقتصاديات عديد من الدول، فى حين لا تستطيع دولة بمفردها أن تتحكم فى أعمال هذه الشركات، كما أن أعمالها لا تخضع للقواعد المنظمة لأعمال الشركات المحلية، وتخدم قراراتها المؤسسة بأكثر مما تخدم مصلحة بلد معين. وتوجد فى الولايات المتحدة عشرون شركة كبيرة من هذا النوع، من بينها شركات بترول مثل جلف أويل، وشركات سيارات مثل فورد و I B M وجنرال موتورز، وشركات معدات كهربائية مثل جنرال الكتريك، ومؤسسات بنكية مثل بنك تشيس مانهاتن الخ وتأتى معظم مصادر هذه الشركات من الدول التى تستثمر فيها الأموال.

الاشتراكيــــة Socialism

نظر المفكرون الرأسماليون الأوائل الى النظام الاقتصادى على أنه يعمل بعيدا عن التدخل السياسى. فى حين أن الواقع الذى نستخلصه من استعراض التاريخ البشرى كله يتلخص فى أن النظام الاقتصادى والنظام السياسى نسيج متلاحم ولا يمكن الفصل بينهما. وإن ما يميز الاشتراكية عن غيرها من النظم الاقتصادية، هو ذهابها الى القول بضرورة التخطيط السياسى لاتاحة توزيع أكثر عدالة للسلع والخدمات بين أعضاء المجتمع.

الماركسيــة Marxism

تدين النظرية الاشتراكية المعاصرة إلى حد كبير لتحليل «كارل ماركس Karl Marx» لايجابيات وسلبيات الرأسمالية. ويقوم تحليل كارل ماركس على فكرة الجدلية، أو التناقضات فى الواقع الاقتصادى التى تؤدى الى ظهور بناء جديد. ولقد تنبأ «ماركس» بأن نجاح الرأسمالية فى تجميع الثروة فى أيدى قليلة، مصحوبا بزيادة البؤس بين كثيرين، سوف يؤدى الى تلاحم مفكرى الطبقة المتوسطة وأصحاب الأعمال الصغيرة (أو البورجوازيين) مع افراد الطبقة العاملة (أو البروليتاريا) فى جميع أنحاء العالم ويتحدون فى حلف تحت قيادتها للاطاحة بالرأسمالية.

وكذلك فإن ماركس جعل الأولوية للنظام الاقتصادى فى تحديد شكل النظم الاجتماعية الأخرى. واهتم ببيان تأثير هذه النظم ودعمها للنظام الاقتصادى.

فعلى سبيل المثال، نظر «ماركس» وزميله «إنجلز Engels » إلى العائلة البورجوازية على أنها نظام إجتماعى مصغر، فيه ينظر رب العائلة «الرجل» الى من يعولهم كما ينظر المالك إلى أجرائه، ومن شأن ذلك أن يدعم العلاقات الرأسمالية. وأما بالنسبة للبروليتاريا، فإن بقاء العائلة يتطلب أن يقبل أفرادها أى أجر مقابل ما يقدمونه من عمل، وبخاصة الأطفال والنساء.

ويذهب «ماركس» الى أن المجتمع نسيج متفرد من العلاقات بين المجالات التنظيمية، ويتفق معه معظم علماء الاجتماع المعاصرون فى هذه النظرة، بالرغم من أن بعضهم يختلف معه فى جزء أو آخر من أفكاره العديدة التى قال بها وعدلها خلال عدة عقود. ولقد ظلت هذه الأفكار موضع جدل ومناظرة فى العلوم الاجتماعية المختلفة

ولم تصمد معظم جوانب نظرية «ماركس» السياسية والاقتصادية للاختبار أمام الزمن. فلم يتحد عمال العالم، بل الواقع أن عمال أمريكا الشمالية مثلا قوميون متطرفون. كما أن اتحادات العمال معتدلة وليست ماركسية، ولم تتحول الطبقة الوسطى إلى بروليتاريا وتسلم قيادها لها، كما تنبأ «ماركس» بل إن هذه الطبقة قد اتسعت أكثر مما اتسعت طبقة البروليتاريا. وبالرغم من أن تركيز الثروة مازال مرتفعا، فإن الضرائب قد قللت من هذا الارتفاع الى حد كبير. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فإن سياسة الانعاش الاجتماعى المتبعة فى أمريكا ومعظم دول غرب أوربا بالاضافة الى حسن التخطيط قد جعل جميع أفراد المجتمع يستفيدون من ثروة بلدهم، ولكن ماركس لم ينظر الى كل هذه العوامل، وذلك بسبب منهجه فى التحليل. وبالرغم من قصور جوانب كثيرة فى هذا المنهج، فإن أهم ما استفدناه منه هو الربط بين النظامين الاقتصادى والسياسى، وبهذا الصدد قال «سابين Sabin » عام ١٩٣٧ ما يأتى:

«ترجع أهمية تحليل ماركس الاقتصادى للتاريخ بالرغم مما شابه من مبالغات، الى إظهاره للأهمية الكبيرة للعوامل الاقتصادية كالتكنولوجيا، والنقل، والمواد الأولية المتاحة، فى تكوين الطبقات الاجتماعية، وفى تشكيل مثاليات وأخلاقيات المجتمع. وبالرغم من مبالغة ماركس فى أهمية العوامل الاقتصادية فليس ثمه شك، أننا لا يمكن أن ننكر تأثيرها الكبير».

الاشتراكية المعاصرة Contemporary Socialism

تؤكد الاشتراكية على الأهمية النظرية والعملية لتدخل الدولة فى النظام الاقتصادى والأنشطة الاقتصادية، لضمان التوزيع العادل للسلع والخدمات. وان محور الخلاف بين النظام الاقتصادى الاشتراكى والنظام الاقتصادى الرأسمالى هو فى الاجابة عن هذا السؤال: من الذى يتحكم فى صنع القرار الاقتصادى؟ يذهب المفكر الاشتراكى الى أن الحكومة هى التى ينبغى أن تتحكم فى صنع هذا القرار. فى حين يصر المفكر الرأسمالى على أن نترك ذلك لديناميات السوق. فهى وحدها التى تساعد على اتخاذ القرار الاقتصادى الذى يفيد على المدى الطويل جميع أفراد الشعب. ولا يتعدى تدخل الحكومة التصدى للأيدى الخفية التى تحاول التلاعب فى ديناميات السوق من عرض وطلب.

ولا تتخذ الاشتراكية صورة واحدة فى المجتمعات المعاصرة، بل تتخذ صورا متباينة، تتراوح بين التطرف والاعتدال، وتأخذ جزءا أو آخر من النظرية الاشتراكية ونجد الاشتراكية المتطرفة فى الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية، وتقوم فيها حكومات غير ديمقراطية تزعم أنها تمثل كل أفراد الشعب، وتسيطر سيطرة كاملة على كل وسائل الانتاج لضمان عدم وجود قهر أو استغلال ينشأ عن وجود طبقتين فى المجتمع: طبقة تعمل، وطبقة تحكم. وإنما ستكون هنا طبقة واحدة تملك وتحكم كل وسائل الانتاج.

ولكن ذلك لم يحدث فى الواقع فى الدول الاشتراكية. والدليل على ذلك ما رأيناه من إضرابات العمال التى حدثت فى المجر وسحقتها الدبابات السوفيتية، والاضرابات الحديثة التى نسمع عنها كل يوم فى بولندا، والتى يطالب فيها العمال بحقهم فى تشكيل اتحاد مستقل عن الحزب الشيوعى، الأمر الذى يدل على أن الكثير من العمال مازال يعانى من القهر والاستغلال. وبالرغم من أن التدرج الاجتماعى فيما يتعلق بالثروة والاحترام قد أصبح أقل حدة عما كان عليه الأمر فى الماضى، فإن انعدام المساواة مازال قائما فى هذه البلاد الاشتراكية. فمازالت التفرقة قائمة، نجدها بين اعضاء الحزب وغيرهم من عامة الشعب، وبين المديرين والعمال، والعمال المهرة وغير المهرة، والعمال والفلاحين، وبين خريجى المؤسسات التربوية المختلفة ... الخ وينعكس ذلك كله على نقص الانتاجية

فى الاقتصاديات الاشتراكية عنه فى الاقتصاديات الرأسمالية.

وتـأخذ بعض الدول بأجزاء من الاشتراكية، كتأميم الصناعات الثقيلة، أو تأميم الطب والعلاج، أو التخطيط الاشتراكى، أو التدخل فى توزيع الخدمات، فى حين تظل معظم قطاعات الانتاج تحت سيطرة القطاع الخاص الذى يخضع لقوى السوق. ومن أمثلة هذه الدول فرنسا، وانجلترا، والنرويج، والدانمرك، والسويد. وقد ساعد هذه الدول تجانس سكانها نسبيا، وارتفاع نسبة الضرائب فيها، والتى بلغت ٤٣٪ من دخل الفرد فى السويد مثلا.

تنظيم العمل
The Organization of Work

تقسيم العمل Division of Labor

يوجد داخل أى نظام اقتصادى نظام لتقسيم العمل يقوم على التخصص. ويقل تقسيم العمل فى المجتمعات البسيطة ويزداد فى المجتمعات الحديثة. فنجد الرجال والنساء والشباب والأطفال يشاركون فى جميع الأنشطة الاقتصادية لدى جماعـة «التـاسادای»، ونجد بذور التخصص عند قبائل «البشمن» فى صحراء كالاهارى، يقوم على الجنس والعمر، فالشابات يجمعن ويلتقطن الفاكهة، ويحفرن الأرض بحثا عن الجذور الدرنية، وأما الشباب فيتولى صيد الحيوان وقنصه، فى حين يظل كبار السن فى المساكن والخيام يرعون الأطفال ويراقبونهم، ويقدمون النصح للجميع.

وأما فى المجتمعات الحديثة مثل مجتمع الولايات المتحدة وكندا، فتوجد مئات الوظائف والمهن المتخصصة يزداد عددها عاما بعد آخر. وتنظم هذه الوظائف وتتمرتب وفقا للمهارة والدخل الذى يحصل عليه الفرد منها، ووفقا للاحترام الذى تسبغـه هذه الـوظائف على شاغليها. وقد طبعت مصلحة العمل فى الولايات المتحدة كتابا عن أنواع الوظائف الموجودة فيها تضمن ما يقرب من عشرين الف تخصص.

وقد أدى التخصص المتطرف للعمل بكثير من علماء الاجتماع بدءاً من «اميل

دوركيم» الى «تالكوت بارسونز» الى النظر الى المجتمعات الحديثة على أنها مجتمعات تحمل فى طياتها عناصر التمزق والتشرذم، فقد أصبح الفرد لا يقوم بعمل كامل، وانما بجزء بسيط من هذا العمل، وبات يدرك أنه لم يقدم للمجتمع شيئا له قيمته، ويرى علماء الاجتماع أن المشكلة الرئيسية التي تواجه المجتمعات الحديثة اليوم هى كيفية ايجاد وعى بالمجتمع يحس الافراد بأنهم جزء منه، وأن هناك غيرهم يشاركونهم تخصصاتهم وأعمالهم. ويذهب «ماكس فبر» الى القول بأن هذه الزيادة المستمرة فى تقسيم العمل، وقيام الانسان بجزء صغير منه، يظل يصغر ويصغر تجعل الانسان يحس فى نهاية الأمر بضآلته وأنه لا يقوم بشىء له قيمة، فيفقد الانسان جانبا من أهم جوانبه الانسانية: يفقد حريته كانسان، ويفقد حقه فى الانجاز والاكمال، ولا يجد حاجته الأساسية لتحقيق ذاته. وأما «ماركس» فيرى أن هذا التقسيم المتطرف للعمل يؤدى الى ظاهرة «الاغتراب Ali-nation» وهى شعور الفرد بالتمزق وانفصام عرى التماسك مع الآخرين، وعدم وجود صلة بينه وبين العمل الذى يقوم به، ونشاطه الذى يؤديه، ويتحول الشخص فى نهاية الأمر الى انسان آلى تتقاذفه الحياة دونما ارادة منه، وهو ما يعبر عنه باصطلاح «الاغتراب عن الذات self-estrangement».

ونحن جميعا نتفق على أن النظم الاقتصادية الحديثة تتضمن قيام الفرد بجزء واحد من العمل، ومن ثم لاينسب العمل الى شخص معين بالذات. وقد تبنت المصانع نظام الانتاج الذى يعرف بخط التجميع assembly line كنمط من أنماط تقسيم العمل، وفيه يقف كل عامل فى مكانه، ويمر العمل امامه ليؤدى مهمة واحدة فيه، ثم يتحرك الخط الى العامل الذى يقف بعده لينجز مهمة أخرى، وهكذا، الى أن يخرج العمل كاملا فى نهاية خط التجميع. ويختلف ذلك بطبيعة الحال، عن انجاز الفرد لعمل كامل. فى النظام الأول لم يشعر العامل انه قام بعمل له أهميته، وأما فى النظام الثانى، فإن العامل يحس بأنه أبدع شيئا له قيمة، شيئا يمكن أن يفخر به. والواقع، أن نظام خط التجميع قد أثار استياء العمال وزاد من شعورهم بالاغتراب عن عملهم.

العمال السعداء : خرافة أو حقيقة :
The Happy workers: Myth or Reality

بالرغم من الاتجاهات غير المشبعة للانسان التى سادت أنماط الانتاج الحديث،

فإن اغلب العمال فى الولايات المتحدة قد عبروا عن رضائهم الشديد بعملهم، وكانت نسبتهم تتراوح بين ٧٥ الى ٨٠٪ فى الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية (Converse et al.,1980) ولكن هذه النسب تختلف باختلاف نوع العمل. ويزداد عدم رضا العمال فى الأعمال الروتينية والتى يكون فيها الاشراف مباشرا وقريبا، حتى ولو كان الشخص يضطلع بعمل معقد يجيد أداءه (Kohn,1976) ويذهب بعض الباحثين الى أن ظروف العمل فى المصانع الحديثة التى طورت انتاجها الى خط التجميع، وكذلك الميكنة شبه الكاملة، قد جعل العمال يشعرون بالعجز والاغتراب عن الذات وفقدان المعايير والعزلة الثقافية، والاحساس بأنه لا يوجد شئ له معنى. (Blauner,1964 - Seeman,1972 and Kohn,1976) وقد أصبحت هذه الاعراض تشكل مفهوم اصطلاح «الاغتراب». فعندما يشعر العمال بأنهم لا يستطيعون السيطرة على مسيرة عملهم، أو أن اعمالهم أصبحت بدون معنى، عندئذ ينتابهم الضجر، بل وحتى الغضب، ويفقدون أى احساس بالفخر بالعمل الذى يقومون به. وتنعكس هذه المشاعر على مجالات من الحياة غير مجال العمل كالعلاقات العائلية والأنشطة الخاصة بوقت الفراغ.

ومن المهم هنا أن نلاحظ أن هذه المشاعر تتعلق بالطريقة التى تدار بها الأعمال وينظم بها الأداء، وليس بالتكنولوجيا والأعمال التكنولوجية فالتكنولوجيا في حد ذاتها لا تحول دون اشراك العمال فى توجيه العمل، والمساهمة فى اتخاذ القرارات بشأن ما يقومون بانتاجه، واذا حدث ذلك فإن العمال سوف يشتقون اشباعات من عملهم، وسترتفع روحهم المعنوية حتى فى المصانع التى تستخدم خطوط التجميع، ومن هنا سيزداد انتاجهم وتتحسن ظروف حياتهم. وهذا ما أخذت به عديد من المصانع فى الولايات المتحدة وأوربا الغربية، قد اتُبعت نظرية فى الادارة واسعة الانتشار فى المصانع اليابانية، ويشار اليها باسم «النظرية Z وتذهب هذه النظرية إلى أهمية تشجيع العمال على المشاركة في تحديد الأهداف وأخذ رأيهم ومشورتهم في الأمور الفنية وقد وجد المديرون الذين يستخدمون نظرية Z زيادة كفاءة العمل فى مصانعهم أو مؤسساتهم بشكل عام، وانخفاض نسبة التغيب والتمارض.

وقد أجريت تجارب أخرى للتوسع فى مشاركة العمال فى الادارة واعطائهم مزيدا

من السلطة، كان من بينها الغاء خط التجميع، واعطاء مجموعات صغيرة من العمال مسئولية انتاج وانهاء عمل معين بأى تقسيم للعمل يرونه هم. وقد اتبع هذا النظام بنجاح فى المصانع السويدية لانتاج السيارات، وأصبحت نوعية الانتاج مرتفعة جدا، ولكن التكلفة كانت مرتفعة ايضا. وثمة طريقة أخرى هى طريقة تناوب العمل Job rotation وهى تفيد فى استبعاد مشاعر الملل والضجر من قيام العامل بعمل واحد يتكرر كل ساعة وكل يوم، وفى هذه الطريقة يتناوب العمال العمل المطلوب أداءه ويتبادلون الادوار. وقد اتبعت طريقة أخرى فى هولندا، وهى اشراك العمال فى ملكية المصانع وفى ادارتها. وقد أدت هذه الطريقة الى زيادة معدلات الانتاج، والى زيادة الرضا بين العمال وقد رأى فيها «روتشيلد» و «هيت» (Rothschild-Whitt,1981) أنها نموذج جديد واعد فى الادارة الذاتية فى الاطار الرأسمالى. وبوجه عام فإن النماذج التى اتبعت لزيادة الانتاج والمحافظة فى الوقت نفسه على الروح المعنوية المرتفعة للعاملين، روعى فيها الأبعاد التالية:

١ ـ تلقائية جماعة العمل، بمعنى عدم فرضها، وإنما يختار العمال من يعمل معهم ضمن جماعتهم.
٢ ـ المسئولية عن النوعية.
٣ ـ تحديد المهام.
٤ ـ إعطاء مكافآت مالية على التعليم والتدريب.
٥ ـ التقليل من وطأة الاشراف.
٦ ـ الادارة الذاتية.

وإن من أهم النتائج التى توصلت اليها الدراسات الحديثة الخاصة برضا العمال عن العمل، أن الاشباعات الداخلية التى يحصل عليها العمال مثل توفير الفرص لاستغلال واستعراض المهارات، واتاحة الحرية للتخطيط للعمل، وتجربة أشياء جديدة، والاحساس بالسعادة برؤية نتاج عملهم، هى أهم عوامل رفع الروح المعنوية، وهى أهم لدى العمال من رفع المرتبات أو تحسين الظروف الفيزيقية وعوامل الأمن. فإن تحقيق الاشباعات الداخلية لدى العمال لا يقل أهمية عن تحقيقها لدى المديرين أو ذوى الياقات البيضاء، وذلك بعكس ما كان يعتقد (Gruentery,1980) فهما ليسا نمطين مختلفين من العاملين، فهم وان كان كل نمط منهما يتباين فى التعليم وغيره من المميزات، فهم جميعا عاملون فى وظائف معينة،

إمـا أن يشتقـوا منهـا أشباعات داخية أو لا يشتقون. وعندما يتحقق الاشباع الداخلى، فإن الاشباعات الخارجية سوف يكون لها قيمة.

وهكذا، فإنه فى حين ظل مستوى رضا العمال مرتفعا لسنوات عديدة منذ الحرب العالمية الثانية، فإن المعارف المستقاة من المسوح الاجتماعية التى أجريت فى الفـترة ما بين ١٩٥٨ ومنتصف السبعينيات، أظهرت أن عوامل الرضا قد تغيرت جذريا، ففى حين كان الدخل والظروف الفيزيقية وتوفير الأمن يتصدران قائمة هذه العوامل قبل عام ١٩٧٠ أصبحت الأن هذه العوامل أقل أهمية من الاثابات الداخلية مثل الاحساس بالانجاز وتحقيق الذات. (converse et al., 1980).

ولنعـد الى قصة «الميكنة automation » من أولها. ويقصد بالميكنة استبدال الآلات بالعمل الانسانى. وبالرغم من الارتفاع الكبير فى أسعار هذه الآلات، فإنها على المدى الطويل سوف تكون أرخص من القوى البشرية. كما أن للآلات ميزة أخرى، وهى أنها لا تشكو ولا تضرب عن العمل كما حدث بالنسبة لجمع المحـاصيل الزراعية فى الولايات المتحدة. لقد كانت المحاصيل الزراعية تجمع بواسـطة عمال مهاجرين (عمال تراحيل) يرتحلون من مكان الى آخر فى مواسم الحصاد. وكانت تكلفة هؤلاء العمال قليلة، فبالاضافة الى ضآلة أجرهم، لم يكن يؤمن عليهم، ولم يكونوا يتقاضون أية معاشات، كما أنهم كانوا يأخذون أجورهم بالقـطعـة وليس باليوم أو بالأسبوع، كما كانوا غير مسجلين فى أية نقابات أو اتحادات. ولظروفهم البالغة السوء كانوا يقبلون العمل تحت أية ظروف. ولكن الأمور لم تظل على هذا النحو، فقد تشكل اتحاد يضم هؤلاء العمال الموسميين، وأخذ يطالب بتحسين ظروف العمل لهم واتاحة التعليم لأبنائهم، ورفع الحد الأدنى للأجور. وبذلك ارتفعت نفقات الحصاد ارتفاعا كبيرا الأمر الذى اضطر كثير من أصحاب المزارع معه الى الالتجاء إلى الآلات لحصاد محاصيلهم وكانت النتيجـة تنـاقص الحاجة إلى العمالة الموسمية، الأمر الذى لم يكن مقصودا أو مرغوبا، وانما جاء نتيجة رغبة أصحاب المزارع فى زيادة أرباحهم.

العمال والحركة العمالية Lebor and Labor Movement

يقول ماركس فى تحليله الكلاسيكى، إن الكادحين ينافس بعضهم بعضا فى

سوق تكتظ بالعمال القادرين على العمل والراغبين فيه. وتحت هذه الظروف يقدم أصحاب العمل أقل الأجور لمن يرغب فى العمل. ومن هنا ليس أمام العمال الا توحيد صفوفهم فى تنظيمات تطالب برفع الاجور، أو يمتنع الجميع عن العمل.

وفى الماضى، عندما كانت المصانع مكتظة بالعمال غير المهرة، كانت هناك صعوبة كبيرة أمام قيام مثل هذه التنظيمات، ولا يمكن أن تكلل المساعى الرامية الى ذلك بالنجاح. ولم تظهر الحركات العمالية الحديثة فى الولايات المتحدة الا فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر. وتعرضت لضغوط كثيرة من الحكومة ومن قطاعات العمل المختلفة. وبعد عشرات السنين من العنف، تشكلت النقابات العمالية فى الولايات المتحدة وكندا، ونجحت فى ضم عدد كبير من العمال إلى عضويتها. والتحق العمال ذوو المهارات المتخصصة فى كل من البلدين، بنقابة عمالية اطلق عليها اسم «الاتحاد الامريكى للعمال AFL » وكانت تضم الصفوة من الحركة العمالية. وكان تكوينها سهلا نسبيا لأنها كانت تضم صفوة العمال المهرة الذين يفتقر اليهم سوق العمل. وأما الغالبية العظمى من العمال شبه المهرة وغيرر المهرة فكانوا أكثر صعوبة من حيث التنظيم، وأخيرا نجحوا فى تشكيل نقابة أطلقوا عليها اسم «مؤتمر التنظيم الصناعى C I O وفى عام ١٩٥٥ اتحدت النقابتان تحت اسم (AFL - CIO) لتشكلا نقابة واحدة قوية.

وتحتاج قصة الأيام الأولى لعمليات التنظيم النقابى فى كل من الولايات المتحدة وكندا لأديب بارع لكتابتها: لحظات الانتصار ولحظات اليأس، والشجاعة والجبن، وأسماء لمعت وخبت. ولا يصدق أحد أنه جاء الوقت الذى يخطب فيه المرشحون السياسيون ود القادة النقابين، سعيا للفوز بتأييدهم، كل هذا قد حدث بعد عشرات قليلة من السنين، كان هؤلاء القادة النقابيون يتهمون بتزعم حركات متفرقة لتدمير النظام الرأسمالى الذى تقوم عليه الولايات المتحدة. ويذهب بعض علماء الاجتماع المعاصرين الى أن هؤلاء القادة النقابيين قد تعرضوا «للذهب المعز وسيفه» فعلى سبيل المثال عين الرئيس السابق لنقابة عمال السيارات سفيرا للولايات المتحدة فى جمهورية الصين الشعبية، وعين خليفته عضوا فى مجلس إدارة شركة «كريزلر» للسيارات. فى حين ألقت الحكومة القبض على من سبقهما فى هذا المنصب، وقدمته إلى المحاكمة وحكم عليه بالسجن لأنشطته النقابية.

ولم يكن غريبا فى العقود الأولى من هذا القرن، أن يعمل الأطفال فى المناجم والمصانع لمدة سبعة أيام فى الأسبوع، وطوال اثنتى عشرة ساعة فى اليوم، لقاء دريهات قليلة لا تسمن ولا تغنى من جوع، وتحت ظروف بالغة الخطورة. ففى عام ١٩١١ توفيت ١٥٠ أمرأة وفتاة نتيجة حريق شب فى أحد مصانع الملابس الجاهزة فى مدينة نيويورك. وهزت هذه الحادثة وجدان الشعب الامريكى، وأعطت دفعة كبيرة للحركة النقابية. وقد نشرت حديثا يوميات لواحدة ممن كن يعملن فى هذا المصنع وهو مصنع Triangle Shirt Waist Factory والتى بدأت العمل فيه وهى فى الثامنة من عمرها، كتبت تصف ظروف العمل التى كن يعملن فيها: «... كنا نبدأ العمل فى السابعة والنصف صباحا، وخلال ذروة الموسم كنا نعمل حتى التاسعة مساء دون أجر اضافى، ولا حتى أى مبلغ بسيط لقاء وجبة غذائية، وأحيانا كانوا يتفضلون علينا بفطيرة صغيرة اذا استمر العمل الى وقت متأخر، ويعتبرون ذلك كرما عظيما منهم. ولم يكن العمل الذى أقوم به عملا صعبا فى الواقع، الا أنه كان يبعث على الملل، فعندما كانت تخرج القمصان النسائية (البلوزات) من الماكينات كانت توجد بها بعض خيوط قليلة كنا نقوم بقصها. وكنا مع جميع الصغار نتنحى ركنا قصيا نفترش الأرض كما لو كنا فى روضة أطفال. وكانوا يعطوننا مقصات صغيرة لقطع الخيوط. لم يكن عملا ثقيلا، ولكنه كان يبعث على الضيق.

... وكان اصحاب العمل يقفون على رؤوسنا كما لو كانوا ضباط شرطة، ويصيحون فينا من وقت الى آخر لحثنا على السرعة. وكنا نحن الصغار نتسلق الصناديق الكبيرة التى تلقى فيها هذه القمصان النسائية. وأحيانا كانت تلقى على أم رؤوسنا، حتى اذا جاء المفتش فإنه لا يرى الا اكواما من البلوزات التى غطتنا.

... ولم يكن اصحاب العمل يعترفون بآدمية من يعمل لديهم، فلم يكن يسمح لنا بأن نغنى. لم يكن يسمح لنا بأن تتحدث واحدة إلى زميلتها أو الى زميلاتها. لم يكن يسمح لنا بتناول وجبة الغذاء خارج الصالة المغلقة. فقد كانت الأبواب تغلق علينا. وهذا هو السبب فى شدة الفاجعة واحتراق الكثيرات عندما شب الحريق واندلعت السنة النيران، فلقد حوصرن كما تحاصر الفيران فى المصيدة.

. . . وكنت اتقاضى دولارا ونصف فى الاسبوع، بصرف النظر عن عدد الساعات التى أعملها. وكانت أخواتى الكبريات تحصل كل واحدة منهن على ٦ دولارات أسبوعيا، وقد تحصل العاملة التى تقوم بأعمال تتطلب مهارة أكبر على ١٢ دولارا أسبوعيا، وهذا أقصى مرتب. ولم يكن يسمح بأية اجازة اسبوعية، وكان المشرف يردد قوله: «من لا تأتى يوم الاحد، فلا تحضر يوم الاثنين» فقد كان مفروضا أن نأتى كل يوم فى حالة حاجتهم الينا. وكان الأجر ثابتا مهما كان عدد الساعات التى نعملها.

وكانت الظروف العامة بغيضة فى تلك الأيام، فلم نكن نحتكم على أى شىء، ولم يكن لنا الا هذه الدريهمات القليلة. وعندما ينتهى الموسم، يقال لنا: «انتن مسرحات، ابحثن عن عمل آخر».

لم تكن توجد برامج انعاش اجتماعى، ولم تكن هناك تعويضات عن الحوادث، أو تأمينات ضد البطالة. لم يكن يوجد أى شىء. لقد كان حالنا أسوأ بكثير من أفقر الفقراء اليوم، فلم يكن لدينا ما نستند اليه. ولم يكن لدينا أى شىء نأمل فيه أو نتضرع من أجله سوى أن تفتح المصانع أبوابها ونجد عملا.

ولقد امتنعت عن العمل فى هذا المصنع منذ اضراب ١٩٠٩ ولم أعد إليه ثانية. فلقد كلفتنى النقابة بعمل لرفع أجر المضربين عن العمل.

ولم يكن هناك أى اكتراث بالنقابات آنذاك. وعندما كانت تمثل واحدة من المضربات عن العمل أمام المحكمة، كان القاضى يقول لها: «هل تعرفين يا سيدتى الشابة أن اضرابك لم يكن ضد صاحب العمل، انه اضراب ضد الله» ثم يحكم عليها بالسجن لمدة أسبوعين تمضيها فى أعتى سجون أمريكا، فى المكان الذى كان يلقب باسم «جزيرة الشيطان» والتى تغير اسمها الآن الى «جزيرة السعادة» ولقد تجرعت الكثيرات فى هذا السجن صنوف الهوان وتعرضن للضرب والايذاء.

وبعد اضراب عام ١٩٠٩ عملت فى النقابة، وكنت مسئولة عن تنظيماتها فى فيلادلفيا، وكليفلاند وفى غيرهما من أماكن، ولهذا لم أكن بالمصنع وقت نشوب الحريق، ولكن عديدا من صديقاتى كن هناك.

وإننى لعلى يقين أن الحريق كان مدبرا للحصول على قيمة التأمين، ولن يستطيع أحد أن يقنعنى بخلاف ذلك. وعندما ذكر أصحاب المصنع أمام المحكمة أن الباب كان مفتوحا لتتمكن الفتيات من الهرب من النيران، كانوا يكذبون، فلم يكن الباب مفتوحا، ولم يحدث مطلقا أن تركوا الباب مفتوحا فى أى وقت من الأوقات، وذهبت ١٤٦ امرأة وفتاة ضحية لجشعهم، وحكم القاضى على صاحبى المصنع «بلانك» و «هارى» بغرامة مقدارها ٧٥ دولارا.

وقد نشرت جريدة نيويورك تيمز فى عددها الصادر أول سبتمبر عام ١٩٨٠ هذه اليوميات للنقابية «بولين نيومان» تحت عنوان «الطريق الذى كان».

والواقع أن النقابات لا تمثل حتى الآن الا نسبة بسيطة من مجموع العاملين فى الولايات المتحدة. فلم يتجاوز عدد المسددين لاشتراكات النقابة من العاملين فى مجال الصناعة، ودواوين الحكومة ٤٠٪ منهم. وكان معظم غير المشتركين فى النقابة من النساء، ويرجع ذلك اكثر ما يرجع الى عمليات التطبيع الاجتماعى الخاصة بالجنس، فلقد كانت الفتيات يطبعن على السلبية، وعلى أن السلوك الأنثوى لا يتفق مع أدوار النقابات. وأما فيما يتعلق بالزنوج، فإنهم بعد أن رفضوا قبول عضوية النقابات حتى عام ١٩٥٠ أصبحوا بعد هذا التاريخ أكثر إقبالا على عضويتها من زملائهم البيض.

ولقد حدثت عدة مشكلات فى الحركة النقابية من أبرزها، اعتقاد الاعضاء أن قادة النقابات يعملون لصالحهم أكثر مما يعملون لصالح النقابات. ولكن مع ذلك فإنه يمكن القول، إن الغالبية العظمى من أعضاء النقابات راضون عنها، وقد دل على ذلك المسح الاجتماعى الذى أجرى على مستوى الولايات المتحدة، والذى أظهر أن ٢٥٪ منهم راضون جدا عنها، وأن ٤٨٪ راضون و ١٧٪ غير راضين، و ١٠٪ غير راضين مطلقا (Kohen,1979).

العمل والبطالة Employment and Unemployment

إن كون الإنسان يعمل، أو كونه يعمل فى وظيفة معينة، لا يتوقف بالضرورة على مقدرته وكفاءته، وإنما يمكن أن يتوقف على عوامل مثل الجنس Sex والعمر والعرق. ففى حين كانت نسبة العمالة فى الولايات المتحدة للأشخاص الذين فوق

١٦ سنة عام ١٩٧٩ هى ٧٢٫٣٪ من مجموع بين النساء ٤٧٫٢٪ هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، أنه فى حين كانت نسبة البطالة فى الولايات المتحدة ٥٫٠٪ كانت لدى الزنوج وغيرهم ١٠٫٦٪ وفى حين كانت لدى النساء عموما ٦٫٨٪ كانت بين الزنجيات وغيرهن ١٢٫٦٪.

تركز البطالة Hardcore Unemployment

إن اكثر الناس معاناة من البطالة اليوم فى الولايات المتحدة هم الشباب الزنوج الذين يتراوح عمرهم من ١٦ ـ ١٩ سنة. ففى كل خمسة منهم كان يوجد اثنان عاطلان عن العمل، فى حين أنه بين كل خمسة من البيض الذين فى سنهم كان يوجد واحد فقط عاطل عن العمل. وتزداد البطالة بين الزنوج والذين هم من أصل اسبانى بسبب قلة فرص العمل فى مناطقهم الجغرافية، أو بسبب نقص التعليم والمهارة والخبرة والدافعية للحصول على عمل.

ولقد نظمت برامج فيدرالية لتأهيل وتشغيل العاطلين عن العمل، إلا أنها لم تحقق فائدة كبيرة، لأنه منذ عام ١٩٧٧ لم يحدث نمو كبير فى عدد الوظائف فى الدولة، بالاضافة الى أن الوظائف المتاحة تقع فى مناطق بعيدة. وآثرت هذه البرامج أن تقتصر على تأهيلهم دون توظيفهم، على أساس أنه يمكن بعد تأهيلهم أن يعملوا بالقطاع الخاص. ولكن لا توجد دلائل على أن القطاع الخاص راغب أو قادر على امتصاص هؤلأ العمال. ومهما يكن من أمر، فإن الحكومة الفيدرالية قد استمرت فى دعم برامج التدريب.

الخلاصـــة
Summary

يحاول هذا الفصـــل أن يلقى الضـوء على أصـول ووظـائف وأبنية النـظم الاجتماعية، وتوضيح الطرق التى تنظم بها الأعمال المختلفة.

وينشأ السلوك الاقتصادى من محاولة الناس التوافق مع البيئة التى يعيشون فيها. ولقد اختلفت الجماعات، وتباينت المجتمعات فى نظرتها لحاجاتها المعيشية،

ولطرق إشباع هذه الحاجات، واصبح طريق كل جماعة نمطا خاصا تدعمه المعايير الاخلاقية السائدة.

ويتضمن النظام الاقتصادى عمليات الانتاج والتوزيع والاستهلاك ويعتبر النظام الرأسمالى والنظام الاشتراكى هما النظامين الاقتصاديين الأساسيين فى العالم الصناعى المعاصر. وبالرغم من أن النظام الرأسمالى يقوم أساسا على حرية السوق والتنافس الشريف، فإن الازمة الاقتصادية التى حدثت فى أواخر العشرينيات من هذاالقرن، قد أدت الى زيادة تدخل الحكومات فى النظام الاقتصادى والأنشطة الخاصة به. ويقوم النظام الاقتصادى فى الولايات المتحدة على السوق الحرة مع تدخل محدود من الحكومة، مثل تنشيط قطاعات معينة عن طريق اعفائها من الضرائب أو خفضها.

وقد ركز «كارل ماركس» على النظام الاقتصادى وأعطاه الأولوية على النظم الاجتماعية الأخرى، كما أوضح تأثير النظم الاجتماعية فى دعم النظام الاقتصادى السائد. ويمكن القول بوجه عام، ان العلماء الاجتماعيين يقرون الاعتماد المتبادل بين المجالات التنظيمية المختلفة، وقد شكل هذا أساس الايديولوجية الاشتراكية. وبالرغم من تباين صور الاشتراكية المعاصرة، فإن الفروق بين دخول الجماعات قد تناقصت نتيجة التدخل الحكومى فى الاقتصاد، ولكن عديدا من مظاهر انعدام المساواة ظلت موجودة.

ويتضمن أى نظام اقتصادى توزيعا للعمل بين المتخصصين، ويقل هذا التخصص فى المجتمعات البسيطة ويزداد فى المجتمعات الحديثة. وتتصف المجتمعات الصناعية الحديثة بتقسيم لا ينتهى للعمل. ويبدأ الاحلال المتزايد للآلة محل الجهد الانسانى. وظهر نظام جديد فى الانتاج هو خط التجميع، الذى أفقد الانسان قدرته على التحكم فى ظروف العمل، ومن هنا بدأ عدم رضا كثير من العمال عن عملهم، واصبحوا يشعرون بالاغتراب عنه.

وينقسم النظام الاقتصادى نفسه الى عديد من النظم الفرعية. وتعد النقابات احدى هذه النظم الفرعية. ويعد تاريخ النقابات فى امريكا مزيجا من الانتصارات والهزائم. وتحاول النقابات تحقيق هدفين رئيسيين هما ايجاد كيان للعمال لنسق واضح داخل المجتمع، والتقليل من انعدام المساواة، والفروق داخل القوى

العاملة نفسها. وقد حققت الجهود الفرعية للقيادات النقابية عديدا من المكاسب عن طريق المساومات مع أصحاب الأعمال على رفع الاجور، الا أن ذلك قد عاد بالفائدة الأكبر على القطاع العمالى المكون من العمال المهرة والأكفاء، ولم يستفد العمال غير المهرة منه كثيرا، وكانوا يستبدلون بسهولة ليحل غيرهم محلهم.

ويرتبط نوع العمل والوظيفة بالجنس Sex والعرق race وهما خاصيتان موروثتان، المفروض الا يرتبطا بالقدرة على الانجاز أو التعيين فى الوظائف ولكننا نجد الأمر على غير هذا النحو فالنساء والزنوج المتساوون مع الرجال البيض فى التعليم والمهارة والخبرة، تقل احتمالات تعيينهم، واذا عينوا فبأجور أقل، وفى مكانات أدنى.

قراءات مقترحة :

Abella, Irving and **David Millar** (eds). *The Canadian Worker in the Twentieth Century* (New York: Oxford University Press, 1978). Partly based on interviews with elderly workers and documents from the early days of the union movement in Canada, this collection of readings traces the history of unionization, the living conditions of workers, and the situation of working women.

Clement, Wallace. *Continental Corporate Power: Economic Linkages between Canada and the United States* (Toronto: McClelland and Stewart, 1977). The structure of North American corporate powers is systematically described and analyzed in this volume that has influenced Canadian and U.S. scholars.

Connor, Walter D. *Socialism, Politics, and Equality: Hierarchy and Change in Eastern Europe and the USSR* (New York: Columbia University Press, 1980). A well-balanced assessment of progress toward equality and continuing hierarchy and inequality in the USSR and Eastern Europe.

Friedman, Milton and **Rose Friedman.** *Free to Choose* (New York: Avon, 1981). The Friedmans present the case for contemporary free enterprise in a format and style that has made this book a best seller in paperback as well as hard cover.

Harrington, Michael. *Socialism* (New York: Bantam, 1972). This is a highly readable account of the historical roots of socialism, its theoretical foundations and its contemporary forms.

Sokoloff, Natallie. *Between Money and Love: The Dialectics of Women's Home and market Work* (New York: Praeger, 1980). A review of various theoretical and empirical approaches to the study of women and their work, gender roles and the labor market, and the relation of women's roles as mothers in the home to their paid work in the marketplace.

Stephens, John D. *The Transition from Capitalism to Socialism* (London: Macmillan Press Ltd., 1979). The theme of the transition from capitalism to socialism is traced through the writings of Marx, Lenin, and others. The book includes comparative discussions of political changes in Western Europe, the USSR, Sweden, Britain, France and the U.S.

Terkel, Studs. *Working* (New York: Random, 1972). In the words of the book jacket, "people talk about what they do all day and how they feel about what they do" – frankly and fascinatingly.

الفصل الثالث عشر
السياسات والسلطة

Politics and Power

الفصل الثالث عشر
السياسات والسلطة

Politics and Power

يقول المؤرخ البريطانى لورد «أكتون Acton» إن السلطة يمكن أن تغرى بالفساد، ولكن السلطة المطلقة لابد وأن تفسد. ولكن من ناحية أخرى، اذا استعرضنا التاريخ الانسانى، فإننا نجد أن غياب السلطة ـ الفوضوية ـ لم يجلب إلا الدمار. ولقد ظلت الحياة الاجتماعية وستظل تتأرجح بين قوى الحرية وقوى الاستبداد.

ويعرف «ماكس فبر Max Weber» السلطة بأنها إمكانية قيام فرد (أو جماعة) بعمل معين يحقق أهدافه الخاصة، حتى اذا كان ذلك ضد ارادة الآخرين. ولابد أن نلاحظ هنا أن هذا التعريف تعريف اجتماعى أكثر منه تعريفا فرديا، بمعنى أن السلطة ليست صفة تعرى الفرد بقدر ما هى صفة تتحقق داخل موقف اجتماعى، قد يكون البيت، وقد يكون العمل، أو القرية، أو المدينة، أو المجتمع بأسره. وقد اهتم علماء الاجتماع السياسى بدراسة الديناميات الكامنة وراء السلطة، وتنافس الجماعات المختلفة لبلوغها، وينصب اهتمامهم على: من يحكم؟ ولماذا يحكم؟ وكيف يحكم؟

وفى هذا الفصل سوف نبدأ من المنطلق الاجتماعى العريض macrolevel لنوضح أصول النظم السياسية وتطورها من المنظور الوظيفى، ثم نتطرق إلى استخدامات السلطة من المنظور الصراعى.

أصول النظم السياسية ووظائفها

Origings and Functions of Political Systems

أولا : أصول النظم السياسية :

النظم السياسية مكانات وأدوار نمطية تنشأ داخل كل جماعة إنسانية لمواجهة الحاجة

إلى اقرار النظام الداخلى، وتوفير الدفاع الخارجى. ولتحقيق هذين المطلبين الأساسيين وما يرتبط بهما من أعمال ضرورية، فإن السلطة تعطى لبعض الأفراد لضمان توفير هذين المطلبين بالاضافة الى فرض معايير الجماعة. وفى المجتمعات البالغة البساطة، فإن العمر والجنس يشكلان أبسط الأسس التى تقوم عليها الفروق فى السلطة، فالكبار يعطون الاوامر لمن هم اصغر منهم، والذكور يعطون الأوامر للاناث.

وعلى المستوى الاجتماعى، فإن المشكلة الأساسية هى التنسيق بين أنشطة الأفراد والجماعات، ومن أجل ذلك كان لابد من قيام نظم تضطلع بوظائف الضبط الاجتماعى المطلوبة. فعندما تعيش جماعتان قرابيتان أو أكثر، فلابد من ايجاد وسيلة معينة لحل ما قد ينشأ من نزاع، وهذا هو أصل النظم السياسية: ترتيبات معينة لتولى السلطة والاضطلاع بالحكم، ويكون لمن يتولى الحكم حق الولاء والطاعة على أفراد الجماعة. وكلما كبر حجم المجتمع وتنوعت الاختصاصات، أزدادت مشكلات حفظ النظام فيه. وبهذا يمكن القول، إن تاريخ تطور النظام الاجتماعى والثقافى هو ايضا تاريخ تطور النظم السياسية: من رب أسرة تضم عددا من البيوتات الى شيخ قبيلة تحتوى على عدد من البدنات، حتى نصل إلى الدول الكبيرة المعاصرة.

ثانيا: وظائف النظم السياسية

١ ـ المحافظة على النظام The Maintenance of Order

يطور كل مجتمع طرقا معينة لتحويل الأعراف التى اصطلح عليها الناس لحفظ النظام واقرار الأمن، الى قواعد وقوانين ملزمة. فلقد كان الاعتراف بسلطة الأب داخل العائلة، أو سلطة الشيخ داخل الجماعة القرابية، يتضمن سلطته فى عقاب من ينحرف عن المعايير، واثابة من يتطابق معها. فاذا انتقلنا الى المجتمعات الأكبر من العائلة، فإن مجالس كبار السن (الشيوخ) كانت تضع القواعد، وتصغى الى الشكاوى، وتصدر الأحكام المناسبة. وأما اليوم، فتوجد فى المجتمعات الحديثة مجالس تشريعية لاصدار القوانين، ولهذه المجالس أسماء مختلفة حسب المجتمعات. وتساعد هذه المجالس على أداء وظائفها، أجهزة تنفيذية وسلطات قضائية، هذا بالاضافة الى قوة لفرض المعايير

تتمثل فى الشرطة وأجهزة الأمن السرية المتخصصة، والمحاكم والسجون.

٢ ـ الدفاع عن الجماعة The Defense of the Group

تلك هى الوظيفة الرئيسية الثانية للنظام السياسى، وتعنى بحماية المجتمع من أى عدوان خارجى يقع عليه، وتحفل كتب التاريخ بأخبار الحروب والمعارك للزود عن حياض الوطن، وقد يكون فى ذلك تجسيما للجانب العسكرى فى النظام السياسى. ولكن، ومهما يكن من أمر، فإن أى نظام سياسى لا يدخر جهدا فى تزويد الجيش بأحدث الأسلحة والمعدات، وتوفير الميزانية اللازمة لذلك وفقا للظروف المتغيرة لكل دولة، ووفقا لما يطرأ من أخطار تهدد أمنها. وكمثال لذلك، فإن الولايات المتحدة التى لم تكن تولى قضية التسليح أهمية كبيرة حتى قبيل الحرب العالمية الثانية، وذلك لقلة أعدائها آنذاك، أصبحت منذ هذه الحرب تهتم بالتسليح اهتماما بالغا، حتى وصلت ميزانية الدفاع فيها الى ٣٠٪ من مجمل الميزانيات العامة فى عام ١٩٨٢. وعلى مستوى العالم كله، تضاعفت ميزانيات التسليح فى معظم الدول. بل ان الأمر وصل فى بعض الدول الى أن تضاعف ميزانيات البحوث عن أسلحة جديدة، وحل مشكلات الطاقة بالنسبة للصواريخ وغيرها ما يقرب من ثمان مرات.

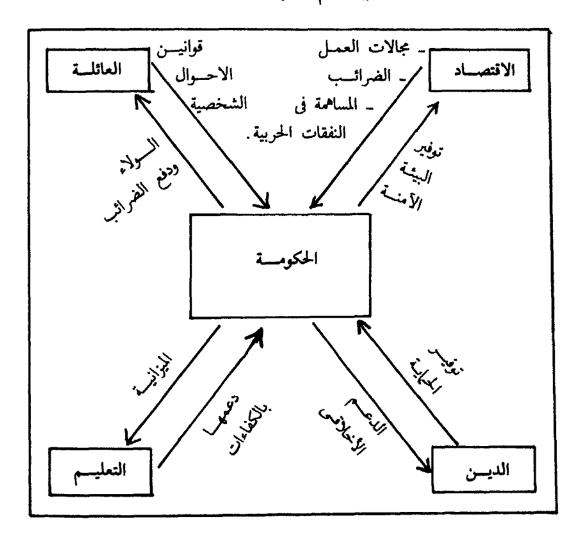
النظم السياسية فى المجتمعات المعقدة
Political Institutions in Complex Secieties

يرتبط التنظيم الرسمى لأى مجتمع ـ حكومته ـ ارتباطا وثيقا بمختلف المجالات التنظيمية التى تشكل البناء الاجتماعى للمجتمع. فالنظام السياسى يوفر البيئة الأمنة لمجالات العمل الصناعية والزراعية والتجارية، ويتيح للعائلة حياة مطمئنة، كما أن الحكومة ترعى شئون العبادة وتيسر للناس أداءها، وتعنى بتوفير التعليم ورفع مستواه. ومقابل هذا، يعبر الأفراد وتعبر الجماعات عن ولائها للحكومة وللقائمين على الحكم، وتبدو مظاهر هذا الولاء فى صور عديدة: تجديد البيعة، واتقان العمل والمحافظة على الملكية العامة وأموال الدولة، وبذل كل جهد لتحقيق أهداف الخطة التى تنفذها الحكومة، والتطوع فى صفوف القوات المسلحة

والأمن، والجود بالأرواح عندما يتطلب الأمر ذلك، هذا بالاضافة الى الأناشيد الوطنية، واحترام علم الدولة وترديد سلامها الوطنى وغير ذلك.

ولقد حظيت العلاقة بين النظام السياسى والنظام الاقتصادى باهتمام خاص من علماء الاجتماع. فيرى عديد من علماء الاجتماع، أن التنظيم السياسى للمجتمعات الحديثة ـ الدولة ـ هو المدعم الأساسى للنظام الاقتصادى، سواء كان هذا النظام رأسماليا أم اشتراكيا. وبالرغم من التداخل الكبير بين النظم الاقتصادية والسياسية الفرعية، فإن الدولة تتميز بخصائص منفردة، ومجالات أنشطة مستقلة نسبيا.

شكل يبين النموذج الوظيفى للتفاعل المتبادل
بين النظم الاجتماعية المختلفة



الدول الشمولية والدول الديمقراطية :
Totalitarian and Democratic States

كما تتباين النظم الاقتصادية تباينا كبيرا فيما يتعلق بمركزية التخطيط، فتتراوح بين انعـدام التخطيط والتخطيط الشامل. فكذلك تتباين النظم السياسية من حيث مركزية السلطة، فتتراوح بين الفوضوية التى تغيب فيها السلطة الى الحكم الشمولى أو الدكتاتورى الذى تتركز فيه السلطة فى يد شخص واحد أو حزب واحد، الى الديمقراطية والشورى التى تقوم على الانتخاب أو البيعة.

وتحـدد المعـايير الثقـافية السـائدة، والتنظيمات البنائية الاجتماعية كيفية تولى السلطة فى كل مجتمـع من المجتمعات، وطريقة توزيع المكانات داخل النظام السياسى الرسمى. ويفترض أنه اذا آلت السلطة الى الحاكم بطريقة شرعية أن يسلك وفق معايير الجماعة، وأن يعمل لصالح المحكومين. وهكذا، فإنه عندما يتوطد الحكم على أسس شرعية، يكون للحاكم على الناس حق الطاعة، بل إن الناس أنفسهم يرغبون فى طاعة الحاكم، لأنه انطلاقا من شرعيته ورضا الناس عنه، يعمل من أجل توفير حاجاتهم وتحقيق رفاهيتهم وأمنهم الداخلى والخارجى.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الحكومات الشمولية تلجأ الى القوة، أو الى التهديد لفرض الطاعة، وتستخدم وسائل القمع المختلفة من اعتقال أو سجن أو نفى أو اعدام لفرض سيطرتها. وإن من تسول لهم أنفسهم القيام بأى شغب ينفون عن هذه الاماكن أو يقتلون، وهذه الطرق شائعة اليوم فى الاتحاد السوفييتى.

المشاركة السياسية
Political Participation

قبل أن نعرض لبناء أو بنية السلطة فى الولايات المتحدة سوف نعرض لمدى مشاركة الشعب فى الحياة السياسية والتطبيع السياسى.

المشاركة السياسية Plitical Participation

تتجلى المشاركة فى الحياة السياسية فى الولايات المتحدة ـ وكذلك كندا ـ فى مدى المساهمة فى عديد من الأنشطة مثل: السعى للترشيح فى الدوائر الانتخابية، النشاط داخل هذا الحزب أو ذاك، التبرع للمرشحين بالمال، الحرص على التصويت فى الانتخابات. وقد لعبت العوامل العنصرية والجنسية والاقليمية والدينية دورا كبيرا بهذا الصدد فى الماضى، ولكنها لم تعد تشكل اليوم عائقا كبيرا أمام الترشيح فى الدوائر الانتخابية المختلفة على شتى المستويات. ففى كندا كان رئيسا الوزراء الآخيرين، أحدهما ينحدر من أصل غربى، وكان الثانى كاثوليكيا من الناطقين باللغة الفرنسية. وفى الولايات المتحدة كان أول رئيس جمهورية كاثوليكى هو «جون كنيدى» وذلك عام ١٩٦٠ وكان أول رئيس من الجنوب هو «كارتر» وكان ذلك عام ١٩٧٦ وأما الأسس الأخرى للتدرج السياسى، فقد ظلت تقريبا كما هى، وخاصة فيما يتعلق بالعرق والذكورة والأنوثة.

وإن الوقت والمال اللذان ينفقان فى عمليات الترشيح للانتخابات يحدان من عدد الافراد الذين يمكن أن يطيقوا ذلك ونوعياتهم. وكذلك فإن عديدا من السياسيين يرون أن الرجال وخاصة البيض من الطبقة المتوسطة، يمكن الاعتماد عليهم أكثر مما يمكن الاعتماد على النساء. ومن ثم فان الاحزاب السياسية غالبا ما ترشحهم للمجالس النيابية.

وبوجه عام، فإن النساء مازلن يلقين مقاومة بصدد اشتراكهن فى الحياة الانتخابية السياسية لعدم مساهمتهن الكافية فى التبرع بالأموال ولانشغالهن ببيوتهن أكثر من الرجال (Marlin Johnson,1980) وبالرغم من ذلك، فقد ازداد اقبال النساء والزنوج زيادة كبيرة فى السنوات القليلة الماضية على الترشيح للمجالس النيابية على مستوى الدولة وعلى المستويات المحلية، بالرغم من أن الحصول على المقاعد فى هذه المجالس مازال بنفس الصعوبة التى كان عليها دائما، ولكن مع العزم والاصرار والجهد، ارتفع عدد الفائزين من الزنوج والنساء الذين حصلوا على مقاعد فى المجالس النيابية ارتفاعا ملحوظا.

وفيما يتعلق بالاقتراع فى الانتخابات، وهو الحد الأدنى من المشاركة فى الحياة

السياسية، فإنه ليس اجباريا سواء فى الولايات المتحدة أم فى كندا. ولا يكترث عديد من المواطنين بالذهاب لاعطاء أصواتهم، أو حتى بتسجيل أسمائهم لأخذ البطاقات التى ستعطيهم حق الاقتراع.

وتزيد نسبة المسجلين والمقترعين فى كندا عنها فى الولايات المتحدة، ففى حين بلغت فى كندا ما يقرب من ٧٥٪ من عدد من لهم الحق فى الاقتراع، بلغت فى الولايات المتحدة ٥٩٫٢٪ فى انتخابات عام ١٩٨٠.

وغالبا ما يكون عدم الحرص على الاقتراع علامة على الاغتراب عن مجريات الأمور فى المجتمع. فكما أشار «إميل دوركيم» فإن الافراد الذين يرتبطون بغيرهم بروابط وثيقة، هم الذين يكونون أميل لابداء الرأى فيما يجرى من أمور فى مجتمعهم. وإن حرص الناس على الانتخابات وابداء آرائهم فى المرشحين هو أبسط طرق المشاركة فى حماية حقوقهم، واختيار ممثليهم الذين سيحافظون على مكاسبهم، ويقررون مستقبلهم ومستقبل الأجيال القادمة، ومن هنا كان المتعلمون والعاملون ومن لديه وعى من الراشدين، وأفراد الجماعات السائدة عنصريا، هم أميل الى المبادرة بالذهاب الى لجان الانتخابات. لأنهم فى الواقع أكثر استفادة من القرارات السياسية.

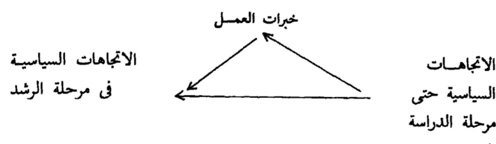
التطبيع السياسى **Political Socialization**

ان الدافعية للتسجيل والاقتراع، وكذلك اتجاهات الشخص السياسية، هى كلها سلوكيات مكتسبة. ويشير التطبيع السياسى الى التأثيرات التى يتعرض لها الفرد، والخبرات التى يمر بها، والتى من شأنها أن تربطه بالنظام السياسى وبحزب سياسى معين. ويتفاعل الشخص الذى فى الثامنة عشرة من عمره مع النظام السياسى بكل ما تكون لديه قبل ذلك من اتجاهات سياسية، هى الى حد كبير بتأثير: ١ ـ التعليم المبدئى فى البيت والمجتمع المحلى وفى المدرسة. أو ٢ ـ خبراته بعد أن ينضج والتى يعيد على ضوئها فحص اتجاهاته السابقة التى كان قد كونها خلال مرحلة المراهقة. ويشير بعض الباحثين الى ثبات التوجه السياسى للفرد من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد (Sears,1975) فى حين وجد باحثون آخرون محدودية تأثير التطبيع السياسى المبكر فى مواجهة ما يلقاه الفرد

من خبرات كافية، ومن هؤلاء الباحثين (Niemi and Sotieszek,1977).

وقد حاول «لورنس Lorence » و «مورتيمر Mortimer » عام ١٩٧٩ اختبار هذين الفرضين، ووجدا أن نمط التطبيع السياسى يتضمن تفاعلا معقدا بين الخبرات السابقة و الخبرات اللاحقة كما يتضح من الشكل الآتى:

شكل يوضح نموذج التطبيع السياسى



ونـرى فى الشكـل السابق أن مجموعة من شباب المدارس يمكن أن تكون اتجاهاتهم السياسية فى مرحلة الرشد هى بذاتها اتجاهاتهم السياسية فى أثناء مرحلة دراستهم، وذلك كما يتضح من الخط المباشر فى الرسم، ويدل هذا على التأثير القوى المباشر للتطبيع السياسى المبكر، أو أسباب التوجه السياسى. ولكن لا يمكن اغفـال بعض تأثيرات خبرات العمل، والتى غالبا ما تدعم التوجهات الأصلية، كأن يختار الطلاب ذوو الميول المحافظة السلك العسكرى أو كليات التجارة والعلوم الادارية في حين يتمه الطلاب ذوو الميول الليبرالية الى كليات الحقوق والكليات الأكاديمية المهنية.

ويمكن القول بوجه عام، إن الثروة ترتبط بالاتجاه المحافظ، ولكن التعليم يمكن أن يتمخض عن الاتجـاهـين: المحـافظ الذي يمثله الحزب الجمهورى في الولايات المتحدة والاتجاه الليبرالى الذي يمثله الحزب الديمقراطى، ويرجع السبب في ذلك، إلى ما يتيحه التعليم من فرص الحصول على دخل مرتفع، ونجاح في الأعمال. هذا من ناحية، ومن ناحية أخـرى، فإن التعليم الجامعى بما يتضمنه من اتجاهات ليبرالية، يمكن أن يجعل بعض الأفراد يتأثرون بها، ومن ثم يفضلون الحزب الذى تتمثل فيه هذه الليبرالية وهو الحزب الديمقراطى.

ونجد اليوم فى كل من الولايات المتحدة وكندا، أن الرابطة التقليدية من الطبقة الاجتماعية وتفضيل حزب سياسى معين على حزب آخر، قد تلاشت، ويرجع ذلك الى عدم وجود احساس طبقى بوجه عام، كما يرجع جزئيا الى أن الفروق الحقيقية بين الطبقات بدأت تقل. وهكذا أخذ عديد من أعضاء الطبقة العاملة يعتنق القيم الاجتماعية المحافظة، فى حين بدأ بعض شباب العائلات الغنية يتبنى السياسة الراديكالية.

بنية السلطة فى أمريكا
The Structure of Power in America

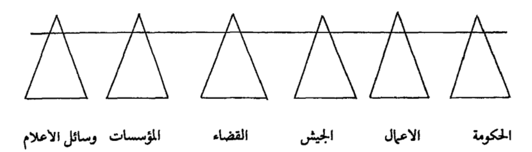
من الذى يحكم؟ كان هذا السؤال موضع مناقشة ومناظرة عميقة ومستفيضة بين علماء السياسة والاجتماع. وكان يوجه هذه المناقشة نموذجان أساسيان: نموذج الصفوة، والنموذج التعددى. وكان كل من النموذجين يحاول بيان كيفية توزيع السلطة فى المجتمع بأكملة بين جموع الشعب، هل توزع على أساس ما يوجد فى المجتمع من قوى عديدة متنافسة، ويكون الحكم للقوى الفائزة وهذا هو النموذج التعددى. أو يوكل اتخاذ القرارات الهامة إلى مجموعة تضم أفرادا قلائل، حتى ولو كان عددهم يتجاوز الألف؟ أى أن السلطة توضع فى أيدى الصفوة. وهذا هو نموذج أو منظور الصفوة.

سلطة الصفوة Power Elites

يذهب علماء السياسة من اصحاب نظرية الصراع، الى أن الدولة فى المجتمع الرأسمالى تحكم بواسطة مجموعة من الأفراد من نفس الطبقة التى تسيطر على النظام الاقتصادى، بمعنى أن الطبقة الحاكمة اقتصاديا هى ايضا الطبقة الحاكمة سياسيا، وذلك على اساسين: الاساس الاول: أن الدولة تسهل وتيسر للصفوة الاقتصادية تجميع وتكديس الثروة (Szymanski,1978) والأساس الثانى، أن الصفوة الرأسمالية هى التى أوجدت وشكلت هذه الحكومة لتحقيق أهدافها ومصالحها الشخصية (Wolfe,1977) والنظرية الأساسية هنا هى وجود «طبقة حاكمة» هى «الطبقة العليا فى الدولة» وقد وصفها «دمهوف Domhoff » عام

١٩٦٧ بأنها تتحكم فى معظم ثروات البلاد، ويسيطر أعضاؤها على البنوك والشركات، وعن طريق هذه السلطة الاقتصادية، يسيطرون على المؤسسات وصفوة الجامعات، ووسائل الاعلام وعلى أجهزة الدولة التنفيذية وعلى السلطة التشريعية والقضائية كما يتضح من الشكل الآتى:

شكل يوضح أن الصفوة الحاكمة تتكون من أفراد الطبقة العليا، والطبقة الوسطى العليا الذين حققوا اعلى مكانات ممكنة فى كل مراكز السلطة.



وترجع هذه الصيغة إلى حد كبير إلى كتاب «س. ريت ميلز C. Wright Mills » بعنوان «حكم الصفوة» والذى طبع عام ١٩٥٦ وأثار مناقشات حامية. وتتلخص نظرية «ميلز» فى أن قيادات مجالات الأنشطة المؤثرة المختلفة، مثل مجال الأعمال والحكومة والجيش هم نتاج خلفية طبقية وخبرات تطبيعية اجتماعية متشابهة ودون ما حاجة لاتصال أو اتفاق بينهم، فإن هذه القيادات تفكر بطريقة متشابهة، وتكون لها نفس المدركات والمفاهيم حول ما يمكن أن يحقق فائدة شخصية واجتماعية. ومن ثم، فإنهم يميلون الى اتخاذ القرارات المتبادلة النفع، والتى من شأنها تعزيز وتدعيم المكانات العليا فى التنظيم الهرمى، وهى التى يشغلها افراد طبقتهم الاجتماعية. ولا يقتصر هذا التركيز لسلطة على المجتمعات أو التنظيمات الرأسمالية. فتشمل حتى التنظيمات الهرمية التى لا تسيطر عليها الصفوة، والتى هى تنظيمات شعبية مثل الاتحادات التجارية والاحزاب السياسية، فإنها بمرور الوقت ستتجه الى تنظيمات هرمية. وهذا ما أطلق عليه العالم السياسى «روبرت مايكل (Robert Michels,1867-1936 » اسم «القانون الحديدى للأوليجاركية (حكم الأقلية) Iron Law of Oligarchy

ويذهب هذا القانون الى أنه بتولى العمال القيادة فانهم يصبحون سادة جددا.

ويشير «مايكل» الى الاحزاب السياسية التى قامت على أساس تنظيمات عمالية فى أوربا فى العقود الأولى من هذا القرن. الا أن تحليله يمكن تطبيقه ايضا على التنظيمات السياسية والاقتصادية الأخرى. ويقول «مايكل» انه عندما تستقر جماعة صغيرة فى المراكز القيادية، فإنها تصبح هيئة من الصفوة لصنع القرارات. وهذا ما يطلق عليه اسم «الاوليجاركية» فالأوليجاركية هى «حكم الأقلية» وعندما تقرر هذه الأقلية للكثرة، فإنها تتحمل مسئولية اتخاذ القرارات التى تعطى أفرادها وضعا متميزا فى المجتمع. وهكذا يصبحون صفوة حاكمة.

إن العامل الهام بالنسبة لميلز وغيره هو المدى الذى يرأس فيه أفراد من نفس الطبقة الاجتماعية جميع التنظيمات الهرمية. وإن تغلغل نفوذ الصفوة يبدو أمرا حتميا مثله مثل التنظيم الهرمى ذاته، بمعنى أن هؤلأ الذين يتولون السلطة فى أحد مجالات النشاط، يمكن أن يمتد نفوذهم الى بقية مجالات الحياة الاجتماعية. ونجد نفس الصورة أيضا فى كندا. ولقد تعقب «كليمانت Climent » عام ١٩٧٥ الروابط المشتركة التى توجد بين مؤسسات العمل والاعلام وغيرها، وبين الاحزاب السياسية الكندية. وفى كلا البلدين تمول التنظيمات العمالية وتدعم مرشحى الاحزاب الليبرالية والديموقراطية، فى حين تدعم جماعات رجال الأعمال وتمول الأحزاب المحافظة والاحزاب الجمهورية.

هل توجد صفوة تمسك بزمام السلطة؟ يبدو أن هذا السؤال يمكن التحقق منه امبيريقيا empirical ولكن العلاقة بين السلطة السياسية والسلطة الاقتصادية ليست دائما واضحة. فقد أجرى «ميخائيل أسيم Michael Useem دراسة عام ١٩٧٨ حاول أن يتتبع فيها وجود «جماعة داخلية inner group » داخل الطبقة الرأسمالية، وذلك عن طريق المسح الاجتماعى لأكثر من ١٣٠٠ شخص من هذه الطبقة يعملون رؤساء مجالس إدارات، وتشابه أفراد العينة فى عديد من الجوانب الخاصة والعامة كالتطبيع الاجتماعى، ونوعية، التعليم، والنوادى الاجتماعية التى ينتسبون إليها، ولكن هذه العوامل التى أوجدت تلاحما بينهم لم تتمخض عن تشابه فى الاهتمامات السياسية، كما حدث بالنسبة للأنشطة الأخرى. وفى دراسة مماثلة قام بها «جوين مور Gwen Morre » عام ١٩٧٩ واستخدم فيها طريقة المقابلة الشخصية مع ٥٤٥ شخصا من القيادات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية الهامة، وجد «مور» من المعلومات المستقاة من هذه الدراسة، تكاملا

بين هؤلأ الصفوة فى كل مجالات الحياة الأمريكية، فيما عدا الناحية السياسية، فقد كانت لهم اهتماماتهم السياسية المختلفة ومواقفهم المتباينة من الجماعة الحاكمة (ص ٦٨٩).

وإن إحدى صور تغلغل الصفوة بعيدا عن نطاق الحزب، هو ما يحدث من انتقال رجالات الحكومة إلى قطاعات العمل المختلفة، ومن هنا يكونون أكثر ميلا لتلبية طلبات رجال الأعمال، فكثيرا ما نجد أن كبار رجال الحكومة الذين يشرفون على أنشطة صناعات معينة، ما أن يتركوا وظائفهم الحكومية، حتى يعينوا فى أرقى الوظائف فى نفس الشركات والمؤسسات التى كانوا يشرفون على أنشطتها. ففى الولايات المتحدة على سبيل المثال، فيما بين اعوام ١٩٤٤ و ١٩٧٠ عين حوالى ثلثى المفوضون الحكوميون السابقون فى وكالة الاتصالات الفيدرالية، فى وظائف فى نفس الشركات التى كانوا يتولون الاشراف على أعمالها. (Greene,1973)

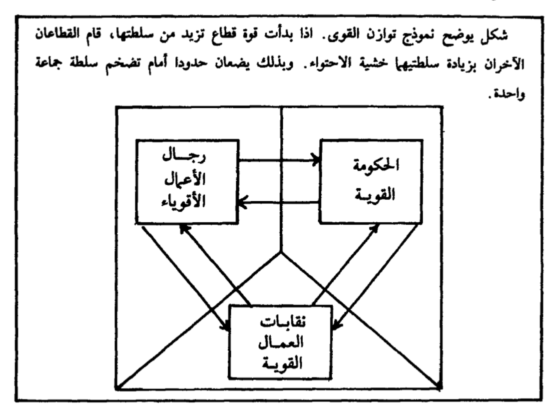
ومع ذلك، فقد لا تتفق المصالح السياسية والاقتصادية. فإن قطاعات الأعمال والشركات كثيرا ما تدخل فى تنافس مباشر مع الحكومة من أجل المصادر والأسواق، بالاضافة الى عدم الاتفاق فى جميع الاهداف، بين أبناء الطبقة الواحدة، وخاصة فيما يتعلق بالناحية السياسية. وقد أدى ذلك الى البحث عن نموذج بديل يقوم على مفهوم توزيع السلطة.

النموذج التعددى The Pluralist Model

يذهب النموذج التعددى كما يعتقد «ريزمان Resman,1950 » الى أن السلطة السياسية تتوزع بين عدد من الجماعات والنظم الفرعية. وبصرف النظر عن التقسيم الدستورى للسلطة الى تشريعية وتنفيذية وقضائية أو توزعها بين الحكومة الفيدرالية والولايات والمحليات، فإن أصحاب نموذج تعدد السلطات يذهبون الى أن داخل أى من هذه التقسيمات توجد قطاعات متنافسة، تضمن عدم هيمنة جماعة واحدة أو مجموعة من الأفراد على عملية اتخاذ القرار.

إن مفهوم «القوى المتوازنة» لدى أصحاب نظرية تعدد السلطة، يشير الى أن جماعات السلطة المتنافسة (أو التحالفات أو الائتلافات) سوف تشكل للحد من محاولة انفراد أية جماعة بالسلطة. فعلى سبيل المثال، عندما تضخمت سلطة رجال

الأعمال فى القرن التاسع عشر، تشكلت النقابات للحد من سلطتهم، كما تدخلت الحكومة للحد من سلطة رجال الأعمال. وكذلك فإنه عندما زادت سلطة النقابات، ظهرت الجماعات التى تطالب باصدار عدد من التشريعات للحد من سلطتها. ونحن نرى اليوم رجال الأعمال يهاجمون تدخل الحكومة المستمر فى أعمالهم. وكما نرى فى الشكل الآتى، فإن كل مركز من مراكز القوى: الحكومة ـ رجال الأعمال ـ العمال يشكل حاجزا أمام التوسع فى سلطة أى من القوتين الأخريين.



شكل يوضح نموذج توازن القوى. اذا بدأت قوة قطاع تزيد من سلطتها، قام القطاعان الآخران بزيادة سلطتيهما خشية الاحتواء. وبذلك يضعان حدودا أمام تضخم سلطة جماعة واحدة.

وان أهم نقد وجه إلى اصحاب نظرية تعدد السلطات، هو نظرتهم المثالية فى الاعتقاد بتوازن القوى التى يدعونها، فالواقع أن أعضاء نفس الطبقة الاجتماعة هم بذاتهم الذين يصنعون القرارات الهامة فى كل هذه النظم الفرعية، بحيث تكون النتيجة النهائية هى زيادة سلطة الطبقة الوسطى العليا والأثرياء كما يذهب إلى ذلك «لكز» و «بارنتى» Lukes,1974-Parenti,1978 »ش

وقد لخص «كورنهوزر Kornhauser » عام ١٩٦١ أهم الفروق بين النموذجين كما يتضح فى الجدول التالى:

جدول يبين تصورا لبنية السلطة في الولايات المتحدة

بنية السلطة	الصفـــوة (ميلـز)	تعدد السلطـات (ريزمـــان)
المستوى	أ - سلطة صفوة موحدة ومهيمنة . ب - الاختلاف والتوازن بين مصالح الجماعات المتعددة . جـ - تجمعات منتظمة من الناس لا تملك أية سلطة أمام الصفوة .	أ - عدم وجود سلطة صفوة مهيمنة . ب - الاختلاف والتوازن بين مصالح الجماعات المتعددة . جـ - تجمعات منظمة من الناس لها بعض السلطة أمام الجماعات المعنية .
التغيرات	أ - زيادة تركيز السلطة .	أ - زيادة توزع السلطة .
الفعالية	أ - جماعة واحدة تحدد جميع السياسات . ب - معالجة جماعة القمة لشئون الناس الذين هم في قاعدة الهـرم .	أ - تغير واضع السياسة بتغير الموضوعات . ب - جماعة واحدة من الجماعات المنظمة المتنافسة .
الأسس	أ - تحالف مصالح التنظيمات الرئيسية (الاقتصادية والعسكرية والحكومية) ب - التشابه الاجتماعي النفسي بين الجماعات التي توجه التنظيمات الرئيسية .	أ - تباين المصالح بين الجماعات الرئيسية المنظمة . ب - الاحساس بالضعف وعدم الاستقلالية سواء لمن في القمة أو من هم دونها .
النتائج	أ - تحالف مصالح الجماعات والتنظيمات المختلفة مثل المؤسسات التجارية والقوات المسلحة والهيئة التنفيذية . ب - ضعف السياسات كمناظرات عامـــة . جـ - ضعف المسئولية وانعدام الديمقراطية .	أ - لا تفضل جماعة واحدة أو طبقة تفضيلا له مغزى على جماعة أو طريقة أخرى . ب - ضعف السياسات التي تقوم على المصالح الذاتية . جـ - ندرة القيادات القوية .

ويلقى «كونهونز» الضوء على نقاط القوة ونقاط الضعف فى كل من النموذجين، ففى حين يبالغ «ميلز» فى استقلالية الصفوة عن جماعات الاهتمامات الأخرى، فإن «ريزمان» يغفل امكانية تعاظم احدى القوى المتنافسة. ومع ذلك فإن كلا التحليلين يتفقان على نتيجة واحدة هى: أن ثمة افتقار لعمل سياسى فعال على كل المستويات، وخاصة بين الجماعات التى لا توجد بيدها سلطة.

ويتفق جميع النقاد مع «ميلز» و «ريزمان» على أن الغالبية العظمى من أفراد الشعب غير نشطة سياسيا، وهذا أكثر وضوحا بين الفقراء. وتبدو المناطق الحضرية الفقيرة بوجه خاص لا حول لها ولا قوة أمام جماعات رجال الاعمال والجماعات السياسية التى تحكم المدينة. وقد كتب خلال العقود الماضية الكثير عن حركة جديدة تنظم هذه الأحياء الحضرية فى رابطات سياسية يمكن أن تكافح من أجل توفير الخدمات الأساسية لهذه الأحياء، وأن تناضل من أجل هؤلاء الذين ليست لديهم أية سلطة مباشرة.

مستقبل الديمقراطية فى أمريكا الشمالية :

the Future of the North American Democracies

الى أى مدى ستؤثر التغيرات الحالية على توزيع السلطة فى النظام السياسى للولايات المتحدة؟ يبدو للوهلة الأولى، أن رياح التغير تتجه نحو مزيد من توزيع السلطة الفيدرالية على بقية المستويات المحلية.

واذا تقلصت السلطة السياسية والاقتصادية للصفوة، فما هو الشكل أو الاشكال التى سوف يتخذها التوزيع الجديد للسلطة؟ هل ستظهر صفوة جديدة على شكل «أوليجاركية» مثلا؟ لقد لاحظ عالم الاجتماع الايطالى «فلفريدو باريتو Vilfredo Pareto » (١٨٤٨ - ١٩٢٣) انه برغم دخول دماء جديدة لطبقة الصفوة، فإن سلوك المضطلعين بالسلطة لا يمكن أن يتغير مطلقا عبر الزمن. وكان «باريتو» متشائما بصدد مستقبل الديمقراطية فى المجتمعات الحديثة.

ولكن يوجد علماء آخرون أكثر تفاؤلا يرون فى الأزمات الاقتصادية المعاصرة والاضطرابات السياسية فى المجتمعات الديمقراطية فرصة حقيقية لتوزيع السلطة وعدم مركزيتها.

الخلاصـــة
Summary

تشير السياسات الى تنظيم علاقات السلطة فى أى مجتمع من المجتمعات. والنظم السياسية هى مكانات وأدوار تنشأ فى كل مجتمع لتحقيق الاستقرار الداخلى وتوفير الأمن الخارجى. وترتبط الحكومة، وهى التنظيم السياسى الرئيسى، بالنظم الاجتماعية الأخرى بعلاقات مدعمة متبادلة. ويهتم علماء الاجتماع اهتماما خاصا بالروابط المتبادلة بين القطاعات السياسية والقطاعات الاقتصادية. وإن الدولة فى كل من المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية هى المسئولة بالدرجة الأولى عن دعم النظام الاقتصادى.

وتشير السلطة الى قدرة الفرد على تحقيق أهدافه دون اعتبار لرغبات الآخرين. وعندما يوجد نظام سياسى، فإن السلطة تصبح شرعية. وتمارس السلطة فى المجتمعات الحديثة خلال عديد من الاستراتيجيات، من بينها التأثير على الرأى العام، والدعاية والرقابة والقسر والقمع وحتى الابادة الجماعية.

كما أن السلطة يمكن ملاحظتها أيضا فى العلاقات الشخصية ولا يتساوى توزيع السلطة بين النـاس. مثال ذلك أن الحكومة لديها سلطة أكثر مما لدى الأفراد، ولدى ادارة الكلية سلطة أكثر مما لدى الطلاب، كما أن لدى أصحاب العمل سلطة أكبر مما فى يد العمال.

ويوجد نموذجان أساسيان يتبعان لتعريف بنية السلطة فى كل من الولايات المتحدة وكندا. نموذج سلطة الصفوة، وهو الذى تتحكم فيه مجموعة من الطبقة العليا فى أغلب المقدرات الاقتصادية والسياسية والتشريعية. والنموذج الثانى، هو النموذج التعددى، ويذهب الى توزيع السلطة بين عدد من الجماعات المتنافسة. هذه الجماعات التى تحول دون سيطرة أى جماعة أو طبقة منفردة على السلطة. ويتفق النموذجان على التأثير السياسى المحدود لمعظم أفراد الشعب. وإن المناقشة حول ماهية الحكم، هى امتداد لما لاحظناه من اختلافات بين كل من المنظور الوظيفى وبين منظور الصراع فيما يتعلق بالنظام الاجتماعى.

قــراءات مقترحــة :

Clement, Wallace. *The Canadian Corporate Elite: An Analysis of Economic Power.* Toronto, Canada: McClelland and Stewart, 1975. A powerful description of the role of Canadian economic elites in shaping and controlling the structure and processes of Canadian society.

Lipset, Seymour Martin. *Political Man: Essays on the Sociology of Democracy.* New York: Doubleday, revised edition, 1981.

Mills, C. Wright. *The Power Elite.* New York: Oxford University Press, 1956. Mill's classical statement identifying the power elite at the "command posts" of business, government, and the military.

Ossenberg, Richard J. (Ed.). *Power and Change in Canada.* Toronto: McClelland and Steward, 1980. This set of essays applies the conflict perspective to a number of facets of Canadian political and economic life.

Wolfe, Alan. *The Limits of Legitimacy: Political Contradictions of Contemporary Capitalism.* New York: Free Press, 1977. An examination of the ways in which capitalist goals and interests have shaped governmental policies, and how political support for social welfare programs conflicts with the needs of corporations.

الفصل الرابع عشر

النظام التربوى

The Educational System

الفصل الرابع عشر
النظام التربوى

The Educational System

فى عام ١٩٦٨ وفى أحد الأحياء الشعبية فى مدينة نيويورك، وهو حى Ocean Hill-Brownsville نشبت معارك فى الشوارع بين الآباء الزنوج والمعلمين البيض بسبب الطريقة التى كان يتبعها المعلمون لتنشئة أبناء الزنوج وتعليمهم. وأضرب المعلمون عن التدريس، واحتج الآباء على سوء نية المعلمين فيما يقومون به، وقال الآباء إن المدارس يجب أن تستجيب لحاجات أبنائهم الحقيقية. وقاتل المعلمون من أجل الاحتفاظ بسلطتهم فى تقرير ما يرونه هم.

وفى عام ١٩٧٤ قررت الادارة التعليمية بمقاطعة «كاناها Kanawha غربى ولاية فرجينيا، كتابا جديدا على تلاميذ المدارس فيها. وأغضب هذه الكتاب الجديد جماعة من مواطنى المقاطعة، وثاروا عليه ثورة عنيفة، وادعوا أنه يروج للكفر، ويوافق على نظرية التطور لدارون، ويحفل بالكلمات القذرة، وتحتوى صفحاته على عديد من الصور للأحياء الوضيعة، وقامت المظاهرات احتجاجا على هذا الكتاب، وأطلقت النيران على المبانى، وهوجمت سيارات الركاب، وهددت حياة الناس فى المقاطعة. وطالب المتظاهرون بضرورة سيطرتهم وتحكمهم فيما يدرسه أبناؤهم (Page and Clelland,1978)

وفى عام ١٩٧٦ سنت حكومة مقاطعة «كويبك» فى كندا (وهى مقاطعة يقطنها كنديون من أصل فرنسى، ويتحدثون الفرنسية) قانونا بأن يدرس تلاميذ المدارس الابتدائية فى المقاطعة اللغة الانجليزية، بدلا من اللغة الفرنسية التى كانت اللغة الوحيدة، وقصدت الحكومة بذلك إدماج أهالى المقاطعة على المدى البعيد فى المجرى العريض للثقافة الكندية. وثار أهالى المقاطعة واعتقدوا أن الحكومة تهدف الى تقويض ثقافتهم والقضاء عليها.

ونجد فى هذه الحالات الثلاث تأثير عوامل مثل الطبقة الاجتماعية والفروق الثقافية. ففى الحالة الأولى، حاول الأباء الفقراء تحطيم احتكار الصفوة للتعليم، وتقديم أقل تعليم لأبنائهم. وفى المثالين الثانى والثالث، حارب الأهالى للمحافظة على ثقافتهم التقليدية، وقيمهم الطبقية ضد تيارات الثقافة السائدة التى ترى من جانبها أنها تفعل الأفضل لاعداد الأطفال للعالم الحديث (Billing and Goldman, 1979) وتوضح هذه الأحداث الثلاثة الدور الحاسم للتربية وتحكمها فى حياة الآباء. بالاضافة الى تحكمها فى حياة أطفالهم. وتعد الانشطة التربوية امتدادا لعملية التطبيع الاجتماعى التى تبدأ فى البيت. وطالما اصبح افراد العائلة فى الغالب، غير مستطيعين تعليم الطفل كل ما يحتاجه ليصبح شخصا منتجا فى مجتمعه، فلابد أن تضطلع مؤسسات أخرى بهذه المهمة كلما أزدادت أهمية النظام التربوى.

وفى المجتمعات البسيطة، يبدأ الصبى ممارسة صيد الحيوان بالرمح أو بالقوس والسهم، ويتعلم من أبيه صناعة هذه الأدوات كما يتعلم منه ايضا كيفية نصب الشباك للحيوانات. وأما الفتيات فيصحبن أمهاتهن فى الأنشطة اليومية، مثل جمع الحطب، وحفر الأرض لجمع الجذور الدرنية، أو مساعدتهن فى رعاية الأطفال الصغار. ويتعلم كل من الفتية والفتيات هذه الأنشطة عن طريق الملاحظة والممارسة.

وأما المجتمعات التى تتصف بالتخصص الشديد فى الأعمال، فلا يمكن لأبنائها أن يتعلموا هذه التخصصات عن طريق مراقبة آبائهم، أو ممارستهم لهذه الأعمال، لأن الكثير منها يتطلب سنوات عديدة من التعلم والتدريب، وقد تطول هذه السنوات أو تقصر، ولكنها لابد أن تتم على أيدى متخصصين. من أجل هذا انشئت المدارس والمؤسسات التربوية المتخصصة.

وظائف التربيــة
The Function of Education

تشارك النظم التعليمية من حيث هى امتداد لعملية التطبيع الاجتماعى، فى وظائف ظاهرة أهمها:

١ ـ نقل ثقافة المجتمع الى الاجيال الجديدة.

٢ ـ اعداد الصغار لحياة الرشد.
٣ ـ اشباع عديد من حاجات الدارسين الشخصية والاجتماعية.
٤ ـ ايجاد معارف جديدة وذلك فى المستويات الجامعية.

ويطلق على الوظائف السابقة اسم «الوظائف الظاهرة manifest Functions ويقصد بها الأهداف المعلنة للتربية.

ولكن توجد بالاضافة الى ذلك «وظائف كامنة Latent Functions» تحدث فى المدارس والجامعات، ولا يتعلمها التلاميذ والطلاب خلال مقررات دراسية معينة، انما يتعلمونها خلال الاوضاع المدرسية أو الجامعية وما تحفل به من أنظمة وأنشطة. كتعلم أوضاعهم الاجتماعية مثلا. فهذه المؤسسات التعليمية إما أن تذيب الفوارق الطبقية وغيرها من عوامل التفرقة، وإما أن تدعم وتعزز التدرج الاجتماعى الهرمى القائم فى المجتمع.

أولا : نقل الثقافة Transmitting the Culture

فى المجتمعات المتباينة بنائيا، وغير المتجانسة سكانيا وثقافيا، غالبا ما يستحيل تعريف ثقافتها. وكل ما يستطيع الفرد أن يعرفه هو الجزء الخاص بثقافته الفرعية، ولكنه لا يعرف الثقافات الفرعية الأخرى التى يزخر بها المجتمع. ومن هنا، واجهت القائمين على التعليم مشكلة ايجاد نظام تعليمى عام. ومناهج تدريبية موحدة، وهذه المشكلة لم تحل حتى الآن حلا كاملا. وبسبب عدم التوحد هذا، طالبت المحليات فى الولايات المتحدة وكندا أن تتولى كل منها هذه المهمة. ففى الولايات المتحدة على سبيل المثال، توجد ١٦٫٥٠٠ مدرسة عامة. منفصلة باداراتها، وتضم تلاميذ مختلفين تمام الاختلاف، ذوى ثقافات فرعية متباينة، وهذه المدارس مستقلة فى ميزانيتها، وفى تعيين العاملين فيها وادارة شئونهم، وحتى اختيار بعض برامجها الدراسية. وفى هذه الظروف، فانه يصعب الاتفاق على ما ينبغى أن يتعلمه الشخص. وتولى مؤلفو وناشرو الكتب المدرسية الجزء الأكبر من هذه المهمة بالاتفاق مع مجالس ادارات المدارس. وان اختيار مجالس إدارات المدارس الكتب التى تدرس لأطفالها وتلاميذها، وتحمل مسئولية ما تتضمنه هذه الكتب، يضمن الى حد كبير خلوها من التحيزات وأشكال التعصب المختلفة. بقول آخر، فإن التعليم متغير تابع، بما اشتمل عليه من مقررات خضعت

لاعتبارات الضبط الاجتماعى وللقيم الدينية وكذلك اعتبارات تتعلق بتحقيق الربح وجنيه.

ثانيا : التطبيع الثقافى للمهاجرين :
Acculturation of Immigrants

كان يعتقد أن عملية التطبيع الثقافى للمهاجرين الذين وفدوا الى أمريكا من كل صوب وحدب، سوف تكون عملية سهلة الى حد كبير، وخاصة عن طريق المدارس العامة التى ستكون بمثابة بوتقة تنصهر فيها جميع الأقليات. ولكن الواقع أن العملية لم تكن سهلة دائما، ففى حين حققت المدارس نجاحا كبيرا مع البعض فقد حققت نجاحا أقل أو فشلت مع البعض الآخر. ولقد نجحت المدارس فى استيعاب أعداد كبيرة من غير المتحدثين بالانجليزية، وزودتهم بالحد الأدنى من مهارات اللغة الانجليزية، وأهلتهم للحياة فى مجتمع صناعى حديث، ويرجع جزء كبير من هذا النجاح الى الظروف التاريخية التى تم فيها هذا التطبيع الثقافى. فقد شهدت الفترة من عام ١٨٨٠ الى ١٩٢٠ ازدهارا اقتصاديا هائلا أتاح استيعاب العمال غير المهرة وشبه المهرة. وكان أعضاء هيئة التدريس فى مدارس المدينة من الشباب اللامع المتحمس ذوى المثاليات الأخلاقية، ولم يكن الطلاب اقل حماسا لتعلم كل ما يساعدهم على النجاح فى القارة الجديدة «أرض الأحلام».

وأما عدم تحقيق هذه المدارس لنفس الدرجة من النجاح مع شباب الزنوج والمهاجرين ذوى الأصل الأسبانى، فينبغى أن يوضع أيضا فى منظور تاريخى. فلقد كانت نوعية التلاميذ والمعلمين والأبنية والبيئة المدعمة، مختلفة تماما. فلم تكن توجد فرص عمل حتى لمن يحصل منهم على الدبلوم، كما كان التلاميذ يفتقدون تدعيم العائلة والجيران على التعليم وتشجيعهم، كما لم تكن توجد ثقة فى السلطات التعليمية.

ثالثا : التدريب على مكانات الكبار :
Traning for Adult Statuses

ان اعداد الأفراد للأدوار التى سوف يقومون بها مستقبلا فى المجتمع سواء فى

العائلة أو فى مكان العمل، هى الوظيفة الرئيسية الثالثة الظاهرة للنظام التعليمى، فمنذ اليوم الأول الذى يضع فيه التلاميذ اقدامهم فى المدرسة الابتدائية حتى آخر يوم لهم فى التعليم، فإنهم يتعلمون احترام مجتمعهم ويعرفون مآثره، فدروس التربية الوطنية تتخلل كثيرا من المقررات التعليمية، ولا يقتصر الأمر على التعليم المباشر، وانها تلجأ المدارس الى عديد من الطرق غير المباشرة كاشتراك التلاميذ فى الخدمات العامة والمناسبات الوطنية المحلية أو القومية. وإن أول مجتمع محلى ينبغى أن يتكامل معه التلميذ، هو مدرسته بطبيعة الحال. وفيها يتعلم التلميذ اتباع النظام دون مناقشة، واحترام سلطات المدرسة، وتقبل قواعد المنافسة التى تسود حجرة الدراسة.

ويزود التلاميذ خلال سنى الدراسة الابتدائية والثانوية بالتدريب المباشر وغير المباشر على الأدوار التقليدية للعائلة. ويمكن أن يتم ذلك عن طريق القصص والسير الذاتية. وأما فيما يتعلق بالتربية الجنسية، فلا تزيد عن مقرر مختصر عن الاخصاب البيولوجي وتأثير العوامل الوراثية.

وفى المدرسة تشجع عادات مثل جدية العمل، والمثابرة، والتنافس الشريف، أو يثاب من يتحلى من الطلاب بهذه الصفات، فى حين لا تشجع سمات مثل الكسل، والتراخى، والإهمال، وعدم الاكتراث، بل يعاقب التلاميذ عليها. وينبغى أن يكرم الطلبة المتفوقون وأن يشاد بهم علانية، كأن توضع أسماؤهم فى لوحات الشرف كنماذج تحتذى من بقية التلاميذ. كما أن المدرسة ينبغى أن تزود التلاميذ ببعض المهارات والتدريبات العملية، التى يمكن أن تشكل أساسا لتدريبات لاحقة أو أعمال يمتهنونها فى المستقبل.

رابعا : التعليم والتدرج الطبقى الاجتماعى :
Stratification Eunctions

تعد المدارس الشباب للوظائف والأعمال التى سوف يشغلونها مستقبلا فى النظام الهرمى الاجتماعى، وذلك عن طريق عمليات تصفية أو «غربلة» فى كل مرحلة من المراحل التعليمية، فيتابعون بعد كل مرحلة تخصصاتهم فى هذا المجال أو ذاك، أو يستمرون فى دراساتهم حتى التخصصات الدقيقة، ويقوم المشرفون المتخصصون فى التوجيه والاستشارة بدور كبير فى هذا الصدد، بالاضافة الى

الوالدين وجماعة الرفاق.

مناقشات حول دور المدرسة
The Great School Debate

تعرضت النظم التعليمية السائدة فى مدارس الولايات المتحدة بوجه خاص لمناقشات حامية، بين مهاجم ومعارض لها، وبين مؤيد ومدافع عنها. فقد ذهب منتقدوها الى أن الجو السائد فى المدارس يجعل التلاميذ يشعرون وكأنهم فى معركة، أما أن يخرجوا منها منتصرين وأما إن يخرجوا منهزمين (Bowels and Ginitis,1976) كما قالوا بأن المدارس نادرا ما تشجع أبناء الأقليات على أخذ مقررات تعدهم لمواصلة تعليمهم فى الجامعة، وقد مورس ذلك مع البولنديين والايطاليين على سبيل المثال فى الثلاثينيات، وقد مورس الآن مع الامريكيين الذين من أصل اسبانى ومع الزنوج. وذهب «كولين جرير Colin Greer » عام ١٩٧٣ الى أن المدارس العامة انها تعمل فى الواقع على تجميد المكانات المنخفضة فى مدينة نيويورك، وهى التى تقطنها الجماعات المغلوبة على أمرها.

ويضيف تقرير لمؤسسة «كارنيجى Carnegie » عن الأطفال (de lone,1979) إن الطبقة الاجتماعية والعرق والجنس تعد وسائل أكثر فاعلية فى التعليم والدخل الذى سيحصل عليه الفرد بعد تخرجه من نسبة الذكاء أو الدافعية أو التدريب المبكر، وإن المدرسة تساعد فى الواقع على انتقال انعدام المساواة من جيل الى آخر.

ومن ناحية أخرى، قال المؤيدون ومن بينهم «ديانا رافيتش Diane Ravitch » عام ١٩٧٤ إن نظام المدارس العامة قد حقق نجاحا كبيرا باتاحة فرص عديدة للحراك الاجتماعى إلى أعلى، وأنه اذا كان الامريكيون الزنوج أو الأسبان أقل نجاحا واستفادة من الفرص المتاحة، فإن ذلك يرجع إلى أنهم يحضرون معهم الى حجرات الدراسة، مشكلات أكثر مما يحضرها الآخرون.

وبوجه عام، فإن تلاميذ الطبقة الوسطى والطبقة العليا يحرزون معدلات أعلى فى اختبارات القدرات، كما أنه يغلب بقاؤهم فى المدرسة ومواصلة تعليميهم،

بصرف النظر عن درجاتهم فى الامتحان أو نجاحهم أو رسوبهم، وذلك بعكس أبناء الطبقات الأدنى. وإن تقسيم الطلاب الى فصول للمتفوقين وفصول للأقل تفوقا وفقا لدرجاتهم أو على أساس عوامل أخرى، يتبع اليوم بأكثر مما كان يتبع فى الماضى، وتدخل فى هذا التقسيم عوامل مثل الطبقة الاجتماعية والعرق وجنس التلاميذ، ومن ثم يؤثر ذلك فى نوعية التعليم المتاح كما وكيفا.

وتظهر المناقشات حول دور المدرسة، الخلاف بين تفسير اصحاب نظرية الصراع والوظيفيين، للمعارف المتاحة بهذا الصدد. فيرى أصحاب نظرية الصراع أن التحكم فى الفرص التعليمية والأفكار السائدة فى الثقافة هو الذى يعرقل محاولة الجماعات تحسين أوضاعها الطبقية. (Presell,1977-Collins,1979) فى حين تؤكد وجهة النظر الوظيفية على أهمية التنافس الأكاديمى فى التمييز بين من يستحق ومن لا يستحق، على أساس ما حباهم الله من قدرات، وايجاد تدرج هرمى للموهبة يقوم على هذا الأساس.

الحراك المغلق والحراك المنفتح :

Sponsored and Contest Mobitity

فى عام ١٩٦٠ كتب «رالف تيونر Ralph Tuner » مقالا بعنوان «الحراك المغلق والحراك المنفتح فى النظام التعليمى» يصف فيه نمطين من معايير الحراك الاجتماعى فى النظام التعليمى. ويحدث التعليم المغلق عندما يقرر المسئولون تصنيف بعض التلاميذ لتأهيلهم لنوع معين من التعليم الخاص الصناعى أو التجارى أو المهنى أو ذاك الذي يقوم بإعداد المعلم، يتلقى فيه التلاميذ دراسة وتدريبا معينا لعدد من السنوات، ثم يخرجون الى الحياة العلمية. ولا يؤهل هذا التعليم لتعليم أرقى منه فى مراحل تالية.

وأما الحراك المنفتح فى النظام التعليمى، فيقصد به التعليم الذى يؤهل لمراحل متقدمة وفق ما لدى الفرد من مواهب.

التعليم العالى والحراك الاجتماعى :

Higher Edacation and Social Mobility

يعد دور الكليات والجامعات فى المحافظة على نظام التدرج الاجتماعى دورا

حاسما. فلعشرات السنين شكل خريجو بعض الكليات الراقية والجامعات الغنية فى كندا والولايات المتحدة صفوة دينية واجتماعية واقتصادية وسياسية. وحتى اليوم، فإن ما يقرب من ثلثى مديرى أكبر مؤسسات الدولة هم خريجو هذه الكليات والجامعات. وغالبا ما نجد نصف المرموقين فى مجالات الطب والمحاماة والقضاء والتشريع والمناصب الدينية والمناصب الوزارية من خريجى هذه الكليات المرموقة.

وإن نجاح الطبقة العليا فى الحاق أبنائهم بمدارس الصفوة، بصرف النظر عن قدراتهم الأكاديمية، جعل بعض علماء الاجتماع يشبهون التعليم بأنه نوع من الميراث، لا يختلف عن ملكية العائلة. وكان مما قاله «أسيم وميللر Useem and Miller» عام ١٩٧٧: «يتيح التعليم العالى، وخاصة كليات وجامعات الصفوة، لأبناء الطبقة العليا مجموعة من القيم والمهارات الشخصية المؤهلة للحياة الاجتماعية فى هذه الطبقة، والمؤهلة ايضا لعالم صفوة رجال الأعمال. وقد أظهرت الدراسات التى أجريت عن قيادات الشركات والمؤسسات، أن النجاح ليس مسألة ذكاء، بقدر ما هو ثقة بالقدرة على قيادة العمل، والقدرة على اتخاذ القرارات الصعبة. ليس معنى ذلك احتكار كليات الصفوة لهذه الخصائص والسمات الصعبة، فقد أكدت دراسات مماثلة عن التعليم العالى فى أمريكا، أنه يساعد على تنمية نفس هذه الخصائص والسمات الشخصية. ومن هنا، فإنه لا يدهشنا أن نجد أن سياسة التعيين فى المؤسسات والشركات لا تعتمد على نتائج التخرج فى الكليات بقدر ما تعتمد على شخصية المرشح للوظيفة وعلى دوافعه للعمل (Useem and Miller,1977)

ويرتبط الالتحاق بأى نوع من الكليات فى الولايات المتحدة وكندا ارتباطا وثيقا بدخل العائلة (bureou of the Census, April, 1981) و (Perspectives Canada, 111, 1980) ان الشباب الذى يلتحق بالجامعة من العائلات الغنية نسبيا، هم ضعف عدد الشباب من العائلات التى يكون دخلها أقل من المتوسط. وبالرغم من الزيادة الكبيرة فى عدد الملتحقين بالجامعات فى العقود القليلة الماضية، فإن الحال مازال كما كان عليه وهو أن متوسط الطلاب من العائلات ذات الدخل المرتفع، لديهم فرص أفضل لاتمام الدراسة الجامعية من شباب العائلات الأقل دخلا بالرغم من قدراتهم العقلية المرتفعة (Nelson and Nock,1978)

ويغلب أن يلتحق شباب العائلات ذات الدخل المتوسط بالكليات والجامعات المعانة من الدول، حيث يكون تعليمهم ممولا من الضرائب التى تدفعها جميع العـائـلات، بما فيهم العائلات التى لا تستطيع أن تتحمل ارسال أبنائها الى الكليات التى تستغـرق الـدراسـة فيهـا أربـع سنوات. وتتيح هذه الجامعات والكليات المعانة من الدول العديد من البرامج القصيرة فى كثير من التخصصات، مما يتيح لأكبر عدد من الطلاب الالتحاق بهذه البرامج. كما توجد أيضا عديد من الكليات التى تستغرق الدراسة فيها سنتين، وميزة هذه الكليات أن فصولها تضم أعدادا أقل من الطلاب، الأمر الذى يتيح لهم اتصالا بأساتذتهم، أكثر مما يتاح فى الكليات ذات الأربع سنوات، وخاصة فى المحاضرات التمهيدية فى المواد المختلفة.

ويمثل الشكل الآتى التدرج الذى يوجد فى كليات الدراسات العليا.

شكل يوضح هرمية المكانة فى التعليم العالى

الجامعات
الخاصة بالصفوة
الكليات الخاصـــة
جامعـــات الدولـــة
كليـــات الدولـــــة
كليـات مـدة الـدراسـة فيهـا سنتـان
المعاهــــــد المهنيــــــة

وكلما ارتفعت مكانة الكلية أو الجامعة، أرتفع مستوى الملتحقين بها، وأرتفعت مصروفات الالتحاق بها. وكما هو متوقع فإن نسبة الطالبات وأفراد الأقليات، وشباب الطبقة العاملة، تقل كلما ارتفعت مكانة الكليات والجامعات. وهكذا فإننا نجد فى الكليات المعانة من الدولة ذات السنتين الدراسيتين: عدد النساء أكثر

من عدد الرجال، كما نجد اتساعا فى مدى العمر، وعددا أكبر نسبيا من أفراد جماعات الأقليات، وكذلك عددا كبيرا من الشباب الذى يعمل ويدرس فى نفس الوقت. بقول آخر. فإن طلاب الكليات ذات السنتين الدراسيتين يعكسون بدرجة أكبر مثاليات الديمقراطية، وما يوجد فى المجتمع من تباين، بأكثر مما نجده فى الكليات الأخرى.

وقد تعرضت هذه الكليات للنقد من وجهة النظر الاشتراكية بأكثر مما تعرضت له من نقد من منظور الصفوة. فعلى سبيل المثال، ذهب «بنكس Pincus » عام ١٩٧٩ الى القول بأن هذه الكليات التى تستغرق الدراسة فيها عامين تحد من امكانية حراك أبناء الطبقة العاملة، والطلاب غير البيض، والطالبات، وذلك عن طريق توجيههم الى كليات مهنية مغلقة النهاية لسد احتياجات الصناعة والمجتمعات المحلية. وأما الكليات التى تعد لتعليم ارقى والمعانة أيضا من الدولة، فيحتفظ بها لأبناء الطبقة المتوسطة من البيض. وبهذه الطريقة، فإن التدرج الهرمى فى المجتمع الأكبر إنما هو نتاج نظام التعليم العالى.

خامسا : تنمية معارف جديدة Developing New Knowledge

تعتمد المجتمعات الصناعية على المعارف العلمية والتكنولوجية النامية والمتطورة ولقد كانت المعارف عبر سنوات طويلة من تاريخ الانسان حكرا على أشخاص بعينهم دربوا على مهن معينة. وكانت المعاهد الدينية لفترة طويلة من التاريخ هى مصدر المعارف العلمية فى الغرب. وبظهور عصر النهضة وما أعقبه من اصلاحات، أصبحت هناك حلقات ومراكز مستقلة للبحث العلمى تخصصت فى نقل المعارف المختلفة، وفى إجراء البحوث والدراسات.

واليوم، فإن جامعات أمريكا الشمالية تعد مراكز للتعليم واجراء البحوث. وقد توسعت وظيفة إجراء البحوث توسعا كبيرا فى العقود القريبة، والتى يقوم فيها الخريجون بإجراء بحوث أصيلة، هذا بالاضافة الى أنه لابد للأساتذة الذين يعملون بالجامعات، من القيام ببحوث من أجل الترقية، ويشكل الدعم المالى المقدم من الحكومة الامريكية والشركات والمؤسسات الخاصة، المصدر الأساسى لتمويل هذه البحوث التى يقوم بها طلاب الدراسات العليا والأساتذة، ويؤثر ذلك

فى أولويات ما يجرى من بحوث.

هذه هى أهم الوظائف الظاهرة والكامنة للتعليم والتى تنعكس على بنية النظام التربوى الحديث.

بنية النظام التربوى The Structure of Eduction

تغيرت النظم التربوية الفرعية فى المجتمعات الحديثة، تغيرا كبيرا عما كانت عليه فى الماضى، فبدلا من «الكتاب» الذى لم يكن يزيد عن حجرة واحدة فسيحة فى بيت المعلم أو الشيخ، أصبح يوجد الآن مبنى مستقل للمدرسة، مقسم الى صفوف، وفى كل صف أكثر من فصل. كما أصبح التعليم يتدرج من ابتدائى الى اعدادى (أو متوسط) الى ثانوى الى تعليم عال. وبدلا من وجود كليات قليلة لتعليم أبناء الأغنياء، أصبحت توجد الآن فى الولايات المتحدة آلاف من الجامعات والكليات منها ما يستغرق التعليم فيها أربع سنوات، ومنها ما لا يستغرق التعليم فيها أكثر من سنتين.

وقد شملت التغيرات البنائية ايضا المحتوى الدراسى ذاته، فإن الزيادة الكبيرة فى المعارف المتاحة لأعضاء المجتمعات الحديثة، أدت إلى التخصص والتقسيمات الداخلية، سواء داخل نفس المؤسسات التعليمية، أو بين أنواع مختلفة من المؤسسات.

ويكون تنظيم حجرة الدراسة فى المراحل التعليمية الأولى، أشبه بتنظيم البيت. ويقوم المدرس (تفضل الأنثى، لأنها تكون بديلة للأم التى ألف الطفل التعامل معها فى هذه المرحلة عن الأب) بارشاد الأطفال لعديد من الأنشطة وممارستها معهم. وكلما تدرج التلاميذ فى سنوات الدراسة، تغيرت تبعا لذلك بنية حجرة الدراسة، فبدلا من مدرس الفصل الذى يقوم بتدريس كل المقررات الدراسية، يصبح هناك مدرس متخصص فى كل مادة.

ونظرا لتزايد أعداد التلاميذ فى كل حى، واستجابة للنظريات التربوية والنفسية الحديثة، قسمت الدراسة الى مراحل مستقلة تماما بمبانيها وإداراتها ومعلميها، وتختلف هذه المراحل وتسمياتها وتدرجها من مجتمع الى مجتمع آخر. وبالنسبة

للولايات المتحدة، فإن المرحلة الأولى وهى مرحلة الحضانة، فإنها تكون من الصف الأول حتى الصف الخامس. ثم المرحلة الابتدائية، وتقسم الى مرحلتين من الصف السادس حتى الصف الثامن، ومن الصف التاسع حتى الصف الثانى عشر. وأما التقسيم المتبع فى معظم البلاد العربية فهو مرحلتان فقط، بدلا من هذه المراحل الثلاث، هما مرحلة الروضة والمرحلة الابتدائية.

وقد أصبح التخصص هو الطابع المميز للتعليم، ويبدأ منذ نهاية المرحلة الاعدادية أو المتوسطة وتتاح كل أنواع التخصصات المهنية: فتوجد معاهد إعداد معلمين (للمراحل الأولى) ومعاهد زراعية وصناعية وتجارية متوسطة. وبعد المرحلة الثانوية توجد أيضا معاهد ومراكز تدريب وكليات (سنتان وأربع سنوات) فى كل التخصصات.

شمولية التعليم **Inclusiveness**

فى اكتوبر عام ١٩٧٩ كان نصف عدد سكان الولايات المتحدة، وهم الذين تتراوح اعمارهم بين ٣ سنوات و ٣٤ سنة ملتحقين بالمؤسسات التعليمية بمختلف مراحلها وتخصصاتها.

وفى كندا كان أكثر من ٦ مليون أو ١/٤ مجموع السكان فيها مقيدين طلابا فى المدارس، وذلك عام ١٩٧٧.

وقد تضاعفت تقريبا عدد المؤسسات التعليمية فى الولايات المتحدة فى الأعوام من ١٩٥٠ الى ١٩٧٠. ولكن منذ عام ١٩٧٠ بدأ عدد تلاميذ المدارس يقل. ويعكس هذا الانخفاض فى عدد تلاميذ المدارس، انخفاض معدل المواليد منذ عام ١٩٦٥ فصاعدا، بالاضافة الى انخفاض الهجرة. ولقد كان من المتوقع زيادة نسبة الطلاب الذين يواصلون تعليمهم العالى خلال السبعينيات من هذا القرن، ولكننا وجدنا أن نسبتهم قلت ايضا. ولكن هذا الانخفاض كان بين الذكور فقط، أما فيما يتعلق بالاناث فقد ارتفعت نسبتهم المئوية فى مرحلة التعليم العالى فى كندا، ففى حين كانت نسبتهم ٣٨٪ عام ١٩٦٦ وصلت الى ٤٥٪ عام ١٩٧٧.

وكـذلـك حدثت زيادة كبـيرة فى عدد الـطلاب الكبـار (٣٥ +) الملتحقين بالكليات والمعاهد المهنية. فيوجد فى الولايات المتحدة ما يقرب من ١٫٤ مليون شخص ممن تزيد أعمارهم عن ٣٥ سنة (معظمهم من النساء) يدرسون للحصول على درجات جامعية.

(U.S. Bureau of Census, April, 1981)

المؤسسات التعليمية الخاصة والعامة :

Private and Public Systems

يوجد فى كل من الولايات المتحدة وكندا وفى كثير من الدول الأخرى غير الاشتراكية، نوعان من المؤسسات التعليمية: المؤسسات العامة، وتمول من أموال الضرائب، وهى متاحة لكل المؤهلين لها. والمؤسسات الخاصة، وهى بمصروفات وتمول من المصروفات المحصلة من الدارسين ومن الهبات والمساعدات المقدمة من الأفراد أو الهيئات المختلفة. وفى الولايات المتحدة يوجد نوعان من هذه المؤسسات التعليمية الخـاصـة. الأولى، المـدارس التى تتبع الكنائس، والثانية، المدارس والكليات التى تجتذب أبناء العائلات الغنية.

أولا : المدارس التابعة للكنائس : Parochial Schools

يتبع الجزء الأكبر من هذه المدارس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية. وهو أكثر من ألفى مدرسة، تضم حوالى ثلاثة ملايين طالب وطالبة. هذا فى الولايات المتحدة، وأما فى كندا، فتوجد حوالى ثلاثة آلاف مدرسة تضم أكثر من مليون ونصف طالب وطالبة فى مقاطعة كويبك فقط. كما يوجد فى الولايات المتحدة أيضا عدد كبير يتزايد باستمرار من المدارس التى تتبع الكنيسة البروتستنتية. وتتميز هذه المدارس بالطابع التقليدى والتمسك بالقيم والمعايير الأخلاقية، والتأكيد على أهمية النظام، والفصل التام بين الجنسين فى التعليم، فتوجد مدارس خاصة للبنين وأخرى للبنات، هذا بالاضافة الى تدريس العلوم الدينية وخاصة الانجيل.

ثانيا : المدارس والكليات الأخرى الخاصة Other Private Schools

توجد فى كل من الولايات المتحدة وكندا مؤسسات تعليمية خاصة ابتداء من

الحضانة حتى الدراسة الجامعية. وتتيح هذه المدارس والكليات نوعا أفضل من التعليم، وإن كان أكثر تكلفة، لأبناء وبنات العائلات الغنية. ويعد الالتحاق بمثل هذه المدارس والكليات علامة على الثراء وعلو المنزلة. وبالاضافة الى حرص عائلات طلاب هذه المدارس والكليات الخاصة على عدم مخالطة شبابهم لمن هم أدنى منهم، فإن هذه المدارس تتيح الفرص للزواج من نفس المستوى العائلى. وثمه مسألة أخرى مهمة أيضا، وهى أن اشتراك أبناء الصفوة معا فى التعليم والأنشطة المختلفة يوجد بينهم صداقات تفيد فى مجالات العمل المختلفة فيما بعد، الأمر الذى يتيح لهذه الطبقة الاحتفاظ بمكانتها المسيطرة فى النظام الهرمى للثروة والسلطة.

التعليم العام Public Education

يوضح تاريخ التعليم العام فى الولايات المتحدة العلاقة المتبادلة بين نظم القيم والنظم التعليمية والاقتصادية. وعندما وحد نظام التعليم العام بين نظام القيم (المساواة والعدالة) ومتطلبات النظام الاقتصادى (الحاجة الى عمال مهرة) حدث توسع فى التعليم العام سواء فيما يتعلق بعدد الملتحقين به، أم فيما يتعلق بالسنوات التى يقضيها الدارسون فى التعليم. ولقد كان التعليم العام ضرورة ملحة فى الولايات المتحدة، سواء لتحقيق الديمقراطية أم لتوفير الاحتياجات النامية للصناعة المتطورة، وللتوسع الكبير بشكل عام فى القطاع الاقتصادى، الذى بدأ منذ عام ١٨٥٠ الأمر الذى تطلب ضرورة الاهتمام بالتعليم والتدريب المهنى. ومنذ عام ١٩٥٠ ازدهر التعليم العام فى كل من امريكا وكندا، وخاصة فى المستويات العليا، استجابة للحاجة المتزايدة للاداريين والفنيين الذين يتطلبهم الاقتصاد الحديث.

فى حجرة الدراسة In The Classroon

تعد بنية النظام التربوى ووظائفه، ظواهر تتعلق بالنظام الاجتماعى العريض macrosystem ولكن هناك منظور اجتماعى آخر للتعليم، هو دراسته على مستوى النظام المصغر microsystem لحجرة الدراسة. فإن ما يتم بداخلها من تفاعل متبادل بين المعلم وتلاميذه يؤثر فى سلوك هؤلاء التلاميذ وفى ادراكهم لذواتهم،

كما يؤثر من ناحية أخرى فى المعلم. ويشكل هذا التفاعل المتبادل، النظام الاجتماعى لحجرة الدراسة.

ولقد صمم النظام المدرسى فى الولايات المتحدة ليحقق أفضل انجاز ممكن للتلاميذ. وتتأكد داخل حجرة الدراسة قيم التنافس، الأمر الذى يساعد على التفوق وبذل أقصى جهد.

المدرسة الحضرية The Urban School

سنحاول أن نعرض أولا صورة لمدارس الأحياء الفقيرة من المدن. كانت هذه المدارس فى حالة يرثى لها ولم تكن تستوعب الا اعدادا قليلة من أبناء الأقليات، ولكن فى الخمسينيات من هذا القرن بنيت ضواح حديثة خارج المدن استوعبت اعدادا كبيرة من افراد الطبقة المتوسطة البيض. فاحتلها أبناء الطبقة المتوسطة من الزنوج وغيرهم من الأقليات وكذلك أبناء الطبقة مدقعة الفقر من البيض وغيرهم من الأقليات، وبدأوا جميعا يأخذون فرصا تعليمية أفضل، أهلتهم لسوق العمل الذى أصبحت فيه فرص العمل أقل من ذى قبل.

ولكن ماذا عن جو وبيئة هذه المدارس؟ لقد كان المعلمون يعملون فى ظروف بالغة الصعوبة. فغالبا ما كانوا يشعرون أنهم غير قادرين على السيطرة على البيئة المدرسية، وكان التلاميذ فى حالة تمرد دائمة، ولا يرون فائدة ترجى من بقائهم فى المدرسة، وكان الصراع أمرا عاديا: الطلبة البيض ضد الطلبة الزنوج، والزنوج ضد الذين هم من أصل أسبانى، والطلاب ضد المعلمين، والمعلمون ضد الادارة المحلية، والادارة المحلية ضد ادارة التعليم المركزية. وكانت المدارس تعكس، وأحيانا تضخم كل التوترات التى توجد فى البيئة المحيطة بالصغار وبالكبار، وفى ظل هذه الظروف، لم يكن يحدث الا أقل تعليم.

ولكن هذه الصورة للمدارس التى فى الأحياء الفقيرة والتى تشبه أرض المعركة، يمكن أن نرى عكسها تماما فى الأحياء الأرقى أو فى الضواحى الجديدة القريبة من المدن. فلقد كانت عديد من المدارس وكثير جدا من التلاميذ الذين يعرفون أهدافهم معرفة جيدة ويمضون قدما نحو تحقيقها. وقد كانت هذه المدارس محل اهتمام عديد من الباحثين لما تستخدمه من اساليب وطرق تعليم

متباينة، من بين هؤلاء الباحثين «رونالد ادمونز Ronald Edmons, 1979 وإن هذه المدارس بالرغم من تباين طرق التدريس بها، فإنه تجمع بينها عدة خصائص معينــة من بينهـا: أ ـ قيادة إدارية حازمـة. ب ـ منـاخ تعليمى يتيح التفـوق الدراسى. جـ ـ معاملة وسط للتلاميذ، ليست بالشديدة ولا باللينة (James Coleman, 1981).

بعض الفلسفات المشاركة فى التربية
Competing Philosphies of Education

أ ـ حركة الفصول الدراسية المفتوحة Open Classroom Movement

انطلاقا من آراء فيلسوف التربية «جون ديوى John Dewey» ودعوته للتعلم عن طريق النشاط والعمل واكتساب الخبرة، رأى بعض المربين أن يعملوا على تهيئة بيئة تعليمية معينة، تساعد على تشجيع مواهب التلاميذ وأظهار قدراتهم الابداعية، واطلاق انشطتهم. وأخذت هذه الدعوة فى الستينيات من هذا القرن شكـل فصول بلا جدران. وكان هؤلاء المربون يرون أن تغيير شكل الفصل التقليدى من: معلم يجلس أمام التلاميذ الذين يصطفون أمامه على المقاعد، وبينه وبينهم مسافات، وهم جميعا داخل حجرة مغلقة، الى معلم يجلس فى حلقة مع تلاميذه فى مكان فسيح فى الهواء الطلق، سوف يحرر عقول التلاميذ من القوالب النمطية، ومن المواقف الضاغطة. ولقد كان الأمر كذلك بالنسبة لعديد من التـلاميذ، فلقـد أتـاح لهم هذا النظام اشباع ميولهم تحت اشراف ودعم معلميهم، وحقق هؤلاء التلاميذ نموا عقليا واجتماعيا. ولكن تلاميذ آخرين رأوا أنه يصعب عليهم العمل فى هذه البيئة غير المعدة للتعليم. وكذلك فإن عديدا من المعلمـين لم يدربـوا على هذه الـطريقة، ووجدوا صعوبة فى السيطرة على التلاميذ. كما أن الأباء لم يقتنعوا بها فهى خبرة تختلف عن خبراتهم السابقة، ورأوا فيها نوعا من انعدام التنظيم. وقد ازدهرت هذه الفصول المفتوحة فى مدارس احياء الطبقة الوسطى، حيث كانت فكرتها مشابهة لما يوجد بالفعل فى بيئتهم.

كذلك ظهرت عديد من الكتب وخاصة فى منتصف الستينيات كلها تهاجم

نظم الدراسة فى المدارس الحضرية، وكانت تحمل عناوين غربية كالعناوين التالية:

١ ـ «كيف يرسب التلاميذ» (Holt, 1964)
٢ ـ «الطريق المفروض أن يكون» (Herndon, 1967)
٣ ـ «الموت فى سن مبكرة» (Kozol, 1967)

وكانت كل هذه الكتب تهاجم بمرارة وقسوة انعدام المبالاة لدى المعلمين الذين يعملون داخل نظام مصمم للضغط على التلاميذ بدلا من تشجيع حريتهم. وربما يكون أكثر كتب هذه المرحلة انتشارا هو «كتاب» شارلز سلبرمان Charles Silber-man » بعنوان «أزمة فى حجرة الدراسة» والذى نشر عام ١٩٧٠ ووصف فيه نظام المدرسة بأنه «أرض ضياع فسيحة»

العودة الى الأصول Back to Basics

بحلول عام ١٩٧٠ حدثت حركات اصلاحية كثيرة فى مجال التعليم، وقامت كثير من الأفكار المناهضة للأفكار التى سادت الستينيات، ودعت الى اقرار النظام، وكانت من أهمها الحركة التى اطلقت على دعوتها اسم «العودة الى الأصول» وتقوم على الدعوة الى النظام، وتأكيد أهمية المواد الدراسية التقليدية واحترام السلطة. ولقد لاقت هذه الأفكار نجاحا كبيرا فى أوساط الآباء والمربين وخاصة أنها أكدت على القيم الدينية والعودة الأصول.

التعالى ، وانعدام ، المساواة والمدرسة :
Quality, Inequality, and the School

لقد صيغت النظم التربوية والتعليمية استجابة لحاجات وطبيعة النظم الاجتماعية العريضة للمجتمع الذى تجسده هذه النظم. ويتوقع من تلاميذ المدارس أن ينشأو بحيث يمكن فيما يستقبل من حياتهم أن يحلوا المشكلات ويتغلبوا على الصعوبات التى فشل أباؤهم فى حلها وتخطيها. وهكذا يقع على عاتق المدرسة عبء تحقيق المساواة العنصرية فى أمريكا وازالة عوامل التفرقة والعزلة فى كندا.

التعليم والمساواة العنصرية فى الولايات المتحدة :
Schooling and Racial Equality in the United States

تتعلق قضية المساواة العنصرية بازالة التوترات المستمرة التى تطبع الحياة فى الولايات المتحدة: التعالى والفردية من جانب، والمساواة والعدالة الاجتماعية من جانب آخر.

العنصرية والعزلة فى المدرسة School Desegregation

لقد تمركز الصراع القيمى المستمر من أجل تحقيق العدالة والحرية والمساواة فى المدرسة، لأنها ضمت بين جنباتها كلا من دعاة التفرقة ودعاة المساواة. وفى عام ١٩٥٤ اصـدرت المحكمة العليا فى الولايات المتحدة قرارا يقضى ببطلان كل الاجراءات التى لجأت اليها السلطات المحلية من فصل عنصرى فى المدارس لأنه مخالف للدستور الذى يكفل معاملة متساوية للجميع فى ظل القانون، ولابد أن تزال بأقصى سرعة كل مظاهر التفرقة.

ومرت خمسة وعشرون عاما على حكم المحكمة العليا ولا سميع ولا مجيب، وظلت مظاهر التفرقة كما هى، وبخاصة فى الجنوب. وكانت السلطات التعليمية فى الجنـوب تتحـرك ببطء شديد. وعندما بدأت تسمح بدخول أبناء جماعات الأقليات المـدارس العـامـة، انسحب آلاف من التلاميذ البيض منها والتحقوا بمدارس خاصة. وحتى المدارس العامة التى سمح فيها بالتحاق الزنوج نجدها قد تحايلت على خرق القانون بشتى الطرق، من ذلك نظام تصنيف الصفوف الى فصول غير مختلطة، كان البيض فى الفصول الأولى، وأما الزنوج فيقبعون فى الفصول الأخيرة بحيث لا تقع عليهم عين (Rist, 1978)

وكان الوضع فى الشمال مختلفا قليلا عن الجنوب. فقد تركت معظم العائلات البيضـاء المـدن الى الضـواحى فى حركـة مستمرة منذ العقود الثلاثة الماضية، وأصبحت لهم مدارسهم التى لا يوجد فيها سوى التلاميذ البيض، وبهذه الطريقة تجنبـوا مخالفـة القـانون، فالمدارس انما تضم أبناء الضاحية، وأصبحت معظم المـدارس الحضرية داخل المدن، تضم تلاميذا غالبيتهم العظمى، إن لم يكن كلهم من غير البيض. ولكن المحاكم أصرت على ضرورة عدم وجود تفرقة. ولقد

أثارت أحكام المحاكم موجات من العنف فى عديد من الأماكن، كما حدث فى بوسطن على سبيل المثال.

الحلول Solutions

بدأت السلطات التعليمية أمام اصرار المحاكم على تنفيذ القانون وأحكام الدستور، فى التفكير فى عدة طرق للحد من التفرقة ووقف خروج البيض من المدن، ومحاولة إيجاد تكامل بين أبناء البيض وأبناء الأقليات. ومن بين هذه الطرق:

١ - المدارس الجاذبة Magnet Schools

وتقوم فكرة هذه المدارس كما يدل على ذلك اسمها، على تقديم خبرات تعليمية غير تقليدية فى محاولة لاجتذاب التلاميذ البيض ذوى القدرات العقلية الخاصة اليها. فتقدم هذه المدارس برامج لا تعرض فى غيرها من المدارس، مثل الموسيقى والفنون والألعاب الرياضية المختلفة، هذا بالاضافة الى طرق تدريس خاصة، بحيث يرى كثير من الآباء البيض أن الأمر يستحق ابقاء ابنائهم فى هذه المدارس.

٢ - التباين فى الصفوف Grade Differentiation

وفى هذه الطريقة يقسم التلاميذ الى وحدات، تضم كل وحدة صفا دراسيا، ويشمل الصف عدة فصول. وتضم كل مدرسة صفا واحدا فقط. فمثلا المدرسة «أ» فى منطقة معينة تضم الصف الأول، والمدرسة «ب» فى منطقة أخرى تضم الصف الثانى، والمدرسة «جـ» فى منطقة ثالثة تضم الصف الثالث وهكذا. وبذلك يمضى كل التلاميذ مدة فى كل مدرسة من هذه المدارس، ولا يجد البيض مناصا من ادخال ابنائهم مع غيرهم من أبناء الأقليات.

٣ - انشاء مدارس على حدود المدن
Marging School Districts

اذا كان البيض يقطنون الضواحى، وغير البيض يقطنون المدن، فإن احدى طرق التكامل، هى انشاء مدارس على حدود المدن بينها وبين الضواحى بحيث تصبح

المدارس في منطقة تضم كلا من الضواحى والمدينة، فينضم إليها تلاميذ من هؤلاء وأولئك، ويحدث توازن عنصرى داخل المدرسة.

٤ ـ اثراء مدارس غير البيض Enrichment of nonwhite Schools

إذا لم نستطع تحقيق التكامل، فلا أقل من تعويض طلاب مدارس المدن، بأن نتيح للتلاميذ غير البيض فرصا متكافئة مع غيرهم تعوضهم عن عزلتهم، فنوفر لهم مخصصات اضافية من أموال الضرائب تتيح لهم تعليما أفضل.

برامج للمعوقين Programs for the Handicapped

ما مدى عدالة نظام تعليمى لا يتيح تعليما الا لمن يستطيع أن يحضر الى المدارس العامة ويواجه مختلف التوقعات المطلوبة منه فى حجرة الدراسة من عديد من المعلمين؟ واذا كانت القوانين فى معظم الولايات تضمن للجميع تعليما مجانيا فى مدارسها العامة، فما هو الحل بالنسبة لمن يعانون من تخلف عقلى أو من معوقات جسمية مختلفة؟ الواقع أن هؤلاء المعوقين لم يكونوا يلقون الرعاية الكافية، ولكن تحت ضغوط آبائهم صدرت تشريعات تتيح لأكثر من ثمانية ملايين معوق فى الولايات المتحدة أن يحظوا بتعليم خاص.

والمشكلة الأساسية بصدد هذا النوع من التعليم الخاص أنه يتكلف نفقات باهظة يضن بها دافعو الضرائب لأن معظمهم ليس لهم أبناء معوقين.

وثمه مشكلة أخرى، هى كيفية تكامل هؤلاء المعوقين مع بقية تلاميذ المدرسة عندما نفكر فى وضعهم فى مدرسة واحدة مع غيرهم من التلاميذ، وليس هذا مهما فقط بالنسبة لهؤلاء المعوقين من حيث اتاحة الفرص أمامهم لينظروا الى عاهاتهم كشيء عادى، والمضى فى الحياة بطريقة عادية، ولكن حل هذه المشكلة مهم ايضا لبقية التلاميذ، اذ يتعلمون كيف يتعايشون مع من يختلف عنهم دون وصمهم بعاهاتهم أو تجاهلهم. والمسألة ليست سهلة بطبيعة الحال، فبعض الآباء وبعض التلاميذ يشعرون أنهم يخدعون انفسهم بما يتظاهرون به من سلوك مع هؤلاء المعوقين. كما أن وضع المعوقين مع غيرهم من التلاميذ العاديين قد يؤدى الى نتائج سلبية ويزيد من الضغوط على المعوقين. وفى بعض الحالات فإن الفوائد الظاهرة والكامنة لوضعهم مع التلاميذ العاديين فى مدارس واحدة تجعلنا لا نتردد

فى ذلك بالرغم من هذه السلبيات. وفيما يلى جدول بحالات الأطفال المعوقين وأعدادهم فى الولايات المتحدة.

جدول يبين عدد حالات الأطفال المعوقين الذين يتلقون
مساعدات خاصة فى الولايات المتحدة عام ١٩٧٨

نــــوع الاعاقـــــــة	العــــــــدد
عيوب النطق.	١ر٢٢٧ر٠٠٠
عدم القدرة على التعلم.	٩٦٩ر٠٠٠
حالات تخلف عقلى.	٩٤٥ر٠٠٠
اضطراب انفعالى.	٢٨٩ر٠٠٠
الصمم وضعف السمع.	٨٧ر٠٠٠
كف البصر..	٣٦ر٠٠٠
الشلل ومعوقات صحية أخرى.	٢٢٤ر٠٠٠

المصدر : Statistical Abstract O F U.S 1980 P. 362.

التمويل والعدالة Financing and Fairness

ترتبط الخلافات والمناقشات المثارة حول النظام التعليمى فى الولايات المتحدة بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، بضريبة تمويل المدارس والتى أخذت ضمن ضرائب العقارات. فالناس الذين يدفعون مثل هذه الضريبة يريدون أن يتحكموا فى النظام التعليمى، ويتطلعون الى رؤية نتائج هذه الأموال التى يدفعونها: يريدون معدلات مرتفعة لأبناءهم، يريدون أبناءهم وقد تأهلوا لدخول الجامعات، يريدون أبناءهم وقد اعدوا أفضل اعداد مهنى يمكنهم من المنافسة فى سوق العمل. ويرغب سكان بعض الأحياء أن يدفعوا المزيد من الأموال من أجل الارتقاء بنوعية التعليم فى المدارس. ولا يطيق سكان بعض الأحياء الأخرى أية أعباء اضافية.

ويرجع تدهور التعليم فى مدارس المدن، الى انخفاض الضرائب المحصلة من الناس فيها، وذلك بسبب خروج معظم رجال الأعمال وعائلات الطبقة الوسطى البيض من المدن الى الأحياء الجديدة خارجها، وبالتالى انخفاض الضرائب المحصلة من المتبقى من السكان. وقد أدى هذا التباين الواسع بين مدارس الأحياء الغنية والأحياء الفقيرة، إلى اصدار المحكمة العليا لعدة قرارات فى السبعينيات من هذا القرن، تعلن فيها عدم دستورية ضرائب العقارات كأساس لميزانية التعليم.

المقيدون بالمدارس والنفقات Enrollment and Costs

جاء هذا الاهتمام المتزايد بالتمويل وبمحتوى التعليم فى وقت انخفض فيه عدد المقيدين فى المدارس، بسبب انخفاض معدلات المواليد فى الفترة ما بين عام ١٩٦٠، وعام ١٩٨٠ لقد استمر معدل الحاصلين على الشهادة الابتدائية فى الانخفاض المطرد، وبالتالى توقع انخفاض معدل الحاصلين على الثانوية العامة فى عام ١٩٨٦ وهذا الانخفاض اكثر فى المدارس العامة منه فى المدارس الخاصة. وقد حدث شىء شبيه بهذا ايضا فى كندا. مع ملاحظة أن أعداد طلاب الجامعة فى كل من البلدين سوف تظل ثابتة كما هو متوقع طوال الثمانينيات، قد تزيد قليلا فى الولايات المتحدة، وقد تقل قليلا فى كندا.

وفى الوقت نفسه، فإن أعداد المعلمين فى كل من البلدين لم تنخفض، بل انها ازدادات. وفيما يتعلق بالتعليم العالى، فإن من المهم جدا أن نلاحظ الزيادة المطردة فى تكلفته. ففى عام ١٩٧٩ تسبب التضخم المالى وحده، فى زيادة هذه التكلفة بمقدار ١١ بليون دولار، وذلك من اجمالى الانفاق على التعليم العالى وهو ١٥٠ بليون دولار. ويعلن معظم دافعى الضرائب استياءهم الى نقابات المعلمين ويطالبون المعلمين بتحمل مسئولياتهم. ويقول دافعو الضرائب أنهم يدفعون الكثير ولا يحصلون الا على القليل.

تقرير تقويمى عن النظام التربوى
A Report Card for the Educational System

ليس من المتوقع أن يلقى نظام اجتماعى تتباين وتتعدد الوظائف الاجتماعية

والشخصية التى يقوم بها، نجاحا على طول الخط، فالنجاح قد يحالفه حينا، ولا يحالفه حينا آخر. وهذا ما حدث بالنسبة للنظام التربوى فى كل من الولايات المتحدة وكندا.

أولا : النجاحات Successes

١ - اقامة نظام تعليمى عام وشامل على أساس قومى يشبع حاجات التلاميذ المتباينة، ويتمشى مع خلفياتهم الاجتماعية المتباينة.
٢ - استيعاب المدارس الابتدائية لجميع الأطفال المؤهلين منذ النصف الأول من القرن العشرين.
٣ - توفير فرص التعليم العالى لكل من يرغب من خريجى المدارس الثانوية.

ثانيا : الاخفاقات Failures

١ - بقاء انعدام المساواة الذى اتضح فى ازدواجية المدارس.
٢ - عدم تمكن ملايين الأمريكيين الشماليين من مهارات الكتابة تمكنا يكفى لكتابة خطاب خال من الأخطاء، أو قراءة صحيحة لصحيفة يومية.

ملاحظات عامة الناس The Public's Perception

لوحظ فى كل من الولايات المتحدة وكندا، انخفاض ملحوظ فى رضا الأباء عن نوعية تعليم ابنائهم. ومع ذلك، ففى استطلاع حديث للرأى قام به معهد جالوب ونشر فى مجلة News week فى ابريل عام ١٩٨١ اتضح أن ٤٧٪ ممن أخذ رأيهم، قالوا بأن المدارس ممتازة أو جيدة. وقال ٦٠٪ انهم يشعرون أن أبناءهم يتلقون تعليما أفضل مما حظوا هم به فى المدارس الابتدائية والثانوية، كما ذكر ٧٤٪ أن معلمى ابنائهم ممتازون أو جيدون.

وقد أشاد مؤيدو التعليم العام بما حققه هذا التعليم من انجازات فى جميع أنحاء البلاد، واتاحة الفرص للمناطق التى كانت محرومة من تلقى التعليم المناسب. وأيضا لما قام به من انجازات فى مجال الخدمات العامة والخاصة: فقد تخرج معظم الشباب من هذه المدارس وهم مزودون بالمعارف والمهارات اللازمة للتعايش مع المجتمع الحديث.

ومع ذلك، فإنه يوجد عدد لا بأس به من الآباء لا يثقون فى التعليم العام، ويدعمون ويؤيدون التعليم الخاص والتعليم بالمدارس التى تتبع الكنائس. ويوحى ذلك بأنه مشكلة التعدد فى التعليم سوف تكون موضة الثمانينيات: مدارس خاصة للأنماط المختلفة من الشباب. كما أن ذلك يشير ايضا الى انه كلما ازداد عدد دافعى الضرائب الذين يرسلون بأبنائهم الى المدارس الخاصة، شكل هذا ضغوطا على ميزانية المدارس العامة، الأمر الذى قد يضطرها الى طلب معونات مختلفة، قد تكون فرض ضرائب على التعليم، أو طلب قروض لشراء الكتب وغير ذلك.

حركة التكافل The Voucher Movement

قامت هذه الحركة لمعالجة كثير من جوانب القصور فى التعليم العام، والذى يتمثل جانب منه فى ارغام التلاميذ على نوع معين من التعليم لا يرغبون فيه ولا يساير قدراتهم، لا لشىء الا لأنه موجود فى الحى الذى يعيشون فيه. ولقد ساند هذه الحركة عديد من الجماعات الدينية وبعض الصفوة من الأغنياء.

والفكرة الأساسية لهذه الحركة هى تخصيص صندوق مالى يمول من مصادر عديدة، فى كل حى، ينفق منه على التلاميذ الذين يريدون الالتحاق بمدارس أخرى فى غير أحيائهم، ولكنها تتمشى مع قدراتهم ورغباتهم.

ومن شأن هذا النظام، استفادة الجميع على قدم المساواة من جميع المؤسسات التعليمية الموجودة، كما أنه يتيح لكل تلميذ أن يجد التعليم الذى يناسبه، بالرغم من أنه يضحى بفرصة التعلم مع رفاق حيه.

ويتوقع عديد من المحللين أن تشكل مثل هذه الحركات ضغوطا على مدارس التعليم العام لكى تنوع من التعليم المتاح فى كل حى من الاحياء، بحيث توجد مدارس تقدم بالاضافة الى البرامج التعليمية العادية، برامج فنية متنوعة، أسوة بما هو موجود فى المدارس الخاصة.

والواقع أن التعليم العام فى الولايات المتحدة يواجه تحديا ضخما، ماذا يفعل بميزانية محدودة، وكيف يتصرف مع تلاميذ لا يرغب كثير منهم فى التعليم، وكيف يمكنه أن ينافس مدارس خاصة تنتقى تلاميذها، وتتوفر لها الموارد المالية الكافية

التى تتيح تقديم أفضل خدمات تعليمية فى أفضل ظروف تعليمية وبيئية؟ هذا هو التحدى.

مستقبل التعليم العالى The Future of Higher Education

إن النمو الكبير فى معدلات التعليم العالى الذى حدث فى الخمسينيات ومطلع الستينيات من هذا القرن بدأ ينخفض فى كل من الولايات المتحدة وكندا، والسؤال هو: لماذا؟

يرجع هذا الانخفاض نسبيا الى انخفاض معدل الأطفال الذين يلتحقون بالتعليم الابتدائى نتيجة تنظيم النسل. ومع ذلك يظل السؤال قائما: ما الذى يجعل نسبة كبيرة من خريجى المدارس الثانوية لا تواصل تعليمها العالى؟ إن نصف الخريجين فقط هم الذين يواصلون دراساتهم العليا سواء لمدة سنتين أو أربع، وذلك حسب احصاءات ١٩٧٨. يمكن القول، فيما يتعلق بالفتيات، ان الكثيرات يتزوجن أو يعملن، وإن كانت اعداد كبيرة منهن يواصلن دراستهن بعد ذلك. ولا توجد مثل هذه النسبة فيما يتعلق بالفتيان. كما يمكن القول إن نسبة من الفتيان يلتحقون بالقوات المسلحة. وأن نسبة أكبر منهم تتجه الى سوق العمل، حيث يعتقدون أن الخبرة والجد والاجتهاد سوف تكفل لهم النجاح فى الحياة.

وتتكون الغالبية العظمى من شباب الجامعات فى كل من الولايات المتحدة وكندا من شباب الطبقة الوسطى. وقد ازداد عدد الزنوج الملتحقين بالتعليم العالى خلال السبعينيات. ولكن عددهم لم يتجاوز ١٠٪ ومعظم هؤلاء الزنوج من أبناء الطبقة العاملة، وقد ساعدهم على الالتحاق بالمعاهد والجامعات، المنح والمساعدات والقروض التى تقدمها الحكومة والجهات المختلفة الى الجامعة، ولو أن ادارة الرئيس «ريجان» قد أوقفت تقريبا المنح المقدمة من الحكومة.

وما أن يلتحق الطالب بالجامعة حتى يجد منافسة شديدة على التقديرات، اكثر مما كان يجد فى المراحل السابقة. وقد كشفت الدراسات التى اهتمت بالمجالات التى يقبل عليها الطلاب، أنهم الآن أكثر ميلا لدراسة الاقتصاد والادارة والقانون وتكنولوجيات الكمبيوتر. كما أظهرت هذه الدراسات نقص اهتمام طلاب

الجامعات بدراسة المواد التقليدية التى كانت فى يوم من الايام بمثابة القلب من التعليم الجامعى، وذلك مثل الانسانيات والعلوم الاجتماعية. ويبدو أن ثقافة التكنولوجيا الجديدة قد تغلبت على ثقافة الدراسات الانسانية العتيقة.

ومهما يكن من أمر، فإن كلا من الطلاب والمسئولين فى الكليات. يتجهون الآن نحو الاهتمام الكبير بالتخصصات والمهارات الدقيقة، وذلك لمواجهة التنافس التكنولوجى المتزايد. فالتخصصات العامة والمقدمات والمداخل التى تتناول مظاهر الثقافة العامة، لم تعد تفيد الآن فى مجتمع يدخل عصر ما بعد الصناعة.

الخلاصـــــة

Summary

يعد التعليم الرسمى امتدادا لعملية التطبيع الاجتماعى التى بدأتها العائلة. وكلما تعقدت المجتمعات قلت قدرة أعضاء العائلة على تعليم الأبناء كل ما يحتاجونه للمشاركة فى المجتمع فيما يستقبل من حياتهم.

وتتضمن وظائف التربية: نقل ثقافة المجتمع الى الصغار وكذلك للمهاجرين، والمحافظة على نظام التدرج الاجتماعى وتنمية معارف جديدة.

ويساعد التعليم فى الولايات المتحدة على الحراك الاجتماعى إلى أعلى، كما أنه يعمل ايضا على ابقاء حالة التوازن بالنسبة للغالبية العظمى من التلاميذ. ويعد النظام التعليمى نفسه تنظيما هرميا بما يتضمنه من مدارس عامة ومدارس خاصة، وجامعات للصفوة، وجامعات تتبع المجتمعات المحلية، ومعاهد مهنية ومراكز بحوث.

وكذلك تشكل المدارس نظاما مصغرا من الأهداف والقيم والقواعد والأدوار والتوقعات. ويتعلم التلاميذ فى مدارس المناطق الحضرية وغير الحضرية الكثير عن التنافس والنجاح والفشل، وذلك عن طريق تفاعلهم الاجتماعى فيما بينهم ومع معلميهم. وتشكل توقعات المعلمين تصورات التلاميذ عن انفسهم أو صور ذواتهم، كما أنها يمكن أن تشجع أو تعرقل الأداء فى حجرة الدراسة.

وترتبط النظم التربوية بغيرها من النظم الاجتماعية الأخرى، وأصبحت هذه النظم مجالا رئيسيا للنضال من أجل تحقيق المساواة فى الولايات المتحدة، ولتحقيق المساواة السلالية والاقليمية فى كندا. ومن أهم العقبات المعاصرة بصدد التعليم قضايا العزلة فى التعليم، وتعليم المعوقين، وتحقيق العدالة فى توزيع ميزانية التعليم.

والتعليم فى الولايات المتحدة مختلط بين الأجناس بحكم القانون. ولقد حدث توسع كبير فى التعليم العام فى كل من امريكا وكندا، ساعد على تمثل أفواج المهاجرين، واستيعاب الأعداد الكبيرة من التلاميذ من مختلف جماعات الأقليات العنصرية والسلالية. وفى نفس الوقت فإن انعدام المساواة مازال يدعم ويعزز، فالتعليم العام لم يمكن ملايين الامريكيين تمكينا كافيا من مهارات القراءة والكتابة بالدرجة التى تؤهلهم لدخول المجرى العريض للمجتمع. وتتراوح اتجاهات الآباء نحو المعلمين بين انعدام الرضا وبين الثقة فيما يقومون به وما يتيحونه لأبنائهم من نمو أفضل مما أتيح لهم.

ومع ذلك، فهناك تغيرات تحدث فى النظام التعليمى على شتى المستويات من المدرسة الابتدائية حتى الجامعة. من البحث فى تنويع المدارس الابتدائية والثانوية، الى زيادة المنح المقدمة من الحكومة للتعليم العالى.

قراءات مقترحة

Bowles, Samuel, and **Herbert Gintis.** *Schooling in Capitalist America* (New York: Basic Books, 1976). A radical analysis of the educational system in the United States, which is shown to preserve economic inequality and the existing class structure.

Carlton, Richard A., Louse A. Coller and **Nen. J. MacKinnen** (eds.). *Education, Change, and Society: A Sociology of Canadian Education.* (Toronto: Gage, 1977). A series of insightful articles dealing with many aspects of education in Canada.

Carnegie Council on Policy Studies in Higher Education, *3000 Futures: The Next Twenty Years for Higher Education* (San Francisco: Jossey-Bass, 1980). An economic, demographic, and social-policy analysis of the issues confronting American higher education through the year 2000.

Corelick, Sherry. *City College and the Jewish Poor: Education in New York City, 1880-1924* (New Brunswick, N.J.: Rutgers University Press, 1981). This recent monograph reexamines the history of higher education for poor Jewish students in New York City, and the myth of social mobility through higher education.

Katz, Michael B. *Class, Bureaucracy and Schools: The Illusion of Educational Change in America* (New York: Praeger, 1971). The author argues that the American system of urban education – universal, tax supported, free, bureaucratically organized, class biased and racist – has remained basically unchanged since the 1880s.

Leacock, Eleanor. *Teaching and Learning in City Schools* (New York: Basic Books, 1969). A dramatic demonstration of the crucial importance of teachers' expectations in influencing the success and failure of white and black students in middle- and lower-class schools.

Zwerling, L. Stephan. *Second Best: The Crisis of Community College* (New York: McGraw-Hill, 1976). this readable historical and first-hand account of the educational process in two-year colleges includes policy suggestions for implementing the "heating up" as opposed to the "cooling out" function of community colleges.

الفصل الخامس عشر
نظم المعتقدات

Belief Systems

الفصل الخامس عشر
نظم المعتقدات

Belief Systems

الدراسة الاجتماعية لنظم المعتقدات
The Sociological Study of Belief Systems

يبحث علماء الاجتماع العوامل التى تكمن وراء الاعتقاد وتقبل الناس للدين. فلقد كانت الظواهر الدينية محل اهتمام علم الاجتماع منذ نشأته على يد «أوجست كونت» و «دوركيم» بالرغم من اختلافهما الكبير بصدد نظرتيهما للدين. فلقد كان «أوجست كونت» لا يؤمن الا بما هو محسوس ومرئى. وأما دوركيم فقد كان يرى أهمية الدين الكبيرة فى توحيد وتماسك الجماعة.

كتابات دوركيم عن الصور الأولية للحياة الدينية:
Darkheim on the Elementary Forms of Religious Life

يقول «دوركيم» إن الدين وجد منذ نشأة الحياة الانسانية على الأرض. ووجدت الاعتقادات الدينية منذ تجمع الأفراد فى جماعات، وقد اتضح ذلك من وجود اشياء تعبد، واحتفالات تقام، ومثاليات تقال. وبالرغم من الاختلاف فى الأشياء التى كانت تعبد، فإنها كانت توحد بين المؤمنين بهذا المعبود. ويقول دوركيم إنه منذ هذا الوقت الموغل فى القدم، أصبحت الحياة الاجتماعية ذاتها موضع تقدير وتبجيل، بل إن فكرة الاشتراك فى معتقدات جعل الناس يفهمون فكرة «المجتمع» المجردة.

ويقول دوركيم، إنه يوجد شىء مشترك فى جميع الاعتقادات والعبادات مهما تباينت واختلفت صورها، ذلك هو وجود عدد من المفاهيم والشعائر تؤدى وظائف معينة. ووظيفة عالم الاجتماع الأساسية استقصاء وظائف الاعتقادات الدينية ونتائجها، أى ما

الذى حدث نتيجة إيمان الناس بديانة ما؟ الواقع أن لب المعتقدات يتمثل فى أنها تعالج قضايا مطلقة لا يمكن الا للعقيدة الايمانية ذاتها أن تجيب عنها. كما أنها تزود الناس بنظام من القيم.

تعريف نظم الاعتقادات Defining Belief Systems

كان تعريف المظاهر العامة للاعتقادات الدينية محل مناقشات عديدة بين علماء الاجتماع. فقال «ج. ميلتون ينجر J.Milton Yinger» عام ١٩٦٩ على سبيل المثال، إن الدين قد وجد: ١ ـ حيث كان هناك وعى بوجود واستمرار للحياة الانسانية. ٢ ـ عندما توجد جماعة منظمة تعى هذا التكليف وتحافظ على هذه المعتقدات. يقول «ينجر» إن الدين هو هذه المستويات الثلاثة: الوعى، والايمان بشعائر ومعتقدات، وبناء اجتماعى (جماعة).

ويرتبط هذا التعريف بأى دين من الديانات. فالدين لابد أن يعيه من تطمئن قلوبهم إلى أنه سيخلصهم مما هم فيه من ظلمات ومشكلات، وأنه يهديهم إلى طريق الحق، وأن ما جاء به من شعائر إنما هو لمصلحتهم كأفراد وكجماعات، لأنها توحد بينهم. وعندما تتوفر هذه المقومات فى جماعة من الجماعات، فإنها تكون مهيأة للمعتقدات الدينية، سواء الرسالات المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى والتى أرسل بها الرسل والأنبياء، أو الاعتقادات غير السماوية لمن لم تصلهم هذه الرسالات. وتلبى الرسالات السماوية التى جاءت من لدن خبير عليم خَلَقَ الناس ويعلم ما ينفعهم وما يضرهم، والتى أرسل بها عديد من الرسل والأنبياء وختمت بالرسول الكريم محمد عليه الصلاة والسلام، حاجات الناس وتوحد صفوفهم.

وهكذا، فإن الدين يوجد لحاجة الناس لما يبث فى أنفسهم الطمأنينة، ويبدل خوفهم أمنا وسلاما والأديان بما تتضمنه من اعتقادات وشعائر يمارسها جميع المؤمنين، إنما توحد بينهم وتجمع كلمتهم.

وظائف نظم المعتقدات Functions of Belief Systems

عمل علماء الاجتماع على الرد على الملحدين الذين حاولوا لسبب أو لآخر، إنكار الدين والتهجم عليه، ومن أشهر هؤلاء الملحدين «كارل ماركس» الذى أدرك تمام

الادراك أن أفكاره ودعاواه المتهافتة لا يمكن أن يكتب لها الذيوع والانتشار أمام الدين بأسسه الراسخة فى أعماق النفوس، فالشيوعية التى جاء بها إنما هى ضد الفطرة الانسانية، وحاجات الانسان الاساسية للتملك، وأن يكون لديه ما يدافع عنه وينميه ويطوره، ولقد بدأت الدول التى أخذت بهذا النظام لسبب أو لآخر، تدرك خطورة هذه النظرية، وما جرته عليها من تدهور اقتصادى واجتماعى.

ويذهب علماء الاجتماع الى أن الدين يؤدى عديدا من الوظائف للفرد وللجماعة. فالدين يعطى لحياة الانسان معنى وقيمة واستمرارية، ويعطيه أمنا وطمأنينة، فما الذي يملكه الانسان أمام عديد من الأخطار والاضرار التى لا يستطيع لها دفعا، الا أن يرفع كفيه بالضراعة إلى الله سبحانه وتعالى وأن يبتهل اليه أن يكشفها ويزيحها. وما الذي يملكه الانسان أمام الجفاف وشح الأمطار الا أن يصلى لله ويسأله سبحانه وتعالى أن يأمر السحاب بأن ينزل المطر مدرارا. ما الذى يملكه الانسان أمام اختياراته بفكره المحدود للعمل أو الزواج أو الترحال، الا أن يسأل الله التوفيق وعين الرعاية والرضا. ما الذى تملكة فئة قليلة أمام كثرة باغية، الا طلب التأييد والمدد الالهى.

ما الذى يستطيع أن يجيب عن تساؤل فرد: لماذا حدث لى ذلك، لقد أخذت بكل الاسباب لتكون النتيجة على نحو معين، لقد أردت تحقيق نتائج معينة فلم تتحقق وتحقق غيرها. لماذا؟ الدين وحده هو الذي يجيب عن هذا السؤال، فإرادة الله سبحانه وتعالى فوق كل إرادة، فأنت تريد، وأنا أريد ولكن الله يفعل ما يريد. وكثيرا ما نكره شيئا ونجد فيه خيرا كثيرا، أو العكس، إنها إرادة الله ولطفه ورحمته، وهذا لا يحققه الا الدين والتدين.

وظيفة أخرى هامة، وهى تعريف الدين للناس وتذكيرهم بأن هناك آخرة، وأن ثمه بعثا وحسابا، وأن الناس لن تترك سدى، يفعلون ما تزينه لهم أهواؤهم دون عقاب، أو أن يحسن الناس العمل والمعاملة، ثم لا ثواب. إن فكرة البعث والحساب كانت من أهم عوامل الضبط الاجتماعى.

فالقانون، والشرطى، والقاضى قد يغفلون عن فعل ارتكبه شخص، ولكن عين الله ساهرة لا تنام، واذا كان الانسان بمفرده لا يراه أحد وقت ارتكابه الاثم، فإن الله يراه. فالدين هنا يجعل الضمير داخل الفرد يحمله معه أنى سار.

وظيفة أخرى هامة أشار اليها علماء الاجتماع، وبخاصة علماء الاجتماع الوظيفيون، وهى حفظ التوازن الحيوى فى المجتمع Status quo ففى كل مجتمع يوجد الأغنياء والفقراء، فإذا أدرك الأغنياء أن ما أعطاهم الله إنما هو فضل منه، وأن المال مال الله وسوف يحاسبهم عليه ويسألهم فيم انفقوه؟ وهل أعطوا ما عليه من زكاة وصدقات؟ فاذا كانوا قد فعلوا ساد التكافل والتراحم جميع أفراد المجتمع. وأما الفقراء فيعرفون أن الله سبحانه وتعالى يعطى من فضله من يشاء، وأنه يرزق من يشاء بغير حساب ويمنع من يشاء، وان الله سبحانه وتعالى يرفع الناس بعضهم فوق بعض درجات. ومن ثم تقر نفوسهم لانها إرادة الله ومشيئته، ليس معنى هذا بطبيعة الحال أن يخلد الانسان إلى مكانته ووضعه، وإنما يأخذ بكل الأسباب، فنحن إنما نتحدث عن النتائج بعد الأخذ بالأسباب، فالانسان يجاهد ويكافح ويسعى فى مناكب الأرض ثم يرضى بالنتائج لأنها هى التى قسمها الله سبحانه وتعالى. ويقول علماء الاجتماع الوظيفيون انه لا يمكن تقسيم ثروة مجتمع على الناس بالتساوى، والا استحال العمل، والسعى، والاختراع، والابتكار، والتنافس، وتجنب الناس كل عمل فيه مشقة أو خطورة أو مسئولية، وبالتالى ينعدم المجتمع.

واذا رجعنا لتهجم ماركس على الدين بهذا الصدد، فلننظر فيما يحدث فى الدول التى تطبق مذهبه، هل الناس كلهم طبقة واحدة متساوية كما تدعى نظريته، ألا يوجد من يسكن القصور ويركب أفخر السيارات وله أجمل المصايف والمشاتى . . الخ ثم هناك من ليس كذلك، هل يمكن أن يستوى الحاصل على الدكتوراه مع من ضاق بالمرحلة الابتدائية، هل يستوى فى الاتحاد السوفيتى وغيره من الدول التى تطبق أفكار ماركس، العالم، والمهندس، والطبيب، والضابط، هل يتساوى كل هؤلاء مع غيرهم من الذين لم يبذلوا جهدا ولم يسهروا ليلة فى طلب العلم والمعرفة. ألا يوجد فى هذه الدول أغنياء وفقراء بأى معنى من المعانى، من يحض الأغنياء على العطاء، ومن يقنع الفقراء الذين أخذوا بالأسباب أن هذا قدرهم؟ فى غياب الدين لا شىء.

بنية نظم المعتقدات Structure of Belief Systems

توجد فى كل دين من الديانات ثلاث مكونات تلبى حاجات الناس الشخصية

والاجتماعية.

١ ـ تفسير لنشأة الخلق، كما نجد ذلك فى كل الديانات السماوية.

٢ ـ قواعد تحكم السلوك، كما نجد فى الوصايا العشر وكما نجد فى القرآن الكريم. ومن شأن هذه القواعد والأحكام دعم النظام الاجتماعى، وتحقيق الضبط الاجتماعى.

٣ ـ رؤية للمستقبل، الموت، والبعث، والحساب، والجنة، والنار.

ومن هنا نجد النظرة الشاملة للدين: تفسير الماضى، وتسيير الحاضر، والتبصرة بالمستقبل.

الخلاصة
Summary

لا يكتفى علماء الاجتماع بتسجيل ما يقوم الناس به من سلوك، وإنما يحاولون استقصاء الأسباب الكامنة وراءه. ومن هذا المنطلق اهتم علماء الاجتماع بوجه عام، وعلماء الاجتماع الدينى بوجه خاص بدراسة الدوافع الكامنة وراء السلوك الدينى. وعمل دوركيم على استقصاء الصور الأولية للحياة الدينية فى المجتمعات البسيطة، ذلك أن الدين وجد منذ نشأة الحياة الانسانية.

وبالاضافة إلى معرفة أسباب السلوك ودوافعه، فإن علماء الاجتماع يحاولون معرفة الوظائف المتعددة للدين. ويذهب «ينجر» إلى أن الدين يتضمن مستويات ثلاثة هى الوعى بوجود الحياة الانسانية واستمرارها والايمان بشعائر ومعتقدات معينة، وبناء اجتماعى.

ومن أهم وظائف الدين إعطاء معنى وقيمة لحياة الانسان، وتحقيق الطمأنينة والسكينة، ومضى الانسان فى الحياة بخطى ثابتة متكلا على الله، ومستعينا به. كما أن الدين ينقذ الانسان من حيرته أمام تساؤلات لا يجد إجابة عنها.

كما أن الدين بما جاء به من بعث وحساب، كان من أهم عوامل الضبط الاجتماعى. ويذهب علماء الاجتماع الوظيفيون الى أن الدين يعمل على حفظ التوازن فى المجتمع، وذلك بما عرض له من كيفية توزيع المصادر الاجتماعية ذات

القيمة، وأن هذا كله عطاء من الله يمنحه لمن يريد من عباده ووفق مشيئته.

وتوجد فى كل دين من الديانات ثلاث مكونات تلبى حاجات الناس الشخصية والاجتماعية، وهى تفسير نشأة الخلق، وقواعد تحكم السلوك، بالاضافة إلى فكرة البعث والحساب والحياة والآخرة.

قـــراءات مقترحـــة

Berger, Peter L. *The Sacred Canopy: Elements of a Sociological Theory of Religion* (New York: Doubleday, Anchor, 1969). An elegantly written examination of the complex relations between religion and society, and the increasingly private nature of belief and faith.

Coser, Rose Laub, and "**Lewis Coser.** Jonestown as a Perverse Utopia," *Dissent,* Spring 1079, pp. 158-163.

Cox, Harvey. *Turning East* (New York: Simon & Schuster, 1977). Insightful examination of the processes and motivations underlying the growth of Eastern and Western fundamentalist cults.

Crysdale, Stewart and **Les Wheatcroft** (eds). *Religion in Canadian Society* (Toronto: Macmillan, 1976). A stimulating set of essays examining religious diversity in Canada.

Durkheim, Emile. *The Elementary Forms of Religious Life* (New York: Free Press, 1965/1912). The classic analysis of the functions of religious beliefs and religious rituals, what they represent, and how they contribute to the integration of the social order.

Malinowski, Bronislaw. *Science, Magic and Religion* (New York: Anchor, 1954). The noted anthropologist analyzes the functions of magic, religion, and science in the South Pacific Trobriand Islanders society.

Shafir, William. *Life in a Religious Community: The Lubavitcher Hassidim in Montreal* (Toronto: Holt, Rinehart & Winston, 1974). An ethnographic and sociological examination of the lifestyles of a community of orthodox Jews in a French-Canadian city.

Webber, Max. *The Protestant Ethic and the Spirit of Capitalism* (New York: Scribner, 1958/1920). Weber's classic and controversial analysis of the importance of secularized Protestantism on the development of capitalist production in the West.

الباب الخامس
قضايا معاصرة

Contemporary Issues

الباب الخامس
قضايا معاصرة

Contemporary Issues

فى الفصول الخمسة التالية التى تشكل الباب الخامس من الكتاب، سنقوم بالقاء الضوء على عدد من القضايا المعاصرة الرئيسية. سنصف فى الفصل السادس عشر التغيرات السكانية، ووضع الرعاية الصحية فى أمريكا الشمالية، وسيعالج الفصل السابع عشر الأنواع المختلفة من السلوك الاجرامى، كما سنعرض أيضا لانحرافات الاحداث. وسيركز الفصل الثامن عشر على نمو المدن والضواحى وتطورها، ونوعية الحياة ومشكلات المدن المعاصرة فى أمريكا الشمالية.

وأما فى الفصلين الأخرين، فسوف نستقصى أصول وعمليات التغير الاجتماعى والسلوك الجمعى والحركات الاجتماعية، وهذا فى الفصل التاسع عشر. وأما مشكلات التغير الاجتماعى والعصرية وتشوف المستقبل فسنعالجها فى الفصل العشرين.

الفصل السادس عشر
السكان والشئون الصحة

Population and Health

الفصل السادس عشر
السكان والشئون الصحة

Population and Health

فى عام ١٩٧٦ كان اثنان من كل خمسة أشخاص فى كل من أفريقيا وأسيا وأمريكا الجنوبية، تقل أعمارهم عن ١٥ سنة. فى حين كانت هذه الفئة فى أمريكا الشمالية تمثل واحدا من كل أربعة أشخاص.

إن كل طفل يولد فى أمريكا الشمالية، يتوقع أن يعيش إلى ما فوق السبعين عاما، فى حين يكون هذا العمر أقل من خمسين عاما فى المتوسط، فى معظم بلدان أفريقيا وآسيا.

وفى القرن التاسع عشر، كان متوسط عدد الأطفال الذين يولدون من أم واحدة، خمسة أطفال، فى حين أنه فى الوقت الحاضر أصبح حوالى طفلين.

وفى عام ١٨٨٠ كان أقل من ٢٪ من عدد سكان العالم يعيشون فى المدن التى تتكون من ١٠٠,٠٠٠ نسمة أو تزيد وفى عام ١٩٦٠ كان هذا العدد ٢٠٪ واليوم نجده حوالى ٤٠٪.

مقدمة Introduction

توضح الأمثلة القليلة السابقة، ما حدث من تغيرات سكانية كبيرة فى القرن الماضى. وفى هذا الفصل سنعرض للتغيرات فى حجم السكان، والتوزيع المكانى (الجغرافى) للسكان، والشئون الصحية، والأمراض. والوفيات فى المجتمعات عبر انتقالها نحو التحديث، بمعنى تحركها من مرحلة اقتصاديات ما قبل الصناعة إلى مرحلة الاقتصاد الصناعى، ثم إلى مرحلة اقتصاديات ما بعد الصناعة. وبالنسبة لمعظم الامريكيين الشماليين، فإن المشكلات السكانية، مشكلات خاصة بالدولة أكثر من كونها مشكلات تتعلق بهم أنفسهم، فهم من جانبهم يحرصون على تنظيم الأسرة،

وذلك بخلاف ما هو حادث فى دول العالم الثالث. وترتبط فرص الحياة المتاحة للأفراد، وكذلك البناء الاجتماعى لأى مجتمع من المجتمعات ينمو السكان وتركيبهم وتوزيعهم، سواء كانت هذه المجتمعات نامية أم آخذة بأسباب النمو، فكل هذه المجتمعات تتأثر بالتغيرات السكانية، التى تؤثر بدورها على البنية الاجتماعية والاقتصادية للمجتمع. ويعرض هذا الفصل لبعض ديناميات التغيرات السكانية وتأثيرها على صحة الناس ونوعية حياتهم.

وكما رأينا فى الفصل الثانى عشر، فإن أى مجتمع يمكن أن يوصف وفقا لنظامه الاقتصادى، بأنه مجتمع ما قبل الصناعة، أو مجتمع صناعى، أو مجتمع ما بعد الصناعة. ففى المجتمع قبل الصناعى، يكون نمط الاعاشة السائد صيد الأسماك، والزراعة، والتعدين، والمجتمع الصناعى هو الذى يستخدم تكنولوجيا الآلات فى إنتاج السلع. وأما مجتمع ما بعد الصناعة، فيتميز بزيادة نمو قطاع الخدمات الذى يتضمن المواصلات، والترويح، والرعاية الصحية، وفرص التعليم، هذا بالاضافة الى ازدهار موارده وتجارته. واذا كان العمل ورأس المال هما البعدين البنائيين الرئيسيين فى الاقتصاديات الصناعية، فإن تطور العلوم، وزيادة المعارف هما العلامتان المميزتان لاقتصاديات ما بعد الصناعة (Bell,1973) وكما سوف نرى فى هذا الفصل، فإن التغيرات فى حجم السكان وتركيبهم وتوزيعهم، ترتبط ارتباطا وثيقا بالتطور الصناعى. والديموجرافيا (مشتقة من الكلمة اليونانية demo التى تعنى السكان) هى دراسة خصائص التغيرات السكانية الانسانية وأنماطها. وقبل أن نعرض لهذه التغيرات، سنحاول أن نتعرف على بعض المصطلحات، والمفاهيم، ومصادر المعلومات الاساسية التى يستخدمها الديموجرافيون.

بعض المفاهيم الديموجرافية الأساسية :

Some Basic Demograpic Concepts

يستخدم الديموجرافيون عادة، نوعين من الأعداد فى وصف السكان:

١ ـ الأعداد المطلقة Absolute numbers

الأعداد الفعالية للناس وللمواليد وللوفيات وللزواج، إلى غير ذلك. فإذا قلنا على سبيل المثال، أن ١٦,٤ مليون كندى يعيشون في المناطق الحضرية، فإننا نصف بذلك خاصية من الخصائص السكانية في كندا بأعداد مطلقة. وبالرغم من فائدة هذه الأعداد المطلقة، فإنها محدودة الاستخدام. فمثلا، إذا قلنا إن تعداد سكان الولايات

المتحدة عشرة أضعاف سكان كندا تقريبا، فإن استخدام الأعداد المطلقة للمقارنة بين سكان الولايات المتحدة وكندا لا يخبرنا بشيء عن أوجه الشبه وأوجه الاختلاف في تركز السكان في المناطق الحضرية مقابل المناطق الريفية في كل من البلدين. من أجل ذلك، غالبا ما يستخدم الديموجرافيون الاعداد النسبية.

٢ ـ الأعداد النسبية **Relative Numbers**

مثال ذلك، النسب المئوية، والمعدلات، والمتوسطات التى تلخص المعارف الاحصائية، والعوامل التى تتحكم فى تباين حجم السكان. وتشتق الأعداد النسبية من الأعداد المطلقة، وهى تفيد بوجه خاص فى المقارنة بين سلوك مجموعة معينة من السكان فى فترتين زمنيتين أو أكثر. أو عندما تقارن بين مجتمعين فى زمن واحد. وفيما يلى سنعرض لبعض المصطلحات الديموجرافية الشائعة الاستخدام.

المصطلحات الديموجرافية الشائعة :

Commonly Used Demographic Terms

١ ـ معدل المواليد Birth rate

عدد المواليد فى فترة زمنية محددة، مقسوما على المجموع الكلى للسكان فى هذه الفترة الزمنية، مضروبا فى ١٫٠٠٠ وذلك كما يلى:

معدل المواليد فى كندا عام ١٩٨١ =

$$\frac{\text{عدد المواليد الكلى فى كندا عام ١٩٨١}}{\text{المجموع الكلى لسكان كندا عام ١٩٨١}} \times ١٫٠٠٠$$

٢ ـ معدل الوفيات Death of Mortality rate

عدد الوفيات فى فترة زمنية معينة مقسوما على العدد الكلى للسكان فى هذه الفترة الزمنية مضروبا فى ١٫٠٠٠ هكذا:

معدل الموفيات فى أمريكا عام ١٩٨١ =

$$\frac{\text{العدد الكلى للوفيات فى امريكا عام ١٩٨١}}{\text{المجموع الكلى لسكان امريكا عام ١٩٨١}} \times ١٫٠٠٠$$

٣ ـ متوسط العمر **Life expectancy**

متوسط طول الفترة التى يعيشها الفرد منذ مولده.

٤ ـ الزيادة الطبيعة **Natural increase**

معدل المواليد مطروحا منه معدل الوفيات.

٥ ـ معدل الخصوبة **Fertelity rate**

عدد المواليد الأحياء فى فترة زمنية معينه، مقسوما على عدد النساء اللائى تتراوح أعمارهن بين ١٥ و ٤٩ سنة (وهى السنوات التى يغلب فيها حدوث الحمل) مضروبا فى ١٫٠٠٠ هكذا:

معدل الخصوبة فى كندا عام عام ١٩٨١ =

عدد المواليد الأحياء فى كندا عام ١٩٨١ ×
―――――――――――――――
١٫٠٠٠ عدد النساء الكنديات اللائى أعمارهن بين ١٥ ـ ٤٩ عام ١٩٨١

ويعد معدل الخصوبة مقياسا أدق للمواليد، من معدل المواليد الذى يقوم على المجموع الكلى للسكان من رجال ونساء، فى حين يقوم معدل الخصوبة على عدد النساء اللائى يحتمل أن ينجبن.

معدل وفيات الرضع **Infant mortality rate**

عدد المتوفين من الأطفال الذين يقل عمرهم عن عام، فى فترة زمنية معينة، مقسوما على عدد الأطفال الذين يولدون أحياء فى نفس الفترة الزمنية مضروبا فى ١٫٠٠٠ هكذا:

معدل وفيات الرضع فى أمريكا عام ١٩٨١ =

عدد المتوفين أقل من عام فى أمريكا عام ١٩٨١ × ١٫٠٠٠
―――――――――――――――
عدد المواليد الأحياء فى أمريكا عام ١٩٨١

وينظر إلى معدل وفيات الرضع كمؤشر حساس لمدى الرعاية الصحية، والتطور الاقتصادى، وهو مهم أيضا فى تحديد متوسط الأعمار.

٧ ـ الهجـــرة Migration

حركـة السكان : ١ ـ الى منطقة جغرافية معينة، أو الى دولة أو دول معينة كالهجرة الى الولايات المتحدة أو كندا أو استراليا. immigration ٢ ـ حركة السكان فى منطقة جغرافية معينة أو من دولة معينة الى دولة أو دول أخرى emigration كالهجرة من أوربا أو من انجلترا أو من آسيا أو من الصين الى أمريكا أو الهجرة من لبنـان إلى دول أخـرى. وتعد الهجرة متغيرا هاما فى تعداد السكان، وفى تركيبهم من حيث العمر، والجنس لأن الغالبية العظمى من المهاجرين تكون من الذكور ومن الشباب.

صافى الهجـــرة Net Migration

الفرق بين الهجرة إلى الدولة والهجرة من الدولة خلال فترة زمنية معينة.

٩ ـ نمو السكـــان Population growth

مجموع الزيادة الطبيعية (المواليد ـ الوفيات) بالاضافة إلى صافى الهجرة.

١٠ ـ التحول الديموجرافى Demographic transition

التغـيرات التى تحدث فى الخصائص السكانية من معدلات مواليد ووفيات مرتفعة، إلى معدلات مواليد مرتفعة ومعدلات وفيات منخفضة، ثم إلى معدلات مواليد ووفيات منخفضة، إلى أن تصل إلى الثبات السكانى، الذى يكون فيه نمو السكان صفرا. وهـذا التحول السكانى مصاحب للسير فى طريق التحديث والعصرية.

مصادر المعارف العلمية التى يستخدمها الديموجرافيون:
Sources Of Data Used By Demographers

الاحصاءات السكانيـــة Census

تعد الرغبة فى إحصاء عدد السكان الذين يولدون، والذين يموتون، أو عدد السكان المقيمين فى منطقة جغرافية معينة، رغبة قديمة جدا. ونحن لا نعرف متى بدأ إجراء أول احصاءات سكانية، فالاغريق، والرومان، وقدماء المصريين، كلهم جمعوا معلومات عن سكان بلادهم، وغالبا ما كان ذلك لتعبئة الجيوش وجباية الضرائب. ويشمل تعداد السكان مسح شامل لمجموع السكان فى وقت

معين، كما أنه يتيح معارف عن كل شخص فى منطقة معينة.

ويتم إحصاء السكان اليوم فى الولايات المتحدة وكندا كل عشر سنوات بحكم القانون. وقد أجرى أول احصاء للسكان فى الولايات المتحدة عام ١٧٩٠ وأجرى أقرب احصاء عام ١٩٨٠. وأما فى كندا فقد أجرى أول احصاء عام ١٨٥١ مع بعض المسوح المحدودة كل خمس سنوات. وبالرغم من أن القانون فى كل من البلدين يحتم على كل شخص ملء استمارة الاحصاء، فإنه من المألوف حدوث أخطاء ترجع إلى عديد من الاسباب، أهمها أن بعض الأفراد يجدون صعوبة شديدة فى الاجابة عن الأسئلة، ويحرص بعض الافراد على خصوصياتهم، بالرغم من ضمان سريتها. وكذلك فإن البعض وخاصة الفقراء جدا، وكذلك عدد من أعضـاء جماعات الاقليات، لا يقيمون فى مكان واحد، بل هم دائمو التنقل والترحال، ومن ثم يصعب أحصاؤهم، ويقدر الخبراء نسبة الاخطاء فى أحصاءات كل من البلدين بحوالى ٣٪، أى أن الاحصاءات صحيحة بنسبة ٩٧٪. وذلك بخـلاف الاحصـاءات فى البلاد النامية، حيث يصعب إقامة الناس فى مكان واحد، وحيث ترتفع نسبة الأمية. هذا بالاضافة إلى إمكانية تدخل عوامل قبلية أو عرقية أو سلالية أو دينية، أو محاولات تضخيم فى عدد السكان الخ ومن هنا كانت احصاءات السكان فيها أقل دقة بكثير.

وتعكس المعلومات التى تجمع فى إحصاءات السكان، مستوى تعقد المجتمع والقيم السائدة فيه، كما أنها تعكس أيضا الأغراض التى سوف تستخدم فيها. ففى احصاءات عام ١٧٩٠ كانت الاسئلة قليلة، وظهرت نتائج الاحصاءات فى الحال. وعلقت نماذج من الاستمارات على جدران المحال والمستودعات ليتأكد كل مواطن من أن استمارته خالية من الأخطاء. وكانت الاستمارة تتضمن خمسة أسئلة: عدد الرجال الاحرار البيض الذين يبلغ عمرهم ١٦ سنة أو أكثر، وعدد النساء البيض الأحرار، وعدد الذكور البيض الاحرار الذين هم أقل من ١٦ سنة، وعدد الأشخاص غير البيض الأحرار، وأخيرا، عدد العبيد. وتعطى هذه المعلومات البسيطة مؤشرا عن عدد الذين يمكن أن يدلوا بأصواتهم فى الانتخابات، وعدد من ليس لهم حق الاقتراع على أساس العرق، والجنس، والعمر. وفى إحصاء عام ١٨٩٠ لم يزدد تعقـد الأسئلة فقط، ولكنـه عكس أيضا الاهتمام القومى بالنواحى الاخلاقية، والملامح الجسمية، والنواحى الصحية للسكان. فقد تضمن

هذا الاحصاء أسئلة عن التسول، والدعارة، والأمراض التناسلية، وإدمان الخمر. كما تضمن أسئلة عن حجم الرأس (كبيرة - متوسطة - صغيرة) وكذلك أسئلة عن التخلف العقلى، سواء بالنسبة للشخص نفسه أو بالنسبة لأى فرد فى بيته. وأما إحصاء ١٩٨٠ فقد ركز على معلومات ذات فائدة عملية للحكومة، كما ركز على الاسكان، وحجم العائلة، ومعلومات أخرى تتناول كيفية المعيشة.

وفيما يلى بعض الاستخدامات الحالية للمعارف المستمدة من الاحصاءات فى الولايات المتحدة:

١ - تحديد أعداد اعضاء الكونجرس ذلك أن الدستور يحدد عدد المقاعد فى المجالس النيابية على حسب تعداد كل ولاية. ومن هنا، فإن التعداد يحدد عدد المقاعد التى ستكسبها أو التى ستخسرها كل ولاية.

٢ - تحديد عدد الدوائر الانتخابية فى مجالس الولاية النيابية، اذ أن اعداد الدوائر يتوقف أيضا على عدد سكان كل ولاية.

٣ - برامج المساعدة الفيدرالية:
تتضمن ميزانية كل ولاية جزءاً كبيرا من المساعدات الفيدرالية، وتوزع هذه المساعدات على أساس عدد سكان كل ولاية. مثال ذلك المساعدات المخصصة لتنمية المجتمع المحلى، والرعاية الصحية والشئون التعليمية، وإنشاء الطرق السريعة أو التدريب المهنى، وتغذية الطلاب والتنمية الاقتصادية.

٤ - بعض الحقائق السكانية :
تتضمن كل استمارة احصائية للسكان، معلومات هامة لرسم ملامح المجتمع المحلى تتضمن: العمر، والعرق، والجنس، والحالة الزواجية، والمستوى التعليمى، والخلفية السلالية، والحالة الوظيفية، والدخل . . . الخ.

٥ - حقائق تتعلق بالاسكان :
تتضمن الاستمارة أيضا معلومات عن الاسكان مثل: عدد غرف المسكن، ونوع الاجهزة المستخدمة للطهى والتدفئة، ونوع الوقود المستخدم، قيمة البيت، أو القيمة الايجارية.

٦ - المساعدة على التخطيط :
بدون معلومات واضحة، لا يمكن للحكومة أن تتخذ قراراتها والسير فى

خططها، وكذلك لن يتاح لقطاع العمل الخاص أن يمضى فى تنفيذ خططه. وتتيح الاحصاءات للحكومة، والمحليات، والقطاع الخاص، معرفة الاحتياجات للاعوام القادمة.

المسح بالعينة Sample Survey

يستخدم فى كل من الولايات المتحدة وكندا المسح بالعينة أو المسح الصغير، ويقوم على مجموعة صغيرة ولكنها عينة ممثلة للدولة أو لمنطقة معينة، وهى تتيح معلومات حديثة لا يمكن الانتظار حتى الاحصاء التالى للحصول عليها، وميزة هذه الطريقة من المسح إعطاء معلومات مناسبة بتكلفة بسيطة، وفى فترة زمنية وجيزة. على سبيل المثال، تجمع كل شهر معلومات عن البطالة على أساس بيت واحد من كل ٥٠٠٠٠ بيت تقريبا.

احصائيات حيوية Vital Statistics

الاحصاءات الحيوية هى سجلات المواليد، والوفيات، والزواج، والطلاق، وغير ذلك من أحداث هامة تسجل كما تحدث. وكان يحتفظ بهذه الوثائق فى الماضى فى الكنائس، فى كل بلدان أوربا وذلك منذ القرن الحادى عشر ولكن منذ النصف الأخير من القرن التاسع عشر، بدأت معظم دول أوربا الغربية فى إنشاء سجل مدنى (حكومى) تسجل فيه هذه الاحداث، بالرغم من عدم إنكار أهمية ما أمدتنا به الكنائس من معلومات بصدد هذه الاحداث طوال القرون الماضية. وتجمع هذه الاحصائيات الحيوية فى كل من أمريكا وكندا، على مستوى الولاية والمقاطعات، وتلخص على المستوى الفيدرالى، وتتباين الولايات من حيث دقة ما تعطية من بيانات وخاصة فيها يتعلق بالزواج والطلاق.

احصاءات عن حركة الهجرة Migration Statistics

مصدر آخر من المصادر التى يستخدمها الديموجرافيون. وتحتفظ بعض الدول بسجلات دقيقة عن كل من الهجرة الداخلية، والهجرة الخارجية. فمثلا الولايات المتحدة وكندا، تحتفظ بسجلات دقيقة ووافية عن الذين هاجروا إليهما. وتفيد هذه المعارف فى تحديد التغيرات التى تطرأ على الخصائص السكانية، هذا بالاضافة إلى معرفة صافى الهجرة، أى معرفة الزيادة أو النقص على المستوى القومى.

النمــو السكانــى
The Growth of Populations

تصاحب عملية تحديث المجتمعات الانسانية، تغيرات كبيرة فى العمليات السكانية، والمعانى الاجتماعية للاحصاءات السكانية، وهذا ما تعنى الديموجرافيا بدراسته. ومنذ ما يقرب من ١٠٫٠٠٠ سنة، عندما كان الناس يشتغلون بالصيد والجمع، لم يكن عدد سكان العالم كله يزيد عن ١٠ مليون نسمة على الأرجح. فى حين أن عدد سكان العالم عام ١٩٨٠ بلغ حوالى ٤٫٥ بليون نسمة، مع معدل زيادة حوالى ٧٤ مليون نسمة كل عام. وأن ما يهم الديموجرافيون وعلماء الاجتماع اليوم، أن هذا النمو السكانى سوف يشكل ضغطا هائلا على الموارد الطبيعية وعلى البيئة الفيزيقية، وعلى النسيج الاجتماعى للمجتمع.

ويلخص الجدول الآتى النمو السكانى فى العالم ومعدلات الزيادة.

جدول يبين النمو التقديرى لسكان العالم ونمط الانتاج

السنوات التى مضت	عدد السكان تقديريا	نمط الانتاج الرئيسي
مليون سنة	١٢٥٫٠٠٠	الصيد والجمع.
١٠٫٠٠٠ سنة	١٠ مليون	الزراعة البسيطة.
٥٫٠٠٠ سنة	٨٥ مليون	الزراعة والتجارة.
٢٫٠٠٠ سنة	٢٢٥ مليون	الزراعة والتجارة والصناعة اليدوية
٣٣٠ سنة	٥٤٥ مليون	بداية الثورة الصناعية.
٢٣٠ سنة	٧٢٨ مليون	الصناعة والتجارة.
١٨٠ سنة	واحد بليون	الثورة الصناعية الثانية.
الآن	أربعة بليون	الصناعة وما بعد الصناعة.

المصدر : E.S. Devey : "The Human Population"
Scientific Americans CCII1 (1960) P. 196.

كيف حدث هذا التغير؟ كما يوحى الجدول السابق، فإن حجم السكان يرتبط ارتباطا وثيقا بإمكانية إنتاج الطعام وبمستوى التكنولوجيا السائد فى المجتمع. فإن الانتقال من مرحلة جمع الطعام والصيد إلى مرحلة إنتاج الطعام يعنى إمكانية إعاشة عدد أكبر من الناس، ولكن نمو سكان العالم خلال فترة الزراعية الأساسية منذ ١٠،٠٠٠ سنة أو تزيد، كان قليلا، ولم تحدث الزيادة الكبيرة فى سكان العالم إلا منذ مائتى عام فقط، أى منذ بداية الثورة الصناعية.

ويحدث النمو السكانى عن طريق: زيادة المواليد عن الوفيات. وخلال معظم فترات التاريخ الانسانى كان عدد المواليد مرتفعا، ولكن كان عدد الوفيات أيضا مرتفعا. فكأن المسئول عن التحول الديموجرافى الذى يطبع المجتمعات الحديثة، هو انخفاض معدلات الوفيات.

التحول الديموجرافى The Demographic Transition

حدث التحول الديموجرافى نتيجة المعدلات المنخفضة للوفيات، الذى أدى بدوره إلى زيادة السكان فى العالم، فمعدلات الوفيات المنخفضة تعنى مزيدا من النمو السكانى لسببين. السبب الأول، أن الناس الذين سوف يستبعدون من عدد السكان بالموت سوف يقل. والسبب الثانى، أن عدد المواليد سوف يزداد، لأن اعدادا أكبر من الراشدين سوف يعيشون وينجبون. وإن النقص الفجائى فى معدلات الوفيات الذى حدث فى أوربا الغربية والذى بدأ منذ عام ١٦٥٠ واستمر فى التناقص خلال القرن الثامن عشر والتاسع عشر، كان نتيجة عدة تغيرات إجتماعية وإقتصادية من بينها:

١ - تطوير تقنيات الزراعة، وزيادة الموارد الغذائية، الأمر الذى قلل من أخطار المجاعة، أو استبعاد شبحها.

٢ - تحسين التغذية، الأمر الذى ساعد على مقاومة الأمراض المعدية.

٣ - تحسين الظروف المعيشية نتيجة لزيادة الدخول التى صاحبت الثورة الصناعية.

٤ - الاسكان الأفضل الذى ساعد على دخول الهواء والشمس، ووجود دورات مياه داخل البيوت، بدلا من وجودها فى الخارج، كما كان يحدث فى الماضى.

ولقـد ارتبط انخفـاض الـوفيات، وهو الطابع الذى ميز المرحلة الأولى من التحول الديموجرافى، بارتفاع معدلات المواليد، وكان السبب فى الزيادة السكانية.

مرت عقود طويلة قبل أن تأخذ معدلات المواليد فى الانخفاض، وذلك بعدما أيقن الوالدان أن معظم ذريتهم سيعيش فترة الرضاعة والطفولة، ومن ثم فلا داعى للحمـل وإنجـاب عدد أكبر مما يرغبون فيه. وظهر الاتجاه نحو خفض معدلات المواليد بوجه خاص لدى الأزواج الحضريين، الذين أدركوا أن القدر الكبيـر من الأطفال سيقف عقبة أمام حراكهم الاجتماعى، وأمام تحسين ظروفهم المعيشية، وذلك على خلاف المزارعين، الذين يعيشون على الاقتصاد الزراعى التقليدى. وعندما تنخفض معدلات المواليد مع انخفاض معدلات الوفيات، فلن تحدث زيادة طبيعية فى عدد السكان، كما نجد ذلك فى السويد على سبيل المثال.

ففى السويد، كانت معدلات المواليد والوفيات مرتفعة حتى نهاية القرن الثامن عشر. ففى حين كانت أغلبية النساء المتزوجات ينجبن عددا كبيرا من الأطفال، فقد كان موت الأطفال الرضع، وكذلك موت النساء أثناء الوضع أمرا شائعا. وفى بداية القرن التاسع عشر، بدأ معدل الوفيات يتناقص تدريجيا، تبعه بعد مدة تنـاقص تدريجى فى معـدل المواليد، وفى الثلاثينات من هذا القرن، أصبحت معدلات المواليد ومعدلات الوفيات منخفضة، وبعد الحرب العالمية الثانية، وخلال الفترة من ١٩٤٥ الى ١٩٦٥ استمرت المعدلات فى الانخفاض. والآن أصبح عدد سكان السويد ثابتا، عدد المواليد مثل الوفيات، وإذا استمر على هذا النحو عدة عقود فسوف يكون النمو السكانى صفرا.

Zero population growth

وقد حدثت ظروف شبيهة بذلك فى الولايات المتحدة وبعض مقاطعات كندا. ففى عام ١٩٧٦ انخفض معدل الخصوبة فى كل من البلدين إلى ١ر٢ طفل بالنسبة لكل امرأة. أى المعدل الذى يُحِلّ فيه الوالدان اثنين محلهما (وأما الزيادة المتمثلة فى ١ر٠ فيحللها الديموجرافيون بأن بعض الأطفال يموتون قبل أن يصلوا إلى سن الانجاب، كما أن بعض من يعيشون لا ينجبون).

وتتباين خصائص التحول الديموجرافى تباينا مختلفا تماما فى المناطق الأقل أخذا

بالتصنيع فى أنحاء العالم المختلفة. فقد أدخلت هذه الدول برامج الصحة العامة، وأخذت التكنولوجيا الطبية من الدول المتقدمة، فانخفضت معدلات الوفيات فيها انخفاضا كبيرا خلال عقود، وليس خلال قرون، وأصبحت الدول النامية تعانى من نمو سكانى غير متوازن، فقد استمرت معدلات المواليد المرتفعة، فى حين انخفضت معدلات وفيات الرضع والوفيات بشكل عام، الأمر الذى شكل عبئا كبيرا على التنمية فى الدول النامية لمواجهة حاجاتها المتزايدة من الغذاء، والتعليم والاسكان، والتوظيف والخدمات العامة.

مالتس ودالة النمو السكانى :

Maltus and Expontial population Growth

يطلق أحيانا على مرحلة معدلات المواليد المرتفعة ومعدلات الوفيات المنخفضة اسم «المرحلة المالتسية» نسبة إلى رجل الدين، والديموجرافى، والمصلح الاجتماعى البريطانى «توماس مالتس Thomas Malthus » (١٧٦٦ - ١٨٣٤) ذهب «مالتس» إلى أنه توجد علاقة وثيقة بين عدد الناس وكمية الغذاء المتاحة. فقد لاحظ معدلات المواليد المرتفعة فى بريطانيا فى نهاية القرن الثامن عشر. وتنبأ «مالتس» بأن عدد الناس سوف يتجاوز الموارد الغذائية المتاحة، لأن عدد الناس يزداد وفق متوالية هندسية geometric progression فيضاعف نفسه كل خمسة وعشرين عاما، فى حين أن الانتاج الزراعى يزداد وفق متوالية حسابية arithmetic progresion فيزداد بمقدار ثابت كل خمسة وعشرين عاما. وبهذا تنبأ «مالتس» بمسيرة النمو السكانى، فالدولة التى تعدادها مليون نسمة، سوف يصل عددها إلى مليونين خلال خمسة وعشرين عاما، وإلى أربعة ملايين خلال خمسين عاما، وثمانية ملايين بعد ٧٥ عاما، وهكذا حتى يصل إلى ١٫٠٠٠ مليون بعد ٥٠٠ عام. هذا فى حين أن الغذاء سوف يزداد بقدر الكمية المنتجة حاليا كل خمسة وعشرين عاما، أى أنه بعد ٥٠٠ عام لن يزيد أكثر من عشرين مرة أكثر مما هو عليه فى الوقت الحاضر. أى أنه فى حين سيزداد السكان مليون ضعف، فإن انتاج الغذاء لن يزداد سوى عشرين ضعفا. وتسمى الزيادة الهندسية للسكان «الدالة الأساسية للنمو expontial growth ».

ويقترح «مالتس» الأخذ ببعض الموانع الإيجابية التى توقف هذا التزايد

السكانى المدمر، ولما كان «مالتس» من المعارضين لوسائل منع الحمل، فقد اقترح حلولا مثلا الرهبنة (عدم الزواج) وتأخير سن الزواج، وإلا فإن الكوارث الطبيعية، والحروب، والمجاعات، والأوبئة، وسوء التغذية سوف تحد من هذا التزايد بالموت.

وفى حين كان تنبؤ «مالتس» صحيحا فيما يتعلق بزيادة النمو السكانى بهذا المعدل السريع، إلا أنه أغفل أن التطور التكنولوجى سوف يجعل الانتاج الزراعى يزيد زيادة أكبر بكثير جدا مما تنبأ به، كما أنه لم يدرك أن الزوجين يمكن أن يحددا طواعية حجم اسرتيهما بوسائل أخرى غير الحرمان الجنسى. ومع هذا، فإنه يمكن القول، إن الاهتمام بالنمو السكانى السريع وتأثيره على الزراعة، والمصادر الطبيعية ونوعية الحياة وغيرها من الأمور التى ذكرها «مالتس» سوف تظل من أهم قضايا الساعة.

النمو السكانى فى أمريكا الشمالية :

Growth Of The Population In North America

فى عام ١٦١٠ لم يكن مجموع سكان الولايات المتحدة يتجاوز فى الغالب بضع مئات من الألوف. وفى عام ١٩٨١ كان عدد سكان كندا يقدر بحوالى ٢٤ مليون نسمة ـ بزيادة ٢٫٤ مليون نسمة منذ عام ١٩٧١ وطبقا لتقديرات عام ١٩٨١ يبلغ عدد سكان الولايات المتحدة ما يقرب من ٢٢٩ مليون نسمة ـ بزيادة ١٤٫٥ مليون نسمة عن عام ١٩٧٠. وكان هناك مصدران مهمان لزيادة السكان:

١ ـ زيادة عدد المواليد عن عدد الوفيات (صافى الزيادة).
٢ ـ زيادة الهجرة الوافدة عن الهجرة إلى الخارج (صافى الهجرة).

(Population reference Bureau, 1981)

وفى حين كان عدد سكان الولايات المتحدة عام ١٧٩٠ لا يتجاوز ٤٫٥ مليون نسمة، نجده قد تضاعف بحلول عام ١٨١٠. وفى عام ١٩٠٠ أصبح عدد سكان الولايات المتحدة ٧٦ مليون نسمة تقريبا. وقد حدثت معظم هذه الزيادة إبان القرن التاسع عشر. وكانت الهجرة هى السبب الرئيسى فى هذه الزيادة. فقد هاجر الى الولايات المتحدة حوالى ٢٢٫٧ مليون نسمة منذ عام ١٨٢٠ حتى

عام ١٩٠٠.

وفى كندا حدثت معظم هذه الزيادة فى الخمس والسبعين عاما الاخيرة. وفى حين أن جزءاً من هذه الزيادة حدث نتيجة ضم مقاطعة «نيوفوندلاند» الى كندا عام ١٩٤٩ فإن مظم الزيادة حدثت نتيجة الزيادة المستمرة فى معدلات المواليد المرتفعة، وخاصة فى مقاطعة «كوبيك» والتى قلت اليوم وأصبح مثلها مثل بقية المقاطعات فى انخفاض معدل المواليد. وكذلك كانت الهجرة الى كندا من عوامل زيادة السكان فيها.

ولطبيعة البلدين الشاسعة، فقد توزع السكان فى أرجائهما الفسيحة، استجابة لنمط الانتاج الأساسى وهو الزراعة، ومع بداية التصنيع بدأ السكان ينتقلون من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية. ويوضح الجدول الآتى التحول من الاقتصاد الزراعى، والسابق على الصناعة، الى الاقتصاد الصناعى فى كل من البلدين.

جدول يبين التحول السكانى من الريف الى الحضر فى كل من الولايات المتحدة وكندا من عام ١٩١٠ - ١١ الى عام ١٩٨٠ - ٨١ (٪ حضرى)

العـــــام		الولايات المتحدة	كنـــــدا
١٩١٠	١١	٤٥٫٦	٤٥٫٤
١٩٢٠	٢١	٥١٫٢	٤٩٫٥
١٩٣٠	٣١	٥٦٫١	٥٣٫٦
١٩٤٠	٤١	٥٦٫٥	٥٤٫٣
١٩٥٠	٥١	٦٤٫٠	٦١٫٦
١٩٦٠	٦١	٦٩٫٩	٦٩٫٦
١٩٧٠	٧١	٧٣٫٥	٧٦٫١
١٩٨٠	٨١	٧٤٫٠ (تقديرية)	٧١٫٠ (تقديرية)

المصدر : Overbeck,1980 - Reference Bureau.

ويرتبط التحضر فى الولايات المتحدة وكندا، وكذلك فى غيرهما من الدول، ارتباطا وثيقا بعملية التحديث. ويذهب «بل ١٩٧٣ Bell » «وشيروت ١٩٧٧ Chirot » الى أن المجتمع الكندى يعد مجتمعا صناعيا فى حين أن المجتمع الأمريكى يعد فى مرحلة ما بعد الصناعة.

تقديرات النمو المستقبلى : المسيرة السكانية :
Estimates of Future Growth: Population Projections

المسيرة السكانية تقديرات لمستقبل النمو السكانى للدولة أو الولاية أو أى منطقة جغرافية أخرى. فالديموجرافيون يتنبأون بمستقبل النمط السكانى على أساس معدلات المواليد، والوفيات، وصافى الهجرة. وتختلف هذه التقديرات المستقبلية بطبيعة الحال، باختلاف الفروض التى وضعت للاتجاهات المستقبلية لهذه الأبعاد الثلاثة.

عناصر التغير السكانى Component of Population Change

تشكل المواليد، والوفيات، والهجرة القواعد الأساسية التى يقوم عليها التغير السكانى. ويستخدم كل عنصر من هذه العناصر لقياس، حجم السكان ومقارنته، وقد تغير كل عنصر تغيرا جذريا فى جميع دول العالم إبان القرون القليلة الماضية.

معدلات الوفيات Mortality Rates

بالرغم من أن كل كائن حى سوف يموت عاجلا أو آجلا، فإن التكرار فى عدد الوفيات فى مرحلة عمرية معينة، وكذلك متوسط احتمال استمرار الحياة لعدد معين من السنوات، يرتبط ارتباطا وثيقا بالتحول الديموجرافى.

متوسط الأعمار Life Expectancy

يقصد بمتوسط الأعمار، متوسط طول فترة الحياة المتوقع أن يعيشها الفرد عند مولده. وكان متوسط الأعمار فى أوربا قصيرا قبل عام ١٧٥٠ كان المتوسط حوالى ٣٠ عاما. وهو رقم لا يختلف كثيرا عن متوسط العمر منذ مولد الفرد لدى

الرومانيين القدماء منذ ما يقرب من ٢٠٠٠٠ر٢٠ عام. وكانت معدلات الوفيات المرتفعة نتيجة أحداث مثل الحروب، والأمراض والأوبئة، والمجاعات. والواقع، أن نقص الغذاء كان أمرا شائعا فى كل من أوربا وآسيا. ففى الأربعينيات من القرن التاسع عشر، أدى التناقص المستمر فى المحاصيل الزراعية فى أيرلندا إلى حدوث مجاعـة، وبـدأت الهجرة على نطاق واسع من هذا البلد. ويؤدى سوء التغـذية إلى الضعف، وعدم القدرة على مقاومة الأمراض المعدية، وقد عانت الشعوب الأوربية منها معاناة شديدة فى الماضى. وخلال القرن التاسع عشر، كان الموت شيئا عاديا فى حياة الناس، ويمكن أن يحدث فى أى عمر، وأما اليوم، فإن الموت فى مراحل العمر الأولى ومرحلة الشباب، يعد ظاهرة غير عادية فى الدول الصناعية، والدول التى فى مرحلة ما بعد الصناعية، والتى غالبا ما يرتبط المـوت فيهـا بتقـدم العمـر. ففى عام ١٩٠٠ على سبيل المثال، لم يعش من الأمـريكيين حتى سن ٦٥ سوى ٤٢٪ من مجمـوع السكـان. وفى عام ١٧٣ ارتفعت هذه النسبة الى ٧٣٪ وأما فى عام ١٩٨٠ فقد بلغت ٧٤ عاما فى كل من الـولايات المتحدة وكندا. ويرجع ذلك أكثر ما يرجع إلى انخفاض معدل وفيات الرضع.

وأمـا فى الـدول النـامية، فإنـه بالـرغم من بعض الانخفاض فى معدلات الوفيات، فإن متوسط الأعمار ظل منخفضا نسبيا كما يتضح من الجدول الآتى:

جدول يبين متوسط الاعمار والوفيات بين الرضع ودخل الفرد لبعض الدول عام ١٩٨١

الــدولـــة	معدل وفيات الرضع (لكل ۱۰٫۰۰۰ من المواليد الأحياء)	متوسط العمر منذ المولد	دخل الفرد من الناتج القومـي
الدول الصناعية :			
كنــدا	١٢	٧٤ عاما	٩٫٦٥٠ دولارا
الولايات المتحدة	١٣	٧٤ عاما	١٠٫٨٢٠ دولارا
المملكة المتحدة	١٣	٧٤ عاما	٦٫٣٤٠ دولارا
السويـــــد	٧	٧٥ عاما	١١٫٩٢٠ دولارا
المانيا الغربية	١٥	٧٢ عاما	١١٫٧٣٠ دولارا
الاراضى الواطئة	٨	٧٥ عاما	١٠٫٣٤٠ دولارا
الدول النامية :			
نيجيريـــا	١٥٧	٤٨ عاما	٠٫٦٧٠ دولارا
زامبيـــا	١٤٤	٤٨ عاما	٠٫٥١٠ دولارا
تشــــاد	١٩٠	٤٤ عاما	٠٫١١٠ دولارا
المملكة العربية السعودية	١١٨	٤٨ عاما	٧٫٣٧٠ دولارا
ايـــــران	١١٢	٥٨ عاما	٢٫١٨٠ (عام ١٩٧٩)
الهنـــد	١٣٤	٥٢ عاما	٠٫١٩٠ دولارا
باكستـــان	١٤٢	٥٢ عاما	٠٫٢٧٠ دولارا
جمهورية الصين الشعبية	٥٦	٦٨ عاما	٠٫٢٣٠ دولارا

المصدر Abridged from 1981 World Population Data Sheet of the Population Reference bureau, Inc.

لماذا يوجد مثل هذا التباين الملحوظ فى كل من متوسط الأعمار منذ المولد، ومعدل الوفيات بين الأطفال الرضع (وهو بطبيعة الحال عامل له دلالة فى تحديد

متوسط الأعمار) بين الدول الصناعية والدول النامية؟

أسباب الموت Causes of Death

الأعمار بطبيعة الحال، بيد الله سبحانه وتعالى، واذا جاء أجلهم لا يستقدمون ساعة ولا يستأخرون، ولكن الله جلت قدرته جعل لكل شيء سببا، وهو سبحانه خالق الأسباب وخالق النتائج.

إن العامل الأساسى فى تباين معدلات الوفيات هو الاختلاف فى أسباب الموت. ففى الدول الصناعية حدث انخفاض كبير جدا فى الوفيات فى جميع الأعمار، والتى كانت تحدث فى الماضى بسبب أمراض مثل الاسهال أو الجفاف، والسل، والانفلونزا، والجدرى، والتيفويد. وأما اليوم، فإن معظم الوفيات بسبب التأخر فى تشخيص أمراض القلب أو السرطان، وكذلك بسبب بعض الأمراض المزمنة. وتعد أمراض القلب، والسرطان، أهم الأسباب المؤدية إلى الموت فى كل من الولايات المتحدة وكندا، وغالبا ما تصيب كبار السن. وعلى العكس من ذلك، فإن معظم أسباب الموت فى الدول التى على أول طريق التحديث، تشبه الأمراض التى كانت تؤدى إلى الموت فى كل من الولايات المتحدة وكندا منذ قرن تقريبا. ففى إيران مثلا، نجد أن أهم الأسباب المفضية إلى الموت الأمراض المعدية والأمراض التى تنشأ عن الطفيليات، وأمراض الجهاز التنفسى، مثل الالتهابات الرئوية، والنزلات الشعبية، والدرن، وكذلك بعض الأمراض غير المحددة فى فترة الرضاعة. (Overbeek,1980)

وإن انخفاض حدوث الأمراض الحادة والمعدية باعتبارها سببا أساسيا للوفاة فى الدول الحديثة، يرتبط ارتباطا وثيقا بزيادة الدخل، وارتفاع مستوى المعيشة، بالاضافة إلى التغذية الجيدة، وما حدث من تطور فى الرعاية الصحية. وقد لعبت التقنيات الطبية أيضا دورا هاما، بالرغم من أنه توجد ثمة أدلة على أن إستخدام علاجات طبية مثل المضادات الحيوية، والتطعيم ضد الامراض المختلفة لم يكن له تأثير كبير فى انخفاض نسبة الامراض المعدية فى البلاد التى بدأت تأخذ بالتصنيع فى بداية القرن العشرين، وقد توجد أسباب أخرى لذلك، فإن هذه الأمراض المعدية انخفضت بمعدلات سريعة جدا فى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية قبل أدخال هذه التقنيات الطبية الحديثة (Mckinley and Mckinleg,1977)

بالرغم من اختلاف ظروف هذه الدول عن الظروف التى تمر بها دول العالم الثالث اليوم.

الطبقة الاجتماعية Social Class

العامل الآخر المرتبط بالوفيات، هو الطبقة الاجتماعية إذ يتأثر متوسط العمر بمتغيرات مثل الدخل، والتعليم. فعلى سبيل المثال، نجد فى الولايات المتحدة، أن معدل الوفيات بين العائلات التى يقل دخل العائلة فيها عن ٣٫٠٠٠ دولار فى العام والتى لم يحظ رب العائلة فيها إلا بثمان سنوات من التعليم النظامى، يزيد بمقدار ١٤٠٪ عن المتوسط القومى. ونجد الأمر على هذا النحو أيضا فى كندا. وإن الدراسات التى أجريت على الامريكيين الأصليين (الهنود) فى كل من البلدين، لتظهر أنه توجد علاقة بين المكانة الاجتماعية ـ الاقتصادية، وبين متوسط العمر، ففى السهول تكون الوفيات بين الرضع ضعفها بين عموم السكان. فالناس يعيشون فى هذه المناطق فى بيوت مزدحمة، ويشرب معظمهم مياها غير نقية.

إن انعدام المساواة فى الثروة، والسلطة، والهيبة يؤدى إلى تباين توزيع الوفيات بين الرضع، وكذلك متوسط الأعمار. فنجد فى إيران على سبيل المثال، عددا كبيرا من الناس الفقراء، وطبقة وسطى، وعددا قليلا جدا من الأغنياء. ويعيش فى عزلة عن الظروف التى تطحن هؤلاء المدقعى الفقر فى هذا البلد. وعندما يؤخذ المتوسط القومى، كما فى الجدول السابق، نجد أنه يوجد عدد من الناس الأثرياء والميسورى الحال، يحجبون النسبة الحقيقية للفقراء، وفى بلاد مثل تشاد، حيث الغالبية العظمى من السكان مدقعو الفقر، وتنشر بينهم الأمراض والقحط، فالنتيجة أكثر وضوحا: وهى أن الناس يموتون بمعدلات أسرع نسبيا.

نخلص مما سبق إلى القول، بأنه بالرغم من أن متوسط العمر قد ارتفع فى معظم بلدان العالم، فإننا نجد ذلك أكثر وضوحا فى الدول الصناعية الحديثة. كما نجد أن تلك الدول التى مازالت فى مرحلة التحول من نمط الاعاشة السابق على التصنيع، إلى مرحلة التصنيع، تكون معدلات وفيات الرضع فيها أعلى من البلاد الحديثة، كما أن متوسط الأعمار فيها يكون أقل. ويعكس هذا الى حد كبير، انخفاض مستوى المعيشة، وضعف الرعاية الصحية، وقلة الدخل فى

البلدان النامية، كما يبين أيضا عدم كفاءة الانتاج الزراعى، ونقص الأموال التى تمكنها من شراء الطعام والتكنولوجيا من الدول الأخرى.

معدلات المواليد والخصوبة Birth and Fertelity Rates

أولى علماء الاجتماع والديموجرافيون اهتماما كبيرا بانخفاض معدلات المواليد والخصوبة التى صاحبت التحول الديموجرافى فى البلدان التى أخذت بالتصنيع (نريد أن نذكرك هنا بأن معدل المواليد يحسب بقسمة مجموع من ولدوا فى فترة زمنية معينة، على المجموع الكلى للسكان فى هذه الفترة الزمنية مضروبا فى ألف، وأن أفضل طريقة لحساب معدل الخصوبة هى بقسمة مجموع المواليد الأحياء فى فترة زمنية معينة، على عدد النساء اللائى فى سن يسمح لهن بالحمل والانجاب، مضروبا فى ألف) ويقول معظم الديموجرافيين أن ارتفاع معدلات الأحياء من الأطفال، يشكل دافعا للتقليل من حجم الأسرة، على أساس أنه لم يعد ثمة ضرورة لوجـود عائلة كبـيرة العدد لضمان بقاء واحد أو أكثر منهم حبا لمرحلة الـرشد. هذا بالاضافة إلى أن أنماط الانتاج الاقتصادى أصبحت من التعقيد بحيث تتطلب زيادة مستوى التعليم الذى يتطلبه الحراك الاجتماعى، ومن هنا، سيصبح العدد الكبير من الأطفال معوقا لتحقيق هذا الهدف، أكثر منه عاملا مساعدا للأسرة، خاصة وأن قوانين العمل قللت من مساهمات الأطفال فى زيادة دخل الأسرة. كما أن الزامية التعليم المحددة بالقانون، تتطلب ضرورة إعالتهم لسن معينة. كل ذلك جعل العائلة تفكر فى تنظيم النسل، وساعد العائلات على ذلك تطور وسائل منع الحمل وانتشارها، وسهولة الحصول عليها فى معظم الدول الصناعية منذ وقت مبكر جدا، فى الثمانينيات من القرن التاسع عشر.

والواقع، أن ثمة دلائل تشير الى أن محاولات تنظيم الأسرة بتقليل حجمها بطريقـة أو بأخرى، حدث فى عديد من المجتمعات عبر التاريخ. فلقد كان التـأخـير النسبى فى سن الزواج شائعا فى أوربا الغربية حتى القرن الماضى، وكذلك شاعت وسائل أخرى مثلا وأد الأطفال، وخاصة الاناث، وكان يستخدم العزل والتجويع. وقد لاحظ المراقبون الأوربيون فى القرن الثامن عشر، أن موت الأطفال كان يرحب به فى الغالب. فقد كان الأبوان يدعوان على أطفالهم بالموت، أو بالـذهـاب فى داهية. وكان مرض الجدرى، وهو السبب الرئيسى فى موت

الرضع والأطفال، يعرف بأنه «صديق الرجل الفقير (Van de Walle and Knodel,1980) والقضية هنا ليست أن آباء الاجيال السابقة كانوا أقل إحساسا، أو أغلظ قلبا من أباء اليوم، ولكننا فقد نريد أن نبين خطأ الاعتقاد الشائع بأنه كان ينظر إلى الأطفال دائما على أنهم عون للآباء، أو حتى للنبلاء أو المزارعين محدودى الثروة، أو للعامل الصناعى الذى لا توجد لديه أرض زراعية يقوم بزراعتها، ففى حالة عدم وجود وسائل فعالة للتحكم فى عدد المواليد كان وأد الأطفال، والموت بسبب الامراض يريح الأمهات اللائى يعملن طوال النهار فى الصناعة أو الزراعة، وفى نفس الوقت يفترض قيامهن بكل واجبات الرعاية للأطفال. كما كانت وفاة الرضع تريح أيضا الرجال من أعباء إعالة اسرة كبيرة العدد (Van de Walle and Knodel,1980).

ولا يرتبط هذا التخفيض فى حجم الأسرة بالضرورة بالتصنيع، بالرغم من أن انخفاض معدلات المواليد والخصوبة لم تنخفض فى انجلترا، إلا بعد فترة من التصنيع والانتقال إلى المناطق الحضرية فى نهاية القرن التاسع عشر، ذلك أنه حدث انخفاض مماثل فى نفس الفترة تقريبا فى دولة أقل أخذا بالتصنيع وهى المجر. والواقع، إن أول بادرة لانخفاض معدل الخصوبة فى دولة لم تكن صناعية فى ذلك الوقت كانت فى فرنسا، وذلك قبل أن يحدث فى انجلترا بقرن من الزمان، حينما كانت الغالبية العظمى من السكان مزارعين فقراء كاثوليك (Van de Walle and Knodel,1980) ويوحى ذلك، بأن النمو الاقتصادى يعد سببا كافيا، ولكنه ليس سببا لازما لانخفاض معدل الخصوبة. فالقيم الاجتماعية أيضا لها أهميتها.

وفى معظم دول أوربا الغربية منذ نيف ومائة سنة، كان النساء يتزوجن فى بداية العشرينيات من أعمارهن، أى أن أمامهن فترة طويلة للحمل والانجاب. فيتوقع من كل متزوجة أن تحمل وتنجب من ٦ إلى ٨ أطفال، يحتمل أن يعيش منهم من أربعة إلى ستة أطفال إلى السن التى يتزوجون هم فيها أيضا. وقد يفكر البعض فى المجتمعات الحديثة أن يظل عزبا كاسلوب جديد فى الحياة، ومع هذا فإن عدد هؤلاء الاعزاب لم يتجاوز اليوم ١٠٪ من مجموع السكان، فى حين كانت هذه النسبة بين النساء فى أوربا الغربية منذ قرن من الزمان تقريبا، ٢٥٪. ويوضح الشكل الديموجرافى النمطى التالى ما كان عليه الحال فى أوربا الغربية

فى منتصف القرنين التاسع عشر، والعشرين بهذا الصدد.

رسم يوضح الشكل الديموجرافى النمطى فى أوربا الغربية فى منتصف القرنين التاسع عشر والعشرين.

	منتصف القرن التاسع عشر	منتصف القرن العشرين
الوالدية فى جيل	١٠٠ أمرأة متزوجة	١٠٠ أمرأة متزوجة
الخصوبــــة	لديهـــن ٢٥٠ لهـ٢٥٠ ولد	لديهـــن ١٢٥ بنت لهـ ١٢٥ ولد
الوفيـــات	منهن ١٦٢ يعشن ٨٨ يمتن	منهن ١١٨ يعشن ٧ يمتن
معدل الـــزواج	و ١٣٧ يتزوجن ٢٥ لا يتزوجن	و ١١٣ يتزوجن ٥ لا يتزوجن
المجــــرة	و ١٢ تهاجــرن	و ٣ تهاجــرن
الجيل التالى	١٢٥ بنت متزوجــة	١١٠ بنت متزوجــة

وبمقارنة النساء فى القرنين التاسع عشر والعشرين، يتضح حدوث نمو سكانى كبير برغم المعدلات المرتفعة نسبيا فى مستويات الوفيات وعدم الزواج والهجرة إلى الخارج. ولكننا نجد فى نفس الوقت أن الخصوبة (عدد أطفال كل عائلة) كانت تنخفض. ومع ذلك فإنه فى حين كان النساء ينجبن عددا أقل من الأطفال، فإن من يعيش من هذه الذرية حتى يبلغ مرحلة الرشد والزواج أكثر ممن كان يعيش فى الماضى. وهكذا، فإنه بدلا من زيادة ٢٥٪ من السكان فى جيل واحد منذ قرن مضى، فقد أصبحت الزيادة كما هو ملاحظ ١٠٪ فقط فى السكان فى منتصف هذا القرن.

ولقد استمرت الخصوبة فى التناقص فى جميع البلدان الصناعية. وبالرغم من أنه حدثت زيادة مؤقتة فى المواليد فى الفترة من ١٩٤٧ حتى ١٩٦٣ فإن معدلات

الخصوبة ظلت منخفضة نسبيا. وإن أحدى الحقائق الديموجرافية الطريفة، هى تشابه أنماط الخصوبة فى كل من الولايات المتحدة وكندا.

وتختلف الصورة فى المجتمعات التى بدأت تأخذ بالتصنيع، اختلافا كبيرا. فنجد معدل المواليد فى نيجيريا عام ١٩٦٩ على سبيل المثال، بلغ ٥٠ لكل ١٠٠٠ر١ من السكان، وهو أعلى قليلا من متوسط معدل المواليد فى أفريقيا ككل والذى يبلغ ٤٦ لكل ١٠٠٠ر١ من السكان. ويبلغ معدل المواليد فى أمريكا اللاتينية ٣٥ لكل ١٠٠٠ر١ من السكان، وفى جنوبى آسيا ٣٦ لكل ١٠٠٠ر١ ولنقارن ذلك بالدول الصناعية: ففى أوربا بلغ المعدل ١٤ لكل ١٠٠٠ر١ ويبلغ فى أمريكا الشمالية ١٥ لكل ١٠٠٠ر١. ولقد ظلت نسبة الخصوبة المرتفعة تشكل مشكلة أساسية للدول التى بدأت الآن تأخذ بالتصنيع، ولكن يمكن القول بناء على الدلائل المستمدة من الخبرة الأوربية فى انخفاض معدلات الخصوبة، إن التخطيط الجيد والمقبول اجتماعيا لبرامج تنظيم الأسرة، قد يفيد فى الانخفاض السريع فى معدلات المواليد فى المجتمعات قبل الصناعية، والتى بدأت تأخذ بأسباب العصرية. وإن القول بأن الناس فى هذه المجتمعات التى لا توجد بها برامج انعاش اجتماعى فى حاجة الى الأسرة الكبيرة، لحاجة الوالدين لمن يعينهما عندما يتقدم بهما العمر (أى أن الأطفال هنا يحلون محل بوالص التأمين) قول مردود عليه من الديموجرافيين. وان معدلات وفيات الرضع المرتفعة فى بعض بلدان العالم الثالث اليوم، إنما تعكس استجابات الوالدين لعدم الرغبة فى مزيد من المواليد، تماما كما حدث فى أوربا إبان القرن الثامن عشر.
(Van der Tak, Haut, and Murphy, 1979)

الهجـــرة Migration

الهجرة العنصر الثالث الهام فى التغير السكانى، ولها تأثير مباشر على حجم السكان. وتصف الهجرة حركة الناس من مكان الى مكان وتغيير مكان الاقامة لسبب أو لآخر. لماذا يختار الناس الهجرة؟ ذكر «بترسون Peterson» عام ١٩٧٥ عدة أسباب عريضة لذلك من بينها:

١ - **الهجرة البدائية**: وتحدث عندما يصبح الناس غير قادرين على التعايش مع القوى الطبيعية، أو المناخية السائدة، مثل القحط ونضوب موارد المياه، أو

الظروف المناخية غير الملائمة، كهجرة الهلاليين وغيرهم من شبه الجزيرة العربية إلى مصر وشمال أفريقيا.

٢ ـ **الهجرة الاضطرارية أو القهرية**: التى تحدث بسبب الضغوط السياسية، وذلك مثل هجرة اليهود من المانيا النازية فى الثلاثينيات من هذا القرن، وهجرة المحافظين الكوبيين من حكم «كاسترو» فى مطلع الستينيات.

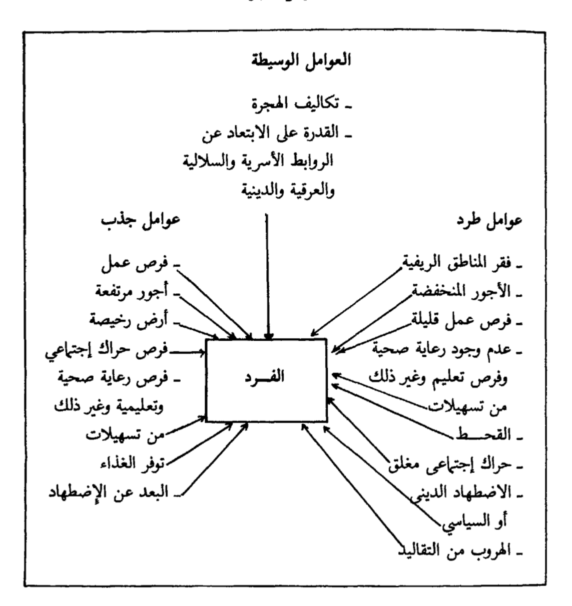
٣ ـ **الهجرة الحـرة** : التى تكون بإرادة الأفراد ورغبتهم فى القيام بأدوار أفضل، وذلك مثل معظم الهجرات الداخلية، كحركة السكان للاتجاه نحوالغرب فى الولايات المتحدة وكندا.

٤ ـ **الهجـرة الجماعيـة** : التى تقوم فيها جماعات كبيرة من الناس تشترك فى خصائص مثل السلالة أو الدين، بتغيير مكان إقامتها، واتخاذ أماكن إقامة جديدة، بقصد تحسين مستوى معيشتهم، أو المحافظة على طريقتهم المتميزة فى الحياة، كما حدث بالنسبة للايرلنديين فى القرن التاسع عشر.

وغالبا ما تتداخل هذه الأنماط من الهجرة، فكثير من المهاجرين يختارون ترك أماكن إقامتهم الأصلية، لأكثر من سبب.

من هو الشخص المهاجر؟ بالرغم من أن تحديد ذلك يتوقف على الفترة التاريخية التى تتم فيها الهجرة الى أماكن بعيدة، أو عندما يمثلون الطلائع الأولى للهجرة الى هذه الأماكن. وبوجه عام، فإن المهاجرين يكونون فى الغالب من الشباب غير المرتبط، وبذلك فإنهم يخفضون من البنية العمرية للبلد الذى يذهبون إليه، فى حين يرفعـون من البنية العمـرية للبلد الذى هاجروا منه، لأنه ستقل فئة الشباب فيه، فى حين تزداد هذه الفئة فى الحالة الأولى. ويوضح الشكل الآتى العوامل الطاردة والعوامل الجاذبة فيما يتعلق بالهجرة.

شكل يبين عوامل الطرد وعوامل الجذب والعوامر الوسيطة التى تقع على الفرد فيما يتعلق بعوامل الهجرة



التركيــب السكانــي
Composition of the Population

بالرغم من أن حجم السكان، والخصوبة، والوفيات، والهجرة، كلها مظاهر سكانية هامة، فإنها تتأثر بخاصيتين سكانيتين رئيسيتين هما: العمر والجنس. كما أن المظاهر السكانية بدورها تعكس هاتين الخاصيتين. ويرتبط العمر والجنس

ارتباطا مباشرا بالخصوبة وبالوفيات. لأن النساء فقط هن اللائى يمكنهن فى سن معينة حمل الأطفال وإنجابهم. كما أن الوفيات تشيع فى كبار السن (والرضع أيضا فى بعض الدول) أكثر من الفئات العمرية الأخرى. هذا بالاضافة إلى أن العمر والجنس يرتبطان بالهجرة كما رأينا.

الاهرامات السكانية Population Pyramids

وتتأثر الاهرامات السكانية بثلاث عمليات أساسية هى: المواليد والوفيات والهجرة. والهجرة سواء كانت إلى الدولة أم كانت من الدولة إلى دولة أو دول أخرى، تقلل أو تزيد فى البنية السكانية من حيث الجنس والعمر للدولة المرسلة أو الدول المستقبلة.

وقد وجد أن أفضل وسيلة لابراز تركيب السكان من حيث سنهم ونوعهم أيضا، هى تصنيف كل من الذكور والاناث فى أساس فترات طولها خمس سنوات. ويسمى الرسم البيانى الذى يوضح هذا التصنيف الهرمى السكانى (Population Pyramid) فإذا كان السكان طبيعيين فى تكوينهم، وجدنا الذكور والاناث شبه متساوين فى العدد، وهذا يصاحبه تماثل فى الرسم. ويحدث العكس كلما تدخلت العوامل التى تبعد المجتمع عن صفته الطبيعية.

ويمكن استنتاج كثير من المعلومات عن السكان من الهرم السكانى. فكلما اتسعت قاعدته مثلا، دل ذلك على ارتفاع نسبة المواليد، وإذا انكمشت بعض الفئات، أمكن معرفة سبب هذا الانكماش، كما يمكن أن نتوقع الكثير من دراسة الهرم السكانى، فإذا ما اتسعت إحدى الفئات أو ضاقت، أمكن التنبؤ بأثر هذا الاتساع أو الضيق بعد عشرين عاما مثلا، فى نسبة الزواج والمواليد، وبعد ستين عاما فى نسبة الوفيات.

وفيما يلى جدولان، يبين الجدول الأول تركيب السكان فى مصر حسب فئات السن والنوع عام ١٩٤٧، ويوضح الجدول الثانى نفس الشىء بالنسبة لفرنسا عام ١٩٥٦. وجدول تركيب السكان على هذا النحو، هو الخطوة الأولى لرسم الهرم السكانى على أساس ما يحتويه من تركيب من حيث النوع والسن، ومن هذين الجدولين أمكن رسم الهرمين السكانيين لكل من مصر وفرنسا، كما هو واضح فى الشكل رقم (١) ، والشكل رقم (٢).

جدول يبين تركيب السكان فى مصر حسب فئات السن المختلفة
فى سنـــة ١٩٤٧

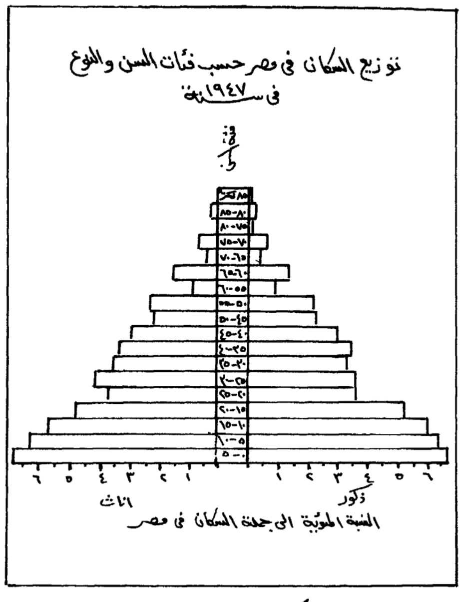
فئـــات السـن	ذكـــور	إنـــاث	مجمـــوع
	٪	٪	٪
٠ ـ ٥ سنة	٦ر٧	٦ر٩	١٣ر٦
٥ ـ ١٠	٦ر٤	٦ر٣	١٢ر٧
١٠ ـ ١٥	٦ر٠	٥ر٧	١١ر٧
١٥ ـ ٢٠	٥ر٢	٤ر٨	١٠ر٠
٢٠ ـ ٢٥	٣ر٦	٣ر٧	٧ر٣
٢٥ ـ ٣٠	٣ر٦	٤ر٢	٧ر٨
٣٠ ـ ٣٥	٣ر٣	٣ر٦	٦ر٩
٣٥ ـ ٤٠	٣ر٥	٣ر٤	٦ر٩
٤٠ ـ ٤٥	٣ر٠	٣ر٠	٦ر٠
٤٥ ـ ٥٠	٢ر٣	٢ر٢	٤ر٥
٥٠ ـ ٥٥	٢ر٢	٢ر٤	٤ر٦
٥٥ ـ ٦٠	٠ر٩	٠ر٩	١ر٨
٦٠ ـ ٦٥	١ر٣	١ر٦	٢ر٩
٦٥ ـ ٧٠	٠ر٤	٠ر٤	٠ر٨
٧٠ ـ ٧٥	٠ر٦	٠ر٧	١ر٣
٧٥ ـ ٨٠	٠ر١	٠ر١	٠ر٢
٨٠ ـ ٨٥	٠ر٢	٠ر٣	٠ر٥
٨٥ سنة وأكثر	٠ر١	٠ر٢	٠ر٣
المجمـــوع	٤٩ر٥ ٪	٥٠ر٥ ٪	١٠٠ ٪

* استخرجت النسب حسب تعداد سنة ١٩٤٧.

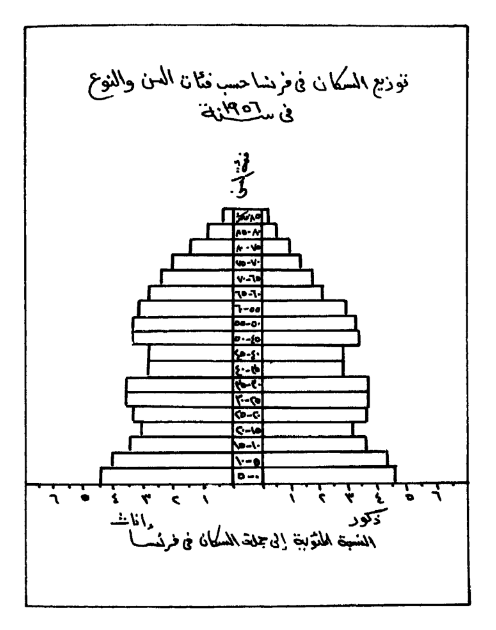
جدول يبين تركيب السكان فى فرنسا حسب فئات السن المختلفة
فى سنـــة ١٩٥٦

فئـــات الســـن	ذكـــور	إنـــــاث	مجمـــوع
	٪	٪	٪
٠ ـ ٥ سنة	٤ر٥	٤ر٤	٨ر٩
٥ ـ ١٠	٤ر٣	٤ر١	٨ر٤
١٠ ـ ١٥	٣ر٦	٣ر٥	٧ر١
١٥ ـ ٢٠	٣ر١	٣ر١	٦ر٢
٢٠ ـ ٢٥	٣ر٦	٣ر٤	٧ر٠
٢٥ ـ ٣٠	٣ر٧	٣ر٦	٧ر٣
٣٠ ـ ٣٥	٣ر٧	٣ر٦	٧ر٣
٣٥ ـ ٤٠	٢ر٨	٢ر٨	٥ر٦
٤٠ ـ ٤٥	٢ر٨	٢ر٩	٥ر٧
٤٥ ـ ٥٠	٣ر٤	٣ر٤	٦ر٨
٥٠ ـ ٥٥	٣ر٣	٣ر٤	٦ر٧
٥٥ ـ ٦٠	٢ر٩	٢ر٣	٦ر١
٦٠ ـ ٦٥	٢ر٠	٢ر٩	٤ر٩
٦٥ ـ ٧٠	١ر٧	٢ر٥	٤ر٢
٧٠ ـ ٧٥	١ر٣	٢ر١	٣ر٤
٧٥ ـ ٨٠	٠ر٩	١ر٥	٢ر٤
٨٠ ـ ٨٥	٠ر٥	٠ر٩	١ر٤
٨٥ سنة وأكثر	٠ر٢	٠ر٤	٠ر٦
المجمـــوع	٤٨ر٣ ٪	٥١ر٧ ٪	١٠٠ ٪

* استخرجت النسب حسب الاحصاءات الواردة فى :
U.N. Demographic Yearbook, 1957 (N.Y.1957) P. 145.


توزيع السكان في مصر حسب فئات السن والنوع
في سنة ١٩٤٧
٦ ٥ ٤ ٣ ٢ ١
١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦
ذكور
اناث
النسبة المئوية الى جملة السكان في مصر

شكل رقم (١)



شكـــل رقـــم (٢)

ملحوظـــة : أخذت الصفحات السابقة من كتاب: دراسات فى علم السكان للاستاذين: الدكتور حسن الساعاتى والدكتور عبد الحميد لطفى دار النهضة العربية ـ القاهرة ١٩٨١. ص ٩١ ـ ٩٥.

ما أهمية المعارف المتعلقة بالعمر والجنس؟

Why are Age and Sex Important?

تعد المعارف المتعلقة بالعمر والجنس مهمة لعدة أسباب، من أهمها اتاحة معلومات حول الحجم الحقيقى والممكن لقوة العمل، أى الأفراد الذين يمكنهم العمل، والأفراد الذين لا يمكنهم العمل، وبالتالى ينبغى أن يعالوا. ومن هنا يمكن القول، إن على الدول النامية أن تنتج أكثر لاعالة العدد الكبير الذى لا يستطيع العمل (الأطفال بوجه خاص) وعلى الدول الصناعية المتقدمة أن تنتج أكثر أيضا لاعالة العدد الكبير الذى لا يستطيع العمل (الشيوخ بوجه خاص).

وفيما يلى بقية أهمية المعارف المتعلقة بالعمر والجنس:

نسبة المعالين Dependency Ratios

يتيح معرفة التركيب السكانى فيما يتعلق بالعمر والجنس معرفة نسبة المعالين (أى نسبة من هم أقل من ١٥ سنة أو من هم فوق ٦٥ سنة) إلى عدد السكان الذين يتراوح عمرهم من ١٥ ـ ٦٤ تماما. كما أن نسبة المعالين غالبا ما تستخدم مقياسا لمدى تمتع الدولة باقتصاد قوى، لأنها تصف نسبة العاملين، أو القادرين على العمل الاقتصادى، إلى نسبة غير العاملين، أو غير القادرين على العمل الاقتصادى، وطالما أن هؤلاء الذين فى قوة العمل هم الذين يدفعون الضرائب، وينتجون لاعالة الأطفال أو كبار السن، فإن على الدولة ذات النسبة العالية جدا من الأطفال أو كبار السن، أن تزيد من انتاجها لإعالة هؤلاء الأفراد.

العمر والجنس وأسلوب الحياة Age, Sex, and Lifestyle

وكذلك تتيح لنا المعارف المتعلقة بتركيب العمر، والجنس، فهم عديد من مظاهر الحياة السياسية والاقتصادية. فعلى سبيل المثال، عندما تزيد نسبة الذكور فى السكان عن نسبة الاناث، تظهر أساليب حياة وأنماط من الضبط الاجتماعى المختلفة، ففى بداية الهجرة فى كل من الولايات المتحدة وكندا، عندما كان الذكور غير المتزوجين يشكلون أغلبية فى المجتمعات المحلية، زاد معدل إدمان الخمر، والشجار، والدعارة، حتى أصبح العنف وكثرة الحوادث مشكلة أمام القائمين على تنفيذ القانون وإقرار النظام (Marsden and Harvey,1979) وعندما

استقرت العائلات بعد ذلك، وتساوت نسبة الذكور مع نسبة الاناث، قلت هذه الظواهر بدرجة كبيرة جدا. وهكذا تتأثر أنشطة الأجهزة المحلية الحكومية بهذه المعارف الديموجرافية الخاصة بالتكوين السكانى فيما يتعلق بالعمر والجنس، بل انها تكيف أنشطتها وفقا لها.

جيـــل المواليـــد Birth Cohort

يعد جيل المواليد مظهرا آخر هاما للبنية العمرية فى أى مجتمع من المجتمعات، ويقصد به مجموع الناس الذين يولدون فى فترة زمنية معينة، ويختلف كل جيل من المواليد فى مكوناته الأساسية التى سوف تتغير نتيجة عديد من العوامل مثل الوفيات والجنس والطبقة الاجتماعية والسلالة والعرق. وما سيجمع بين جيل معين من المـواليد هو التـاريخ العام لهذه الفترة، والذى سوف يؤثر فى فرص الحياة أمامهم، بما فى ذلك قدرتهم على إكتساب مكانات خاصة بالعمل، وفرص التعليم والزواج وما يحصلون عليه من دخل من عملهم. ويتضح التداخل بين جيل المواليد والفرص البنائية والتغير الاجتماعى فيما يحدث بين الامريكيين الذين ولدوا فى العقد الذى دارت فيه الحرب العالمية الثانية أو بعده بقليل.

فقـد لاحظ الـديموجرافيون فى الأربعينيات من هذا القرن طوال قرن من الزمان، انخفاضا فى معدل الخصوبة فى الولايات المتحدة، كان ينبىء بالاستمرار فى هذا الاتجاه. وكان هذا التنبوء يقوم على الملاحظات الاجتماعية المسلم بها من أن زيادة التحضر والعصرية يؤدى إلى الانتقال من أسلوب الحياة التقليدى الى أسلوب الحياة العصرى. كما أن المتوقع، كجزء من هذه العصرية، أن يكون المعيار السائد فيما يتعلق بحجم الأسرة، هو الاسرة الصغيرة الحجم، وخاصة بعد أن دخلت المـرأة ميدان العمل على نطاق واسع، وكثرت الوسائل الفعالة لمنع الحمل. ولكن ما حدث فى الواقع بعد عقد أو أكثر من الحرب، ظهور سيل منهمر من المواليد، استمر لفترة، قبل أن تعـود الأمور إلى سيرتها الأولى. ما هو الخطأ هنا فى تنبوء المورفولوجيين؟

نستطيع أن نرى الآن، أن النظرية صحيحة فى أساسها، ولكنها لم تأخذ فى إعتبارها الانقلاب الذى يمكن أن يحدث فى مسيرة انخفاض معدل الخصوبة، استجابة لظروف معينة. فقد ارتفعت معدلات الزواج بعد الحرب العالمية الثانية،

وشرع الازواج الجدد، وكذلك العائدون من الحرب بعد فراق طويل، فى إنجاب أطفال. ولم يكن ذلك عودة لرومانسيات العائلات الكبيرة التى كانت توجد فى المجتمعات التقليدية، إنما كان إستجابة مؤقتة لظروف طارئة، فبالاضافة إلى ظروف العودة من الحرب، كان قد سبق هذه الفترة كساد إقتصادى أدى إلى تأخير الخصوبة بسبب هذه الظروف الاقتصادية السيئة التى سادت هذه الفترة. ومن هنا يمكن القول، إن الفروق والاختلافات بين الأجيال، إنما هى فروق وإختلافات فى العمر الذى يتم فيه الزواج، والوقت الذى يتم فيه الميلاد وما يسود كل ذلك من ظروف.

ولعديد من الأسباب استمر الاندفاع نحو الزواج المبكر، وإنجاب عدد أكبر من الأطفال، ومن أهم هذه الظروف الانتعاش الاقتصادى الذى حدث بعد أن وضعت الحرب أوزارها. فقد أفاد عدد من الشباب بعد عام ١٩٤٥م (وهو جيل مواليد عصر الكساد الاقتصادى) من فرص العمل والحراك الاجتماعى التى أتاحها الازدهار الاقتصادى، هذا بالاضافة الى الدعم الذى قدمته الحكومة لتيسير تملك المبانى، وكذلك عمرت الأحياء القديمة بعد الحرب، باختصار، سادت موجة من الرخاء شملت كل مظاهر الحياة الأمريكية بعد الحرب، واستمرت بعض الوقت.

ولكن دوام الحال من المحال، ففى بداية الستينيات بدأ هذا الازدهار فى الانحسار، وبدأ معه معدل الخصوبة فى الانخفاض، وعاد إتجاه الانخفاض الذى تحدث عنه المورفولوجيون يأخذ طريقة. ولكن تأثيرات هذا السيل من المواليد سوف تظل تطبع جميع جوانب حياة هذا الجيل.

ولكن ما معنى أن يكون الفرد جزءا من هذه الزيادة الكبيرة الوقتية من المواليد؟ إن كون هذا الجيل من السيل المنهمر من الأطفال والأكثر بكثير من الجيل السابق له، جيل الكساد الاقتصادى فى الثلاثينيات، أو جيل العدد المتوسط من الأطفال فى منتصف وأخريات السبعينيات، كان على أفراده أن يتوقعوا مشكلات وإحباطات لم يمر بها من ولد قبلهم أو ولد بعدهم. فببساطة يوجد عدد كبير من الناس من نفس العمر يتنافسون فى الحصول على نفس الشىء. فعلى سبيل المثال، فإن على أعضاء هذا الجيل أن يتلاءموا مع فصول دراسية مزدحمة، ونقص فى عدد المعلمين خلال معظم مراحل دراستهم. وعندما يدخلون سوق العمل

لن يجدوا المسألة سهلة. وعندما يعملون فإنهم يحصلون على أجور أقل من شباب الأجيال التى سبقتهم من العمل الذين كانوا أقل عددا، ومن ثم يطالبون بأجور أعلى.

وسوف تكون فرص الترقى أقل من الفرص التى أتيحت لآبائهم، لأن الوظائف الأعلى المتاحة سوف تكون أقل من عدد المستحقين لها. وكذلك الأمر فيما يتعلق بالاسكان وملكية المساكن، لن يكون أمرهما ميسورا، لتنافس عدد كبير عليهما، الأمر الذى سيؤدى إلى رفع أسعارهما.

وحتى عندما يشتعل رأس أبناء هذا الجيل شيبا، ويبلغون من الكبر عتيا، فسوف تظل المشكلات تلاحقهم، ففى عام ١٩٨١ ستخصص ربع الميزانية الفيدرالية لدعم هؤلاء المتقدمين فى العمر ومن يعولوهم. وكلما ازدادوا تقدما فى العمر ازدادت مطالبهم من الضمان الاجتماعى.

وباختصار: إن ابناء جيل هذا السيل المنهمر من الأطفال، سوف يجدون طوال حياتهم، أنهم قد تأثروا بكونهم أبناء هذا الجيل الكبير العدد، والذى جاء بين جيلين يضمان أعدادا أقل. وسيضطرون للتلاؤم مع ما ينجم عن ذلك من مشكلات فى فترة نمو اقتصادى بطىء نسبيا. وسوف تكون فرصهم فى الثراء أقل من فرص آبائهم، أو حتى من فرص أشقائهم الأصغر سنا. وسوف يشكلون فى شيخوختهم عبئا على ذريتهم قليلة العدد، الذين سيقع عليهم عبء دعمهم، وفى نفس الوقت عبء تربية أطفالهم (Bouvier,1980).

السكان والتنمية الاقتصادية ونوعية الحياة
Population, Economic Development, and Quality of Life

الفروق الاقليمية فى النمو فى الولايات المتحدة :
Regional Differences in Growth in the U.S.

تطور ولايات الحزام الشمسى The Rise of the Sunbelt

بالرغم من عدم وجود اتفاق عام على الاهتمام بولاية دون أخرى سواء كانت

تقع فى الحزام الشمسى أو الحزام الجليدى فإن بجر Bigger ذهب إلى تعريف مفيد عام ١٩٧٩ لولايات الحزام الشمسى قال إنها «الولايات الجنوبية والغربية التى تتميز بطقس معتدل، وإمكانات وتسهيلات ترويجيه وتوسع فى فرص العمل فى الصناعة وفى مجال الخدمات» وقد نمت هذه الولايات فى الواقع نموا كبيرا نتيجة الهجرة الداخلية بين الولايات من عام ١٩٦٥ و ١٩٧٠.

ويرجع السبب فى ذلك إلى انتقال الصناعة إلى هذه الولايات، حيث الضرائب فيها أقل، وحيث العمال فيها أكثر. ومن هنا أزدهرت فى هذه الولايات عديد من الصناعات مثل صناعة النسيج والملابس وغيرها. ومما زاد من جاذبية هذه الولايات لأصحاب رؤوس الأموال، أن قبضة نقابات العمال كانت ضعيفة فيها. وكان العمال لا يتقيدون بالأجور التى تحددها النقابات للعمل، فكانوا يقبلون العمل بأجور أقل، فلم تكن تهمهم الأجور المرتفعة بقدر ما كان يهمهم إيجاد فرص عمل.

كما إنجـذب عديد من سكـان ولايات الحـزام الجليدى إلى ولايات الحزام الشمسى الشاسعة، فبالرغم من أن الأجور فيها كانت أقل، فإن فرص العمل كانت أكثر، كما أن الحياة فيها كانت أكثر هدوءا والبيئة كانت أقرب إلى البيئة الريفية الصحية والصالحة لتربية الأطفال، بل إن الشيوخ أيضا كانوا يفضلونها لجوها الأكثر دفئا من مدن الشمال الباردة.

نمط الاعاشـــة Mode of Subsistence

إن إحدى الطرق الواضحة لتعريف دولة بأنها قبل صناعية أو صناعية أو بعد صناعية، هى النظر فى نمط الاعاشة فيها. فإذا كانت الغالبية العظمى من قوة العمل فى الدولة تشتغل بالزراعة، كانت دولة قبل صناعية، ويظهر الجدول الآتى نسبة القوى العاملة التى تشتغل بالزراعة فى الولايات المتحدة وست من دول أمريكا اللاتينية، ويوضح هذا الجدول التباين فى نمط الاعاشة فى الدول النامية والصناعية وبعد الصناعية.

جدول يبين النسب المئوية لقوة العمل المشتغلة بالزراعة فى الولايات المتحدة وست دول فى أمريكا اللاتينية

الدولـــــة	النسبة المئوية لقوة العمل المشتغلة بالزراعة		
	١٩٦٥	١٩٧٦	صافى التغير من ١٩٦٥ الى ١٩٧٥
الولايات المتحـــدة	١ر٥ ٪	٢ر٦ ٪	٢ر٥ ٪
الارجنتيـــــــــن	١٨ر٢	١٤ر٢	٤ر٠
شيلــــــــى	٢٦ر٩	٢٠ر٥	٦ر٥
المكسيـــــك	٥٠ر٣	٣٩ر٦	١٠ر٧
بوليفيـــــا	٥٨ر٢	٥٢ر٢	٦ر٠
باراجـــــواى	٥٤ر٥	٥٠ر٤	٤ر١
جمهورية الدومينيكان	٦٣ر٨	٥٨ر٢	٥ر٦

المصدر : Abridged from statistical Abstract of Latin America, vol, 19,P48.

ونلاحظ من الجدول، أنه يوجد فى الدول السبع تناقص فى نسبة السكان الذين يعملون بالزراعة خلال أحد عشر عاما، الأمر الذى يدل على أنه توجد حركة للتحول عن الاقتصاديات الزراعية. ومع ذلك توجد فروق ملحوظة بين هذه الدول تبين لنا مستوى التصنيع بها. وتتميز الولايات المتحدة، وهى مجتمع بعد صناعى بأقل نسبة من القوى العاملة التى تشتغل بالزراعة. وتعد الارجنتين وشيلى دولتين صناعيتين، ويأتى بعد ذلك المكسيك التى بدأت تأخذ بالتصنيع وبمعدل سريع نسبيا، فقد انخفضت فيها العمالة الزراعية بحوالى ١١٪ خلال أحد عشر عاما. وأما بوليفيا، وباراجوى، وجمهورية الدومينيكان فإنها وان بدأت التصنيع تدريجيا فإنه مازال أكثر من نصف القوى العاملة يشتغل بالزراعة، وهى بذلك تكون قريبة من النموذج النمطى للمجتمع قبل الصناعى، الذى يقوم نمط

الاعاشة فيه على أساس العمل فى الأرض. وعلى هذا فإن معرفة النمط العريض لعمل السكان كالعمل الأساسى بالزراعة أو عدم العمل بها، يصلح مقياسا لمعرفة مرحلة النمو الاقتصادى للدولة.

السكان الريفيون والسكان الحضريون Urban-Rural Population

تخبرنا نسبة السكان الذين يقيمون فى المواقع الحضرية، والسكان الذين يقيمون فى المناطق الريفية عن المستوى العصرى والتكنولوجى للدولة. فالدول الأقل من حيث النمو الاقتصادي، يغلب تركز أكبر نسبة من سكانها فى المناطق الزراعية والقرى، لسبب بسيط، هو أن هذه الدول أقل أخذا بالتصنيع، ويشير التحضر إلى العملية التى ترتفع فيها نسبة السكان المقيمين فى المدن والضواحى من المجموع الكلى للسكان. وبالرغم من أن التحضر يعطينا مؤشرا تقريبيا عن مدى الأخذ بالتصنيع، فإنه لا يخبرنا عن كيفية كسب المقيمين فى المدن لأرزاقهم. فعلى سبيل المثال، إن كلا من الولايات المتحدة والأرجنتين دولة صناعية، ومع ذلك فالولايات المتحدة دولة بعد صناعية، أى أن غالبية قوة العمل فيها تعمل بوظائف الخدمات أكثر من عملها بالصناعة. وعلى هذا، فإن مقاييس التحضر لا تتيح لنا التمييز بين الدول الصناعية والدول بعد صناعية.

نوعيـــة الحيـــاة Quality of Life

بالرغم من أنه توجد عديد من المؤشرات التى تدل على نوعية حياة سكان الدول الآخذة بأسباب العصرية، والدول العصرية، مثل دخل كل فرد فيها، ومجمل الناتج القومي للدولة، ومستوى التعليم، والأمية، فإن أهمها جميعا هى الحالة الصحية للسكان. فالصحة لا ترتبط فقط ارتباطا وثيقا بمستوى النمو الصناعى للدولة، وإنما ترتبط أيضا بتركيب العمر والجنس للسكان، وبتوزيع السلطة والملكية والاحترام.

الصحـــة Health

بالرغم من المعنى الواضح للصحة والمرض، فإنه كان لهما معان مختلفة عبر الأزمنة. كما كان لهما معان مختلفة بين المجتمعات المتباينة. ومن هنا فإن تعريف

الصحة يعد تعريفا ثقافيا. بمعنى، أن ما يعتبر سويا وصحيا فى مجتمع من المجتمعات، قد لا يكون كذلك فى مجتمعات أخرى. ليس معنى ذلك أن المرض ليس حقيقة، أو أن أسباب المرض لا يمكن تعريفها، ولكن المقصود هو أن أعضاء أى مجتمع يوجدون معايير يحكمون بمقتضاها على ما إذا كانت حالة معينة تعد مرضا يتطلب تدخل الطب أو لا تعد، فعلى سبيل المثال، كان مرض التوت (وهو مرض جلدى يصيب الوجه بتشوهات) ينتشر على نطاق واسع جدا فى بعض المناطق النامية من العالم، حتى أن الأفراد الذين تخلو وجوههم من هذه التشوهات، يعتبر منظرهم شاذا. هذا بالاضافة الى أن بعض الأمراض ينظر إليها على أنها أمراض محترمة (بمعنى أن الفرد لا يخجل منها) مثل أمراض القلب. وبعضها الآخر يعتبر أمراضا غير محترمة كالامراض التناسلية.

وكذلك فإن التغيرات التكنولوجية والصناعية قد تسبب أمراضا غير متوقعة. فعلى سبيل المثال، أدى التحضر السريع الذى حدث فى القرن التاسع عشر إلى تلوث مصادر مياه الشرب فى لندن، وأدى ذلك بدوره إلى انتشار وباء الطاعون الذى راح ضحيته عدد كبير من سكان المدينة.

وحديثا جدا، وجدت في مياه الولايات الوسطى الغربية فى الولايات المتحدة، أثار مواد كيمائية هى PCB تسبب عديدا من الأمراض مثل مرض السرطان والأمراض الجلدية، بالاضافة إلى تأثيرها على الانجاب. واليوم، يتعرض العاملون فى المجالات النووية للامراض السرطانية. والقضية التى نود أن نشير إليها هنا، أن لكل مرحلة تطور اقتصادى وتكنولوجى، أنماطه الصحية والمرضية الخاصة، كما أن له أيضا طرقه الخاصة فى العلاج. ومع ذلك، فإن جميع الامراض تشترك فى نتائجها غير المرغوب فيها بالنسبة للفرد والمجتمع، فهى إما أن تكون مؤلمة للفرد وإما أن تكون معوقة له عن أداء أدواره الاجتماعية، الأمر الذى يلحق بالمجتمع ضررا كبيرا، ومن هنا، كان لابد من تدخل الطب بكل فروعه الوقائية والعلاجية.

وخلال معظم مراحل التاريخ الانسانى، كانت الأمراض تحدث بسبب كائنات حية ميكروسكوبية مثل الجراثيم والفيروسات والفطريات، وكانت السبب وراء معظم حالات الوفيات. ولكن حدث الآن تغير كبير فى الأسباب المؤدية إلى

الوفاة، ويتوقف ذلك بطبيعة الحال، على المستوى الصحى والغذائى فى المجتمع. ومعظم الأمراض فى الدول العصرية الآن، أمراض مزمنة، ولا توجد فيها أمراض تنشأ عن هذه الكائنات الحية الميكروسكوبية أو أمراض تنتقل بالعدوى، أو على الأقل، لم تعد هذه الامراض كما كانت عليه فى الماضى.

ويعـرف العلم الـذى يهتم بدراسة أسباب الأمراض وأنماطها ومشكلاتها فى المجتمع، بأسم «علم الفطريات» ويهتم علماء الفطريات الاجتماعيون بوجه خاص بتوزع المرض فى السياق الاجتماعى. بمعنى، كيفية ارتباط أساليب حياة الأفراد والجماعات بظهور أو عدم ظهور الأمراض. كما يهتمون أيضا بتحليل العلاقة بين مسبب مرض معـين كالجـراثيم والفيروسات، والبيئة الفيزيقية والاجتماعية التى يعيش فيها الفرد. والواقع، أن علم الفطريات له فوائد عديدة، فقد تمخضت أبحاثه عن مزيد من المعرفة بأنماط كل من المرض والصحة، كما ألقت الضوء على معدلات الأمراض المختلفة بين السكان. فعلى سبيل المثال، لاحظ الطبيب اللندنى «جون سنو John Snow» أثناء انتشار وباء الطاعون فى لندن عام ١٨٥٤ تباينا حادا فى عدد المصابين بالطاعون بين أحياء لندن المختلفة، واستطاع أن يتعقب سبب هذه الـظاهـرة حتى توصـل إلى أنها ترجع إلى المياه الملوثة التى يستخدمها سكان الأحياء التى انتشر فيها ومنها هذا الوباء. أى أنه وجد أن الوباء إنما يرجع إلى المياه الملوثة فى هذه الأحياء. وكذلك أخذ علماء الطفيليات على عاتقهم القيام بدراسات أكثر تعقيدا، مثل دراسة العوامل الكامنة وراء الأمراض المعدية والمتوطنة. فالدرن (السل) على سبيل المثال، يعزى إلى نوع خاص من الجـراثيم أو البكـتريا، ولكن العدوى به لا تتوقف فقط على التعرض لجرثومة المرض، ولكنها تتوقف أيضا على الظروف الاجتماعية العامة، وعلى الحالة الصحية الخاصة للفرد الذى يتعرض لجرثومة هذا المرض. وعندما حدثت الثورة الصناعية وازدادت الهجرة من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية، حدث تغير كبير فى أسلوب الحياة الـذى إعتـاده المهاجرون فى الريف، ومن أهم هذه التغيرات، الازدحام واكتظاظ البيوت بالسكان، مع عدم وجود رعاية صحية أو تغذية كافية أو حتى علاج مناسب، الأمر الذى أدى إلى زيادة عدد مرضى الدرن، وزيادة عدد الوفيات بسببه. وقد أدى معرفة هذه العوامل الاجتماعية وعزلها الى العمل على تصحيحها. ولم يعد ينظر الى الدرن اليوم على أنه مرض فتاك. وهكذا،

فإن التغيرات التى حدثت فى أسلوب الحياة كان لها تأثير كبير، سواء فى حدوث الأمراض أو فى اختفائها.

وبعكس ما هو متوقع، فإنه بالرغم من أن الولايات المتحدة تنفق ٩٪ من مجمل دخلها القومى على الرعاية الصحية، فإن متوسط أعمار الامريكيين أقل من متوسط أعمار أفراد الدول الصناعية الأخرى.

وبالرغم من وجود علاقة إلى حد ما بين ما يخص الطبيب الواحد من آلاف السكان، ومتوسط الأعمار، فإن هذا لا ينهض وحده سببا كافيا لتفسير أن متوسط أعمار سكان بلدان مثل كندا والسويد وهولندا أطول. ومهما يكن من أمر، فإن الاجابة عن هذا التساؤل تكمن فى مدى تنظيم وسهولة ويسر الرعاية الطبية المتاحة. ويبين الجدول الآتى متوسط الأعمار منذ الميلاد فى عدد من البلدان بالنسبة للجنس وعدد آلاف السكان بالنسبة للطبيب الواحد.

جدول يبين متوسط الاعمار فى عدد من البلدان وعدد آلاف الأفراد بالنسبة لكل طبيب

الدولة	متوسط الأعمار		عدد آلاف السكان بالنسبة للطبيب الواحد
	الذكور	الاناث	
السويد	٧٢	٧٧	٦٠٠
البلاد الواطئة	٧١	٧٧	٦٠٠
كندا	٦٩	٧٦	٦٠٠
الولايات المتحدة	٦٨	٧٦	٦٠٠
الهند	٤٢	٤١	٤١٠
الاتحاد السوفيتى	٦٤	٧٤	٣٠٠

المصدر : Statistical Abstract of the United States, 1979, table 1550, Table 1547, Statistics Canads, Health: United States, 1975.

تنظيم خدمات الرعاية الصحية و تمويلها وتيسيرها:
The Organization, Financing, and Accessibility of Health Care Services

بالرغم من أن هناك عديدا من الاقتراحات بصدد تنظيم الرعاية الصحية، فإنه توجد ثلاثة تنظيمات أكثر ملاءمة للظروف الامريكية حاليا ومستقبليا.

١ - النموذج المهنى Professional Model

وهو أكثر التنظيمات استخداما اليوم فى الولايات المتحدة. ويقوم على تخصيص طبيب لكل عدد من السكان، يعالجهم إذا مرضوا. ويترددون عليه للفحص الدورى ومناقشة أية مشكلة صحية. وميزة هذا التنظيم، قيام علاقة وثيقة وروابط صداقة ومودة بين الطبيب ومرضاه. وتحدد الأجور من قبل الهيئات الطبية بالنسبة للخدمة الطبية المتاحة والتخصص المتوفر، والمنطقة الجغرافية التى تقع فيها هذه العيادات.

٢ - نموذج التخطيط المركزى Central Planning Model

ويقوم هذا النموذج على السيطرة على تخطيط الرعاية الصحية، وعلى تحديد نسب هيئات الطب والتمريض، وتحديد مصادر التمويل. فى هذا النموذج لا يوجد اختلاف أو تمايز بين منطقة جغرافية ومنطقة أخرى. وسلطات التخطيط المركزى أو الهيئات الصحية هى المسئولة عن التنسيق بين المصادر البشرية والمالية المتاحة، وما يقدم من تسهيلات لكل منطقة. ويشبه هذا النموذج النظام الموجود فى السويد، وهو تخصيص مركز صحى لكل ١٥٫٠٠٠ شخص، وتخصيص مستشفى مركزى لكل منطقة يتراوح عدد أفرادها بين ٦٠٫٠٠٠، ٩٠٫٠٠٠ ألف نسمة. ويتبع كل هؤلاء لمستشفى أكبر يخصص لحوالى مليون شخص. وكل ذلك مسئولية مؤسسة حكومية أو مجموعة مؤسسات حكومية. وباختصار، فإن الخدمات فى هذا النموذج تنظم على أساس التقديرات الحكومية والسكانية للخدمات التى يحتاجها السكان، ويعين الأطباء إما بعقد شهرى، وإما بعقد خاص. وتمول الحكومة ومؤسسات التأمين هذه الخدمات الطبية، وهذا لا يمنع من إجراء هؤلاء الأطباء لبعض الفحوص الخاصة، فإن ذلك فى الواقع يعد استثناء، ولا يحدث

الا فى أضيق الحدود.

٣ ـ مؤسسات المحافظة على الصحة Health Maintenance Organization

وفى هذا النموذج الذى يكاد يكون نموذجا تنفرد به أمريكا، ويقوم على مؤسسات خاصة استثمارية يدفع كل فرد يريد أن يحصل على خدماتها مبالغ كبيرة مقدما، ويرى مؤيدو هذا النموذج أنه يتيح تنافسا بين هذه المؤسساتب، ويجعلها توفر أحدث المعدات والتجهيزات، بالاضافة الى استخدام أشهر الأطباء. وقد انتقد هذا النموذج على أساس أن الفقراء الذين هم فى حاجة حقيقية للعلاج، لا يستطيعون الدخول فى عضوية هذه المؤسسات والحصول على الرعاية الطبية المتاحة فيها (Lennex,1980).

يتضح من هذه المناقشة للنماذج الثلاثة، أنه لا يوجد اتفاق على طرق توفير الرعاية الطبية، فالبعض يرى ضرورة تدخل الحكومة لتوفير هذه الرعاية، فمن شأن ذلك توفير رعاية صحية لجميع أفراد الشعب، وأما الذين يعارضون تدخل الحكومة فيرون أن هذا التدخل سوف يقضى على الكفايات الطبية ويحد من الاستقلالية المهنية، بالاضافة إلى أنه سوف يقلل من نوعية الخدمات الصحية المتاحة. ويفضل أصحاب هذا الرأى العيادات الفردية الخاصة، حيث سيشجع ذلك أصحاب الكفايات العلمية على المزيد من البحث والدراسة والتخصص الدقيق. ومهما يكن من أمر، فإن هذه النماذج الثلاثة توجد فى أمريكا.

ويوجد نظام أخر فى بريطانيا، وهو نظام التأمين الصحى الشامل، ويمول عن طريق ضريبة خاصة لهذا الغرض. وقد أثبت هذا النظام فاعليته، فتكاليفه أقل من تكاليف العلاج فى الولايات المتحدة، وخدماته أفضل. ولا توجد الا أقلية ضئيلة جدا فى بريطانيا ترغب فى استبدال هذا النظام بالنماذج الموجودة فى الولايات المتحدة (Malone,1978)

البيئة The Environment

ثمة مظهر آخر من مظاهر نوعية الحياة لقى اهتماما خاصا فى السنوات الأخيرة، ذلك هو نوعية البيئة. فنظرا لمعدلات الزيادة السريعة فى سكان العالم، فإن المخاوف بدأت تتزايد من نفاد الموارد الطبيعية ومن تلوث الماء والهواء. وقد

أصبحت هذه القضايا اليوم محور إهتمام العلماء وعامة الناس.

وإن من قبيل التبسيط الشديد، القول بأن الاهتمام بتعديل البيئة قضية معاصرة. فعبر التاريخ الانسانى كله، كانت توجد محاولات لاستغلال البيئة الطبيعية، منذ الجمع والصيد والزراعة، وعندما أخذت النباتات البرية وزعت على شكل محاصيل، ومنذ أن تحولت أجزاء من الغابات الى أراض زراعية، وعندما قام الانسان بتشييد المدن والتحول من الريف اليها، وعندما أقام الانسان المصانع المختلفة، ولكن الانسان لم يكن يدرى أن هذا السباق المحموم نحو التصنيع، إنما هو سباق أيضا نحو تلويث البيئة وأهدار للموارد الطبيعية.

وتنبأ جماعة من العلماء المعنيين بهذه القضايا، بأن المجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية سرعان ما ستنهار تماما، نتيجة فقدان المصادر الطبيعية التى لا تعوض مثل الأرض الصالحة للزراعة والنفط والغاز الطبيعي (Meadows, et al, 1972) بل قال البعض إن الساعة قد أزفت، وستصبح كل هذه الحضارة قاعا صفصفا كأن لم تغن بالأمس. فالمصادر الطبيعية سوف تقل بدرجة كبيرة بنهاية هذا القرن، الأمر الذى سيؤدى إلى تناقص حظ الفرد من الغذاء، والتزايد المستمر للسكان بهذه المعدلات المرتفعة سوف يخل بتوازن الدول النامية. ومن ثم فإلى أن تقوم الساعة التى علمها عند الله وحده، فلابد أن نجد الحلول لايقاف هذا التدهور. ولقد اقترح «ميدوز Meadows » عدة اقتراحات بدأ الأخذ ببعضها فى الولايات المتحدة وكندا، مثل:

١ - تثبيت حجم السكان بحيث تصبح معدلات المواليد متساوية مع معدلات الوفيات.
٢ - تحويل الاهتمام من التركيز على نتاج السلع، إلى الاهتمام باقتصاديات الخدمات.
٣ - تخفيض نسبة التلوث إلى ربع ما هو موجود عام ١٩٧٠.
٤ - خفض استهلاك الموارد الطبيعية التى لا تعوض.
٥ - تحويل مسار رأس المال من الانتاج الصناعى إلى إنتاج الغذاء.
٦ - استنباط طرق للاحتفاظ بخصوبة الأرض، وتعويض ما يفقد من هذه الخصوبة.

٧ ـ تطوير الصناعات المعمرة مدى الحياة وتحسين كفاءتها، والعمل على استغلال المصادر الطبيعية للطاقة، كطواحين الهواء، والطاقة الشمسية، وغيرها للتقليل من الفاقد من المصادر الطبيعية.

الخلاصـــــة

يقوم الديموجرافيون بدراسة خصائص السكان وتوزيعهم. وتعد الاحصاءات السكانية، والاحصاءات الحيوية، والاحصاءات بالعينة، من أهم المصادر التى يستخدمها الديموجرافيون. وإن الاحصاءات الشاملة للسكان عملية ملزمة فى بعض البلدان، وهى تتم فى الولايات المتحدة وكندا كل عشر سنوات. وتستخدم الاحصاءات الصغيرة أو الاحصاءات بالعينة، لاتاحة معارف حديثة فى أقصر وقت، وبأقل التكاليف والاحصاءات الحيوية هى سجلات للمواليد، والوفيات، والهجرة، والزواج، والطلاق، وغير ذلك من أحداث هامة. وتشمل احصاءات الهجرة، من الدولة والهجرة اليها.

وترتبط التغيرات فى حجم السكان بمدى توفر الغذاء ومستوى التكنولوجيا المتاح فى المجتمع. وقد كان النمو السكانى يسير ببطء لمدة مئات الآلاف من السنين، حتى جاءت الثورة الصناعية فبدأ السكان يزيدون بمعدلات كبيرة جدا فى العالم كله. وتتصف المرحلة الأولى للتحول الديموجرافى بانخفاض معدلات الوفيات مصحوبة باستمرار الزيادة فى معدلات المواليد، الأمر الذى أدى إلى زيادة كبيرة فى السكان. وبعد عدة عقود، بدأ معدل المواليد فى الانخفاض، وكذلك معدل الزيادة الطبيعية للسكان.

وأهم التغيرات فى تركيب السكان هى معدلات المواليد، ومعدلات الوفيات، ومعدلات الخصوبة، وأيضا معدلات الهجرة. وقد انعكس انخفاض معدلات الوفيات فى السن الصغير على زيادة متوسط الأعمار. وتؤثر الهجرة من الدولة وإليها فى توزيعات العمر والجنس فى كل من الدولتين المرسلة والمستقبلة. ويلخص الديموجرافيون تركيب العمر والجنس فى أى مجتمع من المجتمعات على هيئة أشكال هرمية تقوم على ما يتاح من معارف عن المواليد والوفيات، وصافى الهجرة فى زمن محدد.

وتوجد فروق اقليمية أساسية فى النمو السكانى فى الولايات المتحدة. وقد اجتذبت الولايات التى تقع فى الحزام الشمسى مهاجرين من الولايات الأمر الذى ترتب عليه انخفاض السكان فى الولايات التى تقع فى الحزام الجليدى. ويرجع ذلك إلى عوامل إقتصادية واجتماعية وشخصية.

ويمكن القول بوجه عام، إن الصحة أهم مؤشر يدل على نوعية الحياة فى أى مجتمع من المجتمعات، وهى ترتبط ارتباطا وثيقا بالتصنيع، وتوزيع السلطة، والثروة، والاحترام. وتحدد الثقافة السائدة، المعنى الاجتماعى للصحة، ويتباين هذا المعنى بتباين المجتمعات. فعلى سبيل المثال، بينما تنفق الولايات المتحدة ٩٪ من مجمل دخلها القومى على الرياضة الصحية، فإن متوسط أعمار أفرادها أقل من عديد من الدول الصناعية الأخرى، وكذلك فإن معدلات وفيات الأطفال فيها أكثر من هذه الدول.

وتشكل نوعية البيئة بعدا آخر لنوعية الحياة. وقد بدأ الاهتمام يتزايد فى العقدين الأخيرين بتلوث الهواء والمياه واستنفاد مصادر البيئة الطبيعية بواسطة أبناء المجتمعات الصناعية. ويتنبأ عديد من العلماء بالنتائج المدمرة لهذا التطور الصناعى على الصحة ومستويات المعيشة، بينما يتحدث آخرون عن قدرة التكنولوجيا على التغلب على هذه المشكلات. ولكن ثمة دلائل تشير الى أن معدلات الخصوبة والمواليد بدأت تنخفض على مستوى العالم، وأن كثيرا من الدول النامية أصبحت تتقبل فكرة تنظيم السكان. ومع ذلك، فإن سكان العالم يستمرون فى الزيادة بمقدار عدة ملايين فى اليوم الواحد، وهذا المعدل أقل مما كان عليه من عشر سنوات. وأخيرا، فإن التلوث الصناعى يهدد الدول الصناعية على ظهر كوكبنا الأرضى.

قـــراءات مقترحـــة

Ehrenreich, Barbara, and **Deirdre English.** *For Her Own Good: 150 Years of the Experts' Advice to Women* (Garden City, N.Y.: Anchor, 1979). A penetrating and provocative historical analysis of the struggle between women and the medical and psychiatric establishments.

Kotelchuck, David (Ed.). *Prognosis Negative: Crisis in the Health Care System*

(New York: Vintage Books, 1976). The staff of the Health Policy Advisory Center (Health PAC) provides an extensive analysis of health care institutions, health care personnel, and government intervention in the health system of the united States.

Overbeck, Johannes. *Population and Canadian Society* (Toronto: Butterworth, 1980). In this comprehensive overview. Population developments in Canada are compared with data from the United States, other industrial nations, and Third World countries.

Page, Joseph, and **mary-Win O'Brian.** *Bitter Wages* (New York: Grossman, 1973). Members of Ralph Nader's research group identify the social and structural factors that result in occupational hazards and injuries and the lack of protectionof workers in the United States.

Van der Tak, Jan, Cart haub, and **Elaine Murphy.** "Our Population Predicament: A New Look," *Population Bulletin,* 34:5, December 1979. This extremely readable monograph examines the demographic transition in industrial and industrializing nations, as well as probable directions of change in the remainder of this century.

Wrong, Dennis. *Population and Society* (New York: random House, 1976). Wrong's discussion of major demographic concepts and the dynamics of population growth is both concise and comprehensive.

الفصل السابع عشر

الجريمة والعقاب

Crime and Punishment

الفصل السابع عشر

الجريمـــة والعقـــاب

Crime and Punishment

فى عام ١٩٨٠ اتهم شاب يبلغ السادسة والعشرين من عمره يشغل وظيفة مرموقة فى مجلس النواب الأمريكى بأخذ رشوة من أحد الأشخاص تبلغ ٥٠،٠٠٠ دولار مقابل دخوله إلى الولايات المتحدة دون أن يمر بتحريات مكتب الهجرة. وفى مارس عام ١٩٨٠ انفجرت قنبلة موقوتة داخل البنك الكندى للتجارة فى مدينة فانكوفر بكولومبيا البريطانية. وكان ذلك هو الحادث الخامس عشر خلال عشرة أسابيع، وكلها موجهة إلى البنوك أو المكاتب الحكومية، ويعتقد أن وراءها دوافع سياسية. وأثناء انعقاد جلسة لجماعة المعالجين النفسيين، دخل رجلس مسلح إلى قاعة الاجتماع قائلا: نقودكم أو اقتلكم «وهرب الرجل المسلح بعد أخذ حوالى ٩٠٠ دولار من المعالجين النفسيين.

وفى سبتمبر عام ١٩٧٩ أطلق أحد القناصة غير المعروفين عيارا ناريا على أحد اللاعبين الزنوج أثناء مباراة فى دورى كرة القدم للمدارس الثانوية، فى مدينة بوسطن بالولايات المتحدة، ويرقد هذا الصبى الآن فى حالة شلل شبه كامل.

ما هى الملامح المشتركة بين هذه الحوادث؟ إنه بالرغم من تباين الدوافع التى تكمن وراءهـــا، وتـــراوحهـــا بين الأسبـاب السياسية، والمادية، والعـدوانية، والعنصرية، فإنها تشترك جميعها فى سمة واحدة، أنها أفعال ضد القانون، وسلوك إجرامى، لأن كل فعل ينتهك القوانين السائدة يؤثَّم ويجرم.

وتوضح الأمثلة السابقة، التباين الواسع فى نوعيات الجرائم والمجرمين، هذا بالاضافة الى أن بعض الجرائم تلقى إهتماما خاصا من الجماهير. ومن ثم تفيض فيها وسائل الاعلام المختلفة، وتتبعها وتسهب فى تحليلها وبيان دوافعها. ويدأ

علماء الاجتماع بدورهم يهتمون بالجريمة وبالسلوك المنحرف. ولقد رأينا فى الفصل السادس الخاص بالتطابق والانحراف بأنه طالما أن لكل مجتمع قواعده ومعاييره، فلابد أن يوجد من تسول له نفسه الخروج عليها، ومن هنا نشأت مؤسسات الضبط الاجتماعى لإجبار الناس على التطابق مع المعايير والقواعد والقوانين.

وتتوقف معدلات الجريمة فى أى مجتمع من المجتمعات على عاملين:

١ ـ أنواع السلوك التى يجرمها القانون.
٢ ـ فاعلية ميكانيزمات الضبط الاجتماعى.

هل تلقى الانحرافات الاجتماعية جزاءات واحدة، أو أن الجزاءات تختلف باختلاف ما يثيره الانحراف من ردود فعل على المجتمع؟ ان بعض الانحرافات البسيطة لا تثير اضطرابا كبيرا فى المجتمع، ومن هنا فإنها تواجه بجزاءات غير رسمية كالاحتقار والنبذ والاستهجان، ويثير بعضها اضطرابا وفزعا لأعضاء المجتمع كأنواع الجرائم المختلفة، ومن ثم يتعرض مقترفوها لجزاءات اجتماعية رسمية كالسجن والاعدام، وسوف نعرض فى هذا الفصل للأنواع المختلفة من الجرائم فى المجتمع المعاصر، وتعد الجريمة ظاهرة اجتماعية، ونتاج ما يتم بين الأفراد من تفاعل اجتماعى.

دور القانـــون
The Role of Law

يعد القانون فى المجتمعات الحديثة تجسيدا رسميا للقواعد لإلاجبار على التطابق. وأما فى المجتمعات البسيطة، فالذى يجبر على التطابق الأعراف والجزاءات الاجتماعية التى تقوم بها مؤسسات غير رسمية. وتصبح الأعراف الاجتماعية قوانين عندما يواجه الخارج عليها بطريقة معروفة مقدما، ومتفق عليها اجتماعيا بواسطة طرف ثالث له هذه السلطة. أى أن المعايير تدعم بواسطة مجموعة غير شخصية تمثل المجتمع ككل تفوض فى سلطة الادعاء، وسلطة الحكم. وغالبا ما يميز فى القانون المعاصر بين القانون الجنائى والقانون المدنى. فالفعل الذى يعتقد أنه موجه ضد مصالح المجتمع أو الدولة، يعاقب مقترفه وفقا لأحكام

القانون الجنائى. وأما السلوك الموجه ضد مصالح الأفراد الخاصة، فإن مرتكبه يعاقب وفق أحكام القانون المدنى. والواقع، أن التمييز بين هذه النوعين من القانون ليس حرفيا كما يدل على ذلك منطوق كل منهما. فجريمة الاغتصاب مثلا، جريمة موجهة ضد شخص معين، ولكنها تمثل أيضا تهديدا لمصالح كافة أفراد المجتمع، طالما أن الناس جميعا فى حاجة إلى الشعور بالأمن والأطمئنان على عدم إمكانية تعرضهم لهذا الفعل. ومن هنا، فإن مرتكب مثل هذا الفعل يعاقب وفقا لأحكام كل من القانون الجنائى والقانون المدنى.

(Quinney and Wildman,1977)

والقانون الجنائى مجموعة من القواعد والنظم السائدة فى أى مجتمع من المجتمعات، تتفق مع معايير العائلة والدين وغير ذلك من النظم البنائية الأخرى. وقد عرف السلوك الجنائى تعريفا دقيقا فى التوراة التى أنزلت على موسى عليه السلام. ولم تحدث منذ ذلك الوقت إلا بعض الاضافات الجديدة البسيطة مثل القرصنة الجوية، والتهرب من الضرائب والتسلل عبر الحدود. وإن ما يعتبر جريمة فى وقت معين ومكان معين، قد لا يعتبر جريمة فى وقت أو مكان آخر. فعلى سبيل المثال، كان الرق قبل الحرب الأهلية الامريكية يعتبر أمرا مشروعا فى الولايات المتحدة. أما اليوم، فإن الرق لا يعد أمرا غير مشروع فحسب، بل إن أى فرد يعامل فردا آخر كعبد يقع تحت طائلة القانون، ويمكن أن يحكم عليه بالسجن. ولا يحتمل مطلقا وجود مجتمع يخلو من الجريمة. ويذهب «دوركيم» أن الجريمة ضرورية لجميع المجتمعات وذلك لوظائفها الكامنة Latent functions فى إحداث التلاحم الاجتماعى، وتحديد السلوك الذى لا يتفق مع المعايير. وينبغى أن تؤخذ مقولة «دوركيم» فى الاطار الذى أشار إليه وهو وظائفها الكامنة. وفكرة دوروكيم فى الوظيفة الكامنة للجريمة، أشبه ما تكون بفكرة حقن الجسم بجراثيم حية ضعيفة ليكوّن الجسم مناعة ضدها، ومن أمثلة هذه الأمراض الدفتريا، والسعال الديكى، وشلل الأطفال، والدرن الخ. كما أن العقاب الرادع الذى يوقع على مقترف الجريمة يذكر الغافلين أن ثمة معايير، وقواعد، وقوانين.

وإن تصور الجريمة على أنها خطأ يرتكب بحق المجتمع، تصور قديم جدا، ولكن توقيع العقوبة كان يترك للشخص المتضرر أو لعائلته أكثر مما يترك لمؤسسات الدولة. وإن قصاص «العين بالعين والسن بالسن» فيه حياة المجتمع والناس.

يقول تعالى: «ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون» ومن شأن هذا القصاص أن يعيد التوازن الى المجتمع، وأن يحقق العدالة، فلا يحدث تجاوز، وإنما يكون العقاب بقدر ما أوقعه الفاعل من ضرر. وبظهور الدول القومية، انتزع حق توقيع العقوبة من الشخص المتضرر أو عائلته، وأصبح ذلك من صميم عمل الدولة. وعندما توقع العقوبات على كل من يرتكب عملا مخالفا للقانون دونما استثناء، فإننا نستطيع أن نتكلم عندئذ عن دور القانون وسيادته. وإذا كانت أفكار مثل العدالة والمساواة تعد أفكارا حديثة فى الغرب، فلقد سبق الاسلام إلى ذلك بقرون عديدة. يقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: «وأيم الله، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطع محمد يدها» وطبق الخلفاء الراشدون ذلك من بعده، على سبيل المثال، عندما قال الخليفة عمر بن الخطاب للمصرى: «اضرب ابن الأكرمين».

كيف تحولت المعايير إلى قوانين؟ How Norms Become Laws?

توجد ثلاثة تفسيرات نظرية على الأقل لكيفية تحول المعايير وتبلورها على شكل قوانين هى:

أولا: الضرر الاجتماعى The Social Injury.

ويعد هذا الاتجاه أكثر الاتجاهات الثلاثة معقولية، ويقوم على افتراض أن جميع القوانين إنما شرعت لحماية أعضاء المجتمع مما قد يقع عليهم من ضرر. ومن ثم فإن منطق القوانين الحيلولة دون تكرار الأفعال التى تلحق ضررا بالأفراد أو تتعارض مع الأخلاقيات أو تصطدم بمصالح الدولة. ولكن هذا الاتجاه لم يحدد نوع الأضرار أو ماهية الأفعال الضارة، كما أنه لم يحدد أيضا من هو الذى يحدد أن هذه الأفعال تعد أفعالا ضارة؟

ثانيا: الاجماع The Consensus

يقوم هذا النموذج على فكرة أن المعايير تتحول إلى قوانين ملزمة حين بلورت العادات الشائعة، وعكست الضمير الجمعى والاخلاقيات السائدة. ومن هنا فإن تعدد القوانين يعد إنعكاسا للرأى العام، وسجلا لما يحدث من تغيرات فى القيم الاجتماعية داخل أى مجتمع من المجتمعات. وقد تبلور القوانين بعض القضايا

التى لا يكون فيها إجماع، والتى توجد بعض الخلافات بصددها، ولكن هذه الخلافات غالبا ما تكون حول المسائل قليلة الأهمية. وأما المسائل الهامة فلا يحدث عليها خلاف. وهذه هى وجهة نظر الوظيفيين التى استقوها من أعمال «دوركيم» ومن كتابات تلاميذه. فالتركيز هنا يكون على تحقيق التلاحم الاجتماعى، ومهما يحدث من صراع وتنافس بين الجماعات داخل المجتمع، فإن الجميع ينبغى أن يخضع للمعايير الاجتماعية التى تجسدت وتبلورت فيما شرع من قوانين أجمع الناس عليها.

ثالثا : اتجاه الصـراع Conflict Approach

ويتمثـل هذا الاتجـاه الـذى يختلف عن الاتجاهين السابقين، فى التفسيرين اللذين ذهب إليهما بشأن كيفية تحول المعايير إلى قوانين. ينطلق التفسير الأول من منظور اقتصادى متأثرا بأراء الاشتراكيين الذين يؤكدون على أهمية الروابط التى توجـد بين المصـالـح الاقتصـادية للمنحـرفـين، وبين المصالح الاقتصادية لغير المنحـرفـين. فيرى الاشـتراكيون أن الجـريمة ترجع الى الافتئات على المصالح الاقتصادية للطبقة العاملة. ولا تستبعد الجريمة جماعة غير مرغوب فيها من قوة العمـل فحسب، ولكنها توجد أيضا أعمالا لفئات معينة كالقضاة، والمحامين، ووكلاء النيابة، ومختلف خبراء الجريمة والمعنيين بشئونها.

وقد أفاض «كوينى Quinney » عام ١٩٧٤ فى هذه النظرية، وقال إن النظام القانونى إنما يخدم مصالح الطبقة العليا بدلا من أن يكون فى خدمة المجتمع ككل. ويلخص «كوينى» المنظور الصراعى فى كيفية ظهور القوانين على النحو التالى:

١ ـ طالما تتضمن المجتمعات مصالح اقتصادية متبادلة، وطالما تتباين وجهات النظر إلى الصواب والخطأ تباينا كبيرا، فإن كلا من الأفراد والجماعات يحاول تحقيق أقصى منفعة له عن طريق إصدار قوانين معينة.

٢ ـ يتباين الأفراد وتتباين الجماعات فيما تحوزه من سلطة فى المجتمع.

٣ ـ وهكذا لا تدان عديد من الأنشطة التى تشكل خطورة حقيقية على حياة الناس، ولا توصم بالانحراف لأنها تخدم مصالح طبقة معينة، وذلك مثل

تجارة السلاح، وإثارة وتشجيع الحروب المحلية، والقيام بالتجارب النووية، وتحضير المواد المشعة، وصناعة السيارات الفارهة. ويقول أصحاب نظرية الصراع إن معظم القوانين التى تصدر إنما تعكس المصالح الاقتصادية، والسياسية، والايديولوجية للطبقة التى بيدها مقاليد السلطة الاقتصادية تكون لها اليد الطولى فى تحديد ما هو قانونى، وما هو مشروع، وما ليس كذلك.

وأما التفسير الثانى الذى ذهب إليه أصحاب نظرية الصراع لكيفية تحول المعايير الى قوانين، فقد اقترح من قبل مدرسة الصراع الثقافى، ويهتم هذا التفسير بصراع القيم، ويقول أصحابه: أنه بدلا من الاقتصار على الحديث عن الفروق الاقتصادية بين الجماعات، ينبغى أن نتجه الى تحليل ما يوجد من فروق واختلافات فى القيم. ويرى أصحاب هذا المنظور، أن تباين المصالح الاقتصادية يقسم المجتمع إلى جماعات متصارعة، وتصبح الأعراف، والعادات، والتقاليد، والقيم السائدة غير كافية لاستمرار تطابق أفراد الجماعة ومن ثم، فلابد من إصدار قوانين جديدة لفرض التطابق. والجماعة الأقوى فى ذلك الوقت هى التى تصدر القوانين التى تحقق مصالحها. (ليست الأغلبية بالضرورة).

وهكذا نرى أن كل منظور من المنظورات الثلاثة، ينظر إلى النظام القانونى من زاوية معينة، ولكننا مع ذلك نستطيع أن نقول إن النظام القانونى فى أى مجتمع من المجتمعات، نتاج التفاعل بين الحاجة إلى النظام وبين ما يحدث من تطابق أو صراع.

نظريات السلوك الاجرامى Theories of Criminal Behavior

تثار عديد من الأسئلة حول الجريمة، لعل من أهمها تساؤل الناس عن الأسباب التى تجعل البعض يتطابق مع القانون ويلتزم به، والأسباب التى تجعل آخرين يخرجون عليه وينحرفون عنه. وقد حاولت عديد من النظريات الاجتماعية أن تفسر أسباب الانحراف. وسوف نعرض لأهم هذه النظريات.

أولا: نظرية تباين التداعيات Differential Association Theory تعد نظرية تباين التداعيات التى ذهب إليها العالم الامريكى «سوزرلاند -Edwin H. Suther

land » (١٩٨٣ - ١٩٥٠) وهو من أشهر المشتغلين «بعلم الاجرام Criminolog » امتدادا منطقيا للرأى القائل بأن السلوك الانسانى سلوك مكتسب أو متعلم. ومن هنا، فإن السلوك الاجرامى سلوك متعلم شأنه شأن أى سلوك آخر يقوم به الفرد، ويتم بنفس العملية التى يتم بها تعلم أى شكل من أشكال السلوك، ويمكن تلخيص نظرية تباين التداعيات فى النقاط التالية:

١ - يتعلم الفرد السلوك الاجرامى خلال تفاعله الاجتماعى مع الآخرين. ولا يوجد أى أساس بيولوجى أو وراثى له.

٢ - يتعلم الشخص دوافع وطرق ارتكاب الجرائم داخل الجماعات الأولية أكثر مما يتعلمها من المجتمع الأكبر. فداخل هذه الجماعات الأولية، يتعلم الشخص كيف يتطابق مع المعايير والقواعد السائدة، أو كيف يخرج عليها، كما يتعلم السلوك الذى يسمح به فى المواقف المختلفة.

٣ - غالبا ما تحدث هذه التداعيات المتباينة والتى تتمخض عن سلوك إجرامى، فى فترة مبكرة من حياة الفرد، ويستمر هذا السلوك المنحرف لمدة طويلة، كما أنه يتسم بالحدة. ومن هنا يمكن القول، إن الفرد يغلب أن يصبح مجرما عندما يوجد فى بيئة تعظم من شأن الخروج على القانون، ولا تحاول معارضة أو عقاب أية بوادر انحرافية فى المرحلة المبكرة من العمر.

٤ - يتم تعلم أى سلوك اجرامى بنفس الطريقة التى يتم بها تعلم أى نوع آخر من السلوك، فالناس الذين يحبون المال حبا جما، يمكنهم جمعه بالجد، والاجتهاد، والمعاناة، وتحمل المشقات، وركوب الصعب، ويمكن أن يحاول البعض ذلك بأشكال من السلوك المنحرف الاجرامى. وما نريد أن نؤكده هنا، أنه لا يوجد نمط شخصية معين يجعل من شخص مجرما ومن الآخر شريفا. فالفرد يصبح مجرما عندما تكون معززات الخروج على القانون أقوى من القوامل الداعية للامتثال له والتطابق معه.

٥ - تمهد البيئة التى لا تستنكر الوسائل غير المشروعة للنجاح للسلوك الاجرامى. فالتسامح مع الغش فى الامتحانات على سبيل المثال، يعلم الطالب أنه يستطيع أن يحقق أهدافه باللجوء لوسائل غير مشروعة، وأن الجريمة يمكن أن تفيد. إن الطالب الذى تعلم تحقيق النجاح عن طريق

الغش فى الامتحانات، لن يجد غضاضة بعد ذلك فى أن يلجأ الى أى سلوك منحرف يحقق مآربه. ومن هنا، فإن التسامح مع أى طالب يحاول الغش فى الامتحانات جريمة فى حق الطالب، لأنه سوف يساعده على تعلم سلوك منحـرف غير سوى لتحقيق أهـدافه بأية وسيلة، حتى إذا كانت غير مشروعة. أى أن السلوك الاجرامى يعد استجابة للظروف التى ترى أن الغاية تبرر الوسيلة.

ثانيا : نظرية اختلاط المعايير Anomie Theory

تشير كلمة anomie كما ذكرنا فى الفصل السادس، الى المواقف التى تكون فيها المعايير مختلطة وغير واضحة. وتركز نظرية اختلاط المعايير على الخصائص البنائية الاجتماعية التى تتمخض عن السلوك المنحرف، وأهم هذه الخصائص، أن الأفراد لا يستطيعون تحقيق ما يصبون إليه من نجاح باللجوء إلى الوسائل المشروعة (Merton 1957) فالطفل الذى يشب فى قاع المدينة يدرك على وجه اليقين، أنه لا يمكن أن يحقق ثراء ماديا بالطرق المشروعة وبالوسائل الرسمية. فالفرص أمامه ضئيلة، إن لم تكن معدومة، ومن ثم لابد من البحث عن طرق أخرى، ولن تكون هذه الطرق الأخرى الا الوسائل غير المشروعة. وعلى ذلك يمكن أن نقول إن السلوك الاجرامى هو إحدى الاستجابات للتوزيع المتباين وغير المتساوى فى فرص النجاح.

وقد توسع «البرت كوهين Albert Cohen » عام ١٩٥٥ فى نظرية اختلاط المعايير، بذهابه إلى أن كلا من السلوك المنحرف والسلوك الملتزم بالقانون، يتوقف إلى حد كبير على ظروف الشخص الثقافية ـ الاجتماعية، وعلى تفاعله الاجتماعى. ويرجع ظهور السلوك المنحرف بين شباب وأحداث الطبقات شديدة الفقر، إلى أنهم لا يستطيعون خوض تنافس ناجح فى عالم الطبقة الوسطى. فعندما يلتحقون بالمدرسة فإنهم يقوّمون بمعايير الطبقة الوسطى التى لم يؤكد عليها خلال عملية تطبيعهم الاجتماعى السابق. ومن ثم يسقط فى أيديهم، ويعجزون عن التنافس بنجاح داخل المدرسة، ويبدأون فى تلمس النجاح فى مكان آخر، وهنا يكمن خطر الانحراف، لأن هذا المكان الآخر لن يكون سوى الانخراط فى أنشطة

عصابات الشباب التى يجدون فيها تحقيق ذواتهم وتأكيدها، كما يجدون فيها لونا من الاثارة.

ثالثا : نظرية بنية الفرص Opportunity Structure Theory

تذهب هذه النظرية إلى أن ما يشيع من إجرام أو انحراف داخل الثقافات الفرعية، يرجع أكثر ما يرجع إلى عدم وجود توازن بين الطموحات التى تبعثها الثقافة السائدة فى المجتمع، والفرص المتاحة أمام شباب هذه الطبقات الفقيرة لتحقيق النجاح وبلوغ الطموحات. الأمر الذى يمكن أن يتمخض عن سلوك اجرامى لبلوغ الثراء. أو عن سلوك عدوانى أو عن سلوك انسحابى يجتر فيه الشخص همومه مع المخدرات أو المسكرات.

وتستخدم نظريات الانحراف هذه، أكثر ما تستخدم لتفسير ما يعرف باسم «جرائم الشارع» أكثر من استخدامها لتفسير الجرائم الأخرى. وليس معنى ما ذهبنا إليه من شيوع الجرائم فى قاع المدن والأحياء الفقيرة، أن الانحراف قاصر على الفقراء، فالبيئات الغنية يمكن أن تفرخ أيضا أنواعا من السلوك الاجرامى كما سوف نرى خلال هذا الفصل.

الجريمة فى أمريكا الشمالية
Crime in North America

جرائم الشـــوارع Crime in the Streets

يشيع الخـوف من الجـريمـة فى كل من الولايات المتحدة وكندا. فقد ذكر أكثـر من ٤٠٪ من السكـان انهم يخشـون السـير فى الشـوارع بمفردهم ليلا (Book of Criminal Justice Statisties, 1973) وتكثر المخاوف في كلتا الدولتين من جرائم الشوارع. وهى الأفعال التى يتعرض فيها الناس لتهديد مباشر لممتلكاتهم أو أرواحهم. وسوف نعرض لأكثر أنواع هذه الجرائم شيوعا. ويوجد مصدران رئيسيان فى الولايات المتحدة للحصول على معلومات بصدد الجريمة.

أولا : التقارير الرسمية عن الجريمة Uniform Crime Reports

وهى التقارير التى يكتبها مكتب التحريات الفيدرالية والمستقاة من احصاءات الشرطة عن الجرائم التى يقومون بتحقيقها فى دوائر اختصاصاتهم فى المدن والولايات وسائر أنحاء البلاد. وأهم هذه الجرائم هى:

١ ـ القتل. ٢ ـ الاغتصاب. ٣ ـ السرقة بكل أنواعها.

ولم يتضمن التقرير جرائم مثل الاختلاس، والرشوة، والتزوير، والغش فى ألعاب القمار، وغير لك من جرائم ذوى الياقات البيضاء.

وبالرغم من أن عديدا من الجهات مثل وزارة الداخلية وأجهزة الاعلام، تستخدم هذه التقارير الرسمية لمعرفة الزيادة أو النقص فى معلات الجرائم، فإنه يوجد عليها تحفظان أساسيان. التحفظ الأول، أن كثيرا من الجرائم لا تبلغ للشرطة إما لخوف الضحايا من نتيجة التبليغ، وأما لأنهم لا يريدون تضييع وقتهم، أو لأنهم لا يرون جدوى ترجى من وراء ذلك. وهكذا فإن هذه الاحصاءات تكون أقل من الحقيقة بكثير. وأما التحفظ الثانى، فهو أن هذه التقارير كثيرا ما تخفى الحقيقة عن عمد لأسباب مختلفة.

وبالرغم من ذلك، فإن هذه التقارير تفيد كمؤشر تقريبى عن عدد وأنواع الجرائم التى تبلغ لجهات الشرطة.

ثانيا : المسح القومى للجريمة National Crime Survey

أنشىء فى الولايات المتحدة جهاز يقوم بعمليات مسح اجتماعى لسكان الولايات المتحدة لمعرفة ضحايا الجرائم المختلفة، ولاستقصاء أنواع الجرائم التى تعرضوا لها. وبالرغم من مزايا هذا المسح الاجتماعى الذى يعتمد على تقارير مباشرة من الضحايا عن طريق عينات ممثلة لمجموع السكان، فإن له أيضا عيوب، فنحن لا ندرى إلى أى مدى يحاول المفحوصون إخفاء ما وقع عليهم من جرائم، أو مدى مبالغتهم فيما وقع لهم، أو مدى تقليلهم من شأن ما حدث لهم.

جرائم العنف Violent Crimes

تتضمن جرائم العنف عدة أنواع، منها القتل أو الشروع فيه، والاستيلاء على الممتلكات بالقوة، والاغتصاب تحت التهديد، والسرقة. وفى احصاءات عام ١٩٧٩ كانت معدلات محاولات القتل والشروع فيه أعلى المعدلات فى عدد من الدول. فعلى سبيلب المثال، بلغت فى الولايات المتحدة ١ر٩٪ من كل ١٠٠٠٠ر١٠ جريمة. وبلغت فى كندا ٧ر٢، وفى السويد ٣ر١، وفى انجلترا ١ر١. وكان معظم الضحايا فى الولايات المتدة من الزنوج رجالا ونساء ٦ر٥٣ من كل ١٠٠٠٠ر١٠ من الرجال و ٠ر١٢ من النساء. فى حين كان الضحايا من الرجال البيض ٧ر٨ ومن النساء البيض ٩ر٢ تعد جرائم القتل السبب الثانى للوفيات فى الفئة العمرية (١٨ ـ ٢٤ عاما) فى الولايات المتحدة.

وقد ذهب علماء الاجتماع إلى أن هذه المعدلات المرتفعة لجرائم القتل ترجع إلى وجود العنف داخل الجماعات الفرعية، فالعدوان الجسمى يعد أحد المعايير السائدة كنوع من أنواع التفاعل الاجتماعى بين أفراد عدد من الجماعات الفرعية (Wolfgan and Ferracuti, 1967) فكثير من شباب الطبقة العاملة يكونون أكثر ميلا لحل مشكلاتهم عن طريق العنف، ولا نجد الأمر على هذا النحو بالنسبة لشباب الطبقة الوسطى.

ومهما يكن من أمر، فإننا نجد أن هذه الدراسات التى تتحدث عن العنف داخل الثقافة الفرعية تترك الجناة وتوجه اللوم للمجنى عليهم، فقد اتجهت هذه النظرية لوصف العنف داخل هذه الثقافات الفرعية، ولم تحاول أن تفسره بالظروف المحيطة بهم، مثل انعدام التسامح، والفقر، ومختلف أنواع الاحباطات، والطرق المسدودة أمامهم.

جرائم الممتلكات Property Crimes

تعد الجرائم المباشرة ضد الأشخاص قليلة إذا قورنت بجرائم الممتلكات، فقد سجلت محاضر الشرطة عام ١٩٧٨ ثلاثة ملايين حالة سطو ليلى على المنازل. و ٩ر٥ مليون حالة سطو فى وضح النهار، وما يقرب من مليون سرقة سيارات. والواقع أن هذه الاحصاءات أقل بكثير من عدد الجرائم التى ارتكبت فعلا.

فكثير من الضحايا لا يبلغون الشرطة عن السرقات التى تعرضت لها منازلهم، وخاصة اذا كانت قيمة المسروقات قليلة، أو من النوع الذى لا يمكن استرداد قيمته عن طريق التأمين.

من هم الذين يرتكبون جرائم الممتلكات؟ اذا استثنينا حالات السطو فى وضح النهار (لأن هذا النوع من السطو لا يرتكبه سوى مجرمين محترفين و متخصصين) فإن مرتكبى حوادث سرقة الممتلكات شباب من الذكور محدودى التعليم. وكان معظم من قبض عليهم منهم وقدم للمحاكمة وأدينوا بهذه الجرائم من أبناء الأقليات. ولم يقدم إلى المحاكمة بهذه التهم إلا عدد قليل نسبيا من أبناء الطبقة الوسطى، لأنهم غالبا ما كانوا يرسلون الى مصحات نفسية يتلقون فيها علاجا، واذا كانوا أحداثا، فإنهم يرسلون إلى مدارس خاصة أو إصلاحيات.

جرائم الاناث Female Criminals

لم يكتب حتى وقت قريب سوى أقل القليل عن جرائم النساء. ويقل كثيرا جدا عدد من قبض عليهن من النساء وأدن عن عدد الرجال الذين قبض عليهم وأدينوا في حوادث السرقة في الولايات المتحدة، فقد بلغت نسبتهن ١٦٪ من مجموعة الحالات، في حين بلغت في كندا ١٠٪ وكذلك فإن عدد النساء اللائى حكم عليهن بالسجن قليلات جدا.

وقد حاولت عدة نظريات أن تفسر ظاهرة عدم وجود جريمة نسائية، بعوامل بيولوجية، فالجريمة والعنف لا تتفق مع طبيعة المرأة، وفسرها آخرون بأن ما جبلت عليه المرأة من مكر وخبث يجعلها أشد حرصا، ومن ثم لا يكتشف أمرها. ويذهب آخرون إلى أن المرأة أكثر تطابقا وأكثر تمسكا بالأخلاق، كما أنها أشد تدينا، ومن ثم يصعب وقوعها في حبائل الغواية والانحدار إلى قاع الجريمة. كما أن المرأة أقل تعرضا لرفاق السوء الذين يزينون الوقوع في مثل هذه الجرائم، ومن هنا تكون فرصتها أقل في الانخراط في مثل هذا السلوك الاجرامى.

ويذهب آخرون إلى أن الاختلافات في أنواع الجريمة وأنماطها بين الرجال والنساء إنما يرجع الى عملية التطبيع الاجتماعى الخاصة بالذكورة والأنوثة، فتقول «فريدة أدلر Frida Adler, 1979» إن جرائم السرقات تتنافى مع دور المرأة

الاجتماعى وطبيعتها، فلا يمكن أن تقوم المرأة بجرائم سرقات كبيرة، أو بحوادث سطو مسلح، ويصعب أن تتصرف في المسروقات، وإن أهم الجرائم التي تدان فيها المرأة هى ممارسة البغاء، وبعض السرقات الخفيفة من المحلات التجارية في الغالب، أو التسكع في الشوارع.

ومع ذلك، فقد بدأت نسبة جرائم الإناث تزداد بدرجة ملحوظة خلال العقد الماضى، وخاصة جرائم مثل النصب، والاحتيال، والتزوير (Simon, 1979 – Steffensmenier, 1980) وتم القبض على نساء قليلات بتهمة القتل، وتعزى زيادة معدلات جرائم النساء إلى زيادة الفرص أمامهن لارتكاب مثل هذه الجرائم، أكثر مما يعزى إلى تغير جذرى في سمات شخصياتهن.

الجريمة المنظمة Organized Crime

توجد لدى عديد من الناس فكرة واضحة الآن عن الجريمة المنظمة لكثرة الأفلام التي عرضتها دور السينما عن هذا النوع من الجرائم. وقد بدأت ممارسة هذه الجرائم بواسطة بعض العائلات التي وفدت من جزيرة صقلية. وترتبط أفراد كل عائلة من هذه العائلات برئيسها بروابط وثيقة. ويدين أفرادها بالولاء المطلق له، وينفذون كل أمر يصدره إليهم بقتل من يريد في أى مكان، في بيته، أو في صالون الحلاقة، أو في محل تجارى. وأصبحت كلمات مثل «المافيا» و «الكوزانوسترا» مرادفة للجريمة المنظمة.

والواقع أنه يصعب الآن فصل الحقيقة عن الخيال بصدد الجريمة المنظمة. وتستقى المعلومات بصدد هذا النوع من الجرائم من سجلات وزارة العدل، ومن سجلات المحاكم، ومن الصحافة. وأبسط تعريف للجريمة المنظمة، أنها جماعة منظمة تسعى للحصول على المال بطرق غير مشروعة متحدية كل القوانين والتشريعات. وتشكل المافيا وغيرها بنيات منظمة تنظيما تاما وغير عابئة بسيطرة الحكومة، بل إنها تتحدى باستمرار سلطتها.

- وتتصف الجريمة المنظمة بثلاث خصائص رئيسية:

١ - أنها تمارس وتدير أعمالا لا يمكن لغيرها أن يمارسه أو يديره مثل نوادى القمار، وتجارة المخدرات، والسرقات الضخمة.

٢ ـ أنها لا تتورع عن اللجوء إلى شتى الوسائل التي تساعد على استمرار أنشطتها غير القانونية كالرشوة وغيرها من الوسائل القذرة.
٣ ـ أنها تلجأ إلى العنف لضمان الانصياع لأوامرها وعدم التعرض لأنشطتها.

والجريمة المنظمة ليست جديدة، كما أنها غير قاصرة على الصقليين. فعندما وفد المهاجرون إلى أمريكا، وجد البعض أن طرقها ليست مفروشة بالذهب، ولم يلاقوا إلا التفرقة بكل أنواعها والتعصب بمختلف أشكاله، ووقف كل ذلك سدا منيعا بينهم وبين الفرص الاقتصادية المتاحة والمشروعة. فلم يعد أمامهم سوى طريق واحد يسلكونه للحراك الاجتماعى، وهو طريق الجريمة واللجوء الى الوسائل غير المشروعة. وقد مارس بعض الأيرلنديين والألمان الجريمة المنظمة في أمريكا في الجزء الأخير من القرن التاسع عشر. ثم تبعهم اليهود الأوربيون الشرقيون، وقد بدأ الايطاليون في العشرينيات من هذا القرن يمارسون هذا النوع من الجرائم. ولقد كانت الجريمة جذابة دائما كبديل للفقر في الأحياء الفقيرة من المدن الأمريكية.

فاذا كانت الجرائم المنظمة تتخذ سلما يرتقى للحراك الاجتماعى، فإن كل أقلية تشعر بانغلاق الطرق أمامها كالزنوج أو الذين من أصل أسبانى، تلجأ إلى الجريمة المنظمة.

وتستثمر أموال هائلة في هذه الجرائم المنظمة، وقدرت أرباح القمار غير المشروع بمبالغ تتراوح بين ٧ بلايين و ١٥ بليونا و ٥٠ بليونا من الدولارات عام ١٩٦٧ هذا بالرغم من وجود أنواع من القمار الذي تسمح به الحكومة الأمريكية. ولا يستطيع أحد أن يحصى أموال العصابات التي تمارس هذه الجرائم المنظمة، وهم يشترون كل شيء، فالثروة تشترى السلطة، وهم يسيطرون على الأسواق والاتحادات العمالية، بل وبعض الدوائر السياسية، كل هذا بأموالهم الهائلة التي لا تعد ولاتحصى.

ويرجع تكدس الثروة في أيدى عصابات الجريمة المنظمة إلى قدرتها على توفير كل الخدمات غير المشروعة، كالقمار والمخدرات والبغاء، وسرقات البنوك، والقتل مقابل أجر معين، وغير ذلك من الجرائم الكبرى.

جرائم ذوى الياقات البيضاء وجرائم المؤسسات :
White-Collar and Organizational Crime

أ ـ جرائم ذوى الياقات البيضاء :

صاغ «ادوين سوزرلاند Edwin Sutherland » اصطلاح «جريمة الياقة البيضاء «ليشير به إلى» الجريمة التي يرتكبها شخص من المسئولين أو الذي يحتل مكانة إجتماعية عالية، مستغلا منصبه وعمله الذى يشغله (سوزرلاند ١٩٤٩) مثال ذلك الموظف الكبير فى البنك الذى يختلص مبلغا كبيرا من المال، أو الجراح الذى يجرى عملية جراحية لا داعى لها من أجل الحصول على المال، أو يقوم بعمليات جراحية غير مشروعة كعمليات الاجهاض، أو رجل الأعمال الذي يقلل من قيمة أرباحه ليتهرب من الضرائب، وأيضا جرائم اغتصاب الأراضى والرشوة وغير ذلك.

ولا توجد فى الولايات المتحدة أو كندا احصاءات دقيقة بصدد هذا النوع من الجرائم لأنه يصعب اكتشافها كما أنه لا يعرف ضحاياها فى جميع الاحوال. وبالرغم من أن هذا النوع من الجرائم لا يثير المخاوف التى تثيرها جرائم الشارع، فإنه يؤثر تأثيرا بالغا على نسيج العلاقات الاجتماعية ويمس مصالح المئات والآلاف من المواطنين، كما أنه يفقد الثقة فى رجال الادارة والمسئولين الحكوميين، هذا بالاضافة الى أنه يحرم خزانة الدولة من ملايين الدولارات التى كان من الممكن أن تدخلها، مما يؤثر فى نهاية الأمر على الخدمات التى توفرها الدولة للمواطنين.

ب ـ جرائم المؤسسات :

يختلف هذا النوع من الجرائم عن الجرائم السابقة، فى أن مقترفها لا يحقق نفعا شخصيا له، وإنما يقترفها ليحقق مصلحة للمؤسسة. فاختلاس نائب مدير بنك لملايين الدولارات لتغطية ديون القمار الذى ينغمس فيه، جريمة واحد من ذوى الياقات البيضاء، وأما تقديم مدير أو نائب مدير شركة ملايين الدولارات كرشوة لمسئولين فى دول أجنبية كما حدث فى شركة «لوكهيد» لصناعة الطائرات، وفى شركات بيع الأسلحة، وكما حدث أيضا بالنسبة لمن شاركوا فى فضيحة «واترجيت» فهى كلها جرائم ترتكب لصالح المؤسسات التى يعملون بها أو ينتمون إليها.

كيف نعتبر مؤسسة من المؤسسات منحرفة؟ ذكر «ارمان Ermann » و «لندمان Landman » عام ١٩٧٨ أربع حالات لانحراف المؤسسات.

١ - تعتبر المؤسسة منحرفة عندما تخرج عن المعايير السائدة فى المجتمع.
٢ - ينبغى أن يدعم انحراف المؤسسة ويبرر بمعايير معينة داخلية، وتتصارع هذه المعايير مع الأهداف الرسمية المعلنة للمؤسسة. فتقديم شركة لوكهيد رشوة لكبار المسئولين فى دول أجنبية، أو قيام المشرفين على الحملة الانتخابية للرئيس نيكسون، بالتصنت على جلسات وإجتماعات الحزب المعارض، تسانده معايير داخل المؤسسات، وتتعارض هذه المعايير الداخلية مع المعايير المعلنة.
٣ - يجب أن تدعم هذه المعايير الداخلية التى أجازت هذا الانحراف، سلطة صفوة رجال المؤسسات أو التنظيم، أو أعلى سلطة فيه، فلا يعقل أن يقوم العاملون فى هذه التنظيمات بأعمال منحرفة من وجهة نظر المجتمع من تلقاء أنفسهم، ومن أهم هذه الانحرافات بالاضافة الى ما سبق أن ذكرناه، الأساليب التى تلجأ إليها أجهزة المخابرات لتجنيد العملاء الأجانب.
٤ - يجب اختيار الأفراد الذين يمكن تطبيعهم على مثل هذه الانحرافات ومكافئتهم عليها.

باختصار، فإن انحراف المؤسسة أو التنظيم أو الأجهزة الحكومية، مثله مثل أى صورة أخرى من صور الانحراف، لا يتعلم ولا يثاب عليه فحسب، بل انه يحدث فى بيئة تدعمه وتعين عليه.

وتوجد أمثلة أخرى لمثل هذا النوع من الانحرافات التى ترتكبها المؤسسات أو التنظيمات كتلويث الهواء، أو المياه، أو استخدامها لمواد فى صناعتها من شأنها الاضرار بصحة العمال، بل انها يمكن أن تعرضهم للسرطان مثل صناعة الاسبستوس وغيرها. ومن هذا النوع من الجرائم أيضا تهرب الشركات الكبرى من الضرائب المستحقة عليها.

الجرائم الخلقية :

تختلف الجرائم الخلقية عن غيرها من الجرائم التى عرضنا لها فى أن مقترفيها ينتهكون المعايير الأخلاقية السائدة فى المجتمع برغبتهم ومحض ارادتهم، فهم ضحايا أنفسهم قبل أن يكونوا ضحايا غيرهم. وتلحق هذه الجرائم الخلقية كغيرها

من الجرائم أشد الاضرار بالمجتمع، بل قد تكون أشد فتكا من غيرها من الجرائم.

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت   فإن همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

إن الفواحش اذا شاعت فى مجتمع من المجتمعات كان ذلك إيذانا بانحلال هذا المجتمع وفنائه. فكم من مدن خسف بها الله الأرض كمدينة بومبى وغيرها، وكم من أمم بادت واندثرت عندما أحلت ما حرم الله، وإذا كان إبن خلدون قد استخلص هذا القانون من نظرته الثاقبة لأحداث التاريخ، فلسنا فى حاجة كبيرة لتقليب صفحات التايخ، ولننظر ما أصاب العالم الغربى اليوم من هلع نتيجة ما نزل بهم عندما عصوا أوامر الله، وأطلقوا العنان لشهواتهم وشذوذهم وجهروا بها، وخرجت صحفهم تدهو لحريةممارسة الشذوذ الجنسى، بل طالب البعض بإباحة عقد زواج الرجل بالرجل، والمرأة بالمرأة. ألا ساء ما يقولون، ولم يمر وقت طويل حتى بدأوا يحصدون ما زرعوا من أثام، وما ارتكبوا من معاص. وبدأوا يعضون بنان الندم على ما فرطوا فى حق الله، ولكن لات ساعة مندم. فقد غشيهم مرض «الايدز» ويحسن أن نعطى فكرة موجزة عن هذا المرض.

نشرت جريدة الأهرام فى عدديها الصادرين يومى ١٩، ٢٠ أغسطس عام ١٩٨٥ ملخصا علميا بسيطا نشره الاستاذ صلاح منتصر للدكتور محمد صادق صبور إستاذ الامراض الباطنية وأخصائى أمراض الغدد والكلى بجامعة عين شمس. تحت عنوان «حكاية مرض» كتب يقول: فى أواخر عام ١٩٧٨ بدأ بعض الشباب الامريكيين يعانون من اسهال، و فقد مطرد فى الوزن، وارتفاع بسيط فى درجة الحرارة. وبعد عدة أشهر تضخمت لديهم الغدد الليمفاوية بالرقبة وتحت الابطين. وزاد ارتفاع درجة الحرارة. ثم بدأت تصيبهم الالتهابات الفطرية والميكروبية فى أنحاء مختلفة من الجسم، وعلى الاخص الاصابة بالتهاب فطرى بالفم، واللسان، والفرج، والشرج، والتهاب رئوى من نوع خاص نادر الحدوث. وأصاب عددا منهم سرطان منتشر بالجلد. وأعقب ذلك وفاتهم أما بالالتهاب الرئوى أو بالتسمم الدموى الميكروبى، أو بسرطان الجلد.

كانت الظاهرة الغريبة التى جمعت بين هؤلاء الشبان أن معظمهم من سان فرانسيسكو، وانهم جميعا من الشواذ جنسيا ممن يمارسون اللواط. وفى خلال عام ٧٩ و ٨٠ ظهرت حالات أخرى فى أنحاء متفرقة من الولايات المتحدة، وفى جزيرة تاهيتى وزاد عدد الحالات المشابهة للاولى زيادة سريعة. مع ملاحظة أن

المصابين جميعا من الشبان الشواذ جنسيا، وإنتهت جميع الحالات بالوفاة خلال حوالى عامين من بدء ظهور الأعراض.

انزعجت الدوائر الطبية الامريكية انزعاجا شديدا من سرعة تكاثر الحالات المصابة بهذا المرض الذى لم يسبق وصفه. وتركزت الأبحاث العلمية لمحاولة فك أسراره. وتبين أن جهاز المناعة ومقاومة الميكروبات الغازية يضعف ضعفا شديدا، مما يهيىء الفرصة لظهور التهابات تأخذ شكلا شديد الضراوة ويهيىء الفرصة لظهـور السرطان. ومنذ بداية الثمانينيات عرف هذا المرض باسم «ايدز» وهى الحروف الاربعة الأولى لكلمة انجليزية ترجمتها «مرض نقص المناعة المكتسب» وذلك لتفرقته عن نقص المناعة الخلقى أو الطبيعى الذى يولد به بعض الاطفال فى أنحاء مختلفة من أوربا الغربية.

وكما أصبح المرض معروفا بأسم «ايدز» كذلك أصبح معروفا أن سببه فيروس يهاجم جهاز المناعة عند الانسان ويحطمه.

ومن أهم المـلاحظات التى لفتت نظر الباحثين الغربيين عند ظهور مرض «ايدز» انهم بتتبعهم مصدره اكتشفوا ان هذا المصدر بدأ فى الكونغو كينشاسا (زائير) ورواندا أو روندى مما أوحى باحتمال أن يكون مصدر الفيروس المسبب للمرض موجودا فى مكان بأفريقيا الاستوائية.

وفى محاولة العثور على الفيروس المسبب للمرض نجح العالم الفرنسى «مونتانيو» الذى يعمل فى معهد باستير بباريس فى أن يحقق سبق عزل فيروس هذا المرض فى نوفمبر ١٩٨٤. وبعده بخمسة أشهر نجح الأمريكى «جالو» فى عزل نفس الفيروس فى المعهد القومى للصحة فى ولاية ماريلاند فى أمريكا، وبذلك تأكد أن سبب «ايدز» هو العدوى بفيروس خاص.

وفى خلال ذلك الوقت، فإن البعثة الطبية البلجيكية التى ذهبت إلى افريقيا الاستوائية لدراسة المرض، اكتشفت أن سكرتيرا بالسفارة الامريكية فى كينشاسا عام ١٩٧٧ ـ وكان شاذا جنسيا ـ هو أول من التقط المرض .. وقبل ان تظهر عليه أعراضه، تم نقله فى حركة نقل دبلوماسية عادية إلى سان فرانسيسكو، حيث أكبر تجمع أمريكى للشواذ، وحيث بدأ انتشار المرض.

ثم اكتشف الباحثون كذلك أن أكبر انتشار للمرض فى أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات كان فى جزيرة تاهيتى بالبحر الكاريبى قرب ولاية فلوريدا، وهى جزيرة مشهورة بأنها مكان للاصطياف واللهو. وأيضا تعد مكانا محببا إلى هواة الشذوذ من الرجال. وقيل إنه من هذه الجزيرة بالذات تم انتقال المرض من شواذ سان فرانسيسكو إلى كافة شواذ امريكا.

وفى العام الماضى، وفى دراسة واسعة قامت بها بعثة طبية فى الكونجو كينشاسا لمحاولة تتبع أصل فيروس المرض تبينت البعثة أن الفيروس يتعايش سلميا مع فصيلة من القرود الضخمة تسمى «القرد الأخضر» وأنه إذا حدث إتصال جنسى ـ غير معتاد ـ بين قرد من هذه القرود وبين قرد من أية فصيلة أخرى من القرود انتقل الفيروس إلى هذا القرد الأخير، وظهرت عليه أعراض الاسهال، و فقد الوزن، وارتفاع الحرارة وتضخم الغدد الليمفاوية، ثم الوفاة.

وهى نفس أعراض ايدز . . ظهرت فى القرود الشواذ، وأيضا فى البشر الذين يقلدون القرود فى شذوذهم.

وتتعدد أشكال الجرائم الخلقية وتتباين صورها، ومن أمثلتها كل الكتب الاباحية، والجنس المكشوف الذى يتمثل فى أفلام الفيديو الجنسية وغيرها، وكذلك ممارسة البغاء، ولعب القمار، وتعاطى المخدرات بكل أشكالها، ومقاربة الزنا. وللأسف الشديد لا يوصم بهذه الرذائل إلا الأفراد القلائل الذين يقبض عليهم متلبسين بارتكابها، فى حين يرتكبها فى الواقع كثير غيرهم، ولكنهم لا يقعون تحت طائلة القانون.

ويشيع البغاء فى كل من الولايات المتحدة وكندا والعالم الغربى، كما يوجد فى معظم دول العالم. ولا يعرف عدد البغايا فى كل من الولايات المتحدة وكندا. وقد ألقى القبض على ٥٦٫٦٩٤ بغى فى الولايات المتحدة عام ١٩٧٦ معظمهن ممن تكرر القبض عليهم. ويعد البغاء من أقدم المهن وقد انقرضت كل المهن القديمة إلا البغاء، فقد ظل يمارس حتى الآن (Hehl,1977)

وعندما يقبض على البغى فى الولايات المتحدة، ففى الأغلب الأعم لا يقبض على شريكها الرجل. بالرغم من أن الرجل مسئول بنفس الدرجة عن هذه

الفاحشة، إن لم يكن هو المسئول الأول، ولا يفرق الاسلام فى العقوبة بين الزانى والزانية. والواقع أن البغاء يمكن أن يختفى من الوجود اذا لم تجد البغايا مشترين لسلعهن.

المقامرة (الميسر) Gambling

المقـامـرة مثلها مثل البغاء، فى تأثيرها المدمر للنسيج الاخلاقى للمجتمع. فألعاب الميسر والقمار قد شجعت على الجريمة المنظمة، وأغرت على فساد الذمم وعلى قبول الرشاوى، كما أنها دمرت بيوتا، وهدمت عائلات، وشردت أطفالا. وينتشر القمار انتشارا واسعا فى الولايات المتحدة نتيجة رغبة البعض وأملهم فى الحصول على مبلغ كبير من المال، مقابل دفع مبلغ بسيط، ويظلون يطمعون ويحلمون بتحقيق ذلك، وما هو الا سراب بقيعه يحسبه الظمآن ماءً حتى اذا جاءه لم يجد شيئا. ولا يعرفون ان ذلك كله من عمل الشيطان. ولا توجد إحصاءات عن عدد المقامرين فى الولايات المتحدة، وقد قبض على ٦٥٫٤٣٧ شخص عام ١٩٧٦ معظمهم من مدمنى القمار الذين قبض عليهم أكثر من مرة.

وقد صرحت الحكومة الامريكية بممارسة القمار فى أماكن معينة مثل «اتلانتك سيتى» و «نيوجيرس» وبلغت حصيلتها من الضرائب على منتديات القمار ما يربو على ١٨ مليون دولار عام ١٩٨٠. وقد ذكر أن مكسب منتديات القمار فى مدينة نيوجيرسى وحدها، يبلغ ٥ ملايين دولار فى اليوم الواحد. وذلك فى بداية عام ١٩٨٠ وسواء كان القمار مصرحا به أم غير مصرح به، فإن القمار هو القمار: يسـاعد على انتشار الجرائم المنظمة، ويعين على انتشار الرشوة بين المسئولين، ويحطم عائلات المقامرين، ويشرد أبناءهم.

تعاطى المخـــدرات Drug Use

يعتبر سوق المخدرات بأنواعها المختلفة من أهم مصادر دخل الجريمة المنظمة، وتشترك كل أنواع المخدرات فى صفة واحدة هى أنها تدمر العقل، أشرف ما أودعه الله فى الانسان. وهى أصل عديد من الموبقات، والجرائم، والأمراض العقلية والنفسية.

فما هى قصة المخدرات؟ تبدأ الرحلة بالأحلام الوردية والمرح ثم تتحول تدريجيا الى الشعور بالخوف المستمر حتى تصل إلى انفصام الشخصية أو «الشيزوفرينيا» وفريق الرحلة هم شباب العالم الذين يتعرضون لاخطار واضحة تهدد حياتهم وعقولهم بالفناء.

والخطر قادم فى ورق من «سوليفان» وينتشر بأشكال وأنواع مختلفة تحت الاسم العام «المخدرات» والسبب فى ازدياد حجم الخطر اعتقاد الشباب أن تعاطى هذه المخدرات صورة عصرية وطريقة فعالة للهروب من المشاكل التى تعترضهم ولا يستطيعون حلها.

وأخطر المخدرات على الاطلاق عقاقير «الهلوسة» التى تشمل الحشيش والهيروين والماكستون فورت، بالاضافة الى عقار «.L.S.D» وعقار «B.C.B» وقائمة طويلة أخرى من الاشكال المختلفة لعقاقير الهلوسة.

وقد قدم الدكتور على محمد دياب «استاذ التحاليل الطبية والسموم بالمركز القومى للبحوث بالقاهرة» عددا ضخما من الدراسات العلمية على المخدرات، بدأت فى أثناء اعداد دراسة الدكتوراه بألمانيا، حتى أصبح متخصصا فى هذا المجال.

بيقول الدكتور على دياب .. إن عقاقير الهلوسة منتشرة منذ قرون، وبعضها يوجد فى الطبيعة فى صورة صالحة للتعاطى مباشرة مثل طحالب تسمى «مشروم» وبذور شجرة جوزة الطيب، وفى أوراق بعض النباتات.

ويقول الدكتور على دياب إن كلمة عقار مهلوس تعنى مقدرة هذا العقار على أحداث الهلوسة، وهى شعور بتخيل أشياء غير موجودة فى الواقع. فالشخص يحس بوجود أضواء ملونة رغم عدم وجودها، كما يرى أشياء غير حقيقية. كذلك قد يرى الشخص المهلوس ألوانا للأصوات التى يسمعها، بدلا من سماعها كأصوات عادية.

وذلك يعنى أن عقاقير الهلوسة تحدث شعورا بالبعد عن الواقع، وتلغى التناسق والتناسب بين بعدى الزمان والمكان .. فلا يعرف من يتعاطى هذه

العقاقير متى أو أين يفعل ما يفعله، بالاضافة لإحداث الاضطراب فى تفكير وتصرفات الانسان المتعاطى.

ويتمثل تأثير عقاقير الهلوسة فى ست خصائص، تشترك فيها جميعا لكنها تختلف حسب الشخص المتعاطى وكمية ونوع العقار المستخدم.

١ - أولى هذه الخصائص احساس الشخص المتعاطى بامتزاج الوقت والمكان امتزاجا شديدا، وشعوره بالمرح والود لكل الناس.

٢ - تركيز المشاعر الحسية وتجسيدها، فتبدو الاشياء الجامدة للشخص المهلوس وكأنها حية، كذلك يرى الاشياء العادية جدا وكأنها غامضة.

٣ - يلجأ المدمنون لتعاطى عقاقير الهلوسة للهروب من مشاكلهم، بدلا من حلها حلا واقعيا،حيث يشعر المتعاطى بانطباعات وأحاسيس رائقة وشفافة، ويفكر فى المشاكل المعقدة ببساطة شديدة، ويجد لها حلولا خيالية وسهلة.

٤ - ويشعر متعاطى هذه المخدرات بسرور لاسترجاع التجارب الماضية، أيا كانت هذه التجارب سارة أو محزنة.

٥ - الخاصية الخامسة وهى المرحلة السيئة من التعاطى وتتمثل فى شعور المدمن بدرجات متفاوتة من القلق، والتوتر، والخوف، والوساوس غير المريحة، وهى تنتج عن تعاطى كل عقاقير الهلوسة.

٦ - وأما الخاصية السادسة والأخيرة فتحدث للمدمنين الذين على وشك الاصابة بانفصام الشخصية، وتتميز بشعورهم بالرعب، والوساوس القهرية، والهلوسة. وتستمر هذه المشاعر حتى بعد ابتعاد الشخص عن تناول المخدرات، وغالبا ما تحدث هذه الظاهرة مع تناول عقار L.S.D. ومشتقاته العديدة.

ومن التأثيرات العامة لهذه العقاقير التأثير الجسمانى على الشخص المتعاطى ... مثل سرعة النبض، وزيادة معدل نبضات القلب، والاحساس بالغثيان، والقىء، وكثرة العرق، وتأرجح ضغط الدم بين الارتفاع والانخفاض، بالاضافة الى تأثيرات نفسية وطبيعية، تستمر من ساعة واحدة إلى عشرين ساعة حسب الظروف.

المخــدرات البيضــاء :

يقول الدكتور على دياب إنه توجد الى جانب المخدرات السوداء مثل الحشيش والأفيون مخدرات بيضاء. تشمل مكونات الافيون الطبيعية مثل المورفين والكودايين، بالاضافة إلى مشتقات المورفين، مثل الديونين والهيروين وهما أشد المخدرات فتكا بالجسم . . ويمكن تحضيرهما من المورفين أو الأفيون الخام بطريقة بسيطة جدا، لا تحتاج الى أى خبرة أو تخصص.

وتوصل العلم إلى تصنيع مواد كيماوية لها تأثير مخدر، لاستخدامها فى العلاج وإجراء الجراحات . . لكن تجار المخدرات استغلوا وفرة هذه العقاقير ورخص ثمنها، واستخدموها كعقاقير هلوسة . . وأهم هذه العقاقير البيسيدين، والالفاكامفين، والميثادون، والبروبوكسفين.

ويعتبر الهيروين أخطر المخدرات، لأن إدمانه يبدأ بعد جرعة واحدة أو جرعتين أو ثلاث جرعات على أقصى تقدير. بعدها يصبح الشخص مدمنا لا يستطيع الاستغناء عن تعاطيه باستمرار، وهذا مكمن خطورته أساسا، بالاضافة إلى سهولة غشه بأى مساحيق بيضاء أخرى تشبهه. لأن ثمن هذه المواد المضافة إليه أقل بكثير من ثمن الهيروين.

ويضيف تجار المخدرات مسحوق الكواديين، والنوفالجين، والباراسيتامول الى الهيروين لاعتقادهم ان هذه المواد تساعد على إظهار تأثيره، وبالاضافة إلى ما تسببه هذه المواد من سموم وإدمان يؤدى إلى الكوارث، فإن خلاصاتها غير القانونية تؤدى إلى مالا يحصى من حالات التسمم الحاد.

ويسبب الأرباح الهائلة الي يجنيها تجار المخدرات، تكونت عصابات ومنظمات ضخمة لصناعة عقاقير الهلوسة وترويجها. ووصل الأمر الى تصنيع هذه العقاقير وترويجها على شكل أدوية وتحت أسماء وهمية، مع إستغلال أسماء شركات عالمية دون علمها. يقول الدكتور على دياب: لجأ إلى صديق لعلاج إبن شقيقه من إدمان أقراص مهلوسة، لكننى اكتشفت أن الدواء الذى يتعاطاه غير معروف ولا مدرج فى جداول الأدوية أو المخدرات. وحتى الشركة المكتوب إسمها على شريط الدواء لا تعلم شيئا عن هذا الدواء. واستفسرت من الشركة ومكتبها فى القاهرة

.. فإتضح انها لا تعلم عنه أى شىء بالمرة، وفى النهاية نتكلم عن مقاومة زحف هذه السموم على شبابنا ومجتمعنا، والمقاومة لابد أن تبدأ بدراسة دوافع استعمال هذه المواد، ثم العمل على إشباع هذه الدوافع أولا.

يساعد الانشغال بالقضايا الأدبية والعلمية وممارسة الأنشطة الرياضية كثيرا فى التخفيف من حدة المشكلات، ولكن الحل الحقيقى لمقاومة هذه العقاقير هو الاقتراب من الله والالتزام بالدين، فالدين هو العلاج الأسرع والأقوم لعلاج الادمان والشفاء منه.

وبالطبع فإن دور الاعلام فى تبصير الأفراد بمخاطر عقاقير الهلوسة، دور أساسى لتدارك انتشار هذا الخطر، كذلك فإن وسائل الاعلام بما تقدمه من برامج جادة وهادفة تستطيع حماية الشباب من الانسياق وراء العادات السيئة، ومن ضمنها تعاطى عقاقير الهلوسة والمخدرات.

كذلك مطلوب من هيئات الصحة والبحث العلمى مداومة البحوث للتعرف على تركيبات المخدرات وعقاقير الهلوسة المتداولة بين المدمنين، ومن خلال هذه البحوث يمكن تحديد أنسب وسائل علاج المدمنين من الادمان، وكذلك انقاذ حالات التسمم التى تصل للمستشفيات يوميا، وتكون نتيجة تعاطيهم مخدرات مغشوشة.

(جريدة الشرق الاوسط ١٤ سبتمبر ١٩٨٥)

جنـــاح الاحـــداث
Juvenile Delinquency

تتعدد الانحرافات التى يرتكبها أفراد أقل من ١٥ عاما أو ١٨ والتى تعرضهم للوقـوع تحت طائلة القـانون، وذلك مثل سرقة المنازل أو المحال التجارية أو الهروب من البيت وغير ذلك من صور الانحراف. وقد ذكرت التقارير الرسمية عن الجريمة فى الولايات المتحدة أنه تم القبض على ٧٨١ر٦٦٥ حدث عام ١٩٧٦.

وكان معظم هؤلاء الأحداث من البنين، ومن أبناء الطبقات العاملة والفقيرة، وليس معنى ذلك عدم وجود انحرافات بين الاحداث فى الطبقات الوسطى أو العليا، ولكن معناه أن كثيرا من الأحداث الذين يقبض عليهم فى هاتين الطبقتين سرعان ما يفرج عنهم ولا يقدمون للمحاكمة، وكذلك الأمر فيما يتعلق بالبيض وغـير البيض. فبالرغم من أن عدد الاحداث الجانحين البيض أكثر من عدد الأحداث الجانحين غير البيض، فإن عدد من يقدم للمحاكمة من غير البيض أكثر. ولقد أثبتت عديد من الدراسات أن جناح الأحداث يوجد بنفس القدر فى جميع الطبقات، بل لقد وجدت إحدى هذه الدراسات أنه توجد بين أحداث الطبقة العليا انحرافات أكثر خطورة مما يوجد بين غيرها من الطبقات (Williams and Gold,1972) ولا يودع الأحداث المدانون فى سجون عادية وإنما يودعون فى دور خاصة للرعاية الاجتماعية حيث تعاد تربيتهم وإعدادهم للحياة فى المجتمع.

المحاكمـــة والعقـــاب
Trial and Punishment

تتشكـل عملية المحـاكمة من ثلاثة أطراف: ممثل الادعاء، وممثل الدفاع، والقاضى. ويعاونهم أفراد عديدون على القيام بأدوارهـم، ولكن عملية المحاكمة عملية ثلاثية triad . ويمثل الادعاء مصالح كل من المجتمع والأطراف المتضررة من الجـريمـة، ويمثل الدفاع الشخص أو الأشخاص المتهمين، وأما القاضى فيقف بين الطرفين ليحقق العدالة. ويتبارى كل من ممثل الادعاء وممثل الدفاع

فى قاعة المحكمة لاقناع القاضى بصدق رأيه، وتشارك القاضى هيئة من المحلفين، ولكن ذلك لا يحدث إلا فى الجرائم الكبرى، وأما فى الجرائم الصغيرة، فإن القاضى يصدر حكمه بدون هيئة محلفين.

نظام المحاكم فى الولايات المتحدة

Court Systems in United States

يوجد نظامان للمحاكم فى الولايات المتحدة: محاكم للكبار، ومحاكم للاحداث.

وفيما يتعلق بمحاكم الكبار فإنه توجد محاكم على مستوى الولايات، ومحاكم على المستوى الفيدرالى. وتتربع المحكمة العليا على قمة النظام الهرمى القضائى فوق هذين النظامين. وتعتبر أعلى سلطة قضائية فى الولايات المتحدة، ويعد حكمها نهائيا.

وأما محاكم الأحداث فهى أقرب إلى المؤسسات الاجتماعية منها إلى المحاكم العادية، وهى لا تلجأ إلى إصدار عقوبات بقدر ما تلجأ إلى إصدار أحكام بإيداع هؤلاء فى دور خاصة لرعايتهم، والعمل على إصلاحهم وتأهيلهم للمشاركة فى حياة المجتمع، والاسهام فى أنشطته العادية. ولقد أدخلت المحكمة الدستورية العليا منذ ١٥ عاما عدة تعديلات على هذا النوع من المحاكم، بحيث أصبحت لا تختلف كثيرا عن المحاكم العادية من حيث وجود دفاع، ومناقشة للشهود وغير ذلك.

مدى فائدة تشديد العقوبات الجنائية

Stiffer Criminal Penalities-Do they Make a Difference?

عندما ارتفعت معدلات الجريمة اقترح البعض تشديد العقوبات والإعلان عنها بمختلف الوسائل ليرتدع الآخرون، ويفكر الناس مائة مرة قبل أن يقدموا على إنتهاك القانون. وقد أثيرت مناقشات حامية حول مدى فاعلية تشديد العقوبة. فيذهب البعض الى أثرها الحاسم والسريع فى خفض نسبة الجرائم، كما حدث عندما شددت العقوبة فى بريطانياعلى قيادة الأشخاص للسيارات وهم فى حالة سكر. وأثبتت الاحصاءات قبل صدور هذه القوانين وبعدها، انخفاضا كبيرا فى

معدل حوادث السيارات بعد صدور القانون الجديد.

ويقول المعارضون للتشديد المطلق للعقوبات، إن تشديد العقوبة يمكن أن يجدى فى بعض الجرائم ولا يجدى فى بعضها الآخر، ومن هنا ينبغى بأن ندرس كل جريمة على حدة قبل أن نشدد العقوبة عليها.

الجدل المثار حول عقوبة الاعدام

The Detate over the Death Penality

كانت عقوبة الاعدام توقع عبر التاريخ الانسانى على كل من يحاول الاخلال بتوازن النظام الاجتماعى، وكانت تتبع وسائل عديدة لتنفيذ هذه العقوبة كالشنق أو قطع الرأس بالسيف أو بالمقصلة أو يتم الاعدام بالكرسى الكهربائى. وحتى عام ١٩٦٧ كانت عقوبة الاعدام وسيلة مقبولة لتحقيق العدالة فى الولايات المتحدة بصدد جرائم معينة. وقد أبطلت محكمة الولايات المتحدة العليا كثيرا من أحكام الاعدام التى أصدرتها محاكم الولايات على أساس غموض المواد القانونية التى استندت إليها، وعدم سلامة تطبيقها. وقد شجع ذلك عديد من المشتغلين بالقضايا الاجتماعية على المطالبة بإلغاء هذه العقوبة على أساس أنها عقوبة قاسية وغير عادية، ولم توافق المحكمة العليا على ذلك، واكتفت بوضع ضوابط أكثر شدة ودقة لإصدار أحكام الاعدام.

ولم ينفذ سوى حكم واحد بالاعدام فى الولايات المتحدة خلال الفترة من عام ١٩٦٨ حتى عام ١٩٧٨. ويقبع اليوم عدة مئات من الأشخاص داخل السجون ينتظرون تنفيذ حكم الاعدام. وقد يطول هذا الانتظار نتيجة معارضة الرأى العام القوية لعقوبة الاعدام.

ويذهب المؤيدون لحكم الاعدام إلى أنه قصاص عادل واضح لتقويم خطأ اجتماعى وإعادة توازن المجتمع. وسوف يجعل توقيع مثل هذه العقوبة كل أفراد المجتمع يدركون تماما الادراك أن الجريمة لا يمكن أن تمر دون عقاب رادع، بصرف النظر عن قتل مرتكب الجريمة ذاته، بقول آخر، إن عقوبة الاعدام لا يقصد بها الشخص، بقدر ما يقصد بها حياة الناس والمجتمع. فالعقوبة هنا تأكيد للمعايير الأخلاقية السائدة فى المجتمع. وقد أشار الى ذلك «دوركيم» عندما

تحدث عن الوظائف الكامنة للجريمة. فلقد كانت الجريمة التى استحقت هذا العقـاب الرادع فرصة ليعرف الناس أهمية المعايير الأخلاقية للمجتمع التى لا ينبغى انتهاكها، ومن يجرؤ على الخروج عليها يجد عقوبة رادعة.

ويدعى من يعترض على توقيع عقوبة الأعدام، أن حجج المؤيدين لتوقيعها غير مقنعة، فلم تظهر الاحصاءات أى انخفاض فى معدلات الجريمة، المسببة لهذه العقوبة كالقتل مثلا (King,1978-Bailey,1980) هذا بالاضافة الى أن كثيرا من جرائم القتل جرائم انفعالية تقع بين أفراد العائلة وبين الأصدقاء، ومن ثم لا يفيد توقيع هذه العقوبة عليهم.

والـواقـع، أن كل أنـواع الجـرائم التى يعاقب مقترفوها بالقتل فيها ترويع للآمنين، وإفساد فى الأرض، وإخلال بالتوازن الحيوى الضرورى لبقاء المجتمع، ولابد من العقاب الرادع ليعيش أفراد المجتمع فى أمن وأمان مصداقا لقوله تعالى: «ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب لعلكم تتقون» صدق الله العظيم.

الخلاصـــــة
Summary

لكـل مجتمع معاييره وقواعده. ويوجد فى كل مجتمع من يتطابق مع المعايير ويلتزم بتلك القواعد، كما يوجد فيه من يحاول انتهاكها والخروج عليها، وفى هذه الحالة تطبق عليه الجزاءات الاجتماعية السلبية.

وتعرف الجريمة بأنها نمط خاص من السلوك المنحرف ينتهك به الشخص القانون السائد فى المجتمع. وتوقع على مرتكب الجريمة الجزاءات الرسمية نظرا لما أحدثه من إختلال فى المجتمع.

ويمكن أن تختلف النظرة الى الجريمة من مجتمع اى مجتمع آخر، فما يعتبر جريمة فى مجتمع من المجتمعات قد لا يعتبر جريمة فى مجتمع آخر، ولكن توجد أنواع من الأفعال تتفق جميع المجتمعات على تحريمها وتأثيمها. ولا يحتمل وجود مجتمع يخلو من الجريمة. وإن تعريف سلوك معين بأنه قد خرج على الحدود،

ليؤدى وظيفتين رئيسيتين: دعم معايير المجتمع، والتأكيد على أنه يوجد من يحافظ على بقاء هذه الحدود ويكفل لها الحماية.

وتوحى التفسيرات العديدة للسلوك الاجرامى والمنحرف، ان الجريمة تنشأ عن أسباب إجتماعية وأنها سلوك مكتسب. وغالبا مالا تلقى الجرائم الواحدة نفس العقوبة، ويتوقف ذلك على ظروف مثل الطبقة الاجتماعية أو الوضع الاجتماعى.

ويحتدم الجدل حول نوع العقوبة وتأثيرها الرادع، ويذهب بعض علماء الجريمة الى القول بأن التأكد من توقيع العقوبة، ومن الجريمة لا يمكن أن تمر دون عقاب، يشكل عاملا هاما فى الحليلولة دون وقوع الجريمة وقد يكون ذلك أهم من عقاب معين يوقع على شخص بذاته. وكما تتفاوت أنواع الجرائم، تتفاوت أيضا أنواع العقوبات.

ويوجد صراع فى الولايات المتحدة فيما يتعلق بنظام العقوبة، ويدور هذا الصراع بين فلسفتين، تدعو الأولى لتوقيع العقوبة، وتحث الثانية على محاولة الاصلاح والتقويم. وغالبا ما تشتد قبضة القانون فى الولايات المتحدة على من لا حول لهم ولا سلطة ولا مال.

قراءات مقترحة

Ginger, Ann Fagan. *The Law, the Supreme Court and the People's Rights* (2nd Edition) (New York: Barron's, 1977). Ginger traces the historical development of civil liberties, civil rights, and the rights of criminal defendants under the United States legal system.

Jackson, George, *Soledad Brother: The Prison Letters of George Jackson* (New York: Coward-McCann, 1970). This dramatic first-hand account illuminates the experiences of those who defy the agents of law enforcement.

Johnson, John M., and **Jack D. Douglas** (Eds.). *Crime at the Top: Deviance in Business and the Professions* (Philadelphia: J.P. Lippincott. 1978). This collection of 21 essays explores the nature of deviant business and professional practices in everyday life including land-sale frauds, price fixing, stock-market manipulations, and deceiving the elderly.

McCagby, Charles R. *Crime in American Society* (New York: Macmillan, 1980). A readable overview of the many forms of criminal activity in the United States: organized, white-collar, organizational, and street crime.

Moore, Joan. *Homeboys: Gangs, Drugs and Prison in the Barrios of Los Angeles* (Philadelphia: Temple University Press, 1980). The Hispanic barrio provides the setting for Moore's account of drug dealing, youth gangs, and imprisonment. Implications for social policy are carefully drawn.

Quinney, Richard. *Critique of Legal Order: Crime Control in Capitalist Society.* (Boston: Little, Brown, 1974). A hard look at the criminal justice system and the control of crime from a conflict perspective by a leading criminologist.

Rettig, Richard P., Manuel J. Torres, and **Gerald R. Gerrett.** *Manny: A Criminal-Addict's Story* (Boston: Houghton Mifflin, 1977). An integrated theoretical perspective is used to develop the life history of Manny Torres from his youth as a member of a gang, becoming a drug addict, a criminal, a convict and eventually a parolee, told in Manny's own words.

الفصل الثامن عشر

حياة الحضر وحياة الضواحى

Urban and Suburban Life

الفصل الثامن عشر
حياة الحضر وحياة الضواحى

Urban and Suburban Life

يبدو أن اختلاف الآراء حول محاسن ومساوىء الحياة الحضرية، ليس جديدا، بل قديم منذ أن وجدت أول مدينة فى العصور الغابرة. وقد عثر علماء الآثار على بقايا مدن كبيرة قديمة فى الشرق الأدنى وفى أسيا وفى غرب أفريقيا. وكشفت عمليات التنقيب التى قام بها هؤلاء العلماء، أن هذه المدن قامت منذ ما يقرب من ٦٫٠٠٠ سنة كمراكز حكومية وتجارية وزراعية أو كمراكز دينية.

وسوف نحاول فى هذا الفصل أن نتعرف على ما حدث للنظم الاجتماعية والتفاعل الاجتماعى عندما ازداد الاقبال على الحياة فى المدينة، وقل الاقبال على الحياة فى الريف. ولكى نفهم تأثير المدينة على النظم الاجتماعية وعلى نظم القيم، لابد أن نعرض لنمو المدن والضواحى، وأن نلم ببعض المشكلات المرتبطة بالاقامة فى المدن والضواحى فى الوقت الحاضر، وخاصة فى أمريكا الشمالية.

وترتبط الحياة الحضرية بالرغبة فى تأكيد الذات وبالتنافس وبالعمل الفعلى وبالسلطة، كما أنها تكون محفوفة بالمخاطر. وعلى العكس من ذلك، نجد الحياة فى أرجاء الريف ترتبط بالألفة، والمودة، والدعة والقرب من الطبيعة الحية، كما أنها تتصف بالأمن والطمأنينة. وبالرغم من أن هذه الأنماط الحياتية سواء كانت فى المدن أم الريف كلها إبداعات إجتماعية، فإن المدينة وحدها التى تعرضت للنقد لطابعها المصطنع، وما يوجد فيها من زيف وتكلف. ويصف «توماس جيفرسون Thoman Jefferson» المدن الأمريكية بأنها «مفسدة للأخلاق، ضارة بالصحة، خانقة لحرية الانسان» وينظر الى أوبئة مثل الحمى الصفراء وغيرها، على أنها نعمة، لأنها تقلل من عدد سكان المدن! (Fischer,1976)

ومن أهم المقارنات التى عقدت بين الحياة الريفية والحياة الحضرية، المقارنات الأربع التالية:

١ ـ الطبيعة مقابل الصنعة، فالحضارة التى تطبع المدينة حضارة مصنوعة، بعكس الحياة فى الريف التى يشعرٌ فيه الفرد أنه بين أحضان الطبيعة.
٢ ـ الألفه مقابل الغربة، فالمدينة ترتبط بكل ما هو جديد وغير متوقع، وأما فى الريف، فإننا نجد أنفسنا محاطين بأشياء مألوفة، وبأناس نعرفهم ويعرفوننا.
٣ ـ العلاقات الشخصية أو الجمنشافت Gemeinschaft مقابل العلاقات غير الشخصية أو جيزلشافت Gesellschft التى تتصف بها الحياة الحضرية.
٤ ـ القيم والمعايير التقليدية، مقابل التغير فى القيم والمعايير الاجتماعية الذى يطبع الحياة فى المدينة (Fischer 1976)

وتوضح هذه المقارنات الأربع ازدواجية النظرة إلى المدينة، فينظر إليها البعض على أنها ترمز إلى الحرية والتقدم والاثارة والابتكار. فى حين يعتبرها البعض تحفل بالزيف، والضغوط، والقبح، والغربة. وتشير الدلائل إلى أن معظم الأمريكيين الشماليين يحلمون بالحياة فى الريف، فى قرية من القرى حيث الهدوء والبساطة وراحة البال.

وإتضح من إستطلاع للرأى قامت به مؤسسة «جالوب» عام ١٩٧٢ بصدد المكان الذى يفضل الامريكيون المعيشة والحياة فيه إذا تركت لهم حرية الاختيار، أن ٣٢٪ من أفراد العينة يفضلون العيش فى مدينة صغيرة. وذكر ٢٣٪ أنهم يفضلون الحياة فى قرية أو مزرعـة، وعـبر ٣١٪ عن تفضيلهم المعيشـة في الضـواحى، ولم يفضـل المعيشة فى المدن سوى ١٣٪ ومع ذلك، فإن الغالبية العظمى من الامريكيين الشماليين، يعيشون فى المناطق الحضرية، فإذا لم تكن المدينة على هذا النحو من عدم الجاذبية، فكيف نفسر معيشة ثلاثة أرباع الشعب الأمريكى فى المدن؟ يوجد سببان رئيسيان للهجرة الى المدينة أو المعيشة فيها. السبب الأول، هو ما يطبع المدينة من عصرية، وأما السبب الثانى، فهو تنوع فرص العمـل والخـدمات وتباينها. فالحياة الحضرية لا تتيح بنية عمل متفاوتة فحسب، بل إنها توفر أيضا فرصا إقتصادية أكبر، ووظائف أفضل، ورعاية أحسن.

نمـــو المدينـــة
Growth of the City

التحضـــــر Urbanization

يعـد التحضر، أو تواجد أعداد كبيرة من الناس متباينى الوظائف والأعمال والخلفيات الاجتماعية فى المدن الخطوة الأساسية فى عملية التحديث، ولم تصبح المدينة والحياة الحضرية مناطق جذب لأغلبية السكان إلا منذ وقت قريب نسبيا، فنمو المدن الكبيرة لم يحدث إلا بعد الثورة الصناعية وما أعقبها من تطور تقنى وبنـاء المصـانـع الكبـيرة. وبالرغم من وجود المدن منذ عهد بعيد جدا، فإن المجتمعات التى قامت فيها هذه المدن كانت مجتمعات ريفية يشتغل معظم أفرادها بالزراعة والحرف اليدوية.

ولم يكن يوجد قبل عام ١٨٥٠ أى مجتمع أو أية أمة يمكن إعتبارها حضرية بالمعنى الحديث. وفى عام ١٩٠٠ ظهرت إنجلترا كأول دولة حضرية. ومنذ ذلك الوقت أخذ عديد من الدول بأسباب الصناعة، وبالتالى ازدادت كثافة المدن بها، وكثرت المجتمعات الحضرية. وبالرغم من معدلات التحضر المتفاوتة عبر فترات الزمن المختلفة، وبالرغم مما نجده من تفاوت بين الدول المختلفة، من دول تأخذ بأسباب التصنيع كالبرازيل والمكسيك، وبين دول صناعية كالأرجنتين، وبين دول بعد صناعية كالولايات المتحدة، فإنها تشترك جميعها فى صفة واحدة هى زيادة التحضر المرتبطة بالتغيرات التكنولوجية.

وتـوجد ثلاثة خصائص أساسية يمكن النظر إلى التحضر على أساسها، أو القول بأن هذه الدولة حضرية أو أنها ريفية:

١ - كثافة السكان.
٢ - حجم السكان فى منطقة جغرافية معينة.
٣ - تباين المكانات الموروثة والمكتسبة فى منطقة جغرافية معينة.

وتحدد الزيادة فى الخاصية الأولى والثانية مدى حظ المجتمع من التحضر. وأما الخاصية الثالثة فتحدد البيئة الحضرية بعوامل مثل الثروة والهيبة والسلطة، وكذلك

بحجم البيت الـذى تقطنه العائلة، وما تستخدمه من سيارات وما ترتديه من ملابس ـ فهذه كلها عوامل أهم فى تحديد مدى التحضر من عامل مثل الاشتغال بالزراعة، ويحكم على مجتمع معين بأنه مجتمع ريفى بالوضع الاقتصادى لأفراده، وبتـوزع الثـورة، والسلطة، والهيبة فيه، وبما يسود أفراده من علاقات ومعرفة بعضهم لبعض.

ولا ينبغى أن تؤخذ الكثافة السكانية أو حجم السكان فى منطقة جغرافية معينة على أنها أرقام مطلقة عندما نقوم بالحكم على مدى التحضر (With 1938 Davis 959 Redfield 1947) فالكثافة السكانية فى بعض القرى الهندية تفوق الكثافة السكانية فى بعض المدن الكبرى فى الولايات المتحدة، ولكنها مع ذلك غير حضرية، ومن هنا لابد من أن نأخذ أيضا فى الاعتبار عوامل أخرى كما يتضح فى الجدول الآتى:

جدول للحياة الريفية والحضرية

الخاصيـــــــة	ريفـــى ـ حضـــرى
١ ـ عدم تجانس السكان.	منخفض ـ مرتفع
٢ ـ وجود تنظيمات وتوفر الخدمات.	منخفض ـ مرتفع
٣ ـ تقسيم العمـــــل.	منخفض ـ مرتفع
٤ ـ عدم معرفة الناس بعضهم بعضا.	منخفض ـ مرتفع
٥ ـ نمط العلاقات الاجتماعية السائدة.	جيمنشافت ـ جيزل شافت
٦ ـ نمط الضبط الاجتماعى السائد.	غير رسمى ـ رسمى
٧ ـ درجة التدرج الاجتماعى على أساس السلطة، والثروة، والهيبة.	منخفض ـ مرتفع

المصدر : Adapted from Butler 1976 P 260

وفيما يتعلق بالجـدول السابق، ينبغى أن نلاحظ أننا وضعنا عنوان «ريفى» لوصف النمط المثالى للمجتمع الريفى. وعنوان « حضرى» لوصف النمط المثالى

للمجتمع الحضرى. وبما أن الأنماط المثالية نادرا ما توجد فى الحياة الواقعية، فإن الخطوط المتصلة بين «ريفى» و «حضرى» تشير الى أنه يوجد خط متصل ذى نهايتين Continuum لكل بعد من الأبعاد التى ذكرناها.

ويجب أن نعرف أن الجدول السابق يقوم على خصائص يمكن ألا توجد بصورة خالصة على هذا النحو، فهو يشير أكثر ما يشير الى الفروق الأساسية بين الحياة الريفية والحياة الحضرية، والتى يمكن أن توجد بدرجات متفاوتة فى مواقف الحياة الحقيقية.

التعريفات الاحصائية للتحضر

Statistical Definitions of Urbanization

فى حين لم يتفق علماء الاجتماع على استخدام اصطلاح «حضرى Urban» فإن الديموجرافيين اتفقوا على إستخدام «حجم السكان» كمحك أو كمعيار للتفرقة بين الريف والحضر. والواقع أنه توجد عدة مزايا لهذا المعيار، من أهمها أننا نستطيع الحصول على معلومات واضحة عن سكان عديد من المناطق وعديد من البلدان. وبما أن كبر حجم المجتمع أو صغره يمكن أن يوحى بمدى تباين سكانه، وبمدى ما يتاح فيه من فرص تؤثر على أسلوب الحياة، والمهن، والوظائف، وغير ذلك من مظاهر الحياة الاجتماعية، فإن معرفة حجم سكان مدينة معينة يتيح لنا التنبوء بنوع الحياة السائدة فيها. هذا مع الأخذ فى الاعتبار أن التنبوء الذى يصدق على مدن بذاتها، أو على بلدان معينة قد لا يصدق على مدن وبلدان أخرى، ذلك أن المعايير والقيم تعد عوامل أكثر أهمية فى تحديد نوع الحياة من عامل مثل حجم السكان.

ويستخدم الديموجرافيون اصطلاح «متروبوليتان Metropolitan» ليشيروا به الى المناطق غير الزراعية، والى المناطق التى تشمل مدينة (أو مدينتين متجاورتين) تضم ٥٠,٠٠٠ نسمة على الأقل.

الحضرية Urbanism

يوجد فرق بين التحضر Urbanization والحضرية Urbanism ففى حين يشير اصطلاح التحضر الى عوامل مثل الحجم، والكثافة، وعدم التجانس السكانى

فى منطقة معينة، فإن الحضرية تعد ظاهرة إجتماعية، أو طريقة فى الحياة، تحل فيها المعايير والأساليب الفردية، محل أساليب الحياة التقليدية المرتبطة بالحياة فى القرية أو الريف بشكل عام.

ولقد تعرض أسلوب الحياة فى المدن للنقد من جانب بعض علماء الاجتماع. فنجد على سبيل المثال مقالا عن التحضر كتبه «لويس ويرث louis Wirth » عام ١٩٣٨ عرض فيه للنتائج النفسية والاجتماعية السلبية لما يطبع المدن من ازدحام، ولما يوجد بين سكانها من تباين واختلاف، ولما تحفل به من مشكلات يصعب حلها والسيطرة عليها. ويشعر سكان المدن بالوحدة، ويفتقدون الروابط الأولية، الأمر الذى يجعل الانسان يشعر بأنه وحيد لا عون ولا سند له، ومن هنا يصبح النـاس أكثر تعرضا لادمان الخمر، وللأمراض العقلية، وإقتراف الجرائم، بل وأيضا للانتحار. وأيد «ميلجرام Milgram » عام ١٩٧٠ هذا الرأى، وذهب الى أن البيئـة الحضرية تسبب ضغوطا نفسية يصعب على كثير من الأفراد تحملها والتعامل معها.

ولقد تعرضت وجهة النظر هذه إلى نقد حاد من عديد من العلماء. فقد ذهب «سرول Srole » عام ١٩٧٢ على سبيل المثال، إلى أنه لا يوجد دليل على أن المرض العقلى أكثر شيوعا فى المدينة من أى مكان آخر. كما ذهب (Gove, Hughes, and Glle, 1979) إلى أن روابط الجـماعة الأولية لم تضعف فى المدينة، ولم تقل الروابط بين الأقارب المقيمين فى المناطق الحضرية، عنها بين الاقارب المقيمين فى المناطق الريفية. (Wilensky and lebeaux, 1965, Berry, 1973)

كما أن معدلات الانتحار واستخدام المخدرات للتخلص من القلق، هى الآن أعـلى قليلا فى المناطق الريفية منها فى المناطق الحضرية، كما يذهب الى ذلك «جـوف» و «هـوجو» و «جـل وقد أشار «ديوى Dewey » عام ١٩٦٠ الى أن التحضر بوصفه أسلوب حياة لا يرتبط بالمدينة، وإنما سمة ترتبط بالمجتمع ككل أكثر مما ترتبط بحجم السكان وبكثافتهم.

ويقول «ديوى» إن المجتمع الحضرى يتصف بخصائص سلوكية وببنية اجتماعية وفكرية دينامية وعصرية وبمستوى تعليمى رفيع. واما المجتمع الريفى فيتصف

بخصـائص سلوكية، وبنية إجتماعية وفكرية تقليدية ثابتة، ويكون الولاء فيها للقرابة. ويذهب «ديوى» إلى القول بأن هذه الخصائص الأولى أو الثانية، لا ترتبط بقرية أو بمدينة معينة. بمعنى أن الخصائص الأولى يمكن أن يتصف بها بعض سكان القرى، فى حين أن الخصائص الثانية يمكن أن يتصف بها بعض سكان المدن. فعلى سبيل المثال، فإن الطابع الريفى الذى ساد أوربا إبان العصور الوسطى، نجده اليوم يسود دول ما قبل الصناعة، حيث لا توجد سوى فروق قليلة بين المدينة والقرية فيما يتعلق بالنظم الاجتماعية، أو فيما يتعلق بنوعية الحياة أو بالمستوى الفكرى.

ولقد عادت الفروق تقل مرة أخرى فى الدول العصرية بين الريف والحضر. فسواء كنت فى مدينة نيويورك أم فى قرية صغيرة من أمريكا الشمالية، فإنك تعيش فى مجتمـع حضرى. فالقـرى تتـأثـر بما ينتقل إليها من معارف عبر الاذاعة، والتليفزيون، والأفلام، والكتب، والمجلات التى تصل اليها من المدينة، هذا بالاضافة الى وجود الطرق السريعة التى تربط المدينة بالمناطق الريفية (Firely, Loomis, and Beegle, 1950) وفى حين كان إصطلاح «التحضر» يستخدم لوصف طرق تفكير سكان المدينة وتصرفاتهم، أصبح الآن يستخدم للاشارة الى تطور تأثير المدينة على الريف وزيادته.

نمو المدينة فى أمريكا الشمالية
The Development of the North American City

نمت المدينة فى أمريكا الشمالية. نموا سريعا وكان تعداد الشعب الامريكى عام ١٧٩٠ يزيد عن ٣ر٩ مليون نسمة، بمتوسط ٥ر٤ شخصا فى الميل المربع. وكـانت القيم والاعتقادات السائدة هى القيم والاعتقادات التقليدية. وكذلك سادت الانماط الريفية، فيما عدا بعض المدن القليلة. ولم تكن توجد مدن كبيرة يبلغ عدد أفرادها ٥٠٫٠٠٠ نسمة مثلا. ولم يكن يقطن المدن التى يزيد عدد السكـان فيهـا عن ٢٫٥٠٠ نسمة سوى ٥٪ من تعداد السكان. بحلول عام ١٨٧٠ كانت نسبة السكان الذين يقطنون الحضر ٢٥٪ من تعداد سكان الولايات المتحدة. وبلغت هذه النسبة ٥٠٪ عام ١٩٢٠. وفى عام ١٩٨١ بلغ سكان

الولايات المتحدة ٢٣٩ مليون نسمة، بمتوسط حوالى ٧٣ شخصا فى الميل المربع، يقطن ٧٥٪ منهم المناطق الحضرية، وذلك كما جاء فى احصاءات السكان (Population Reference Bureau,1981)

وحدث تحضر مماثل فى كندا، وإن كان قد تأخر عن الولايات المتحدة. فقد كان ١٣٪ من الكنديين يقطنون مناطق حضرية عام ١٨٥١. وفى عام ١٩٨١ بلغوا ٧٦٪ من مجموع السكان البالغ عددهم ٢٤ مليون نسمة.

أسباب نمو المدن السريع Reasons for Rapid Growth of Cities

يتفق علماء الاجتماع بوجه عام، على ضرورة توفر عدة ظروف لنمو المدن:

١ - وجود قاعدة زراعية توفر الطعام الضرورى لكل من سكان الريف والحضر.
٢ - وجود نظام مواصلات كفء.
٣ - توفر أعمال ووظائف وخدمات تكفى لجذب سكان الريف (Davis, 1959 Taylor, 1980)

وهكذا نرى أن التحضر يرتبط ارتباطا وثيقا بالعصرية، وباستخدام التكنولوجيا وبتقسيم العمل.

وقبل الثورة الصناعية كانت الغالبية العظمى من الناس تشتغل بالزراعة لإعاشة أنفسهم وإعاشة الأقلية التى توجد فى المدن. وبنهاية الحرب الأهلية الامريكية، كان ثلث سكان الولايات المتحدة مازال يشتغل بالزراعة.

وبالتوسع فى استخدام الآلات الزراعية الذى أعقب الحرب العالمية الأولى، قلت الحاجة الى العمل اليدوى فى مجال الزراعة، ومن ثم ازدادت الهجرة من الريف إلى المدينة. وفى عام ١٩٧٩ وحده باع ٣٧٫٠٠٠ مزارع أرضهم الى الشركات الزراعية الكبيرة. ولا يشكل المزارعون اليوم أكثر من ٣٫٦ من سكان الولايات المتحدة. ومن ثم، فليس عجيبا أن يتغير توزيع السكان المكانى واستخدامات الأرض، تغيرا كبيرا.

إيكولوجية المناطق الحضرية
The Ecology of the Urban Scene

صاغ «روبرت بارك Rotert Park » اصطلاح الايكولوجيا البشرية Human ecology » عام ١٩٢١ لوصف العلاقة المتبادلة بين الناس والبيئة المادية التى يعيشون فيها. وقد لاحظ «بارك» وتلاميذه فى جامعة شيكاغو، أنه توجد سلسلة من المراحل للايكولوجيا البشرية. فلم تكن الاراضى فى المجتمعات الزراعية الأولية الصغيرة، تخصص لاستخدامات معينة سواء كان ذلك في الريف أم في المدينة، وعندما بدأ تخصيص مناطق معينة لاستخدامات خاصة، ظهر نوع من التجمع، وفى المراكز المتروبوليتانية المعاصرة، عندما أصبح تخصيص الارض لاستخدامات معينة هو المعيار والأساس، بدأ ظهور تنظيم عام للارض كتخصيص أرض للزراعة وأخرى للمبانى ... الخ.

وبالرغم من أن نمو معظم المدن لم يتم وفق تخطيطات رسمية، فإن عديدا من الايكولوجيين الاجتماعيين الكلاسكيين أمثال «ماكنزى Mackensie, 1926 » لاحظوا وجود عمليات عامة ترتبط بالتحضر فى عديد من المجتمعات، وتتضمن هذه العمليات:

١ - التركيز Concentration

ويعد التركز أول مرحلة من مراحل التحضر، ويتم فيها توطن اعداد كبيرة من السكان فى مساحة صغيرة نسبيا، ومن ثم تتجمع فيها المشروعات الصناعية، والتجارية، والخدمات المختلفة. ويبدأ اكتظاظ السكان الذى يؤدى الى اعادة توزيع النشاط وعدم مركزيته، وتنقل الصناعات من المدن الى أماكن خارج المدن.

٢ - الانفصال Segregation

وهو تخصيص مناطق لاستخدام الأرض والخدمات والاسكان. ويخصص لكل نوع من الأنشطة منطقة معينة فى المدينة، فهذه المنطقة لتجارة الجملة، وتلك لتجارة القطاعى ... الخ. كما يتضمن الانفصال ظهور مناطق إقامة لكل طبقة من الطبقات الاجتماعية.

٣ ـ الغـــزو Invasion

ويقصد به غزو منطقة من المناطق بأنشطة جديدة لم تكن تمارس فيها من قبل، وذلك مثل إنشاء صناعات معينة فى مناطق سكنية، ويمكن أن يتضمن الغزو أيضا قدوم سكان جدد الى منطقة معينة عن طريق الهجرة أو غيرها.

٤ ـ التتابـــع Succession

وهو استكمال سيطرة أنشطة معينة، أو سكان جدد على المنطقة بأكملها.

وقد انتقد أصحاب نظرية الصراع هذا الوصف واعتبروه نوعا من الحتمية. بمعنى النظر الى التكنولوجيا والاستخدامات الجديدة للارض، على أنها نتيجة حتمية لعملية التحضر، بدلا من اعتبارها نتاج انعدام المساواة، والتفرقة السائدة فى المجتمعات الرأسمالية على أساس الطبقة أو السلالة أو العرق.

الضواحـــى
The Suburbs

تعـد الضـاحية جزءا من المنـطقـة المـتروبوليتية وتقع خارج الحدود السياسة للمدينة، ولكنها ترتبط بها بعديد من الروابط الاقتصادية والاجتماعية (Bos-koff, 1970 Martin, 1956) وبـالرغم من النمو السريع لهذا القطاع من المناطق المتروبولوتية فى أمريكا الشمالية، فإن الضواحى ليست ظاهرة جديدة خاصة بالحياة العصرية. فلقد كان لكل من المدن القديمة ومدن العصور الوسطى الضواحى الخاصة بها، ولكنها لم تكن مثل الضواحى التى توجد فى المجتمعات الصناعية وما بعد الصناعية، ذلك أن معظم سكانها كانوا من مدقعى الفقر الذين آثروا الحياة خارج حوائط المدن. وقد أظهرت المعارف العلمية المستقاة من احصاءات السكـان فى الـولايات المتحدة، والخاصة بخمس وعشرين منطقة متروبولوليتية كبيرة، أن سكان الضواحى أكثر تميزا من سكان داخل المدن، من حيث الدخل والتعليم والوظائف (Fairley, 1977) واذا كانت المدن تحفل بمختلف انواع التفرقة العرقية والسلالية والجنسية، فإننا نجد الغالبية العظمى من سكان الضواحى من البيض. (U.S. Commission on Civil Rights,1978)

واصبحت الضـواحى نتيجـة هذه الممارسات محط الأنظار، وحظيت بنجاح عظيم، وذلك بعكس ضواحى المدن الصناعية، أو المدن التى مازالت فى بداية التصنيع.

الحياة فى الضواحى Suburban Life

نمو الضواحـــى Growth of the Suburbs

بدأت الحياة فى الضواحى تزدهر ازدهارا سريعا فى الجزء الأخير من القرن التاسع عشر، وذلك نتيجة عاملين أساسيين هما نقل الصناعة إلى الضواحى، وما حدث من تقدم تكنولوجى جعل الحياة فيها أكثر راحة وبهجة (Gor-don,1978-Ashton,1978-Yeats and Gavner,1976) فقـد ساعـد تقـدم صنـاعـة السيارات على سبيل المثال على شق الطرق وتعبيدها، الأمر الذى يسر الانتقال بين قلب المدينة والضواحى. وعمدت الشركات العقارية إلى ترغيب الناس الذين يضيقون بضوضاء المدن وازدحامها إلى الانتقال إلى البيوت الجديدة التى أعدتها هذه الشركات فى الضواحى (Ashton,1978)

ويعد الانتاج الكبير للسيارات الذى بدأ فى العشرينيات من هذا القرن من أهم عوامل ازدهار الضواحى. فلم يكن يوجد عام ١٩٠٠ سوى ١٠٪ فقط من سكان الولايات المتحدة يعيشون فى الضواحى. وتضاعف هذا العدد بحلول عام ١٩٢٩ وقـد سهل إقامة الطرق السريعة التى يسرت سبل التنقل اليومى بين الضواحى والمدن.

ومع ذلك، فإنه يصعب القول بوجود عامل واحد وراء هذا النمو السريع للضواحى فى الخمسين سنة الأخيرة، لأن هذا النمو السريع هو فى الواقع، نتاج تفـاعـل عديد من العـوامـل كالظروف المعيشية، والظروف السياسية، وانتقال الصناعة الى الضواحى.

وسـاعـد الرخاء الاقتصادى الذى أعقب الحرب العالمية الثانية، على النمو السريع للضواحى، وعلى ارتفاع مستوى سكانها، وبحلول عام ١٩٧٧ كان عدد سكان الضواحى أكثر من عدد سكان المدن.

ما الذى يغرى فى حياة الضواحى؟ كان لتغير في أنماط استثمار رأس المال أثره الكبير فى نمو الضواحى، فقد اتجه أصحاب رأس المال الى الضواحى يبحثون فيها عن استثمار أفضل لرؤوس أموالهم، فأنشئت المستشفيات والجامعات والعمارات الادارية والمحال التجارية الكبيرة، وكذلك دور الترويح على كافة المستويات، وأوجد كل ذلك فرص عمل جديدة لاتتاح لسكان المدينة.

وهكذا يمكن القول، انه توجد مزايا عديدة للحياة فى الضواحى، فهى أقل ضجة وضوضاء من المدينة الصاخبة المزدحمة، وهى تتيح أفضل فرص لتربية الأبناء وتنشئتهم، والاستمتاع بأوقات الفراغ فى الهواء الطلق. هذا بالاضافة الى تجانس سكانها.

مساوىء الحياة فى الضواحى Disadvantage of Suburban Life

بالرغم من كل مزايا الحياة فى الضواحى التى عرضنا لها، فإن هذا لا يمنع أن لها بعض المساوىء، من أهمها عدم كفاية وسائل المواصلات العامة، وأحيانا أنعدامها تماما، الأمر الذى يضطر الأسرة الى اقتناء سيارة أو اثنتين لزيارة الأصدقاء ولتوصيل الصغار إلى مدارسهم وإحضارهم منها. وبالرغم من أن المدارس قد لا تكون بعيدة، فإنه لا يمكن الوصول اليها بدون سيارة. وكذلك الأمر فيما يتعلق بعيادات الأطباء والمستشفيات وغيرها من الخدمات الضرورية.

ولا تتاح وسائل الحياة المريحة لكبار السن فى الضواحى. فكل شىء فيها قد هيىء للأطفال والشباب، فلم تهيأ أنشطة مناسبة لكبار السن (Ridgeway,1981).

ولحرص سكان الضواحى على التجانس واختيار كل أسرة السكنى بجوار الأسرة التى تماثلها فى الخلفية الاجتماعية، فإن مجتمع الضاحية يشكل على أساس طبقى وعنصرى وسلالى. وإذا كان البيض قد سبقوا الى سكنى الضواحى، فإن هذا لم يمنع أعضاء الأقليات من الانتقال اليها. ولكن بالرغم من هذه المساوىء فمازالت العائلات تنتقل من المدن الى الضواحى (Sternliet and Hughes,1980).

أزمة المدن الامريكية
The Crisis in American Cities

جذور الأزمة الحضرية Roots of the Urban Crisis

بدأ تناقص عدد السكان الذين يقطنون المدن منذ عام ١٩٧٠ بمقدار ١٪ سنويا، فى حين يزداد عدد السكان الذين يقطنون الضواحى بمقدار ١٫٥٪ تقريبا. ولا تقتصر مشكلة المدن أو أزمتها على تناقص عدد سكانها، بل تبدو فى فقر هؤلاء السكان، وازدياد هذا الفقر نتيجة التضخم المالى. وقد بلغ معدل التضخم عام ١٩٧٧ ٦٥٪ ولم يزد دخل سكان المدن الا بمقدار ٥٥٪ فى حين ازداد دخل سكان الضواحى بمقدار ٦٧٪ (نيويورك تيمز ٢٣/٥/١٩٨٠).

انماط الهجرة Migration Patterns

هاجر ملايين من سكان الريف إلى المدن فيما بين أعوام ١٩٢٠ و ١٩٦٠ بحثا عن فرص عمل وحياة أفضل (Biggar,1979) وبحلول عام ١٩٧٠ بدأ تيار الهجرة من الريف الى الحضر يقل، ويرجع ذلك إلى عاملين، العامل الأول، قلة من بقى من السكان فى الريف. والعامل الثانى، النمو السريع للمناطق غير المترويوليتية ونشأة مدن جديدة بها
.(Biggar,1979) , (Sternlieb and Hughes,1980)

المدن التى يقل عدد سكانها What Cities Decline

هل يقل عدد سكان جميع المدن فى مجتمع ما بعد الصناعة؟ كلا، ليست جميع المدن. إن المدن التى ينخفض عدد السكان فيها هى تلك المدن الصناعية القديمة التى انشئت فى مرحلة مختلفة من مراحل النمو الاقتصادى. ويبلغ عدد المدن الكبرى فى الولايات المتحدة ٥٠ مدينة، نصفها قديم ونصفها الآخر حديث نسبيا. وقد وجد «جوردون Gordon,1978 » فى تحليله للأزمة الحضرية المعاصرة، أن ما حدث من انكماش فى القوى العاملة والوظائف فى الفترة من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٧٠ لم يؤثر على المدن الأمريكية، وكانت المدن الأكثر تأثرا هى المدن التى أنشئت فى مرحلة الصناعة، ولم تستطع أن تواكب ما حدث من تطورات

فى مرحلة اقتصاديات ما بعد الصناعة. ولم يكن باستطاعة سكانها، ومعظمهم من الطبقة المتوسطة، أن يغيروا من طابع مدنهم، فقد كانت تعوزهم الامكانات المالية والمادية.

البطالة Unemployment

اهتمت الدولة اهتماما بالغا بالزيادة فى معدلات البطالة الذى حدث فى بداية السبعينيات من هذا القرن. وبلغ عدد العاطلين عن العمل عام ١٩٨٠ حوالى ٧٫٥ مليون شخص (لمدة تبلغ فى المتوسط ١٥ أسبوعا تقريبا) وكان أغلبية المتعطلين من النساء، وأعضاء الأقليات، وقد بلغ عددهم فى السبعينيات ضعف عدد البيض المتعطلين. ويرجع سبب ذلك إلى التفرقة العنصرية والجنسية، هذا بالاضافة الى أنهم أقل مهارة وخبرة. وبلغ عدد المتعطلين من شباب الزنوج فى السبعينيات عددا كبيرا. وحتى عندما تتاح فرص العمل للنساء والأقليات العنصرية، فإن أجورهم تكون أقل من الذكور البيض (Freeman,1980) والمحصلة النهائية للانتقال التدريجى للمصانع والشركات من المدن الصناعية الكبيرة، هو الزيادة التدريجية فى عدد العائلات الفقيرة التى تقطن المدن.

علاج الازمة Dealing with the Crisis

اقترحت عديد من الحلول لعلاج مشكلات المدينة، ويذهب بعض المحللين المحافظين أمثال «بانفيلد Banfield,1974» الى أن مشكلات الحضر تنبع من تدخل الحكومة الزائد فى أعمال القطاع الخاص.

ويذهب أصحاب نظرية الصراع الى رأى مخالف تماما، فيدعون أن البناء الاجتماعى لأمريكا الشمالية بوجه عام، والنسق الاقتصادى بوجه خاص، المسئول عن هذه المشكلات، ومن ثم، فإن هذه الشكلات لا يمكن أن تحل فى ظل هذه النظم. ان الرأسمالية تقوم على مفهوم الندرة، ومفهوم فائض القيمة، وللمحافظة على علاقات السلطة الحالية، لابد من الابقاء على التوزيع غير المتساوى للسلع والثروة (Gordon,1971) ومن ثم فلن يجدى فى علاج الفقر سوى طرق ومداخل تختلف اختلافا جذريا عن المداخل والطرق غير المجدية السائدة.

مستقبل المدن The Future of Cities

تتجسد مشكلات المدن فى صورة أو أخرى من المشكلات الآتية: توزيع السلع والخدمات، الفرص الاقتصادية، وفرص الحراك الاجتماعى، وتباين الخلفيات الثقافية.

ما النحو الذى ستكون عليه مدينة المستقبل؟

اقترحت عديد من النماذج بهذا الصدد. وقد ذهب «دكسيادية Doxiadia,1968» أنه بحلول عام ٢١٥٠م ستوجد المدينة العالمية Eumenoplis وسوف تكون لها صبغة تتعدى نطاق حدود الدول الحالية.

وفى حين توجد هذه الروابط الاجتماعية والاقتصادية عبر الدول والقارات أو عبر انحاء العالم المختلفة، فإن هذا لا يعنى التشابه التام فى نمط المعيشة داخل هذه المدن العالمية. فالمسافة التى تفصل بين أجزائها تعد عائقا طبيعيا واجتماعيا، وسوف يكون لكل جزء نمطه الخاص من التفاعل الاجتماعى. ومن ثم سوف يكون لكل منطقة قيمها ومعاييرها وفق ظروفها المادية والاجتماعية.

ويركز بعض المحللين على قضية الخصوصية Privacy ويرون أنها سوف تزداد فى الطبقة العليا، ومن يحتلون مكانات اجتماعية عالية، ولكنها ستقل فيمن هم أدنى من ذلك.

ويذهب آخرون الى اقتراح بناء عمارات شاهقة وضخمة يبلغ طولها حوالى ١٥٠٠ متر. وتصمم كل عماره لتلبية كل حاجات الفرد (Solari,1969) فتضم مساكن ومكاتب مختلفة، ومدارس متنوعة ودور عبادة ومتاجر. وتخصص أرض فضاء وحدائق وملاعب بجوار كل عمارة للأغراض الترويحية، وسيتيح هذا التخطيط الفرص للتفاعل الاجتماعى، كما أنه سوف يشجع على التماسك الاجتماعى.

ويقترح آخرون إنشاء مدن صغيرة نسبيا تضم المصانع، والمتاجر، ومساكن العاملين فيها، وتزود بالخدمات المختلفة وبجميع متطلبات الحياة، ولا ينبغى أن يزيد عدد السكان فيها عن نصف مليون نسمة.

ويتوقف اختيار اى من الأنماط المستقبلية السابقة، على الرغبة فى التخطيط

للنمو العمرانى، والنظرة الشاملة لمستقبل الحياة الحضرية. ومهما يكن من أمر، فإن تشييد المدن الجديدة سوف يتوقف على الوضع الاقتصادى وعلى البناء الاجتماعى، وعلى نظام القيم السائد.

الخلاصة

حاولنا فى هذا الفصل أن نعرض لما يحدث من تغيرات فى النظم الاجتماعية وفى أنساق التفاعل الاجتماعى عندما يسود التحضر الغالبية العظمى من السكان. وقد انتقدت حياة المدينة لطابعها الصناعى، ولما تشيعه من إحساس بالغربة والاختلاف، الأمر الذى لا يوجد فى الريف أو فى الضواحى. ولكن المدينة من ناحية أخرى، تتيح فرص الإبداع والحراك الاجتماعى والتغير.

وبالرغم من حب معظم الامريكيين الشماليين للحياة فى الريف، فإن الغالبية العظمى منهم تعيش فى المناطق الحضرية. وبدأ الامريكيون منذ الحرب العالمية الثانية ينزحون من المدن إلى الضواحى حيث الهدوء والراحة. وحيث تتوفر أفضل الفرص لتربية الأطفال. ولكن حياة الضواحى لم تخل أيضا من المتاعب فمنها قلة وسائل المواصلات العامة، وصعوبة الوصول الى مراكز الخدمات.

ولقد تعرضت المدن القديمة لعديد من المشكلات فى العقود القليلة الماضية، نتيجة نزوح اعداد كبيرة من سكانها الى الضواحى، الأمر الذى ترتب عليه ضعف الوعاء الضريبى المحلى، هذا بالاضافة إلى انتقال عديد من الصناعات إلى خارج المدن، الأمر الذى ساعد على تفشى البطالة بين سكان المدن. وعمد المسئولون فى عديد من المدن القديمة الى كثير من الوسائل للتغلب على هذه المشكلات، ولكن هذه الوسائل لن يقيض لها النجاح إلا إذا حدث تغير اجتماعى.

واقترحت عدة طرق لما تكون عليه مدينة المستقبل، تهدف جميعها للتقليل من متاعب المدن الحالية. ويتوقف مستقبل المدن الامريكية الشمالية على قرارات الناخبين، وأعضاء المجالس التشريعية، وعلى مصالح أصحاب رؤوس الأموال.

ويعكس تخطيط المدن كغيره من أنواع التخطيط الاجتماعى، سلسلة من الخيارات بين القيم والمصالح المتضاربة. كما تعكس القرارات المتعلقة بحجم المدن

وبموقعها وبنمط مبانيها، ووسائل مواصلاتها، وغير ذلك، كلا من مصالح السلطة، والقيم، والمعايير السائدة فى المجتمع.

قراءات مقترحة

Allon, Natalie. *Urban Life Styles* (Dubuque, Iowa: William C. Brown, 1979). These insightful ethnographic essays are based on Allon's participant observation in three urban settings: dieting groups, health spas, and singles bars.

Fischer, Claude S. *The Urban Experience* (New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1976). This survey of the social and psychological consequences of urban life includes chapters on the historical development of cities, neighborhoods and the family in urban areas, the growth of suburbs, and concludes with speculations about the future of urban areas.

Gordon, David (Ed.). *Problems in Political Economy: An Urban Perspective* (2nd edition) (Lexington, Mass.: D.C. Health, 1977). The editor has gathered a comprehensive set of essays illustrating the radical, liberal, and conservative perspectives on education, employment, housing, poverty, welfare, crime, health, and the quality of urban life.

Newfield, Jack, and **Paul du Brul.** *The abuse of Power: The Permanent Government and the Fall of new York* (New York: Penguin Books, 1978). The authors develop the thesis that a secret government of financiers, developers, backroom politicians, union leaders, and businessmen run the cities through a system of "legal" graft, and demonstrate how this "permanent government" brought about the financial collapse of New York City in the late 1970s.

Suttles, Gerald D. *The Social Order of the Slum: Ethnicity and Territory in the Inner City* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1968). A classic owrk on the social organization of the slum, in this case the high delinquency area around Hull House on Chicago's Near West Side. Suttles examines the development of behavioral standards, arising from the specific life experiences of the residents, that take precedence over the moral standards of mainstream society. (Winner 1969 C. Wright Mills Award of the Society for the Study of Social Problems.)

Tabb, William K., and **Larry Sawers** (Eds.). *Marxism and the Metropolis: New Perspectives in Urban Political Economy* (New York: Oxford University Press, 1978). As an example of current applications of conflict analysis, this collection of essays examines the relationship between various urban problems and the economic base of late industrial and postindustrial societies.

الفصـل التاسـع عشـر

السلوك الجمعى والحركات الاجتماعية

Collective behavior and Social Movements

الفصل التاسع عشر

السلوك الجمعى والحركات الاجتماعية

Collective behavior and Social Movements

نشاهد اليوم فى كثير من الدول عديدا من الظواهر غير العادية: صراخ الجماهير وهديرهم فى الملاعب الرياضية، وحركات الشباب الهستيرية فى الحفلات الغنائية، ومظاهرات الاحتجاج الصاخبة ضد التجارب النووية والتسليح النووى، ومسيرات استنكار التفرقة العنصرية، والاضراب عن العمل لإجبار المسئولين على رفع الأجور، واندفاع الناس لتخزين سلعة معينة عند سماع شائعة عن حدوث نقص فيها وغير ذلك.

يطلق علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعى وغيرهم من العلماء الاجتماعيين على هذه الظواهر اسم «السلوك الجمعى Collective behavior » وهو يختلف عن السلوك الجماعى group behavior الذى أشرنا إليه فى الفصل الرابع، بالرغم من أن كلا من السلوكين يصدر عن مجموعة من الأفراد الذين يستجيبون لموقف أو مثير معين.

إن السلوك الجمعى أكثر تلقائية، وأقل تماسكا من السلوك الجماعى. كما أنه يصدر عن معايير تنبثق لحظيا نتيجة تفسير الناس للموقف أو العمل، وذلك بعكس السلوك الجماعى الذى يصدر عن معايير مستقرة ومتوطدة.

إن ما يميز الظواهر الجمعية عن غيرها من الأفعال الاجتماعية هو الغياب النسبى للمعايير التنظيمية. والقيم المشتركة بين الأفراد المشاركين فيها. وما يجمع بين الظواهر الجمعية المختلفة كالحشود، والمظاهرات، والمسيرات، والحركات الاجتماعية، والشائعات، والاضطرابات والثورات، هو أنها تتضمن تفاعلا بين أفراد يؤثر بعضهم في البعض الآخر، سواء وجد اتصال فعلى بينهم أم لم يوجد هذا الاتصال (Brown,1965).

ولا توجد صيغة مبسطة يمكن أن نصف بها السلوك بأنه جمعى أو جماعى، لأن الفرق بينهما كثيرا ما يكون فرقا فى الدرجة. فالسلوك الجمعى غالبا ما يتصف بالتطرف والاندفاع واللامعيارية.

أنواع السلوك الجمعى Types of Collective Behavior

إن الشائعات، والمظاهرات، ومختلف أنواع التجمهر، والحشود، والصراخ الهستيرى للجماهير، وغيرها من أنواع السلوك الجمعى تعد ظواهر تلقائية، وقصيرة الأمد، وتعبيرية. كما أنها غالبا ما توصف بأنها غير منطقية. ولكن برغم كل ذلك، وبرغم صعوبة التنبوء بظهور مثل هذا السلوك الجمعى، فإن هذا السلوك الجمعى لا يمكن النظر إليه على أنه عشوائى لا أصل ولا أساس له. فلقد أثبت التحليل الاجتماعى أنه له أسسا ودوافع بنائية، وتاريخية، واجتماعية. فالهستريا الجمعية التى ظهرت لدى طالبات المدرسة الثانوية فى «نيوانجلند» فى القرن التاسع عشر، وادعين فيها بأنه أصابهن مس من الجن، إنما ترجع إلى الضغوط البيئية وإلى الظروف النفسية لهؤلاء المراهقات (Boyer and Nusstaum,1974) وكذلك الشائعة التى سرت فى مدينة «أورليانز» الفرنسية عن اختفاء عدد من الفتيات الائى دخلن محلات التجار اليهود لشراء ما يحتجنه منها، وأن هؤلاء الشابات خدرن، وتم بيعهن لتجار الرقيق الأبيض في الشرق الأدنى، قد سببت الفزع لكل نساء المدينة، وقد مرت أسابيع قبل أن تستطيع الشرطة ووسائل الاعلام، إقناع أهالى المدينة أن الفتيات اللاتى وردت أسماؤهن فى هذه القصص، أحياء يتمتعن بكامل صحتهن، وأنهن لم يبرحن المدينة (Ianiello,1979) ولم يكن من المعقول أن تصدق مثل هذه الشائعة، وأن تسرى فى المدينة مسرى النار فى الهشيم، دون تاريخ طويل من المشاعر العدائية نحو اليهود.

والشائعة معلومة تطلقها مصادر مجهولة، تنتقل من شخص الى آخر دون أن تنفى أو تحقق. ويعد انتشار الشائعة صورة من صور السلوك الجمعى، كما أن الشائعة نفسها تعد سببا أساسيا لأحداث جمعية أخرى كالفزع أو الإضرابات، فشائعة قتل رجل شرطة لأحد أفراد الأقليات مثلا، يمكن أن تجعل كل أفراد جماعة الأقلية يخرجون فى اضرابات عارمة. وقد تصدر «شائعات عن جماعات مغرضة لتحقيق أهداف معينة، فتنطلق الشائعات من هنا أو هناك لإبقاء جذوة العنصرية مشتعلة.

وتنتقل الشائعة من شخص إلى شخص آخر، ويضيف كل شخص أو ينقص فيها، أو ينسى جزءا منها ويتذكر جزءا آخر. وقد أوضح «جوردون البورت Gor-don Allport» فى دراساته الكلاسيكية المبكرة عن «الشائعة» كيف تتأثر إعادة القصة الأصلية باتجاهات وتوقعات رواتها المتعاقبين. فإذا كانت القصة الحقيقية أن رجلا أبيضا هدد زنجيا بالقتل، فإنها عندما تروى ينقلب الوضع، فيقال إن زنجيا هدد رجلا أبيضا بالقتل. ولاحظ «البورت» أن التاريخ الطبيعى للشائعة يتوقف على عديد من العوامل:

١ - محتوى الشائعة : مدى معقوليتها وأهميتها.
٢ - عدد من تداولها : عدد المرات التى رويت بها.
٣ - تسلسل الاتصالات : من أخبر من؟.
٤ - الاتجاهات نحو موضوع الشائعة: التعصب أو الاهتمام، أو وجود عوامل خفية. فإذا أخذنا على سبيل المثال الشائعة التى سرت فى مدينة «أورليانز» حول «إختفاء النساء» نجد أن أفواها كثيرة تداولتها وحورت وزادت فيها. وتدور هذه الشائعة من حيث المحتوى، حول الرقيق الأبيض، وهو موضوع مثير للاهتمام. وأما من حيث طريقة انتشارها، فكانت كلمات تفوه بها شخص معين. وأما من حيث مدى معقوليتها، فيكفى القول: بأنه مادام كل فرد يتحدث عنها، فلابد أن يكون فيها شىء من الصدق. كما ساعدت اتجاهات الكراهية نحو التجار اليهود على سرعة انتشارها وتصديقها، فلدى الناس استعداد لتصديق أسوأ الأخبار عن التجار اليهود.

وفى بعض المواقف الأخرى، كوجود حشد كبير من الناس، فإن الشائعة تملأ فراغا في المواقف أو الأحداث التى لا تتوفر فيها معارف يقينية، مما يتيح للناس تشكيل هذا الموقف أو الحدث الذى يكتنفه الغموض (Shitutani,1966) وتنظم الشائعة الإدراك الحسى، وتستحث الفعل الجمعى. وعندما يوجد الناس فى ظروف لا معيارية وغير منظمة، فإنهم يكونون أميل لتصديق أى تعريف معقول للموقف.

الجمهور Publics

يتكون الجمهور من عدد من الأفراد لا يضمهم مكان واحد أو وقت واحد،

ولكنهم يستجيبون بطريقة واحدة لمثير مشترك، وذلك مثل جماعة حماية البيئة أو الداعين للحد من التسلح ، أو المعارضين للتجارب النووية، أو المطالبين بالحقوق المدنية.

وقد يصبح الجمهور غير المنظم جماعة منظمة، فعندما يدرك الجمهور أنه لا فائدة ترجى من مجرد كتابة خطابات أوالتوقيع على عرائض للمطالبة بتصرف معين، أو للاحتجاج على موقف خاص، فإنهم يبدأون فى البحث والاتصال بالآخرين الذين يشاركونهم نفس اهتماماتهم لتكوين جماعة منظمة، وتستمد الجماهير قوتها من هذه القدرة الكامنة. واذا كان يصعب أو يستحيل فى الماضى، تعبئة الجماهير حول قضية معينة، فإن ذلك يعد اليوم أمرا يسيرا، وكثيرا ما يكون مطلوبا، فإن تهيئة الرأى العام تعد ضرورية لإقرار النظام الاجتماعى.

الحشـــود Crowds

الحشد تجمع مؤقت لعدد كبير من الأفراد يشتركون فى نشاط عام، أو يسعون لتحقيق هدف مشترك، ويوجد وعى متبادل بوجودهم. وما يميز الحشد وجود أفراده فى مكان واحد ووقت واحد. ومع ذلك، فإن الحشد يختلف عن الجماعة التي لها كيان منظم وأدوار محددة كتقسيم العمل مثلا. فالأفراد الذين يتكون منهم الحشد يفقدون ذاتيتهم كأشخاص متميزين عندما يندمجون فى جمع غير متميز. بقول آخر، فإن الفرد يتلاشى فى الحشد، ومن ثم لا يتقيد بالمعايير التى تنظم السلوك بين الناس.

أنواع الحشـــود Types of Crowds

توجد أنواع عديدة من التجمعات المؤقتة للناس. ولا تمثل كل الحشود سلوكا جمعيا، فبعضهـا لا يتجمـع الا لمدة قصيرة جدا، وبعضها يتجمع لمدة طويلة ويكون بالغ التنظيم، وأهم أنواع الحشود هى:

١ - الحشود غير المقصود Casual

وهـو تجمع بالصدفة لمجموعة من الأفراد فى مكان واحد ووقت واحد مثل المتسوقين داخل متجر معين، أو المسافرين فى حافلة، أو فى قطار، أو المتنزهين

فى حديقة عامة، فالجميع يشاركون فى إهتمام واحد لمدة معينة، سواء كانت قصيرة أم طويلة.

٢ ـ الحشد المقصـــود Conventional Crowd

وهو التجمع الذى تحكمه معايير معينة ويمكن التنبؤ به، وذلك مثل جموع المصلين فى دور العبادة.

٣ ـ الحشد التعبيرى Expressive Crowd

عندما يعبر أفراد الجمع تعبيرا قويا ملتهبا عن انفعالاتهم المكبوتة، فإن الضوابط المعيارية تتلاشى. ويصبح هذا الجمع حشدا تعبيريا. ولا يوجد هدف لهذا الحشد التعبيرى إلا التنفيس عما يعتمل داخل النفس من انفعالات. مثال ذلك مشاهدو المباريات الرياضية، وهتافاتهم، وأفعالهم الفرحة المؤيدة، أو الغاضبة المعارضة.

٤ ـ الحشود الفاعلـة Acting Crowd

لا تكتفى الحشود الفاعلة بالتعبير اللفظى عن المشاعر، بل تتعداها إلى الفعل، ويعتقد المشاركون فى هذه الحشود أن الأقوال والألفاظ لا تكفى لتحقيق ما يهدفون إليه، ولن يحقق أهدافهم سوى الأفعال التى لا تتقيد بالمعايير السائدة، وذلك كالمظاهرات التى يمكن أن تجتاح كل شىء فى طريقها، كما نجد فى الدول التى تمارس فيها التفرقة العنصرية، فيضطر المصطلون بنيران هذه التفرقة، الى القيام بالمظاهرات التى يدمرون فيها ويحرقون كل ما يصادفهم فى طريقهم.

العناصر المشتركة فى السلوك الحشدى
Common Elements of Crowd Behavior

هل توجد أية عناصر مشتركة فى ظاهرة الحشد، هذه الظاهرة، التى تتباين تباينا كبيرا من حيث الحجم ومدة البقاء، ومن حيث الاهداف، ومدى تلاحم أفرادها، وغير ذلك من عناصر تتيح للملاحظ أن يصف سلوكا حشديا عاما؟ يذهب «تيونر» و «كيليان Tuner and Killian, 1972 » الى أن العناصر الآتية توجد بدرجة أو بأخرى، فى جميع مواقف الحشد:

١ ـ عدم القدرة على التنبؤ بما يمكن أن يحدث.

٢ ـ الشعور بأن شيئا ما سوف يحدث.
٣ ـ توزع هذا الشعور بين أفراد الحشد.
٤ ـ انبثاق حالة انفعالية عامة نتيجة هذا الموقف الطارىء.
٥ ـ قابلية الايحاء بعمل معين لخفض التوتر الناتج عن الحالة الانفعالية.

ويتوقف المضمون المعين للحشد، وما يترتب عليه من نتائج، على الموقف المتفرد الذى يحدث فيه. ويمكن القول، إن سلوك الحشد يختلف عن السلوك العادى الذى ينبثق عن مواقف منظمة تحكمها المعايير المتوطدة، ومن ثم يمكن التنبؤ بها. وقد استهوى السلوك الجمعى اهتمام عديد من العلماء الاجتماعيين، وتباين فهمهم للظواهر الحشدية ونماذجها المختلفة.

نماذج السلوك الحشدى Models of Crowd Behavior

ما الذى يحوّل تجمعا مستقرا من الأفراد إلى جماعة غوغائية؟ لقد اقترحت عدة نظريات لتفسير مثل هذا السلوك اللا إجتماعى. ونظرا لمخالفة السلوك الجمعى لقواعد السلوك المتعارف عليها، فإن أسبابه ونتائجه تشكل خرقا للنظام الاجتماعى. ومن هنا، فإن بواعث السلوك الجمعى يمكن التعرف عليها بشكل أيسر مما نتعرف به على بواعث السلوك العادى.

وإهتم علماء النفس الاجتماعى بظاهرة الحشد والسلوك الحشدى، وحاولوا استقصاء الدوافع الفردية والجوانب المعرفية الكامنة وراء هذه الظاهرة، وصنفت نماذج السلوك الحشدى على أساس المعارف المستقاة من دراسات علماء النفس الاجتماعى بوجه خاص. وفيما يلى أهم النظريات المتعلقة بهذا الصدد:

١ ـ نظريات العـدوى Contagion theories

تهتم هذه النظرية بتعريف الفرد للموقف. ويذهب علماء النفس الاجتماعى الى أن الأفراد يمكن أن يفقدوا ذاتيتهم الشخصية داخل هذا السياق من الأفراد الغرباء، أو على الأقل، يتحررون من ضغوط القيود المعيارية المفروضة على السلوك. ولا يشعر الفرد بالمسئولية الشخصية عما يقوم به من أعمال داخل الجماعة Collective فالحشد هو المسئول. ولما كان انعدام التنظيم من أهم خصائص الحشد، فلابد من حدوث نوع من الخلط والارتباك. وتجد الشائعات مجالا كبيرا

لها داخل الحشد، كما يسهل ظهور شخص يقوده ويفرض عليه تصوره. وينتشر بين الأفراد نوع من العدوى، فيقلد الفرد غيره من الأفراد، وسرعان ما يجرفهم جميعا تيار واحد. وقد ذهبت النظريات التى سادت القرن التاسع عشر، الى سيطرة الغرائز الفطرية الهوجاء على الحشد. وذهب «ليبون Lebon » الى أن الموقف الحشدى يتيح الفرصة لظهور هذه الغرائز الفطرية الهوجاء وسيطرتها.

٢ ـ نموذج الاستجابة الانفعالية **Emotional Reaction Model**

وتنسب هذه النظرية الى «بلومر Blumer,1951 » وتتكون من العناصر الآتية:

أ) أفعال غير هادفة فى موقف معيارى نسبيا، يتمخض عن القلق.
ب) التعلق بفكرة معينة أو قائد معين.
جـ) تبلور اتجاه معين يقوم أعضاء الجماعة بتعزيزه.
د) إمكانية ظهور فعل، أو سلوك حشدى.

ويذهب «براون Brown » و «جولدن Goldin » عام ١٩٧٣ الى أن نظريات العدوى قامت على أحكام قيمية أكثر من قيامها على الملاحظة، وليست كل أفعال الحشود أفعالا هوجاء يصعب السيطرة عليها، كما أنها ليست جميعها خروجا على القانون وتهديدا للنظام الاجتماعى. وقد تجاهلت نظريات العدوى العناصر المنطقية للسلوك الحشدى، وفشلت فى تحديد كيفية انتقال الانفعالات من شخص الى شخص آخر.

ويمكن التوفيق بين المظاهر المنطقية للسلوك الحشدى، وبين ما يبدو فيه من مظاهر غير منطقية، ويقول «براون Brown,965 » إننا إذا افترضنا أن الناس المشاركين فى الحشد يدركون مغبة سلوكهم، وما فى فعلهم هذا أو ذاك من منافع أومضار، فمعنى ذلك أنهم يعرفون أنهم يسلكون داخل نسيج من العلاقات الاجتماعية. وقد وصف الموقف الاساسى فى العمل الحشدى بأنه اتصال بين أفراد يتشابهون فيما يعتمل داخلهم من صراع بين السلوك الاجتماعى والسلوك غير الاجتماعى، والأرجح أنهم سيتبعون أهواءهم غير المطبعة إجتماعيا فتجمعهم فى حشد قد لا يعرضهم للعقاب أو للشعور بالذنب.

٣ - نظرية انبثاق المعايير Emergent Norm Theory

وهى نظرية أكثر حداثة من النظريات السابقة، وتذهب إلى أن الناس فى المواقف غير المنظمة يحاولون إضفاء نوع من المنطق أو النظام على الأحداث. فالحشد ليس مجرد تجمع لأفراد بدون معايير، بل إن الحشد مجال لظهور معايير وقواعد سلوكية، فالأفراد خلال تفاعلهم ينمون ويطورون تدريجيا معايير وقواعد سلوكية، كما أنهم يضفون معنى على أنشطتهم (Turner and Killian, 1972) وتتحدد مخرجات التفاعل الجمعى على أساس هذا البناء المنبثق من القواعد والمعايير (Wright,1978).

وقد دعمت الاضطرابات التى حدثت فى الستينيات وجهة نظر هذا النموذج، فعندما حدثت الاضطرابات فى أحياء الأقليات، صورت على أنها أفعال غوغائية لعناصر أجرامية غير مسئولة فى هذه الأحياء الفقيرة. ومن شأن هذا التفسير استبعاد مسئولية الأمة عن الظروف التعسة فى هذه الأحياء التى يعيش فيها أبناء الأقليات، والتى يمكن فى الواقع أن تبرر وأن تسوغ هذا الشغب. وقد أظهرت الدراسات الأكثر دقة لهذه الظاهرة أن الشغب لا يرجع كلية إلى ظروف الحرمان أو الاغتراب، فالمتهمون بارتكاب هذه الأحداث لم يكونوا الأكثر حرمانا أو إغترابا. كما أظهرت التحقيقات مع المقبوض عليهم، أن أفراد الحشد تخيروا وانتقوا المبانى والمؤسسات التي دمروها.

(Moinet, 1972 - Berk and Aldrich, 1972

بقول آخر، إن الشغب ليس عشوائيا وبدون هدف كما يبدو للبعض، بل إنه غالبا ما يرجع إلى عوامل سياسية أو إقتصادية. وبالرغم من أن الشغب قد يبدو ظاهرة تهدف إلى التدمير والتخريب، فإن جذوره تكمن فى المجتمع الأكبر، وفيما يضمه من نظم إجتماعية.

٤ - اتجاه القيمة المضافة The "Value - Added Approach"

قام «سملسر Smelser » بدراسة اجتماعية مكثفة استغرقت ست سنوات من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٦٨ استخلص منها وجود ستة محددات أو مراحل للسلوك الجمعى، تمهد كل مرحلة منها للمرحلة التالية لها فى تسلسل وتتابع، وعندما تتم

جميع الخطوات، فإن النتيجة النهائية يمكن التنبؤ بها. واذا لم يتوفر العنصر الكفيل بإحداث الخطوة التالية، يقل إحتمال حدوث الفعل الجمعى. ويوحى إصطلاح «القيمة المضافة» بهذا التسلسل فى المراحل.

وهذه المراحل هى :

١ - التسهيلات البنائية Structural Conduciveness

ويقصد بها الطريقة التى تنتظم بها الانساق الاجتماعية بحيث تسمح بالتعبير عن السلوك الجمعى أو تحول دونه. فالدول الشمولية مثلا، لا تتيح الفرصة لأى إحتجاج سياسى. وكذلك الأمر إذا عاش الفقراء فى المدن فى ظروف ممتازة، فتوفرت لهم المساكن الخاصة المكيفة الهواء، الرحبة الحجرات، التى تغرى الاعداد الكبيرة من الشباب الذكور بقضاء أوقاتهم داخلها، بدلا من الانتشار فى الشوارع فى البرد القارص، أو الحر الشديد. وهنا تقل إحتمالات انخراطهم فى أعمال الشغب.

٢ - الضغوط البنائية Structural Strain

وتحدث فى المواقف التى تحفل بالتوتر. ويظهر التوتر نتيجة الصراعات، وعدم وضوح الرؤية، والظلم، وعدم تكافؤ الفرص داخل البناء الاجتماعى الامر الذى يعتبره الأفراد حرمانا من حقوقهم المشروعة فى العدالة والمساواة. وتتمخض الضغوط البنائية عن مشاعر الخوف والقلق ومحاولات التعبير عما لحق بالإنسان من أضرار. ويعد قاطنو أعماق المدن وأفراد جماعات الأقليات أكثر الناس تعرضا لهذه الضغوط البنائية، فالظروف التى يعيشون فيها تولد لديهم الشعور بالظلم وانعدام المساواة.

٣ - ظهور الاعتقادات وانتشارها

Growth and Spread of a Genaralixed Belief

وتبدأ مع تبين الناس لظروفهم المعيشية القاصرة، والتعرف على المتسببين فيها، ويأخذون فى وصفهم: «هؤلاء البيض»، «هذه الصفوة الحاكمة»، «هم» كما أنهم يطلقون مختلف النعوت على هؤلاء المسئولين عما وصلوا إليه من بؤس، ويأخذ الأفراد الذين يفسرون الموقف على هذا النحو فيى التجمع، ويكونون مهيئين للقيام بأى عمل للثأر من ظالميهم.

٤ ـ العوامل المستحثة Precipitating Factors

وذلك كوقوع أحداث مفاجئة ومثيرة تجعل الناس يصدقون ما تشكل لديهم من إعتقادات. وأحيانا لا يكون لهذه الأحداث وجود حقيقى، أو على الأقل، على النحو الذى انتشرت به. فالشائعات يمكن أن تلعب دورا كبيرا فى استحثاث الحشد ودفعه لأعمال عدوانية عندما يكون الناس مهيئين بها امتلأت به عقولهم من إعتقادات. وقد حدثت معظم حوادث الشغب فى المدن نتيجة انطلاق بعض الشائعات وسط التجمعات التى تكون مهيأة فعلا لتصديقها.

٥ ـ التعبئة للعمل Mobilization for action

وتحدث التعبئة عندما تعطى الإشارة للحشد بالتحرك، وذلك عند ظهور قائد أو أكثر لتحديد نوع العمل الذى ينبغى القيام به. وتشير التعبئة الفردية، إلى إستعداد الأفراد ورغبتهم فى القيام بالنشاط أو الفعل المقترح.

٦ ـ عوامل الضبط الاجتماعى Social Control Factors

ويقصد بها إستجابات السلطات لهذه الأنشطة. وتتوقف هذه الاستجابات على رؤية السلطات المختصة، والسياسيين، ورجال الشرطة، والمحاكم لهذه الأنشطة. فالحشود يمكن أن تشجع أو تمنع وفقا لهذه النظرة، وقد تستجيب السلطات المختصة لهذه الحشود بإصدار القوانين التى تخفف المعاناة، كما قد تستجيب بإعلان الأحكام العرفية، وحظر التجمعات بمختلف أشكالها وإعلان حالة الطوارىء وأمر قوات الأمن بالتصدى للحيلولة دون استفحال هذه الاضطرابات وأعمال الشغب التى تكلف الدولة ملايين الدولارات.

الحركات الاجتماعية
Social Movement

الاعتقادات والأفعال
Beliefs and Action

تشير الحركات الاجتماعية الى المحاولات المنظمة لاحداث تغيير إجتماعى أو للحيلولة دونه. ومن الحركات الاجتماعية المعاصرة: الحركات المطالبة بالمساواة بين الزنوج والبيض والنساء، أو مسيرات الاحتجاج على التسلح النووى والتفجيرات

النـووية، وهى جميعها محاولات لتجميع الأفراد حول وجهات النظر هذه، أو تشكيل تنظيات رسمية لتحقيق تلك الأهداف، أو عقد تحالفات مع تنظيات أخرى لهذا الغرض.

وتوجد كذلك الحركات الاجتماعية المضادة، وتفهم فى ضوء الحركات الاجتماعية التى قامت لمعارضتها، وذلك ضمن عملية جدلية (ديالكتيكية) والعملية الجدلية هى الصراع بين الأضـداد، الـذى يتمخض عن واقـع جديد، يوجـد بدوره تناقضات جديدة، وصراع جديد، أى علاقة جدلية جديدة، وهكذا يستمر الجدل عبر الزمن. ومن هنا نرى أن الحركة، والحركة المضادة تضمهما علاقات دينامية، تتمخض عن تغيرات فى البيئة الاجتماعية.

تصنيف الحركات الاجتماعية Classifying Social Movement

يمكن تصنيف الحـركات الاجتماعية على أساس عدد من الخصائص هى: مدتها، وأهدافها، ووسائلها.

١ ـ البقاء (الدوام) Duration

يميز «بلومر Blumer,1974 » بين نوعين من الحركات الاجتماعية:

أ) الحركات الاجتماعية العامة: وتهدف إلى إحداث تغير شامل وعريض، وذلك مثل التوسع التدريجى فى الحريات المدنية، كحرية الحديث والاجتماع والمعتقدات.

ب) الحـركات الاجتماعية الخاصة: حركات مؤقتة ومحدودة من حيث الزمان والمكـان، وذلـك مثـل الحـركـة التى دافعت عن حرية الرأى فى جامعة كاليفـورنيا فى بداية الستينيات. أو بعض الحـركـات التى قامت بإحراق الكتب المنافية للآداب العامة، ودعت إلى منع إصدار مثل هذه الكتب.

٢ ـ الأهــداف Goals

تتراوح أهداف الحركات الاجتماعية بين إحداث تغير محدود، وإحداث تغير عريض يشمل البناء الاجتماعى كله.

٣ ـ الوسائــل Tactics

تتوقف الوسائل التى تلجأ إليها الحركات الاجتماعية على طبيعة الاهداف التى تقصد إلى تحقيقها ونوعيتها، وقد تكون هذه الأهداف إصلاحية أو ثورية أو إعاقية أو مثالية، ومن هنا سنعالج الوسائل مع الأهداف.

أ ـ الحركات الاصلاحية Reform Movements

وترتبط هذه الحركات بالرغبة فى التغيير فى حدود النظم الاجتماعية السائدة، أى بالذى يمكن إحداثه دون التعرض للبناء الاجتماعى ذاته. وذلك مثل إدخال بعض التعديلات الدستورية التى تضمن معاملة متساوية للزنوج. وأما الوسائل التى تتبع بهذا الصدد فهى محاولة التأثير على أعضاء المجالس التشريعية أو الرأى العام، وذلك بإستغلال حق الاقتراع، وإستخدام وسائل الاعلام وغير ذلك.

ب ـ الحركات الثورية Revolutionary Movements

وهى التى لا تكتفى بإحداث تغييرات جزئية فى حدود النظم الاجتماعية والبناء الاجتماعى السائد، وإنما تسعى الى إحداث تغييرات جذرية فى نظام القيم والبناء الاجتماعى. ومن هنا تلجأ فى سبيل تحقيق هذه الأهداف إلى وسائل غير عادية يمكن أن تثير الذعر والخوف بين الناس، مثل الاختطاف، وإستخدام القنابل، والمتفجرات وغيرها من وسائل تلقى الرعب فى القلوب. وذلك كممارسات الألوية الحمراء فى إيطاليا، والكاثوليك فى شمال إيرلندا.

ولكن الحركات الثورية لا تلجأ جميعها إلى العنف، فكثير من الحركات الثورية فى أنحاء عديدة من العالم كانت ثورات بيضاء لم ترق فيها دماء. كالثورة التى حدثت فى إيران ضد الشاه على سبيل المثال، فكل ما طلبت منه هو التنازل عن سلطاته ومغادرة البلاد. ولم يحدث العنف فى إيران إلا بعد الثورة. وكذلك الحركة الثورية التى يقودها إتحاد العمال فى بولندا لاحداث تغيير جذري فى النظام السياسى والاقتصادى للبلاد.

٤ ـ الحركات الاعاقية Resistance Movements

وهى التى تسعى للحيلولة دون التغير. وذلك مثل منظمة «الكي كلوكسي كلان» التى تسعى لإعاقة حركة الحقوق المدنية، والحريات المدنية. وتلجأ هذه

المنظمة إلى وسائل بالغة العنف مثل إحراق بيوت الأقليات وممتلكاتهم بوجه عام، والزنوج بوجه خاص، وكذلك حركات الرفض المختلفة.

٥ ـ الحركات الخيالية **Utopian Movements**

وتنحو هذه الحركات لايجاد مجتمع مثالى تعيش فيه جماعة منتقاة من المؤمنين الحقيقيين بها، وذلك مثل جمهورية أفلاطون، والمدينة الفاضلة للفارابى، وحتى إبن يقظان لابن طفيل، ويوتوبيا سير توماس مور. ويأمل هؤلاء المفكرون أن تفيد هذه الأمثلة المحدودة عندما تعمم، فى إحداث تغير إجتماعى. وبالرغم من أن كلمة «يوتوبيا» تعنى الخيال وعدم الواقعية، فإن هؤلاء المفكرين يأملون أن يحاول الناس إيجاد هذا المجتمع فى الواقع، كما وجد فى خيالهم. وقد حقق الناس ذلك الى حد بعيد فى نظام «الكميونة Commune » فى بعض المجتمعات. وأهم نقد وجه للكميونات أنها تعزل أفرادها عن المجتمع الكبير، كما أنها يمكن أن تساعد على أيجاد النظام التسلطى.

من هم المنضمون للحركات الاجتماعية ؟
Who Joins Social Movements

هل تغرى الحركات الاجتماعية المختلفة أنواعا معينة من الأفراد؟ هل هناك أفراد معينون يكونون أكثر ميلا من غيرهم للمشاركة فى الانتفاضات الجمعية، وفى الحركات الاجتماعية؟ يدل الادراك العام Common Sense أن الحركات الاجتماعية يمكن أن تجذب الناس الذين لديهم إستعداد فكرى لتقبل أهدافها، أو الذين سوف يجنون فائدة من الانخراط فيها. وتذهب كثير من نظريات علم النفس الاجتماعى الى القول بأن معظم المنخرطين فى هذه الأنشطة يكونون من الناس الساخطين أو غير الراضين، ولم يحاول سوى عدد قليل من الباحثين دراسة العملية الفعلية التى يتم بها انضمام الناس لهذه الحركات الاجتماعية.

ولوحظ أيضا أن الحركات الاجتماعية تستقطب لعضويتها الأفراد المعزولين أو شبه المعزولين إجتماعيا. كما أن ثمة خصائص معينة ترتبط بالمشاركين فى الحركات، مثل التنقل الجغرافى، وإفتقاد الروابط الاسرية، والتغير الحديث فى المكانة الاجتماعية، وإنعدام التوافق الشخصى. وإذا قمنا بإستقصاء ظروف هؤلاء

الذين يقومون بالشغب فى الشوارع، ويعلقون اللافتات، أو يكتبون الشعارات على الجدران، فغالبا ما نجدهم من الشباب، ومن غير المتزوجين، ومن الصعاليك.

ومع ذلك، فإن هذه الملامح النفسية للمنخرطين فى الحركات الاجتماعية لا تعكس بشكل دقيق خصائص رجال الأقليات الذين يشاركون فى أحداث الشغب، أو سمات النساء اللائى إشتركن فى حركات الاحتجاج على التفرقة القائمة على الجنس، أو على الحركات العمالية التى تطالب أصحاب العمل بمزيد من الحقوق للعمال (B.Useem,1980).

ومهما يكن من أمر، فإن الاتجاه الاجتماعى لا يهتم كثيرا بالصفات النفسية للأفراد، وإنما يهتم أكثر ما يهتم بالظروف التى تجعل هؤلاء الأفراد ينضمون لحركة إجتماعية معينة. إن الانضمام لحركة إجتماعية معينة، لا يمكن أن يكون عملا عشوائيا أو عرضيا. فبعض الأفراد كغير المتزوجين أو الصعاليك مثلا، يكونون أكثر قابلية لذلك من البعض الآخر. وغالبا ما يتم تجنيد الأفراد لهذه الحركات الاجتماعية عن طريق إتصال أفراد آخرين بهم، وشرح أفكار الحركة وتنظيماتها، ومن ثم لا يمكن لأعضاء الحركات الاجتماعية أن يكونوا منعزلين عما يدور من أمور وقضايا.

ولقد أبانت استقصاءات «بيرت أسيم Bert Useem,1980 » عن الأنشطة المناهضة لأصحاب الأعمال فى مدينة بوسطن، أن الأشخاص المنعزلين يكون إحتمال إشتراكهم فى هذه الأنشطة أقل من الأشخاص المنشغلين بالقضايا العامة ولديهم عديد من الأصدقاء بين رفاق العمل والجيران.

بقول آخر، إن التساؤل عن كيفية الانضمام للحركات الاجتماعية يعد أكثر فائدة فى معرفة الأشخاص الذين ينخرطون فى أنشطة هذه الحركات، من التساؤل عن أسباب هذا الانخراط فى عضوية وأنشطة الحركات الاجتماعية. فالأسباب غالبا ما تعقب المشاركة فى النشاط، بغية إيجاد تبرير لما حدث فعلا (Snow et el,1980).

أطوار نمو الحركات الاجتماعية

Phases in the Development of Social Movements

ظهرت عديد من النظريات والنماذج تصف «التاريخ الطبيعى» أو مجرى حياة الحركة الاجتماعية (انظر:
Gettys,1937 - Hopper, 1950 - Zald and Ash, 1979 - Blumer,1974.
وبالرغم من تعدد المصطلحات المستخدمة، فإن كل هذه النظريات والنماذج تميز أربعة أطوار رئيسية على الأقل، لنمو الحركة الاجتماعية، منذ بداية ظهورها حتى إنتهائها وتلاشيها.

الطــور الأول Phase One

يبدأ بارهاصات من الاضطراب الشخصى، والقلق الغامض يسود المجتمع. وتنتشر مشاعر إنعدام الرضا، وإحساس الناس بالحرمان، وغالبا ما يرتبط كل ذلك بما يسود المجتمع الأكبر من ظروف مثل: الأزمات الاقتصادية، الحروب، الهجرة، التغيرات التكنولوجية أو الكوارث الطبيعية وغير ذلك من ظروف ضاغطة.

وقد تظهر حركات إجتماعية لاحياء التراث الوطنى عندما يرى مجموعة من الأفراد أن الثقافات الوافدة والأجنبية طغت على ثقافتهم الأصلية أو غيرتها تغييرا جذريا. كما حدث فى بعض بلدان شمال أفريقيا، حتى أن اللغة العربية أصبحت غريبة فيها. وقد تنشأ الحركات الاجتماعية عندما توجد فروق طبقية شاسعة بين الأغنياء والفقراء، وتعد الثورة الفرنسية والثورة الروسية، والحركات التى طالبت بالحقوق المدنية فى أمريكا الشمالية فى أواخر الستينيات، أمثلة لهذه الحركات الاجتماعية.

وبالنسبة للفرد، قد تكون مشاعر الحرمان مطلقة أو نسبية. ويتمثل الحرمان المطلق فى عدم توفر مقومات الحياة الأساسية. فعندما تحبط حاجات الناس المادية والانفعــالية، فإنهم يشعــرون بأنهم لن يخسروا شيئا بانضمامهم للحــركات الاجتماعية. وكذلك يمكن أن يؤدى هذا الحرمان إلى الاحساس بالعجز واليأس وعدم جدوى الأخذ بأى أسباب، وهذا هو سبب عدم إنضمام الناس المدقعى

الفقر للحركات الاجتماعية التى تعمل من أجلهم.

وأما الحرمان النسبى فيشعر به هؤلاء الذين يقارنون أحوالهم الراهنة بأحوالهم فى الماضى، أو بما توقعوا أن يحصلوا عليه من منافع ومزايا، ويدركون بأنهم فقدوا الكثير، أو أنهم لم يحصلوا على ما يعتقدونه حقا مشروعا لهم. فالحركات المناهضة التى قام بها دافعو الضرائب، أو الاضطرابات التى قامت ضد رجال الأعمال فى الولايات المتحدة، قام بها أناس شعروا بأنهم مهددون بفقد مكانتهم الاجتماعية وسلطتهم وهيبتهم، أو مالديهم من ثروة نسبية، إزاء الجماعات الأخرى. وينشأ الحرمان النسبى أيضا عندما يقارن المرء نفسه بغيره ممن يعتبرهم مساوين له، ويرى أنه عومل معاملة غير منصفة: «إننى مثلهم تماما ولا أقل عنهم شيئا» وتنشأ الحركات الاجتماعية المناهضة للتفرقة بمختلف أشكالها عن مشاعر الحرمان النسبى، كما أنها يمكن أن تنشأ أيضا عن مشاعر الحرمان المطلق.

ومع ذلك، فإنه يمكن القول بصدد هذا الطور الأول للحركة الاجتماعية، إنه ليس من الضرورى أن يعبر عن تلك المشاعر بالانخراط فى حركة إجتماعية، فقد يلوم البعض أنفسهم بدلا من لوم الآخرين، أو قد ينسبون وضعهم المتردى أو غير المتساوى الى حظهم العاثر، أو الى سوء ظروفهم.

الطور الثانى Phase Two

وفى هذا الطور يدرك الأفراد غير الراضين وغير القانعين أنهم ليسوا وحدهم، وأن هناك آخرين يشاركونهم عدم رضائهم أو غضبهم. وهنا تلعب وسائل الاعلام دورا بارزا فى بلورة هذه المشاعر، وتساعد على انخراط هؤلاء الناس فى حركات اجتماعية معينة، وتضفى هذه العلانية على تلك الحركات نوعا من الشرعية والوضوح.

إن إدراك الفرد أنه ليس وحده الذى تعتمل بداخله هذه المشاعر يعد أمرا ضروريا، ولكنه لا يكفى لانخراطه فى حركة إجتماعية، فالشعور المشترك بالظلم، أو بالغضب، أو بعدم الرضا، لا ينهض وحده سببا يكفى لتجمع المظلومين أو الغاضبين أو عدم الراضين. ولتحويل المشاعر الشخصية إلى قضايا عامة، ينبغى

وجود أيديولوجية تشكل قاعدة لأفعالهم وتصرفاتهم. ويشكل نظام المعتقدات بناء بديلا عن الواقع المعاش يكفى لتعبئة الأفراد وإنضمامهم للتجمع. فعلى سبيل المثال، تشكل الأيديولوجية السائدة بأفضلية البيض على غيرهم، قاعدة انطلقت منها عديد من الحركات المضادة، كالنازيين الأمريكيين، وجماعة الكلوكلس كلان الارهابية.

وتقوم وسائل الإعلام المختلفة بدور كبير فى هذه المرحلة. وكذلك تظهر القيادات الكاريزماتية (الملهمة) القادرة على تعبئة هؤلاء الشاعرين بالظلم والساخطين، القيادة التى تستطيع تجسيد أحلام هؤلاء الناس.

الطور الثالث Phase Three

وتتمثل هذه المرحلة في التعبئة أو التشكيل الفعلى، وتتم عندما تتوفر لأفراد الحركة الاجتماعية مقومات هذا التشكيل، مثل وجود المقر، وتوفر الأموال، وتهيؤ المناخ العام الذي يسمح بممارسة أنشطتهم، أو على الأقل لا يتعرض لها بالقمع.

وهذه هى المرحلة التي تتحول فيها الحركة الاجتماعية الى تنظيم إجتماعى مستقر، ويزداد الدعم للقيادة الكاريزماتية، أو تحل محله قيادات أخرى، لا تعدو أن تكون قيادات إدارية. ويقول «فبر» إن الحركة في هذه المرحلة قد تتعرض لبعض الانقسامات، ويتعرض وجودها نفسه لعديد من التحديات، وخاصة عندما تواجه بردود أفعال عدائية بدرجة تقل أو تزيد، الأمر الذي يتطلب ضرورة تضافر جهود أعضائها.

وما لم تلب الحركة الاجتماعية المتطلبات الوظيفية للنظام الاجتماعي القائم فلن يقيض لها النجاح، مهما كانت قوة إعتقاد أفرادها، ومهما كان سخطهم وعدم رضائهم.

الطور الرابع Phase Four

وهى مرحلة التوطد والاستقرار التى تتحقق عندما تكتسب الحركة الاجتماعية شرعيتها، ويعترف بها، وتقر أهدافها التى تتجسد فى تنظيم مستقر إلى حد كبير (Gamson,1975).

الاستجابات المجتمعية للحركات الاجتماعية
Societal Reactions to Social Movements

كما يتوقف نجاح الحركات الاجتماعية أو فشلها على متغيرات داخلية مثل إستمرار تماسك وتلاحم أعضائها، أو ظهور الخلافات بينهم، فإن الاتجاه نحو الأوليجاركية أو تحكم الأقلية، يتوقف أيضا على متغيرات خارجية من أهمها مؤسسات الضبط الاجتماعى.

وقد تلجأ وسائل الضبط الاجتماعى إلى القمع بكل وسائله وأشكاله: كالاعتقال والسجن والنفى لأعضاء الحركات الاجتماعية التى ترى أنها مهددة للمجتمع ككل. أو قد تلجأ الى تعزيز الحركات الاجتماعية التى ترى أن أهدافها لا تتعارض مع أهداف المجتمع الكبير، فتمنحها بعض الامتيازات، وتؤثر قادتها ببعض الوظائف الهامة.

ولتوضيح هذه الصورة سوف نعرض لاحدى الحركات المعاصرة وهى حركة الحقوق المدنية.

حركة الحقوق المدنية The Civil Rights Movements

يبدأ تاريخ الاحتجاج والاعتراض على التفرقة العنصرية بين البيض والزنوج فى الولايات المتحدة بثورة العبيد التى قامت فى القرن الثامن عشر، وإستمرت منذ ذلك الوقت تأخذ صورا وأشكالا متعددة، من أهمها حركة الحقوق المدنية التى ظهرت فى منتصف الخمسينيات من هذا القرن فى الجنوب، وتمخضت عن تغيير أوضاع ومكانات الزنوج، وعدم شرعية جميع أنواع التفرقة العنصرية فى الولايات المتحدة، وقام «شيرمان» و «وود» Sherman and Wood, 1979 بتحليل هذه الحركة على ضوء عناصر ستة ضرورية لنجاح أى حركة إحتجاج:

١ - الظروف البنائية Structural Conditions

عندما انتقل الزنوج من مناطق الجنوب الريفية، إلى مناطق الشمال الحضرية فى الفترة من ١٩٤٠ - ١٩٤٥ إستجابة لفرص عمل أفضل، تحسنت أوضاعهم من حيث العمل، والدخل، والتعليم، وقل إحساسهم بالحرمان المطلق، وخاصة فى المدن الشمالية.

٢ ـ الشعور بالحرمان Felt Deprivation

ومع ذلك، تولد الشعور بالحرمان عندما قارنوا أحوالهم بأحوال البيض فيما يتعلق بالإسكان، والوظائف، والأجور، وبدأ الشعور بالحرمان يزداد تدريجيا لعدة عقود.

٣ ـ التبلور الايديولوجى Idiological Crystallization

إن الاحساس بوجود فجوة بين المثاليات الديموقراطية التى حارب كثيرون من أجلها إبان الحرب العالمية الثانية، والواقع الموضوعى لظروفهم المعيشية، أدى بعديد من الزنوج إلى الايمان بضرورة الاحتجاج العلنى على انعدام المساواة. وتبنى القس «مارتن لوثر كنج Martin Luther King » هذه الفكرة، وكانت دعوته إلى المساواة دعوة إصلاحية بالوسائل السلمية وعدم إستخدام العنف. وخاطب «كنج» بدعوته كلا من الزنوج المحرومين، والبيض الذين لا يقرون التفرقة العنصرية غير الأخلاقية، فالله خلق الناس أحرارا متساوين. ولاقت دعوة «كنج» الاصلاحية والسلمية، قبولا من عدد كبير من البيض.

٤ ـ أحداث مثيرة Precipitatating Events

أصدرت المحكمة العليا قرارا عام ١٩٥٤ يقر الانعزال بإعتباره لا يتعارض مع المساواة. وكان صدور هذا القرار أحد الأحداث التى أثارت إعتراضا وإحتجاجا. وفى شهر ديمسبر عام ١٩٥٥ ألقى البوليس القبض على «روزا باركز» وهى أمريكية زنجية من مدينة» مونتجومرى» بولاية «الاباما» لأنها رفضت الجلوس فى مقاعد الاتوبيس الخلفية المخصصة للزنوج، وأصرت على الجلوس فى المقاعد الأمامية المخصصة للبيض. وقد أثارت هذه الحادثة ردود أفعال واسعة بين الزنوج.

٥ ـ التعبئة Mobilization

استجاب الزنوج لاعتقال المرأة الزنجية، بمقاطعة وسائل المواصلات العامة فى مدينة «مونتجومرى» الأمر الذى تسبب فى خسارة فادحة لأصحاب السيارات العامة. وحث «مارتن لوثر كنج» الزنوج على الوقوف صفا واحدا، وإستمرار

المقاطعة لوسائل المواصلات العامة وغيرها من ممتلكات البيض، ودعاهم إلى عدم الالتجاء إلى العنف. ونظمت مسيرات الاحتجاج الصامتة فى كل مدن الجنوب. وعندما تصدت الشرطة بعنف وقسوة لهذه المظاهرات السلمية، أثار هذا العنف غير المبرر عديدا من الأمريكيين البيض. وفى عام ١٩٦٣ تجمع مئات الآلاف من المؤيدين للزنوج فى العاصمة. وقد جسد هذا التجمع الضخم الذروة الانفعالية للحركة.

ونتج عن ذلك انحسار المعارضة للحقوق المدنية، وصدرت عديد من القوانين الهامة التى تحرم كل أنواع التفرقة العنصرية، وبدأت المنظمات المناهضة للزنوج تدخل شقوقها فى باطن الأرض.

٦ - التنظيم Organization

ظهرت على المستوى القومى كثير من التنظيمات للدفاع عن حقوق الزنوج المكتسبة. وبالرغم من أن معظم أفرادها كانوا من الزنوج، فإنها ضمت أيضا فى عضويتها عديدا من البيض.

إن دراستنا للسلوك الجمعى، وتحليلنا للحركات الاجتماعية المعاصرة سوف يوضع فى السياق الاجتماعى الأعرض للحركات الاجتماعية. وتثار عديد من مظاهر العمل الجمعى كالشائعات، وأحداث الشغب لأن الناس يشعرون بما يلحقهم من تهديد نتيجة ما يحدث من تغير إجتماعى. إن حالات إنعدام المعايير تكون مألوفة وعادية فى المجتمعات الحديثة. لأن عديدا من التغيرات تطرأ على جميع مظاهر الحياة فى فترات قصيرة من الزمن، وتفرخ حالات انعدام الثبات هذه أنواعا من الاضطراب والقلق، تشكل ارهاصات للسلوك الجمعى.

وترتبط الحركات الجمعية ارتباطا وثيقا بالتغير الاجتماعى، فالحركات الاجتماعية محاولة شعورية للتخلص من ظروف غير مقبولة، أو لايجاد أحوال جديدة، أو لمقاومة التغير الاجتماعى. ومن هنا، فإن الحركات الاجتماعية التى عرضنا لها فى هذا الفصل، إنما تمهد للفصل التالى: العصرية والتغير الاجتماعى.

الخلاصة
Summary

يتضمن السلوك الجمعى مدى واسعا من السلوك يشمل الاضطرابات، والحشود، والشائعات، والرأى العام، والحركات الاجتماعية، والثورات، ويصنف السلوك الجمعى حسب درجته من التلقائية أو القصدية، وحسب أمده الطويل أو القصير، وحسب كونه تعبيريا أو ذرائعيا، كما يصنف أيضا حسب الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه.

وقد ظهرت عديد من النظريات عن الحشود وغيرها من أنواع السلوك الجمعى، مثل نظرية العدوى، ونظرية الاستجابة الانفعالية، ونظرية انبثاق المعايير، ونظرية القيمة المضافة.

وتعد الحركات الاجتماعية، محاولات منظمة لاحداث تغير اجتماعى، أو للحيلولة دونه. ويتسبب نجاح الحركات الاجتماعية فى ظهور حركات إجتماعية مضادة، ويرتبط هذان النوعان من الحركات بعلاقة جدلية تلحق تغيرا بالبيئة الاجتماعية. ويوجد فرق أساسى بين الحركات الاصلاحية التى تهدف الى التغيير فى إطار النظام الاجتماعى ذاته، وبين الحركات الثورية التى تهدف إلى تغيير جذرى فى قيم المجتمع، وفى النظام الاجتماعى نفسه. وتهدف حركات المقاومة إلى الوقوف فى وجه التغير، فى حين تسعى الحركات المثالية إلى إقامة مجتمع مثالى عن طريق فئة قليلة من المؤمنين الحقيقيين.

وتوجد أربعة أطوار لظهور الحركات الاجتماعية ونشأتها:

١ ـ شيوع السخط وعدم الرضا فى المجتمع.
٢ ـ بلورة الاهتمامات.
٣ ـ نشأة التنظيمات التى تقوم على معتقدات معينة.
٤ ـ التوطد والاستقرار.

ويتوقف نجاح الحركات الاجتماعية أو فشلها، على عوامل داخلية وخارجية. ولا يتوقف النضال من أجل استمرار التغير الاجتماعى مهما حاول البعض ذلك.

قراءات مقترحة

Fanon, Frantz. *The Wretched of the Earch* (New York: Grove Press, 1968). Fanon's discussion of colonialism and revolutionary protest has been very influential among intellectuals in the developing nations.

Freeman, Jo. *The Politics of Women's Liberation: A Case Study of an Emerging Social Movement and its Relation to the Policy Process* (New York: McKay, 1975). In this provocative volume, Freeman traces the development of the contemporary women's movement and its implications for social policy, from a social movement perspective.

Humphreys, Laud. *Out of the Closets: The Sociology of Homosexual Liberation* (Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1972). The many links between individual choices and collective movements for social change are explored.

King, Martin Luther, Jr. *Stride Toward Freedom: The Montgomery Story* (New York: Harper & Row, 1958). This is the noted civil rights leader's first-hand account of the struggle toward desegregation and the attainment of justice for blacks in the years before the Montgomery boycott brought national attention to the movement.

Piven, Frances Fox, and **Richard A. Cloward.** *Poor People's Movements: Why They Succeed, How They Fail* (New York: Vintage, 1979). An insightful examination of the successes and failures of four protest movements – those of unemployed workers, industrial workers, and the civil rights and welfare rights movements.

Smelser, Neil J. *Theory of Collective Behavior* (New York: Free Press, 1963). This is a sociological classic, presenting a systematic step-by-step model of collective behavior and social movement development. This volume is an important starting point for any theory of social protest.

Useem, Michael. *Protest Movements in America* (Indianapolis: Bobbs-Merrill, 1975). Useem's treatment of protest movements in the United States is a fascinating panorama of human hopes and follies, stunning successes and utter failures.

الفصل العشرون
العصرية والتغير الاجتماعى

Modernization and Social Change

الفصـــل العشـــرون
العصريـــة والتغيـر الاجتماعـى

Modernization and Social Change

إن ثقافة أى مجتمع من المجتمعات لابد أن يعتريها نوع من التغير، ولو أجمع أعضاء مجتمع على مقاومة التغير، والإصرار على أن كل شىء ينبغى أن يبقى على حاله، فإنه توجد قوى لا يمكنهم السيطرة عليها، قوى تجعل دوام الحال من المحال. فلا يستطيع أحد اليوم ان يحول دون اتصال مجتمعه بالمجتمعات الأخرى. فالتقاليد مهما كانت، لا تحول دون التغير أو التطور، كما أن التغير أو التطور لا ينبغى أن يقضى على التقاليد.

ويشـير التغـير الثقافى الى ما يلحق بالقيم، والمعايير، والعلاقات الاجتماعية المتوطدة، ونظم التدرج الطبقى الاجتماعى السائدة، من بعض التعديل والتبديل عبر الزمن. كما يشير التغير الاجتماعى الى انماط التفاعل والتنظيمات الاجتماعية فى المجتمع. ويرتبط التغير الثقافى بالتغير الاجتماعى، ويتداخلان معا فى نسيج واحد. وكثيرا ما يستخدم أى منهما ليشير الى الآخر.

التغير العام والتغير الخاص

General and Specific Change

يتوقف التغير فى أى مجتمع من المجتمعات على ما يمر به من أحداث، وما يعرض له من خبرات، كالدعوات الدينية والفكرية، والفتوحات والهجرات وغير ذلك. وقد إهتم علماء الاجتماع بقضية الاتجاه التراكمى للأحداث والخبرات عبر آلاف من السنوات، ودار حولها نقاش واسع، وخاصة من العلماء الذين إهتموا بالنـظرية الاجتـماعية. فالتقنيات والأنـماط المختلفة من المعرفة، لا تظهر دون إرهاصات تمهد لها، وكل نظام إجتماعى نتاج كل التوافقات والخبرات السابقة.

وتنحو المجتمعات الانسانية الى التطور من النظم الاجتماعية البسيطة الى النظم الاجتماعية الأكثر تعقيدا، من الجماعات البسيطة التى تعتمد فى معاشها على جمع الفواكه والتقاطها، والبحث عن جذور النباتات الدرنية بوسائلها المادية المحدودة، إلى المجتمعات التكنولوجية والصناعية الحديثة، ثم مجتمعات ما بعد الصناعة الأكثر تعقيدا.

وبالرغم من أن بعض المجتمعات لا تسير دائما على هذا النحو من التطور لتعرضها لعوامل معينة، فإننا إذا ضممنا تاريخ كل المجتمعات المعروفة لديناميكا، فسوف يتضح لنا وجود هذا النمط العام للتطور.

وينبغى التأكيد على أن تطور المجتمعات من البساطة الى التعقيد لا يشمل بالضرورة كل النظم التى تشكل البناء الاجتماعى، وذلك كالنظام الدينى وبعض العادات والتقاليد. فإذا كنا نريد أن نغير وسائل إنتاجنا المادى، فإننا نريد أن نحتفظ بديننا وقيمنا ومعاييرنا المشتقة من الدين.

ظهور الدولة القومية The Rise of The Nation - State

ان الدولة القومية باعتبارها وحدة متميزة من التنظيم الاجتماعى وبصفتها مصدرا للذاتية والولاء، تعد مفهوما حديثا نسبيا. فلم تكن القومية فى الماضى تعنى الكثير بالنسبة لعديد من المجتمعات. لم تكن تعنى أكثر من مشاركة جماعة قرابية فى رقعة من الأرض، حيث تشكل المكانات الموروثة قاعدة التلاحم الاجتماعى وأساسه.

وبظهور المذهب القومى، وجد عدد كبير من الناس أن لديهم أيديولوجية يلتفون حولها. وهكذا اتاحت فكرة القومية إعتقادا قويا مشتركا يكفى لايجاد وحدة سياسية. لقد أوجدت فكرة القومية إحساسا بالانتماء إلى جماعة يفخر أعضاؤها بالانتساب إليها، بالرغم من عدم تجانسها، وبالرغم من تعدد الجماعات الفرعية داخلها. وكذلك لعبت فكرة القومية دورا كبيرا فى إستحثاث التطور الاقتصادى والتغير الاجتماعى.

وإذا كان وجود الملكيات القوية المستقرة نسبيا، قد شجع على نشأة القومية فى أوربا، فإنه يوجد عاملان آخرن دعما مفهوم القومية أساسا للسلطة السياسية

والوحدة الذاتية. هذان العاملان هما: الرأسمالية والاستعمار. فقد إقترن نمو الرأسمالية فى عديد من البلدان مثل إنجلترا، وفرنسا، وألمانيا، والبلاد الواطئة بحركة الاستعمار. فالاقتصاديات الرأسمالية كانت تقوم أكثر ما تقوم على المواد الخام التى تُجلب من المستعمرات. كما أن هذه المستعمرات كانت تشكل أسواقا رائجة لمنتجات لتلك الدول.

وباكتشاف العالم الجديد، بدأ التجار والمستوطنون يتدفقون عليه، ولم يكن لدى سكان أمريكا الأصليين إحساس قوى بالوحدة القومية، فلم يكونوا أكثر من عدد من القبائل المتفرقة التى تنتشر على شكل تجمعات صغيرة على هذه الأرض الشاسعة، ولم تكن تجمع بينهم لغة أو ثقافة مشتركة. وساعد هذا الاحساس القومى الضعيف لدى السكان الأصليين على نشأة قوميات الاوروبيين المستعمرين فى هذا العالم الجديد ونموها.

ولكن الأمر لم يتم على هذا النحو فى مجتمعات العالم الثالث، فقد ظهرت فيها القوميات كرد فعل للاستعمار الغربى. ففى مطلع القرن التاسع عشر، كانت أربع دول هى إنجلترا، وأمريكا، وفرنسا، وألمانيا، تمتلك حوالى ٨٥٪ من الاستثمارات الرأسمالية فيما وراء البحار (Chirot,1977) هذا بالاضافة إلى أن ما يقرب من ٨٦٪ من سكان أفريقيا، وما يقرب من ٤٢٪ من سكان آسيا، كانوا يرزحون تحت حكم الاستعمار الأوربى (Chirot,1977)

وقد بدأ ظهور المذاهب القومية منذ الخمسينيات، سيما فى الدول التى كانت تحت السيطرة السياسية والاقتصادية الأوربية والأمريكية.

وبزيادة نمو الطبقة الوسطى وقوتها فى دول العالم الثالث، فإن أفرادها لم يستوعبوا المذاهب القومية الغربية فحسب، وإنما إستوعبوا أيضا ما إرتبط بها من حقيقة مرة، هى أن قوميات المستعمرين قد حالت دون نموهم الاقتصادى. ومن ثم لم يكن غريبا أن يرتبط ظهور القوميات فى دول العالم الثالث بمقاومة الاستعمار والرأسمالية الغربية، واستحالت القوميات في دول العالم الثالث إلى حركات تحريرية، لا يشترط أن يدخل فى تكوينها عناصر كاللغة الواحدة، أو الثقافة المشتركة، أو النظم الاجتماعية الواحدة، فقد كانت ببساطة حركات مناهضة للاستعمار.

وقد شجع هذا الجيشان القومى الجديد على تحطيم أبنية السلطة التقليدية والتدرج الاجتماعى التقليدى، كما إستحث النمو الاقتصادى المستقل.

ومع ذلك، فبسبب الانشاقات الداخلية والولاءات القبلية التقليدية التى كانت تطبع عديدا من دول العالم الثاث، كان لمفهوم القومية معان مختلفة لدى مختلف الطبقات الاجتماعية، والجماعات الاجتماعية حتى داخل البلد الواحد. ففى حين كانت الطبقات الوسطى تفضل الاستقلال والتحرر دون إحداث تغيير جذرى فى المجتمع، فإن الصفوة القديمة كات تفضل العودة الى الماضى المثالى، هذا فى حين كان المثقفون والعمال يتطلعون الى تغير إجتماعى جذرى. وقد تمخض هذا التباين عن انعدام الاستقرار فى كثير من الدول النامية.

تباين التغير Variations in Change

لم تكن القومية برغم فاعليتها فيما يتعلق بالتغير الاجتماعى والثقافى عاملا حتميا فى تحديد مجرى التطور فى المجتمعات التى انتشرت فيها. ففى حين مضت بعض المجتمعات قدما فى طريق التطور والنمو، نجد مجتمعات أخرى لم يطرأ عليها إلا تغير ضئيل. ويتوقف ذلك على ظروف تلك الدول الثقافية والاجتماعية.

وعندما يكون التغير فجائيا وسريعا بأكثر مما تستطيع الثقافة القائمة دعمه ومواكبته، فقد يتيح ذلك الفرصة لظهور حركات مضادة تسعى للعودة الى الماضى والى ما كان سائدا من طرق تقليدية.

ولا تسلك جميع المجتمعات الاتجاه من البساطة إلى التعقيد، أو من مجتمعات ما قبل التاريخ إلى دول قومية حديثة، فقد كان لبعض الدول فى الماضى بناء إجتماعى يقوم على التخصص والتباين، ثم مرت بفترات من التدهور والانحطاط إستمرت قرونا طويلة، ثم عادت وولدت من جديد دولة عصرية.

وهكذا يمكن القول، إن لكل مجتمع مسيرته الخاصة فى النمو والتطور، بمعنى أن كل مجتمع يحتل مكانا أو موقعا معينا على متصل متدرج Continuum من البساطة إلى التعقيد. فلكل مجتمع معدله الخاص فى التطور، ولا يوجد مجتمعان يتشابهان بهذا الصدد. فإحتمالات النمو المستقبلى فى طريق معين، وبمعدل معين ليست قدرا محتوما، وإنما تخضع لعديد من العوامل والظروف. من بينها الظروف والعوامل التاريخية.

مصـــادر التغــير Sources of Change

سنحاول أن نستقصى أهم مصادر التغير الثقافى والاجتماعى، وكيفية قبول التغير أو مقاومته، كما سنحاول أن نعرض لأهم النظريات التى عرضت لطبيعة التغير الاجتماعى.

أولا : المصادر الخارجية External Sources

توجد أربعة مصادر خارجية للتغير الثقافى والاجتماعى هى:

١ - التغيرات البيئية Environmental Changes

توجد عديد من الأحداث الطبيعية التى يمكن أن تحدث إختلالا فى التوازن بين السكان والبيئة التى يعيشون فيها، وذلك كالسيول، والفيضانات، والأوبئة، والـزلازل، والجفـاف وغيرها، الأمر الذى يمكن أن يتمخض عن المجاعات، والهجرات، والتغير فى أنماط المعيشة. ويتطلب كل تغير من هذه التغيرات محاولات جديدة للتـوافق مع البيئـة المادية والاجتماعية الجديدة، التى تقوم على أساس التوافقات السابقة.

وتـوجـد أنواع أخرى من الكوارث يعد الانسان وحده المسئول عنها، مثل الحروب التى تهدر المصادر البشرية والمادية، ومثل تبديد المصادر الطبيعية، وسوء استخدام الأرض الزراعية، أو تجريف التربة، أو عدم مراعاة القواعد الاقتصادية والفنية فى صيد الأسماك والحيوان. ومن شأن هذه التصرفات إحداث تغييرات فى البيئة التى يعيش فيها الافراد والجماعات.

٢ - الغـــزو Invasion

إن غزو أراضى الغير، والنزعات الاستعمارية القديمة التى تمثلت فى الاحتلال العسكـرى، والاستعمار الحديث الذى تمثل فى الغزو الاقتصادى ونهب ثروات الشعـوب، يعد مصدرا أساسيا من مصادر التغير الاجتماعى. فالغزاة يحاولون فرض ثقافتهم ونظمهم الاجتماعية على الشعوب المغلوبة على أمرها، حتى اللغة الوطنية حلت محلها لغة المستعمرين، فأصبحت هى اللغة الرسمية، كما نرى ذلك فى عديد من المستعمرات الاوربية فى أفريقيا وفى آسيا. هذا بالاضافة الى عديد من التغيرات فى النظم الاجتماعية كالنظام السياسى والنظام التربوى.

وكثيرا ما يتسبب الغزو فى فرار عديد من الجماعات والقبائل أمام جحافل الغزاة، وإتخاذهم مواقع بعيدة، الأمر الذى ينجم عنه كثير من التغير فى حياتهم. مثال ذلك ما حدث للقبائل الأفريقية فى جنوب أفريقيا، والقبائل الفيليبينية التي دفعت الى الأحراش والغابات.

٣ ـ الاتصال الثقافى cultural contact

يحدث التغير الاجتماعى نتيجة الاتصال بين أفراد المجتمعات، وقد يكون الاتصال عن طريق التجارة أو عن طريق الصيد أو الرعى، أو عن طريق الهجرات.

وأيا ما كانت وسائل الاتصال، فإنها تتمخض عن تعلم طرق جديدة للتوافق مع البيئة ومواجهة متطلبات البقاء. ولا تقبل جميع المعارف الجديدة التى يتيحها الاتصال بالجماعات الأخرى، فقد يقبل بعضها ولا يقبل البعض الآخر. ويتوقف ذلك على عديد من العوامل، من بينها تاريخ الثقافة المستقبلة، وقوة الثقافة الوافدة على فرض التغيير.

٤ ـ الانتشار الثقافى Diffusion

الانتشار الثقافى هوالعملية التى يتم بها انتشار بعض عناصر الثقافة من مجتمع معين الى مجتمع آخر عن طريق الاتصال الثقافى، وبقبول بعض عناصر الثقافة، لأن سمات ثقافة مجتمع معين لا تكون كلها مقبولة بالنسبة لمجتمع آخر، ومن ثم يقبل بعضها ويرفض البعض الآخر. ويمكن القول بوجه عام، إن التكنولوجيا أو التقنيات المختلفة تكون أسرع انتشارا، فى حين أن السمات غير المادية من الثقافة كالمعتقدات والقيم، يمكن أن ترفض كلية، أو يؤخذ ببعضها الذى لا يتعارض مع العقيدة الدينية بوجه خاص. كما أن بعض التقنيات قد يصعب انتشارها، أو تنتشر ببطء شديد، إذا اتضح أنها سوف تحدث تغييرا جذريا فى اقتصاديات المجتمع.

ويتوقف الانتشار الثقافى على مدى الاتصال الثقافى، بمعنى أن انتشار عناصر أو انماط، أو سمات ثقافية معينة من مجتمع الى مجتمع آخر، يتوقف على عمق الاتصال، وتنوع أساليبه، وتكرار حدوثه.

إن إدخال عنصر ثقافى جديد فى مجتمع من المجتمعات، يتمخض عن عديد من النتائج، تكون أشبه بالتموجات التى يحدثها القاء حجر فى بركة ماء. إن أى تغير رئيسى يلحق بنظام إجتماعى معين، تتبعه سلسلة من التغيرات فى النظم والعلاقات الاجتماعية الأخرى التى توجد فى المجتمع، ويمكن أن تجد هذه التغيرات مقاومة من الذين يخشون نتائجها، أو يتخوفون من آثارها على المدى القريب أو البعيد.

لقد أدخل «أوجبرن Ogturn,1922 اصطلاح «التخلف الثقافى Cultural Lag ليصف الفترة الزمنية بين إدخال تكنولوجيا جديدة، وما يتبعها من توافقات ضرورية فى مجال القيم والمعايير والعلاقات الاجتماعية. وقد طبق أوجبرن هذا الاصطلاح على المجتمعات الغربية التى تتطور فيها الثقافة المادية بمعدلات تفوق سرعة تطور الثقافة غير المادية. ويؤدى هذا الاختلاف فى التطور، وذلك التفاوت فى معدلات سرعة التغير، إلى تخلف بعض العناصر الثقافية وبقائها، الأمر الذى يمكن أن يؤدى إلى عديد من المشكلات الاجتماعية. مثال ذلك إحتقار العمل اليدوى، أو على الأقل، احلال من يشتغل به مكانة اجتماعية أقل من المكانة الاجتماعية التى يحتلها من يشتغل بالعمل العقلى. فهذا النمط الثقافى تخلف من عصر الرق والرقيق، حيث كان العبيد يشتغلون بالعمل اليدوى، فى حين يتفرغ السادة للعمل العقلى. ويسبب هذا النمط الثقافى المتخلف عديدا من المشكلات الاجتماعية كوجود فائض كبير فى خريجى الكليات النظرية، والجامعات بوجه عام، ووجود نقص شديد فى العمالة الفنية أو ذوى الياقات الزرقاء.

كما يمكن أن يتمخض الانتشار الثقافى عن أشكال من العنف، وغالبا ما يحدث ذلك عندما تُهزم دولة أو جماعة أمام دولة أو جماعة أقوى. وتحاول الدولة أو الجماعة المهزومة، فرض انماطها الثقافية فرضا. ولقد ارتبط الاستعمار فى آسيا وأفريقيا وأمريكا الجنوبية بمحاولات فرض الأنماط الثقافية الغربية. وتعرضت أمريكا الشمالية أيضا لمثل هذه المحاولات عندما بدأ تدفق جحافل المهاجرين عليها، ونجح المستعمرون فى تحطيم ثقافة المواطنين الامريكيين الأصليين، وفرض ثقافتهم فرضا.

وغالبا ما يكون هذا التدمير للثقافة القائمة مقصودا، وذلك للتقليل من قوة

القادة الوطنيين، وأضعاف محاولاتهم لمقاومة الغزو الأجنبى لأراضيهم. كما قد يكون هذا التدمير نتيجة التعصب العنصرى أو السلالى، الذى يقوم على إفتراض أن وسائل الغزاة وطرقهم فى الحياة هى الأفضل والأحسن. ومن الواضح، أن الانتشار الثقافى سواء كان طوعا أم كرها، فإنه يعد مصدرا قويا من مصادر التغير.

وإذا كان الانتشار الثقافى هو المصدر الأساسى للتغير الاجتماعى والثقافى، فإنه يتوقف على الاتصال الثقافى أيا كان نوعه، ومن هنا، يتباين معدل التغير وفقا للموقع الجغرافى للجماعة. وليس من قبيل الصدفة أن تظهر الحضارات القديمة بين المجتمعات التى تقع على ضفاف أنهار عظيمة كنهر النيل، أو على شواطىء بحار رئيسية كالبحر الأبيض المتوسط، أو على طرق القوافل إن وجود مثل هذه المجتمعات في مثل تلك المواقع قد يسر الاتصال والانتشار الثقافى، الذى عمق ووسع قاعدتها الثقافية، وأثرى الأفكار النظرية والممارسات العملية فيها، وزاد من حيويتها وقدراتها التوافقية. وفى هذه المجتمعات ظهرت أعظم الكشوف والاختراعات فى التاريخ الانسانى، وذلك كالحروف الابجدية، ونظم الأرقام، والتحنيط، وطرق التشييد والبناء، وكان ذلك قبل الميلاد بآلاف السنين.

ومن ناحية أخرى، فإن القبائل والمجتمعات البعيدة عن مجرى الاحتكاك الثقافى كان تغيرها بطيئا جدا، لأن قاعدتها الثقافية ظلت ضيقة، تحد من إمكانات توصلها الى اكتشافات أو اختراعات، وفى بعض الحالات تتعمد بعض المجتمعات العزلة تخوفا على طرقها التقليدية فى الحياة من أن تعصف بها رياح المؤثرات الخارجية، وذلك مثل قبيلة «الاميش Amish » فى أمريكا الشمالية، وبعض الطوائف اليهودية والمسيحية، وذلك لحماية أنفسهم مما تحفل به الثقافة العريضة من انحرافات وأخطار.

ثانيا : المصادر الداخلية **Internal Sources**

المصادر الداخلية للتغير هى تلك التى يبدعها أفراد المجتمع ويطورونها من السمات الثقافية الموجودة فيه. وأهم هذه المصادر هى:

١ ـ الاكتشافات والاختراعات Discoveries and Inventions

تعد الاكتشافات والاختراعات من المصادر الداخلية للتغير الاجتماعى والثقافى. وبالرغم من أنهما كثيرا ما يردان معا، فإنه توجد فروق بينهما. فالاكتشاف يتضمن التوصل الى بعض العناصر الموجودة فعلا فى الطبيعة، لكن لم يسبق لأحد إدراكها من قبل، وذلك مثل معرفة القوانين المختلفة كقوانين النسبية والجاذبية والطفو، والتوصل الى الجراثيم والميكروبات والفيروسات المسببة لأمراض معينة، أو إكتشاف البترول وغيره من المعادن.

وأما الاختراع فيتضمن مزجا لعناصر موجودة فى الطبيعة للتوصل الى شىء جديد لم يعرف من قبل، وذلك مثل السيارات والقطارات والطائرات ومراكب الفضاء وغيرها.

٢ ـ التحديـــث Innovation

يستخدم اصطلاح التحديث ليتضمن كلا من الاكتشافات والاختراعات، لأن العمليتين غالبا ما تتلازمان، وغالبا ما يكون التحديث ضروريا ليمضى الانسان قدما فى مسيرة تطوره والمحافظة على بقائه، فالتحديثات القليلة التى تمت فى عصور ما قبل التاريخ، كانت ضرورية لبقاء الانسان، ومن ثم فإنها يمكن أن تنتشر من مكان الى آخر. فاكتشاف النار، وإختراع الطواحين، وفخاخ الصيد، على سبيل المثال، ظهرت فى مكان أو مكانين فى العالم، ثم انتشرت بعد ذلك فى أنحاء العالم المختلفة.

وما أن تنتشر التحديثات وتقبل، حتى توسع الجماعة من قاعدتها الثقافية، فيزداد المجموع الكلى للاكتشافات والاختراعات، الأمر الذى يؤدى الى مزيد من التحديث. ومن هنا يتضح لنا السبب فى أن معدل التغير يكون أسرع فى المجتمعات العصرية منه فى مجتمعات ما قبل الصناعة. ان التحديث لا يعزى الى اختلاف الذكاء بين الشعوب، وإنما يعزى الى التراكم المعرفى لدى هذا الشعب أو ذاك. وكما يقول المثل اللاتينى: «إن الاقزام الذين يقفون فوق اكتاف عمالقة، يرون أكثر مما يراه العمالقة أنفسهم». ويوضح ذلك الميزات التحديثية لهؤلاء الذين يعيشون فى مجتمعات عصرية (Merton,1967).

٣ ـ التحولات السكانية Population Shifts

يعد التباين فى حجم السكان وتركيبهم مصدرا من مصادر التغير الاجتماعى الهامة، فعلى الجماعات الصغيرة أو المنعزلة، والتى تعانى من مشكلات الغذاء، أن تنفتح على الجماعات الأخرى، وتقوم بتطوير اقتصادياتها، أو تتعرض لخطر الانقراض. كما أن الزيادة الكبيرة فى معدلات النمو السكانى، التى لا تقابلها زيادة مماثلة فى معدلات التنمية، تحدث إختلالا فى الانماط الثقافية والنظم الاجتماعية فى أى مجتمع من المجتمعات، الامر الذى قد يدفع أفرادها الى الهجرة. وتؤثر هذه الهجرة فى كل من البلد المرسل والبلد المستقبل.

التغير الاجتماعى والعصرية
Social Change and Modernization

من مجتمع ما قبل الصناعة الى مجتمع ما بعد الصناعة
From Preindustrial to Postindustrial Society

ما هو الشىء المشترك الذى يجمع بين دول شديدة التباين من حيث اللغة والثقافة، وأشكال التنظيم الاقتصادى، ومن حيث الايديولوجية السياسية، كالاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة، وكألمانيا الشرقية وكندا؟ نعم ما هو الشىء المشترك الذي يمكن أن يلقى ضوءا على ما يحدث من تغير إجتماعى، وعلى ما يوجد من اتجاهات معاصرة بصدد هذا التغير؟ يبدو أن الاجابة ستكون، إنه لا يوجد شىء ذو بال يجمع بين هذه الدول. ولكن واقع الأمر غير ذلك، فهذه الدول تعد أمثلة للدول العصرية التى تقوم على مفاهيم مثل العقلانية والمنهج العلمى، وبيروقراطية السلطة.

وقد يبدو غريبا ألا تكون للأيديولوجية السياسية دخل كبير بعصرية البناء الاجتماعى. ولكن الواقع، أن العصرية عملية اجتماعية تجعل المجتمع أكثر تميزا وتعقيدا، يقود فيه العلم والتكنولوجيا عملية التغير الاجتماعى. وكلما أخذت المجتمعات بأسباب العصرية إزدادت تقاربا من حيث الأبنية الاجتماعية، ومن حيث علاقات السلطة، ولكن تظل لكل منها مع ذلك، ملامحها الثقافية والتاريخية المتميزة.

وخلال الثلاثين عاما الماضية، إزداد إهتمام علماء الاجتماع بدول العالم الثالث، وبدأوا يهتمون بالدراسات المتعلقة بالتحديث والعصرية، ومعرفة كيفية الانتقال من أنماط الاعاشة الزراعية وما قبل الصناعية، الى الأنماط الصناعية وما بعد الصناعية. وقد ذهب «إينستناد Iinsentadt,1966 الى أن التغير الاجتماعى الذى يرتبط بالعصرية والتحديث، يتصف بخاصيتين هامتين:

١ - **القابلية للتحرك Mobilization** أو العملية التى تضعف بها الأنماط الاجتماعية والاقتصادية القديمة، ويصبح الناس أكثر استعدادا لتقبل التطبيع الاجتماعى على أنماط إجتماعية وإقتصادية جديدة.

٢ - **التمايز الاجتماعى Social Differentiation** أى التحول من عمومية الأدوار إلى التخصص والتمييز بين الادوار المختلفة (Einsenstadt,1966)

وترتبط العصرية باعتبارها إتجاها سائدا باتجاهات ثلاثة هى: التحضر، والتصنيع والعقلانية. وما يشكل المجتمع العصرى هو تواجد العمال والمستهلكين والعاملين فى مجال الانتاج فى ظل معايير عقلية. ويعرف «ماكس فبر» العقلانية Rationality » بأنها نمط معين من السلوك الاجتماعى يحل فيه التفكير الذى يقوم على العلاقات المنطقية بين الأسباب والنتائج محل التفكير التقليدى الذى يقوم على أسس إنفعالية. إن أهم ما يطبع المجتمعات العصرية هو المنهج العلمى والطرق العلمية التى تتيح التنبؤ، أى القدرة على إستخلاص النتائج من المقدمات المنطقية. ومن ثم كانت نظرية السبب ـ النتيجة هى أساس التقنيات الجديدة التى طبعت النظام الاقتصادى، والتى بلغت أوجها فى إحلال الآلة محل العمل اليدوى. ويرى «ماكس فبر» أن العقلانية التى تقوم عليها السلطة السياسية والاقتصادية تمهد الطريق وتعجل بالتغير الاجتماعى الذى تتصف به المجتمعات الحديثة.

ولكى نفهم كيف ترتبط التغيرات الاجتماعية الثقافية بالعصرية، فلنرجع قليلا الى الوراء، ونقارن الفروق الكبيرة بين المجتمعات السابقة على الصناعة والمجتمعات الصناعية. فاقتصاديات مجتمعات ما قبل الصناعة صناعة استخراجية، فى حين أن اقتصاديات المجتمعات الصناعية صناعات تحويلية تعتمد على تكنولوجيا الآلة، ونظم الانتاج العريضة. وقد ارتبطت العصرية بتطور

التكنولوجيا، هذا التطور الذى بدأ من القرن السادس عشر واستمر حتى اليوم، وقد صاحب هذا التطور المادى تطور فى النظم الاقتصادية والسياسية والثقافية، وقد شجعت هذه النظم الربح، الأمر الذى أتاح فرصا هائلة للتقدم الاقتصادى. وبدأت رؤوس الأموال الغربية تغزو العالم كله، وتمكن عدد قليل من الدول الصناعية من السيطرة على إقتصاديات العالم. وبدأت هذه الدول المسيطرة تدخل مرحلة جديدة من التطور، وهى مرحلة ما بعد الصناعة. وبالرغم من أن مرحلة ما بعد الصناعة تشترك مع المرحلة السابقة عليها، وهى مرحلة الصناعة، فى أنهما مرحلتان صناعيتان، فإن مرحلة ما بعد الصناعة تتميز بأن غالبية القوى العاملة فيها لم تعد تعمل بالصناعة، وإنما تعمل فى مجال الخدمات (Bell,1973) ويتضمن قطاع الخدمات الوظائف الحكومية، وظائف التعليم، والرعاية الصحية، والشئون الاجتماعية، وغيرها من وظائف الخدمات. وقد ذكر «بل Bell » خمس خصائص تميز إقتصاديات مجتمعات ما بعد الصناعة، وهى:

١ - الاهتمام بالخدمات.
٢ - الاهتمام بالعاملين المهنيين والتقنيين.
٣ - الاهتمام بالمعارف النظرية أساسا للتغيير.
٤ - تخطيط النمو التكنولوجى والتحكم فيه.
٥ - وجود تكنولوجيا جديدة متطورة تقوم على الطرق الاحصائية، وتستخدم الحاسبات الآلية لحل المشكلات المعقدة.

العصرية والذات Modernization and the Self

ما الذى يحدث للذات فى المجتمعات العصرية؟ يحفل المجتمع العصرى بعديد من التناقضات، فالحياة فيه يمكن أن تكون مشبعة ومبهجة نظرا لما تحفل به من فرص متباينة، ومن تسهيلات فى جميع جوانب الحياة. ولكن الحياة فى المجتمع سريع التغير يمكن أن تحفل أيضا بعديد من السلبيات كالاحباط والانعزال الذى لا نجده فى الجتمعات التقليدية. إن الحياة فى المجتمعات العصرية تتصف بالتسابق، وبالتدافع، وبالفردية، فكل شخص يهتم بنفسه، ويسعى الى تحقيق مصالحه غير مكترث بغيره. ويعيش الناس فى المجتمعات العصرية كالغرباء الذين يضمهم مطعم أو قاعة انتظار فى أحد المطارات. ولقد

نمى الأفراد فى المجتمعات الفردية هذا الاتجاه، إستجابة لما يرونه من الناس الأخرين، وإستجابة لما يطبع البيئة من ضوضاء، وروائح، وإعلانات، وحركة سريعة لا تدع للانسان فرصة يلتقط فيها أنفاسه، أو ينتبه فيها لمن حوله، أو حتى لنفسه.

وهكذا نرى أنه يوجد جانبان لهذه الخصائص التى تتصف بها المجتمعات العصرية. جانب إيجابى، وجانب سلبى. يتلخص الجانب الايجابى فيما يجده الانسان من مجالات كبيرة للحركة، نظرا لفرص العمل المتنوعة والمتاحة بدرجة كبيرة. هذا بالاضافة الى أسلوب المعيشة وما توفره هذه المجتمعات من تسهيلات كبيرة فى جميع المجالات. وأما الجانب السلبى فيتضح فى العزلة والوحدة، وخاصة بالنسبة لهؤلاء الذين يصعب عليهم عمل علاقات مع الآخرين الذى يشاركونهم نفس ميولهم وإهتماماتهم. وينعكس ذلك على الذات وعلى تشكيلها، فنتيجة الأوصال والروابط الاجتماعية الممزقة، يكون إحساس الانسان بذاته غير واضح، مهما كانت المكانات التى يحتلها، أو الأدوار التى يقوم بها. ولا يمكن أن يكون عدم الاكتراث وانفصال الأدوار المتطرف مشبعا للذات.

إن الذات نتاج النمط المميز للبناء الاجتماعى وما يسود هذا البناء من علاقات إجتماعية وإقتصادية، وبالنسبة للعلاقات الاجتماعية، فإن كل شخص يكون مشغولا بتحقيق نجاحاته وتحسين وضعه، وفيما يتصل بالعلاقات الاقتصادية، فإن الانتاج العريض وخطوط الانتاج، لا تتيح الاتصال أو تبادل العلاقات بين العاملين، الأمر الذى يوجد شعورا بالاغتراب بينهم.

إن التغير السريع الذى يطبع المجتمعات العصرية، لا يشمل فقط الجوانب الاجتماعية والثقافية، بل إنه يشمل أيضا الجوانب النفسية، فعلى الانسان أن يقوم بسلسلة من التوافقات مع كل تغير يحدث، وأن يعد نفسه للأدوار المتغيرة، الأمر الذى يمكن أن يتمخض عن القلق، وأزمة الذات. فالذات تتكون، ثم يعاد تكوينها مرة أخرى لتناسب المكانات والأدوار المتغيرة، وكثيرا ما يكون ذلك بشكل يفوق أحيانا قدرة الانسان. إن الفرد المستهلك للسلع لا يشترى السلع لحاجته الشخصية إليها، وإنما ليتكتسب بها مكانة إجتماعية كما ذكر «جوفمان» عندما تحدث عن «الانطباع الظاهر» أو على حد تعبيره: «إننى أنا، ما أرتديه وما استخدمه».

قبـــول التغيـــر Accepting Change

ذكرنا فيما سبق أن التغيرات لا تقبل جميعها قبولا فوريا، كما أن انتشار السمات الثقافية، مهما كان يبدو من بريقها، لا تجد ترحيبا من جميع أفراد المجتمع. ولابد من الصراع بين القديم والحديث، حتى لو كان فى هذا الجديد فائدة حقيقة، لأنه يوجد في المجتمع من يحقق فائدة من الوضع القديم، سواء كان هذا الوضع نفوذا أم مكانة إجتماعية، أو مغنما ماديا. فلكم لقى الأطباء من مقاومة محترفى الطب فى كثير من المجتمعات. ولكم لقيت عديد من الاختراعات الحديثة من مقاومة من المتضررين من هذه الاختراعات، أو المشككين فى جدواها.

ويتوقف قبول التغير على عديد من العوامل منها:

١ ـ اتفـاق السمـة أو الفكرة الجديدة مع الثقافة السائدة فى المجتمع وعدم تعارضها مع العقيدة والقيم والمعايير.

٢ ـ مزايا السمة أو الفكرة الجديدة، وهل يساوى الأخذ بها ترك القديم أو لا يساوى.

٣ ـ مقاومة المستفيدين من الأحوال الراهنة، ومدى قوتهم ونفوذهم.

٤ ـ التخوف العام من نتائج هذا التغير على المدى الطويل.

٥ ـ مدى نفوذ الداعين لهذا التغير وتأثيرهم.

ولا يجد جميع الـداعين إلى التغيير تقديرا وترحيبا، وكثيرا ما إعتبروا مثيرين للشغب أو ملحـدين وتعـرضـوا لمختلف أنـواع العقوبات كالقتل أو النفى أو التعـذيب والسجن. ويتـوقف نجـاح الدعاة فى إحداث التغير الاجتماعى على السياق الثقافى الذى ينشر فيه دعوتهم.

أنمـــاط التغيـــر Types of Change

أولا : التغيرات التدريجية Incremental Changes

تكون بعض التغيرات جزءا من أحداث عريضة لا نستطيع أن نتنبأ بنتيجتها النهائية. فالتغيرات فى الحياة الاجتماعية تكون مسبوقة بأحداث بسيطة أو بخطوات تمهـد لها. وقد تمضى التغيرات التدريجية دون أن يلاحظها أحد، وفجأة نجد أنفسنـا إزاء تحول كبير. فالثورة الزراعية التى حدثت قبل التاريخ على سبيل

المثال، لم تحدث فى عشية أو ضحاها على شكل تحولات مثيرة فى نمط الإعاشة، ولكنها كانت نتاج عمليات تدريجية من التعديل والتغير، مهدت كل عملية للعملية التالية لها. ويمكن أن يقال مثل هذا الكلام عن الثورة الصناعية، فإن بعض التطورات التى حدثت فى أوربا قبل وقت طويل من هذه الثورة سبقت قيام المصانع الكبيرة.

ويمكن القول بوجه عام، إن المجتمعات الحديثة تتصف بالتوسع فى قاعدة المشاركة السياسية، وبتوفر الحريات والحقوق ألمدنية، وبزيادة الفرص التعليمية. وهذه كلها تغيرات تدريجية مهدت لتغيرات أكبر منها. ولكن قد لا يكون الأمر على هذا النحو دائما، فبعض المجتمعات الصناعية الحديثة يمكن أن يسودها القمع السياسى، والتعصب الأيديولوجى، وإنعدام الحرية الشخصية كما هو الحال فى الاتحاد السوفيتى ودول أوربا الشرقية. وكذلك الأمر فى الولايات المتحدة فيما يتعلق بعدم التسامح الدينى، والمعاملة غير المتساوية للأقليات. وقد إستخلص «دافيز Davis,1980» من استقصاءات الرأى العام التى تمت فى العقد الماضى، أن المناخ الليبرالى يحمل بين طياته تيارات محافظة، بمعنى أنه خلال مسيرة التطور الطويلة نحو الاتجاهات الليبرالية، تأتى لحظات يتحول فيها إلى وجهة عكسية. ويمكن أن تكون هذه التحولات بطبيعة الحال، بداية تغير مناخى جديد.

التغيرات الثورية Revolutionary Changes

تتضمن التغيرات الثورية تحولات جذرية فى البناء السياسى والبناء الاجتماعى الاقتصادى (Skocpol and Trimterger,1977) ولكن الثورات لا تحدث ببساطة، فهى تنبثق عن مواقف ثورية. وقد شغلت اللحظات التاريخية التى تهيىء للثورة إهتمام عدد كبير من المنَظِّرين الذين إهتموا بالتغير الثورى.

ويعد «كارل ماركس» من أهم المنَظِّرين المحدثين للتغير الثورى. ويلخص «سكوبول Skocpol,1979» نظرية «ماركس» بهذا الصدد فى ثلاث نقاط رئيسية:

١ - إن كل ثورة لها خلفيتها التاريخية فى المجتمع المعين الذى تحدث فيه. ومن هنا لا يمكن القول بنظرية عامة فى الثورة.

٢ - إن الحركات التنظيمية الثورية لا يمكن أن تنجح إلا إذا وجد صراع طبقى داخل المجتمع.

٣ ـ إذا وجد الصراع الطبقى داخل المجتمع، فإن الثورة لن تكتمل إلا إذا تم القضاء على الطبقة السائدة.

وقد انتقد «سكوبول» نظرية «ماركس» فى ضوء الوقائع الفعلية. فإن معظم الثورات الحديثة لم تتم فى بلدان رأسمالية صناعية، كما تنبأ بذلك «ماركس». فقد قامت عديد من الثورات المعاصرة فى مجتمعات زراعية بتأثير قوى إقتصادية خارجية، أو بانقلاب عسكرى. هذا بالاضافة الى أن المشكلات الداخلية التى أدت الى هذه الثورات كانت معظمها مشكلات سياسية تنجم عن الصراع بين القوى السياسية فى المجتمع، أكثر منها مشكلات إقتصادية ناتجة عن صراع طبقى. وفى هذه الحالة، فإن جموع المزارعين هى التى يمكن أن تدعم مثل هذه الثورات، وليست جموع «العمال المطحونة» كما ذهب الى ذلك «ماركس». وأخيرا، فإن التغيرات لن تشمل النظام الطبقى بقدر ما تشمل النظام السياسى القائم.

التغيرات الاجتماعية والنظم العالمية

Social Changes and World Systems

إنه ليصعب اليوم أكثر من أى وقت مضى، أن ننظر الى التغيرات الاجتماعية، بمعزل عما يجرى من تغيرات أعرض وأشمل فى النظم العالمية. ويقصد بالنظم العالمية، العلاقات السياسية والاقتصادية بين المجتمعات الصناعية المتقدمة، والدول الأقل نموا وتقدما. ويمكن النظر الى الدول الصناعية المتقدمة، على أنها تشكل محور النظام الاقتصادى العالمى. وعندما كانت الدول النامية تزود الدول الصناعية بحاجتها من المواد الأولية، كانت الدول المتقدمة تقوم بتصنيع هذه المواد وإعادة تصديرها الى الدول النامية التى كانت تشكل فى مجموعها سوقا لهذه الدول الصناعية. وهذا هو منطق الاستعمار. ولكن بإنحسار الاستعمار وحصول الدول النامية على إستقلالها، أصبح على الدول الصناعية أن تشترى ما تحتاجه من السوق المفتوحة لهذه الدول، بدلا من أن تأخذه بأبخس الاسعار كما كان يحدث فى الماضى.

وأصبحت دول العالم الثالث التى تمتلك المواد الخام، فى مركز أقوى فى تعاملها مع الدول الصناعية. ويظهر ذلك بوضوح إذا نظرنا الى الدول المنتجة للنفط، فإن احتكارها لموارد شحيحة، جعلها تتحكم فى أسعاره، وترفع هذه الأسعار،

الأمر الذى أدى الى عديد من التغيرات فى كل من المجتمع الصناعى، ومجتمع الدول المنتجة للنفط، وقد إنعكس ذلك على مستوى المعيشة، ومعدلات التنمية فى كل من المجتمعين.

ولم تقتصر التغيرات على المجتمعات الصناعية أو المجتمعات النفطية، بل إن هذه التغيرات شملت أيضا بقية المجتمعات النامية التى لا تمتلك هذه المادة الأولية الضرورية، فمعظم هذه المجتمعات مدقعة الفقر، مكتظة سكانيا وغير مستقرة. وهكذا ازدادت المجتمعات الغنية غنى، وازدادت المجتمعات الفقيرة فقرا. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن عدم الاستقرار السياسى فى عديد من الدول النامية فى أفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى، غالبا ما يرجع الى صراع على النفوذ بين كل من الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة للسيطرة على هذه المناطق من العالم، ومحاولة كل منهما إخضاعها لنفوذه.

نظريـــات التغيـــر
Theories of Change

أولا : النظريات التطورية فى التغير
Evolutionary Theories of Change

لاقت النظريات الأحادية العامل، انتشارا واسعا فى انجلترا إبان القرن التاسع عشر، ومن بين هذه النظريات النظرية التطورية التى تذهب إلى أن مجرى التاريخ هو حركة نحو أشكال وصور، فهو حركة من الهمجية التى تمثلها المجتمعات السابقة على الكتابة، الى المجتمعات المتحضرة التى تمثلها انجلترا أثناء العصر الفيكتورى. (Spencer,1976).

وقـد خدمت هذه النـظرية الأهـداف الاستعمارية، وأعطت مبررا لاحتلال المستعمرات واستغلالها، على أساس أن الدول الاستعمارية أرقى وأكثر تطورا من المشعمرات.

ثانيا : النظريات الدائرية فى التغير

Cyclical Theories of Change

تشبه بعض هذه النظريات الثقافات بالكائنات الحية، من حيث مرورها بمراحل من النمو، تولد وتشب ثم تضمحل وتموت.

وتتفق هذه النظريات مع الاتجاهات العقلية التى سادت الثقافة الغربية فى أوائل القرن العشرين، التى أهتمت بالوظائف الحيوية لمختلف فروع المعرفة. كما تتفق هذه النظريات أيضا مع الاحساس بتدهور الحضارة الغربية وانحطاطها بعد تقدم وازدهار. وهذا ما عبر عنه الفيلسوف الألمانى «اشبنجلر Spengler » فى كتابه الشهير عام ١٩٢٨ «انحدار الغرب وسقوطه».

ومن بين النظريات الدائرية الأخرى فى التغير، النظرية التى تبناها عالم الاجتماع «سوروكين Sorokin,1941 » ويذهب الى أن التاريخ الانسانى يتجه نحو التقدم المطرد مع حدوث فترات من التذبذب المنتظم، فهو يتأرجح بين العقلانية والنظام من ناحية، وبين المثالية والتسيب من ناحية أخرى.

وبالرغم مما لاقته النظريات السابقة من ذيوع وانتشار، فإن ذلك لم يستمر طويلا، وإن النظريتين اللتين تحظيان بأكبر قدر من إهتمام علماء الاجتماع المعاصرين هما النظرية الوظيفية ونظرية الصراع.

النماذج الكلاسيكية Classic Models

إقترح عديد من المنظرين الكلاسيكيين فى علم الاجتماع نظريات من جزءين لوصف مسيرة التغيرات البنائية، فقد قارن «دوركيم» بين التلاحم الآلى فى المجتمعات البسيطة، والتلاحم العضوى فى المجتمعات الحديثة الذى إقترن بالزيادة فى تقسيم العمل، واتاح لأعضاء المجتمعات الحديثة، القيام بأدوار متكاملة، وأوجد الروابط الوثيقة، والاعتماد المتبادل بينهم.

وكذلك يعكس مفهوما «تونيز Toennies » الجمنشافت والجيزلشافت، نموذجا مشابها للتغير: إتجاه من العلاقات الأولية البسيطة كأساس للحياة الاجتماعية الى الاتجاه الذى أصبح يسود الحياة الحديثة، وهو الاتجاه الجزئى والمتباين والمؤقت.

وهو نفس العملية العامة التى وصفها العالم الانثربولوجى «ردفيلد Redfield,1941 » بأنها انتقال من المجتمعات المحلية الشعبية الى المجتمع الحضرى. وفى كل هذه النظريات يرتبط التعقد البنائى بزيادة الكثافة، وازدياد التخصص فى العمل.

وتختلف النظرية التى نتبناها فى هذه الكتاب عن تلك النماذج التطورية. ويمكن أن نطلق عليها اسم «النظرية التطورية الحديثة» وهى لا تفترض أية أفضلية لصورة من صور التغير على صورة أخرى. كما لا يستخدم فيها وصف «التقدم» ليشير الى التباين فى التغير. فإنه ليصعب تماما الادعاء بأن الامريكيين الشماليين المحدثين أكثر سعادة ورضا، أو أكثر ذكاء من غيرهم من الشعوب. واذا كانت حياة التاسادای لا تروق لكثير من الامريكيين، فإن عديدا من التاسادای لا يرغبون فى أن يكونوا أمريكيين.

وتقوم التطورية الحديثة كما عرض لها «لنسكى Lenski,1960 » و «سرفيس Ser- vice,1963 » على أربعة فروض أساسية بسيطة:

١ ـ أن نمط الاعاشة مسألة أساسية.
٢ ـ أن التغيرات التكنولوجية تؤدى الى توافقات جديدة تدعم التزايد السكانى.
٣ ـ إن تزايد الكثافة السكانية يؤدى الى التخصص والتنسيق فى الأعمال.
٤ ـ إن الحاجة إلى اقرار النظام بين الطوائف المختلفة من العاملين والعمال يؤدى الى إيجاد تنظيمات أكثر تعقيدا، كما يؤدى الى انبثاق عديد من الأوجه التنظيمية.

وهكذا يمكن القول، إن أنماط الاعاشة تؤدى إلى تغيرات سكانية وأن التغيرات السكانية تؤدى الى زيادة التخصص فى الأعمال، وهى تؤدى بدورها الى ظهور الأوجه التنظيمية المختلفة.

ولم يتعرض نقاد التطورية الحديثة للفروض التى قامت عليها هذه النظرية، وإنما انتقدوا الفروض الاضافية للمنظرين الوظيفيين التى تذهب الى أن التنظيمات البنائية تنحو الى التوازن والتوافق الداخلى، الأمر الذى كان محل نقد شديد (Sherman and Wood,1979) لأن النظرية الوظيفية تتجاهل بذلك ما يمكن أن يحدث من إنعدام وظيفية بعض النظم نتيجة ظروف خارجية، كما تتجاهل إمكانية حدوث ضغوط أو صراعات داخل النظم الاجتماعية.

النمـــوذج الصراعـــى Conflict Model

يركـز المنـظور الصراعى على كثـرة التـوتر والصراع وإستمرارهما بين الأفراد والجماعات فى أى مجتمع من المجتمعات. وقد عرضنا فى الباب الثالث بالتفصيل كيف تتوزع السلطة والهيبة والملكية توزيعا غير متساو فى أمريكا الشمالية، وقلنا إنـه لا يوجـد مجتمـع تتـوزع فيه هذه المصادر الاجتماعية ذات القيمة توزيعا متساويا، الأمر الذى يترتب عليه نوع من التدرج الطبقى الاجتماعى. ويعى جميع أفراد المجتمعات هذا التدرج الطبقى، ولكن بعضهم لا يشعر به، لأنه لا يعوقه عن الحـراك الاجتـماعى من أدنى طبقـة إلى أعـلاهـا، كما هو الأمـر بالنسبة للأمريكيين الشماليين. أما إذا أدرك أفراد المجتمع أن هذا التوزيع غير المتساوى للمصادر الاجتماعية، هو توزيع ظالم وجائر وغير عادل، فإن الجماعات المتضررة قد تنظم صفوفها لتحظى بنصيب أكبر من المصادر الشحيحة. وسوف ينـاضـل الأفراد وتنـاضـل الجـماعـات المستفيدة من هذا الـوضع للابقاء على سيطرتهم وهيمنتهم. وهنـا يصبـح المجتمـع تنـظيما إجتماعيا يتكون من أنساق وجماعات متصارعة، ومتعارضة المصالح.

وقد يبدو للبعض تعارض منظور الصراع مع نموذج التغير الاجتماعى والثقافى الـذى إستخلصناه من كل من المنظور الوظيفى، والمنظور التطورى الحديث. ولكن العكس هو الصحيح، فنظرية الصراع تعد مكملة لهذا النموذج، وذلك بتحديدها لمصادر وعمليات التغير فى النسق الاجتماعى. وبدون هذا التحديد لن يستـطيع أى باحث أن يفهم السبب فى بقـاء بعض الأنســاق الاجتــماعية وإستمرارها، وعدم تكامل بعضها الآخر وتفككه، كما أنه لن يستطيع معرفة لماذا يكون بعض التغير تدريجيا وسلميا، فى حين يكون بعضه الآخر سريعا وعنيفا.

نظرية الصراع والعملية الجدلية

Conflict theory and the Dialictic Process

يذهب «كارل ماركس» إلى أن الجماعات المتنافسة فى المجتمع الصناعى طبقات إجتماعية تعرف على أساس علاقات الانتاج. بمعنى أنها تتكون ممن يملكون وسـائـل الانتاج، وهؤلاء الذين يبيعون عملهم. ويعتقد «ماركس» أن ظروف العمل فى المجتمع الصناعى الحديث ستكون شديدة الاغتراب، بحيث تجعل

العمال يثورون على أصحاب رؤوس الأموال.

ولكن الأمور لم تجر وفق ما ذهب إليه «ماركس» فلم تقم الطبقات العاملة فى أنحاء العالم بالثورات التى تنبأ بها. بل إن العكس هو الصحيح تماما، فقد حصل «رونالد ريجان» وهو المرشح الذي يرتبط ارتباطا وثيقا بالمصالح الرأسمالية، على أكثر من نصف أصوات الطبقة العاملة، فى انتخابات الرئاسة الامريكية عام ١٩٨٠ والأكثر من هذا، أن العمال فى بولندا الشيوعية لديهم شعور طبقى أكثر مما يوجد لدى عمال أمريكا الشمالية الرأسمالية، ويضيقون أشد الضيق بالملاك الحاليين لوسائل الانتاج، الذين يشكلون الحزب الشيوعى البولندى.

هناك جانب آخر فى نظرية «ماركس» عن التغير الاجتماعى، وهو أن التغير لا يقوم بالضرورة على العنف والثورة. فهو ينظر الى التاريخ الانسانى ككل، ويعتبر التغير عملية جدلية. ففى وقت معين، تكون أجزاء النسق الاجتماعى فى حالة توازن Thesis وداخل هذا التوازن تظهر بعض عناصر متنافسة أو غير متجانسة، وتأخذ فى الصراع مع غيرها من العناصر، وتسمى هذه القوى المتنافسة والمتصارعة «الفكرة المضادة Antithesis » ولما كان إنعدام المساواة هو أحد الملامح المميزة للانساق الاجتماعية فى الماضى والحاضر، فإن الحركات المضادة تعد حقيقة إجتماعية قائمة أبدا. ومن الصراع بين الحركة والحركة المضادة ينبثق نظام جديد Synthesis فالتاريخ الانسانى كله فى نظر ماركس حركة جدلية: نسق إجتماعى (Thesis) ـــ قوى متعارضة (Antithesis) ـــ نظام إجتماعى جديد (Synthesis) وتتكرر هذه العملية طوال التاريخ الانسانى. وتتمخض هذه العملية الجدلية عن تغير إجتماعى، قد يكون تدريجيا، وقد يكون مفاجئا. ولكنه يكون فى جميع الأحوال نتاج صراع طبقى. وتحدث حركة المجتمع والتغير الاجتماعى فى تتابع مستمر: نظم إقتصادية ـ تستمر فترة ـ تحل محلها نظم إقتصادية جديدة، وهكذا دواليك. ويرى ماركس أنه سيأتى اليوم الذى تنتهى فيه هذه الحركة الجدلية، عندما تصل الى الصيرورة النهائية Final Synthesis وذلك عندما يتساوى العمال والملاك، ويصبح الجميع طبقة واحدة، وهذا هو ما يطلق عليه اسم «المجتمع الشيوعى».

ويتضح هنا تماما خطأ ماركس وتنبئه «فإن هذا المجتمع لن يتحقق أبدا، لأن

التبـاين داخـل المجتمـع سيظل قائـما، والفروق بين الأفراد والجماعات ستظل موجودة، ومن ثم سوف يستمر التعارض والتضاد بين المصالح المختلفة والمتباينة، والدليل على ذلك ما يحدث اليوم فى المجتمعات الشيوعية.

النظرية التوفيقية فى التغير الاجتماعى

A Unified Model of Change

لكى نوفق بين كل من النموذج التطورى الجديد والنموذج الصراعى فيما يتعلق بالتغير الاجتماعى، فإنه يمكن القول، إن أفضل تفسير للتغير العام هو الذى يقـوم على أسـاس التحـول فى القاعدة الاقتصادية للمجتمع. ومن هنا، فإن المجتمعات التى لا تمر بتحولات فى أنماط الاعاشة، لن تتغير، إلا إذا تعرضت للغزو. وعندما يحدث تحول فى نمط الاعاشة فى مجتمع معين، فإن ذلك سوف يؤثر فى مختلف الانماط الاجتماعية فيه. ويتباين توافق المجتمعات مع ما يحدث من تغيرات، ويكون بعضها أكثر حظا من البعض الآخر بهذا الصدد، فيتوافق مع الظروف الجديدة، وينمى نظما أكثر تعقيدا تتناسب معها، مستفيدا ما أمكن من الخبرات والتوافقات السابقة.

ونستطيع تحليل التغير فى أى مجتمع من المجتمعات على ضوء المصالح الطبقية فيه. فإن مخرجات أى موقف صراعى، تتوقف على قوة الأطراف الداخلة فيه. وعلى مصلحتها فى الابقاء عليه أو التخلص منه. وبما أن الصفوة المتحكمة غالبا ما تكون أقوى من المعترضين، فغالبا ما يتم قمع أى تغير سريع أو جذرى. وإن كان ذلك لا يمنع حدوث تغير تدريجى داخل المجتمع، يتمخض بعد فترة طويلة عن تحولات رئيسية فى النسيج الاجتماعى والثقافى للمجتمع.

المستقبـل : مـاذا بعـد؟

The Future : What Next?

ما هى الصورة التى سيكون عليها المستقبل؟ ما هى انعكاسات التغيرات التكنولوجية الحالية؟ وكيف سيؤثر فى الأنماط التنظيمية للعلاقات الاجتماعية؟ إن ما نتوقعه هو الزيادة السريعة فى طموحات الأفراد وتطلعاتهم التى لا تنتهى، هذه

الطموحات والتطلعات التى لم نكن نجدها فى المجتمعات البسيطة. وهكذا تتزايد فى المجتمعات الصناعية، ومجتمعات ما بعد الصناعة الاحباطات والضغوط التى يمكن أن يتعرض لها الأفراد فى محاولاتهم تحقيق أهدافهم وطموحاتهم. وخاصة عندما تتسع الهوة بين طموحاتهم وإمكانات تحقيقها. وقد ينتج عن ذلك عديد من السلبيات كالنكوص والتمرد والجريمة.

وقد يزداد السخط إذا أدرك الناس أن هذه الهوة إنما ترجع إلى عدم تكافؤ الفرص، وإلى عدم المساواة بين أفراد المجتمع. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن الفروق القليلة بين الطموحات وفرص تحقيقها. قد يشكل دافعا أمام الناس لبذل مزيد من الجهد والتعب لتحقيق أحلامهم.

وفى الماضى، كانت معظم الدول الصناعية الكبيرة فى العالم، تعتمد على المواد الأولية الرخيصة التى تحصل عليها من الدول غير الصناعية، ومن ثم أقامت نظما إجتماعية وإقتصادية تقوم إلى حد كبير على تبديد مصادر العالم من المواد الأولية (Chirot,1977) لقد نشأ أبناء هذه البلاد على عادات استهلاكية ومظهرية: إقتناء سيارات، وملابس، وساعات، وأحذية، وأدوات صينى، وبرادات، وأثاثات وغيرها، وعندما تظهر طرز أو موضات جديدة فسرعان ما يقذف بالاشياء التى سبقت الموضات الجديدة، وتستبدل بها أخرى أحدث منها طرازا برغم صلاحيتها وجدتها. وتوجد دلائل كثيرة على أن بعض المواد كالماء والوقود وغير ذلك من مواد أولية، بدأت تشح فى عديد من المناطق نتيجة الاستخدامات غير الاقتصادية لها. ويمكن تأجيل هذا النقص المحتمل فى هذه المواد الأولية بتخفيض استهلاكها وترشيده وبالعمل على تحسين الصناعة لإنتاج سلع معمرة، والتخطيط لإعادة استخدامها والإفادة منها مرة أخرى.

ولكن هذا الحل له أيضا محاذيره ومشكلاته، فإذا أتقنت المصنوعات، وإستخدمت لأطول فترة ممكنة حتى تبلى وتستهلك تماما، فسوف تزداد معدلات البطالة. ويذهب عديد من المحللين الاجتماعيين أنه لا يوجد حل واحد معين نستطيع أن نتفادى به ما يمكن أن يحدث من مشكلات فى المستقبل. وغاية ما ننصبح به هو التغيرات التدريجية فى مختلف أوجه النظم الاجتماعية التى تتيح توازنا بين النمو وعدم النمو، أو بين التغير والثبات. وتوجد عدة خيارات سيواجهها

الناس خلال السنوات والعقود التالية. ويحدونا الأمل أن تساعد المعارف والنظريات الاجتماعية فى تشكيل النظام الاجتماعى العام، الذى يستثير ويحقق كل ما هو فاضل وعادل ومخلص فى الانسان من أجل الإنسان نفسه، ومن أجل الانسانية جمعاء.

الخلاصة
Summary

التغير سنة الحياة وقانونها، ولن يستطيع أحد أن يمسك الدنيا بيديه لكى يظل المجتمع ثابتا جامدا. وإن تاريخ البشرية قصة من قصص التغير. وتعد الزراعة هى الثورة الاجتماعية الأولى فى تاريخ البشرية، لأن الانتقال من الصيد والتقاط الثمار الى الزراعة، أتاح مصدرا وفيرا ومستقرا للغذاء، الأمر الذى هيأ الظروف لقيام نظم إجتماعية وإقتصادية أكثر تقدما.

وإذا اعتبرنا الزراعة الثورة الاجتماعية الأولى، فإننا نستطيع أن نعتبر الصناعة الثورة الاجتماعية الثانية فى تاريخ البشرية لما أحدثته من تغيرات كبيرة فى نظم الاعاشة. ولم يقتصر تأثير الثورة الصناعية على المجتمعات التى قامت فيها الصناعة، بل تعدى تأثيرها الى معظم مجتمعات العالم. فقد ارتبط الاستعمار الغربى لعديد من بلدان العالم بجلب المواد الأولية اللازمة للصناعة، وإيجاد أسواق لتصريف منتجاتها. وحتى عندما انحسر الاستعمار الغربى العسكرى، بدأ يظهر نوع آخر من الاستعمار الاقتصادى والثقافى، لبسط النفوذ وإيجاد الأسواق التجارية ومحاولات احتكار المواد الأولية.

وقد إهتم علماء الاجتماع بمعرفة أسباب التغير، والعمليات الاجتماعية التى تكمن وراءه والاتجاهات التى يأخذها. وتعددت نظرياتهم بهذا الصدد. فظهرت النظريات التطورية التى نظرت إلى التاريخ الانسانى على أنه حركة تسير إلى الأمام، من الهمجية الى المدنية. وكذلك نظريات الدوائر التى تشبه المجتمع الانسانى بالكائن الحى، يولد ويشب ويقوى ثم ينحدر ويموت. وكذلك وجدت النظريات الوظيفية، ونظريات الصراع، والنظريات التوفيقية والنظريات التطورية الحديثة.

وفيما يتعلق بمصادر التغير، توجد مصادر داخلية تتلخص فى الاكتشافات والاختراعات، والتحديث والتحولات السكانية. ومصادر خارجية أهمها: التغيرات البيئية، والغزو، والاتصال الثقافى والانتشار الثقافى.

ويرتبط التغير الاجتماعى بالعصرية وإنتقال المجتمعات من مرحلة ما قبل الصناعة الى مرحلة الصناعة ثم الى مرحلة ما بعد الصناعة. وتؤدى هذه التغيرات المادية فى أنماط الاعاشة الى تغيرات إجتماعية وثقافية.

ولا تقبل جميع التغيرات الاجتماعية قبولا فوريا، أو كليا، ويتوقف قبول التغير على عوامل أهمها عدم تعارضها مع العقيدة والقيم الدينية.

والتغير قد يكون تدريجيا، وقد يكون فجائيا تنجم عنه تغيرات جذرية فى البناء السياسى، والبناء الاجتماعى والاقتصادى للمجتمع. ويتوقف نمط التغير على الخلفية التاريخية للمجتمع، وعلى أخذه بأسباب التغير المختلفة.

ولا ينفصل التغير الاجتماعى فى أى مجتمع من المجتمعات عن التغيرات التى تحدث فى النظم الاجتماعية العالمية، فالدول الصناعية المتقدمة تشكل محور النظام الاقتصادى العالمى.

ويحاول علماء الاجتماع استشفاف آفاق المستقبل، ومحاولة التنبؤ بتأثير التغيرات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية على أنماط العلاقات الاجتماعية فقد لاحظوا زيادة الطموحات والتطلعات. وتتوقف نتائج هذه الطموحات على الامكانات المتوفرة لتحقيقها.

ويتخوف علماء الاجتماع من نتائج سوء استخدام المصادر الأولية الأمر الذى قد يؤدى الى سرعة نفادها، ويدعون الناس الى ضرورة ترشيدها، ويأملون أن تساعد المعارف والنظريات الاجتماعية على زيادة استبصار الناس، وحسن تصرفهم لتحقيق خيرهم وخير مجتمعاتهم.

قـــراءات مقترحـــة

BaBaskin, Lawrence, and **William A. Strauss.** *Chance and Circumstance: The Draft, the War and the Vietnam Generation* (New York: Vintage, 1978). The authors examine how the impact of the war in Vietnam varied by social class for twenty-seven million American youths – those who were drafted, those who elisted, the avoiders, evaders, deserters, and the exiles.

Etzkowitz, Henry (ed.). *Is America Possible? Social Problems from Conservative, Liberal and Socialist Perspectives* (St. Paul, Minnesota: West, 1980), 2nd Edition. A well-balanced analysis of the major issues facing American society – the quality of life, life in the cities, crime, the environment, drugs, mental and physical health, taxes, the mass media, and inequality.

Lipset, Seymour Martin (Ed.). *The Third Century: America as a Post-Industrial Society* (Chicago, Ill.: University of Chicago Press, 1979). These sixteen essays, primarily from a functionalist perspective, examine the nature and implications of postindustrial society.

Marsden, Lorna, and **Edward Harvey.** *Fragile Federation: Social Change in Canada* (Toronto: McGraw-Hill Reyerson Ltd., 1978). In this theoretical and empirical analysis of social change in Canada, Marsden and Harvey discuss the problems of ethnicity and language, as well as the effects of regional imbalance in resources and population distribution.

Mead, Margaret. *Culture and Commitment: A Study of the Generation Gap* (Garden City, N.Y.: Doubleday, 1970). A well-known anthropologist traces the effectsof technological change in industrial societies on relations between generations.

Service, Elman R. *Origins of the State and Civilization: The Process of Cultural Evolution* (New York: Norton, 1975). The neoevolutionary perspective is clearly illustrated in this examination of a number of traditional societies and ancient civilizations, including those of Central America, Peru, Mesopotamia, Egypt, the Indus River Valley, and China.

Slater, Philip. *Earthwalk* (Garden City, N.Y.: Doubleday 1974). Always provocative, Slater turns his sights on the environment, our ideas of progress and belief in science, social change, and the human condition. The result is a stimulating essay in the sociology of knowledge.

شـرح المصطلحـات

شـرح المصطلحـات

الحرمـان المطلـق Absolute Deprivation

حالة يكون فيها الفرد محروما من المتطلبات المادية الأساسية الضرورية لبقائه.

الاعـداد المطلقـة Absolute Numbers

الاحصاء الفعلى للسكان، والمواليد، والوفيات، والزواج وما شابه ذلك من إحصاءات.

المكانات المكتسبة Achieved Statuses

الأوضاع التى يحتلها الفرد باختياره، وبموهبته، أو بجده وإجتهاده.

التـلاؤم Accomodation

إدراك أعضاء الأقليات ووعيهم بقيم جماعة الأغلبية ومعاييرها دون إعتبارها جزءا منهم، أى دون إستدماجها.

التثقـف Acculturation

عملية إستدماج أعضاء جماعة الأقلية لمعايير مجتمع الأغلبية وسلوكياته وقيمه دون الانخراط فى عضويته.

جماعات المصـاهـرة Affinity Groups

الأفراد التى تربطهم بالفرد علاقات خاصة عن طريق الزواج أو الانحدار، ومن شأن هذه العلاقات دعم الأفراد، وشد عضدهم.

مصـادر التغـير Agents of Change

الأفراد الذين يحتلون أماكن يستطيعون منها التأثير على إتجاه التغير.

مصادر التطبيع الاجتماعى Agents of Socialization

الأفراد والتنظيمات المسئولة عن نقل الثقافة، كالوالدين، والمعلمين والرفاق، ووسائل الاعلام، والجماعات الدينية.

Aid to Families with Dependent Children:

برنامج مالى فيدرالى لمساعدة الأسر التى لديها أطفال أقل من ١٨ سنة فى حالة بطالة رب الاسرة.

الاغتـــراب Alienation

شعور العمال بفقدان القوة، وفقدان المعنى والغربة عن الذات، نتيجة عدم قدرتهم على التحكم فى ظروف عملهم، أو فى نتائج عملهم.

إدمـــاج Amalgamation

إمتزاج الثقافات أو الأجناس لتشكيل أنماط ثقافية وعنصرية جديدة.

الطابع الثقافى الأمريكى المميز The American Ethos

مجموع من القيم الأساسية التى تشكل معتقدات الامريكيين الشماليين وسلوكياتهم.

الخنوثـــة Androgyny

خليط من السمات الأنثوية والذكرية التى توجد لدى بعض الأفراد.

البنـــاء العمـــرى Age Structure

توزيع الأنساق العمرية المختلفة للسكان.

اللامعياريـــة Anomie

الموقف التى تكون فيها المعايير غير موجودة، أو غير واضحة، أو مختلطة.

الانثربولوجيـــا Anthropology

دراسة المجتمعات السابقة على الكتابة، أو المجتمعات البسيطة صغيرة الحجم، قليلة السكان.

التطبيع الاجتماعى التوقعى Anticipatory Socialization

صورة من التدرب على الدور المتوقع أن يقوم به الفرد عند شغله مكانة معينة.

سياسة التمييز العنصرى Apartheid

ممارسة التفرقة بين الأجناس.

المكانة الموروثة Ascribed Status

الأوضاع التى يحتلها الفرد على أساس خصائص لا يمكنه التحكم فيها. وذلك كالعمر، والجنس، والعرق.

خط التجميع Assembly Line

نمط من التنظيم تكون فيه كل خطوة من خطوات العمل المعقد معزولة عن الأخريات، ويقوم كل عامل بإنجاز خطوة واحدة من هذه الخطوات.

الملحدون Atheists

الأشخاص الذين لا يؤمنون بوجود إله.

السلطة Authority

الممارسة الشرعية للقوة.

العودة الى الأصول Back to Basics

اتجاه فى التربية يركِّز على النظام، وإحترام السلطة، والاهتمام بالمواد الدراسية التقليدية.

مقايضة Barter

طريقة للتوزيع فى المجتمعات البسيطة، تستبدل فيها سلع بسلع أخرى.

تعديل السلوك Behavior Modification

عملية الاشراط الاجرائى التى تستخدم فيها الإثابات للحصول على السلوك المرغوب فيه.

السيرة الشخصية Biography

الاحداث التى يمر بها الفرد خلال حياته.

الحتمية البيولوجية Biological Determinism

نظرية فى السلوك تذهب الى حتمية المخرجات الاجتماعية نتيجة سلوك فطرى موروث.

جيـــل Birth Cohort

مجموعة الأفراد الذين يولدون فى فترة زمنية معينة.

معدل المواليـــد Birth Rate

عدد المواليد فى فترة زمنية معينة، مقسوما على عدد السكان الكلى فى ذات الفترة، مضروبا فى ١٠٠٠.

البورجوازيـــة Bourgeosie

جماعة من أفراد المجتمع الصناعى يتحكمون فى وسائل الانتاج كالمصانع والشركات.

البيروقراطيـــة Bureaucracy

أحـد أشكـال التنـظيم الـرسمى، تتصف بوجـود قواعد عامة منظمة تحدد الاجراءات الواجب إتخاذها، كما تتميز بلا شخصية علاقات العمل، وبالرشد فى إتخاذ القرارات، وبالنسق المتدرج للسلطة المركزية، وبالتقسيم الدقيق للعمل، والنطاق المحدود لاختصاصات الموظفين.

عقوبات الاعـــدام Capital punishment

جزاء أو قصاص القتل.

الرأسماليـــة Capitalism

نظام إقتصادى يملك فيه مجموعة قليلة من الأفراد وسائل الانتاج ومصادره، ويتحكمون فيها.

طائفـــة Caste

مصطلح يستخدم لوصف نظم المكانات المنعزلة وغير المتساوية، التى تقوم على أساس العرق.

أنساق طائفيـــة Caste Systems

مجتمعات تتحدد فيها حركة الأفراد فى نطاق ضيق من المكانات التى تتوقف بالدرجة الأولى على الوراثة، بحيث تحدد مكانة الأسرة التى يولد فيها الشخص، معظم حياته المستقبلية.

الحشـد الغرضـى Casual Crowd

التجمع الغرضى غير المقصود لمجموعة من الأفراد، يسعون لتحقيق أهداف فردية، فى مكان واحد، وزمان واحد.

رقابـة Censorship

الحيلولة دون نشر معارف معينة.

تعـداد Censuses

جمع بيانات عن السكان فى منطقة معينة.

سلطة ملهمـة Charismatic Authority

سلطة تقوم على خصائص غير عادية يضفيها الاتباع على القائد.

قانـون مدنـى Civil Law

قانون يختص بالجرائم التى تنتج عنها أضرار شخصية.

الحريات المدنيـة Civil Liberties

حقوق تتعلق بالأفراد، حتى ولو كانت قبل الدولة.

طبقـة إجتماعيـة Class

مجموعة من الأفراد يشتركون فى مستوى إقتصادى ومصالح واحدة، يكونون على وعى بها.

وعـى طبقـى Class Awareness

الاعتراف بوجود فروق تقوم على أساس الدخل، والوظيفة، والهيبة والسلطة.

الصـراع الطبقـى Class Conflict

نضال بين الطبقات الاجتماعية على وسائل الانتاج الرأسماليين الذين يمتلكونها والعمال الذين لا يمتلكونها.

الشعور الطبقـى Class Consciousness

حالة يكون فيها الوعى الطبقى محورا لتعريف الفرد على أساس المصالح والاهتمامات.

النظم الطبقية Class Systems

مجتمعات تقوم على كل من الخصائص الموروثة والمكتسبة، تتيح الحركة خلال نسق التدرج الطبقى الاجتماعى القائم.

قهر Coercion

إستخدام القوة لضمان الاذعان.

معرفة Cognition

عملية عقلية تتضمن كافة عمليات الادراك، والتفكير، والتخيل، والتذكر، والتعميم، والحكم.

تضارب معرفى Cognitive Dissonance

إرتباك عقلى يرتبط بإختلاط المدركات والأفكار.

معاشرة غير مشروعة Cohabitation

إقامة رجل وامرأة سويا دون عقد زواج.

سلوك جمعى Collective Behavior

نسق من الأنشطة يتصف بالاثارة الجمعية، والتمرد، والاستهتار، والهوس الجمعى.

الكوميونة Commune

وحدة محلية صغيرة غالبا ما تكون منعزلة عن المجتمع الكبير.

تسوية Compromise

جهد تعاونى للتقليل من المشكلات والتعقيدات الناجمة عن الصراعات.

صراع Conflict

إستجابة لفشل الأفراد أو الجماعات فى الاتفاق على توزيع المصادر الاجتماعية ذات القيمة.

نموذج الصراع The Conflict Model

نظرية إجتماعية تستقصى ما يحدث فى المجتمع من إختلاف وإنقسام، وتحاول تفسير البناء الاجتماعى على أنه نتاج التنافس على مصادر شحيحة.

مجابهــة Confrontation

عملية يحاول بها الفرد، اختبار السلوك المسموح له به.

علاقات المصاهــرة Congugal Relationships

علاقات عن طريق الزواج.

علاقات قرابة عاصبــة Consanguine Relationships

علاقات تقوم على روابط الدم.

الاتفــاق Consensus

مناقشة قضية معينة حتى يوافق جميع الحاضرين على إتخاذ تصرف معين إزاءها.

إستهلاك كماليــات Conspicuous Consumption

أسلوب من الحياة تستهلك فيه الثروة وتستنفد من أجل التفاخر والمباهاة.

نظريــات العــدوى Contagion Theories

نظريات تركز على أحساس الفرد وتأثره بما يجرى فى موقف الحشد.

تحليل المضمــون Content Analysis

التقـدير الـدقيق لعدد من المراجع المتضمنة لموضوعات معينة كالاحصاءات السكانية وغيرها.

الثقافة المضادة Contraculture

ثقافة فرعية تعارض الأنماط الثقافية السائدة، وتسعى للاطاحة بها، واحلال أخرى محلها.

المجموعة الضابطــة Control Group

عينـة تختار فى الدراسات التجريبية كأساس للمقارنة، ولا تتعرض للمتغير المستقل، أو العامل المراد قياس أثره.

حشــد معيــارى Conventional Crowd

تجمع تحكمه معايير متوطدة، كجموع المصلين.

تحويـــل Conversion

تغير يطرأ على الشخص يبدل قلقه وإضطرابه أمنا ويقينا.

تثبيـــت Cooptation

عملية يوضع بها الأفراد أو الجماعات على الطريق الرئيسى لبنية السلطة.

أساليب التوافـق Coping Styles

كيفية تفسير الفرد وإستجاباته للاحداث الضاغطة.

إرتبـــاط Correletion

علاقة متبادلة بين متغيرين، يؤثر ما يحدث من تغير فى أحدهما على الآخر.

فســـاد Corruption

أفعال مخالفة للتوقعات العامة، تتضمن الانخراط العمدى فى أنشطة غير مشروعة.

الحركات المضادة Counter Movement

مجموعة من الآراء والمعتقدات مخالفة للحركة الاجتماعية السائدة.

الثقافة المخالفة Counterculture

أسلوب حياة بديل لهؤلاء الذين لا يريدون التوافق مع المعايير السائدة.

إنقـــلاب Coup

تحول فى السلطة يتضن إحلال صفوة محل أخرى.

جرائـــم Crimes

أفعال منحرفة تستثير مشاعر عميقة بتحريمها.

جرائم اخلاقيـــة Crimes Without Victims

جرائم لا توجه ضد أشخاص أو ممتلكات، وإنما توجه ضد النسيج الاخلاقى للمجتمع.

المقارنات عبر ثقافية Cross-Cultural Comparisons

دراسة تختبر العلاقات بين المتغيرات فى عدة مجتمعات.

حشـــد Crowd

تجمع مؤقت للأفراد حول نشاط أو إهتمام مشترك.

عبـــادة Cult

مصطلح يستخدم لوصف الأقليات الدينية المعزولة عن النظم الدينية الرئيسية.

التكامل الثقافـي Cultural Integration

الاتساق النسبي بين مكونات الثقافة داخل البناء الاجتماعي.

التخلـف الثقافـي Cultural Lag

مصطلح يستخدم للاشارة الى التباين في معدلات سرعة تغير الثقافة المادية والتكنولوجية، والثقافة غير المادية كالقيم والمعايير والعلاقات الاجتماعية.

النسبيـة الثقافيـة Cultural Relativism

النظرة الموضوعية للثقافات الأخرى، فتدرس كل ثقافة وتقوّم في ضوء القيم والمعايير والمستويات الخاصة بها، وليس في ضوء قيم الباحث الاجتماعي ومعاييره ومستوياته.

العموميـات الثقافيـة Cultural Universl

الظواهر الثقافية التي توجد في جميع الثقافات.

التباين الثقافي Cultural Variabitlity

الظواهر والأحكام والسلوكيات الثقافية المميزة لمجتمع معين، والتي يمكن أن تختلف من مجتمع الى مجتمع آخر.

الثقافـة Culture

خطة لمعيشة جماعة يشترك أفرادها في موقع واحد، ويشعرون بالمسئولية بعضهم تجاه بعض، ويطلقون على أنفسهم إسما مشتركا يعرفون به.

مركـب ثقافـي Cultural Complex

مجموعة سمات ثقافية مرتبطة إرتباطا عضويا في منطقة ثقافية معينة.

اتصـال ثقافـي Cultural Contact

إتصال مع أفراد من مجتمعات أخرى، ويعد من أهم مصادر تغير المجتمعات.

معـــدل الوفيـــات Death Rate

عدد الوفيات فى فترة زمنية محددة، مقسوما على المجموع الكلى للسكان فى نفس الفترة الزمنية، مضروبا فى ١٠٠٠ر١.

الانعـــزال الفعلـــى De Facto Segregation

انعزال أفراد أو جماعات داخل المجتمع الكبير، طواعية، دون وجود قانون يحتم ذلك.

تعريف الموقف Definition of the Situation

العملية التى يقـوّم بها الأفـراد ويفسرون الـظروف المحيطة بهم، لاختيار الاستجابات والتصرفات المناسبة للموقف.

متطلبات الحراك Demand Mobility

المحددات الاجتماعية لمعدلات الحركة الى أعلى، أو الى أسفل، داخل نسق التدرج الطبقى الاجتماعى.

التحول الديموجرافى Demographic Transition

التغير فى الخصائص السكانية لمجتمع من المجتمعات: من معدلات مواليد ووفيات مرتفعة، الى معدلات مواليد مرتفعة ومعدلات وفيات منخفضة، الى ثبات عدد السكان فيه (معدل نمو السكان: صفر)

ديموجرافيا (علم السكان) Demography

الدراسة الاحصائية للسكان، والتغيرات التى تطرأ عليهم، والمعنى الاجتماعى للاحصاءات السكانية.

طائفة دينيـــة Denomination

تنظيم دينى مقبول من المجتمع.

المتغيـــرات التابعـــة Dependent Variables

المتغيرات التى يفترض تأثرها بالمتغيرات المستقلة.

انحـــراف Deviance

عدم مسايرة المعايير الاجتماعية، وقواعد السلوك المقبولة.

منحرفـــون Deviants

الأشخاص الذين يخرجون على ما تعارفت عليه الجماعة من معايير.

جـــــدل Dialictic

صراع المتناقضات الذى يتمخض عن واقع جديد، يدخل بدوره فى صراع مع متناقضات جديدة، وتستمر هذه العملية عبر الزمن.

انتشـــار Diffusion

العملية التى تنتشر بها عناصر الثقافة من مجتمع الى مجتمع آخر خلال الاتصال الثقافى.

إكتشـــاف Discovery

إنجاز إبداعى يتضمن التعرف على بعض مظاهر الطبيعة الموجودة فعلا، ولكنها لم تكن مدركة من قبل.

تفرقـــة Discrimination

المعاملة غير المتساوية للناس.

وجـــود العدالـــة Distributive Justice

إيمان الفرد بالجزاء العادل على أساس ما يحوزه من مهارة، وما يقوم به من جهد.

سيطـــرة Dominance

التحكم فى القطاعات الرئيسية للحياة الاجتماعية، بما فى ذلك سلطة تحديد مستويات الحق والخير ومعاييرها.

ثنائـــى Diad

جماعة تتكون من شخصين.

معوق وظيفـــى Dysfunction

عمل يهدد تكامل النسق الاجتماعى.

ايكولوجيـــا Ecology

دراسة العلاقة بين الجماعات الانسانية والبيئة الفيزيقية.

علـــم الاقتصـــــاد Economics

نسق المكانات والأدوار والمعايير الاجتماعية التى تنظم إنتاج السلع والخدمات وتوزيعها وإستهلاكها.

التكامل الاقتصـــادى Economic Integration:

يشير هذا المصطلح الى مركزية الاشراف الادارى على وحدتين إقتصاديتين أو أكثر.

تنظيـــم اقتصـــادى Economic Organization

الترتيبات النظامية، والاطراف التى تتيح إتخاذ القرارات، ووضع الأولويات الخاصة بالحياة الاقتصادية للمجتمع.

إقتصـــــاد Economy

الصورة المميزة لنمط الاعاشة الذي يميز مجتمعا معينا، مثل إقتصاد الجمع والالتقاط، أو إقتصاد الرعى، أو إقتصاد الصناعة.

النـــظام التربـــوى Educational Institution

نسق المكانات والأدوار والمعايير الاجتماعية التى تعمل على نقل الثقافة الى الأجيال الجديدة، وإعدادهم للحياة فى المجتمع.

الأنـــــا Ego

الجزء الشعورى من الشخصية الذى يصلها بالواقع.

الصفـــوة Elite

جماعة من الأفراد يشغلون مراكز السلطة والنفوذ فى مجتمع معين أو فى مجال معين سياسى أو علمى أو دينى.

هجـــرة Emigration

انتقال الأفراد أو الجماعات من منطقة جغرافية معينة، الى منطقة جغرافية أخرى.

امبيريقى (تجريبـــى) Emperical

يشير هذا المصطلح الى كل ما يقوم على الملاحظة والتجريب، أو الى الاعتماد المطلق على الخبرة.

المرجعيات الامبيريقية Empeerical Referents

التصرفات والأفعال الملاحظة المستخدمة شواهد على التصورات المجردة.

الزواج الداخلـــى Endogamy

الزواج من داخل الجماعة الاجتماعية.

عصـــــر التنويـــر The Enlightment

حركة عقلية ظهرت فى أوربا فى القرن الثامن عشر تركز على الاهتمام بالأفكار والآراء التقدمية، وعلى الحرية الاقتصادية والسياسية، وعلى المنهج العلمى، وعلى الاعتقاد الراسخ بقدرة الناس على إيجاد الحلول لكل ما يواجههم من مشكلات.

علم الأوبئـــــة Epidemology

دراسة توزيع الامراض وانتشارها، وعلاقة ذلك بالسكان، وبالخصائص البيئية.

السلالـــة (الاثنيـــة) Ethnicity

الأصل القومى، أو التميز الثقافى.

التعصـــب السلالـــى Ethnocentrism

إعتقاد الفرد بأن ثقافته هى أفضل الثقافات وأرقاها، وأنها تشكل الطريقة الوحيدة المثلى فى الحياة، ومن ثم يحكم على الثقافات الأخرى فى ضوء معايير ثقافته المتميزة ومستوياتها.

تحسين النســـل Eugenics

دراسة الوراثة الانسانية، ومعرفة قوانينها بقصد تحسين النسل.

نظريـــة التبـــادل Exchange theory

نظرية تقوم على إفتراض أن الأفراد يتصرفون طواعية بقصد الحصول على عائد يتوقعون الحصول عليه من علاقاتهم بالآخرين.

الزواج الخارجى (الاغترابى) Exogamy

زواج من خارج الجماعة.

المجموعة التجريبية Experimental Group

عينة ندخل عليها المتغير المستقل، عندما نقوم بإجراء تجربة، لنحدد أثر هذا المتغير المستقل، بمقارنته بالمجموعة الضابطة.

العائلة الممتـــدة Extended Family

وحدة عائلية مكونة من أسرتين نوويتين أو أكثر، وأطفالهم المعتمدين عليهم، وتجمعهم أنشطة إقتصادية، ومسئوليات مشتركة.

العائلة (الأســـرة) the Family

وحدة إجتماعية قائمة على الزواج، تحكمها مجموعة من المعايير لضمان حسن قيامها بوظائفها البيولوجية والعاطفية والتربوية.

النظام العائلـــى Family Institution

نسق من المكـانات والمعايير والأدوار الاجتماعية المترابطة التى تتعلق بتنظيم العلاقات الجنسية، والعاطفية، تربية الأطفال، وبناء العلاقات القرابية.

عائلة التوجيـــه Family of Orientation

العائلة النووية الأصلية التى يولد الفرد ويشب فيها.

عائلة الانجـــاب Family of Procreation

العائلة النووية الجديدة التى تكونت بعد الزواج، وتم فيها إنجاب الأطفال وتنشئتهم.

معدل الخصوبـــة Fertelity Rate

عدد المـواليد الأحياء فى فترة زمنية معينة، مقسوما على عدد النساء اللائى عمرهن بين ١٥، ٤٩ عاما، مضروبا فى١,٠٠٠.

دراسة ميدانيـــة Field Work

الطريقة التى إتبعها الانثربولوجيون لدراسة ثقافة الجماعات الانسانية ونظمها.

العـــادات الشعبيـــة Folkways

عادات تنشأ عن التكرار الواضح للأفعال، وتنتقل من جيل الى جيل، ويؤدى الخروج عليها الى السخرية أو النبذ.

هجرة خارجيــة إجباريــة Forced Migration

هجرة خارجية فرارا من الضغوط السياسية.

تنظيمــات رسميــة Formal Organizations

تنـظيمات، تتصف بالتـدرج الهـرمى، وكـبر الحجم، والتعقـد النسبى، والاستمرارية ما أفاد الأعضاء منها.

الســوق الحــرة Free Morket

مكانة إجتماعية تحدد فيها قوى العرض والطلب الاثمان الحقيقية، عن طريق التنافس الشريف.

هجرة خارجيــة إراديــة Free Migration

هجرة الناس بمحض إرادتهم.

وظيفــة Function

تأثير عنصر معين من عناصر النسق الاجتماعى فى النسق الكلى، أو فى بعض العناصر التى يتضمنها هذا النسق الكلى. وغالبا ما تساعد الوظيفة فى إستمرار النسق وثباته.

البدائــل الوظيفيــة Functional Alternatives

الطرق التى تحقق بها الوسائل المختلفة نفس الهدف.

المتطلبات الوظيفيــة Functional Reguisites

الأعمال الضرورية لبقاء الأفراد والجماعات عبر الزمن.

جماعة محلية (جيمنشافت) Gemeinschaft

إكتسب هذا الاصطلاح معناه المتخصص فى علم الاجتماع عن طريق كتابات «فرديناند تونيز» (١٨٥٥ ـ ١٩٣٦) ويقصد به المجتمعات المحلية التقليدية، التى تتصف بعلاقات الجماعة الأولية.

الأدوار المتعلقة بالجنس Gender Roles

المحددات الثقافية للاتجاهات، والسلوكيات، والاوضاع الثقافية الخاصة بكل جنس.

التدرج الطبقى الاجتماعى الخاص بالجنس Gender Stratification

تباين المكانات بين الذكور والاناث القائم على التقويم المرتفع لما يقوم به الرجال من أعمال فى المجتمع.

دور مستنبط Generalized Other

أحد مصطلحات «جورج هربرت ميد» ويقصد به التوقعات العامة من أشخاص معينين فى مكانة إجتماعية محددة، ويعد ذلك محكا لمستوى الأداء فى المجتمع.

مجتمع (جيزلشافت) Gesellschaft

أحد المصطلحات «تونيز» ويشير به الى المجتمعات التى تتصف بالعلاقات غير العضوية بين أفرادها. وتكون فيها الروابط بين الأفراد إرادية، ووسائل لغايات معينة.

إشارات Gestures

الرموز اللفظية وغير اللفظية المشتركة بين أفراد الجماعة. وقد إستخدم «جورج هربرت ميد» هذا المصطلح ليشير به الى أية حركة فيزيقية أو تعبير حركى يقصد به معنى معينا أو يثير إستجابة ما لدى شخص أو أشخاص آخرين.

جماعة Group

أى عدد من الأفراد تقوم بينهم علاقات إجتماعية معينة.

زواج غير متكافىء Heterogamy

زواج بين أشخاص غير متشابهين دينا، أو عرقا، أو سلالة، أو جنسية، أو طبقة إجتماعية.

اللاتجانس Heterogeneity

وجود عديد من الجماعات الفرعية المتباينة ثقافة.

مجتمع لا متجانس Heterogeneous Society

مجتمع يتباين فيه الاعضاء جنسا، ودينا، وسلالة، وإعتقادات، وقيما وثقافة.

التسلسل Hierarchy

التدرج أو الترتيب الذى يوجد بين مجموعة من الأفراد، ويعكس الفروق فى العلاقات، أو فى توزع المصادر الاجتماعية ذات القيمة كالملكية والسلطة، والهيبة.

زواج متكافىء Homogamy

زواج بين أشخاص يتشابهون دينا، وعرقا، وسلالة، وطبقة إجتماعية.

حراك أفقى Horizontal Mobitlity

تغير طفيف الى أعلى أو الى أسفل داخل نفس الطبقة الاجتماعية.

الايكولوجيا البشرية Human Ecology

مصطلح يستخدم للاشارة الى العلاقة الفيزيقية بين الناس والبيئة التى يعيشون فيها.

الهو ID

رغبات الفرد، وبواعثه، وحوافزه الغريزية، والفطرية التى تسعى لتحقيق اللذة. وهو الجزء اللاشعورى فى الجهاز النفسى عند فرويد.

الثقافة المثالية kdeal Culture

الثقافة التى تعكس اسمى الفضائل، وأرفع القيم والمعايير فى المجتمع.

ايديولوجية Ideology

نسق من المعتقدات والأفكار يؤمن به أفراد مجتمع ما، ويعكس مصالحه، واهتماماته الاجتماعية، والاخلاقية، والدينية. وتضفى الايديولوجية السائدة فى المجتمع نوعا من الشرعية على النظام الاجتماعى السائد.

هجرة خارجية Immigration

انتقال الأفراد أو الجماعات إلى موطن جديد.

الامبريالية imperialism

السيطرة السياسية والاقتصادية لدولة ما على دولة أخرى.

لا شخصى Impersonal

علاقات تخلو من العاطفة، وتتصف بالرسمية والشكلية.

الزنا بالمحارم Incest Taboo

علاقات جنسية أو زواجية محرمة بين أعضاء معينين فى الجماعة القرابية.

التغير المتتابع Incremental change

عملية تغير طويلة وتدريجية تنتج عن تعديلات معينة، تتمخض بدورها عن تعديلات أخرى.

متغيرات مستقلة Independent Variables

المتغيرات التى يعتقد أنها تأتى أولا، أو أنها أكثر أهمية، أو غير متغيرة نسبية.

مؤشر Index

ظاهرة يمكن ملاحظتها وقياسها، يستدل بها على وجود ظاهرة أخرى لا يمكن قياسها مباشرة، فالمهنة مثلا، يمن أن تستخدم كمؤشر على المكانة الاجتماعية.

استقراء Induction

استنباط مبادىء عامة من أمثلة أو ملاحظات فردية أو جزئية.

معدل وفيات الأطفال Infant Mortality Rate

عدد وفيات الأطفال الذين هم أقل من عام فى فترة زمنية معينة، مقسوما على عدد المواليد الأحياء فى نفس الفترة الزمنية، مضروبا فى ١,٠٠٠.

تضخم مالى Inflation

ظاهرة إقتصادية تحدث عندما تزداد النقود المتداولة زيادة كبيرة جدا عن الخدمات والسلع المنتجة.

التحديث Innovation

يشير التحديث فى مجال التغير الاجتماعى والثقافى، الى الأخذ بكل من الاكتشافات والاختراعات.

الأوجه التنظيمية Institutional Spheres

أنماط من القواعد والسلوكيات، تنشأ لمواجهة الحاجات الوظيفية الضرورية.

الذرائعية Instrumentalism

اتجاه فى الدراسة يرى أن المفاهيم والقضايا التى تشكل نظرية ما يجب أن

تكون قابلة للتحقق الامبيريقى، ومفيدة فى البحث.

استدمـــاج internalization

موافقة الفرد على إتجاه معين أو قيمة ما يعتنقها شخص آخر، أو جماعة أخرى، واعتبارها جزءا من ذاته.

إختــــراع Invention

التأليف بين سمات أو مركبات ثقافية موجودة بالفعل، لايجاد سمات أو مركبات ثقافية جديدة.

جماعــة قرابيــة Kinship Group

جماعة تقوم عل روابط الدم أو الزواج.

عمـــــل Labour

أى نشاط أو جهد يدوى وعقلى.

لغــــــة Language

نشـاط عام لايجاد الرموز وتفسيرها. وتعتبر اللغة جزءا من التراث الثقافى، ومعبرة عنه فى نفس الوقت.

الوظائـف الكامنــة Latent Function

الوظائف غير المتوقعة، وغير المقصودة.

القوانــــين laws

مجموعة من القواعد المقررة للاجبار على التطابق، وعدم الخروج على ما تعارف عليه المجتمع من معايير.

سلطـة قانونيــة Legal Authority

سلطة تقوم على معايير لا شخصية، وتستمد شرعيتها من القوانين السائدة.

أسطـــورة legend

مأثورة شعبية تقوم على الاحداث التاريخية المتصلة بشخص ما أو بواقعة معينة، وتنحو فى نفس الوقت، الى تمجيد بعض القيم، وتأكيد أهميتها.

الليبرالية Liberalism

مذهب أو توجه إيديولوجى يقوم على الاعتقاد بأهمية حرية الشخص، وإمكانية التقدم الاجتماعى عن طريق تغيير التنظيم الاجتماعى.

بدنة Lineage

جماعة قرابية تتكون من جميع الأفراد الذين ينحدرون فى خط واحد من شخص معين خلال عدد محدود من الأجيال.

دراسات طولية Longitudinal Studies

دراسات تتبع جماعة أو ظاهرة إجتماعية عبر فترات زمنية.

الذات كما تبدو فى المرآة The Looking-Glass Self

مفهوم إستخدمه «شارلز هورتن كولى» ويعنى به أننا نرى أنفسنا كما تعكسها إنطباعات الآخرين.

طبقة دنيا Lower Calss

طبقة إجتماعية تتحدد عن طريق دخلها المنخفض، ومستويات تعليم أفرادها المنخفضة، وكذلك من خلال نظرة أعضائها الى أنفسهم ونظرة الآخرين إليهم، فى ضوء النسق الطبقى السائد فى المجتمع.

أنساق إجتماعية كبرى Macrosystems

وحدات إجتماعية كبرى، على درجة عالية من التجريد، تضم داخلها جماعات إجتماعية صغرى بينها علاقات وظيفية متبادلة.

الوظائف الظاهرة Manifest Functions

الوظائف الواضحة، والمقصودة، والمخطط لها.

زواج Marriage

علاقة إجتماعية مقررة ومشروعة بين رجل وامرأه، تترتب عليها أنواع من الحقوق والواجبات.

جمهور Mass

عدد كبير من الأفراد يتأثرون بوسيلة من وسائل الاتصال المقنن.

سلوك جماهيرى Mass Behaviour

صورة من السلوك الجمعى، تقوم على الاتصال غير الشخصى وغير المباشر بين أعضاء مجتمع كبير غير متجانس.

وسائط إتصال جماهيرى Mass media

الأدوات أو الوسائل السمعية والبصرية غير الشخصية للاتصال، التى تعمل على نقل المعلومات المختلفة للجماهير بطريقة مباشرة.

أمــوى Matrifocal

نسق عائلى تكون فيه الأم هى المحور الذى ترتكز عليه العائلة.

إنحــدار أمــوى Matrilineal Descent

نسق عائلى تكون فيه الوراثة، والانحدار فى خط الاناث من العائلة.

عائلة أمويــة Matriarchal Family

نسق عائلى تكون فيه سلطة الأم أكبر من سلطة الأب.

المتوســط Mean

المتوسط الحسابى لمجموعة من الأرقام.

التلاحم الآلــى Mechanical Solidarity

شكل من أشكال التنظيم الاجتماعى يرتبط فيه الأفراد المتشابهون فى عدد من الخصائص والسمات.

الوسيــط Median

النقطة المتوسطة لأرقام موزعة، يسبقها نصف الأرقام، ويعقبها النصف الآخر.

توســط Mediation

إستخدام طرف ثالث لفض النزاع، والتوفيق بين طرفين متنازعين.

نموذج الانصهار فى البوتقة The Melting Pot Model

نظرية فى تكامل جماعات الاقلية، تفترض تخلى المهاجرين عن ثقافتهم الخاصة وتمثلهم ثقافة المجتمع السائدة.

مدينة كبـــرى Metropolis

مدينة كبرى تسيطر على المنطقة المحيطة بها إقتصاديا وثقافيا.

انساق صغـــرى Microsystems

جماعات بسيطة جدا، تسودها صور أولية من التفاعل الاجتماعى.

مهاجـــر Migrant

شخص غيّر مكان إقامته، واستقر في بلد غير بلده الأصلى.

هجرة خارجيـــة Migration

إنتقال الأفراد أو الجماعات الى موطن جديد، أو مجتمع غير مجتمعهم الأصلى.

حـــراك Mobility

التحرك خلال مسافة فيزيقية أو إجتماعية.

نمط الاعاشـــة Mode of Subsistence

طريقة توافق الثقافة للبيئة التى توجد فيها.

زواج أحـــادى Monogamy

احتفاظ الرجل بزوجة واحدة فقط.

احتكـــار Monopoly

ظاهرة إقتصادية يتحكم فيها منتج واحد، أو عدد قليل جدا من المنتجين فى سلعة أو سلع معينة.

التوحيـــد Monotheism

الاعتقاد بإله واحد.

أعـــراف Mores

عادات وقواعد سلوكية إكتسبت معنى الضرورة عبر الزمن، وتعزز بالجزاءات غير الرسمية.

مذهب القوميـــة Nationalism

شعور أفراد دول متعددة بذاتية مشتركة.

تجارب طبيعية Natural Experiments

قياس ظواهـر إجتـماعية معينـة قبل حدوث ظواهر طبيعية وبعدها لا دخل للانسان فى احداثها.

زيــادة طبيعيــة Natural Increase

معدل المواليد مطروحا منه معدل الوفيات.

تعزيزات سلبية Negative Reinforces

إستجابات من شأنها عدم تشجيع إعادة أنواع معينة من السلوك.

جـزاءات سلبية Negative Sanctions

استجابات عقابية لكف السلوك غير المرغوب فيه.

صافى الهجرة Net Migration

الفرق بين الهجرة الخارجية والهجرة الداخلية خلال فترة زمنية محددة.

عصـــاب Neuroses

إحدى صور المرض العقلى غير الخطيرة، والتى غالبا ما تتميز بالقلق.

معاييــر Norms

قواعد السلوك التى تحدد التصرفات المقبولة فى موقف محدد.

أســرة نوويــة Nuclear Family

أسرة تتكون من الزوج والزوجة، وأبنائهما المعتمدين عليهما.

قياس موضوعى objective Measurment

القدرة على التجرد من الخبرات الشخصية عند النظر الى العالم.

حكومة الأقلية (أو ليجاركية) Oligopoly

تحكم مؤسسات اقتصادية قليلة ذات نفوذ فى الصناعة، وفى السوق.

إشراط إجرائى Operant Conditioning

تشكيل السلوك باستخدام الجزاءات.

تعريف إجرائى operational Definition

تعريف لمفهوم مجرد فى حدود إجراءات بسيطة قابلة للملاحظة.

بحث إجرائى Operational Research

دراسة النتائج المترتبة على القرارات التى تتخذ فى مجالات إجتماعية وصناعية محددة الأهداف.

الاجرائية (المذهب الاجرائى) Operationalism

اتجاه فى فلسفة العلوم يذهب الى أهمية المفاهيم العلمية وإجراءات البحث وضرورتها، كما يذهب الى أن المفاهيم العلمية الحقيقية والوحيدة هى التى تعرف تعريفا إجرائيا.

استطلاع الرأى Opinion Poll

اضطرابات جسمية أو بيولوجية.

التلاحم العضـــوى Organic Solidarity

وحدة الأجزاء الداخلة فى التنظيم.

ملاحظة بالمشاركة Participant Observation

نوع من الدراسة يكون فيه الباحث جزءا من الموقف اللذى يتم فيه التفاعل.

حـــزب Party

تجمع من أفراد يشتركون فى تصور واحد للقضايا السياسية، وقد يعكس الاهتمامات الطبقية أو لا يعكسها.

أبـــوى Patriachy

حكم وسيطرة وسيادة الآباء، والازواج، والشيوخ.

انحدار أبوى Patrilineal Descent

نسق عائلى تنحدر فيه الوراثة والنسب فى اتجاه الأب، وخط الذكور فى العائلة.

أسرة أبوية Patrilocal Family

نسق عائلى تكون فيه سلطة الزوج أكبر من سلطة الزوجة.

اقامة أبوية Patrilocal Residence

نسق عائلى يتوقع فيه سكنى الزوجين فى منزل أهل الزوج.

أقـــران Peers

أشخاص يتشابهون فى العمر والمكانة الاجتماعية ويعتبرون مصادر مهمة للتزود بالمعلومات، والتطبع الاجتماعى.

شخصيـــة Personality

نمط ثابت نسبيا لمشاعر الفرد. وأفكاره. وتعتبر الشخصية محصلة التفاعل بين العوامل الوراثية والبيئة التى يعيش فيها الفرد.

منظـــور perspective

إطار فكرى يتضمن القيم، والمعتقدات، والأفكار، والمعانى.

المذهب الفينومينولوجى (الظواهرى) Phenomenalism

مذهب فلسفى يذهب الى أننا لا نستطيع معرفة الحقيقة، وإنما ندرك مظاهرها فقط. ومن هنا، فإننا نعرف الأشياء كما تبدو لنا من خلال حواسنا.

المدخل الفينومينولوجى (الظواهرى) Phenomenological Approach

اتجاه فى البحث يحاول التخلص من تحيز الشخص القائم بالملاحظة، ومن أحكامه المسبقة، ويؤكد على الملاحظة الدقيقة والوصف المضبوط للظواهر التى يتضمنها سلوك الفرد. ويذهب الى أن الظواهر التى تشكل السلوك الفردى هى التى يدركها الشخص الذى يقوم بالفعل.

دراسة استطلاعية Pilot Study

يستخدم هذا المصطلح فى البحوث الميدانية، ويقصد به محاولة الباحث التعرف على الميدان الذى سوف يتم فيه البحث، وعلى مدى امكانية توفر المادة الملائمة للبحث، وعلى مدى صلاحية الأدوات المستخدمة.

نظم سياسية political Institutions

مكانات وأدوار نمطية تنشأ لدعم النظام الداخلى، والدفاع ضد أى خطر خارجى.

العمل السياسى Political Participation

المشاركة فى عملية اختيار الحكام وانتخابهم.

العلوم السياسية Political Science

العلوم التى تعنى بدراسة الحكومات، والسياسات، والسلطة.

تعدد الأزواج Polyandry

نوع من الزواج يكون فيه للزوجة أكثر من زوج فى وقت واحد.

تعدد الزوجات Polygyny

نوع من الزواج يمكن أن يكون للزوج فيه أكثر من زوجة.

النمو السكانى Population Growth

ظاهرة تحدث فى المجتمع الذى تزيد فيه المواليد عن الوفيات.

الكثافة السكانية Population Density

متوسط عدد السكان فى منطقة معينة (الكيلو متر المربع مثلا)

الهرم السكانى Population Pyramid

توصيف بيانى على شكل هرمى، على أساس العمر والجنس.

التدعيات الايجابية Positive Reinforcers

الاستجابات التشجيعية التى تصدر عن الآخرين لاعادة الفعل مرة أخرى.

مجتمع ما بعد الصناعة Post - Industrial Society

مجتمع يغلب عليه النشاط الاقتصادى الذى يتضمن الانتاج، وتوفير الخدمات، وتزدهر فيه التجارة، والمواصلات، والترويج، والدعاية الصحية، والتعليم.

السلطة Power

قدرة الفرد أو قدرة الجماعة على تحقيق أهدافها، وفرض ارادتها رغم معارضة الآخرين.

البراجماتية Pragmatism

نظرية فلسفية تذهب الى أن الآثار الملموسة امبيريقيا، والمتضمنة فى فكرة ما

هى التى تشكل معناها، وتعتبر فى نفس الوقت معيارا لصدقها. وتنظر البراجماتية الى المنفعة على أنها المعيار الرئيسى لكل قيمة.

مجتمع ما قبل الصناعة Preindustrial Society

المجتمع الذى يكون نمط الاعاشة السائد فيه، صيد الأسماك، والزراعة، والتعدين.

التعصـــب Prijudice

اتجاه سلبى نحو جماعة معينة ونحو اعضائها، على أساس الدين، أو العرق، أو السلالة.

مجتمعات ما قبل الكتابة Preliterate Societies

المجتمعات التى لم تعرف اللغة المكتوبة.

هيبـــة Prestige

مكانة اجتماعية يحظى شاغلها بالاحترام، والتقدير، والاعجاب.

جماعة أولية Primary Group

جماعة صغيرة يرتبط أعضاؤها بروابط شخصية وثيقة، وحميمة.

انتاج أولى Primary Production

استخلاص المصادر مباشرة من الأرض أو من الماء.

ضرائب تصاعدية Progressive Taxes

ضرائب يزداد معدلها بازدياد الدخل.

طبقة البروليتاريا Proletariat

طبقة العمال الذين يبيعون قوة عملهم للحصول على ما يسد احتياجاتهم، وليست لديهم سيطرة على المؤسسات التى يعملون بها.

دعايـــة Propaganda

الأساليب الفنية المستخدمة فى التأثير على اتجاهات وآراء، وسلوك الناس، من خلال الكلمات والرموز.

علم النفس Psychology

الدراسة العلمية لسلوك الأفراد، وحالاتهم العقلية والانفعالية، وحاجاتهم، ودوافعهم.

جمهـــــور Public

عدد كبير من الأفراد المنفصلين فيزيقيا بينما تجمعهم إهتمامات مشتركة بقضية ما، أو بعدد من القضايا، التى قد يحتدم الخلاف حولها.

الرأى العام Public Opinion

مجموع آراء جمهور معين وإهتماماته واتجاهاته.

عقوبـــة Punishment

جزاء سلبى يحدث ألما.

استبيـــان Questionnaire

شكل من أشكال البحث يحتوى على عدد من الاسئلة حول موضوع معين.

عرق - جنس Race

سمات بيولوجية موزعة بين سكان العالم.

النظرية العنصرية Racism

الآراء التى تفرق بين الأجناس، وتعتقد أنه توجد أجناس أفضل من غيرها بيولوجيا، وإجتماعيا، وثقافيا.

معـــدل Rate

عدد المرات التى يقع فيها حدث ما فى مجتمع معين، خلال فترة زمنية محددة.

نسبـــة Ratio

مقارنة احصائية بين كميتين أو عددين.

المذهب العقلانى Rationalism

اتجـاه يذهب الى إمكانية توصل الانسان إلى الحقيقة، وإلى المعرفة بواسطة العقل والتفكير المنظم، ولذلك فالعقل والتفكير أسمى من التجربة.

عقلانيــــة Rationality

يستخـدم مصطلح العقلانية بمعان كثيرة فى العلوم المختلفة. فالعقلانية فى الفلسفة تشير الى القدرة على استخلاص النتائج من المقدمات المنطقية. وأما فى الاقتصاد، فالعقلانية تعنى الترشيد وإستخدام الوسائل الصحيحة لبلوغ الأهداف المرغوب فيها. ويرى بعض علماء الاجتماع أن العقلانية تشير الى ضرورة شرح العقل الانسانى عن طريق وصفه فى سياق خبرة الفاعل وأفكاره ودوافعه.

ترشيــــد Rationalization

زيادة الكفاية الانتاجية والتقليل من الفاقد.

الثقافة الواقعية Real Culture

السلوك الفعلى لاعضاء المجتمع.

الاختزاليــة Reductionism

محاولة تفسير السلوك الاجتماعى باستخدام قوانين علم النفس الفردى، أو علم البيولوجى.

جماعة مرجعية Reference Group

جماعة يشعر الفرد بالتوحد معها، ويطمح فى الانتساب اليها. ويستمد الفرد منها قيمة ومعاييره، ومستويات سلوكه. وتشكل الجماعة المرجعية اطارا للمقارنة بين سلوكه الفعلى وما يطمح إليه ويرغب فيه.

حركات اصلاحية Reform Movements

حركات تسعى للتغيير فى النسق الاجتماعى دون إحداث تغيير جذرى فيه.

الاقليمية Regionalizm

دراسة الظواهر الاجتماعية فى علاقتها بالاقاليم الجغرافية التى توجد فيها، مع الاهتمام بالبيئة الطبيعية والثقافية السائدة فى الاقليم.

تأهيـــل Rehabilitation

العمل على إعادة الفرد لحالته الصحية السابقة.

علاقات الانتـاج Relations of Production

علاقات الملكية القانونية التى تحكم قوى الانتاج. وتختلف الملكية فى النظم الاقتصـادية الـرأسمالية عنها فى النظم الاقتصادية الاشتراكية، ففى حين تكون خاصة فى الأولى، نجدها جماعية فى الثانية.

الأعداد النسبية Relative Numbers

نسبة أنواع معينة من السكان إلى مجموع السكان الكلى.

الثبـات Reliability

قدرة أداة على قياس شىء ما باتساق. أى إعطاء نفس النتائج تقريبا عند إعادة تطبيقها.

ديـن Religion

نسق من المعتقدات والشعائر يرتبط بالله فى المجتمعات التى وصلتها الرسالات السماوية، وبشىء مقدس فى غيرها من المجتمعات، ويفسر الدين أصل الانسان، وينظم حاضره، ويلقى الضوء على مستقبله.

الكبـت Repression

حيلة دفـاعية لاستبعـاد مشـاعر الاثم، والقلق، والغضب، وغير ذلك من الانفعالات غير السارة أو المتعارضة مع معايير المجتمع من المستوى الشعورى الى المستوى اللاشعورى.

استجابـة Response

أى سلوك أو فعل يصدر عن الكائن الحى كرد فعل لمثير أو منبه فى البيئة.

الانسحابيـة Retreatism

صورة من صور السلوك المنحـرف يرفض فيه الأشخـاص أيا من الـوسائل والأهداف التى حددها وقبلها المجتمع.

تغير ثـورى Revolutionary Change

تغير ينجم عنه تحول جذرى فى البناء السياسى والاجتماعى ـ الاقتصادى للمجتمع.

شغــب Riot

سلوك جمعى يتجه الى اللعن والتدمير.

طقوس الانتقال Rites of Passage

احتفالات عامة يعلن فيها عن تغير مهم فى مكانة الفرد الاجتماعية.

طقــوس Rituals

طرق نمطية محددة ثقافيا لمواجهة الحوافز البيولوجية، وما تتمخض عنه أحداث الحياة اليومية من قلق.

دور Role

أنشطة وأفعال متوقعة من شخص يشغل مكانة إجتماعية معينة.

صراع الدور Role Conflict

موقف يتعين فيه على الفرد القيام بدورين، أو بعدة أدوار متناقضة. أو مواقف يجد الانسان نفسه فيها أمام مطالب متضاربة.

إبداع الــدور Role Creating

عملية تحديث فى المواقف الجديدة التى تتطلب ضرورة القيام بأدوار معينة.

متطلبات الدور Role Demands

توقعات الآخرين بشأن أداء الفرد لدور معين فى موقف ما، وقد يكون الشخص على دراية بمتطلبات دوره أو لا يكون على دراية بها.

مسافة الدور Role Distance

المسافة بين الدور الذى يتوقعه الفرد فى ذاته، والدور الذى يقوم به فعلا.

نماذج الدور Role Model

سلوك شخص يعجب به الفرد، ويود لو حذا حذوه.

ضغوط الدور Role Strains

ضغوط تنتج عندما يجد الشخص نفسه أمام متطلبات عديدة لابد من تلبيتها.

تبنى الـــدور Role Taking

تبنى الفرد اتجاهات، أو وجهة نظر شخص آخر، واعتبارها اتجاهاته أو وجهة نظره هو.

شائعـــة Rumor

معلومات تتردد من شخص الى شخص آخر دون أن يتثبت أحد من صدقها.

صمام الأمـــان Safety Valving

انحراف محدود يستخدم وسيلة للتعبير عن الاحباط والغضب.

عينـــة Sample

مجموعة من الحالات تمثل العدد الكلى للحالات.

مسح بالعينـــة Sample Survey

مسح صغير لعينة صغيرة، ولكنها ممثلة لسكان دولة أو منطقة.

جـــزاءات Sanctions

استجابات شركاء الدور التى تتضمن موافقتهم أو رفضهم لأفعال الفرد. والجزاءات قد تكون إيجابية على شكل إثابات، أو سلبية على شكل عقوبات.

كبش فـــداء Scapegoating

شخص أو جماعة تلام على ما ارتكبه الفرد نفسه من أخطاء، أو ما وقع فيه من مشكلات.

علـــم Science

المنهج المنطقى والمنظم الذى تلاحظ به الوقائع وتصنف بقصد وضع نظريات يمكن اختبارها.

الطريقة العلمية scientific Method

عملية البحث التى تقوم على الملاحظة الموضوعية، والقياس الدقيق، والنشر الكامل للنتائج.

التحليل الثانوى Secondary Analysis

البحث الذى يتضمن إستخدام معارف قام آخرون بجمعها.

جماعات ثانوية Secondary Groups

جماعات يرتبط اعضاؤها بروابط انفعالية ضئيلة، ويكون التفاعل بينهم محدودا.

انتاج ثانوى Secondary Production

نشاط اقتصادى لتحويل المصادر الأولية الى أنواع من السلع والبضائع عن طريق تصنيعها.

طائفة دينية Sect

جماعة تستقل بتفسيراتها، وممارساتها الدينية، عن التفسيرات والممارسات السائدة.

عزل (انعزال) Segregation

ممارسة التفرقة بين الأقليات والأغلبية.

الذات The Self

التنظيمات المكتسبة حول ادراك الشخص لنفسه.

تقدير الذات Self - Esteem

تقويم الشخص لنفسه فى حدود طريقة ادراكه لآراء الآخرين فيه.

الآخرون المؤثرون Significant Others

أشخاص معينون فى بيئة الفرد، تكون أراؤهم مؤثرة، ومقبولة، ومرغوبا فيها.

شعار Slogan

عبارة مختصرة تعبر عن فكرة، أو قيمة، أو هدف يتميز بالثبات.

تغير اجتماعى Social Change

العملية التى تتغير بها القيم، والمعايير، والعلاقات التنظيمية، والتدرج الطبقى الاجتماعى.

الضبط الاجتماعى Social Control

العملية التى يفرض بها السلوك المعيارى.

الظواهر الاجتماعية Social Facts

ظواهر شائعة تشكل موضوع علم الاجتماع.

تكامل اجتماعى Social Integration

المدى الذى يشعر فيه الفرد بأنه جزء من جماعة أكبر، أو من مجتمع يدعم فيه كل عضو العضو الآخر.

نظرية الضرر الاجتماعى Social Injury Theory

نظرية تحاول تفسير كيفية تحول المعايير الى قوانين، وتفترض هذه النظرية أن القوانين إنما شرعت لحماية أعضاء المجتمع مما قد يصيبهم من أضرار.

النظم الاجتماعية Social Institutions

أشكال السلوك المقررة والمنظمة للعلاقات الاجتماعية التى يقرها المجتمع لمواجهة حاجاته الأساسية، وتسمى وفق طبيعة النشاط الاجتماعى، فيقال نظام عائلى، ونظام إقتصادى، ونظام سياسى. الخ. وتتداخل النظم الاجتماعية تداخلا وثيقا، بحيث لا يمكن أن يدرس أى نظام اجتماعى بمعزل عن النظم الاجتماعية الأخرى.

ويتكون النظام الاجتماعى من عدد من الأنساق الاجتماعية Social Systems.

الاشتراكية Socialism

مذهب نظرى وعملى يرى ضرورة التخطيط السياسى للأنشطة الاقتصادية لضمان توزيع أكثر عدالة للسلع والخدمات، وينص على ضرورة الملكية العامة لوسائل الانتاج.

التطبيع الاجتماعى Socialization

العملية التى تتضمن نقل ثقافة المجتمع الى الأطفال، وتعليمهم كيف يتصرفون كبشر.

الحراك الاجتماعى Social Mobility

حركة الفرد من مكانة اجتماعية إلى مكانة اجتماعية أخرى داخل نسق التدرج الاجتماعى للمجتمع.

حركة اجتماعية Social Movement

مركب من الآراء والاعتقادات المشتركة المنظمة لتدعيم موقف اجتماعى وثقافى قائم، أو لمقاومته وتغييره.

المعايير الاجتماعية Social Norms

قواعد السلوك العامة التى تحكم استجابات الآخرين، والتى تعتبر ملائمة من وجهة نظر المجتمع.

العلوم الاجتماعية Social Sciences

مجموعة من العلوم المرتبطة التى تدرس المظاهر المختلفة لسلوك الانسان الاجتماعى.

أنساق اجتماعية Social Systems

مجموعة من المكانات المترابطة التى تنضوى تحت نظام عريض، مثال ذلك نسق الانتاج، ونسق التوزيع، ونسق الاستهلاك التى يضمها جميعا نظام عريض هو النظام الاقتصادى.

التدرج الطبقى الاجتماعى Social Stratification

التوزيع المتباين للسلطة، والهيبة والملكية.

البناء الاجتماعى Social Structure

مجموعة من النظم يعتمد على بعض، وتشمل سلوكا وعلاقات اجتماعية يمكن التنبوء بها.

مجتمعى Societal

الفعل الاجتماعى للافراد والجماعات الذين يندمجون فى علاقات بنائية وظيفية، واجرائية فى المجتمع الانسانى. ويعد هذا المصطلح أكثر تحديدا من مصطلح «اجتماعى».

مجتمع Society

تجمع يضم جماعة من الناس لهم ثقافة مشتركة ومتميزة، وتحتل موقعا جغرافيا محددا، ويضم المجتمع جميع المؤسسات الاجتماعية اللازمة لمواجهة متطلبات أفراده.

مكانة اجتماعية اقتصادية Socioeconomic

مؤشر للدلالة على دخل الفرد، ووضعه التعليمى والمهنى فى مقياس واحد.

السيوجرافيا Sociography

الوصف الكمى والتفصيلى لمشكلة ما متصلة بالعلاقات الاجتماعية داخل بيئة مكانية محددة، كالوصف التفصيلى للجريمة، وتوزيع معدلاتها فى منطقة معينة.

المنظور الاجتماعى The Sociological Perspective

طريقة للنظر للخبرة الانسانية فى اطار الحياة الاجتماعية الكلية، واعتبار الفعل الفردى والاجتماعى جزءا لا يتجزأ من الجماعة الاجتماعية.

علم الاجتماع Sociology

الدراسة العلمية للسلوك الاجتماعى، والمجتمعات التى يكونها الأفراد بكل ما تتضمنه من تفاعلات وعلاقات اجتماعية.

الدولـــة The Stale

التنظيم السياسى للمجتمعات الحديثة.

رأسمالية الدولة State Cpitalism

نسق اقتصـادى يقـوم على تشجيع القطاع الخاص، وعلى محدودية التدخل الحكومى فيما يتعلق بتخطيط النشاط الاقتصادى وتنظيمه.

المكانة الاجتماعية Status

مصطلح يستخدم للاشارة الى وضع الفرد فى النسق الاجتماعى. وقد تكون هذه المكانة مكتسبة عن طريق الجهد، والتحصيل، والمعرفة والمهارة. وقد تكون موروثة كالجنس، والعمر، والعرق، والسلالة.

التفكير النمطى Stereotypical Thinking

العملية التى تنسب فيها مجموعة واحدة من الخصائص، مقبولة أو غير مقبولة، الى جميع أعضاء جماعة اجتماعية.

وصمـــة Stigma

صفة تلصق بالأشخاص الذين ينحرفون عن معايير المجتمع.

جرائم الشارع Street Crimes

أفعال تهدد الشخص أو ممتلكاته تهديدا مباشرا.

التمثيل البنائى Structural Assimilation

عملية استغراق أفراد جماعة الأقلية فى النظم الاجتماعية لمجتمع الأغلبية.

النموذج البنائى الوظيفى Structural Functional Model

نظرية اجتماعية تفسر العلاقة بين مكونات المجتمع، والمجتمع ككل.

ثقافات فرعية Subcultures

جماعات فرعية داخل المجتمع تتباين من حيث القيم، والاعتقادات والمعايير، والسلوكيات.

مجتمعات فرعيـــة Subsocieties

مجتمعات أو ثقافات أصغر، داخل المجتمعات أو الثقافات الأكبر، توفر الحماية والاعتزاز لأعضاء جماعة الأقلية.

ضاحيـــة Suburb

جزء من منطقة حضرية يحيط بمدينة مركزية، ويرتبط بها بروابط اقتصادية واجتماعية.

الذات العليا Superego

الجزء المطبع اجتماعيا من الذات لكف غرائز الهو والتحكم فيها.

فائض القيمة Surplus Value

مصدر اساسى للربح لدى الرأسماليين، ينتج عن الفرق بين الأجور التى تدفع للعمال، وقيمة العمل الذى ينتجونه ويباع به فى السوق، وهذا الفرق يعود للرأسمالى فيزيد من ثرائه.

نظرية التفاعل الرمزى Symbolic Interaction Theory

دراسة الانساق الصغرى، وكيفية ارتباط بعضهم ببعض، ونظرتهم إلى أنفسهم، وتعريفهم للمواقف المختلفة، وتفسيرهم المستمر للافعال التى يقوم بها الأخرون، لكى يستطيعوا التوافق مع مواقف التفاعل.

محرم (تحريم) (تابو) Taboo

موقف اجتماعى اعتقادى قوى تجاه الأفعال المحظورة، والمثيرة لتقزز واستياء أعضاء الجماعة.

تكنولوجيا Technology

توجيه المعارف العلمية لايجاد حلول لمشكلات الحياة المادية.

الحكومة الدينية (الثيوقراطية) Theory

مجموعة من القضايا المترابطة منطقيا تعمل على تفسير الظواهر والأحداث.

الحكم الشمولى Totalitarian

حكومة الحزب الواحد التى تتمتع بسلطة سياسية مطلقة.

الطوطم Totem

حيوان أو نبات، أو ظاهرة ما، تتخذها جماعة انسانية رمزا لها.

السلطة التقليدية Traditional Authority

سلطة تقوم على ما تعارف عليه المجتمع وألفه من عادات وتقاليد.

التوجه التقليدى Tradition Directed

الشخص الذى تحكم العادات الجمعية سلوكه وتصرفاته.

سمعة ثقافية Trait

أبسط وحدة فى الثقافة يمكن عزلها بغرض التحليل أو المقارنة.

جماعة ثلاثية Triad

مجتمع محلى يتميز بكثافة سكانية عالية، وبسيادة المهن غير الزراعية، وبنظام معقد لتقسيم العمل.

حضرية Urbanism

أسلوب حياة يتميز بما يأتى:

أ - تقسيم معقد للعمل يقوم على بناء مهنى متباين يشكل قاعدة لنسق التدرج الاجتماعى.

ب - معدل مرتفع للحراك المكانى والاجتماعى.

جـ - اللاشخصية فى العلاقات الاجتماعية.

وترتبط الحضرية بالمعيشة فى المدن.

تحضر Urbanization

عملية انتقال السكان من المناطق الريفية الى المناطق الحضرية، وما يتبع ذلك من تركز غالبية السكان فى المدن.

المذهب النفعى Utilitarianism

وجهة نظر فلسفية وأخلاقية تذهب الى أنه لا يوجد شىء مرغوب فيه لذاته سوى اللذة، ومن ثم، فإن وظيفة القواعد الأخلاقية تدعيم السلوك الذي يعمل على زيادة اللذة والتقليل من الألم. والمنفعة فى نظر أصحاب هذا المذهب تحقيق السعادة لأكبر عدد ممكن من الأفراد، بل ان تحقيق السعادة الى أقصى حد ممكن يعتبر الهدف الأساسى والنهائى للجنس البشرى.

الحركة اليوتوبية (المثالية) Utibian Movement

حركات تسعى الى ايجاد مجتمع مثالى.

الصدق Validity

قدرة اختبار على قياس ما قصد الباحث الى قياسه.

القيم Values

تصور مجرد وعام للسلوك، يشعر اعضاء الجماعة نحوه بارتباط انفعالى شديد، ويتيح لهم مستوى للحكم على الأفعال، والأهداف الخاصة. ومن هنا تضع القيم مجموعة من المستويات العامة للسلوك، تشكل المعايير الاجتماعية التعبير الواضح والمجسد لها. وتعد الحرية، والعدالة، والمساواة، والحق، والخير، والجمال، أمثلة للقيم.

الصراع القيمى Value Conflict

التباين الجذرى بين الجماعات فيما يتعلق بالأهداف، والسياسات، والقيم.

الاتفاق القيمى Value Consensus

اتفاق أعضاء الجماعة العام على الأهداف، والقيم، والانجازات.

الحياد القيمى Value Neutrality

افتراض منطقى يتطلب من علماء الاجتماع استبعاد أحكامهم الشخصية، وتحيزاتهم فيما يقومون به من دراسات، وما يستخلصونه من نتائج.

النسق القيمى Value System

نموذج منظم للقيم فى مجتمع أو جماعة ما، تتميز القيم الفردية فيه أو فيها بالارتباط والدعم المتبادلين، لتشكل كلاً متماسكا.

متغيرات Variables

خواص مميزة تتخذ قيما متباينة يمكن قياسها، وهذه القيم قد تكون كمية أو كيفية.

لغة عامية Vernacular

اللغة الدارجة للحياة اليومية.

الحراك الأفقى Vertical Motility

التحرك الى أعلى أو الى أسفل فى المكانة الاجتماعية دون تغير فى الوضع الطبقى.

الاحصاءات الحيوية Vital Statistics

بيانات عن احداث مهمة كالمواليد، والزيجات، والوفيات.

الجمعيات (الاتحادات) الطوعية Vluntary Association

الاتحادات أو الجمعيات أو التنظيمات التى ينخرط فيها الأفراد بمحض ارادتهم، كالاتحادات الطلابية، أو جمعيات حماية البيئة.

برنامج الرفاهية الاجتماعية A Welfare State

صورة جزئية من الاشتراكية لاشباع حاجات الأفراد والجماعات، وتحسين احوالهم المعيشية، وفيها تقدم الدولة للمحتاجين الرعاية الصحية، والتعليم العالى، وتزودهم بالمسكن والمساعدات المالية، ومختلف الخدمات الاجتماعية، للتقليل من الفروق فى المكانات والطبقات الاجتماعية.

جرائم ذوى الياقات البيضاء White Coller Crime

أنشطة غير مشروعة يمارسها أفراد من الطبقة العليا، دون اللجوء الى العنف فى الغالب.

عدم الزيادة فى تعداد السكان Zero Population

الوضع الذى لا يزيد فيه عدد السكان، نتيجة تساوى عدد المواليد وعدد الوفيات.

المكسب مقابل الخسارة Zero Sum Conditions

الظروف التى يكون فيها مكسب جماعة ما خسارة لجماعة أخرى.

مراجــــع الكتــــاب



مراجـــع الكتـــاب

Abella, Irving, and **David Millar** (eds.). *The Canadian Worker in the Twentieth Century.* New York: Oxford University Press, 1978.

Abbott, Jack Henry. "In Prison." *New York Review of Books,* XXVII(11) (June 26, 1980).

Adler, Freda. "Changing Patterns." In Freda Adler and Rita James Simon (eds.), *The Criminology of Deviant Women.* Boston: Houghton-Mifflin, 1979.

Allport, Gordon, and **L. Postman.** *The Psychology of Rumor.* New York: Holt, 1974.

Anderson, Charles H., and **Jeffrey R. Gibson.** *Toward a New Sociology.* Homewood, Ill.: Dorsey, 1978, 3rd ed.

Drdrey, Robert. *The Territorial Imperative.* New York: Atheneum, 1966.

Ariés, Philippe. *Centuries of Childhood: A Social History of Family Life.* Robert Boldick (trans.). New York: Knopf, 1962.

Aronowitz, Stanley. *False Promises: The Shaping of American Workin gClass Consciousness.* New York: McGraw-Hill, 1973.

Arthurs, R., and **E. Cahoon.** "A Clinical and Electroencephalographic Survey of Psychopathic Personality." *American Journal of Psychiatry,* 120 (1964): 875-877.

Ashley, M.C. "Outcome of One Thousand Cases Paroled from Middletown state Homeopathic Hospital." *State Hospital Quarterly* (New York), 8(1922): 64-70.

Ashton, Patrick J. "The Political Economy of Suburban Development." In William K. Tabb and Larry Sawers (eds.), *Marxism and the Metropolis: New Perspectives in Urban Political Economy.* New York: Oxford University Press, 1978.

Averitt, Robert T. *The Dual Economy: The Dynamics of American Industry Structure.* New York: Horton, 1968.

Bagdikian, Ben. *In the Midst of Plenty: The Poor in America.* New York: Signet, 1964.

Bailey, William C. "Deterrence and the Celerity of the Death Penalty: A Neglected Question in Deterrence Research." *Social Forces,* 58(4) (June 1980): 1308-1332.

Baltes, Paul and **Orville G. Brim, Jr.** (eds.). *Life Span Development,* Vol. 3. New York: Academic Press, 1980.

Bandura, Albert. *Aggression: A Social Learning Analysis.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1973.

Banfield, Edward C. *The Unheavenly City Revisited.* Boston: Little Brown & Co., 1974.

Barash, D.P. *Sociobiology and Behavior.* New York: Elsevier-North Holland, 1977.

Barkan, Steven E. "Strategic, Tactical and Organizational Dilemmas of the Protest Movement Against Nuclear Power." *Social Problems,* 27(1) (October 1979): 19-37.

Barnet, Richard J. "The World's Resources." *The New Yorker,* (April 7, 1980).

Barry, H., M.K. Bacon, and **I.L. Child.** "A Cross-Cultural Survey of Some Sex Differences in Socialization." *Journal of Abnormal and Social Psychology,* 55 (1957): 327-332.

Bart, Pauline, and **Linda Frankel.** *The Student Sociologist's Handbook.* Evanston, Ill.: Scott, Foresman, 1981, 3rd ed.

Baugh, Constance M. "Her Scars and Her Strength." *Journal of Current Social Issues,* 16(2) (1979).

Beck, E.M. "Labor Unionism and Racial Income Inequality: A Time-Series Analysis of the Post-World War II Period." *American Journal of Sociology,* 85(4) (January 1980): 791-814.

Beck. E.M., Patrick Horan, and **Charles M. Tolbert II.** "Stratification in a Dual Economy: A Sectoral Model of Earnings Determination." *American Sociological Review,* 43(5) (1978): 704-720.

Becker, Gary S. "Human Capital and the Personal Distribution of Income: An Analytic Approach." Ann Arbor: University of Michigan, Institute of Public Information. 1967.

Becker, Howard S. *Outsiders: Studies in the Sociology of Deviance.* New York: Free Press, 1963.

Bell, Daniel. *The Coming of Post-Industrial Society.* New York: Basic Books, 1973.

Bellah, Robert N. "Civil Religion in America." In Robert N. Bellah, *Beyond Belief: Essays on Religion in a post-Traditional World.* New York: Harper & Row, 1970.

Bem Sandra. "Sex Role Adaptability: One Consequence of Psychological Androgyny." *Journal of Personality and Social Psychology,* 31 (1975): 634-43.

Benedict. Ruth. *Patterns of Culture.* Boston: Houghton-Mifflin Co., 1934.

Benedict, Ruth. "Continuities and Discontinuities in Cultural Conditioning." *Psychiatry,* 1/(2) (1938): 161-167.

Bengtson, Vern L., and **Lillian Troll.** "Youth and Their Parents: Feedback and Intergenerational Influence on Socialization." In Richard M. Lerner and Graham B. Spanier (eds.), *Child Influences on Marital and Family Interaction.* New York: Academic Press, 1978.

Bensman, Joseph, and **Israel Gerver.** "Crime and Punishment in the Factory." *American Sociological Review.* 28 (1963): 588-98.

Berelson, Bernard, and **Gary A. Steiner.** *Human Behavior: An Inventory of Scientific Findings.* New York: Harcourt, Brace & World, Inc., 1964.

Berger, Peter, *A Rumor of Angels.* New York: Doubleday. 1969.

Berger, Peter, and **Thomas Luckman.** *The Social Construction of Reality.* New York: Doubleday, 1966.

Berger, Peter. *The Sacred Canopy.* New York: Doubleday. 1969.

Berger, Peter. *Invitation to Sociology.* New York: Doubleday. 1963.

Berk, Richard A., and **Howard E. Aldrich.** "Patterns of Vandalism During Civil Disorders as an Indicator of Selection of Targets." *American Sociological Review,* 37 (October 1972): 533-547.

Berkman, Lisa F., and **S. Leonard Syme.** "Social Networks, Host Resistance, and Mortality: A Nine-Year Follow-up Study of Alameda Country Residents." *American Journal of Epidemiology,* 109(2) (1979): 186-204.

Bernard, Jessie. *The Female World.* New York: Free Press, 1981.

Bernard, Jessie. *The Future of Marriage.* New York: Bantam, 1973.

Berry, Brian J.R. *The Human Consequences of Urbanization: Divergent Paths in the Urban Experience of the 20th Century.* New York: St. Martin's Press, 1973.

Biggar, Jeanne C. "the Sunning of America: Migration to the Sunbelt." *Population Bulletin,* 34, I, 1979. Washington, D.C.: Population Reference Bureau, Inc., 1979.

Billings, Dwight, and **Robert Goldman.** "Comment on The Kanawha Country Textbook Controversy." *Social Forces,* 57(4) (June 1979): 1393-98.

Bing, Elizabeth. "Effect of Childrearing Practices on Development of Differential Cognitive Abilities." *Child Development,* 34 (1963): 631-648.

Birdwhiste, Ray. *Kinesics and Context.* Philadelphia, Pa.: Univ. of Pennsylvania Press, 1970.

Blau, Peter M. *Exchange and Power in Social Life.* New York: Wiley, 1964.

Blau, Peter M. and **Otis Dudley Duncan.** *The American Occupational Structure.* New York: Wiley, 1967.

Blau, Peter M., and **Marshall Meyer.** *Bureaucracy in Modern Society.* New York: Random House, 1971.

Blau, Peter M., and **W. Richard Scott.** *Formal Organizations.* San Francisco: Chandler Publishing Co., 1962.

Blauner, Robert. *Alienation and Freedom.* Chicago: University of Chicago Press, 1964.

Blumberg, Rae Lesser. *Stratification: Socioeconomic and Sexual Inequality.* Dubuque, Iowa: Wm. C. Brown Co. Publishers, 1978.

Blumenfeld, Hans. "The Urban Pattern." *The Annals of the American Academy of Political and Social Science,* 352 (March 1964): 74-83.

Blumer, Herbert. "Social Movements." In R. Serge Denisoff (ed.), *The Sociol-*

ogy of Dissent. New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1974.

Blumer, Herbert. "Collective Behavior." In Alfred McLung Lee (ed.), *New Outlines of the Principles of Sociology.* New York: Barnes & Noble, 1951.

Bogardus, Emory. *Imigration and Race Attitudes.* New York: Ozer, 1971.

Boileau, R., F. Landry, and Y. Trempe. "Les Canadiens Français, et Les Grands Jeux Internationaux (1908-1974). *In* R. Gruneau and J. Albinson (eds.), *Canadian Sport: Sociological Perspective,* pp. 141-169. Don Mills, Ontario: Addison Wesley, 1970.

Bonacich, Edna. "Advanced Capitalism and Black/White Relations in the U.S.: A Split Labor Market Interpretation." *American Sociological Review,* 41(1) (1975): 34-51.

Book of Criminal Justice Statistics 1973. Washington, D.C.: United States Government Printing Office, 1973.

Boskoff, Alvin L. *The Sociology of Urban Regions.* New York: Appleton-Century-Crofts, 1970.

Bouvier, Leon F. "America's Baby Boom Generation: The Fateful Bulge." *Population Bulletin,* 35(1) (Population Reference Bureau, Washington, D.C.) 1980.

Bowles, Samuel, and **Herbert Gintis.** *Schooling in Capitalist America.* New York: Basic Books, 1976.

Boyer, Paul, and **Stephen Nissenbaum.** *Salem Possessed: the Social Origins of Witchcraft.* Cambridge: Harvard University Press, 1974.

Brim, Orville G., Jr. "Male Mid-Life Crisis: A Comparative Analysis." In Beth B. Hess (ed.), *Growing Old in America.* New Brunswick, N.J.: Transaction Books, 1979. 2nd ed.

Brim, Orville G., Jr. "Personality Development as Role-Learning." In W. Richard Scott (ed.), *Social Processes and Social Structures.* New York: Holt, Rinehart & Winston, 1970.

Brim, Orville G., Jr. "Remarks on Life Span Development." Presented to the American Institute of Research. Mimeo. 1977.

Bronfenbrenner, Urie. *Two Worlds of Childhood.* New York: Russell Sage, 1970.

Broverman, I.K., et al. "Sex Role Stereotypes and Clinical Judgments of Mental Health." *Journal of Consulting and Clinical Psychology*, 34 (1979): 1-7.

Brown, George W., and **Terril Harris.** *Social Origins of Depression: A Study of Psychiatric Disorder in Women.* New York: Free Press, 1978.

Brown, Michael, and **Amy Goldin.** *Collective Behavior: A Review and Interpretation of the Literature.* Pacific Palisades, Calif.: Goodyear, 1973.

Brown, Roger. *Social Psychology.* New York: The Free Press, 1965.

Burawoy, Michael. "Social Structure, Homogenization, and The Process of Status Attainment in The United States and Great Britain." *American Journal of Sociology,* 82 (1977): 1031-1041.

Burgess, Ernest W. "The Growth of the City." In Robert E. Park, Ernest W. Burgess, and R.D. McKenzie (eds.), *The City.* Chicago: University of Chicago Press, 1925.

Butler, Edgar W. *Urban Sociology: A Systematic Approach.* New York: Harper & Row, 1976.

Button, James W. *Black Violence: Political Impact of the 1960's Riots.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1980.

Cameron, William. *Informal Sociology,* Philadelphia, Pa.: Philadelphia Book, 1963.

Campbell, Angus, et al. *The American Voter.* Chicago: University of Chicago, 1980.

Campbell, Angus, et al. *The Quality of American Life: Perceptions, Evaluations and Satisfactions.* New York Russell Sage, 1946.

Canada's Families. Statistics Canada, October 1979, Otawa, Canada.

Canada Year Book, 1978-79. Ottawa, Canada 1979.

Cantor, Muriel. "Women and Public Broadcasting." *Journal of Communication,* 27(1) (Winter 1977).

Caplovitz, David. *And the Poor Pay More.* New York: Free Press, 1963.

Carlton, Richard A., Louise A. Colley, and **Neil J. Mac-Kinnon** (eds.). *Education, Change, and Society: A Sociology of Canadian Education.* Toronto: Gage, 1977.

Carmichael, Stokely, and **Charles V. Hamilton.** *Black Power: The Politics of Liberation in America.* New York: Random House, 1967.

Carter, Hugh, and **Paul C. Glick.** *Marriage and Divorce: A Social and Economic Study* (rev. ed.). Cambridge: Harvard University Press, 1976.

Cassell, Joan. *A Group Called Women: Sisterhood and Symbolism in the Feminist Movement.* New York: MacKay, 1977.

Castells, Manuel. "The Wild City." *Kapital State,* 4-5 (Summer 1976): 2-30.

Centers, Richard. *The Psychology of Social Class.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1949.

Chevalier-Skolnikoff, Suzanne. "Infant and Ape Behavior." *Animal Kingdom,* (June 1979).

Chinitz, B. "New York: A Metropolitan Region." *Scientific American,* 213 (1965): 134-148.

Chirot, Daniel. *Social Change in the Twentieth Century.* New York: Harcourt, Brace Jovanovich, 1977.

Clark, Henry. "The National Council Churches' Commission on Religion and Race: A Case Study of Religion in Social Change." In Phillip E. Hammond and Benton Johnson (eds.), *American Mosaic: Social Patterns of Religion in the United States.* New York: Random House, 1970.

Clark, S.D. *Movements of Political Protest in Canada.* Toronto: University ofToronto Press, 1959.

Clark, Sam. J. Paul Grayson, and **L.M. Gravson** (eds.). *Prophecy and Protest: Social Movements in Twentieth Century Canada.* Toronto: Gage, 1975.

Clausen, John. "The Life Course of Individuals." In Matilda White Riley, Marilyn Johnson, and Anne Foner (eds.), *Aging and Society.* New York: Russell Sage Foundation, 1972.

Clement, Wallace. "A Political Economy of Regionalism in Canada." In Daniel Glenday, Hubert Guindon, and Allan Turowetz (eds.), Toronto: Macmillan, 1978.

Clement, Wallace. *The Canadian Corporate Elite: An Analysis of Economic Power.* Toronto: McClelland and Stewart, 1975.

Cloward, Richard A., and **Lloyd E. Ohlin.** *Delinquency and Opportunity.* New

York: Free Press, 1960.

Clymer, Adam. "Poll Links Economic Slide and Social Antagonism." *The New York Times,* June 27, 1980, PP. 1, D 11.

Cobb. Sidney. "Social Support and Health Throughout the Life Course." In Matilda White Riley (ed.), *Aging from Birth to Death.* Boulder, Colo.: Westview Press, 1979.

Cocozza, Joseph J., and **Henry Steadman.** "Prediction in Psychiatry: An Example of Misplaced Confidence in Experts." *Social Problems,* 25(3) (February 1978): 265-277.

Cohen, Albert K. *Delinquent Boys.* New York: Free Press, 1955.

Cohen, Jerf. "Rational Capitalism in Renaissance Italy." *American Journal of Sociology,* 85(6) (May 1980): 1340-55.

Cohen, L. H., and **H. Freeman.** "How Dangerous to the Community are State Hospital Patients?)" *Connecticut State Medical Journal,* 9 (1945): 697-700.

Cole, Charles Lee. "Cohabitation in Social Context." In Roger Libby and Robert Whitehurst (eds.), *Marriage and Alternatives: Exploring Intimate Relations.* Glenview. Ill.: Scott, Foresman, 1977.

Cole, Robert E. *Work, Mobility, and Participation.* Berkelev For University of California Press, 1979.

Cole, Stephen. *The Sociological Method* (3d ed.). Chicago: Rand McNally, 1980.

Coleman, James S. *The adolescent Society.* New York: Free Press, 1961.

Coleman, James, Elihu Katz, and **Herbert Menzel.** "The Diffusion of Innovation Among Physicians." *Sociometry.* 20 (1957): 253-69.

Coleman, James. "Population Stability and Equal Rights." *Society,* 14 (May 1977): 34-6.

Coleman. james. "Recent Trends in School Integration." *Educational Researcher,* 4 (July/August, 1975): 3-12.

Coleman. Richard P., and **Lee Rainwater,** with **Kent A. McClelland.** *Social Standing in America: New Dimensions of Class.* New York: Basic Books, 1978.

Collins, Randall. *Conflict Sociology: Toward an Explanatory Science.* New York: Academic Press, 1975.

Collins, Randall. *The Credential Society: An Historical Sociology of Education and Stratification.* New York: Academic Press, 1979.

Collins, Randall, and **Michael Makowsky.** *The Discovery of Secrets* (2nd ed.). New York: Random House, 1978.

Conklin, John E. *The Crime Establishment: Organized Crime and American Society.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1973.

Conrad, John P. "Corrections and Simple Justice." *The Journal of Criminal Law and Criminology,* 64(2) (1973): 208-217.

Converse, Philip E., Jean D. Dotson, Wendy J. Hoag, and **William H. McGee III.** *American Social Attitudes Data Sourcebook, 1947-1978.* Cambridge, MA: Harvard University Press, 1980.

Cooley, Charles Horton. *Human Nature and the Social Order.* New York: Scribner, 1902.

Cooley, Charles Horton. *Social Organization: A Study of the Larger Mind.* New York: Scribner, 1909.

Coser, Rose Laub, and **Lewis Coser.** "Jonestown as a Perverse Utopia." *Dissent,* (Spring 1979): 158-163.

Coward, Barbara E., Joe R. Feagin, and **Allen Williams Jr.** "The Culture of Poverty Debate: Some Additional Data." *Social Problems,* 21(5) (June 1974): 621-633.

Cox, Henry. *Turning East.* New York: Simon & Schuster, 1977.

Caysdale, Stewart, and **Les Wheatcroft** (eds.). *Religion in Canadian Society.* Toronto: Macmillan, 1976.

Cullen, John B., and **Shelley M. Novick.** "The Davis-Moore Theory of Stratification: A Further Examination and Extension." *American Journal of Sociology,* 84(6) (1979): 1425-1437.

Cummings, Judith. "Proposal for U.S. Aid to Expand Key West Hotel Draws Criticism." *The new York Times,* October 22, 1979, p. A18.

Cummings, Scott. "White Ethnics, Racial Prejudice and Labor Market Segmentation." *American Journal of Sociology,* 85(4) (Jan. 1980): 938-950.

Cummings, Scott, and **Del Taebel.** "The Economic Socialization of Children: A New Markist Analysis." *Social Problems,* 26(2) (Dec. 1978): 198-210.

Cuneo, Carl J. "A Class Perspective on Regionalism." In Daniel Glenday, Hubert Guindon, and Allan Turowetz (eds.), *Modernization and the Canadian State.* Toronto: Macmillan, 1978, pp. 132-156.

Currie, Elliot P. "Crimes Without Criminals: Witchcraft and Its Control in Renaissance Europe." *Law and Society Review,* 3(I) (August, 1968): 7-32.

Dahl, Robert A. *Who Governs? Democracy and Power in an American City.* New Haven, Conn.: Yale University Press, 1961.

Dahrendorf, Ralf. *Class and Class Conflict in Industrial Society.* Stanford, Calif.: Stanford University Press, 1959.

Danigelis, Nick, and **Whitney Pope.** "Durkheim's Theory of Suicide as Applied to Family: An Empirical Test." *Social Forces,* 57(4) (June 1979): 1081-1103.

David, Leo. "Family Change in Canada: 1971-1976." *Journal of Marriage and the Family,* 24(1) (Feb. 1980): 177-183.

Davidson, Laurie, and **Laura Kramer Gordon.** *The Sociology of Gender.* Chicago: Rand, McNally, 1979.

Davie, Maurice R. *World Immigration.* New York: Macmillan, 1939.

Davies, James C. "Toward a Theory of Revolution." *American Sociological Review,* 27(1) (Feb. 1962): 5-19.

Davis, James A. "Conservative Weather in a Liberalizing Climate." *Social Forces,* 58(4) (June 1980): 1129-1156.

Davis Kingsley. "Final Note on a Case of Extreme Isolation." *American Journal of Sociology,* 45 (Jan. 1940): 554-65.

Davis Kingsley. *Human Society.* New York: Macmillan, 1949.

Davis, Kingsley. "Mental Hygiene and the Class Structure." *Psychiatry,* 1 (Feb. 1938): 55-56.

Davis, Kingsley. "The Origin and Growth of Urbanization in the World." *American Journal of Sociology,* 60 (1955).

Davis, Kingsley, and **Wilbert E. Moore.** "Some Principles of Stratification." *American Sociological Review,* 10 (April 1945)242-247.

De Lone, Richard H. *Small Futures: Future, Inequality and the Limits of Liberal Reform.* Report for the Carnegie Council on Children. New York: Harcourt,

Brace, Jovanovich, 1979.

Demos, John. "Old Age in Early New England." In John Demos and Spence Boocock (eds.), *Turning Points: Historical and Sociological Essays on the Family.* Chicago: University of Chicago Press, 1978, Vol. 84, pp. 248-287.

Dershowitz, Alan M. "Increasing Community Control Over Corporate Crime: A Problem in the Law of Sanctions." *Yale Law Journal,* 71 (1961): 289-306.

Deuteronomy "The 10 Commandments). 5:7-18. Old Testament, Bible.

Deutsch, Antal. "Quebec 1980." *Dissent,* (Winter 1980): 65-72.

Deutsch, Morton. "An Experimental Study of the Effects of Cooperation and Competition Upon Group Process." *Human Relations,* **2** (1949): 199-232.

Deutscher, I. *What We Say, What We Do: Sentiments and Acts.* Glenview, Ill.: Scott, Foresman, 1973.

Dewey, Richard. "The Rural-Urban Continuum: Real But Relatively Unimportant." *American Journal of Sociology,* 66 (July 1960): 6066.

Dohrenwend, Barbara S., and **Bruce Dohrenwent.** *Stressful Life Events: Their Nature and Effects.* New York: Wiley, 1974.

Domhoff, G. William (ed.). *Power Structure Research.* Beverly Hills, Calif.: Sage, 1980.

Domhoff, G. William. *Who Rules America?* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1967.

Boob, Anthony. "Deviance: Society's Side Show." *Psychology Today,* 5 (Oct. 1971): 47-51, 113.

Doress, Irvin, and **Jack Nusan Porter.** "Kids in Cults." *Society,* (May/June 1978): 69-71.

Downs, Anthony. "Urban Policy." In Joseph A. Pechman (ed), *Setting National Priorities: The 1979 Budget.* Washington, D.C.: The Brookings Institute, 1979.

Doxiadis, C.A. *Urban Renewal and the Future of the American City.* New York: Oxford University Press, 1968.

Durkheim, Emile. *The Division of Labor in Societies.* New York: Free Press, 1893/1960.

Durkheim, Emile. *The Elementary Forms of the Religions Life.* New York: Collier Books, 1912/1961.

Durkheim, Emile. *Suicide.* New York: Free Press, 1897/1966.

Edmonds, Ronald R. "Some Schools Work and More Can." *Social Policy,* (March/April 1979): 28-32.

Edwards, Harry. *Sociology of Sport.* Homewood, Ill.: Dorsey, 1973.

Eisenstadt, S.N. *From Generation to Generation.* Glencoe, Ill.: Free Press, 1956.

Elliott, Delbert S., and **Suzanne S. Ageton.** "Reconciling Race and Class Differences in Self-Reported and Official Estimates ofDelinquency." *American Sociological Review,* 45(1) (Feb. 1980): 95-110.

England, Paula. "Women and Occupational Prestige. A Case of Vacuous Sex Equality." *Signs,* 5(2) (Winter 1979): 252-265.

Erikson, Erik H. *Childhood and Society.* New York: Norton, re. ed., 1964.

Erikson, Erik H. "Youth, Fidelity and Diversity." In Erik H. Erikson (ed.), *Youth: Change and Challenge.* New York: Basic Books, 1963.

Erikson, Kai. *Everything in its Path: Destruction of Community in the Buffalo Creek Flood.* New York: Simon & Schuster, 1976.

Erikson, Kai. *The Wayward Puritans.* New York: John Wiley, 1966.

Ermann, David M., and **Richard J. Lundman.** "Overview." In *Corporate and Governmental Deviance: Problems in Organizational Behavior in Contemporary Society.* New York: Oxford University Press, 1978, pp. 3-10.

Espenshade, Thomas J. "The Economic Consequences of Divorce." *Journal of Marriage and the Family,* 41(3) (Aug. 1979): 615-625.

Etzkowitz, Henry, and **Peter Stein.** "Life Spiral: Human Needs and Adult Roles." *Alternative Life Styles I* (November 1978): 434-446.

Fallding, Harold. "Mainline Protestantism in Canada and the United States: An Overview." *Canadian Journal of Sociology,* 3(2) (1978).

Fallding, Harold. *The Sociology of Religion.* New York: McGraw-Hill, 1974, Chapter 15.

Farley. Reynolds. "Residential Segregation in Urbanized Areas of the United

States in 1970: An Analysis of Social Class and Racial Differences." *Demography,* 14 (1977): 497-518.

Feagin. Joe R. "We Still Believe That God Helps Those Who Help Themselves." *Psychology Today,* November 1972.

Featherman, David L., and **Robert M. Hauser.** *Opportunity and Change.* New York: Academic Press, 1978.

Ferrer, Marianne, Joan Huber, and **Glenna Spitze.** "Preference for Men as Bosses and Professionals." *Social Forces,* 58(2) (Dec. 1979): 466-476.

Festinger. Leon. Henry W. Riecken, and **Stanley Schacter.** *When Prophecy Fails.* New York: Doubleday Anchor, 1959.

Feuer, Lewis S. *Marx and Engels: Basic Writings on Politics and Philosophy.* New York: Doubleday Anchor, 1959.

Firey. Walter. Charles J. Loomis, and **J. Allan Beegle.** "The Fusion of Urban and Rural." In Jean Labutut and Wheaton J. lane (eds.). *Highways in our National Life.* Princeton, N.J.: Princeton University Press, 1950.

Fischer. Claude S. "Toward a Subcultural Theory of Urbanism." *American Journal of Sociology,* 80(6) (1975): 1319-1341.

Fischer. Claude. *The Urban Experience.* New York: Harcourt, Brace, Joavanovich, 1976.

Fischer. Edward H., and **Amerigo Farina.** "Attitude Relevant Overt Behavior." *Social Forces,* 57(2) (Dec. 1978): 585-599.

Fishman. Pamela. "Interaction: The Work Women Do." *Social Problems,* 25(4) (1978): 397-406.

Fitzgerald, Frances. *American Revisited.* New York: Little, Brown, 1979.

Foner. Anne, and **David Kertzer.** "Transitions Over the Life Course." *American Journal of Sociology,* 85(5) (1978): 1081-1104.

Franklin, Benjamin. *Poor Richard's Almanac.* New York: McKay, 1784-1970.

Freeman. Jo. *The Politics of Women's Liberation.* New York: McKay, 1975.

Freeman. Jo. "The Social Construction of the Second Sex." In Sue Cox (ed.), *Female Psychology: The Emergent Self.* Chicago: Science Research Associates, 1976.

Freeman, Jo. "Woman and Urban Policy." *Signs,* 5(3) (1980): 4-21 (Special Supplement on Women and the City).

Freidson, Eliot. *Profession of Medicine.* New York: Dodd-Mead, 1970.

Freud, Sigmund, *Civilization and Its Discontents.* James Strachey (trans.). New York: W.W. Norton & Co., 1962.

Friedan, Betty. *The Feminine Mystique.* New York: Norton, 1963.

Fromm, Erich. *Escape From Freedom.* New York: Rinehart & Co., 1941.

Gagnon, John and **William Simon.** *Sexual Conduct: The Social Sources of Human Sexuality.* Chicago: Aldine, 1973.

Gagnon, John. *Human Sexualities.* Glenview, Ill.: Scott. Foresman, 1977.

Gagnon, John and **Cathy S. Greenblat.** *Life Designs: Individuals, Marriages and Families.* Glenview, Ill.: Scott, Foresman, 1978.

Galbraith, John Kenneth. "Economics and the Quality of Life." *Science,* 145 (1964): 117-123.

Gamson, William A. *The Strategy of Social Protest.* Homewood, Ill.: Dorsey, 1975.

Gamson, William A. "Understanding the Careers of Challenging Groups: A Commentary on Goldstone." *American Journal of Sociology,* 85(5) (March 1980): 1043-1060.

Gans, Herbert J. *The Levittowners,* New York: Vintage, 1967.

Gans, Herbert J. "The Positive Functions of Poverty." *American Journal of Sociology,* 78(2) (Sept. 1972): 275-289.

Gardner, Hugh. *The Children of Prosperity: Thirteen Modern American Communities.* New York: St. Martin's Press, 1978.

Garfinkle, Harold. *Studies in Ethnomethodology.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1967.

Geertz, Clifford. "Religion as a Cultural System." In Patrick H. McNamara (ed.), *Religion American Style.* New York: Harper & Row, 1974.

Gerbner, George, Larry Gross, Michael Morgan, and **Nancy Signorielli.** "Violence Profile No. 22." Mimeo, Annenberg School of Communications, University of Pennsylvania, April 1980.

Gerth, Hans H., and **C. Wright Mills.** *From Max Webers Essays in Sociology.* New York: Oxford University Press, Galaxy Book, 1958.

Gertler, Len, and **Ron Carawley.** *Changing Canadian Cities: The Next Twenty-five Years.* Toronto: McClelland and Stewart, 1978.

Giles, Michael W. "White Enrollment Stability and Schoold Desegregation: A Two-Level Analysis." *American Sociological Review,* 43(6) (1978): 848-864.

Gillespie, Dair. "Who Has the Power? The Marital Struggle." *Journal of Marriage and Family,* 33 (1971): 445-459.

Giniger, Henry. "Canada Says Gap Persists Between Indians and Whites." *The New York Times,* June 29, 1980, p. 8.

Gitlin, Todd. "Prime Time Ideology: The Hegemonic Process in Television Entertainment." *Social Problems,* 26(3) (Feb. 1979): 251-266.

Glenn, Norval D. "Psychological Well Being in the Postparental Stage." *Journal of Marriage and the Family,* 37 (Feb. 1975): 105-110.

Glick, Paul C., and **Arthur J. Norton.** "Marrying, Divorcing, and Living Together in U.S. Today." *Population Bulletin,* 32:5, Washington, D.C.: Population Reference Bureau, Inc., 1979.

Glueck, Sheldon, and **Eleanor Glueck.** *Delinquents in the Making.* New York: Harper & Row, 1952.

Gmelch, George. "Baseball magic." *Transaction, 8 (June 1971).*

Goffman, Erving. *The Presentation of Self in Everyday Life.* Garden City, N.Y.: Doubleday, 1959.

Goffman, Erving. *Asylums.* Garden City, N.Y.: Doubleday, 1961A.

Goffman, Erving. *Encounters.* Indianapolis: Bobbs Merrill, 1961B.

Goffman, Erving. "On Cooling the Mark Out." In Arnold M. Rose (ed.), *Human and Social Processes.* Boston: Houghton-Mifflin, 1962.

Goffman, Erving. *Stigma: Notes on the Management of Spoiled Identity.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1963.

Goffman, Erving. *Relations in Public.* New York: Basic Books, 1971.

Goffman, Erving. *Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience.*

New York: Harper & Row, 1974.

Goffman, Erving. *Gender Advertising.* New York: Harper & Row, 1977.

Goldberg, Phillip. "Are Women Prejudiced Against Women?" *Trans-Action Society,* 5 (1968).

Goldberg, Stephen. *The Inevitability of Patriarchy.* New York: Morrow, 1973.

Goldstein, Robert Justin. *Political Repression in Modern America: From 1870 to the Present.* Cambridge, Mass.: Schenkman, 1978.

Goldstone, Jack A. "The Weakness of Organization: A New Look at Gamson's The Strategy of Social Protest." *American Journal of Sociology,* 85(5) (March 1980): 1017-42.

Goode, William J. "The Theoretical Importance of love." *American Sociological Rveiew,* 24(1) (Feb. 1959): 38-47.

Goode, William J. "A Theory of Role Strain." *American Sociological Review,* 25 (1960): 483-496.

Goode, William J. "The Protection of the Inept." *American Sociological Review,* 32(1) :Feb. 1967): 5-19.

Goode, William J. *The Celebration of Heroes: Prestige as a Social System.* Berkeley, Ca.: University of California Press, 1977.

Gordon, David M. "Capitalist Development and the History of American Cities." In William K. Tabb and Larry Sawers (eds.), *Marxism and the Metropolis: New Perspectives in Urban Political Economy.* New York: Oxford University Press, 1978.

Gordon, Milton. *Human Nature, Class and Ethnicity.* New York: Oxford university Press, 1978.

Gottman, Jean. *Megalopolis.* Cambridge: MIT Press, 1961.

Gough, Kathleen. "The Origin of the Family." *Journal of Marriage and the Family,* 33(4) (Nov. 1971): 260-70.

Gove, Walter R., and **Jeanette Tudor.** "Adult Sex Roles and Mental Illness." *American Journal of Sociology,* 78(4) (Jan. 1973): 812-35.

Gove, Walter R., Michael Hughes, and **Omer R. Galle.** "Overcrowding in the Home." *American Sociological Review,* 44 (February 1979): 59-80.

Gracey, Harry L. "Learning the Student Role: Kinder garten as Academic Boot Camp." In Dennis Wreng and Harry Gracey (eds.), *Readings in Introductory Sociology.* New York: Macmillan, 1977, pp. 243-253.

Grady, Kathleen E. "Androgyny Reconsidered." In Juanita H. Williams (ed.), *Psychology of Women.* New YOrk: W.W. Norton, 1979.

Gramsci, Antonio. *Selections from the Prison Notebook.* Quintin Hoare and Geoffry Nowell Smith (eds.). New York: International Publishers, 1971.

Greeley, Andrew M. *The American Catholic.* New York: Basic Books, 1977.

Greeley, Andrew M. "Religious Musical Chairs." *Society.* (May/June 1978): 63-9.

Greenberg, David F., and **Fay Stender.** "The Prison as a Lawless Agency." *Buffalo Law Review,* 1972.

Greene, Mark. *The Monopoly Makers.* New York: Grossman, 1973.

Greenwald, Ernest. "Attributes of a Profession." *Social Work,* 2(3) (1957): 44-55.

Greenwood, E. "Attributes of a Profession." In S. Nosow and W.H. Form (eds.), *Man, Work and Society.* New York: Basic Books, 1962.

Greer, Colin. *The Great School Legend.* New York: Viking Press, 1973.

Gruenberg, Barry. "The Happy Worker: An Analysis of Educational and Occupational Differences in Determinants of Job Satisfaction." *American Journal of Sociology.* 86(2) (1980): 247-271.

Greneat, R.S. "Sport, Social Differentiation and Social Inequality." In D.W. Ball and J.W. Loy (eds.), *Sports and Social Order: Contributions to the Sociology of Sport.* Reading Mass.: Addison-Wesley Publ. Co. Inc., 1972.

Gubrium, Jabar F. *Living andDying in Murray Manor.* New York: St. Martin's, 1975.

Guillemin, Jeanne. "Federal Policies and Indian Politics." *Society.* 17(4) (May/June 1980): 29-34.

Guindon, Hubert. "Modernization of Quebec and the Legitimacy of the Canadian State." In Daniel Glenday. Hubert Guindon, and Allan Turowetz (eds.), *Modernization and the Canadian State.* Toronto: Macmillan, 1978, pp. 212-246.

Hadaway, C. Kirk. "Changing Brands: Denominational Switching and Membership Change." In Constant H. Jacquet. Jr., *Yearbook of American and Canadian Churches, 1980.* Nashville, Tenn.: Abingdon, 1980.

Hadden, Jeffrey K. *The Gathering Storm in the Churches.* New York: Doubleday, 1969.

Hall, Edward. *The Silent Language.* Garden City, N.Y.: Doubleday, 1959.

Hall, John R. *The Ways Out: Utopian Communal Groups in an Age of Babylon.* Boston: Routledge & Kegan Paul, 1978.

Halloran, James D. "Studying Violence and the Media." In Charles Winnick (ed.), *Deviance and mass Media.* Beverls Hills, Calif.: Sage Publishers, 1979.

Hamiltons, Charles, V. "Blacks and Electoral Politics." *Social Policy,* (May/ June, 1978): 21-27.

Hamilton, Richard F. *Restraining Myths: Critical Studies of U.S. Social Structure and Politics.* New York: Bobbs-Merrill, 1975.

Hamilton, Richard F., and **James Wright.** *Directions in Political Sociology.* New York: Bobbs-Merrill, 1975.

Haney, Craig, and **Philip G. Zimbardo.** "It's Tough to Tell a High School From a Prison." *Psychology Today,* (June 1975): 26ff.

Hannon, Michael. T., Nancy Brandon Tuma, and **Lyle P. Groenveld.** "Income and Independence Effects on Marital Dissolution: Results from the Seattle and Denver Income-Maintenance Experiments." *American Journal of Sociology,* 84(3) (1978): 611-633.

Harrington, Michael. "Hiding the Other America." *The New Republic,* 176 (1977): 15-17.

Harrington. Michael. *The Other America.* New York: The Macmillan Publ. Co., 1962.

Harris, Chauncy, and **Edward Ullman.** "The Nature of Cities." *Annals of the American Academy of Political and Social Science,* 242(3) (1945): 7-17.

Harris, Marvin. *Cannibals and Kings: the Origins of Culture.* New York: Random House, 1977.

Hartman, Moshe. "On the Definition of Status Inconsistency." *American Journal of Sociology,* 80 (November 1974): 706-721.

Harvey, Edward B. *Educational Systems and the Labour Market.* Toronto: Longman, 1974.

Hauser, Philip, and **Leo F. Schnore.** *The Study of Urbanization.* New York: Wiley, 1965.

Hauser, Robert M., and **David L. Featherman.** *The Process of Stratification: Trends and Analysis.* New York: Academic Press, 1977.

Heilbroner, Robert L., and **P. London.** *Corporate Social Policy.* Reading, MA: Addison-Wesley, 1975.

Henley, Nancy M. *Body Politics: Power, Sex and Nonverbal Communication.* Englewood Cliffs. N.J.: Prentice-Hall, 1977.

Hensley, Thomas R., and **Jerry M. Lewis.** *Kent State and May 4th: A Social Science Perspective.* New York: Kendall-Hunt, 1978.

Herberg, Will. *Protestant, Catholic, Jew.* New York: Doubleday, 1960.

Herndon, james, *The Way It Spozed to Be.* New York: Simon & Schuster, Inc., 1965.

Hess, Beth B. (ed.). *Growing Old in America,* 2nd ed. New Brunswick, N.J.: Transaction, 1980.

Hess, Beth B., and **Elizabeth W. Markson.** *Aging and Old Age: An Introduction to Social Gerontology.* New York: Macmillan Publishing Co., 1980.

Hess, Beth, and **Joan waring.** "Changing Patterns of Aging and Family in Later Life." *The Family Coordinator,* 27(4) (Oct. 1978).

Hesse, Sharlene J., Ina B. Burstein, and **Geri E. Atkins.** "Sex Roles in Public Opinion Questionnaires." *Social Policy,* (Nov/Dec. 1979): 51-56.

Hewitt, Christopher. "The Effect of Political Democracy and Social Democracy on Equality in Industrial Societies: A Cross-National Comparison." *American Sociological Review,* 42(5) (1977): 450-464.

Hewitt, John P. Self and Society. Boston: Allyn, 1976. Heyl, Barbara S. *The Madame as Entrepreneur: The Political Economy of a House of Prostitution.* New Brunswick, N.J.: Transaction Books, 1977.

Hugginbotham, Elizabeth. "Is marriage a Priority? Class Differences in Marital Options of Educated Black Women." In Peter Stein (ed.), *Single Life.* New York: St. Martin's Press, 1981, pp. 259-267.

Hightower, Jim. "Hard Tomatoes, Hard Times: Failure of the Land Grant College Complex." *Transaction.* 10(1) (Nov./Dec. 1972): 10-22.

Hill, Robert. "The Illusion of Black Progress." *Social Policy.* (Nov./Dec. 1978): 14-25.

Hill, Robert. *The Strength of Black Families.* New York: Emerson Hall, 1972.

Hindelang, Michael J. "Sex Differences in Criminal Activity." *Social Problems,* 27(2) (1979): 143-156.

Hindelang, Michael J., Travis Hirschi, and **Joseph G. Weis.** "Correlates of Delinquency: The Illusion of Discrepancy Between Self-Report and Official Measures." *American Sociological Review,* 44(6) (1979): 995-1014.

Hollingshead, August B., and **Frederick Redlich.** *Social Class and Mental Illness.* New York: John Wiley, 1958.

Holt, John. *How Children Fail.* New York: Pitman Publishing Corp., 1964.

Homans, George C. *The Human Group.* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1950.

Homans, George C. *Social Behavior: Its Elementary Forms.* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1961.

Hook, E.B. "Behavioral Implications of the Human XYY Genotype." *Science,* 179 (1973): 139-150.

Hooton, Ernest Albert. *Crime and the Man.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1939.

Hopper, Rex D. "The Revolutionary Process." *Social Forces,* 28 (march 1950): 207-279.

Horowitz, Irving Louis. "the Life and Death of Project Camelot." *Transaction,* 3(1) (Nov./Dec. 1965): 3ff.

Houseman, John. "The Men from Mars." *Harper's Magazine,* 197 (December 1948): 78-82.

Howard, Ebenezer. *Garden Cities of Tomorrow.* Cambridge: M.I.T. Press, 1965.

Hoyt, Homer. *The Structure and Growth of Residential Neighborhoods in American Cities.* Washington, D.C.: U.S.G.P.O., 1939.

Humphreys, Laud. *Out of the Closets: The Sociology of Homosexual Liberation.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall 1972.

Humphreys, Laud. *Tearoom Trade: Impersonal Sex in Public Places.* New York: Aldine, 1975.

Hunt, J. McVicker. "Psychological Development: Early Experience." *Annual Review of Psychology,* 30 (1979): 103-149.

Hunter, Floyd. *Community Power Structure.* Chapel Hill, N.C.: University of North Carolina Press, 1953.

Hyman. Herbert H. "The Psychology of Status." *Archives of Psychology,* 37 (1942): 15.

Ianni, Francis A. J. *Black Mafia: Ethnic Succession in Organized Crime.* New York: Simon & Schuster, 1974.

Ianniello, Lynne. "The Missing Women of Orleans." *Bulletin of the Anti-Defamation League of B'nai B'rith.* 26(6) (June 1969): 3-4.

Jacobs, David, and **David Britt.** "Inequality and Police Use of Deadly Forece: An Empirical Assessment of a Conflict Hypothesis." *Social Problems.* 26(4) (April 1979): 403-412.

Jacobs, Jane. *Death and Life of Great American Cities.* New York: Random House, 1961.

Jacquet, Constant H., Jr. *Yearbook of American and Canadian Churches, 1980.* Nashville Tenn.: Abington, 1980.

Jaffee, Jerome. "Jaffee Defends Disorder Label for Habitual Smokers." *Psychiatric News* (American Psychiatric Association). (Oct. 6, 1975): 35, 39.

Jastrow, Robert. "Have Astronomers Found God?)" *The New York Times Magazine,* June 25, 1978. pp. 19-29.

Jay, Karla, and **Allen Young.** *The Gay Report.* New York: Summit Books, 1979.

Jencks, Christopher. "What's Behind the Drop in Test Scores." *Working Papers,* (July/Aug. 1978): 29-41.

Jencks, Christopher, et al. *Who Gets Ahead? The Determinants of Economic Success in America.* New York: Basic Books, 1979.

Jensen, Arthur. *Educability and Group Differences.* New York: Harper & Row, 1973.

Jensen, Arthur. "How Much Can We Boost I.Q. and Scholastic Achievement?" *Harvard Educational Review,* 39 (Winter 1969): 1-23.

Johnson, Charles E., Jr. *Non-Voting Americans.* Current Population Reports, Special Studies, series p-23. No. 102, April, 1980. U.S. Dept of Commerce. Bureau of the Census.

Johnson, Marilyn. "Women and Elective Office". *Society.* 17(4) (May/June 1980): 63-69.

Kandel, Denise, and **Gerald S. Lesser.** Marital Devision-Making in American and Danish Urban Families." *Journal of Marriage and the FAmily.* 30 (Feb 1969): 134-138.

Kandel, Denies. "Inter-and Intragenerational Influences on Adolescent Marijuana Use." *Journal of Social Issues,* 30(2) (1974): 107-136.

Kanter, Rosabeth Moss. *Commitment and Community.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press. 1972.

Kanter, Rosabeth Moss. "Why Bosses Turn Bitchy." *Psychology Today,* 9(1) (May 1976): 56-59.

Kanter, Rosabeth Moss. *Men and Women of the Corporation.* New York: Basic Books, 1977.

Kessler, Ronald C., and **Paul D. Cleary.** "Social Class and Psychological Distress." *American Sociological Review,* 45(3) (June 1980): 463-78.

King, David R. "The Brutalization Effect: Executive Publicity and the Incidence of Homicide in South Carolina." *Social Forces,* 57(2) (1978): 683-687.

Kinsey, Alfred, Wardell B. Pomeroy, and **Clyde E. Marrin.** *Sexual Behavior in the Human Male.* Philadelphia: Saunders. 1948.

Kipnis, David. *The Powerholders.* Chicago: University of Chicago Press, 1976.

Kitano, Harry. *Japanese Americans.* Englewood Cliffs, N.J: Prentice-Hall, 1976.

Kluckhohn, Clyde, and **Alfred L. Kroeber** (eds.). *Culture.* New York: Random House, 1951.

Kluckhohn, Clyde, and **Henry Murray** (eds.). *Personality in Nature. Society and Culture* (1st ed.). New York: A.A. Knopt, 1948.

Kochan, Thomas A. "How American Workers View Labor Unions." *Monthly Labor Review,* 102(4) (April 1979): 23-31.

Kohn, Melvin L. "Occupational Structures and Alienation". *American Journal of Sociology,* 82(1) (1976): 111-130.

Kohen Melvin L. "Bureaucratic Men: A Portrait and an Interpretation." *American Sociological Review,* 36 (June 1971): 461-474.

Kohn, Melvin L. *Class and Conformity: A Study in Values* (2nd ed.). Chicago: University of Chicago Press, 1977.

Komarovsky, Mirra. *Dilemmas of masculinity.* New York: W.W. Norton, 1976.

Kornhauser, William. "Power Elite' or 'Veto Groups'?" In Seymour Martin Lipset and Leo Lowenthal (eds.), *Culture and Social Character.* Glencoe, Ill.: The Free Press, 1961.

Kozol, Jonathan. *Death at an Early Age.* Boston: Houghton-Mifflin Co., 1967.

Kristol, Irving. *Two Cheers for Capitalism.* New York: Basic Books, 1978.

Kroeber, A. L., and **Clyde Kluckhohn.** *Culture.* New York: Vintage, 1952.

Kuhn, Thomas S. *The Structure of Scientific Revolutions.* Chicago University of Chicago Press, 1962.

Laczko, Leslie. "Feelings of Threat Among English-speaking Quebecers." In Daniel Glenday, Hubert Guindon, and Allan Turowetz (eds.), Modernization and the Canadian State. Toronto: Macmillan, 1978, pp. 280-296.

Laing, R.D. "Mystification and the Family." In Peter J. Stein. Judith Richman, and Natalie Hannon (eds.). *The Family.* Reading, Mass.: Addison-Wesley, 1977.

Lamb, Michael. "Influence of the Child and Marital Equality and Family Interaction During the Prenatal, Perinatal and Infancy Periods." In Richard M. Lerner and Graham Spanier (eds.), *Child Influences on Marital and Family Interaction.* New York: Academic Press, 1978, pp. 137-163.

Laner, Mary Riege. "Prostitution as an Illegal Vocation: A Sociological Overview." In Clifton D. Bryant (ed.), *Deviant Behavior: Occupational and Organizational Bases.* Chicago: Rand McNally, 1974.

Lang, Anthony. *Synanon Foundation: The People's Business.* Cottonwood, Ark.: Wayside Press, 1978.

Lapidus, Gail W. *Women in Soviet Society: Equality, Development and Social Change.* Berkeley: University of California Press, 1978.

Larkin, Ralph W. Suburban Youth in Cultural Crisis. New York: Oxford University Press, 1979.

Le Bon, Gustave. *The Crowd: A Study of the Popular Mind.* London: Ernest Benn, Ltd., 1896.

Le masters, E. E. *Blue Collar Aristocrats: Life Styles at a Working Class Tavern.* Madison, Wisc.: University of Wisconsin Press, 1975.

Lenski, Gerhard, and **Jean Lenski.** *Human Societies.* New York: McGraw-Hill, 3rd ed., 1978.

Lenski, Gerhard. "Status Crystallization: A Non-Verticle Dimension of Social Status." *American Sociological Review,* 19 (1954): 405-513.

Lenski, Gerhard. "Marxist Experiments in Destratification: An Appraisal." *Social Forces,* 57(2) (Dec. 1978): 364-383.

Lenski, Gerhard. *Power and Privilege: A Theory of Social Stratification.* New York: McGraw Hill, 1966.

Leon, Carol. "Employment and Unemployment in the First Half of 1979." *Monthly Review,* 102(8) (August 1979).

Levine, Daniel U., and **Jeanie Kenny Myer.** "Level and Rate of Desegregation and White Enrollment Decline in a Big City School District." *Social Problems,* 24(4) (1977): 451-462.

Levine, Martin P. (ed.). *Gay Men: The Sociology of Male Homosexuality.* New York: Harper & Row, 1979.

Levinson, Daniel. *Seasons of a Man's Life.* New York: Knopf, 1978.

Levi-Strauss, Clayde. *Elementary Structures of Kinship.* Boston: Beacon, 1969.

Levi-Strauss, Claude. "The Principle of Reciprocity." In Rose Laub Coser (ed.), *The Family: Its Structures and Functions.* New York: St. Martins Press, 1964.

Levitan, Sar, and **Benjamin H. Johnson.** *The Job Crops: A Social Experiment that Works.* Baltimore: Johns Hopkins University Press, 1976.

Levy, Marion J. *The Structure of Society.* Princeton, N.J.: Princeton University

Press, 1952.

Levy-Bruhl, Lucien. *How Natives Think.* (Authorized translation by Lilian A. Claire) London: G. Allen & Unwin Ltd., 1926.

Lewis, Michael. *The Culture of Inequality.* Amherst. Mass.: The University of massachusetts Press, 1978.

Lewis, Oscar. *Four Families: Mexican Case Studies in the Culture of Poverty.* New York: Basic Books, 1959.

Lewis, Robert (ed.). *Men in Troubled Times.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1981.

Liebow, Elliot. *Tally's Corner: A Study of Negro Street-corner Men.* Boston: Little, Brown, 1967.

Lipetz, Marcia J., and **Catherine White Berheide.** "The Women's Movement." In Robert L. Ellis and Marcia J. Lipetz (eds.), *Essential Sociology.* Glenview, Ill.: Scott, Foresman, 1979.

Lipset, Seymour Martin, and **Reinhard Bendix.** *Social Mobility in Industrial Society.* Berkeley, Los Angeles: University of California Press, 1959.

Livson, Florine. "Sex Differences in Personality Development in the Middle Adult Years: A Longitudinal Study." Paper presented at Annual Meetings of the Gerontological Society, Louisville, KY, 1973.

Lopata, Helene Znaniecki. *Widowhood in an American City.* Cambridge, Mass.: Schenckman, 1973.

Lorence, Jon, and **Jeylan T. Mortimer.** "Work Experience and Political Orientation: A Panel Study." *Social Forces,* 58(2) (Dec. 1979): 651-676.

Louv. Richard. "The Appalachia Syndrome." *Human Behavior,* (1977).

Lukes, Steven, *Power: A Radical View.* Atlantic High-lands, N.J.: Humanities Press, 1974.

Lundberg, Ferdinand. *The Rich and the Super Rich.* New York: Bantam, 1968.

Lyman, Stanford M. *Chinese Americans.* New York: Random House, 1974.

Lynch, james. *The Broken Heart: The Medical Consequences of Loneliness.* New York: Basic Books, 1977.

Lynden, Patricia. "Where the Donald Trumps Rent." *The New York Times,* Aug. 30, 1979, pp. C1, C8.

Maccoby, Eleanor Emmons, and **Carl Nagy Jacklin.** *The Psychology of Sex Differences.* Palo Alto, Calif: Stanford University Press, 1974.

MacKenzie, R.D. "The Scope of Human Ecology." *Publications of the American Sociological Society,* 20 (1926).

Macklin, Eleanor. "Nonmarital Heterosexual Cohabitation." *Marriage and Family Review,* I(2) (March/April 1978).

Mair, Lucy. *Marriage.* Middlesex, England: Penguin Books, 1971.

Malcom, Andrew H. "New Family Trends Reported in Canada." *The New York Times,* Jan. 2, 1980, p. A7.

Malinowski, Bronislaw. "The Principle of Legitimacy: Parenthood, The Basis of Social Structure." In Rose Laub Coser (ed.), *The Family: Its Structure and Functions.* New York: St. Martin's Press, 1964.

Malinowski, Bronislaw. *Sexual Life of Savages in North-western Melanesia.* New York: Harcourt, Brace, Jovanovich, 1962.

Malinowski, Bronislaw, *Argonauts of the Western Pacific* (1922). New York: E.P. Dutton & Co., Inc., 1961.

Malinowski, Bronislaw. *Magic, Science and Religion* (1948). Garden City, N.Y.: Doubleday Anchor. 1955.

Malone, Karen. *HMOS As an Alternate Modeof Care for the Elderly.* Washington, D.C.: Urban Institute. August 1979.

Mann, John. *Learning to Be: The Education of Human Potential.* New York: Free Press, 1972.

Manning, Peter, and **Laurence Redlinger.** "The Invitational Edges of Corruption." In Paul Rock (ed.), *Politics and Drugs.* New York: Dutton/Society Books, 1976.

Margolis, Jon. "Revisiting the Watergate Cast." *Boston Globe,* Aug. 5, 1979, p. A-1.

Marjoribanks, Kevin. "Ethics and Environmental Influences on Mental Abilities." *American Journal of Sociology,* 78(2) (1972): 323-337.

Markusen, Ann R. "City Spatial Structure, Women's Household Work, and National Urban Policy." SIGNS, 5(3) (1980) (Special Supplement on Women and the American City): 523-544.

Marsden, Lorna, and **Edward B. Harvey.** *Fragile Federation: Social Change in Canada.* Toronto: McGraw-Hill Ryerson Ltd., 1979.

Marshall, Eliot. "Unemployment Comp is Middle-Class Welfare." *The New Republic,* (Feb. 19, 1977).

Marshall, Victor (ed.). *Aging in Canada.* Pickering. Ontario: Fitzhenry & Whiteside, 1980.

Martin. Walter T. "The Structure of Social Relationships Engendered by Suburban Relationships". *American Sociological Review,* 21 (Aug, 1956): 446-453.

Marx, Karl. *Selected Writings in Sociology and Social Philosophy.* London: McGraw-Hill, 1865/1965.

Marx, Karl, and **Fredrick Engels.** *The Commons: Manifesto.* London: Allen & Unwin, 1847/1948.

Marx, Gary T. "Issueless Riots." *Annals of the American Academy of Political and Social Science.* 391 (Sept. 1970): 21-33.

McCarthy, John D., and **Mayer N. Zald.** "Resource Mobilization and Social Movements: A Partial Theory." *American Journal of Sociology,* 82(6) (May 1977): 1212-1241.

McGee, Reese. "The Economics of Conglomerate Organization." *Society* (November/December 1979).

McKinley, John B., and **Sonya M. McKinley.** "The Questionable Contribution of Medical Measures to the Decline of Mortality in the United States in the 20th Century." *Millbank Memorial Quarterly* (Health & Society Issue), 55(3) (1977): 405-428.

Meadows, Donnella H., et al. *The Limits to Growth.* New York: New American Library, 1972.

Mercer, Jane. *Labeling the mentally Retarded.* Berkeley, Calif.: University of California Press, 1973.

Mercer, Jan. *The Other Half: Women in Australian Society.* Ringwood (Victoria), Australia: Penguin, 1977.

Mercer, Jan (ed.). *The Other Half: Women in Australian Society.* Ringwood, Australia: Penguin, 1977.

Merton, Robert K. *On the Shoulders of Giants: A Shandean Postscript.* New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1967.

Merton, Robert K. *Social Theory and Social Structure.* New York: Free Press, 1957.

Merton Robert K. "Manifest and Latent Functions." In *Social Theory and Social Structure.* New York: Free Press, rev. ed. 1968.

Merton, Robert K. "The Matthew Effect in Science." In Norman W. Storer (ed.), *The Sociology of Science: Theoretical and Empirical Investigations.* Chicago: University of Chicago Press, 1973.

Merton, Robert K. "Patterns of Influence: A Study of Interpersonal Influence and of Communications Behavior in a Local Community." In Paul F. Lazarsfeld and Frank N. Stanton (eds.), *Communications Research 1048-1949.* New York: Harper & Row, 1949.

Merton, Robert K. *Social Structure and Anomie.* New York: Free Press, 1957.

Michelson, William. *Environmental Choice, Human Behavior and Residential Satisfaction.* New York: Oxford University Press, 1977.

Milgram, Stanley. "The Experience of Living in Cities." *Science.* 167 (March 1970): 1461-1468.

Milgram, Stanley. *Obedience to Authority.* New York: Harper, 1973.

Milgram, Stanley. "Some Conditions of Obedience and Disobedience to Authority." *Human Relations,* 18 (1965): 57-75.

Mills, C. Wright. *The Power Elite.* New York: Oxford University Press, 1965.

Mills, C. Wright. *The Sociological Imagination.* New York: Oxford University Press, 1959.

Mirande, Alfredo. "The Chicano Family: A Reanalysis of Conflicting Views." *Journal of Marriage and the Family.* 39(4) (Nov. 1977): 747-756.

Moffet, Samuel E. *The Americanization of Canada.* Toronto: University of Toronto Press, 1972.

Moinet, Sheryl M. "Black Ghetto Residents and Rioters." *Journal of Social Issues,* 28 (1972): 28-45.

Mollenkopf, John H. "The Postwar Politics of Urban Development." In William Tabb and larry Sawers (eds.), *Marxism and the Metropolis: New Perspectives in Urban Political Economy.* New York: Oxford University Press, 1978.

Moore, Gwen. "The Structure of a National Elite Network." *American Sociological Review,* 44(5) (1979): 673-692.

Moore, Joan. *Mexican Americans.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1976.

Morgan, Robin. *Sisterhood Is Powerful.* New York: Random House, 1970.

Morgan, William R., Duane L. Alwin, and **Larry J. Griffin.** "Social Origins, Parental Values, and the Transmission of Inequality." *American Journal of Sociology,* 85(1) (July 1979): 156.

Morowitz, Harold T. *Foundations of Bioenergetics.* New York: Academic press, 1978.

Morris, Desmond, et al. **Gestures.** New York: Stein & Day, 1979.

Mottl, Tahi L. "The Analysis of Countermovements." *Social Problems,* 27(5) (June 1978): 620-635.

Mueller, Charles W., and **Hallowell Pope.** "Marital Instability: A Study of Its Transmission Between Generations." *Journal of Marriage and the Family,* 39(1) (Feb. 1977): 83-94.

Mumford, Lewis. *The Transformations of Man.* Peter Smith, 1956.

Nagel, William. "Stream of Consciousness: A View of Prisonia." *Pyschology Today,* 14(3) (1980): 78.

Nelson, Randle W., and **David Nock** (eds.). *Reading, Writing and Riches: Education and the Socio-Economic Order in North America.* Kitchener, Ontario: Dumont Press, 1978.

Newcomb, Paul R. "Cohabitation in America." *Journal of marriage and the Family,* 41(3) (August 1979).

Newcomb, Theodore. *Personality and Social Change: Attitude Formation in a Student Community.* New York: Dryden, 1943.

Newcomb, Theodore. "Attitude Development as a Function of Reference Group: The Bennington Study." In Eleanor Maccoby, Theodore Newcomb and Eugene Hartley (eds.), *Readings in Social Psychology.* New York: Holt, 1958.

Newfield, Jack, and **Paul Du Brul.** *The Abuse of Power: The Permanent Government and the Fall of New York.* New York: Penguin Books, 1978.

Newman, O. *Defensible Space.* New York: Macmillan, 1972.

Newman, Pauline. "The Way It Was." *New York Times,* 9-1-1980.

Niederhoffer, Arthur, and **Elaine Niederhoffer.** *The Police Family.* Lexington, MA: Lexington Books, 1978.

Niemi, Richard G., and **B. I. Sobieszek.** "Political Socialization." *Annual Review of Sociology,* 3 (1977): 209-233.

Nock, Steven L., and **Peter H. Rossi.** "Household Types and Social Standing." *Social Forces,* 57(4) (June 1979): 1325-1345.

Norris, Vera. *Mental Illness in London.* New York: Oxford University Press, 1959.

Norwood, Janet L., and **Elizabeth Waldman.** "Women in the Labor Force." U.S. Department of labor, Bureau of Labor Statistics, Report 575, October 1979.

Ogburn, William T. *Social Change: With Respect to Culture and original nature.* New York: B. W. Huebsch, 1922.

Orum, Anthony M. "Individual Autonomy and Social Constraints in the Political Arena: Signs and Designs in the United States." Paper presented at the annual meeting of the Society for the Study of Social Problems, New York City, 1976.

Orro, Luther B., and **Archibald O. Haller.** "Evidence for a Social Psychological View of the Status Attainment Process: Four Studies Compared." *Social Forces,* 57(3) (March 1979); 887-914.

Ohchi, William. *Theory Z Corporations: How American Business Can Meet the Japanese Challenge.* Reading, MA: Addison-Wesley, 1981.

Overbeek, Johannes. *Population and Canadian Society.* Toronto (Canada): Butterworth & Co., 1980.

Page, Ann L., and **Donald Clelland.** "The Kanawha County Textbook Controversy: A Study of Politics of Lifestyle Concerns." *Social Forces,* 57(1) (1978).

Parenti, Michael. *Power and Powerlessness.* New York: St. Martin's Press, 1978.

Parrillo, Vincent N. *Strangers to These Shores: Race and Ethnic Relations in the United States.* Boston: Houghton-Mifflin, 1980.

Parsons, Talcott, and **Robert F. Bales.** *Family, Socialization, and Interaction Process.* Glencoe, Ill.: Free Press, 1955.

Parsons, Talcott. *The Social System.* New York, Free Press, 1951.

Pearce, Diane M. "Gatekeepers and Homeseekers: Institutional Factors in Racial Steering." *Social Problems* 26(3) (Feb. 1979): 325-342.

Persell, Caroline Hodges. *Education and Inequality.* New York: Free Press, 1977.

Perspectives Canada Ill. Ottawa, Canada. Statistics Canada 1980.

Peter, Laurence J., and **Raymond Hull.** *The Peter Principle: Why Things Always Go Wrong.* New York: Morrow, 1969.

Peterson, William. *Population.* New York: Macmillan, 1975.

Phillips, David P., and **Kenneth A. Feldman.** "A Dip in Deaths Before Ceremonial Occasions: Some New Relationships Between Social Integration and Mortality." *American Sociological Review,* 38(6) (1973): 678-696.

Phillips, David P. "The Influence of Suggestion on Suicide: Substantive and Theoretical Implications of the Werther Effect." *American Sociological Review,* 39(3) (1974): 340-354.

Phillips, David P. "Suicide, Motor Vehicle Fatalities, and the Mass Media: Evidence Toward a Theory of Suggestion." *American Journal of Sociology,* 84(5) (1979): 1150-1174.

Piliavin, J.A., and **J.M. Piliavin.** "Effect of Blood on Reactions to a Victim." *Journal of Personality and Social Personality,* 23 (1972): 353-361.

Pincus, Fred L. "The False Promises of Community Colleges: Class Conflict and Vocational Education." *Harvard Education Review,* 50 (August 1980): 332-361.

Pincus, Fred L. "On the Higher Voc-Ed in America." *Social Policy,* (May/June 1979): 34-42.

Pinkney, Alphonso. *Black Americans.* Englewood Cliffs. N.J.: Prentice-Hall, 1975.

Pinkney, Alphonso. *Red, Black and Green: Black Nationalism in the United*

States. New York: Cambridge University Press, 1976.

Piven, Frances Fox, and **Pichard A. Cloward.** *Poor People's Movements.* New York: Pantheon, 1977.

Piven, Frances Fox, and **Richard A. Cloward.** *Regulating the Poor.* New York: Vintage, 1971.

Placek, Paul J., and **Gerry E. Hendershot.** "Public Welfare and Family Planning: An Empirical Study of the 'Brood Sow' Myth." *Social Problems,* 21(5) (June 1974); 658-673.

Pleck, Elizabeth H., and **Joseph H. Pleck.** *The American Man,* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall. 1980.

Popenoe, David. *The Suburban Environment.* Chicago: University of Chicago Press, 1977.

Population Reference Bureau. *Intercom.* 8(2) (Feb. 1980).

Population Reference Bureau. *World Population Data Sheet, 1981.* Washington, D.C.

Porter, John. *The Vertical Mosaic.* Toronto: University of Toronto Press, 1965.

Presidents Commission on Law Enforcement and the Administration of Justice. *The Challenge of Crime in a Free Society.* Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, 1967.

Quinney, Richard. *Critique of Legal Order: Crime Control in Capitalist Society.* Boston: Little, Brown, 1974.

Quinney, Richard, and **John Wildeman.** *The Problem of Crime* (2nd ed.). New York: Harcourt, Brace. Jovanovich, 1977.

Radcliffe-Brown, Alfred Reginald. *The Andaman Islanders.* New York: Free Press 1964.

Ragan, Pauline, and **William J. Davis.** "The Diversity of Older Voters." *Society.* 15(5) (July/August 1978): 50-53.

Rainwater, Lee. "Crucible of Identity: The Negro Lower Class Family." *Daedalus.* 95(1) (Winter 1966).

Rainwater, Lee, and **William L. Yancey** (eds.). *The Movnihan Report and the Politics of Controversy.* Cambridge Mass.: Massachusetts Institute of Technology Press, 1967.

Ratcliff, Richard E. "Capitalist Class Impact on the Lending Behaviors of Banks." *American Sociological Review.* 45(4) (August 1980): 553-570.

Ravitch, Diane. *The Great School Wars.* New York: Basic Books, 1974.

Ray, Michael D., et al. *Canadian Urban Trends.* Toronto: Copp Clark, 1977.

Redfield, Robert. *The Folk Culture of Yucatan.* Chicago: University of Chicago Press, 1941.

Richards, Pamela. "Middle-Class Vandalism and Age-Status Conflict." *Social Problems,* 26(4) (April 1979).

Richmond, Anthony H. "Immigration, Population and the Canadian Future." In Daniel Glenday, Hubert Guindon, and Allan Turowetz (eds.). *Modernization and the Canadian State.* Toronto: Macmillan, 1978, pp. 301-316.

Ridgfway, Sally. "Suburban Women: Myths and Realities." Paper presented at the annual meetings of the Society for the Study of Social Problems, August 1981.

Riesman, David. *The Lonely Crowd.* New Haven, Conn.: Yale University Press, 1950.

Riley, Matilda White. *Sociological Research: A Case Approach.* New York: Harcourt, Brace and World, 1963.

Riley, Matilda White, Anne Foner, Beth Hess, and **Marcia Toby.** "Socialization to the Middle and Later Years." In David A. Goslin (ed.), *Handbook of Socialization Theory and Research.* New York: Rand McNally, 1968.

Riley, Matilda White, Marilyn Johnson, and **Anne Foner.** *Aging and Society, Vol. 3: A Sociology of Age Stratification.* New York: Russell Sage Foundation, 1972.

Riley, Matilda White, and **Joan M. Waring.** "Age and Aging." in Robert K. Merton and Robert Nisbet (eds.), *Contemporary Social Problems,* 4th ed. New York: Harcourt Brace Jovanovich, 1976.

Rist, Ray C. *The Invisible Children: School Integration in American Society.* Cambridge, Mass.: Harvard University Press, 1978.

Roach, Jack L., and **Janet K. Roach.** "Mobilizing the Poor: Road to a Dead End." *Social Problems* 26(2) (Dec. 1978): 160-171.

Robbins, Thomas, and **Dick Anthony.** "New Religions, Families and Brain

Washing." *Society,* 15(4) (May/June 1978): 77-83.

Roof, Wade Clard. Alienation and Apostasy." *Society,* (May/June 1978): 41-45.

Roof, Wade Clark. *Community and Commitment: Religious Plausibility in a Liberal Protestant Church.* New York: Elsevier-North Holland, 1978.

Roof, Wade Clark. "Socioeconomic Differentials Among White Socio-Religious Groups in the United States." *Social Forces,* 58(1) (1979).

Roper, Elmo, et al. *Virginia Slims Poll.* 1980.

Rose, Stephen J. *Social Stratification in the United States.* Baltimore, MD.: Social Graphics Co., 1979.

Rosenbaum, James E. The Structure of Opportunity in School." *Social Forces,* 57(1) (Sept. 1978): 236-256.

Rosenberg, Morris, and **Leonard I. Pearlin.** "Social Class and Self-Esteem Among Children and Adults." *American Journal of Sociology,* 84(1) (1978): 53-77.

Rosenthal, Robert, and **Lenore Jacobson.** *Pygmalion in the Classroom.* New York: Holt, Rinehart & winston, 1968.

Rosow, Irving. "And Then We Were Old." *Transaction/Society,* 2(2) (1965): 20-26.

Ross, H. Laurence, Donald T. Campbell, and **Gene V. Glass. "Determining the Social Effects of a Legal Reform: The British 'Breathalyzer' Crackdown of 1967."** *American Behavioral Scientist,* 13(4) (1970): 493-509.

Rossell, Christine H. "School Desegregation and Community Social Change." *Law and Contemporary Problems.* 42 (Spring 1978).

Rossi, Alice. "Equality Between the Sexes: An Immodest Proposal." *Daedalus,* 93(2) (1964): 607-652.

Roszak, Theodore. *Making of a Counter-Culture.* New York: Doubleday, 1969.

Rothman, David. *The Discovery of the Asylum.* Boston: Little, Brown, 1971.

Rothschild-Whitt, Joyce. "Private Ownership and Worker Control in Holland." *Working Papers,* 8(2) (March-April, 1981): 22-25.

Roy, Donald. "Danana Time: Job Satisfaction and Informal Interaction."

Human Organization, 18 (Winter 1959): 158-168.

Roy, Gilles. "Centrality and Mobility: The Case of the National Hockey League." M. Sc. Thesis, University of Waterloo, Canada, 1974.

Rubin, Jeffrey Z., Frank J. Provenzano, and Zella Luria. "The Eye of the Beholder: Parents' Views on Sex of Newborns." In Juanita H. Williams (ed.), *Psychology of Women.* New YOrk: W. W. Norton and Co., 1979.

Rubin, Lilian. *Women of a Certain Age.* New York: Harper & Row, 1979.

Rubin, Lilian. *Worlds of Pain.* New York: Harper & Row, 1975.

Ruesch, Jurgen, and **Gregory Bateson.** *Communication: The Social Matrix of Psychiatry.* New York: W. W. Norton & Co., 1951.

Ryan, William. *Blaming the Victim.* New York: Vintage, 1972.

Sabine, George H. *A History of Political Theory.* New York: Holt, 1947.

Saegart, Susan. "Masculine Cities and Feminine Suburbs: Polarized Ideas, Contradictory Realities." In Catherine R. Stimpson, et al. (eds.), *Women and the American City.* Chicago: University of Chicago Press, 1981.

Sanday, Peggy R. "Female Status in the Public Domain." In Michelle Zimbalist Rosaldo and Louise Lamphere (eds.), *Women, Culture and Society.* Stanford, Calif.: Stanford University Press, 1974.

Sapir, Edward. *Selected Writings of Edward Sapir.* In David G. Mandelbaum (ed.), *Language, Culture and Personality.* Berkeley, CA: University of California Press, 1949.

Satow, Roberta. "Pop Narcissism." *Psychology Today.* (October 1979): 14-17.

Satterfield, J.H., D.P. Cantwell, and **B. T. Satterfield.** "Pathophysiology of the Hyperactive Child Syndrome." *Archives of General Psychiatry,* 31 (1974): 839-844.

Schachter, Stanley. "Obesity and Eating." In Darrell J. Steffensmeier and Robert M. Terry (eds.), *Examining Deviance Experimentally.* Port Washington, N.Y.: Alfred Publ. Co., 1975. pp. 137-153.

Scheff, Tomas. *Being Mentally Ill: A Sociological Theory.* Chicago: Aldine Publishing Co., 1966.

Scheff, Thomas. "The Societal Reaction to Deviance: Ascriptive Elements in

the Psychiatric Screening in Mental Patients in a Midwestern State." *Social Problems,* 11 (Spring 1964): 401-413.

Schoen, Kenneth F. "The Strong Box." *Journal of Current Social Issues,* 16(2) (1979): 68-70.

Schoen, Robert. "California Divorce Rates by Age at First Marriage and Duration of First Marriage." *Journal of marriage and the Family,* 37(3) (August 1975).

Schumpeter, Joseph A. *Capitalism, Socialism, and Democracy.* New York: Harper, 1942.

Schur, Edwin. *The Awareness Trap: Self Absorption Instead of Social Change,* New YOrk: Harper, 1942.

Schur, Edwin. *The Awareness Trap: Self Absorption Instead of Social Change.* New York: McGraw-Hill, 1976.

Schwartz, Barry. "The Effect in Philadelphia of Pennsylvania's increasing penalties for rape and attempted rape." *J. Crim. Law, Criminology, and Police Science.* 59-509-515, 1968.

Schwartz, Barry. "The Effect of Increased Penalties for Rape and Attempted Rape", *Journal of Criminal Law, Criminology and Police Science,* 59-509-515, 1968.

Schwartz, Barry. In Steffensmeier, Darrell and Robert Terry (eds.), *Examining Deviance Experimentally.* New York: Alfred, 1975.

Sears, David O. "Political Socialization." In Fred I. Greenstein and Nelson W. Polsby (eds.), *handbook of Political Science, Vol. II.* Reading, Mass: Addison-Wesley, 1975.

Seeman, Melvin. "The Signals of 68: Alienation in Pre-Crisis France." *American Sociological Review,* 37(3) (1972): 385-402.

Service, Elman R. *Profiles in Ethnology.* New York: Harper & Row, 1963.

Sharp, Lauriston. "Steel Axes for Stone Age Australians." In Edward Sapir (ed.), *Human Problems in Technological Change.* New York: Wiley, 1952.

Sheehan, Susan. *A Welfare Mother.* Boston: Houghton-Mifflin, 1976.

Sheehy, Gail. *Passages: Predictable Crises of Adult lib.* New York: E.P. Dutton & Co., Inc., 1976.

Sheldon, William H. *Varieties of Delinquent Youth.* New York: Harper & Row, 1949.

Shellow, Robert, and **Derek V. Roemer.** "No Heavens 'Hell's Angels'." *Transaction,* (July-August 1966): 12-19.

Shepard, Jon, and **Harlan Voss.** *Social Problems.* New York: Macmillan, 1978.

Sherif, Muzafer. "A Study of Some Social Factors in Perception." *Archives of Psychology,* 187 (1935).

Sherman, Howard J., and **James L. Wood.** *Sociology Traditional and Radical Perspectives.* New York: Harper & Row, 1979.

Shibutani, Tamotsu. *Society and Personality: An Interactionist Approach to Social Psychology.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1961.

Shibutani, Tamotsu. *Improved News: A Sociological Study of Rumor.* Indianapolis: The Bobbs-Merrill Co. Inc., 1966.

Shibutani, Tamotsu. "Reference Groups as Perspectives." *American Journal of Sociology,* 60 (1955): 562-569.

Shils, Edward A. "Primary Groups in the American Army." In Robert K. Merton and Paul Lazarsfeld (eds.), *Continuities in Social Research.* Glencoe, Ill.: Free Press, 1950.

Shore, Arnold, and **Robert Scott.** *Why Sociology Does Not Apply: A Study of the Use of Sociology in Public Policy.* New York: Elsevier, 1979.

Shostak, Arthur. *Our Sociological Eye: Personal Essays on Society and Culture.* Sherman Oaks. Calif.: Alfred, 1977.

Silberman, Charles E. *Crisis in the Classroom: The Remaking of American Education.* New York: Random House, 1970.

Simmel, Georg. *The Sociology of Georg Simmel.* Kurt H. Wolff (trans.). New York: Free Press, 1950.

Simmons, J. L. *Deviants.* Berkeley, Calif.: Glendessars Press, 1969.

Simon, Rita James. "Arrest Statistics." In Freda Adles and Rita James Simon (eds.), *The Criminology of Deviant Women.* Boston: Houston Mifflin, 1970. pp. 107-113.

Simón, William, and **John H. Gagnon.** "Homosexuality Formulation of a Sociological Perspective." *Journal of Health and Social Behavior,* 8 (1967):

176-181.

Skocpol, Theda, and **Kay Trimberger.** "Revolutions and the World-Historical Development of Capitalism." Paper presented at 72nd Annual Meeting of the American Sociological Association. Chicago 1977.

Skocpol, Theda. *States and Social Revolutions: A Comparative Analysis of France, Russia, and China.* Cambridge: Cambridge University Press, 1979.

Skogan, Wesley G. (ed.). *Sample Surveys of the Victims of Crime.* Cambridge, Mass.: Ballinger, 1976.

Skolnick, Arlene. *The Intimate Environment: Exploring Marriage and the Family* (2nd ed.). Boston: Little, Brown & Co., 1978.

Skolnick, Arlene. "The Myth of the Vulnerbable Child." *Psychology Today,* (Feb. 1978): 56-65.

Smelser, Neil J. *Theory of Collective Behavior.* New York: Free Press, 1962.

Smelser, Neil J. "Toward a General Theory of Social Change." In *Essays in Sociological Explanation.* Englewood Cliffs. N.J.: Prentice-Hall, 1968.

Smith, William Carlson, *Americans in the Making.* New York: Appleton-Century, Co., Inc., 1939.

Snow, David A., Louis A. Zurcher, Jr., and **Sheldon Ekland-Olson.** "Social Networks and Social Movements: A Microstructural Approach to Differential Recruitment." *American Sociological Review,* 45(5) (1980): 787-801.

SOCIETY. Special Issue on the Politics of Aging. Vol. 15, No. 5 (July/August 1978).

Soronoff, Natalie J. *Between Money and Love:: The Dialecttes of W Women's Home and Market Work.* New York: Praeger 1981.

Solari, P. *Arcology.* Cambridge: M.I.T. Press, 1969.

Sorensen, Robert. *Adolescent Sexuality in Contemporary America.* New York: World Publishing, 1973.

Sorokin, Pitirim A. *The Crisis of Our Age.* New York: E.P. Dutton. 1941.

Spence, Janet T., and **Robert L. Helmreich.** *Masculinity and Feminity.* Austin: University of Texas Press, 1978.

Spencer, Herbert. *The Principles of Sociology* (3 volumes). London: Greenwood, 1896/1975.

Spengler, Oswald. *The Decline and Fall of the West.* New York: Knopf, 1928.

Souires, Gregory D. "Education, Jobs, and Inequality: Functional and Conflict Models of Social Stratification in the United States." *Social Problems,* 24(4) (1977): 436-450.

Srole, Leo. "Urbanization and Mental Health: Some Reformulations." *American Scientist,* 60, (September/October 1972): 576-583.

Srole, Leo, and **Anita K. Fisher** (eds.). *Mental Health in the Metropolis: The Mid-Town Manhattan Study.* New York: New York University Press, 1978.

Stahi Ra, John. "Structural Determinants of Suburban Socio-Economic Compositions." *Sociology and Social Research,* 63, (1979): 328-345.

Stack, Steven. "The Effect of Direct Government Involvement in the Economy on the Degree of Income Inequality: A Cross-National Study." *American Sociological Review,* 43(6), (1978): 880-888.

Stark, Rodney, and **William Sims Bainbridge.** "Net-works of Faith: Interpersonal Bonds and Recruitment to Cults and Sects." *American Journal of Sociology,* 85(6), (May 1980): 1376.

Starr, Paul, and **Gosta Esping-Andersen.** "Passive Intervention." *Working Papers,* (July/August 1979): 15-25.

Statistics Canada. *Canada's Population: Demographic Perspectives.* Minister of Supply and Services, Ottawa, Canada, 1979.

Statistical Abstract of Latin America. Los Angeles, California: University of California at Los Angeles. Latin American Center Publications, 1978 (Table 627): 81.

Steadman, Harry J., and **Joseph J. Cocozza.** *Careers of the Criminally Insane.* Lexington, MA: Lexington Books, 1974.

Steffensmeier, Darrell J. "Sex Differences in Patterns of Adult Crime, 1965-77: A Review Assessment." *Social Forces,* 58(4) (June 1980): 1080-1108.

Steiber, Steven R. "The Influence of the Religious Factor on Civil and Sacred Tolerance 1958-1971." *Social Forces,* 58(3) (March 1980).

Stein, Peter J. (ed.). *Single Life: Unmarried Adults in Social Context.* New York:

St. Martin's Press, 1981.

Stein, Peter J., and **Steven Hoffman.** "Sports and Male Role Strain." In Donald Sabo and Ross Runfola (eds.), *Jock: Sports and male Identity.* Englewood Cliffs, N.J.: Prentice-Hall, 1980, pp. 53-74.

Sternlieb, George, and **James W. Hughes** (eds.). *America's Housing: Prospects and Problems.* Center for Urban Policy Research, 1980.

Stivers, Richard. *A Hair of the Dog: Irish Drinking in America.* University Park, Pennsylvania: Pennsylvania State University Press, 1976.

Stone, Donald. "The Human Potential Movement." *Society* (May/June 1978): 66-68.

Stouffer, Samuel *Social Research to Test Ideas.* New York: Free Press, 1962.

Stouffer, Samuel et al. *The American Soldier: Combat and its Aftermath. Social Studies in Social Psychology in World War II.* Vol. II. Princeton, New Jersey: Princeton University Press, 1949.

Strauss, Anselm. *Negotiations: Varieties, Contexts, Processes and Social Order.* San Francisco: Jossey-Bass, 1978.

Sturges, Gerald D. "1000+1000 = 5000: Estimating Crowd Size," *Transaction/ Society,* 9(6), April 1972.

Straus, Murray, A., Richard J. Gelles, and **Suzanne K. Steinmetz.** *Behind Closed Doors: Violence in the American Family.* Garden City, New York: Doubleday/Anchor, 1979.

Strodtbeck, Fred, Rita James and **Charles Hawkins.** "Social Status in Jury Deliberations," In Eleanor Maccoby, Theodore M. Newcomb and Eugene L. Hartley (eds.). *Readings in Social Psychology,* New York: Holt, 1958, 379-388.

Summer, William Graham. *Folkways.* Boston: Ginn, 1909/1940.

Sutherland, Edwin, H. "White Collar Criminology." *American Sociological Review* 5, pp. 1-12, 1940.

Swafford, Michael. "Sex Differences in Soviet Earnings," *American Sociological Review,* 43(5) (1978): 657-673.

Swartz, Joel. "Silent Killers at Work," *Crime and Social Justice,* 3 (Spring-Summer 1975): 15-20.

Szymanski, Albert J. *The Capitalist State and the Politics of Class.* Cambridge, Massachusetts: Winthrop Publishers, 1978.

Szymanski, Albert J. and Goertzel, Ted George. *Sociology: Class, Consciousness and Contradictions.* New York: D. Van Nostrand Company, 1978.

Tabb, William K. "The New York City Fiscal Crisis" in William K. Tabb and Larry Sawers (eds.), *Marxism and the Metropolis: New Perspectives in Urban Political Economy.* New York: Oxford University Press, 1978.

Taylor, Lee. *Urbanized Society.* Santa Monica, California: Goodyear Publishing Company, Inc., 1980.

Terkel, Studs. *Working.* New York: Random House, 1972.

Thomas, William I. and **Florian Znaniecki.** *The Polish Peasant in Europe and America.* Chicago, Illinois: University of Chicago Press, 1918.

Thorne, Barrie and **Nancy Henley.** *Language and Sex: Difference and Dominance.* Rowley, Massachusetts: newbury House, 1975.

Thurow, Lester. *The Zero Sum Society: Distribution and the Possibilities of Economic Change.* New York: Basic Books, 1980.

Tiger, Lionel. *Men in Groups.* New York: Random, 1969. Tiger, Lionel and Robin Fox, *The Imperial Animal.* New York: Dell, 1978.

Tilly, Charles. *From Mobilization to Revolution.* Reading Massachusetts: Addison, Wesley, 1978.

Titmuss, Richard M. *Social Policy: An Introduction.* Edited by Brian Abelsmith and Kay Titmuss. New York: Pantheon Books, 1974.

Title, Charles R., Wayne J. Villemez and **Douglas A. Smith.** "The Myth of Social Class and Criminality: An Empirical Assessment of the Empirical Evidence." *American Sociological Review,* 43 (October): 1978, 643-656.

Toennies, Ferdinand. *Community and Society.* (translated by Charles Loomis). East Lansing, Michigan: Michigan State University Press, 1957.

Tolbert, Charles II, Patrick M. Horan and **E.M. Beck.** "The Structure of Economic Segmentation: A Dual Economy Approach." *American Journal of Sociology."* 85(5) (March 1980): 1095-1116.

Treiman, Donald J. *Occupational Prestige in Perspective.* New York: Academic Press, 1977.

Troll, Lillian, and **Vern L. Bengtson.** "Generations in the Family." In Wesley R. Burr, Rueben Hill, F. Ivan Nye, and Ira L. Reiss (eds.), *Contemporary Theories About the Family*. New York: The Free Press, 1979.

Tuchman, Gaye, Arlene Kaplen Daniels, and **James Benet.** *Health and Home: Images of Women in the Mass Media.* New York: Oxford University Press, 1978.

Tumin, Melvin. "Some Principles of Stratification: A Critical Analysis." *American Sociological Review.* 18 (August, 1953): 387-393.

Turnbull, Colin M. *The Mountain People.* New York: Simon and Schuster, 1972.

Turner, Jonathan H. and **Charles E. Starnes.** *Inequality: Privilege and Poverty in America.* Santa Monica. California: Goodyear Publishing Co., 1976.

Turner, Ralph N. "Sponsored and Contest Mobility and the School System." *American Sociological Review,* 25 (1960): 855-867.

Turner, Ralph N. and **Lewis Killian.** *Collective Behavior.* Second Edition. Englewood Cliffs, New Jersey: Prentice-Hall, 1972.

Tussing, Dale. "The Dual Welfare System." *Society.* 11(2) (January/February 1974).

Urban League. *The Myth of Income Cushions for Blacks.* August, 1980.

Useem, Bert. "Solidarity Model, Breakdown Model and the Boston Anti-Busing Movement." *American Sociological Review,* 45(3) (June 1980): 357-369.

Useem, Michael and **S.M. Miller.** "The Upper Class in Higher Education." *Social Policy,* (January/February 1977): 28-31.

Useem, Michael. "The Inner Group of the American Capitalist Class." *Social Policy,* 25(3) (February 1978): 225-240.

U.S. Bureau of the Census. *Current Population Reports.* Series P-20, No. 360, "School Enrollment – Social and Economic Characteristics of Students: October, 1979." Washington, D.C.: U.S. Government Printing Office, April 1981.

U.S. Commission on Civil Rights. *Social Indicators of Equality for Minorities and Women.* Washington D.C., 1978.

U.S. Dept. of Commerce, Bureau of the Census. "American Families and Living Arrangements." *Current Population Reports,* Special Studies, Series P-

23, No. 104. May, 1980.

U.S. Dept. of Commerce. "Money Income of Families and Persons in the United States, 1978." *Current Population Reports*, Series P-60, No. 123, June, 1980.

Van der Tak, Jean, Carl Haub, and **Elaine Murphy.** "Our Population Predicament: A New Look." *Population Bulletin,* 34(5), Population Reference Bureau, Inc., Washington, D.C., 1979.

Van Gelder, Lindsy. "The Great Person-Hole Cover Debate." *MS.* (April 1980): 120.

Van de Walle, Etienne, and **John Knodel.** "Europe's Fertility Transition: New Evidence and Lessons for Today's Developing World." *Population Bulletin,* 34(6). Population Reference Bureau, Inc., Washington, D. (1980).

Van Gennep, Arnold. *The Rites of Passage.* Chicago: University of Chicago Press, 1908/1960.

Vanneman, Reeve, D. "U.S. and British Perceptions of Class." *American Journal of Sociology* 85(4) (January 1980): 769-790.

Veblin, Thorstein. *The Theory of the Leisure Class.* New York: Macmillan Company, 1899.

Wallerstein Immanuel. *The Modern World System.* New York Academic Press, 1974.

Wall Street Journal. "Unemployment Rises in Sun Belt as Immunity to Recession Fades." By Liz Roman Gallese. (September 3, 1980): 29.

Walum, Laurel Richardson· *The Dynamics of Sex and Gender.* Skokie, Ill.: Rand McNally, 1977.

Washryrn, Sherwood L. "The Evolution of Man." *Scientific American,"* 239(1) (September 1978): 194-211.

Warint, John M. "Social Replenishment and Social Change." *American Behavioral Scientist,* 19(2) (1975).

Weber, Max. *The Theory of Social and Economic Organization.* New York: Oxford University Press, (1847/1925). Translated by A. Henderson and Talcott Parsons.

Weber, Max. *The Protestant Ethic and the Spirit of capitalism.* New York:

Scriber, 1904/1958.

Weinberg, Martin S. "Sexual Modesty and the Nudist Camp", in. Earl Rubington and Martin S. Weinberg (eds.). *Deviance: The Interactionist Perspective.* New York: Macmillan & Company, 1968, pp. 271-279.

Weinberg, Martin S. and **Colin J. Williams.** "Sexual Embourgeoisment?" *American Sociological Review,* 45(1) (February 1980): 33-48.

Werner, Frances E., William M. Freij, and **David M. Madway.** "Redlining and Disinvestment: Causes, Consequences, and Proposed Remedies." *Clearinghouse Review.* 10(7) (1976): 501-506.

Werthman, Carl and **Irving Pilivan.** "Gang Members and the Police". In David Bordua (ed.). *The Police: Six Sociological Essays.* New York: John Wiley and Sons, 1967.

White, Whiliam Foote. *Street Corner Society: The Social Structure of an Italian Shim.* Chicago: University of Chicago Press, 1943.

Wilensky, Harold L. "Life Cycle, Work Situation and Social Participation." In Clark Tibbitts and Wilma Donahue (eds.), *Social and Psychological Aspects of Aging.* New York: Columbia University Press, 1962.

Wilensky, Harold L., and **Charles N. Lebaux.** *Industrial Society and Social Welfare.* New York: Press, 1965.

Willcox, Paul. "Canadian Labour and the Capital Crisis: The Dynamics of Conflict." In Richard J. Ossenberg (ed.), *Power and Change in Canada.* Toronto: McClelland and Steward, 1980, pp. 65-99.

Williams, Jay R. and **Martin Gold.** "From Delinquent Behavior to Official Delinquency." *Social Problems,* 20, (1972): 209-229.

Williams, Robin. *American Society: A Sociological Interpretation* (3rd ed.). New York: Knopf, 1970.

Willie, Charles V. *A New Look at Black Families.* 2nd. ed. New York: General Hall, 1981.

Wilson, E.O. *Sociobiology: The New Synthesis.* Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 1975.

Winks, Robin. "Black Tile in the Mossaic." In Daniel Glenday, Hubert Guindon, and Allan Turowetz (eds.). *Modernization and the Canadian State.* Toronto: Macmillan, 1978, pp. 356-371.

Wirth, Louis. "Urbanism as a Way of Life." *American Journal of Sociology,* 44, (July 1938): 8-20.

Witkin, Herman A., et al. "Criminality in XYY and XXY Men." *Science,* (August 13, 1976): 547-555.

Wolf, Deborah Goleman. *The Lesbian Community.* Berkeley, Calif.: University of California Press, 1979.

Wolfe, Alan. *The Limits of Legitimacy: Political Contradictions of Contemporary Capitalism.* New York: Free Press, 1977.

Wolfe, Alan. *The Seamy Side of Democracy.* Second Edition. New York: Longman, 1978.

Wolff, Kurt H. *The Sociology of Georg Simmel.* Glencoe, Illinois: The Free Press, 1950.

Wolfgang, Marvin. *Patterns in Criminal Homicide.* Philadelphia: University of Philadelphia Press, 1958.

Wolfgang, Marvin, and **Franco Ferrecuti.** *The Subculture of Violence: Towards an Integrated Theory.* London: Tavistock, 1967.

Wood, R.C. *1400 Governments.* Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press, 1961.

Worsley, Peter. *The Trumper Shall Sound.* Second Edition. New York: Schocken Books, 1968.

Wright, Sam. *Crowds and Riots: A Study in Social Organization.* Beverly Hills, California: Sage, 1978.

Wrong, Dennis. "The Oversocialized Conception of Man in Modern Sociology." *American Sociological Review.* 26, (1961): 183-193.

Wynne, Edward A. *Growing Up Suburban.* Austin, Texas: University of Texas Press, 1972.

Yankelovich, Daniel. *New Rules: Searching for Self-Fulfillment in a World Turned Upside Down.* New York: Random House, 1981.

Yankelovich, Daniel and **Larry Kaagan.** "Proposition 13 One year Later: What It Is and What It Isn't." *Social Policy,* (May/June 1979): 19-23.

Yeates, Maurice and **Barry Garner.** *The North American City.* New York:

Harper and Row, 1976.

Yinger, J. Milton. "A Structural Examination of Religion." *Journal for the Scientific Study of Religion,* 8(Spring, 1969): 88-99.

Zald, Mayer N. and **Roberta Ash.** "Social Movement Organization" in Barry McLaughlin (ed.). *Studies in Social Movements.* New York: The Free Press, 1969, pp. 461-485.

Zelditch, Morris. "Role Differentiation in the Nuclear Family." In Talcott Parsons and Robert F. Bales. *Family Socialization and Interaction Process.* Glencoe: Free Press, 1955.

Zimbardo, Phillip, Curtis W. Banks, Craig Haney, and **David Jaffe.** "The Mind is a Formidable Jailor." *New York Times,* April 8, 1973.

Zipp, John F. and **Joel Smith.** "The Structure of Electoral Political Participation." *American Journal of Sociology,* 85(1) (July 1979): 167-177.